سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب



جزء ٤٠-٤٩

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

18 | 33 | 2

17 5 9 4

i 24875338

i 15678519

b 25218682

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال عقبة أنا أسير إلى جزيرة النفط فى أعجل مايكون فعندها عمروا له مركبا عظيما فركب فيه عقبة وشومدرس وأخذوا معهم عشرة بطارقة ولم يزالوا بالمقاديف إلى ان دخلوا إلى البحر وساروا طول الليل وقد أيقنوا بالسلامه وجدوا فى يومهم ذلك إلى الليل ووصلوا إلى جزيرة النفط فنظر عقبة إلى جزيرة لم يرى أحسن منها كثيرة الاشجار والاثمار وعليها مراكب بعدد المواكب (قال الراوى) فدخلوا اليها ورفع عقبة صوته بالانجيل وكذلك شومدرس إلى ان اجتمع حولهم خلق كثير وانقلبت تلك الجزيرة بهم وأوقدوا الشموع وفتحوا الكنايس ولما علم عقبة انه احتوى على قلوبهم حثا التراب على رأسه ونادى واديناه واقلة نصراه وامسيحاه وانجيلاه فقالوا له الروم وقد ارتفع بكاءهم وعلا صياحهم ماحالك أيها الرجل نحن لك وبين يديك فابتدأ الملعون عقبة يحدثهم بجميع ماجرى له ولأهل جزيرة بحر سامع المسلمين فلما فرغ من حديثه قالوا أيها الشيخ طب نفسا وقر عينا نحن من السوء نقيك ونبلغك أمانيك ونظفرك بأعاديك ثم انهم أخذوا أهبتهم واصلحوا أمورهم فى يومهم وليلتهم وكان لهم ملك يقال له شمراخ وهو جبار من الجبابره وكان له مراكب تملا البحار وكان قد سمع بذكر عقبة على طول الايام وفعله مع أهل الاسلام وحيله للملك ميخائيل وكان يقول كنت أشتهى من المسيح ان يجمع بينى وبين الشيخ النجيح يوم واحد ودع أموت بعده (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما اجتمع به وعرفه قال له أيها الشيخ الصالح

ابشر فأنا وأهلي وقومي ومالي بين يديك وفى هذه الجزيرة ثلاثة آلاف وثلثمائة مركب حربي وعندى من الرجال مايملاذلك وأناأسير بروحي اكراما لك وشكرا للسيدالمسيح ثم نزل فى المراكب وملاها بالرجال صناديد الأبطال وسيبوا القلاع وساروا يوم وليلة إلى ان وصلوا إلى الجزيرة آخر الليل ودهموا الناس وهم آمنين (ياساده) وكان الأمير عبد الوهاب قد فتك بالناس إلى ان أشرفوا على التسليم وما منعهم من ذلك الا انتظار القاضى عقبـــة وكان قد أجلهم أربعة أيام (ياساده) وفى تلك الساعة كانوا بنى كلاب الذين مع الاميرة ذات الهمة قدهجموا فى مواضعهم (قال الراوى) ونزل الملك شمراخ وأصحابه من المراكب الاعقبة وشومدرس فانهم لم ينزلا ونزل من الروم خلق كثير ودهموا الناس وهم فى مراقدهم فعمل السيف بينهم وكانت الأميرة ذات الهمه قد ملكت سيفها وخلصت معها مائة رجل من بنى كلاب وأخذوا الباقى عن بكرة أبيهم وكان الرجل منهم يأخذ مائة رجل من الروم إلى ان ملكوهم وقتلوا منهم عالم عظيم وسمع عقبة بذلك فنزل من المركب وأتى الجزيرة وطلب الحصن وأعلم الروم فنزل من الحصن خلق كثير وحملوا على الأميره ذات الهمه وعمل القتال إلى الصباح هذا وقد نظرت الاميره إلى البحر فرأته كله مراكب وقد صاروا فى الجزيرة عالم بعدد التراب (ياساده) ولما سمع الامير عبدالوهاب هذه الضجة ظن أن ميخائيل أتى ينظر الجزائر وأهلها ويخلص عقبة من بين أيديهم وما يدرى ما عملت المقادير حتى طلع الصباح ونظر تلك العساكر فى الجزيرة والمراكب فى البحر وقد أقبلت من نحو جزيرة النفط والأميرة ذات الهمة وقدبقى معها من الرجال ثلثمائة وقد خلصوا والتجؤا إلى جانب الجزيرة ولولا انهم كانو على أهبة من أمورهم كانوا قد أخذوا أيضا (ياساده) وان الملك شمراخ صرخ فى الناس والرجال وقال خذوا هؤلاء المسلمين فحملت الناس على الأميرة ذات الهمه وقاتلوا قتالا شديدا لم يسمع مثله وان الأمير عبدالوهاب نزل إلى الحصن وفيه خلق كثير ولم يزل يضربهم بالسيف إلى ان أفناهم وملك الحصن قوة وقهرا ونصره الله تعالى نصرا وكانوا الروم قد فرحوا بوصول النجده اليهم فخرجوا اليهم من ضيق الحصار ولم يبقى فى الحصن الا القليل ولما ملكه الأمير عبد الوهاب نزل البطال وغلمانه فيه ونزل الأمير عبد الوهاب وسائر الامراء والأصحاب ونزلت الملكه ميمونة إلى معونة الاميره ذات الهمه وهم ينادون الله أكبر الله أكبر فتح ونصر ونظرت الأميره إلى ولدها ففرح قلبها وطاب لبها ونادى عقبة بالملك شمراخ يامولاى هـذه حامية القـوم والفرسان الذين هم معها هـذه الابطال فاذركهم بالجمله فاذا أنت أسرتهم فانك تملك الأرض بالطول والعرض فقال

شمراخ على ذلك فسوف أبلغك مناك وأهلك اعداك (ياساده) ونظر شمراخ إلى الأمير عبدالوهاب ونظر الامير اليه فقال لميمونه ولظالم أنا أعلم ان هذا ملكهم بلا شك وما تنال مانريد الا بأخذ المقدم عليهم فقالوا له من أردته منا فهو يحمل عليه ويوصل الاذيه إليه (قال الراوى) فعندها صاح الأمير بجواده وكان جواد كريم وكان هذا الجواد لعبد الصليب فخرج مثل البرق البارق ومعه سيف ماحق وسنان خارق ثم انه حمل وخرق الصفوف وأظهر الحتوف حتى وصل إلى الملك ونظر عقبة فعرف الملك به وقال يامولاى هذا أمير القوم وهو قادم عليك وقاصد إليك فحمل عليه الملك وأخذ معه فى القتال والحرب والنزال وكان للملك أخوات يقال له عبد المسيح وآخر يقال له عبد النور وآخر يقال له عبد القداس وآخر يقال له شماس وكل واحد من هؤلاء يلقى الرجال ويعد بالأبطال وان الملعون عقبة جعل يحرضهم على قتال الأمير ويقول دونكم ونصرة أخيكم فهذا الفارس ليس هو كالفرسان فحملوا على الأمير كلهم فعندها حملت ميمونه على عبد المسيح وحمل ظالم على عبد النور وحمل أبو الهزاهز على عبد القداس وحمل سملق على شماس هذا كله والرجال قد حملوا على الأميرة ذات الهمة وحملت الأميرة برجالها عليهم وحملت تلك العساكر العظيمة طمعا فى أخذها وعقبة يحرض الروم عليهم ولم تكن الا ساعة حتى طعن الأمير عبد الوهاب الملك شمراخ فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وطعنت ميمونة لخصمها أردته وكذلك ظالم وأبو الهزاهز وسملق وعطفوا على الباقى من الناس فخرقوهم ميمنة وميسرة وامتلأت الأرض بالقتلا ونظر عقبة إلى ذلك فالتفت شومدرس وقال له ايش ترى من الرأى قال وما عسى ان أرى ما أرى الروم إلا مكسورين ولو كنا قعدنا فى الجزيرة التى تسمى جزيرة النفط كنا آمنين على أرواحنا وما جيناهنا إلا لآجالنا (قال الراوى) هذا والسيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن انسدم الظلام وانهزمت الروم عند قتل الملك وأخوته وأولاده (ياسادة) وكان فيهم بطريق يقاله له شماس وكان يحدث نفسه بالملك فصبر إلى وقت العصر وطلب المراكب طمعا فى نصف الجزيرة وهرب نصف الناس وعمل السيف فى الباقيين وطلعوا إلى المراكب فهلك منهم خلق كثير وأما عقبة فانه طلب المراكب فلحقه طمطم وقد عرفه وضربه بالسيف صفحا فوقع على وجهه فأخذه أسير وأخذ شومدرس أيضا ورجع إلى أصحابه وقد خلصوا المأسورين عن بكرة أبيهم وحلوا أكتافهم وفتحوا الحصن وملكوا كلما فيه من الأموال والبدنة التى كانت تسوى ملك قيصر وجمع الأمير عبد الوهاب جميع ذلك وخلص السيدة زبيدة وعلوى وقال للسيدة زبيدة هل علىّ ايش يعمل عقبة ههنا

فقالت أيها الأمير أنا أستغفر الله مما كان منى من تعصبى له فقال والله كلما جرى علينا أيتها السيدة زبيدة من عقبة الشيطان وما جاء إلى هذه الديار إلا حتى يحرض هؤلاء على الخروج إلى ديار الإسلام ولم يعلم أنه قد جرت علينا الأحكام بما يشاء الملك العلام فقالت السيدة زبيدة قد ذكرت لك انى أستغفر الله تعالى من فعالى فى حقه وسوف أشهد عليه بما بان لى بين يدى المأمون لأنه رأيته بعينى عند الروم على غاية من الأجيال والاكرام والاعظام ولو لم يكن على دين القوم ما كان فى هذه المنزلة فقال الأمير ظالم وما الذى يمضى بنا إلى المأمون أقسم بالله يمينا أن أقلعنا من هنا إلى القسطنطونية ونصلب عقبة عليها والله الموفق والمعين وان الأمير عبد الوهاب أخذ تلك البدنة الجوهر التى كانت للملك بحوسا وهى الذى كانت فريدة عصرها وزمانها ولقد ذكر الراوى قال حدثنى من أثق به أنها كانت خمس حبات ياقوت كهرمان كل حبة وزنها عشر مثاقيل ولؤلؤ كبار دون البيض ثم أقبل على البطال وقال له يا أميركم تسوى هذه البدنة الجوهر فقال ياأمير مايقال لهذه ايش تسوى لأنها مالها نظير ولا قيمة (قال الراوى) ورجع الأمير بذلك السبى والأموال إلى المراكب وترك مالا قدرة له على حمله ثم رفع القلوع ولجج فى البحر وبقى أياما متواترة إلى أن وصل إلى بحر الروم وسار إلى أن بقى بينه وبين القسطنطونية ثلاثة أيام

(قال الراوى) فبينما هم سائرين إذ لاح لهم فى البحر قلعا لطيفا فلما نظرته أصحاب المراكب طلبته وحط هو القلع لما رآهم طلبوه ولا زالت المراكب إلى أن أدركته وكان ذلك المركب خفيف للهرب جيد للطلب فلما نظروا أهله إلى مراكب يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله قصدوا إليهم فلما قربوا منه عرفوه المسلمين وإذا به من ثغر طرسوس وقد أنفذه على ابن يحى الأرموى ليكشف خبر الأمير عبد الوهاب لأن أخباره قد انقطعت عنه فلما نظروا أهل المركب إلى مركب الأمير ونظروا إلى ماقد فتح الله عليه من جميل الذكر وجزيل الأموال وكثرة السبى والرجال فهنوا الأمير ومن معه بالسلامة وقالوا أيها الأمير لنا ثلاثه أشهر نطوف البحر ونفتش الجزائر وما سمعنا لك خبر ثم رجعنا الى طرسوس وأخبرنا بذلك فوجدنا الدنيا منقلبة بأن أمير المؤمنين المأمون قد خرج من خراسان وقد سارت معه العساكر فى طلب المراد واصلاح العباد والبلاد ودخل الى بغداد وسأل عن أخبار فأخبروه بأنك قد كسرت عساكر الروم وأفنيت كتائبها ومواكبها وكيف دخلت فى طلب المأسورين وقد أمر الخطباء أن يخطبوا ويدعوا لك على المنابر وأنفذ بذلك الى سائر بلاد الاسلام ثم انه جمع العساكر من كل جانب ومكان ودخل الى بلاد الروم طالب القسطنطونية فى طلبك فلم يجدك فأرسل الى الملك ميخائيل وتقاتلوا ثلاثة

أيام وانكسرت عساكر الروم وقتل منهم خلق كثير بعدد النجوم ونزل المأمون على باب القسطنطونية وأقسم أنه لايبرح من عليها حتى يرى وجهك وقد طال به المطال والمقام ولما رأى ملك الروم ذلك أرسل الى أفرنجه يستنجد بهم فساروا اليه فى مائة ألف قنطارية ولم يعلم الناس بذلك وميخائيل يطاوله ويقاتله من على الصور الى أن وصلت عساكر افرنجه فلما قربوا منه أخفوا أمرهم وأعلموا الملك ميخائيل بوصولهم وقالوا نريد الكبسة فى الليلة الفلانية فقال لهم افعلوا ذلك فانى اذا سمعت الصياح خرجت من البلد فلما كانت ليلة الميعاد الذى الكفرة كبسوا العسكر الذين للمأمون ونهبوا الثقل جميعه وانتبه الراقد وقام القاعد وعلت الضجة وخرج ميخائيل من القسطنطونية وقتل من أصحاب المأمون خلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وتفرقت باقى العساكر وأخذوا المأمون أسير ودخلوا به الى القسطنطونية وقد أهانه الملك ميخائيل غاية الاهانة وقال له أين أميرك أسود بنى كلاب المسمى بالأمير عبد الوهاب وسودانة الأنجاب يخلصوك من هذا العذاب (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا الخطاب عظم عليه وكبر لديه وقال وكم لهذا الحديث قالوا يامولانا له شهرا كاملا وقد بلغنا أن المأمون مربوط الى سارية المذبح فى الكنيسه وهذا غاية الاهانة وأيضا قد بلغنا ان الملك ميخائيل قد هول على الخروج إلى بلاد الاسلام وما فعل هذا إلا وقد أيقن انك قد هلكت ونحن فقد انقطعت عنا أخبارك هذه المده كلها (قال الراوى) فعندها أقبل الأمير عبد الوهاب على البطال وقال له أنظر ماتعمل فى هذه النوبه فهى أهم الاشياء علينا كلها وعلى غيرنا فوالله ما أصيب المأمون الا بسببى وما دخل بلاد الروم الا من أجلى وقد هلك الناس فقال له البطال نحن كنا سائرين إلى القسطنطونية من أجل صلب عقبة والآن فقد تأكد الأمر بهذا الحال وسوف نخلص المأمون ونصلب عقبة لتهدأ منا القلوب وتسر العيون ثم ساروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على مدينة القسطنطونية (قال الراوى) وكان الملك ميخائيل فى ذلك الوقت قاعد فى منظرته اذ رأى القلوع وقد ظهرت من كبد البحر وقد ملأته طولا وعرضا فعندها أمر بضرب البوق وطلعت الرجال إلى الاصوار وعلا الصياح وقد ظنوا ان المراكب مراكب الأمير عبد الوهاب أو مراكب الملك بجوسا وقد خرج بنفسه يريد أخذ الروم بعد أخذ الامير عبد الوهاب (ياساده) وكان الملك ميخائيل يفزع من الملك بجوسا على طول الابد وتزايد المدد ثم ان الملك جمع أهل القسطنطونية وقال لهم ماترون من الرأى فقالوا اله نعمر المراكب بالرجال ونخرج اليهم بالعدد الثقال

فانهم لو كانوا فى عدد التراب لم يقدروا فى القتال وإن كانوا حربا حاربناهم وإن كانوا سلما سالمناهم فقال الملك ميخائيل إنى أخاف عليكم منهم لانهم عالم عظيم فاقيموا فى البلد حتى نبصر مايكون فقال ملك الافرنج وكان قد كسب من المأمون وعسكره شيئا كثيرا وقد استغنى عن عسكره ولم يأخذ منه ملك الروم شيئا يسوى دونهم واحد فرحا بما وصل اليه من أخذ المأمون وقد أمل أن يملك الأرض فى الطول والعرض هذا وقد أقبل ملك الافرنج على ملك الروم وقال له ها هنا كم مركب فقال ألف قطعة وأزيد فقال له أنا أعمرها برجالى وأخرج اليهم بأبطالى وأريك فى البحر قتالى وأفرق هذه المراكب التى ظهرت وأحرق أكثرها بمعونة المسيح (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك كلامه فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأمر أن تعمر به المراكب فعمرت ونزل ملك الافرنج وصاح فى عسكره وقال لهم ويلكم المسيح قد ساق لكم الغنيمة فى البحر كما ساقها فى البر (قال الراوى) فعندها رموا فى البحر خمسمائة مركب وهموا بعمارة الباقين فتصايحت البطارقة من الروم وقالوا أيها الملك ما هذه الفعال التى مافعلها أحد من ملوك الروم لأنك قد اخترت الشرف للافرنج وتركتنا نحن دونهم ولا شك ان هذه مراكب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وقد جاؤا بمراكبهم موثوقة وما نقول لهم مخلص من هذا الاسطول الذى خرج اليهم ونحن قد أردنا الذكر لنا دون غيرنا وما فى الامر الآن نعمر هذه المراكب الخمسمائة ثم نخرج اليهم حتى يذكر الروم وتكون الغنيمة بيننا مشتركة ومع ذلك نقيد ألف أسير مثل وزير المأمون وغيره ونصعد بهم على الأبراج حتى يبصرهم عبد الوهاب وتأمرهم أن يصرخوا صرخة واحدة حتى تنقطع قلوب المسلمين ويقولوا ما أخذوا هؤلاء إلا بعد أن أخذوا خراسان لتكون لنا الهيبة فى قلوبهم وكان هذا رأى الدمستق فقال الملك ميخائيل لقد أشرت بالصواب ثم انه أمر الروم أن يعمروا باقى المراكب ويزينوها باللبود الطيلقانيه ورفع الملك ميخائيل الأسارى على الأبراج وقد وصلت مراكب المسلمين وأبطال الموحدين (ياساده) وكان هذا قرمان ملك الافرنج مامك أفرنجه قبله أشد منه بأس ولا أقوى مراس ولا أعظم حيله واغتيال وهو أحيل أهل زمانه وأمكرهم (ياسادة) ولما سارت المراكب انعزل ناحيه عن مراكب الروم وأمر أصحابه بالانعزال عنهم وقالوا إذا لزوهم مراكب الروم ولم يبق لهم سبيل إلى الهرب ولا إلى الخلاص سبب ندخل نحن عليهم ونأخذهم لأن القتال يريد التدبير والبصيرة فقالوا صدقت (قال الراوى) وكان المقدم على الروم بطريق يقال له أرميناس وقد قرب من مراكب الامير عبدالوهاب وسمع ضجيج المسلمين

وقد رفعوا رؤسهم إلى البلد فنظروا عليه عالم عظيم رجال وفى رقابهم الحبال فعلم الامير عبدالوهاب انهم قدرفعوا الأسارى حتى يقطعوا قلوبهم هذا وقد صاح مقدم الروم ويلكم لقدساقكم المسيح إلى الأجل وقدضاقت عليكم الحيل لأن خليفتكم قدقتل وكل من معه قد جندل والبلاد قدملكت وعساكركم قدهلكت ودما المسلمين قدسفكت والقرى قد خربت وصارت كلها للملك ميخائيل ثم قال ياعبدالوهاب سلم نفسك وتكون على دينك إن شئت الا أطبقت عليكم بهذه المراكب فلا ينجو منكم هارب ويسير كل أحد منكم عاطب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك صاح بمراكبه وقدقسمها على ماجرت به العادة وقال للامير ظالم انفرد انت وأصحابك وكذلك الملكة ميمونه والأميره ذات الهمه ثم هموا على مراكب الروم وهى خمسمائة مركب وصدمت بعضها بعض وأطبقوا على الاسطول الذى للامير عبدالوهاب من كل جانب ومكان هذا وقدأرسل الملك ميخائيل إلى ملك الافرنج وأمره أن يطبق عليهم ليكون يوم المسلمين يوم عبوس هذا والمأمون قدعرف مراكب الأمير عبدالوهاب وقد صعدوا به على البرج الكبير مع المأسورين وفى أعناقهم الحبال وهم يؤملون الفرج بعد الشدة وقد رفع المأمون طرفه إلى السماء ونادى يامن لايخيب من دعاه ولا يقطع من رجاه هذا وقد صدم الأمير عبدالوهاب الملك أرميناس فغرقه أسرع من طرفة عين وقد أرمى أرميناس نفسه إلى حراقة لطيفة كانت قريبة منه ونجا معه ثلاث بطارقة وغرق الباقون هذا كله والملكة ميمونة قد صاحت بسودانها وقالت لهم افعلوا كفعلى وألصقت المركب من مركبه وضربت منه سقالاته وصارت معهم فى المراكب وأوودتهم موردالعطب وفعلت السودان مثل فعالها وعملوا مثل عملها وعملت العرب مثل ذلك ولم يمضى شطر النهار إلا وقد أوقعوا باكثرالمراكب البوار وتأخرت المراكب فزعا من المعاطب وأوقع الله هيبة السودان فى قلوبهم ونادى المنادى بالخوف فيهم حتى صار الواحد من السودان يرى نفسه فى المركب فتلقى البطارقة أنفسها من شدة خوفها إلى البحر ولم يسلم إلا من كان فى أجله تأخير وقد هلك منهم خلق كثير وضرب الأمير عبدالوهاب المراكب كلها بالنار وسير مركب كبير إلى طرسوس فيها أموال وتحف وهدايا للامير على بن يحيى الأرموى ويقول فيه ان الامير قد وصل الى القسطنطونيه فانفذ له الخيام والجمال والمضارب ويقول له أنا مقيم على الحرب لباب القسطنطونيه إلى أن افتحها ويفرج الله عن المأسورين الذين فيها وأصلب عقبه على باب الذهب فاسرع حتى تحضر صلبه فقد بطل محاله وكذبه وقدأخذه الله بذنبه (قال الراوى) ونظر ملك الروم إلى ذلك فاقبل على البطارقه والعمالقه وقال لهم وحق المسيح لقد نصروا عليكم فى البحر

وقد نزلوا إلى البر وما فيهم من هو على فرس فاخرجوا اليهم واطحنوهم بحوافر الدواب وانزلوا عليهم العذاب فقالوا له ابشر بكلما تريد ثم انهم أقاموا إلى الصباح وفتحوا الباب وخرجت البطارقه ونادى المنادى فى القسطنطونيه فخرج منها عالم عظيم هذا وقد طير ميخائيل الطيور إلى سائر الاقاليم بان عساكر المسلمين قد قدمت مع الأمير عبدالوهاب وهم فى عالم قليل وكلهم رجاله غير خياله فانقلبت بلاد الروم بأهلها وان الأمير عبدالوهاب سمع بأن ميخائيل قد طير الطيور الى سائر الاقاليم والعساكر قد تواترت من سائر الاقاليم والاقطار هذا كله وملك الروم لم يتعرض لقتال ولا حرب ولا نزال إلى آن امتلات الدنيا خلا ورجال وأقبلت العساكر من كل جانب وأصبح الأمير عبدالوهاب معولا على القتال فجمع الناس ثم وثب قائما على رجليه وقال معاشر المسلمين قد سمعتم ماجاء فى الكتاب عن رب العالمين فى جهاد الكافرين وبعد فالحمد لله الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد أما بعد ياعباد الله السامعين أن ميخائيل قد احتوى على المأمون أمير المؤمنين يطلب بذلك هدم ركن الدين وضعف قوة الموحدين وقد نفرت اليكم كتائبه ومراكبه والله مع الصابرين فهذه الجنة قد فتحت أبوابها والحور قد أظهرت اتجابها (قال الراوى) وركب الملك ميخائيل فى عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وأشار بالحمله على المسلمين فدقت النواقيس من كل جانب ورفعت الصلبان بأيدى الكفره والكواذب هذا والمسلمين قد استعانوا بالطالب الغالب الذى لاينجو منه هارب ولا يغلبه غالب ثم التقوا الناس واشتد المراس ولم يزالوا كذلك إلى أن ضعف القوى وتكاثرت الاعداء وطال المدى ولله در الملكه ميمونه فى ذلك اليوم وفعالها لقد حزت رقاب الروم وصبحتهم صباح ميشوم وماقصرت فى قتالها ولا حربها ولا فى نزالها وكانت يومئذ راكبه وكذلك الأميره ذات الهمه وسائر الأمراء راكبين إلا الأمير عبد الوهاب فانه كان راجلا بين يدى البطال (ياساده) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجع كل قوم إلى مقامهم وطلب الأمير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده فعظم عليه وكبر لديه وخشى أن يكون قد ملك من الوقعة هذا وقد أضرمت النيران وتحارست الفريقان وكان ملك الروم قد نزل ظاهر البلد فى تلك العساكر العظيمه ولم تمضى الليله الا فى حديث الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب ثم أنه قال وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لو تنصر هذا الأسود خلعت نفسى من الملك وسلمته اليه وكنت أكون فى مدينة القسطنطونيه من قبله ولو فعلت أمه كذلك لكنت لها كذلك فمالهم فى الأرض من يماثلهم وإلا ماصبروا وهم رجاله

غير خياله على هذا العالم العظيم فقال حرب بن شيبان أمير متنصرة العربان أيها الملك رجالى أقوى منهم وها عندى رجل قد قدم فى آخر النهـــار وهو كان فى أرض تيما مقيم وهو من أقاربى وأناسبى ولقد كتبت اليه الكتب وهو يتمنع من المجىء إلا أنه هوى جارية وهى بنت صاحب حصن الضب فخطبها منه وقد طلب منه مال عظيم فلم يكن له إلى ماطلب منه سبيل غير أنه قدم على وقد ضمنت له عندك كل جميل وقلت له إنك توصله إلى ماطلب من الصداق الذى لا يعطيه أحدا فى الآفاق وقد ضمن لى أنه يأتيك برؤس القوم وهم الذين قد وصفتهم والابطال الذين عرفتهم وهم الأمير عبد الوهاب وأمة ذات الهمة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الملك ذلك قال ياحرب إلى متى هذا المنا وهؤلاء الاثنين ماوصل اليهما أحد فقال له حرب يامولاى هذا الذى ذكرت لك حقا وسوف ترى ماقد وصفته صدقا فقال وأين كان هـذا الرجل من قديم الزمان ولم يطلع له خبر فقال له يامولاى كان ملجحا فى البرية مقيما وحده والوحوش والسباع جنده يأكل من لحمها وأهله يطلبون أن يأتى اليهم فيأبى ذلك إلى أن قدم فى بعض الايام إلى مدينة يقال لها زبيد فنظر إلى ابنة ملك يقال له الغطريف واسمها نعامه فهويها وخطبها من أبيها فلم يقدر على خلافه خوفا منه لأنه شجاع شديد لا يقوم مقامه أحد من الأحرار ولا من العبيـد ولا يقاومه أحد من الرجال لأنه بطل من الأبطال فقال له الملك وأين هذا الرجل وما إسمـه فقال له يامولاى هو أنخر نسب من العرب وإسمه الخطاف بن سهل وإنه لما أنعم له بالجواز طلب منه المهر العظيم وقصد بذلك بعده فأجابه إلى ماطلب منه وأغار على بعض العرب ونهب الأموال ولما رجع من الغارة ورد عليه كتابى أحثه على القـدوم على ففرح بذلك وقد أتى فى ألف فارس من قومه ممن يطلب الكسب وكان وصوله إلى أمس وقت غروب الشمس فقال الملك على به حتى أنظر اليه

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فادعى به حرب ابن شيبان فأتى وبنو عمه من حوله كأنهم الرماح الطوال وهى فى أوائلهم والموت لائح من بين عينيه وعليه من الشجاعة والقوة والبراعة فلما نظر الملك اليه أعجبته شمائله وخلع عليه وتصايحت به البطارقة والفرسان العمالقة أن يبوس الأرض فمنعته نفسه أن يفعل ذلك بل انه أشار إلى الملك يقول :

أيا ملك الروم العزائم ويامن له جاه رفيع المعالم
أتاك غلام يفلق الهام سيفه هموس عبوس ضارب للجماجم
ولا بد من قتل الذى قد وصفته وفضلته طرا على كل قادم

وأقتل أيضا أمه وأذيقهـــا   شراب المنايا مع شراب السمايم
ولا بد لى من نصرة الروم قوة   ولا بد مما أن أروى صارمى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما لاحت للملك منه علائم الشجاعة والقوة والبراعة وسمع منه ذلك قال وحق المسيح لأعطينك فوق ماتريد وأزيدك أوفى مزيد.ثم فرق الخلع على بنى عمه وأحضر البترك ونصره ونصر قومه عن بكرة أبيهم هـــذا والملك لايصدق بالصباح أن يصبح وكذلك الخطاف (ياسادة) ولم يكن عند الأمير عبدالوهاب من ذلك خبر فهذا كان من هؤلاء (وأما ماكان) من البطال وسبب غيبته فانه لما اختلط بالعسكران سار يريد القسطنطونية ثم دخل مع عسكر الروم إلى البلد فى زى بعض البطارقة ومعه غلمانه وكان المأمون مأسور ومعه ثلاثة آلاف أسير فى دار البلاط والوزير أحمد العابد الزاهد فقصد البطال إلى دار مارس ودخل عليه فلما حضر بين يديه قال له مرحبا يا أبو محمد ثم هناه بالسلامة واعتنقه وقال له يامولانا قد وصل اليوم كتاب من ملطية يخبران عساكر العراق والجزيرة وديار بكر قد اجتمعت وهى داخلة إلى بلاد الروم فى طلب خلاص المأمون فقال له البطال دعنى الساعة من هذا الكلام فان فى قلبى النار من أجل المأمون ولا بد لى من الدخول اليه فى هذه الليلة فى ساعتى هذه فقال مارس ياأبو محمد هو فى دار البلاط وعليه الموكلين الذين مارأينا قط مثلهم فلا تطمع فى الدخول اليه فوالله العظيم لقد عمل أخى على الدخول اليه فلم يقدر لأن الملك قد أوصاهم ووكل بهم جماعة من روم الجزائر وقال لهم كل من أراد أن يبصرهم فلا تخلوه واعلمونى وطاوعونى به حتى أضرب رقبته لأن الشيخ النجيح كان قال لى إن عندى عيون المسلمين فقال البطال هـــذا مايمنعنى عن ذلك ولا بد لى من الدخول اليه وأخلصه وأتركه فى عسكر الأمير عبدالوهاب ثم إن البطال وثب قائما وطلب دار البلاط فلما وصلها وجد الرجال قيام وفى أيديهم السيوف والخمر بين أيديهم فسلم عليهم وقال لهم إن الملك أرسلنى اليكم وهو يقول لكم لاتحكموا الخمرة فيغلب على قلوبكم السكر وعساكر المسلمين بين أيدينا وفيهم البطال الذى تضرب به الأمثال فلا يأمن عليكم منه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا ذلك من البطال صلبوا على وجوههم وقال المقدم عليهم وحق المسيح صدق الملك ثم إن البطال دنا من الاناء الذى فيه الخمر وطرح فيه نصف مثقال بنج آزرق ولم يتناول القوم بعده أكثر من قدح حتى وقعوا صرعى فدنى البطال من الباب وفتحه ودخل إلى الدار وهو يقول ياجميل الستر إذا حائط البلاء فلما توسط الدار وجد الامراء فى أسوأ حال ووجد الوزير أحمد مريض وإلى جانبه المأمون وهو يقول ياهذا لو كان البطال فيهم

لقد كان يتوصل فى الدخول الينا و القدوم علينا وما كان يقعد عنا ساعة واحدة فقال الوزير أحمد يامولاى وماعسى أن يفعل أو يقدر يعمل وكيف تنفع ههنا الحيل أم كيف كان الينا يتوصل فقال البطال هاأنا قد وصلت اليكم قد حصلت وقد دنا الفرج من صاحب الفرج فقوموا معى حتى أريكم ما أعمل ثم إنه دنا منهم وفك قيوهم فلما نظر المأمون إلى البطال كاد عقله أن يطير فرحا (ياسادة) وإن البطال أخرجه وأخرج الوزير معه ومعهم جماعة من الرجال وأتى بهم إلى دار مارس فلما نظر اليهم الأمـــير مارس وإلى المأمون باس الأرض بين يديه وقال للبطال كيف وصلت اليه وعلى الباب البطارقة فقال أسقيهم دواء ولو أردت قتلهم لقتلتهم فقال مارس لله درك ياأبو محمد ثم إنه أرسل معه عشرة من غلمانه مسلمين ثم خرج البطال إلى المطموره التى فيها المأسورين والوقت فى غلسه يذبح البطارقة وأخذ ثيابهم فلبسها للمأسورين وقال كونوا على باب الذهب فاذا خرجوا الروم أخرجوا فى جملتهم فاذا حملت الرجال على الرجال احملوا عليهم وأنتم تقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا يكون يوم الانفصال إن شاء الملك المتعال

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأصبح الصباح وفتح باب البلد وخرجت الروم فى طلب الحوائج وخرجت الرجال تطلب الحرب والقتال وحضور المصاف وقد أيقنوا أن الخطاف يأخذ الأمير عبدالوهاب فى يومه ذلك وقد خرجت الروم وخرجت الاسارى فى جملتهم وفى أوائلهم المأمون والبطال والوزير أحمد فلما حصلوا فى عسكر الملك ميخائيل نادوا بكلمة الاخلاص المنجية يوم القصاص وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربوا الروم بالسيوف وسقوهم شراب الحتوف على غفلة منهم وسمع الأمير عبد الوهاب التكبير من عسكر الروم فأجابهم بمثله وصاح بالناس لحملوا على الروم والبطال ترك النـاس حتى التحموا وقصد عسكر الأمير ومعه المأمون رافعا أذياله وهو يلهث ويغدو طالبا للخـــلاص فهو كذلك وقد لقيته الأميرة فقالت له يا أبو محمد قال نعم يامولاتى قالت ومن هو هذا الذى معك فقال هذا المأمون فلما سمعت الاميرة ذلك رمت روحها إلى الأرض وجعلت تقبل يديه فقال لها البطا ل ماهذا وقته اركبى واقتحمى العجاج واخبرى الامير بمن خلص من الاسارى (ياسادة) فعندها حملت الأميره والأمير وعملت الصوارم المرهفات وحطت المهج من أبدان السادات ودارت عنهم الآفات هذا وقد وصل المأمون والبطال إلى سرادق الأمير عبد الوهاب وقال له البطال قف ياأمير المؤمنين واسمع كلام عقبة فوقف المأمون ودخل البطال إلى عقبة وقال له كيف أصبحت ياشيخ الضلال فقال بخير اذا لم أرى وجهـــك ولكن سوف

يضرب ميخائيل رقابكم كما ضرب رقبة المأمون وما بى أسف الا أنى ماحضرت قتله حتى أننى كنت أشرب من دمه لأنه كان مغاليا فى دين الإسلام والايمان مكثرا من قراءة القرآن (ياسادة) فلما سمع المأمون ذلك هم أن يهجم عليه ويضرب عنقه فغمزه البطال فوقف والتفت البطال الى عقبة وقال له ياملعون قد دنى أجلك وصلبك فقال عقبة كذبت وحق المسيح ماهذا صحيح وما أمرت حتى أشتفى منكم كما أنى اشتفيت من خليفتكم فلم يجد المأمون بعدها صبرا بل دخل اليه ورفسه أرماه على وجهه وقال له ياملعون هاقد أتيت بحمد الله سالما وأنا أقسم بالله قسما صادقا لاخرجت الى بلاد الاسلام حتى أصلبك وأبلغ منـــك المرام ثم ان المأمون سأل عن السيدة زبيدة فسار به البطال اليها وسلم عليها وباس رأسها وبكى فبكت وقالت ياأمير المؤمنين رأيت من عقبة كذا وكذا فصح عند المأمون كفره من سائر الجهات وعزم على أن يصلبه فهذا ما كان من هؤلاء.

(وأما ما كان) من ملك الروم فانه لما سمع التكبير فى عسكره ألوى رأس جواده ودخل إلى القسطنطونية ودخلت العساكر خلفه ولما أمن على نفسه جمع البطارقة ثم قال ليت شعرى كيف تم علينا هذا الأمر فقالوا لاعلم لنا فقال الملك ماأخوفنى أن يكونوا المسلمين خلصوا من الاعتقال انظروا ذلك فغابوا وعادوا وقالوا أيها الملك انا وجدنا أكثرهم قد هرب فضرب الملك رقاب الرسل وقال أنا أعلم أن هذا من أفعال البطال

(ياسادة) وكان ميخائيل قد سلم من القتل ذلك اليوم لان الامير ظالم كان قد صمم عليه بالطعنة وقصده فى موضعه وطعن الذى يحجبه قتله ثم طلبه فمنعه من ذلك الخطاف المتنصر ولقى منه ظالم مالم يلتقى من غيره وجرحه أسال دمعه ورجع ظالم ولما طلب الملك الدخول الى بلد القسطنطونيــــة منعه الخطاف وقال له اثبت فانا وقومى نكفيك مؤنة الجميع فلم تفعل فقال له الملك اصبر حتى نرى هذا الحال ولما رأى الخطاف الملك وقد انزعج لاجل خلاص المأمون وانه قد صعب عليه فقال له الخطاف هون عليك هذا الأمر وحق المسيح لآتينك بهم أسارى وتراهم قدامك حيارى وأما قلقك على انفلات المأمون فسوف ترى ما يكون ثم انه أقبـل على ابن عم له يقال له برق بن رياح وكان غلام أسمر طويل ممشوق رقيق الساقين كانه إذا مشى مخلوع من ركبتيه وقال له يابرق فقال له لبيك يامولاى قل ماتريد فانى اليه مبادر فقال له أريد منك رأس المأمون الليلة أو رأس الاسود الزنيم الأمير عبدالوهاب أو من ظفرت بهم من أمرائهم والاصحاب ولا تدع فرحهم يتم لهم بما وصلوا اليه فى هذا اليوم من خلاص أصحابهم فقال فقال سمعا وطاعة وسوف ترى مايكون فى هذه الساعة فهل لى موضعا أخرج منه فقال له

الملك نعم من باب السر ثم أمر أن يفتح له الباب (قال الراوى) ياساده يا كرام ولقد سألت عن هذا برق بن رياح فقيل لى انه من بنى تميم وكان إذا جرى ضرب برجليه كتفيه (ياساده) وانه لما فتح باب السر قال له الأمير خطاف انظر بين يديك ولا تقعد عن ممكن فان الملك يغنيك إلى الابد ماقام قائم وقعد هذا وان الملك متعجب من قول الخطاف لبرق لاترجع إلا برأس المأمون فعلم برق مافى وجه الملك من التعجب فقال أيها الملك لا تعجب فهذا أقل فعالى ولو أردت أخذت رؤسهم وهم ايقاظ فقال الملك أرجو أن لاترجع عن دين النصرانيه فما كنا نأمن من شرك (قال الراوى) ياساده يا كرام وان برق سار إلى ظاهر البلد ودخل إلى عسكر الأمير عبـــد الوهاب فوجده وهو فى سرادقه وقد نصب فيه سرير للمأمون وهو جالس والأمراء قيام والأمير والأميره يحجبوه فبقى برق ابن رياح متعجب وخشى أن ينكر أمره فقصد بعض الخيام فوجـــد على بابها رجال قيام فقال لاشك هذه الخيمة التى فيها المال ثم انه أرمى روحه إلى الأرض وجعل يسحب نفسه حتى وصل إلى أطناب الخيمة وقلع وتدا من أوتادها ومرق من تحته فصار من داخل الخيمة فنظر فيها شخصين فقال لاشك ان هؤلاء من أصحاب الأمير عبد الوهاب والذين على الباب يحرسوهم وما أنا آخـــذ الساعة رؤسهم وكان الذى فى الخيمة عقبة وشومدرس وأقام برق ينتظر نومهم فخشى أن يذهب الليل ولا يبلغ مقصوده فوثب على عقبه وقبض على حلقه فجاءت يده على القيد الذى فى رجليه فقال له ويلك من أنت فقال له قل لى أنت من أنت فقال يامولاى مابقى لى عقل ولالب حتى أقول لك من أنا فقال برق ويلك قل وأوجز والا أخذت رأسك لأنى قد جئت من عند الملك ميخائيل آخذ رؤس أعداه وأقتل من يشناه فقال عقبه فمن أنت حتى قدرت على هذا الفعال ولا آمن عليك من الرجال فأنا وحق المسيح الشيخ النجيح وهذا الذى بجانبى شومدرس فقل لى من أنت الذى فرج المسيح عنى برؤيتك فقال له ياشيخ أنا برق بن رياح وسوف أخلصك من هذه الأحوال القباح فباس عقبه رجله فعرفه لانه كان قد سمع بحـــديثه من العرب المتنصره وطلبه مرار فما قدر عليه لأنه ماكان يقعد فى مكان ولا يقرله قرار بل عام فى مصر وعام فى الحجاز وعام فى الهند وعام فى العراق وقد اجتمعت العرب على انه لم يكن بعد عمرو بن أمية الضمرى أجرا من هذا برق بن رياح ثم قال له عقبه أيها المولى وحق المسيح لقد كنت متلهف عليك وعلى اجتماعى بك لأنال بك ما أؤمل وأنا وحق المسيح أضعك فى كفه والمال فى كفه وأزن بوزنك ذهبا فخلصنى مما أنا فيه وافعل بصاحبى كذلك (قال الراوى) فلم يزل يعالج قيده حتى فكه وفتحه فى الحال وكان شومدرس قدرقد

فإيقظه (قال الراوى) وفى تلك الساعه قال البطال للمأمون يا أمير المؤمنين أريد منك الاذن فى ضرب عقبه فقال له قد أذنت لك فى ذلك ولا بد أن أنتقم منه فوثب البطال وقال لغلمانه قد بقى من عمر المامون بقية هذه الليله ثم تفتت كبده بما أذن لنا المأمون فى صلبه ونضربه بقية الليلة فقال الأمير عبد الوهاب وأنا معكم ومعه الأمير ظالم فقال والله لا أسير الا معهم ثم ساروا حتى وصلوا إلى باب الخيمه فوجدوا الرجال نيام من حولها وفى تلك الساعه كان برق ابن رياح قد فك قيد شومدرس وقال لهما أنا أحمل كل واحد منكما وأخرجه من العسكر وأعود آخذ الآخر هذا والبطال واقف على باب الخيمه وقال أقسم بالله ان الخيمه اضطربت على من هذا الجانب وقلع منها وتد فادخلوا وكونوا منها على حذر فقال الامير ظالم ما أخوفك ماتبرح جبان ثم هجم المضرب فسمع عقبه كلام البطال لما تكلم فقال لبرق وقدار تعدت فرائصه هذا البطال ومعه ظالم بن عبد الوهاب وما قد أتوا هذه الساعة الا لحالين اماقد علموا بنا أو انهم قد عولوا على صلبى فى هذه الساعه فقال له اصعد على أكتافى وانظر العجب فوحق المسيح لابرحت من المضرب الا وأسقى أحدهم شراب العطب ثم انه اختفى وقد هجم الامير ظالم فضربه برق بالخنجر الذى فى يده فوقعت الضربة فى كتف الامير ظالم فنفد من الجانب الآخر ثم جذبه وأراد أن يثنى عليه فتأخر الأمير ظالم إلى ورائه هاربا وصاح وصاح الأمير أبو محمد والرجال من حوله فتواثبت النيام فى غسق الظلام وسمع برق بن رياح الأصوات وكثرتها فخشى على روحه ودنا من الجانب الآخر وخرقه بالخنجر الذى كان فى يده فخرج منه وقد نظرته الرجال وعقبة على أكتافه وقد أيقن أنهم قد ملكوه فلطم برق الأرض برجليه فكان كالهجين إذا سرى والجواد السابق إذا جرى فلما رأوا منه ذلك ايسوا من لحاقه وركبوا الخيل وقد غاب عنهم فى سواد الليل وقبضوا على شومدرس وضربوه الضرب الوجيع وطرحوا فى رجليه القيد وورد على قلب الأمير عبد الوهاب مالم يرد على قلب بشر لأنه كان قد عزم على صلبه فى غداة غد (ياسادة) وبطلت يد الأمير ظالم وقال له كيف رأيت قول الشيخ لكنك مثل أبيك طول الدهر يخالفنى وما خالفنى أحد إلا ودخل على قلبه مايؤلمه فالحمد لله ياولدى على سلامتك فقال له الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد إنما يحفظ الإنسان على نفسه من الانس وأما الجن الطيارة فما يقدر أحد يحتفظ منهم وما أقول إن هذا الشخص الذى أخذ عقبة آدمى فقد رأينا منه ماراعنا والخيل العتاق مالحقه فقال البطال والله انى فى هذا مفكر وما رأيت قط وما سمعت عن بشر يقدر على مثل هذا غيره إلا رجل من العرب فى أرض بنى تميم بن وائل وانى سمعت به ولا نظرت شخصه لأنه مايقدر يقيم فى مكان ولا تقر

منه الأوطان وانه يسبق الوحوش فى الجريان والخيل فى الميدان فقال الأمير عبد الوهاب لاشك أن شومدرس يعرف هذا الشخص الذى أخذ عقبه فان لم يخبرنى به والا أخذت الساعة رأسك فقال يامولاى وحق الانجيل وما فيه التحريم والتحليل ان هذا الشخص مارأيته ولاسمعت بمثله لأن حديثه كله كان مع عقبة غير أنى سمعته يقول أنا برق بن رياح السلال فلما سمع البطال كلامه قال هذا والله الذى وصفته لكم ولكن ياقوم كيف وصل إلى خلاص عقبة وهو مسلم فقال شومدرس ماسمعته يحلف إلا بالمسيح ويذكر ديننا الصحيح (قال الراوى) وبات الأمير عبدالوهاب والبطال بأنحس مبيت وأخبر المامون بسرقة عقبة فصاح صيحة عظيمه وهاله أمره وقال فاز عقبة ورب الكعبة فهم كذلك وإذا بالصياح قد علا من جوانب العسكر حتى ارتجت الدنيا وتفرقت الناس وأضاء البر من بياض الصوارم والأرض قد تزلزلت والأقطار قد تخلخلت فقال الأمير اكشفوا الخبر لعل يكون الملعون قد وقع (ياسادة) وكان الصياح قد أتى من خلف العسكر والخيل تصهل والرجال تقتل (قال الراوى) وكان ذلك الصياح من الأمير على بن يحيي الأرموى وقد وصل من ثغر طرسوس وقد انضاف اليه جماعة من المنكسرين ومنهم من جاء فى طلب الجهاد ومعهم الجنايب السباق والخيل العتاق وقد ملات الأرض بصهيلها (ياسادة) وما جاء أحد منهم الا ومعه الفرس والفرسين والثلاثة يرومون بذلك التقرب إلى قلب الأمير عبدالوهاب فورد على قلبه من ذلك فرحا وسرورا وسلا عما كان فيه من أمر عقبة وقال أنا أرجو الله تعالى أن أربط ملك الروم وأصحابه وأقرنهم بالكلاب وأسحبهم الى بلاد الاسلام ببقاء أمير المؤمنين المأمون هذا وقد فرح المأمون بقدوم العسكر وأصبح كلهم خياله بعد أن كانوا رجاله (قال الراوى) وأما القاضى عقبة فان برق ابن رياح وصل به الى باب البلد فوجد الرجال منتظرين قدومه فدخل وغلق الباب وهم ينظرون على أكتافه شخص محمول وهم يقولون من هذا وهو لا يكلمهم حتى دخل به على الملك ميخائيل فقال له أخذت الاسود فقال لا انى اشتغلت عنهم بهذا فلما رآه الملك عرفه فصاح صيحة أرعب بها كل من حوله ووثب له قائما واعتنقه فقامت اليه سائر الملوك وهنوه بالسلامة وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وانقلب القصر بمن فيه وصاح بقاطنيه فرحا بالشيخ النجيح وقال له الملك ماتم هذا كله علينا الا بغيبتك ثم ساله عن حاله فاعاد عليه جميع ماجرى له وجميع أفعال المسلمين فى جزائر الكفار وأخذهم البدنة الجوهر فكادت مرارة الملك ميخائيل أن تنفطر وقال ما أخوفنى ان هذه الدولة المحمدية يقلعون دين النصرانية فقال عقبة وأبشرك بان ظالم ولد الأمير عبد الوهاب قتل وهو أشر من

أبيه لانه كان قد فعل كذا وكذا فقال برق لاوحق المسيح ماضربته الا فى يده الا أنه مايرجع ينتفع بها فقال عقبة أعطوه وأرضوه حتى يوقع بالكل التلف

(قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وفتح باب الذهب وخرجت العرب فى أوائل الناس والارماح بين أيديهم كانها آجام القصب والصلبان على رؤسهم وعليهم سائر الالوان هذا وقد ركب الامير عبد الوهاب وسائر الاصحاب (ياسادة) ونظر عقبة الى الخطاف بن سلهب وكان قد سمع به وما هو عليه من الشجاعة والقوة والبراعه ففرح به وقال أيها الامير السعيد سعد جدك ورفع بجدك باتصالك الى هذا الملك الجليل الكريم ودخولك فى الدين القديم ولعل المسيح ينصر دين النصرانية ويعينك على هذا الاسود الونيم والعبد اللئيم فلقد أهلك الروم قهرا وأوقع بهم ذلا واحتقارا وضعفا ثم أنشد وجعل يقول

لقد فتكوا بالروم من كل جانب ... وأفنوا همو بالمرهفات القواضب
وقــد خربوا كل الجزائر عنوة ... وجازوا نعيا كالجبال الرواسب
واضحى بجوسا مــع أخيه بجندلا ... نعم وقراقونا حليف المصائب
وقد أصبحت اطلالهم وهى قفره ... ولم يبق فيها غير صوت الغوارب
وان بنـــات الروم تسبى كانهم ... بدور الدجا فى غاسقات الغياهب
وقد أخذونى أخـــذة قلت اننى ... أكون بها فى حيزات المصائـــب
إلى أن أتانى برق فى حندس الدجا ... وقد صرت محولا كثير العجائب
وانى أرى الخطاف من نسل سلهب ... سيتركهمو صرعا بقفر السباسب

(قال الراوى) ياساده يا كرام ففرح الخطاف بشعره وقال ياشيخ وذمة العرب لآخذن لك التار وأكشف عنك العار ولا سقين أعداءك كاس البوار ثم خرج فى رجال الروم وقد قدم عليهم الملك ميخائيل ملك الصقلب والأمير حرب بن شيبان وقد انضاف اليه الخطاف فى خمسة آلاف من العرب على الجميع والرماح قد حجبت الرياح ان تقع على الأرض من كثرة اشتباكها والاسنة تلمع على رؤسها كانها رؤس الجبال الصوادى أو مصابيح رهبان فى الليل الهادى وصاح الصايح وجردت الصفايح وركبت الابطال على الخيول وصاح الأمير عبد الوهاب برجاله وصاح على بن يحيى الأرموى بأبطاله وركب المأمون وعقدت الالوية على رأسه والاعلام السود المكتوب عليها بالبياض لاإله إلا الله محمد رسول الله ﷺ (قال الراوى) هذا وقد ركبت الأميرة ذات الهمه وقد أخرجت يدها من جلباب ذراعها وفى يدها قناة سمراء كانها صارى مركب والملكة ميمونه

إلى جانبيها وقد فعلت مثل فعالها هذا والأمير ملابط البغال قد بدت أشداقه وطمح بصاته وصاح بالأمير عبد الوهاب يامولاى ماهذا يوم مطامع لأن الشجاع يدل بشجاعته فى مثل هذه الوقائع ونريد اليوم نفرج المامون على المبارزة فقال له الأمير افتح باب الحرب بالبراز قبل ان يحملوا علينا فهم على كل حال اضعافنا وإذا نحن قتلنا منهم ما يبان لكثرتهم وان قتلوا منا يبان فينا لقلتنا (ياساده) وأن ملابط البغال لما سمع ذلك من كلام الأمير عبد الوهاب صاح بجواده وكان جواد كريم النسب من أشرف خيول العرب والأمير ملابط البغال فى ظهره كانه عامود حديد قد أقلب وعليه درع مكوكب ومعه رمح مكعب وحسام أخضر مشطب وصاح بالجواد فخرج مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وأشار بيده إلى العرب دون الروم ونادى يامعاشر العرب الكفرة بالرحمن المرتده عن الايمان الذين عاد ربحهم خسران واكالين لحم الخنزير بعد صوم رمضان إلا أن العذاب عليكم قد وجب والعطب منكم قد اقترب وأنا أقسم بالنبي المنتخب الذى خاطبه الذراع وقد أشرقت بنوره البقاع وسلمت عليه الغزلان والسباع الذى نبع الماء من بين أصابعه وحن اليه الجذع وشهد بنبوته الذئب والضبع ﷺ لارجعت من مقامى هذا حتى أخضب حسامى من قدامى وأضرب بالسيف من خلفى وقدامى فهل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاهز ثم ان ملابط البغال انشد وجعل يقول

ايامن لهم فعل يدل على الجهل	ومن تركوا الاسلام من عدم العقل
افيكم غلام قصورى غضنفر	شجاع كمى لايقصر عن مثلى
يبادر نحوى كى يرى الناس حربنا	ومشهدنا فى موقف الضرب بالنصل

(قال الراوى) وكان عقبه فى مشهد الحرب مختفيا يريد ان يدبر حيلة على الأمير عبد الوهاب لأنه رأى عسكر الروم وقد وقع بهم الرعب والانكسار ولولا ورد عليهم الخطاف لم يخرجوا إلى قتال بعد خلاص المامون من الأغلال (ياساده) ولما نظر عقبه إلى ملابط البغال فعرفه وصار يمدحه عند العرب ويصفه ويقول لايخرج اليه إلا فارس شديد وبطل صنديد فوحق المسيح إنه عندى فى طبقة الأمير عبد الوهاب فعندها خرج إليه ابن عم الخطاف وكان يقال له مبادر بن مزاحم وهو رجل شديد الباس قوى المراس ثابت الأساس برمح طويل وسيف صقيل وأنشد وجعل يقول ونحن نصلى على النبى الرسول

ايا أسود حجام جاك صميدع	همام كريم لايمل من الكر
سلوب لأرواح الرجال وصايل	عليهم كاسد الغاب ساكنة القفر
وهمته فوق السماء محلها	بقلب قوى كالجلاميد والصخر

(قال الراوى) فلما سمع ملابط البغال شعره أجابه وجعل يقول

رويدك يا مأمون سوف ترانى ... وقد صرت جوالا على المهمه القفر
وخلوك مطروحا على الأرض صامتا ... طريحا باطراف المدد والبتر
رضيت بدين الكفر من بعد ديننا ... ومثلك من يرضى بمهلكة الكفر
فدونك منى طعنة قسورية ... تخال لها نارا أحمر من الجمر
وقلت مقال الكفر ياندل عنوة ... رويدك فردا واحدا ليس بالنكر

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وضاق بينهما الزحام فى موقف الطعن والحرب وصاح ملابط البغال صيحة مثل الرعد القاصف وضربه على مفرقه نزل السيف الى سرته فوقع من على جواده ميتا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وطلب البراز فعندها اضطربت العرب وخرج اليه ثانى فقتله ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس حتى قتل من القوم عشرون فلما نظر عقبة الى ذلك قال يا قوم وحق المسيح لو خرج اليه منكم الف فارس على هذا الحال لاهلكهم ويلكم هذا ماله الا الخداع فهنالك خرج اليه الخطاف بن سلهب على جواد أشهب قوى العصب ديال الذنب وفى يده صارم يهشم العظام وقد ترجلت العرب بين يديه وله همه مثل همة الاسود وفى كفه صارم أبتر أخضر ثم حمل على ملابط البغال وهو يقول :

أيا من أتاه الموت فى ساحة الحرب ... رويدك قد لاقاك فى موقف صعب
همام كمى قسورى غضنفر ... شجاع براع لايمل من الضرب
سأسقيك كاس الموت فى حومة الوغا ... إذا ما التقينا فى الهياج بلا كذب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمل بعضهما على بعض وعمل بينهما الخطب ولم تكن إلا ساعة حتى طعن الخطاف الملابط البغال بعقب الرمح ألقاه الى الارض ونظرت عرب بنى كلاب الى الخطاف كأن الرمح فى يده قلم كاتب يديره كيف يشاء ويطعن بيده كيف يشاء ثم ان الامير خطاف حمل على ميمنة عسكر الامير أقلبها على الميسرة والميسرة أقلبها على الميمنة وقتل ثلاث فوارس ثم عاد الى السودان فقتل منهم ثلاثة ثم طلب المامون وكان تحت اللواء فصاحت به الرجال والملكة ميمونة والاميرة ذات الهمة فلم يلتفت ولم يرجع حتى أوصل الطعنة لصاحب اللواء وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم ان الرجال طلبته فصاح بالحجرة التى تحته فخرجت كانها البرق الخاطف وهى منطوية تحته كانها ثعبان وهى تضرب برجليها يديها وبيديها محاجر عينها ثم عطف وأدرك رجل من أصحاب على بن يحيى الارموى على جواد سابق فطعنه فى خاصرته اليمنى أخرج

السنان من خاصرته اليسرى هذا وقد نظرت إلى فعاله العساكر بالناس وقد تشوش عساكر الاسلام وقتل جماعة من الابطال وأسر الرجال فخرج الملك ميخائيل هنالك وخرج باقي الروم ودعاه الملك وشكره على فعله وأفرغ عليه خلعة سنيه وادها بالمال وصار يصبه عليه حتى غرقت قوائم فرسه ثم ناداه هذا كله يرفع الى خزائنك والذى طلبته من المهر عندي غير هذا فعاد وقد اشتدت حميته وتضاعفت عزيمته ولم يطلب البراز احتقارا بالناس بل يطلب موكب الامير على بن يحيى الارموى فخشى الامير على ابن يحيى الارموى على نفسه فتقهقر الى ورائه واندق عسكره فقتل منهم جماعه ونظرت الروم الى عسكر طرسوس قد انكسر من رجل واحد فحلت العرب وتضاربوا بالصفاح واختلت الارواح ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ونادى منادى الفريقان بالانفصال وعادوا من ساحة القتال وباتوا الناس كلهم ومالهم حديث إلا فى الخطاف فقال الأمير والله لقد صدقته صادق فى حروبه وودت من الله تعالى ان يجعله من أنصار دينه وهو على كل حال تربية البر لا يعرف الاسلام ولا الكفر وانما المال لعب بعقله وما عندنا فى الفرسان من يفعل كفعله فقالت الأميره أما أنا ما رأيته وقد وافقته الحجرة التى تحته وما كان فى سائر خيلنا فرس يدرك غبارها (ياساده) وأما ملك الروم فانه أكرم الخطاف غاية الاكرام وأقطعه البلاد وقدمه على سائر العرب المتنصره (قال الراوى) ياساده يا كرام وان عقبة خلا بالخطاف وقال له اقتل لى هذا الاسود الزنيم وقد نلت من الملك كما تريد لأنك أن أخذته أسير ربما يتخلص لانه أخذ بالحيلة ألف مرة ويعود علينا كما ترى فقال له الخطاف انى أراك فصيح اللسان دون الروم وما أرى عليك شيء من آثارهم وما كانك إلا القاضى عقبه التى تصل الينا أخباره فقال عقبة هو ذلك أيها الأمير أنا القاضى عقبة الاجل المحترم وقد قرأت سائر الكتب وعرفت سائر الاديان فلم يروق لى غير دين النصرانيه فقال له الخطاف ياشيخ كل من أمرت بقتله فاربنى اياه فقد أتاك منه المراد ومسرة الفؤاد فقال عقبة سمعا وطاعه (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان برق بن رياح لما رأى فعل الملك ميخائيل مع الخطاف وما أعطاه داخله الحسد لانه سرق عقبه وما أعطوه درهم واحد فايقن ان مالهم فيه رغبة ولا نية فقال هذا الشيخ النحس خدعنى وقال انه يعطينى المال فكان قوله كله زور وبهتان وما فى الأمر إلا اننى أسرقه وأرده إلى الخيمة التى أخذته منها (قال الراوى) ياساده يا أعيان وهذا بدوى وحدثته نفسه بذلك وقد عول على سرقة الخطاف بحيلة يتمها عليه وهو ان يقول له نم معى إلى الموضع الفلانى فقد أخذت

المأمون حتى يأخذه ويكون قد اكمن له هناك رجال من المسلمين حتى يأخذوه
(قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان هذا من الحسد الذى وقع به وغيب رشده فترك عقبة حتى نام ونام الخطاف ودنا من عقبة وحط الاكرة فى فمه وحمله على أكتافه وخرج به من المضرب الذى للخطاف ومن عسكر الروم فنظر عقبة إلى الذى يعدو به مثل الخيل العربية فقال فى نفسه مايقدر أحد يفعل هذه الفعال إلا برق بن رياح وكان لما خرج من العسكر أخرج الاكره من فمه فقال له عقبة من أنت برق بن رياح ابن عبد المسيح فقال له برق ياشيخ الضلاله ومعدن الجهاله خلصتك من المـــوت من عند المسلمين وضمنت لى المال الكثير وأوعدتنى بكل جميل ولما تخلصت وحصلت فى مأمنك ما أعطيتنى درهم واحد وهذا الخطاف قد قتل أوباش العرب ممن لايذكر بالشجاعة وقد أعطيتموه تلك الاموال والعطايا فقال عقبة ياهذا انما نحن على نية دفع المال اليك وانما هذه الحروب شغلتنا عن ذلك فقال برق وأنا أردك إلى الخيمة التى كنت فيها عند المسلمين وأجمع بينك وبين الراهب شومدرس الذى كنت عنده فان أعطانى الملك المال عدت ورجعت سرقتك وان لم يعطنى فانا أبيعك للمسلمين بمهما طلبت فقال عقبة لا بذمة العرب فوحق المسيح ما كانوا يبقون على ساعة واحدة ولو أردت من الملك جميع مال الروم فان كنت لا تثق بقولى فخذنى وسر بى إلى أى موضع من بلاد الروم وإن أردت أنطاكية فلى فيها مالا جزيلا أعطيك منه ماطلبت وتنال أضعاف ماتريد على شرط أنك تأخذ لى راس عبد الوهاب وذات الهمة والبطال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهو معه فى الكلام وإذا بشيخ قائم فى الظلام فى اعتكار الليل وهو قريب منهم يسمع كلامهم وكان هذا الشخص البطال وقد عرف كلام عقبة وعرف أيضا برق بن رياح فناداه أبو محمد يابرق قف واسمع كلامى فقال له برق مالك وما تريد وما الذى تشتهى هذا وقد عرفه عقبة فقال البطال فمات الموتة التى كتبت له ودخل على قلبه منه رجفة مادخل عليه مثلها قط هذا وقد قال البطال له ولا تسمع كلام هذا الملعون المنافق الكذاب الكثير المحال ولا تصغى إلى زخرفته فى المقال فاقبل منى ولا تخالفنى فى الأقوال وأوصله إلى الأمير عبد الوهاب وأنا وحق من شرق الشرق وغرب الغرب آخذ لك فى ليلتك هذه قبل الصباح بوزنك مال من عبد الوهاب وأعطيك أنا من عندى من الأموال التى كسبتها من بلاد الروم ما أغنيك بها إلى عقب عقبك وتكون عندنا مبجلا مكرما وتعود إلى دين الإسلام وملة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلا تتعب نفسك بحمل هذا الملعون إلى أقطار البلاد وخذ المال بلا تعب ولا نصب وتعود إلى دين محمد المكرم المنتخب وترفع نفسك بين العرب فقال برق صدقت

والله أما الأمير سيسير بنا إلى عند أميرك فأنا اسلمه إليه وان هو أعطانى ما أريد وإلا وذمة العرب عدت أخذته وقتلت أميركم واعلم أنى لو اردت قتله البارحة لفعلت لانى تبعته وقد خرج لقضاء حاجته ولو أردت لبادرته بخنجرى فى ظلام الليل وما كان يلحقنى لاحق ولا يعوقنى عائق ولقد أردت أيضا قتل ذلك النحس الاشقر الازرق العين أبو محمد الذى يقال له البطال وهو يأكل أول الليل كعكا يابسا مبلولا فى القصعة المدهونة لفعلت لانى كنت فى المضرب عنده وهو لايعلم وانى كنت أتيت على نية قتله فرجعت عن ذلك ولا بد ما أسرق الملك ميخائيل لاجل مافعل فى حق الخطاف ذلك الفعل واهمل أمرى واحتقرنى وأيضا أسلخ راسك ان لم توفى لى ماوعدتنى به فقال له عقبة وقد رجف قلبه وخاف ياهذا ألا تفعل وأنا أعطيك بوزنى ذهب مرتين (قال الراوى) ياسادة يا كرام والعرب طماعة لايعرفون إلا كثرة الأموال فقال للبطال قد سمعت ما قال هذا الشيخ فعندكم أنتم أزيد فقال له البطال وقد علم قلة عقله نعم ياهذا عندنا بوزنك ثلاث مرات فقال عقبة يابرق ابعدنى إلى مكان لايعرفه أحد من الناس وخذ منى علامة الى الملك ميخائيل فان هو لم يفرغ عليك المال حتى يطمك وإلا عد على واقتلنى فضحك البطال وقال ابصر الشيخ النحس كيف يريد يحتال عليك حتى يعيدك إلى الملك فيقبض عليك ويطلب منك عقبة ويأخذه منك ويقتلك بعد ذلك لانهم لايرجعون يثقوا إليك ولا يأمنوا لك فتذهب كما ذهب أمس فقال برق وذمة العرب لقد صدقت فسير الآن إلى الامير عبد الوهاب ثم انه وضع الاكرة فى فم الملعون عقبة وحمله على اكتافه وسار به خلف الأمير أبو محمد البطال ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من عساكر الإسلام وكان المتولى حرس العسكر فى هذه الليلة الأميرة ذات الهمة وخلفها ما ئتين فارس من بنى كلاب بينما هى سائرة تخب بالجواد والرجال خلفها كأنهم الآساد إذ نظرت إلى شبح الامير أبو محمد البطال وخلفه شخص آخر حامل على أكتافه حمل ثقيل وهو يعد وبه مثل الجواد النبيل عند ذلك قصدت نحوهم الاميرة ذات الهمة وصاحت عليهم صيحة تفلق الصخرة الصمة وقالت من أين أنتم أيها الغادين وإلى أين أنتم قاصدين تكلموا وأسرعوا فى الخطاب من قبل أن تذوقوا مرارة الهلاك والعذاب عند ذلك أظهر لها الامير أبو محمد البطال علامة سر الليل ومال نحوها كل الميل فقالت الاميرة أبو محمد فقال نعم فقالت له ما أسرع عودتك أرجو أن تكون بلغت من الخطاف وعقبة إرادتك فقال لها البطال اعلمى أيتها السيدة المجاهدة ان الله تبارك وتعالى قد أوقع عقبة فى يد غيرى والسعيد من قضيت حاجته وسلمت مهجته فقالت له الاميرة وكيف ذلك فقال أخذه برق ابن رياح وهو الذى

تريه خلق حامله على أكتافه ولا ترى يقتفى ثم أنه بعد ذلك أخبرها بالقصه على جليتها ولا فائدة فى إعادتها (قال الراوى) ياسادة ياكرام وبعد أن فرغ البطال من كلامه ترجلت الاميرة ذات الهمة من على ظهر الجواد وقبلت الارض شكرا لمن يعلم طولها والعرض وقالت فى هذه المرة إن شاء الله تعالى ينكشف ستر هذا الملعون عند أمير المؤمنين المأمون والك علينا أيها الامير كلما ضمنته لبرق بن رياح من الاموال ويكون عندنا فى غاية التعظيم والاجلال ثم ان الاميرة ذات الهمة عادت بهم طالبه نحو سرادق الامير عبد الوهاب مسرورة الفؤاد من تلك الامور والاسباب ولم تزل سائرة إلى أن وصلت الى سرادق الامير وترجلت من على ظهر الحصان وصاحت بالغلمان فاتوا نحوها مسرعين كأنهم من مردة الجن أو الشياطين قائلين لها لبيك لبيك يا أم المجاهدين فقالت لهم هيا يا أولادى نادوا الامير عبد الوهاب فقالوا لها الغلمان الساعة نام الامير لانه تاخر فى السهر عند أمير المؤمنين وماصدق ان ينام ونخاف أن نيقظه يحرد علينا ويمقتنا بالتوبيخ والملام فقالت لهم الاميرة ذات الهمة نبهوه من منامه فان الذى تنبهوه من أجله الآن هو غاية قصده ومرامه عند ذلك دخلت الغلمان على الامير عبد الوهاب ونبهوه فانتبه قائلا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى دائم لايموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير سبحان مميت الاحياء ومحيي الأموات ثم قال للغلمان بعد ذلك خير يكون إن شاء الله تعالى ما الخبر يا أولادى فقالوا الغلمان خبر خير أيها الأمير يسر به فؤادك ويكمد أعداك وحسادك ثم أنهم أخبروه بالحال فكاد أن يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح وأمرهم أن يوقدوا الشموع والمشاعل وخرج بعد ذلك من السرادق مسرعا بلا امهال نحو والدته والأمير أبو محمد البطال ولما وقعت عينه على والدته ذات الهمة تقدم إليها وقبل رأسها ويديها وعطف بعد ذلك على الأمير أبو محمد وسلم عليه وقبله بين عينيه وفعل ببرق بن رياح مثل ذلك وحياه بأعظم تحية وبعد ذلك عادوا الجميع نحو سرادق الأمير عبد الوهاب فوجدوا الغلمان قد أوقدوا المشاعل والشموع واقفين فى غاية الأدب والخشوع فدخلوا الجميع وجلسوا هذا وبرق بن رياح قد طرح عقبه بين أياديهم تضاحكوا عليه قاصيهم ودانيهم وبصق فى وجهه الامير عبد الوهاب وقال له لعن الله هذا الوجه السمج الكالح الذى مزج دمه بماء الفضائح والقبائح ابشر ياملعون بالصلب بعد العذاب الاليم والعذاب فى الآخرة أشد يالئيم فلعن الله ساعة نزلت فيها من بطن أمك إلى دار الدنيا يا أقبح من خنزير فلقد عم شرك الكبير والصغير وأراد الامير عبد الوهاب أن يقوم إليه ويشفى منه فؤاده

بالضرب والعذاب فمنعه من ذلك الامير أبو محمد البطال وقال له دعنا الساعة أيها الامير من هذا الحال فإن الضرب والعذاب لا يفوته ولا بد ان شاء الله تعالى من هلاكه وموته واعلم أيها الامير أن هذا الامير برق ابن رياح يجب أن يقرب ويعطى كل مايتمناه من فضة وذهب وجواهر ولآلىء وخيول مسومة ونوق وجمال ومضارب وخيام وسرارى وخدام حتى ينشرح خاطره ويطيب له عندنا المقام ونرجو الله تبارك وتعالى أن يشرح قلبه لدين الاسلام بجاه المظلل بالغمام عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام فعند ذلك صاح عقبة وقال يا أبو محمد لا بلغك الله مرام وسلط الله عليك وعليه داء السعال والزكام لأنك ما اتفقت أنت وهذا برق ابن اللئام وصار لك من جملة الاصحاب والالزام الا حتى تحرموا على أعين الناس لذيذ المنام وكل من غفل عن نفسه تسرقوه يا أولاد الحرام فضحك الامير أبو محمد من كلامه وقال له تكلم ياقاضى بكل ماتشتهى وتريد من قبل أن تذوق العذاب الشديد وما هذا وقت مكافئتك ياشيطان مريد ثم تركه والتفت الى الامير عبد الوهاب وقال له أيها الامير المهاب بلغ الامير برق ابن رياح أمانيه واعطيه فوق ما يرضيه لانه والله رجل بقضاء الحوائج معروف وبخوض بحار الاهوال معروف حتى أكون قد وفيت له بما ضمنته عنك من الضمان وأكون عنده صادق اللسان فقال الامير عبد الوهاب على يا أبو محمد كلما يشتهى ويريد وأنا وجميع ما أملك بين يديه ولا أبخل بروحى عليه ولكن أنا والله ماأرضى له الكفر بعد الايمان وعبادة الصور المصورة فى الحيطان بعد عبادة مكون الأكوان وملون الألوان خالق الانس والجان الرحيم الرحمن سبحانه وتعالى لا إله سواه ولا معبود بحق إلا إياه مسبل ستره على من عصاه ومجيب دعوة المضطر إذا دعاه (قال الراوى) ياساده يا كرام فعند ذلك قال برق بن رياح ياقوم أما أنا فما أدرى إيش تكون الأديان ولا أعرف فيها لا قليل ولا كثير غير لا إله إلا الله ومحمد رسول الله فلكم على أن أسمع منكم ما تقولون وأفعل ما به تأمرون وهذا ماعندي والسلام (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمع منه الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب فرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وأمر خازنداره بحضور عشرة أكياس فى كل كيس ألف دينار ففى أسرع وقت حضر وبين يديه فأقر برق بن رياح باستلامهم وقال له أيها الأمير خذ هذه الأموال منا على قبول بشارة المسرة وسلامتك أنت وصاحبنا من البأس والمضرة وأما مكافئتك على اتعابك فهى باقية لوقت آخر غير هذا الوقت لأنك تدرى مانحن فيه الآن ومن لم يكن عنده تمييز لم يكن إنسان

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انه بعد ذلك الكلام أمر غلمانه أن ينصبوا له

بجانب سرادقه مضرب كبير وثلاث خيام وينقلوا اليهم كلما يحتاج اليه الأمر من بسط وطراحات ووسائد وخلع وغير ذلك مما يلزم للاكل والمشروب وكان من جملة تلك العطايات ثلاث جوار روميات نهد أبكار كانهن الأقمار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فنى عاجل الحال فعلت الغلمان مامر به الأمير عبدالوهاب بدون اهمال وبعد ذلك أتوا الى برق بن رياح وأعلموه بما أعده له الاميرعبدالوهاب من المضارب والقباب ومايلزم لها من أدوات وذهاب ففرح بتلك النعم والملبوس وتبسم بعد أن كان عبوس قال ولما أن نظر الامير أبو محمد البطال إلى انشراح صدر برق بن رياح قال له يا أمير برق هذا المال الذى تراه بين يديك وماعداه مما أعده الامير عبدالوهاب اليك فكل ذلك من ماله خاصة وأما أنا فسوف يصل اليك أضعاف ذلك ويكون لك إن شاء رب العباد اقطاع وبلاد وعساكر وأجناد تركب لركوبك وتنزل لنزولك وأنا ماأريد منك إلا أن تأتينى بالاخبار وتسرق لى كل من قدرت عليه من القوم الاشرار أعداءنا وأعداء الملك الجبار وأجعل لك على فى كل عام ألف دينار (قال الراوى) فعند ذلك قال الامير أبو محمد ياشيخ خذوا أنتم صاحبكم عقبة ودعونى أرجع إلى عساكر الروم وأخطف لكم الخطاف وآتى به اليكم حتى أنكم تأمنوا شره وغدره ومكره فهو والله أفرس العرب من بعد منها ومن اقترب وقد ضمن للملك ميخائيل أنه يخرج فى غداة غد إلى موقف الحرب ومقام الطعن والضرب ويدعو الامير عبدالوهاب إلى قتاله وحربه ونزاله وأنا أقول ان الامير لم يكن من رجاله ولا يعد من أشكاله وأنا أعرف الناس به ومن جملة غاراته ودواهيه أنه غار فى مائة فارس من بنى قراد على خمسة آلاف فارس من بنى دارم وكانوا أبطال أقيال أمجاد أجلاد ذى سواعد شداد ورماح مداد وسيوف حداد وخيول جياد فساق جميع أموالهم بعد قتل رجالهم وسبى نسائهم وعيالهم وعاد بعد ذلك بجميع الاموال نحو منـــازله والاطلال (قال الراوى) وفى ثانى الايام تلاحقت به الرجال والابطال وداروا به من اليمين والشمال ونادوه إلى أين تذهب برجالنا والاموال يا ابن اللئام الانذال ابشر الآن بالهلاك والوبال قال فلا وأبيك ماسمع منهم الخطاف ذلك الخطاب حتى وثب من على وجه الارض الى ظهر حجرة له يقال لها العفريته من نسل جواد يقال الشيطان وأنما كان يقال لها الجنيه لانها كانت اذا أطلق لها العنان مرت براكبها أسرع من لمع البرق الخاطف فلا يدرك أثر غبارها حجرة ولا حصان ولما وثب الخطاف وبقى على ظهرها صرخ صرخة شديدة أرعب بها قلوب الفرسان وحمل على الرجال حملة الاسد الغضبان والغاية أنه فعل بهم فعالا نظيفة أقول تعجز عن فعل مثالها الانس وكثير من

الجان ولم يزل على ذلك الحال حتى أنه قتل المقدم عليهم وأسقاه شراب الوبال وكان يقال له الامير شيظم ابن شاس وبعد قتله تقهقرت الرجال بين يديه وما قدروا على وصول أذيه يوصلوها اليه فعندها نادوا كلهم عن صوت واحد وقالوا له امسك يدك أيها البطل الهمام والاسد الضرغام فانت والله فارس عصرك ونتيجة دهرك ونحن بعد قتل الامير شيظم ابن شاس لم نريد أحد خلافك يكون أميرا علينا من الناس ونحن نكون بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فلما سمع منهم ذلك الكلام أمنهم على نفوسهم وأعطاهم الزمام ورد عليهم جميع مانهبه من أموال ونوق وجمال ومضارب وخيام ففعل فعال الرجال الكرام وأبى أن لا يكون أميرا عليهم ولا على غيرهم وطلب الوحدة والعزلة عن الناس وسكن البرارى الخوال كما تفعل اسود الدحال (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من برق ذلك علم ان قوله صحيح مافيه كذب ولا تلويح فقال الامير لعمرى أنه فارس شجاع وبطل مناع ولقد رأيت منه مالم أراه من غيره وهو فارس شديد وما على فروسيته من مزيد فقال برق طب نفسا وقر عينا أنا الساعة ماضى اليه وان شئت أيتك برأسه فقال البطال هذا الذى يريد حتى نأمن كيده وشره فقال برق اعلموا ان القوم آمنون من جاني وما يعلمون انى قد أخذت عقبه وها أنا ماضى كانى اقتفد الخطاف واقتطف رأسه وأعود وان شئتم سرقته فقال الامير عبد الوهاب ماأريد قتله ولكن كنت أريد ان الله يمن عليه بالاسلام وألاقى به الروم اللئام ولا بد لى فى غداه غد من الخروج اليه والقدوم عليه فقال له برق ماهذا صواب لانه غلام وفيه حدة الشباب وأنت عليك آثار المشيب وماأنت منه بقريب فقال له الامير يابرق ان كانت قد شابت لحى فما شابت همتى وما فى الامر الا أنه رجل أنى يريد قتالى فاعمل على هلاكه لا كان ذلك أبدا ولعل الله تعالى ينصرنى عليه ويكون مجاهدا فى سبيل الله تعالى تحت يدى ان أردت ان تعمل معنا جميل فخلص لنا صاحبنا ملابط البغال فقال سمعا وطاعه فعندها سلم الاموال كلها البرق وقال له خذ هذه الخيمه بما فيها الكمن الرجال والاموال والقماش وآنية وخيل وغلمان فرفع المال الى خيمته ووهبه ثلاث جوار من بنات الروم مثل الاقمار وعبدين اسودين برسم خدمته فطار قلبه فرحا ثم انه عاد الى عسكر الروم فى طلب ملابط البغال

(قال الراوى) وان الامير قام لوقته ودخل على المأمون وقبل الارض بين يديه وقال له ياأمير المؤمنين عندى خبر عجيب ثم انه حدثه بالخبر من أوله إلى آخره فتعجب المأمون من ذلك وان الأميره وضعت القيود فى رجلين عقبه وقالت له ياملعون إلى كم يمهلك الله تعالى وأنت تشرك به وتأكل رزقه فقد آن أوان هلاككك ماعلمت ياملعون

ان سلامتك بالقدرة والمشيئه وان قيود الارادة لك مغلغله حتى توقعك بأيدينا ونصلبك على باب الذهب كما وعدنا النبي المنتخب سيد العجم والعرب فقال لها عقبة ياعاهره دعيني ودعى عنكى هذا الهذيان فهذا أمر بارد ولا أبالى أنا مما كان من أمرى لأنى قد قتلت من المسلمين شيء كثير شيء قتلته بيدي وشيء كنت أتسبب فى هلاكهم وذبحت الولدان وخربت جوامع البلدان وصليت بالخلفاء بغير وضوء خديعة منه وبهتان وشربت المنكرات وسمعت الغانيات وقلت بالمحرمات وهتكت البنات وسبيت المخدرات ونصرت المسلمين والمسلمات ورميتهم بالآفات وكم ضربت فيهم من مره بوق الشتات وفعلت بكل قبيح ارجوا بهذا كله الثواب للسيد المسيح وسوف وتكون اولادكم يأخذهم الغضب من اجلى ومن سماع كلامى وتنفطر مرائرهم عند أخبارى ومدامى فلما سمعت الأميره كلامه كادت مرارتها أن تنفطر ثم أمرت به فأتوا به اليها وأمرت بضربه فضربته السودان بطنا وظهر حتى غاب عن الوجود واختلط دمه وبوله ولحمه وقيل قد مات ثم أمرت به فرفع إلى عند شومدرس وهو غايب لا يعقل وقد قالت ارجو ان يكون صلبه فى غداة غد ويكون أجله قد اقترب ونسقيه شراب العطب وهو يقول كم لنا نسمع مثل هذا الكلام وشومدرس قد داخله الجزع وهو يقول المسلمين قد ملكونى وربما داخلهم الغيظ منى فيصلبونى فبينما هو كذلك وإذا بالسودان قد دخلوا عليه بعقبه وهو فى تلك الحاله وقد جيف فى ثيابه ودماه سائله على اكعابه وكان معهم الضوء فمد شومدرس عينه فنظر إلى عقبة وهو فى تلك الحاله فصبر عليه إلى ان أفاق وجعل يئن فأقبل عليه شومدرس وقال له ياقاضى من اكل وحده عض بوجده فكيف هذا الأمر فقال عقبه دعنى فما هذا وقت المداعبه فقد ذهب منى المقال وقد قرب منى الارتحال ونزل بي من الضرب مالاتحمله الجبال ثم اعاد عليه امره فحرك شومدرس رأسه وقد غضب منه وقال له هذا وأنت محتال البلدان وشيخ الزمان اما تعلم ان العرب طماعه ومالهم الا مايقع فى ايديهم فى الحال وهذا رجل خاطر بنفسه لاجلك وحملك على اكتافه وبلغك مرادك وخلصك من وسط اضدادك بعدما عزموا على صلبك وهلاكك فوحق المسيح لو كان فعاله معى لافرغت عليه المال حتى أطمره فلارثا لك المسيح ياشيخ السوء فما اقل عقلك فكادت مرارة عقبه أن تنفطر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء.

(وأما ما كان) من برق بن رياح فانه قصد الى الموضع الذى فيه ملابط البغال فخلصه وأخرجه إلى مكان حريز وقال له قف حتى آخذ رأس الخطاف واورده مورد التلاف ولا اعنى يقول الأمير عبد الوهاب ثم قصد الى خيمة الخطاف وأخذ الخلعة التى خلعها عليه من ملك الروم واراد ان يخرج واذا بالخطاف

قد قبض عليه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الخطاف انتبه بعد أن أخذ برق لعقبة فلم يجد عقبة فقال وذمة العرب ماأخذه إلا برق ووداه إلى المسلمين ويأخذ منهم ماطلب ثم قال لغلمانه احفظوا فرسى وإياكم أن تناموا فانى خائف من المسلمين أن يأخذوها وهى أحب إلى من كل من فى الدنيا ثم خرج من مضربه وقال وذمة العرب لابد له أن يعودوا كمن له عبدين ولم يزالوا حتى أقبل وعرفه الخطاف وقد دخل المضرب وقال لغلمانه كيف رأيتم العرب لو كنت نائما أخذنى ثم قال له لما قبض عليه ويلك ياملعون ياقبيح أين الشيخ النجيح فقال إنى وديته إلى الموضع الذى جبته منه فان ضمنت لى المال عنه فانا أمضى اليه وأعود به أسرع من البرق الخاطف فضحك الخطاف وقال له ياخبيث مثلى تلعب بعقله فلا بد لى من قتله (قال الراوى) وبقى ملابط البغال مكانه ينتظر قدوم برق فلم يأت فبينما هو كذلك وإذا بشخص قد أقبل من نحو المسلمين فتامله وإذا به البطال فساله عن حاله فاخبره بخبر برق وإنه منتظره فعندها دخل البطال عسكر الروم وقد قصد مضرب الخطاف فسمعه وهو يتحدث بحديث برق وانه قبض عليه وهو يريد عند الصباح أن يحمله إلى الملك ميخائيل فعندها هجم البطال على الخطاف وبرق بين يديه فنظر الخطاف إلى البطال وهو فى زى البطارقة فقال له من أنت فقال أيها الأمير الاجل قم الى الملك قد سمع ماجرى لك فى هذه الليلة وقد عول أن يخلع عليك ويزوجك ابنته فقد غمرته بجميلك ويريد ايضا أن يوليك رقاب الروم باسرها ويدبر معك فى خلاص الشيخ النجيح فقال الخطاف وذمة العرب إننى أكفى الملك وحدى مؤنة العرب والعجم ثم أنه وثب مع البطال بعد أن شد برق كتاف وسلمه للبطال وقال له خذ هذا معك واحذر أن يطير من يدك فما كانت الطيور الطائرة تلحقه ويحجز بيننا وبينه الظلام فقال له البطال طب نفسا وقر عينا ولو كان مثله عشرة أوصلتهم بين يدى الملك وها أنا أقود هذا بين يدى قود البعير فقال الخطاف ما ناخذ أحدا معنا من بنى عمى فقال له الامير ماطلب الملك إلا أنت وحدك لأنه يريد يشاورك فى أمر لايعلمه إلا أنت وفى الصباح تكون الخلع والتشريف ولم يزل البطال معه حتى خرج من المضرب فعندها دنا البطال من برق وقطع كتافه وقال له قم تم لى ما أريد من خلاصك وأنت تهرب ولا آمن أنا من هذا الجبار أن يقتلنى إذ علم أن قولى محال فقال له برق اصعد فوق أكتافى عاجل وقد أمنت الفارس والراجل (ياسادة) فركب البطال على أكتافه فعندها انقطع الحس من خلف الخطاف فالتفت ينظر إلى السبب وإذا ببرق يلطم الأرض برجليه والبطال فوق كتفيه فصاح الخطاف وثور عليه الابطال فما أقبلت الرجال حتى خرج من

العسكر هـــذا والصياح قد علا والصراخ قد نما وتسامعت العرب وعمل فيهم الحسام المشطب إلى أن أصبح الصباح وركبت الروم واشتهرت السيوف واصطفت الصفوف وكان أول من فتح باب الحرب الخطاف على حجرته العفريته وهو فى أكمل زى وهيئة وإذا بالأمير عبد الوهاب ودعاه الى البراز فخرج اليه الامير وعليه عدة كاملة ولامه شامله وتقدم المامون ليتفرج عليهما هذا والخطاف تحته تلك الحجرة العفريته التى يقول فيها القائل حيث يقول :

وعفريته الخيل ما مثلها   تفوق الرياح إذا قصرت
فان سابقت برقها ليلة   تفوق البروق اذا ماجرت

(قال الراوى) وان الأمير عبدالوهاب جال على الخطاف وأنشد يقول :

رويدك ياخطاف وأفاك سالب   رؤس الأعادى عند ضرب البواتر
رويدك ياملعون انك كافر   جحود الرب عالم بالسرائر
وهاجرت دين الهاشمى محمـــد   وخير الورى مابين ماش وحاضر
وحسبك يا ملعون أنك ملحد   وقد صرت منسوبا الى كل كافر
فهل لك يا هذا بان تك مسلما   وما شئت عندى من نفيس الجواهر
ومال وديباج وخز وفضة   وما قد أخذنا من ملوك الجزائر
وتنصر دين الحق ان صرت مسلما   وتصبح منسوبا الى كل طاهر
والا وبيت الله تاتيك ضربة   بكف همام قسورى مغادر

(قال الراوى) فلما سمع الخطاف كلامه شخر ونخر وتجبر وصدم الأمير عبدالوهاب وحمل عليه وهو يقول :

ألا يا ابن مرزوق أتيت بمنطق   بانك تسطو بالحداد البواتر
وسوف ترى منى لعمرك ضربة   تواريك شلوا بين صرعى المقابر
وطمعا لوحش البر من كل جانب   وأكلا لطير الأفق من كل طائر
وأحدوثة بين الأنام مقالة   تسير بها الركبان مع كل سائر
أرى الروم بالاموال والملك كله   وأنتم عليكم ذلة فى المحاضر
فان شئت تعفى من حسامى وسطوتى   فسلم الى اليوم نفسك صاغر
وتأخذ لميخائيل عهـــد بانه   يخليك عبـــدا رعيا للخنازر
وان ترضى حقا بالمسيح وأمه   فانت اذا تحظى بكل الذخائر
ويعطيك ميخائيل البلاد باسرها   تكون بحكمك عندهم فى الاوامر

(قال الراوى) ثم انه وقف ينتظر الجواب هذا والامير عبد الوهاب انقلبت عيناه فى أم رأسه وحمل عليه وحمل الخطاف عليه فيالها من ساعة ماأعظمها ومن نفس عزيزة ماأكرمها وكانا مثل الجبال اذا تصادمت أو البحار اذا تلاطمت هذا والاميرة قد وزنت الاثنين بميزان عقلها فكانا كفؤا فلم يزالا يتعاركا الحصا وحميت الرمضا وقد تعب فرس الامير عبد اوهاب وحجرة الخطاف كلما مرت زاد نشاطها وقوى انبساطها ولما قوى عليهما الحر وقفا عن القتال فقال الخطاف يا ابن مرزوق كيف تدعى انك ابن الحارث وأنت اسود اللون قبيح الكون فقال الامير عبد الوهاب يامأمون ان الله تعالى يخلق مايشاء وانما العجب ان أبى أبيض وأمى بيضاء كذلك وانا أسمر لتظهر قدرة القادر أنه يصنع الشيء من غير جنسه لأنه أوجد البحار من نيران والسموات من دخان ويجعل من الكافر مؤمنا ومن المؤمن كافر فقال له الخطاف إذا كان الأمر على ماتقول فدونك وماكنا فيه من القتال والحرب والنزال فمن ظفر منا بصاحبه تبعه فى دينه فقال الأمير أنا أفعل ذلك وشهد الله عليك أننى إن ظفرت بك ترجع إلى دين الاسلام وان أنا وقعت فى أسرك صرت مثلك على دين المسيح فقال الخطاف اعطينى يدك على ماذكرت فقال الأمير هذه يدى لك على ذلك فلما وقعت يدى الأمير فى يد الخطاف جذبه إليه فلم يتقلقل لأنه كان على يقظة من أمره فعندها تعاركا على الجوادين ولم يجد الخطاف إلى الأمير سبيل وقد وقعا إلى الأرض وأراد الخطاف الركوب فلم يمكنه الامير ونادى ياعزيز ياقوى ثم أنه لزم بوسطه ورفعه بقوته وشاله على رأسه فصاح بقومه ادركونى ياويلكم وخلصونى من يد هذا الاسود فلو كان معى سيف لما وصل إلى وهو عبد وشيمته الصراع فعند ذلك حملت أصحابه بنى تميم ونادى الاميرعبد الوهاب بأعلا صوته يا آل كلاب فحملت الاميرة ذات الهمة والمسلمين جميعا وحملت الروم بسائر أجناسها وملوكها وطوائفها وحمل على بن يحي الارموى فى عساكر طرسوس وعظم الخطب والبوس وذهبت النفوس وكان يومهم يوم عبوس اقتطعت فيه الرؤس وحمل الملك المدلوس بن مناطح التيوس وأبو الهزاهز وملابط البغال والعبد مدلاج والامير هياج (قال الراوى) ولقد كانت ساعة من ساعات القيامة مانجا منها الا صاحب شهامة فاندقت عساكر الروم منهزمة ودخلت البلد وزحف المأمون إلى القسطنطونية وأمر الأمير باحضار الخشبة التى لعقبة فحضرت فى الحال وقد أغلق باب الذهب وصعدت الروم على الاصوار والابراج وأرموا بالاحجار والصخور الكبار وقتل جماعة من المسلمين الابرار ولقيت الناس غاية الاضرار وهان عليهم الموت لبلوغ الغرض لان فى قلوبهم من عقبة المرض وكان أبو محمد قد صنع السلالم فى هذه الايام

ووضعوا عليها الحبال والأخشاب وكانوا قدوصلوا مع الامير نافع وجميع الآلات المعدة لهذا اليوم وأخرج عقبة على أيدى الرجال وقد كشفوا رأسه ولطموا عنقه وأدموا وجهه ومزقوا أثوابه والبطال يكبر بين يديه ويذكر النبى ﷺ ويقرأ بين يديه هذا يومكم الذى كنتم توعدون (قال الراوى) وكان عقبة أرفع الناس صوتا فجعل يقرأ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياحبيب الله أعلمك يارسول رب العالمين ان هذا بعد الحجة والعمرة والاحرام والصلاة والزكاة والصيام والركوع والقيام والانقطاع فى المشعر الحرام والمواقف العظام وانى لم أغير عهدك ولم أنقض ودك فاشهد يارسول الله أنى أشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وان دين الاسلام حقا وما سواه باطلا فوالله أنى ما كنت أهرب إلى بلاد الروم وأقيم فيها وأخدم الكفرة والفجرة إلا من خوفى من هؤلاء القوم الذين كانوا نصبوا إلى العداوة وبغضوا إلى الاسلام وفعلوا فى حقى مافعلوا وهذا آخر فعالهم لكن هم المجاهدين فى سبيل الله وأنا أؤمل من الله تعالى الفرج بعد الشدة وان الله يعوضنى الجنان وان يعفو عنهم ولا يسكنهم بأثمى الى النيران لانهم مجاهدون فى طاعة الرحمن الملك المنان

(ياسادة) ونظرت الناس الى ذلك والروم قد فتحوا باب الذهب وأرموا أنفسهم على عقبة والتقوا المسلمين بالصدام من أجل عقبة نسل اللئام حتى ردوا الناس الى الخيام وحجز بينهم الظلام وعادت الروم وقد بذلت المجهود من أجل أهل الكفر والجحود وأما المامون فانه كان قد سمع كلام عقبة ولم يعمل فيه حبه بل قال والله لاصدقت مقاله بعدما عاينت من فعاله وقد كفانى ماقد رأيت من محاله وأما السيدة زبيده فانها لما أخبرت بذلك بكت وقالت ويجوز انه يهرب الى بلاد الروم ثم يدارى الكفره عن نفسه وهو على أيام الرشيد كان تارة يهرب إلى بلاد الحجاز وتارة إلى الشام وتارة إلى اليمن ولا يرى موضع يحميه من بلاد الاسلام والدليل على قوله انه دخل إلى بلاد النصرانية مدينة الملافطه ولو كان قصد إلى بلاد النصرانيه كان قد أقام عندهم بالكليه وسكن بلاد القسطنطونيه وما كان عنده خبر من أهل دين الحنيفيه والآن فقد أشرف على التلاف وهو مع ذلك ينادى بالله ويستغيث برسول الله ﷺ ولقد ندمت على ماقد قلت للمأمون فى حقه من ذلك الكلام وأنا أشعلت عليه النيران وأخاف أن الله تعالى يؤاخذنى بذنبه وأهلك بذنب هذا الشيخ الضعيف الذى هو مسكين ثم انها خرجت من مضربها ودخلت على المأمون وأعادت عليه ذلك فقال أقسم بالله لا تكلمت فيه بكلمة واحدة وهم المقلدون بدمه ولقد حلفت لهم بما حلفت انى لا أتعرض لهم بحال من الاحوال

(قال الراوى) وان الامير عبدالوهاب لما نزل رد عقبه إلى مكانه ووكل به السودان وقال للخطاف كيف رأيت ياويلك مقامك فقال الخطاف بلى ياأميرنا قد اعترفت بذنبى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وأريد أن أكافئك على هدايتى على دين الاسلام بأن أعمل الحيله على بلاد الروم اللئام لاننى لما حملت عليك رأيت ملكا رأسه فى السماء ورجلاه تحت تخوم الارض وقد أرمانى تحتك فصدقه عبد الوهاب فى قوله وفرح باسلامه وأما الأمير أبو محمد فانه قال أيها الامير ما أخوفنى أن تكون هذه حيلة منه فقال له عبدالوهاب ياأبو محمد الأمر بخلاف ذلك فقال البطال أيها الامير أما سمعت من قال إذا كان الغدر طباع فالثقة بكل أحد عجز فقال الامير عبد الوهاب ياأبو محمد اعلم انه لما هزنى وأراد أن يقلعنى من الارض حسيت بشخص قبض على رجلى هنالك انحلت عزيمتى فقال البطال افعل ما بدا لك فعندها قال الامير اطلقوه فسار الخطاف من وقته إلى القسطنطونية بعد أن قال للامير عبدالوهاب لاتظهر فى غداة غد للروم فان لى فى ذلك أرب وان الخطاف عرف الروم بنفسه فعرفوه وفتحوا له الباب فدخل وقد خضب يده بدماء القتلا فلما رأوه على تلك الحالة سألوه عن حاله فاخبرهم أنه قتل الامير عبد الوهاب ومعه ثلاثة من بنى كلاب ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع عليه الخلع السنية وقال له أنت عماد دين النصرانية فقال أيها الملك إذا كان فى غداة غد أنا أريك كيف يكون السبب فى انكسار هذه العساكر وتفريقها وكيف آخذ لك ذات الهمة (قال الراوى) وبات الملك وهو لا يصدق بالصباح أن يصبح (ياسادة) وأما الامير الخطاف فانه خلا بقومه وتحدث معهم بما جرى له مع الامير عبد الوهاب فقال له بنى عمه والله ما نحن طيبين إلا بدين الاسلام وقد كنا عولنا أن نأخذ كلما حصل لنا ونخليك ونرحل فقال لهم أنا غدا آخذ الملك وهو سبب غنانا من عبد الوهاب وباتوا مصرين على ذلك فلما أصبح الصباح فتح باب البلد وخرج الملك ميخائيل وخرجت ملوك الروم باسرها والعرب المتنصرة وقد زحف الخطاف وبنو عمه حول الملك وقد ركبت الاميرة ذات الهمة هذا وقد قال الخطاف لقومه افعلوا كما ترونى أفعل وان الاميرة لما ركبت نظرت اليها الروم وأصحابها خلفها ولم ينظروا إلى الامير عبدالوهاب ولا رأوا له خبر وأبصر الملك ذلك فصدق قول الخطاف وطمعت الروم فى عساكر الاسلام ثم ان الملك أمر الروم بالحملة فحملوا وحملت الاميرة ذات الهمة والتقى الجمعان وتقاتل الفريقان فعندها صاح الخطاف وهجم على ملك الروم وقبض على أطواقه وصاحت العرب بالتهليل والتكبير والصلاه على البشير النذير وحملت الاميرة ذات الهمة وظهر الامير عبدالوهاب

فى أوائل بنى كلاب والسودان الانجاب وعملت الصوارم فى الجماجم والرقاب وحملت الروم تطلب خلاص الملك من يد الخطاف وهيهات ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه

(قال الراوى) وما كان للروم إلا الدخول إلى البلد وغنم الامير عبد الوهاب من الاموال الى كانت مع ملك الروم مالا عين رأت ولا أذن سمعت وأخذ ملك الروم أسيرا وأعطاه للعرب والسودان وقال أريد منكم غدا أن تجهدون حتى نصلب هذا الشيطان عقبة فقال الخطاف والسودان لا تعرف هذا إلا منا ثم جعل الامير عبد الوهاب يهب العرب أصحاب الخطاف من الجوار التى وصلت معه من الجزائر (ياساده) وقد ذكرنا ان الامير عبد الوهاب خلص المأسورات وخلص يانس المتعزب وخلص شمسه زوجة أبو يخلف وكان شمس النصرانية بن قراقونا قد تزوج بها كما ذكرنا وأسلم على يد الامير عبد الوهاب من أجلها وكان فارس شجاع وبطل مناع وكان الأمير عبدالوهاب قد قال معلوم إن هذه الجارية كنتم أخذتموها وقد أعطيناها لهذا المغربى والآن قد أسلمت لما أسلم هذا الغلام وأنا أعطيها له فما تقولون فى ذلك فقالت المسلمون نعم مارأيت أيها الأمير لأن هذا رجل مجاهد فى سبيل الله وأبو يخلف قط ما أفلح وإن أنت لم تزوجها بهذا الغلام رجع إلى دين النصرانية وهذه شمسة ما كانت مع أبو يخلف إلا على دينها وهى للمسلمين من جملة الغنيمة وإننا إذا أعطيناها له لم يعترض أحدا عليك (ياسادة) فاعطوا له شمسة ولقبوه شمس الحنيفية وزوجوه بها (قال) وسمع أبو يخلف ذلك فعلم أنه إن تكلم لا ينفعه الكلام وصبر وفى قلبه النار ذات الاضطرام وهانت عليه المنية وعول أن يفعل فعلا سوف نذكره وباتت الناس على غاية المسرة وإن الأمير عبد الوهاب عند الصباح ركب إلى خدمة أمير المؤمنين ليشاوره فى الزحف إلى البلد ليصلب عقبة فلم يجد المأمون فى خيمته ووجد فراشه ملآن بالدم فرجع فزعان عليه ولم يعلم للمأمون خبر وأخبر الأمير عبدالوهاب بنى كلاب فوقع البكاء والانتحاب فقال لهم البطال ياقوم لو كان قتل لبقى جسده وما هو إلا قد مانع عن نفسه حتى خرج ثم دخلوا إلى السرير وإذا جسد ملقى فعرفوه واذا هو جسد الخادم قمر (ياسادة) وإن الامير عبد الوهاب طلب عقبة وشومدرس فلم يجدهما فقال هذه تمام النكبة

(قال الراوى) وكان ذلك من عمل أبو يخلف لاننا قد ذكرنا فى الحديث المتقدم قلة عقله وانه تبصر مرارا وانه لما أيس فى هذه النوبة من الجارية شمسة وعاين من المسلمين

وقد تعصبوا عليه وزوجوها لشمس الحنيفيه لأنهم قط ماظروا هــذا أبو بخلف صلى صلاة ولا يغفل أحدا عن ثوبه إلا ويسرقه وعلى شمسة ينفقه ولما صح عنده أن شمسه قدخرجت من يده وان كلامه لايسمع وليس له من المسلمين شافع يشفع ففكر مايصنع وقال مالى الا أعمل فى خلاص عقبة الذى قد أشرف على الهلاك ولم يبق غير صلبه فان أنا خاصته لابد أن يعمل معى كما عملت معه ونعيش أنا وهو فى بلاد الروم (قال الراوى) وهوغير مجهول فى عسكر الأميرعبدالوهاب وعمد الى السودان الذينهم موكلون بالخيمه التى فيها شومدرس وعقبة وقال لهم غدا نشفى قلوبنا من هذا الشيطان وصار يتمسخر لهم وهم يضحكون عليه ثم قام ودخل الى الخيمة وقال لابد أن أشفى فؤادى من ضرب عقبة فى هذه الليلة فظنوا السودان أنذلك حقا فلما دخل عليه ونظر عقبة اليه فظن أنه قدأتى ليضربه فقال له ويلك غدا تشفى من صلبى وان ضربتنى عصاة واحدة هلكت لامحالة فلما سمع أبو بخلف كلامه قال له ماجئت لاجل ضربك لكن قد بعثنى اليك المسيح حتى أخلصك ولكن لى اليك حاجة أقولها لك وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وما جرى له من حديث الجارية شمسة وما صنعوا الامراء وعقبة بخبثه يبكى ويقول واحسرتاه عليك هذا جزاك اليوم منهم بعد طول الصحبة وهذا الذى حملنى على التنصر وأن أصير من حزب الروم من فعالهم معى فقال الآن مضى مامضى ولكن أريد الساعة تعرفنى كيف أصنع حتى أدبر فى خلاصك وخلاص هذا الشيخ معك فقال عقبة اعلم أن هؤلاء السودان قتلهم عندى أهون من شرب المــاء فقال أبو بخلف وكيف ذلك قال تقدم وخذ هذه الصرة من تحت ابطى فتقدم اليه وأخذها وقال له مافيها فقال له احذر أن تشمها ولكن اخرج الى عندهم فان حضرهم طعام فاطرحها فيه فان لم تقدر على ذلك فاطرحها فى الماء الذى يشربوه فقال سمعا وطاعة ثم انه جعل يضرب الارض وعقبة وشومدرس يستغيثون به وبعد ذلك خرج الى السودان وقال لهم ضربتهما حتى كادا أن يموتا فتركتهما وأبقيت على عقبة لاجل الامير عبد الوهاب ثم جعل يحدثهم بما كان جرى له مع شمسه ثم قال لهم وهل عندكم شىء نأكل فقالوا له اصبر فان لنا فى الحفيرة طرموس فاذا خرجناه من النار فدونك واياه فضحك وطاب عيشه وكان قد تهيأ لهم وأخرجوه من النار وبردوه فى جفنة وقعد أبو بخلف وسقا لهم الطعام وترك لهم فيه ذلك الدواء وجعل يحدثهم فما أكل الواحدمنهم غير لقمة فيقع فجرد خنجره وذبح الاثنين وعلم أنهم هلكوا فدخل على عقبة وقال له قد قضيت الحاجة فقال له أخرجنى أنا وشومدرس الى برا العسكر حتى نكسر قيودنا ففعل ذلك

فقال له عقبة هل تقدر على خلاص الملك ميخائيل فقال لا ولكن أنا أقدر على أخذ المأمون فقال له ويلك كيف ذلك فقال سوف ترى ثم دخل الى العسكر ووصل الى خيمة المامون وكان كل ليلة يدخل عليه ويسامره وكان المأمون يعجبه حديثه فاتى تلك الليلة فقال له الخادم اعلم أن قلب مولانا الليلة غير منشرح للحديث فقال له وسر على ولا بد مما أدخل عليه وأضحكه وأساله أن يشفع لى عند الامير فى ستى شمسة فضحك الخادم واستاذن له فدخل وجعل يحادث المامون ويضاحكه والخادم قاعد عنده حتى ناما الاثنين وسمع غطيطهما فوثب الى الضوء فى الحال فاطفاه وذبح الخادم ورماه الى السرير لعنة منه حتى اذا رأى ذلك أحد يقول المأمون قتل فتنخبط العساكر وتنقسم أفكار الناس وينقطع عنه الطلب ثم سد فم المأمون بالفوطة التى كانت على رأسه وطرح الخنجر على نحره فقد أفاق فقال له ان تحركت أخذت رأسك هكذا وطرح رأس الخادم على صدره فسكت حتى شد يديه ورجليه وبقى مثل الاكرة وحمله وسار به الى عقبة وقال هذا المأمون ففرح وقال ويلك كيف نفعل ان طلبنا به مدينة القسطنطونية أخذنا لامحالة ولكن أطلب بنا دير الشقيف فقال أبو يخلف ومن يعرف دير الشقيف فقال عقبة أنا أعرفه أحمل وسير ثم ان أبو يخلف حمله وساروا الى أن وصلوا الى دير الشقيف وكان أبو يخلف قد تعب وعقبة يقول له وحق المسيح لابد أن تعطى بوزنه ذهب فقال أبو يخلف أنا ما أريد ذهب بل أريد ستى شمسة وما يخرج المأمون من تحت يدى الا بها فقال عقبة لاتعرف هذا الا منى ولكن اصبر حتى أطلع الدير وآتيك بمن يحمله فقد قتلك التعب فقال أبو يخلف مانبالى اذا كان ذلك خلاص ستى شمسه هذا والمأمون يسمع كلام عقبة وقد انكشف الغطاء وتحقق أن كلام عبد الوهاب والبطال فيه حقا فصعد عقبة وعاد ومعه خمسة رهبان شبان فحملوا المأمون وطلعوا به (ياسادة) وكان هذا الدير فى رأس الجبل وفيه مغاير ومصانع وسراديب الى قعره نافذة وغير نافذة صنعة الروم القدماء فانزلوا المأمون فى بعضها فلما اطمأن عقبه وشوم مدرس فقال عقبه هذا موضع لايهتدى إليه أحد ولو جاءنا المسلمين ماخذنا منهم لأننا ننزل فى بعض السراديب وأعرف الخروج منها إلى سائر الطرقات (قال الراوى) وكان فى هذا الدير عشر مواضع فيها عشرة رهبان خمسة شيوخ وخمسة شبان وكان عقبة له بهم معرفة من زمان فلما حصلوا عندهم سألوهم عن ميخائيل فقال عقبة ان ميخائيل أسير ونحن أيضا كنا مأسورين ولولا هذا الرجل صنع معنا جميل كنا هلكنا وقد أخذنا خليفة المسلمين المأمون وبه نخلص ميخائيل وننال به كلما نريد ثم قال عقبة من يوصل كتابى إلى مدينة القسطنطينية فقال بعض الرهبان أنا ياقاضى فكتب كتاب إلى حرب بن شيبان سوف

تذكره فى موضعه ثم أخذه الراهب وسار طالب البلد فهذا ما كان هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه أركب الخيل يمينا وشمال يطلب بلاد الروم على المأمون فما وجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر وفقدوا أبو يخلف فعلموا أن المصيبة كلها منه فقال البطال والله لقد حسبت هذا الحساب وعلمت أن الغرام يحمله إلى البلاء إلى هذه الأسباب أليس يا أمير أنا وانت روحين فى جسد هذا وقد رأيت ماجرى بينى و بينك بسبب نورى (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الأمير زحف إلى القسطنطونية وقاتلها فلم يلتفتوا إليه أهلها ولا عبأوا به لأنهم عالم عظيم والمكان حصين وقد انكسرت نفوس الناس والعساكر الاسلامية بعدم الخليفة وخلاص عقبة بعد ما أملوا صلبه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ملا الأقطار وطبق على سائر الديار والأمصار فقال الأمير عبد الوهاب امضوا اكشفوا الخبر فهنالك مضوا وعادوا أخبروا بأنها عساكر العراق وقد اجتمعت من أرض الجزيرة وديار بكر والشام وبغداد وقد أتوا من أجل خلاص المأمون ولم يعلموا بما جرى من قصة الأمير عبد الوهاب وخروجه من الجزائر وقد عقدت الرايات على رأس ولى العهد وهو المعتصم بالله (ياسادة) وكان هذا أبو إسحق المعتصم ابن هرون الرشيد ولم يكن فى بنى العباس له نظير فى شدة باسه ولا قوة مراسه وحزمه ورأيه وحكمته وعلمه وقد وهبه الله تعالى قوة زائدة حتى كان يقال له اسد بنى العباس ولما وردت الأخبار إلى بغداد بانكسار المأمون وانه مأسور جمع المعتصم هذه العساكر ودخل إلى بلاد الروم ولما تحقق الأمير عبد الوهاب ذلك ركب لاستقباله ومعه سائر الأمراء وكذلك السيدة زبيدة أم المعتصم بل أمه مولده من الكوفة أسمها ماردة فنزلت عساكره على باب القسطنطونية وسال المعتصم عن المامون فأخبروه بما وقع له (قال الراوى) وكان وصول المعتصم فى ثانى يوم من شهر ربيع الأول وفى اليوم التاسع منه مات المامون لأنه جرح جرحا وثيقا قاتلا وعارضه عليه مرض وسوف نذكره فى موضعه وذلك فى سنة سبعة وعشرين ومائتين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وزحف المعتصم بالله إلى القسطنطونية وقاتل أهلها قتالا شديدا فلم يقدر منها على شىء هذا والبطال يضرب فى الأرض يمينا وشمالا فبينما هو كذلك إذ لاح فى بعض الليالى راهب سائر على عجل منه فقال لأصحابه هـــذه الساعة قد قدم من القسطنطونية وما هو إلا رسول اما من عند عقبة واما إلى عقبة فقال بعض غلمانه وكم رأينا نحن فى هذه الليالى من رهبان فلا تشغلنا عن طريقتنا واطلب بنا الحصون والقلاع فقال هذا ما أسمعه ثم تقدم اليه وقبض عليـــه ففتشه

واذا هو معه كتاب من حرب بن شيبان يقول فيه قد شكرت المسيح على سلامتك وحصول الخليفة المامون تحت قبضتك لكن لاتبرح من مكان أنت فيه فان العساكر نازلة علينا ونحن فما نخرج اليهم ولا نلوى عليهم ولابد لهم مايخرجون من بلادنا ويتعرفون ولا يقدرون يتعرضون لميخائيل لاجل غيبة المأمون فصاح البطال وقال مدوه فمدوه وضربوه إلى ان كاد أن يقضي عليه وقال أصدقني ياملعون إلى أين أنت ماضي والا أقسم بالله قسما صادقا قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك وأنا أبو محمد البطال العيار المحتال أما تعرفوني ياعبدة الصلبان والضلال فقال يامولاى أناسائر إلى دير الصوامع وفيه هذا الشيخ الذى مشوم على ومعه شومدرس ورجل آخر يقال له أبو يخلف وخليفتكم معهم أسير فقال البطال انهم فى موضع وعروان طلعنا اليهم نزلوا تحت ومافى الامر الا ان الأميرة تأخذ ثياب هذا الراهب وتطلع اليهم وسيفها تحت أثوابها فاذا فتحوا لها الباب أشهرت سيفها ثم تقتل الرهبان وتأخذ عقبة ومن معه فما يقدر يصعد اليهم إلا واحد لاغير ثم انه سار إلى الأميره وأخبرها بذلك ففرحت وأخذت ثياب الراهب ولبستها وأخذت البطال فهندم لها دقن بيضاء تشبه دقن الراهب وقال لها اطلبى دير الصوامع فنحن لانقدر نتبعك فان عقبة له عيون فقالت أنا عارفة بالمكان أكثر منك يا أبو محمد ثم سارت الاميرة ذات الهمة (ياساده) هذا كله يجرى وما عند الأمير عبد الوهاب خبر ولا عرفه البطال بشيء من ذلك وكل ذلك احتياط منه لاينكشف الحال ويأمن العاقبة (قال الراوى) ياساده يا كرام وسارت الاميرة ذات الهمة وهى موقنة انها تلقى أهل الدير ولوكانوا ألف رجل ولم تزل صاعدة إلى أن وصلت إلى الباب ففرحت الرهبان لماعاينوها وأخبروا القاضى عقبة بعودة رسوله من مدينة القسطنطرنية ففرح الفرح الشديد وقال هذا الذى أريد افتحوا الباب حتى أسمع مافى الكتاب من الجواب فنزلوا وفتحوا الباب وذات الهمة قد طاطت رأسها إلى الارض وأظهرت التعب والعيا ولم تزل حتى دخلت إلى الدير فعند ذلك اخترطت سيفها وضربت واحدا منهم على عاتقه أطلعت السيف يلمع من علائقه ورمت تلك اللحية فعرفها أبو يخلف وعقبة وشومدرس فأخذوا فى الهرب ونزلوا فى السرداب وان الاميرة استعجلت من طريق الخرص فقتلت من الرهبان خمسة وشدت الخمسة وأدركت الموضع الذى فيه عقبة وشومدرس وأبو يخلف ونزلت خلفهم طالبة لاخذهم وقد فرحت بذلك وكان القاضى عقبة قد نزل السرداب الذى فيه أمير المؤمنين وكان واسع كبير فلما نزلت الاميرة اليه قالت والله ما كنت أظنه بهذه السعة والا ما كنت قصرت عن طلبه ساعة واحدة ثم انها

لم تزل سائرة فيه إلى أن انتهت إلى المكان الذى فيه المأمون فوجدته وقد ضربه عقبة بخنجر كان معه حتى يأمن من شهادته عليه فوقعت الضربة فى جوفه فهرب عقبة وأبو يخلف معه وان الاميرة ذات الهمة لما نظرت الى المأمون عرفته وأبصرت دمه يسيح فشدت جرحه ثم أخذته ورجعت طالبة باب الدير وإذا هى بالبطال وعيناه يلوحان كأنهما عينان أرقم ومعه غلمانه وجماعة من المسلمين ونظروا الى المأمون فى ذلك الحال فخيط أبو محمد جرحه فوافقه على الضربة بريح القولنج فصار يتغاشا منها وبها مات المأمون ولم يتكلم بعدها الا انه ينظر اليهم ويفهم ما يقولون وطلبوا عقبة فلم يقدروا عليه ولم يخرج لعنة منه إلى أن أمن على نفسه وخرج من مواضع يعرفها وحمل المأمون إلى العسكر ودخل عليه المعتصم وأحضر له الاطباء وأسقوه الدواء هذا والقتال يعمل على القسطنطينية ليلا ونهارا فقال البطال انى خائف ان يطول مقامنا ههنا فقال الامير يفعل الله ما يشاء (ياسادة) ودام الامير عبد الوهاب على البلد بالقتال وهو لا يصل اليها بحال من الأحوال وكل يوم يقتل من الروم عالم عظيم ونادى المنادى فى بلاد الروم بأن الملك ميخائيل مع المسلمين أسير ودارت عليهم القساقسة والرهبان والشمامسة والمطران ونادوا فيهم بالغزو والجهاد فلم يبق فيهم من له نهضة إلا وسار معهم واجتمع لهم عالم عظيم لا يحصى بعدد الرمل والحصى ووصلت عساكر الروم من كل جانب وملوا الأرض فى الطول والعرض ووصل ملك الارمن فى مائتى ألف فارس رماة وملكهم يقال له ملكان بن قالان وكان ملكا عظيما موصوفا بالشر والمكر والعزم والقوة والشجاعة وترادفت العساكر من كل جانب وعمت المصائب واصطفت العساكر فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك ضرب معهم المصاف ووقف أبو اسحق المعتصم فى مكان أخيه المأمون وعقدت الاعلام على رأسه وحملت الروم وقدقت نواقيسها ورفعت أعلامها وصلبانها وصاحت قساقسها ورهبانها ومطرانها وحملت شجعانها واظلم النهار فعاد مثل الليل من شدة القتال وكان أول من خرج للعجاج المعتصم ففزع عليه الأمير عبد الوهاب أن يصاب والمأمون فى تلك الحالة فلا يكون له عوض فصاح وحمل بين يديه وطعن الروم فى الصدور وشق القلوب والنحور وكذلك الأمراء قد تقدموا بين يديه يطلبون التقرب اليه لأنهم علموا أن الخلافة تصل اليه هذا وقد طلعت الفترة وأظلمت الغبرة وصارت الرؤس منثرة وقطعت الرجال خمسة وعشرة والمعتصم قد فلق بضرباته القمم وأحدقت به الأمم وهو يحمل على الكفرة ويقتل الطغاة الفجرة فقال له الأمير عبد الوهاب ارفق بنفسك فان الحرب له ساعات وغوائل ولا نأمن عليك من هذه العساكر فلما سمع

ذلك أشار إلى الأمير عبدالوهاب وهو يقول :

دع القول فى هــذا المقام فاننى رأيت البرايا ليس تنجوا بالقصر
وحق النبى الهاشمى محمد نبى الهدى باب التقى طاهر الطهر
لاقحمن الحرب حتى أذيقهم سهام المنايا بالمهندة البتر
ولا خير فيمن قال أنى شجاعها ويجبن فى يوم الهياج عن الكر
ولا بد من فتح البلاد بأسرها وأضربهمو بالسيف أو ينقضى عمرى

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ففرح الأمير عبدالوهاب وقال والله لتكونن له فى بلاد الروم أخبار وآثار (ياسادة) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار واضطرمت النيران وتحارس الفريقان إلى أن برق ضياء الفجر ونادى المنادى بالركون فركبت الخيل الصوافن وثارت الابطال من الأماكن وجردت السيوف من المعادن ووقع للمعتصم فى قلوب الناس هيبة عظيمه لم تقع لأحد من الخلفاء وهمت الناس بالحملة على بعضهم بعضا وإذا قد خرج من عسكر الروم فارس على جواد مليح الصفات فى لون النبات يسبق الطير الطائر والكوكب السائر أسرع من الفلك الدائر لايلحق الريح منه الغبار سريع الحركة فى الركض والمشوار كأنه وجنة عاشق امتنع من زيارة الديار كما قيل فيه :

ولى فرس كمثل البرق جريا وشبه التبر والذهب الجديد
إذا جارى الرياح وسابقته سبقها ثم عادت للمزيد

(قال الراوى) والفارس كأنه برج مشيد وعليه ثلاث زرديات وفى يده سيف من عمل الهنــد ثقيل ورمح طويل وقد دنا وكشف عن وجهه وإذا به نقى الخد من الشعر ثم نادى برفيع صوته يامعاشر العرب وأهل الفخر والأدب اسمعوا كلامى فليس فيكم من يقوم مقامى فوحق المسيح إن حلت عن الميدان حتى آخذ أبطالكم وأبيد أقيالكم وآخذ المقدم عليكم قدامى أو أشرب كاس حمامى فدونكم والحرب ومقام الطعن والضرب فقال الامير عبدالوهاب وقد تعجب من كلامه من فيكم يبرز اليه فلقد أفصح فى المقال فلعل الله تعالى أن يهديه من الضلال فتوقفت الابطال عن الخروج اليه والقدوم عليه فصاح يامعاشر العرب وحق المسيح أنا صاحب الدروب وما خرجت قط لقتال لأن أبى كان يمنعنى من ذلك لأجل الشفقة على إلى أن لحقت روحه الحواريين ومعى من عسكرى مائة ألف فارس من الارمن وهم الذين بطحوا خيولكم بالامس ولو أنهم

لقيوكم اليوم ماسلم منكم أحد بل كانوا يهلكوا خيولكم ويعدموكم نفوسكم وماخرجت إلا أطلب أن يخرج الى خليفتكم الذى ينتسب إلى بنى العباس لأنه رجل عربى يحامى عن دينه وإن كان هذا على صاحبكم المأمون شىء لايهون فليخرج إلى أسودكم عبدالوهاب فإن أخباره عندى يوم بيوم وأنا كنت أقول إننى أقصد اليه وأبارزه فى أرضه وموطنه وهاهو حاضر الآن فدعوه يخرج الى حتى يشهدوا الجمان من هو العاجز أو الجبان (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام عول على أن يخرج اليه وإذا بموكب المعتصم قد اضطرب وشاشت العرب والعجم والديلم وضجت سائر الامم فالتفت الأمير عبد الوهاب لينظر ما الخبر وإذا به المعتصم قد خرج وهو معول على القتال فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك أرمى روحه عن الجواد ومضى اليه ساعيا راجلا غاديا ووقف بين يديه ثم قال يامولاى لاتفعل فما تقدر على هذا الملعون حتى تخرج اليه فدعنى حتى آخذه أسير أو أتركه بدمائه عفير فقال المعتصم أيها الأمير المقدم اركب فأنت عندنا مبجل مكرم ولما علمت أنك بهذه الصفة ماصحبت معى أحدا من بنى سليم بل تركت عمرو بن عبيد الله فى ملطيه هو وولدك سيف الحنيفية وأعطيتهما الامارة بالسويه فإنى أحب الأبطال ولو أساؤا فى الاقوال والأفعال وأما قولك لاتخرج إلى هذا الأرمنى فوالله مادعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى ولا تأخر وهو سيد السادات وحبيب رب الأرض والسموات ونحن ماتشرفنا إلا بنسبتنا اليه فلا نفعل إلا أفعاله ولا نخرج عن أعماله صلى الله عليه وسلم ونقاتل باجتهاد كما كان فى قتاله أين أنت عنه ياعبد الوهاب يوم جاءه الحجر فى الحرب فانكسرت رباعيته وأدميت جبهته والله تعالى يقول ياجبريل اهبط إلى حبيبى محمد رسول الله ﷺ وادركه فان وقع من دمه قطرة واحدة على الأرض حرمت عليها النبات أبدا فلاينبت عليها ورقة خضراء. فأتاه جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام فوجده قد التقط دمه فى صحن كفه ورفع إلى السماء طرفه ونادى رب اغفر لقومى فانهم لايعلمون فناداه جبريل أحسنت ياكريم يارسول الله فوالله ياعبد الوهاب لايخرج اليه أحد غيرى فما أنال الجنة إلا بضرب السيف فى أعداء الله فبكى الأمير عبد الوهاب حتى كاد أن يقع على الأرض لأنه كان خاشع القلب غزير الدمع كثير الخوف من الله تعالى ثم ان المعتصم أنشأ وجعل يقول :

ألا أيها العذال كفوا واجملوا ... وعن مثل هذا اليوم بالله فاعدلوا
فليس شريف النفس من كان قاصرا ... عن النقع فى الهيجاء والحرب تشعل

وإن شريف النفس من كان عابدا   كثير قيام الليل والناس غفل

(قال الراوى) ثم انه صاح بجواده فخرج من تحته كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف وكان لونه أحمر فى لون الرعاف سليم الاطراف لين الانعطاف وعليه صدرة زرد كانها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند ومن فوقها بردة رسول الله ﷺ وفى يده حسام عمل اليمن كثير الثمن إذا وقع عليه جسد إنسان طرقته طوارق الزمن ثم حمل على ملكان ملك الأرمن وصاح أيضا ملكان بجواده حتى قاربه وكان قد رأى الأمير عبدالوهاب قد ترجل له فعلم أنه جليل المقدار فناداه ياهذا بحق دينك من أنت من المسلمين فقال ياويلك أنا المعتصم بالله بن الرشيد بن المهدى بن المنصور بالله بن عبدالله بن العباس عم النبي ﷺ القرشى العربى الذى اصطفاه الله من عباده مات أباه وأمه وكمله جده وعمه حتى ألبسه عز وجل الشرف الأكبر فزاد ذكره وفخره فدونك والقتال فهذا مقام المجال وقلة المقال (ياسادة) فلما سمع ملكان كلام المعتصم حمل عليه وطلع عليهما الغبار هذا والأمير عبدالوهاب فى غاية من القلق وكذلك سائر الناس

(قال الراوى) وفى تلك الساعة سمع الصياح من خيمة المأمون وقد خرج الخادم وهو يقول أجيبوا أميركم أمير المؤمنين فما تكلم إلا فى هذه الساعة وقد طلب المعتصم وسائر الأمراء فقال الأمير عبدالوهاب ان نحن طلبنا المعتصم يتشوش عليه أمره وربما يظفر به خصمه وإن قلنا أن الخليفة مريض فرحوا به الروم وظنوه مات وإن حملنا نطلب المعتصم ماندرى يسلم المأمون أم لا فسيروا بنا اليه ودعوا المعتصم على ماهو عليه ثم انهم ساروا ودخلوا على المأمون فوجدوه جالس وهو مسنود وقد فتح عينيه فقبلوا الأرض بين يديه فكان أول كلمة تكلم بها قال يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه يامن لا تغيره الدهور ارحم من قد أخرج من القصور إلى القبور ثم أقبل على الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال وقال لهم بالله عليكم حاللونى بطيبة من قلوبكم مما كان منى اليكم من أجل عقبة ولا تقصرا فى طلبه وصلبه فهو الذى جرحنى وكنت قبل ذلك مريضا فوافق ذلك ماكنت أجده وإن قدرتم على أبو يخلف فلا تبقوا عليه فهو الذى عصر جوفى قبل أن يصل بى إلى الدير واعلموا أن الخلافة من بعدى لأخى المعتصم بالله أبو اسحاق فبايعوه على ذلك ومالى لا أراه فاخبروه بقتاله لملك الأرمن فقلق المأمون قلقا عظيما وقال لو تم عليه أمر لخرج من بنى العباس ادركونى به فقالوا سمعا وطاعة فقال هذا وقته حتى يحضر بين يدى المأمون مادام قد تكلم ويعرفه ماصنع به عقبة ويشهد عليه ويوصيه فما نأمن أن يكذبنا عقبة عنده ولا يسلمه

الينا ولا يسمع فيناقول قائل (قال الراوى) فما وصلوا إلى مقام الحرب إلا والمعتصم قد طعن الأرمنى فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فوقع عن سرجه ونظرت الأرمن إلى ذلك فاندقت منهزمة وعمل السيف فيهم ونهبت أموالهم ورجالهم وتقدم الأمير عبد الوهاب إلى المعتصم وقبل الأرض بين يديه وقال أيها المولى ادرك أمير المؤمنين فانه على شرف الموت ولك الهنا بولاية الملك من بعده فأنتم بنى العباس كما قيل فيكم :

نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا قمر تأوى اليه الكواكب

(قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك صاح صيحة عظيمة وترجل ودخل إلى المأمون ودنا منه وضمه إلى صدره وقبله (قال) ففارق المأمون الدنيا لوقته وساعته هذا وقد علا البكا والصياح فى ذلك اليوم وتلك الليلة إلى الصباح

(قال الراوى) وبويع المعتصم بالله أبو اسحق محمد بن هرون الرشيد وكانت أمه أحظى النساء عند الرشيد وكانت بيعته بنص المأمون عليه دون أولاده لرؤيا رآها من النبى صلى الله عليه وسلم وكان أبوه قد أخرجه من الخلافة وعهد الى الأمين والمأمون والمؤتمن فساق الله سبحانه وتعالى اليه الخلافة وجعل الخلافة اليه والخلفاء من أولاده وهو الذى يقال له الثمن والثامن لأنه كان له ثمانية آلاف دينار وثمانية آلاف سريه وثمانية آلاف مملوك وهو ثامن الخلفاء من بنى العباس ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وفتح عموريه وهى من أعظم مدن النصارى وكان شجاعا سخيا بالمال اقطع أبو تمام مدينة الموصل وبناسر من رأى واتسع له جدا حتى صار له سبعون ألف مملوك (قال الراوى) وان المعتصم صبر المأمون ليحمله معه وقال الامراء مابقى الأمر يحتمل الاقامة لئلا تختبط العراق وتتشوش الآفاق وتخرج الخوارج فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم أحضر المعتصم الملك ميخائيل وقال اضربوا رقبته فقال ميخائيل بالله يا أمير المؤمنين لا تفعل فان العبد يكون فى خدمتك كما كان لابيك واخوتك واحمل اليك ما كنت أحمله اليهم مرتين وأقدم الساعة فى العاجل ألف ألف دينار ضيافة لقدومك وفرحا بخلافتك ثم أشار بعينيه إلى البطال ولك عشرة آلاف دينار فقام البطال وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين أطال الله بقاك وكبت حسدتك وأعداك وهناك بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك هذا الملك ميخائيل أحب الينا من غيره فرضى المعتصم وفى الحال أرسل الملك ميخائيل وأحضر المال وتسلمه الامام المعتصم وقد أرسل الأمير عبد الوهاب إلى ثغر طرسوس وأتى بما فيه من الغنائم التى من خرشنه وساروا إلى أن وصلوا إلى ملطيه وخرجوا جميع الناس إلى لقائه وجعلوا يعزون المعتصم فى أخيه ويهنوه بالخلافة وأخذ

المعتصم بيد الأمير عبد الوهاب و بيد الأمير عمرو بن عبيد الله وأصلح بينهما وسار المعتصم إلى ان دخل بغداد واستقرت له البلاد ودخلوا عليه الشعراء المندوبون وهنوه بالخلافة بعد مارثوا المأمون ودخلت الست زبيده إلى قصرها وقد رفع المعتصم قدرها وقال لها أنا عوض ولدك الامين وأريد من حسن رأيك ماتقربن وأنا أطلب بركاتك وأرعى قرابتك وانتى صاحبة الأمر والنهى فقالت إذا كان الأمر على ماذكرت فلى اليك حاجة وأريد ان تقضيها لى وقر بهذا الملك وصار لك مشير ووزير فقال لها ومن هو ذلك فقالت نفذ إلى الاقطار وإلى سائر الامصار تطلب القاضى عقبه لتسلم أمر الخلافه اليه فيدبر أمرك وأمر المملكة وقد يحصل لك برأيه البركه وكان المعتصم من قبل ان تتكلم زبيده قد عول على ذلك ولم يعلم ان الامور التى جرت كلها من تحت رأسه فقبل المعتصم ذلك الفعل وطلبه فى سائر الآفاق ووصل الخبر إلى عبد الوهاب وهم يسيرون فى ميدان ملطيه فلما ان سمعوا ذلك هانت عليهم المهالك وقال لقومه ولعل الله يريد ان يمهله إلى أجل معلوم لانى أرى كل من ولى من بنى العباس يرفع قدره على الناس ولله تعالى فى هذا أمر لابد من انفاده فهم فى هذا الكلام وإذا بغبره قد طلعت وارتفعت وانكشفت عن ألف فارس والمقدم عليهم رجل شيخ طويل الشيبه مليح الهيبه عليه آثار الخير والباس والقوة والمراس وألف فارس على الخيول العربيه وعليهم ثياب البياض من دق العراق وقباطى مصر وإلى جانب الأمير المقدم عليهم شاب مليح الشباب عليه ثياب مثل الهوى وله شعر اسود كانه عناقيد العنب قد نزل على قربوص سرجه ووجهه يخجل البدر فلم يبق ناظر الا وتحير وقالوا ما هذا بشر فسبحان خالق الصور وهو كما قال فيه جميل ابن معمر هذه الابيات

مليح العيون مريض الجفون ... كثير الفتون صحيح المقل
مليح القوام كبدر التمام ... شهى الكلام كطعم العسل
يميت الحبيب ويضنى الطبيب ... ويحيى المحب ويشفى العلل
بوجه جميل وخد أسيل ... وطرف كحيل ثقيل الكفل

(قال الراوى) وان الامير لما رآهم فقال كنت أرجو من الله عزوجل ان يكونوا هؤلاء القوم يصلون إلى بنى كلاب والله إنهم يكونوا جمال موكب إن يكونوا فيه وقال عمرو بن عبيد الله إن كانوا القوم فى بنى سليم لينكشف عنا بهم الضيم فهم كذلك وإذا بالقوم قد صاحوا صيحة واحدة يا الكلاب يا لكلاب فأجابهم الامير عبد الوهاب والسادات الانجاب وقد حلقوا عمائمهم إلى الهوى فرحا بهم وبهذا الامير الذى يقدمهم الذى سلب القلوب بحسن منظره وقده وقوامه وانتظام ثغره وكبر ردفه خصره فتلقاهم الأمير وأعطاهم الدور والمنازل وحمل

اليهم كلما يحتاجون اليه وأكرمهم غاية الاكرام وكذلك بنى كلاب عن بكرة أبيهم وكذلك الامير عمرو بن عبيد الله لاجل الأمير عبد الوهاب وكذلك بنى سليم حملت اليهم الاغنام والطعام والخلع والثياب ولم يزالوا كذلك فى اكرام مدة عشرة أيام ولما كان اليوم الحادى عشر اجتمعوا فى دار الأمير عمرو بن عبيد الله فقال الشيخ المقدم ذكره يا معاشر العرب وأصحاب الشرف والرتب أنا قد تركت اهلى ودياري وقصدتكم على نيه المقام عندكم أجاهد فى سبيل الله عز وجل وفى غداة غد يصلون أهلنا وحريمنا وأولادنا وأنتم قد فعلتم من الجميل معنا مالا نقدر عليه أن نصفه ومن عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا عطارد بن عوف ملك أرض سبأ وبلقيس وأخى الأشعث وقد وقع بينى وبينه أمور فرأيت الانتزاح أجمل حتى لا يتمادى الأمر بيننا إلى قطع العلاصم وتطيير الجماجم وقتل الأهل والأقارب والأصحاب فقصدت أرضكم أرجو المقام عندكم ومعى هؤلاء القوم وهم أقاربى وأصحابى وأبطالى وما فيهم رجل إلا ويريد لرأسه جماعة من الأبطال وقد رغبوا فيما طلبت وطلبوا مارغبت وهذا الغلام الذى ترونه بين يديد فيما هو عليه من الطرف والجمال يريد لراسه ألف مدرع من الأبطال وسوف ترون منه ومن أصحابى وعشائرى فى الجهاد ما يسركم ويكمد أعدائكم فان انعمتم علينا بالمقام فى دياركم أقمنا عندكم وإن أبيتم فنحن نرحل إلى بلاد الروم ونفتح بسيوفنا ما يكون لنا فيه الكفايه ونحن نرجع فى النسب إلى بنى كلاب وأما بنو سليم فلنا فيهم أصدقاء وأصحاب فعندها وثب الامـــير عبد الوهاب وقد امتلأ قلبه سرورا وفرحا وقال له أيها الأمير الاجل الرفيع المحل العالى القدر نعم عندنا تكونون على خير منزل وأحسن مقام ولكم الفنا والرحب والسعة والكلأ والمرعى والوداد وكلما أنتم فيه فهو لكم وكلما احتجتم اليه من المال والعدد والخيل والسلاح فعلينا وأولادكم أولادنا وما لنا شي محجب عنكم هذا الأمير عمرو بن عبيد الله يفرح بقدومكم لأنكم تشدون أزره وتحمون ثغره وهو المقدم علينا كلنا صغيرنا وكبيرنا فعندها قال الامير عمرو بن عبيدالله للامير عبد الوهاب هذا هو الصواب ولكم علينا من العطاء مثله وأوفا إذ أنتم من أهله وقومه وطابت القلوب وأقام الأمير عطارد بن عوف ووصلت ثالث يوم نسائهم وأموالهم وأقبل لهم من الأموال والرجال مابعثوا بنى سليم وبنو كلاب عندهم نفراء ثم إن الامير عطارد ساق إلى الامير عبد الوهاب ألف جمل موفوره من هدايا العراق واليمن وحلل أرض مصر وكذلك الامير عمرو وسائر السادات واستقرت بهم الدار وكان هذا الغـــلام ولد عطارد إذا خرج وركب لم يبق صغير ولا كبير ولا امرأة إلا وصعدوا إلى الأبراج والعلالى والأسطحة ينظرون وجه الغلام وكانت فروسيته أشبه

الناس بالأمير عبد الوهاب وكان إذا حضر الميدان ولعب مع الناس الاكره والصولجان يظهر على كل أحد وكذلك فى ضرب الصفاح وطعن الرماح ولعب ذات يوم مع الامير ظالم ولد الأمير عبد الوهاب وانداده فقهرهم وأخبر بذلك الامير عمرو والأمير عبد الوهاب ففرحا به وشرفه الأمير ورفع قدره حتى صار عنده أعز من أولاده وأحبه محبة عظيمة حتى حسدته أكثر الشباب من بنى سليم وبنى كلاب وبلغ الغلام ذلك من حسدهم فصار كلما جاء من الهدايا من الاميرين أعطى سائر الشباب والحساد والأصحاب وأوهبهم وزاد فى إكرامهم حتى أحبوه سائر الشباب لفروسيته وصار كل أحد مايحلف إلا بحياته ولما كان بعض الايام خرج على نية الصيد والقنص فدخل نحو بلاد الروم فلتى ألف فارس من الأرمن وقد أغاروا على بلاد الإسلام فخلص الغنيمة وقتل منهم جماعة وأسر منهم رجال ورد الغنيمة وكان فى جملة الرهبان الاسارى القاضى عقبة لانه كانت وصلت اليه الأخبار إلى بلاد الروم لأن المعتصم قد طلبه فى سائر البلاد وأنه قد استوى حاله معه ووصلت أيضا اليه الجواسيس يخبروه أن المعتصم قد سمع كلام الست زبيده وانه يريد أن يجعله مدبر أمور خلافته ففرح عقبة اللعين بذلك وقال هذا الذى أريد لأن المعتصم ما اطلع على قط فى أمر من الأمور وماهو كثير المعرفه مثل المأمون ومالى إلا أن أتوصل إلى بلاد الاسلام وأطلب أرض الحجاز وأوصل أخبارى من هناك إلى بغداد وقد بلغت المراد وسار الملعون إلى بلاد الارمن وقال انزل معهم وأتوصل منهم وأخرج مع حجاج العجم إلى مكة ثم خرج معهم فأول مرة وصلوا اليها غاروا عليها وأخذوا مافيها وساروا وهم طالبين الأخرى وعقبة اللعين يسير بهم فى طرقات يعرفها وما سار معهم أيضا إلا لاجل غلام له فى هذه الارض يقال له نجا وهو معروف بالحيل وهو فى طبقته فى الغدر والحيله فاجتمع به وركب كل واحد منهم على بغل وعولوا على الدخول الى بلاد الحجاز على طريق بلاد العجم وعقبة يقول للأرمن ان أردتم الغنا والملك لايفنى فاقصدوا ديار بنى كلاب فهى أمنية الاطلال وفيها الاموال وفى تلك الساعه وفاهم عمرو بن عطارد وفعل بهم مافعل وقتل من قتل وأخذ من الاسارى من أخذ وكان فى جملة الاسارى القاضى عقبة اللعين وغلامه نجا وساق الغنائم بين يديه وعاد طالب ملطيه فقال عقبة فى نفسه هذه نوبة مدبره وحق المسيح ما أصل الى ملطيه إلا يهلكونى بلا محاله ولا يبقى على عبد الوهاب ولا البطال ساعة واحده وربما يقع بين بنى كلاب وبنى سليم بسببى على أن بنى كلاب يغلبون بنى سليم ويهلكون أبطالهم ويبيدون فرسانهم ويقتلونى فما أدرى من أين أتى هذا الشيطان الذى مارأيت قط أحسن من وجهه ولا

أشجع منه وإن عمرو بن عطارد نزل وقد أمسى عليه المسا وقد بقى بينه وبين ملطيه سبع فراسخ وإن القاضى عقبة ابتدأ بقراءة سورة آل عمران إلى أن وصل إلى قوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار هذا وقد سمع عمرو بن عطارد القرآن بأطيب صوت وألذه فوثب إلى القارىء وهو عقبة فقبل رأسه وعينيه وقال له أيها الشيخ أنت رجل مسلم مؤمن قارىء القرآن وأنت مع هؤلاء الكفرة بالرحمن فقال يامولاى أنا رجل مأسور عندهم أخذونى سنة خروج الروم إلى الحجاز وملكوا بغداد ولى معهم أعوام وقد أظهرت أنى منهم وصرت معهم حتى يخرجونى معهم الى بلاد الإسلام ففعلوا ذلك حتى لقيتنى أنت أيها الأمـــير الذى أعطاك الله عز وجل الجمال والكمال والاقتدار بالشدة والفروسية على الرجال والابطال ثم بكا وقال يامولاى لى أولاد أطفال وهم من أهل بيت ولم يكن عندهم منى خبر إننى مأسور وما يظنون إلا أننى قدمت من زمان فامنن على بالاطلاق لاجل الواحد الخلاق ثم ابتدأ عقبة يذكر أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحكام الدين فعلم الأمير عمرو بن عطارد أنه من أهل العلم فحل كتافه وقال له خذ من هذه الغنائم ما أردت وإن أردت المسير معى إلى ملطيه فأنا أدع الأميرين الكبيرين عمرو السلمى والامير عبدالوهاب الكلابى يكرماك ويحملاك إلى أرضك بيت المقدس وإن أردت المسير من هنا فافعل فقال عقبة أيها الامير إننى شيخ كبير السن وأريد العجلة فى أمرى لعلى أرى أولادى قبل الموت فأنا خبير بهذه الأرض فقال عمرو هذا اليك واما أنا فى هذه الأرض فما لى خبرة بها وأنا غريب من أرض سبا ونحن من بنى الأشعث وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فعرفه وقال فى نفسه وحق المسيح لاخضبن هذه الوجنات بالدماء ثم قال يامولاى أنا أقيم الى أن ترحل من ههنا وأرحل بعدك على هذا البغل وقدم له الأمير عمرو طعاما ليأكل هو وغلامه وقال له كل أيها الشيخ الصالح فقد من الله عليك بالخلاص وخذ من هذا المال ما شئت فقال اللعين عقبة لاحاجه لى فى ذلك لأن الدنيا فانية والآخرة باقية وأكلوا الطعام والأمير عمرو صار يأكل ويلقمه هذا والقاضى عقبة قد ضرب إلى خلف أذنه وأخرج من ذلك الدواء المعروف ووضع منه فى لقمة وقال يامولاى كل هذه اللقمة على سبيل البركة فأخذها الأمير عمرو من يده وأكلها فما استقرت فى إمعائه حتى وقع عليه النوم فوثب عقبة اللعين وشده كتاف وحل المأسورين وجميع الغنيمة وحمل الأمير عمرو على بعض البغال وطلب بلاد الروم وكانت الأخبار قد وصلت الى ملطيه بأن الأرمن قد غارت على سواد ملطيه فركب الأمـــير عبدالوهاب فى بنى كلاب ودخل الى بلاد الأرمن وكان عقبة قد سلك غير تلك الطريق الذى

سلكها الأمير عبد الوهاب وطلب بلاد البرغل وقد فرح بأنه أخذ بطلا من أبطال المسلمين وانه من أجله تكون حروب ووقائع ومعامع هذا وأم عمرو زوجة عطارد قد قلقت على ولدها وقالت لأبيه ابنك قد دخل الى بلاد الروم وأخاف أن يكون قد أرمى نفسه للبلا فركب والده عطارد فى قومه وهم غرباء وبنو سليم يمنعوهم من ذلك لأنهم قد حسدوا الأمير عبد الوهاب من سببهم فساروا على غير طريق فوقعوا بما يريده الله تعالى على طريق عقبة وكان الامير عطارد خبير بأخذ الامراء وانه عرف حافر فرس ولده عمرو فقال هذا حافر فرس ولدى ولكن أرى الفرس يسير بالراكب حيث يشاء ولكن ما أظن ولدى سالم فهو كذلك اذ نظر الى الغلام الذى كان مع ولده قتيل وفى الأرض جديل فبكى وبكت الامراء من قومه وكشف رأسه ونادى واحرباه واغربتاه واولداه وسار يقطع الارض كذلك ليل ونهار ستة أيام فأدرك عقبة فى فج العقيق فصاح بقومه فتسارعت اليهم الخيل واذا بغبرة قد ظهرت من بين أيديهم ثم انقشعت عن عشرة آلاف بطريق من الصقالبه سائرين الى ميخائيل فى طلب ابنته ارمانوسه لملك الصقلب والمقدم عليهم بطريق عظيم كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد فعندها صاح عقبة بالرومى وقد عاين المسلمين هؤلاء وحق المسيح مسلمين وقد أحدقوا ببعض الروم احملوا عليهم فحملت على الامير عطارد عشرة آلاف وقد تعبت خيولهم فمدوا الرماح الى الروم وكشف الامير عطارد رأسه ونادى أيها المسلمين ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه فدونكم والاعداء فعندها حملت القوم على الروم وعملت الصوارم فى الجماجم وشوشت العمائم وثبتت العرب الاكارم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد طعنت العرب فى وجوه الروم وكان يوم الكفرة يوم مذموم سالت فيه الدماء وأرملت فيه النساء وان عقبة رأى من العرب دلائل الشجاعة فارسل جماعة من البطارقة الى نواحى العرب المتنصره وطير الطيور الى القلعة والحصون فجاءت الروم من كل جانب ولم يزل القتال يعمل الى ثلاثة أيام بلياليها وفى اليوم الرابع وصلت اليهم أكثر من خمسين ألف بطريق وأحدقوا بالامير عطارد وأصحابه من كل جانب ومكان وجردوا القواضب وأيقنت المسلمين بالمعاطب وقد وقفت الخيل عن الجولان ونادى عقبة ياويلكم سلموا أنفسكم من الموت فهم قد عولوا على ذلك واذا بغبرة قد لاحت لهم وأشرقت عليهم من خلفهم ثم انها انكشفت عن عشرين ألف اسود ومثلها من بنى كلاب يقدمها الأمير عبد الوهاب وضيغم وظالم وميمون وعشرة آلاف من بنى سليم وكان سبب ذلك ان الأمير عبد الوهاب كان

دخل إلى اطراف بلاد الروم وغار وقتل وسبى واخرب وعاد إلى ملطيه وسأل عن الامير عطارد فأخبروه بخبره لجرد الأمير عبد الوهاب على الأمير عمرو بن عبيد الله وكيف تركه سار وحده وقال له لقد فرطت فى امرهم وهم قوم غرباء ومالهم خبره ببلاد الروم فقال الأمير عمرو بن عبيد الله وما علمت انه يدخل إلى بلاد الروم إلا برسم الفرجة والصيد وان الأمير عبد الوهاب نادى فى بنى كلاب والسودان الانجاب وقال فى غداة غد نرحل على اثرهم فهم كذلك وإذا بالجاسوس وصل اليه وعرفه بهذه القصة وان القوم قد احدقت بهم عشرة آلاف بطريق وهم الذين ذكرنا فقال البطال لا بد ما يأخذون عليهم الدروب وتطلبهم الروم من كل جانب فارتحل الأمير عبد الوهاب من وقته وساعته فى اربعين ألف وصحبه الامير عمرو فى عشرة آلاف من بنى سليم كرامة لقلبه وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا إلى ان اشرفوا على القوم كما ذكرنا وهم مشرفين على الهلاك ونظر عقبة إلى ذلك فما كان له غير الهرب والفرار وتبعته الكفار وفازوا بالنصر الابرار واخذوا الاموال وخلصوا الرجال وخلصوا الامير عمرو بن عطارد من وثاقه وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له فقال البطال هو عقبة ورب الكعبة فقالوا بنى سليم الناس يتشابهون فقال البطال دعونا من هذا فقد برد الامر وقد شبعنا من الحروب والمعاداه والخصام على طول الايام وأنت تعلم يا أمير عمرو وان كان الغضب فى غير الله يورث النار فقال الامير عمرو بن عبيد الله يا أبو محمد ماهذا بغضب انت تعلم ان أمير المؤمنين المعتصم بالله قد أمر ان لا يتعرض أحد لعقبة لانه قد رأى منه الرأى المحمود وقد طاب قلب الامير عبد الوهاب وسائر الامراء فلا تحملهم ان يدخلوا بأنفسهم بأمر يكون عليهم فيه وبال وما مقصودنا هذا فقال البطال والله انى صادق وان كان المعتصم قد رضى بهذا وكذلك الامير عبد الوهاب فما على من هذا وسوف يبان صدقى من كذبى اذا رآه الامير عمرو بن عطارد وعرفه فبالله عليك يا أمير عمرو ماتقول فيمن أراد قتل هذا الوجه الجميل الذى ترحم حسنه الكفره على انه لم يعرفه ولا وصل اليه منه أذيه فقال الامير عمرو بن عبيد الله يا أبو محمد اذا أنت أتيت به وعرفه الامير عمرو بن عطارد وقال هو هذا فأكون أول من يسارع فى ذلك فقال البطال لقد أنصفت فى هذا المقال ثم أقبل على غلمانه وأخذه معه برق بن رياح وتزيا بزى الروم وكان قد هربه ودخل فى طلب عقبه ورحل الامير عبد الوهاب وبنو سليم وبنو كلاب وجعلوا يقطعون الأرض طول وعرض حتى وصلوا الى ملطيه وخرج الناس ينظرون الى تلك الغنائم والامير عمر بن عطارد لا يشبع أحد من نظره لانه كان أوحد أهل زمانه فى الحسن والجمال ويوسف أوانه فى الملاحة بعيون أحسن من عيون

المها و كلام يشبع الجائع عن الغدا إذا سمعه المريض كان له شفا (قال الراوى) ولقد بحثت عن قدوم الأمير عطارد بن عوف من أرض سبا و بقليس إلى ملطيه فأخبرنى بعض شيوخ العرب وقال اعلم أنه كان السبب فى هذا ان الأمير عطارد كان له أخ يقال له الأشعث وهو المقدم على القبيلة كلها لخفة ركابه وشجاعته وقوته وبراعته وكان أصغر من عطارد وإنما تقدم كما ذكرنا من شره ونكده وكانت العرب تخاف منه لهيبته ومكره وكان الأمير عطارد صاحب الرأى والمشورة وهو صاحب معرفة وفهم ثاقب ويعرف أحاديث العرب وهو صاحب أدب وكان إذا رأى من أخيه شيء لايعجبه يزجره عن ذلك ويقول له اتق الله فى أمر الناس واعلم أن كل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة وهو تارة لايسمع وتارة لا يقبل ففى بعض الأيام أخذ رجل من بنى مره قد اتهم بجمال سرقت فأنكر وحلف فلم يصدقه ولم يزل يضربه إلى أن أشرف على التلاف فبلغ الخبر إلى أخيه عطارد فسار إليه وقال له ياهذا لقد تعديت فيما فعلت معه وما ظهرت عليه بينة فقال لا أتركه يهلك أو يرد الابل فقال له عطارد أقسم أنى لاأدعك تفعل به شيأ فغضب الأشعث وقال له ويلك وأى تعرض لك على ثم هجم عليه وقد جرد سيفه وضربه فى رأسه فقطع أدوار عمامته وأوضح جرحه وجال الرجال بينهما وان الأمير عطارد انضاف اليه المشايخ وأهل العقل والسن وقالوا نحن لانرضى بهذا ونحن لك وبين يديك ونحن نقاتل معك فقال عطارد يابن عمى ما هذا صواب نحن فى ألف فارس وهو فى عشرة آلاف وأنتم عقلاء قومى وسادات عشيرتى وما أريد أن أقطع يدى بيدى ولكن أقول لكم ما قد عولت عليه فقالوا له وماذلك فقال لقد عولت على الانتزاح والرحيل من هذه الأرض فقد قال القائل هذه الأبيات

إذا كنت فى أرض يهينك أهلها ولم تك مكروما بها فتغرب
فان رسول الله لم يستقم له بمكة أمرا فاستقام بيثرب

فقال له قومه أيها السيد كلنا نرحل لرحيلك ولكن إذا نحن تركنا أرضنا ومقامنا ومنشانا ومربانا فعلى من نعتمد فقال قدعولت على مجاورة الأمير المجاهد والسيد المجالد الأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب وأكون عنده مجاهد فى سبيل الله عز وجل إبقية عمرى فقالوا أصحابه أيها الأمير كلنا معك نسير فقال إذا كان الأمر كذلك وقد عزمتم على الرحيل فلاتتركوا من أموالكم وأغنامكم شيء يسرح فانى أول الليل أرحل فمن أراد الرحيل معى فليأت على أهبة من أمره ودخل الأمير عطارد على زوجته فنظرت إلى دماه

فقالت يا ابن العم من فعل بك هذا وأنت سيد قومك ورأس عشيرتك فقال لها من لا يمكنني أن أقطع شجرته ولا أضيع قرابته وهو ضجيعي فى الاحشا وخليلي فى الدنيا أخي الأشعث وقد عولت على الرحيل على جميل والاعاد الامر بيننا على ضرب الرقاب وغير الصواب فقالت له نعم ما رأيت يا ابن العم لانك أخذت بقول الشاعر

إذا تغيرت الديار بأهلها فدع المقام وأسرع التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا فى بلدة تدع العزيز ذليلا

(قال الراوى) ثم انه صبر إلى الليل وان ولده عمرو قال له يا أبتاه ان الخصم الذى لنا ليس بغريب وهو عمى وأما لو كان غير عمى لبسطت اليه يدى ولكن صبرت كصبرك ولما تنصف الليل رحل ورحلوا معه قومه وبلغ الخبر إلى أخيه الاشعث فلم يصعب عليه وقال دع يغدوا الى حيث يرجع وسار الى أن وصل الى ملطيه كما ذكرنا وجرى ما جرى (وعدنا الى سياقة الحديث) وأقام الامير عبد الوهاب فى انتظار البطال وما قد مضى يفعل من الافعال وما كان الامير عبد الوهاب يركب فى كل يوم ويركب الامير عمرو ابن عطارد ثم يسيرون ساعة ويأخذون الاخبار وعبد الوهاب يقول ان البطال يقع بعقبة ويهتكه عند بنى سليم فى هذه النوبه وأقام يعد الساعات والايام فبينما هو ذات يوم يسير وإذا بغبرة عاليه من نحو الارض التى أشرف منها عطارد فأرسل الأمير عبدالوهاب من يكشف له الخبر فرجعوا يخبرون أن زوجة الاشعث وأمه وهى أم عطارد وكانت طاعنة فى السن وقد غلبها شوقها الى ولدها عطارد وقد عتبت على الاشعث فلم يصغ الى عتبها فقالت يا بنى اعطينى الاذن حتى أمضى اليه على وجه الزيارة وأبل شوقى منه وأعود فقال لها ذلك اليكى فقالت زوجته وأنا والله أيضا قد اشتقت الى زوجة عطارد وهى ابنة عمى وأريد أجدد بها عهدا فقال لكما ذلك ولكن من يوصلكما الى تلك الأرض مع كثرة المراحل ولا آمن عليكم من الاعداء فقالوا افعل ما تراه فامر بمائة فارس من قومه وقال لو كنت أقدر على ولدى عامر لسار معكم وحفظكم من كل من على وجه الارض وكان للاشعث ولد يقال له عامر وهو أفرس أهل زمانه لكنه كان فى صورة مجنون وبالمقام مع الوحش والسباع مفتون وكان له من العمر اثنى عشر سنة ترك الاهل والوطن وطلب البر وطلبه أبوه فلم يقدر عليه ولم يطيق أن يمنعه من ذلك فأخذ أموال العرب نهبا وغصبا الى ان صار له من العمر عشرين سنة فصار يفترس السباع ولا ياتى إلى الحى إلا بعد السنة والسنتين وأمه تبكى عليه وتشكى نار فراقه وتسأله القدوم فيأبى ذلك وكانت تخاف عليه من أبيه لأجله فى الاتفاق لما يريده الملك الخلاق أنى فى تلك

الليلة زائر الأمه وكان له غائبا عنها ثلاث سنين ففرحت بقدومه وقالت له يا بنى ماجئت إلا فى وقت الحاجة إليك اعلم أن أباك حرد على عمك عطارد ومن عام أول قد رحل إلى ملطيه وهو عند ابن عم لنا سيد بنى كلاب أمير يقال له عبدالوهاب وقد رغب فى المقام هنالك ليجاهد فى سبيل الملك المالك وقد غلبنا الشوق إليه وهذه العجوز الكبيرة قد اشتاقت إليه وهو عمك وقد عولت فى غداة غد أن أسير إليه فسير معنا على مائة فارس ومعنا هدايا ونحن نخاف ولا نأمن على نفوسنا من الاعداء ونبقى عبرة بين العرب وأريد منك يا بنى أن تسير إلى تلك الديار وتشاهد أقاربك من بنى كلاب وتعرف الابطال والاقيال وتقضى حق عمك عطارد وتنظر إلى ابن عمك عمرو فقال وذمة العرب لقد كان فى قلبى هذا من غير عمى لانى أسمع أخبار هذا عبد الوهاب وبما هو عليه من الشجاعة والقوة والبراعة وما فعل هو وأولاده مع الخلفاء من الجميل وكنت قد عولت أن أسير وحدى إلى ملطيه وآخذها منه ومن أصحابه ولو كانوا بعدد التراب وقطر السحاب حتى يكون لى من الذكر مثل ماقد شاع لهم فى البلاد والاقطار والآن فانا أسير معكم فان كانوا قد أحسنوا إلى عمى فانا أتجاوز عنهم وإن كانوا قد أساؤا عليه فانا أفعل بهم مقابلة فعلهم وآخذ عمى وأعود الى أبى وان أبى ذلك فانا أرغم أنفه وألوح قحفه فلما سمعت أمه مقاله فرحت بمسيره معها ثم انهم أقاموا الى الصباح وأخذوا أهبتهم وساروا وكلما نزلوا على قوم أخرجوا لهم الاقامات والذبائح والضيافات الى أن وصلوا الى ملطيه كما ذكرنا وكان عامر مليح الصورة كبير الحدق أسود الشعر وان الامير عطارد لما سمع بقدوم أمه وزوجة أخيه فرح فرحا شديدا وسار اليهم وترحب بهم وأنزلهم عند أهله وفرح بابن أخيه وأنزله فى دار منفرده لما يعلم مراده بانه يحب الوحدة وأنزل أمه معه وأصبح عامر أتى الى الميدان يلعب مع الفرسان وكان لعطارد بنية اسمها غمرة فنظرت الى ابن عمها وهو يلعب فوقع فى قلبها منه محبة عظيمة ونظرت الجارية الى ابن عمها فى الميدان بتلك الشجاعة والبراعة مع ذلك الحسن والجمال فسلب عقلها ولم تتم تلك الليلة إلا وشكت حالها الى أمها وقالت مالى عنه صبر فاما أن تعلمى أمه بهذا الحديث والا فانا أعلمها بهذا الامر وانى أنا غمرة ما أنا عمرو وتبقون فضيحة بين العرب فعذلتها أمها فلم تقبل العذل فقالت لها اذا كان الامر كذلك فما أحبتى غريب وانما هو ابن عمك ولحمك ودمك وغدا تاتى أمه وأكون قد خلعت ثيابك على أننى أغسل رأسك فاذا نظرت اليكى عرفت وفعلت ذلك الفعال وعلمت أم عامر بالحال فعادت من ساعتها الى ابنها وقالت له يا بنى ما أغفلك عن الظبية الفاخرة والدرة الزاهرة التى لا يوجد مثلها ذات الدلال البهج والكلام الغنج

والشعر السبج والوجه الجميل والظرف الكحيل والخد الاسيل والردف الثقيل فلقد سعد من ظفر منها بوصال وهى غمرة ابنة عمك وأعادت عليه حالها وسبب كتمانها فلما سمع عامر كلام أمه لم يلتفت اليه ولاعبأ به ثم خرج من وقته الى الصيد والقنص وكان يأكل لحم الاسود وأما الجارية فانها سلبت الرقاد وعدمت السهاد ولم تزل تعالج الكروب الى ثانى مرة فرأتهم زوجة الاشعث قد أكرموها غاية الاكرام ثم قالوا لها ما كان من ذلك فقالت انى وصفت لولدى أمر غمرة وما هى فيه فلم يرد على جواب فقالت ارجعى اليه وعيدى عليه فلعله يكون قد استحى أن يجيبكى فقالت حبا وكرامة ثم مضت اليه ووصفت له أضعاف ذلك فقال لها كفى عن هذا المقال فما قصدى بالكواعب الاتراب انما قصدى شن الغارات وضرب الرجال وان أنتى عدتى عاودتينى فى هذا الحديث أخذت مابين عينيكى فعادت أمه إلى أم غمرة وأعلمتها بالقصة فورد على قلبها من البلاء مالا عين رأت ولا أذن سمعت فقالت غمرة سوف تتحدث الناس بفعلى معه على طول الزمان ومن هو هذا الكلب حتى يقول أنه يقتنص السباع سوف يرى مايكون وكذلك أم غمرة عظم عليها وكبر لديها وقالت لعله مايعلم ان ابنتى بهذا الوجه الصبيح والقوام المليح والعقل الرجيح ثم قالت لامه املك أن تأتينى به إلى ههنا فقالت سمعا وطاعه وخرجت من عندهم هذا وغمره قد وقع بها البلا وزادها الجوى وقالت يعرض على مثله مثلى ويأبى ذلك فوحق ذمة العرب لاحرمت منام الليل فقالت أمها يابنيه اصبرى فلعل أمه تاتى به وتتحدث معه وانى من خلف الحجاب فاذا رفع رأسه ارفعى رأسك واظهرى اليه ويكون وجهك مكشوف فلو أنه من الملوك مااستطاع الصبر فلما سمعت كلام أمها صبرت على ماهى من الغرام والهوى وتباريح الجوى وأنشدت تقول هذه الأبيات .

الليل من سهرى على نهـــارا ... يزداد طولا والدموع غزارا
أرعى نجوما ماتغيب كأنهـــا ... أفلاكها وقفت فليس تدارا
وألوم قلبا فى الهوى حذرته ... منه فما أغناه فيـــه حزارا
قد كنت أعجب ان رأيت متيما ... أعجب بما صنعت به الأقدارا
يامن يقل تصبرى فى حبــه ... كيف السلو وفى حشاى النارا
أقسمت ان دام الفلا من عامر ... مكنت منـــه الصارم البتارا
ثم الصلاة على النبى المصطفى ... خير الأنام الهـــاشمى المختارا

(قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر محمـــد سيد الملاح فدخلت أم عامر وكانت قالت له يابنى اعلم أن امرأة عمـــك قد غلبها الشوق اليك

ولا تقدر على لقاك فقم بنا اليها فقال لها اذهبي وأنا خلفك فذهبت ودخلت وأخبرتها بقدومه فما كانت إلا لحظة وهو واقف على الباب فقالت امرأة عمه مرحبا بالأمير ابن الأمير صاحب الوجه المنير سعد جدك وهلك ضدك فقال لها كذلك وبك يا امرأة العم ثم جلس وجعلوا يتحدثوا فقالت له أم غمره يابنى ما كنت أريد هذا الجمال والكمال الا لذلك الدلال والغصن الميال لانها يابنى ابنة عمك ولحمك ودمك وأنت أحق الناس بها فأطرق عامر إلى الأرض خجلا وقد طار الشرر من منخريه ورفع رأسه عنهم إلى جانب الدار فتزينت له غمره كأنها ظبية شاردة مثل القمر ليلة أربعة عشر فلما رآها علم أنهم مادعوه إلا لأجل ذاك فأقبل على امرأة عمه وقال لها اعلمى أيتها الأميرة إننى لو كنت أرغب فى وصال الكواعب كنت أحب الناس بالأقارب ولكن ماهذا شعارى ولا أشتغل بالنسوان عن فعالى وما قصدى إلا ملاقاة الأبطال ومنازلة الأقيال ثم أنشد وجعله يقول هذه الابيات :

إذا اشتغل الناس بعد القتال ‌ ‌ ‌ بطيب المنام وليل الوصال
فمالى شغل بذات الفخار ‌ ‌ ‌ وذات الكمال وذات الدلال
ولكن أرى القلب لاينثنى ‌ ‌ ‌ عن الأسد يوما وقتل الرجال
وخوض المعامع من شيمتى ‌ ‌ ‌ وصيد الاسود بجنح الليالى
وقبض السباع وقتل الضباع ‌ ‌ ‌ وأخذ القلاع بروس النصال
ويا آل قومى انهضوا سرعة ‌ ‌ ‌ فانى عزمت على الارتحال

(قال الراوى) فخجلت أم غمرة فكادت مرارة غمرة أن تنفطر غيظا وخجلا وهوى ولولا خوفها من الناس لكانت أرمت روحها عليه وإنما رجعت إلى عقلها وصبرت نفسها وخرج عامر وأمر رجاله بأخذ الاهبة للرحيل ففعلوا ذلك وحمل اليه عمه الهدايا والخلع وكذلك الامير عبد الوهاب والامير عمرو بن عبيد الله وباتوا على نية الرحيل فى آخر الليل عند طلوع نجم سهيل هذا وغمرة قد أضرمت فى قلبها جمرة وأعلمت أمها بحالها فعدلتها فقالت يا أماه اعلمى أن الهوى ماخلالى قرى ولو وجدت الصبر لكان أكبر اختيارى وبلوغ آمالى ولكن ما أجد اليه سبيل وقلبى مدنف عليل وجسمى قد عزم على الرحيل ثم فاضت دمعتها فأنشدت تقول هذه الابيات :

قلبي عليك وأنت تغدى ‌ ‌ ‌ وهواك من أسباب رشدى
إن كنت غبت فلم يغب ‌ ‌ ‌ دمعى الملم بصحن خدى
وحياة من أنا فى الهوى ‌ ‌ ‌ عبدا له بل عبد عبد

ماكان وجدي من كثير ولا كثيرا دون وجدى
ثم الصــلاة على النبي خير الانام وجل قصدى

(قال الراوى) ولما كان وقت السحر حملوا الاحمال وحدا الحادى بالجمال فطار قلب غمرة المشتاق والتهب بنيران الفراق لمــا سمعت حنين النياق فأنشدت تقول هذه الابيات :

حدا حادى العيس ليلا وساقا وقد حمــلوا خيلهم والنياقا
أيا حاديا قد قسى قلبه سقيت المنية كاسا دهاقا
أما نظرت مقلتاك التى تموت بهم لوعة واشتياقا
فارفق بعيسك ياحاديا وارحم فؤدا غدا ذو حراقا
وصلوا بنا ياجميع من حضر على المصطفى من ركب البراقا

(قال الراوى) وسار القوم وطار من جفن غمرة النوم وأصبحت ذلك اليوم على الفراش وطال بها المرض ثلاثة أشهر ودخل أباها عليها وأنكر حالها وأتاها بالمنجمين وأصحاب الرقى هذا وأبطال بنى سليم وأبطال بنى كلاب يزوروها ولا يشكوا فى أنها الاميرة غمرة ولم يفكر أحدا فى ذلك الامر ولما خرجوا المنجمين جعلت تنشد وتقول هذه الابيات :

وجاؤا اليها بالتعاويذ والرقا وصبوا عليها الماء من شدة الباس
وقالوا بها من أعين الناس نظرة ولو علموا قالوا بها أعين الناس

(قال الراوى) ثم زاد غرامها وأشرفت على شرب كاس حمامها فقالت لامها اعلمى أن قد ضاق صدرى وحرت فى أمرى وقد عولت على الخروج إلى بعض المروج على سبيل الفرجة والصيد والقنص فلعل ما بى ينفرج فقالت لها أمها وقد فرحت بقولها افعلى يابنية ماأردتى ولا تطلبى من لا يطلبك ولا تريدين من لا يريدك ثم إن غمرة ركبت على جواد لها يقال له اللحوق من الخيل المسومة مليح العنق طيب الخلق صبور على سير الطرق إن طلب لحق وإن طلب يلحق راكبه غريب من المغرب والمشرق يفوت الرياح مليح الصهيل نقى لاالغره حسن التحجيل ثم انها سارت إلى أن صارت فى المرج وخلت بنفسها وأنشدت تقول هذه الابيات :

ان كنت أضمرت سوا أو هممت به يوما لما بلغت روحى أمانيها
ان كانت النفس تدعونى لاسكنها سواك واحتكمت فيها أعاديها
ولا تنفست إلا كنت فى نفسى تجرى بك الروح فى مجاريها

كم دمعة فيك ما كنت أخزنها ... وليلة كنت أفنى قبل أفنيها

(قال الراوى) ثم قالت ويحك يا نفس ماالمليح ان يسلم محبوبك وانتى فى محل الهلاك اطلبى دياره وامحى منه آثاره وقد ذهبت عنك ماتجدين من ألم الهوى وتباريح الجوى ثم انها توجهت طالبه أرض قومها ومنازل عشيرتها وصارت تقطع الأرض لا تلوى إلى جدران ولا إلى عمران وصارت تنزل على أحياء العرب وهم يكرموها ويقولون هـــذا الامير عمرو بن عطارد بن عوف ملك أرض سبا و بلقيس ولم تزل مجدة فى سيرها تطوى الأرض حتى وصلت إلى ديارها وهى تعرف المواضع التى يكون ابن عمها فيها وانها قصدت بعض الغابات التى كانت تسمع انه يأوى اليها فاكمنت فيها ثلاثة أيام وقد ضجرت من المقام وهى تظن انه داخل عليها فى صبيحة اليوم الرابع عولت أن تدخل الغابة وتهجم عليه واذا قد أشرف فارس على جواد أدهم موسوم أعلم مثل الغراب الاسحم مجتمع ململم بحافر كالدرهم وعليه ثوب حرير ومن فوقه ثوب عمل القائم وقد اعتقل بقناة سمراء وعلى رأسها سنان يلتهب كانها قبس على مرقب متقـــلد بحسامه وكانت السباع فى تلك الأرض نفرت من خوفها منه لانه أفناها على طول الأيام وان غمرة لما نظرت اليه عرفته فضيقت لثامها وجردت حسامها وركبت جوادها وغيرت كلامها وأخذت القنطارية فى كتفها ونادت يا ابن الاندال ويا ردى بين الرجال ويا من هو محسوب من ربات الحجال خذ حذرك فانى قاتلك واريح منك العرب وأسقيك كاس العطب فقد شاع فى الناس شرك وبان غدرك وأنت أخس وأقل فلما سمع كلامها ضحك ونادى ياويلك ماأظنك تعرفنى أو من بين الاندال تحسبنى فقالت وكيف لا أعرفك وأنت أحقر الناس قدرا وأكثرهم غدرا واليك أتيت اطلب لاسقيك شراب المعاطب ياويلك أليس أنت عامر بن الاشعث انزع ما عليك من لباسك واعطينى جوادك وأرح نفسك فأنا غلام قد خطبت ابنة عمى وقد قطع على عمى مالا عظيما وأنت وماعليك أول الغنيمة وان كان قتالك على عار وشنار فلما سمع عامر ذلك الـكلام الغليظ من غمرة وقد ذكرنا ماهو عليه من الشجاعة والقوة والبراعة فانقلبت عيناه فى أم رأسه حتى صارت كانها أجاجين الدم ونادى يا ابن العاهرة اليوم أعدمك عرسك واختلس نفسك ثم نزل عن جواده وافتقد حزامه وشده حتى لعب برجله على الأرض ثم أخذ الرمح وحمل على الاميره غمره وحملت غمره عليه أيضا وتطاعنا طعانا أمر من الصبر وأحر من الجمر ولا يزالا كذلك حتى حمى عليهما النهار وغشيهما الغبار ونظر عامر إلى فارس مارأى قط مثله ولا عاين شكله لانه لقى أبطال بنى كلاب فى ملطية مثل الاميرظالم وسيف الحنيفية ولم يكن فيهم من هو بهذه الفروسية ثم اختلفت بينهما طعنتان

كان السابق بالطعنة الاميرة غمره وقد أدارت الرمح فى يدها وطعنته بعقبه فى صدره ارمته إلى الارض وانقضت عليه أسرع من البرق ومن العقاب على اللحم وكشفت رأسه وقرعت ناصيته وكان عليه أشد من القتل وسلبته ثيابه ولم تدع غير سرواله ثم قالت له ياابن الانذال اخلع السروال والا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام قطعت راسك وأخمدت أنفاسك فقال عامر لا تفعل ياوجه العرب خلى على السراويل ليسترنى فقالت لا وذمة العرب أنت قريب من أهلك وأنا بعيد الديار ومالى من السراويل غنى ولو بعته بنصف دينار فاخلع ياويلك فخلع السروال وبقى قاعد كيوم ولدته أمه ثم ركبت وطلبت البرية وبقى هو قاعد إلى أن اظلم الظلام وقد صار فضيحه ثم قال أسير فى الليل والظلام يحجبنى إلى ان اصل الى بيت الداية وآخذ من عندها ما يسترنى وصار طالب ذلك فهذا ما كان منه واما ما كان من غمره فانها سارت حتى وصلت الى حى عمها ابو عامر فنزلت ودخلت على الداية فانكرتها فكشفت اللثام فعرفتها الداية فقامت اليها وتعلقت بها وضمتها إلى صدرها وقبلت وجهها وقالت لها يا بنيه ما الذى جاء بك فأخبرتها بالقصة من أولها إلى آخرها وقالت وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لا كان لى بعلا أبدا وهذه ناصيته وثيابه وحصانه فاذا أتى اليكى فقولى له يا نذل العرب تقول ما شغلى الكواعب الأتراب وانما شغلى صيد الاسد من الغاب وخوض المواكب وضرب الرقاب ويكون هذا المقام مقامك ثم ودعتها وسارت تقطع الارض طولا وعرض الى ان وصلت الى ملطيه وقد قامت عليها الدنيا على ساق وقالوا قتل الامير عمرو بن عطارد وهلك فى بلاد الروم لانه ما كان يعرفها وصار الأمـــير عبدالوهاب يرسل الى بلاد الروم شرقا وغربا وبعدا وقربا ويأخذ خبره وخبر البطال وغلمانه وهو لا يأتيه من أحد منهم خبر ولا أثر وكان لهم حديث عجيب سوف نذكره فى موضعه فلما وصلت غمره فرح الناس بها وهنوها بالسلامة وأن أباها سألها عن سبب غيبتها فقالت له اشتقت إلى البر ورائحة الشيح والقيصوم كما قد اعتدت لاننى فيه ربيت ولما أقمت بملطيه وانقطع عنى ذلك زاد بى المرض فقمت وطلبت البر حتى صح جسمى وعدت فانطلا عليه ذلك ودخلت على أمها فقالت لها يا غمره أين كانت هده الغيبة فاعادت عليها قصتها من أولها إلى آخرها فعجبت أمها من شرف نفسها وعلو همتها وقالت والله ياأماه ما بقى فى قلبى منه لا قليل ولا كثير وما عندى اليوم أبغض منه وطاب قلبها وعاد إليها حسنها وجمالها وخلا ذلها فهذا ما جرى لغمره (وأما ما كان) من الأمير عامر فانه لما هجم عليه الليل طلب الحى وهو بتلك الحالة يده الواحدة على دبره والأخرى على قبله حتى دخل على دايته وقال لها اذهبى إلى أمى وأتينى من عندها بثياب فانه قد جرى على فى

يومى هذا إنما جرى على أحد قط مثله وقد لقيت فارسا ما رأيت قط مثله وجعل يحدثها بماتم له مع الفارس ويصفه فقالت له الداية عندى ثياب ألبسك إياها وما أحتاج أمضى إلى أمك فقال على بها فقدمت له ثيابه بعينها وقالت له البس فلما رأى ثيابه عرفها فأطرق إلى الأرض خجلا ثم قال لها من أين وصلت لكى هذه الثياب فقالت له اكتم أمرك فان الفارس الذى فعل بك هذه الفعال أقرب خلق الله اليك وما أراد أن يفضحك بين العرب وهى ابنة عمك غمره وهى تقول لك يا ابن العم أنا أردت أن أجرب كلامك فرأيته بخلاف ما قلت والكذب يشين بالرجل أين مقاومتك الفرسان والسادات واقتناصك الأسد من الغابات وقد قهرتك جارية ذات غنج ودلال وهى بعض ربات الحجال وقد أقسمت قسما بعد هذا اليوم لا كانت لك أهلا ولا كنت لها بعلا فلما سمع كلامها وقع فى قلبه نيران الهوى وهاج به واشتكا وثارت به أشجانه وكثر غرامه وعظم زفيره والتهابه وسار إلى بيت أمه وهو ينتفض مثل الزعفه وبقى كذلك عشرة أيام لا يسمع له كلام لحزن أباه عليه الحزن الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال والله لقد كان عزنا وشرفنا وإن هلك يهلكنا وإن الداية تحدثت مع أمه بالقصة فحدثت أمه أباه فقال لها هذا أمر قريب أنا أسير بروحى فى خمسة آلاف من قومى ومعى ولدى والأموال والرجال وأخطبها لولدى ولقد قطعت لحمى ودمى وقطعت ظهرى وأخى له مثل هذه الجارية الذى قد قدرت مثل ولدى مع ذلك الوجه الجميل والطرف الكحيل ومن أجلها صار ولدى هكذا عليل نحيل وهو بالهجران والقلى قتيل ثم أقبل عليه وقال له يا بنى لقد فرطت فى أمر ابنة عمك لما عرضت نفسها عليك وصارت مثل العبد بين يديك وهى درة الغواص وظبية القناص فلو نظرت فى العواقب لما حل بك هذه النوائب ولكن أقول إن الأمير عبد الوهاب إذا قصدنا إليه وقدمنا عليه يصلح بيننا ويجمع شملنا وأزوجك بها ونعود إلى أوطاننا بجمعنا وأهلنا فطب نفسا وقر عينا ثم أنه أقام يتعدى الرجال للرحيل والمسير عشرة أيام وصحب معه من الأموال والتحف والهدايا والجمال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكان من مشايخ العرب وقد نشأ له مثل هذا الغلام عامر الذى ما يقدر عليه باد ولا حاضر ثم إن الأشعث أخذ معه وجوه قومه وسادات عشيرته مقدار خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس بالعدة الحسنة والخيول المسومة وسار يقطع الأرض فى الطول والعرض والأمير عامر معهم يعد المراحل وهو من هوى ابنة عمه ناحل يتقرب قرب المنازل وبعد المنازل وهو ينشد ويقول :

ولو أن شرق الأرض بينى وبينها   لقال الهوى لى إنها لقريب

وقد صار قلبي بعد ما كان جافيا　　يطير اليها إن ذا لعجيب

ولم يزل القوم سائرين إلى أن وصلوا ملطيه وقد سبقتهم الخيل تخبر بقدومهم فبلغ الخبر إلى الأمير عطارد بقدوم أخيه الاشعث ففرح وخرج إلى لقاه وخرج الامير عبدالوهاب والاميرة وأمراء بني كلاب والسودان الانجاب والامير عمرو بن عبيد الله وسادات بني سليم ولم يتخلف أحد لما يعرفون من علو منزلة الاشعث وحسبه ونسبه ووقعت العين على العين والتقت أبطال الطائفتين وقد ترجلت العرب بعضها إلى بعض وقد ساروا على وجه الارض هذا وإن الاشعث اعتنق أخيه عطارد وبكى وأن واشتكى وأنشد يقول

أنا أسأت فهل للذنب مغفرة　　السيف يجفو وبدر التم ينكسف

إن اللئام إذا ما استعطفوا أسرفوا　　والاكرمين إذا ما استعطفوا نصفوا

﴿ تم الجزء الاربعون ويليه الجزء الحادي والاربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الامير عطارد لاخيه الاشعث نزولك مقبول ومهما عملته معى على الرأس والعين محمول فشكرته العرب وركبت الخيول وساروا إلى باب ملطيه وقد ضربت الاشعث مضارب وقباب فى الميدان ونزلت أبطاله وعشائره وقد أخرجت لهم الضيافات والعلوفات وانقاد بين أيديهم الخيول العربيات وذبحت الذبائح وعقرت العقائر ونحرت الابقار والابل والاغنام وأقاموا فى زائد الاكرام مدة عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر حمل الاشعث الهدايا والتحف والظرف إلى الامير عبدالوهاب وأمراء بنى كلاب وأمر الامير عمرو بن عبيد الله وأكابر بنى سليم وأمراء السودان واجتمعوا سائر أمراء بنى كلاب وغيرهم من السادات فى دار الامير عبدالوهاب الكبيرة وكان ذلك عادة عندهم فى كل يوم خميس يجتمعون فيها ويقرؤن القرآن العظيم ويتحدثون وتنشد الشعراء وكان هذا رسم الامير عبد الوهاب هذا وأن الامير الاشعث صار لهم فى أبطال قومه ووجوه عشيرته ففرح بهم الاميرين عبدالوهاب وعمرو وأجلسوهم ولما أخذوا مواضعهم قام على أقدامه الاشعث وقال معاشر العرب الكرام أحمد الله وأشكره وأصلى على نبيه ورسوله وإنى أتيت بعد ما تعديت على أخى هذا وكان هذا جهلا بمقامه لانه من بيت الشرف والفضل ولكن عثر لسانى بالاذلال عليه ومع ذلك جئت معتذر اليه والبارى جل وعلا يقول وهو أصدق القائلين (فاعف عنهم واصفح) ومع ذلك

فانى قد أتيته خاطب وفى كريمته راغب ذات الجمال الرائق والحسن الفائق والشرف السابق وهى الاميرة غمرة بنت أخى عطارد وله على من المال ألف دينار وعشرة آلاف ناقة سودات الحدق حمرات الوبر شملات قدر الحزام ذخلن البيت الحرام وعشرين ألف من الاغنام ومائة راس من الخيل المسومة الجياد ومائة عبد ومائة أمه واشهدوا على أننى خلعت نفسى من الامارة وتركتها لولدى عامر وأخى عطارد وأكون أنا من تحت أيديهم على طول الزمان وقد انقضت أيام الصبا والجهالة ودنا المشيب وأنا من الموت على ارتحال قريب وأريد أقبل على السميع المجيب والإله القريب الذى إذ دعاه الداعى باخلاص وجده مجيب فابكا العيون من ذلك الكلام وعجبوا من فصاحته والنظام هذا وقد تطاولوا بالاعناق إلى الامير عطارد ووقع ذلك الكلام على الناس كالماء البارد على كبد العطشان لانهم مايعلمون لعطارد ولد سوى عمرو ولم يعلموا أنها جارية وإن الامير عطارد خجل بين الحضور لما صار ذلك الكلام بين العرب مشهور هذا وإن غمرة لم تكن حاضرة لانها أحست بالشربه تلك النوبة لانها كانت السبب فيها وان الامير عطارد أقبل على من حضر وقال معاشر الناس من السادات وامراء الذين أحسنو الينا الجوار واغنونا عن الاهل والديار اعلموا أن حديثى من أوله عجيب وأمرى غريب وقص عليهم قصة ابنته من أولها إلى آخرها فتعجبوا الناس من شجاعتها وهى جارية فقالت الاميرة ذات الهمة لله درها من جارية ما أنجبها ولم يبق أحد من بنى كلاب ولا من بنى سليم الا وتمناها وقال كل منهم ليته مايزوجها لابن أخيه حتى أخطبها أنا من بعده وكذلك قال الامير عمرو بن عبيدالله والله إن مثل هذه الجارية مايوجد على وجه الارض وأريد أن أكون مثل الامير عبدالوهاب لان له نسوان يحاموں عنه وعن أنفسهم وهذا الرجل عطارد يكون خلف ظهرى هذا وقد صاروا الناس ينتظرون مايقول عطارد فقال ياأخى ان طلبها ولدك فهى له امه ولا امنعها عنه ولكن هذه الاشياء متعلقه بالنسوان والاميره غمرة باختيارها وانا اسألك المهلة فى ذلك اليوم فان الكريم عند قوله وانا لااقول قولا واعود فيه فقال الامير عمرو صدقت ايها الامير المهاب هذا الصواب وقد انفض المجلس وخرج الامير عطارد وهو خجلان من العرب إذ صار ابنه عمر وغمرة وكان مع خجله فرح بتلك الاموال والعطايا التى ذكرها أخوه الاشعث وكان ماعنده خبر مما فعلت غمرة فى حق ابن عمها فدخل إلى منزله ووصل الى زوجته وهو يضحك فقالت له ماهذه البشاشة يا ابن العم لازال سنك باسما وعدوك نادما فقال لها اعلمى ان أتانا الامر كما نشتهى ونريد ثم أعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها فرأى منها الفترة وقالت ها أنا الساعة أمضى

اليها وأقص عليها القصة ثم انها قامت من عنده ودخلت على ابنتها غمرة وأعلمتها بالحال فضحكت وقالت وحق من دحا الأرض وأرسى جبالها وعلم عدد مالها ووزن أثقالها ومن يطالب النفس بأعمالها وقدر أرزاقها وآجالها إلا كنت له أهلا ولا كان لى بعلا ما طرد الليل النهار وإن غصبت على فى هذه القضية سقيت روحى كاس المنيه واستريح بالكلية من هذه القضية فعادت أمها على أبيها وأخبرته بالحال فناداها اليه وعاتبها وقال لها يا بنية هذا ابن عمك ولحمك ودمك فقالت يا أبى دع عنك الأمانى وان وصاله ليس هو من شانى وإن غصبت على ذلك فانا أفعل إحدى الحالتين إما أن أقتل روحى أو أدخل إلى بلاد الروم وأكون معهم على مايريدون وآخذ ديوان ميخائيل وتبقوا بذلك معيره جيل بعد جيل وأكون مسلمة أصبح إلى دين عبدة الانجيل فلما سمع أبوها منها ذلك قال يا بنية لا إكراه فى الدين وأقام إلى ثانى يوم ولما تجمعوا الناس كان أول من تكلم الأمير الأشعث وأشار إلى الأمير عمرو بن عبيدالله وقال أيها الأمير الكبير والسيد الخطير أنا اريد من أخى عطارد ماوعدنى به فى اليوم الماضى فأقبل عطارد على الأمراء وقال ياقوم إن الأمر خرج من يدى وقد وقعت بين أمرين خطيرين الأخ أخى والزوج ابن أخى والجارية ابنتى ثم أنه ذكر لهم ماسمع منها من الخبر فكاد قلب عامر أن ينفطر ووقع مغشيا عليه فرق قلب الأمير عبدالوهاب عليه وكذلك كل من حضر وقالوا إنه قد بان لنا عذرك ولا بد مانسير اليها فنسألها أن تهب لنا هذا الذنب ثم دخلت الأميرة ذات الهمة ونساء الأمراء عليها وقالوا لها أيتها الأميرة الكبيرة والسيدة الخطيرة قد أتيناك نسألك فى ابن عمك فقالت لهم سالتكم بالبيت العتيق الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام إن غصبتمونى على هذا الأمر فوحق الذى تجلى على الجبل لجعله دكا وخر موسى صعقا لا كان ذلك أبدا وان أكرهت على ذلك قتلت روحى فهذا ما كان من غمرة وأما الامير عبدالوهاب فانه سكت عن ذلك وقال يفعل الله مايشاء فبينما هو جالس وإذا قد أقبل عليه جاسوس وتقدم اليه وساوره فى أذنه بكلام فوثب على قدميه وطلب الجواد وركبه وعلى رأسه تخفيفة النوم ولم يلحق أن يتعمم وقد أوصى الاميرة ذات الهمة أن تلحقه بخمسين فارس على عجل وسار يوما كاملا الى أن لاحت له غبرة فضحك الاميرعبد الوهاب وقال لمن معه انظروا ما الخبر فى هذه الغبرة واذ قد بان له صابر المرعشى وقد أخبره بماجرى من ذلك الشاب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الغبار حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك بأن الامير أبومحمد البطال لما أخذ غلمانه وودع الاميرعبد الوهاب وسار وبرق بن رباح الساعى معه لجعل يطوف بلاد الروم من أجل اللعين عقبه المذموم حتى

أنه يهتك ستره فى هذه النوبه فسار الى اثنى عشر اقليم من أقاليم الروم فلم يطلع له على خبر فهم أن يرجع بالخيبة الى بلاد الاسلام واذا قد لقيه راهب وهو الى بيت المقدس طالب فقال له الامير أبو محمد وهو فى صفة مطران أيها الشيخ الراهب من أين وارد والى أين أنت قاصد فقال له اعلم أن قدومى فمن بلد أريس وهى زاوية من بلاد اللآن وأنا مقصدى البيت المقدس أزور قمامة وماسبب خروجى اليه الا أن الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح القاضى عقبة يذكر لنا فضلها فى كل يوم وأن المسير اليها له فضل عظيم فقال له الامير أبو محمد ياشيخ الرهبان لقد هيجتنى وهيجت شوقى إلى من ذكرت أترى يجمع المسيح بينى وبين الشيخ النجيح فقال له نعم يا سيدى فقال الامير أبو محمد ياليت شعرى أين مقامه حتى أزوره على الرأس لا على القدم فقال له ذلك الراهب اعلم أن له عندنا زمان مقيم لانه ذكر لنا أنه فزعان من المسلمين وأن عليه الطلب العظيم من أبو محمد البطال فقال له المسيح يكفيه شره ويوقيه من مكره ثم ودعه وسار وقد أقبل على غلمانه وقال لهم سيروا بنا إلى بلاد أريس فقد سهل الله علينا وعرفنا مكانه (قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد سار هو ومن معه من الغلمان يقطعون الارض ذات الطول والعرض إلى أن دخلوا الى تلك المدينة المذكورة فقال الامير أبو محمد لغلامه لؤلؤ يا ولدى ما لنا مثلك ادخل الى هذه الكنيسة وانظر لنا الملعون عقبة فى هذه المدينة أوفى أى الاماكن فقال غلامه لؤلؤ أنا لا آمن منه على نفسى أن يرانى فيعرفنى ولكن الرأى عندى أن يدخل برق بن رياح التميمى فقال الامير أبو محمد لو كان برق بن رياح يعرف بلسان الروم لكان جيد فقال برق بن رياح أنا ما أعرف الا القليل وها أنا اذا أردتم أن أدخل البلد وأدور فيها وأسأل عن الشيخ النجيح وان كان هناك من يعرفنى غدوت وخليت الكل ولا يلحقونى الى أن أجىء اليك وأقدم عليكم وان أخذوكم مضيت وخليتهم يفتصلون بكم فقال الامير أبو محمد أصح الله بدنك هذا رأى جيد قوى ثم أنه قد قال الى لؤلؤ سير أنت الى البلد واقصد الى تلك الكنيسة التى لهم واكشف لنا الاخبار عن يقين فسار ودخل الى البلد ووصل الى الكنيسة فوافق دخوله يوم الاحد فوجد فيها عالم عظيم ونسوان وشيوخ وشبان وقسوس ورهبان فدخل البيعة التى فيها ذلك العالم واذا هو بالملعون عقبة وعليه ثياب ملونه وبرنس الرهبانية وهو جالس بينهم يتلو الانجيل ويقول معاشر الروم اعلموا أنى قد عولت على الخروج الى بلاد الإسلام لاننى كنت نائم فى هذه الليلة فى المذبح فرأيت السيد المسيح وهو يقول لى لقد غفلت عن الجهاد فى المسلمين فقم وسير وأنا بعدك فلا تتهاون فى ذلك وأنا أساعدك وأكون معك معين واعلموا أننى فى هذه الليلة أنام فى المذبح وأسير

فى غداة غدا إما فى البر أوفى البحر إلى مدينة القسطنطونية وقد علمت أمور سوف تقيم دعوة النصرانية إلى أبد الآبد هذا ولؤلؤ يسمع ويسترو جهه بين العواميد (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما أن سمع ذلك المقال فرح وخرج إلى أستاذه البطال وأخبره بما سمع من الملعون عقبة من المقال فقال الامير أبو محمد أنا أخاف أن يركب فى موكب لما نقدر عليه ولكن ادخلوا بنا كلنا إلى هذه البيعة حتى نأخذه منها والله الموفق المعين (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الأمير أبو محمد قد تزيا بزى الرهبان الذين لبلاد اللان ودخل هو وغلمانه وأقعد برق بن رباح فى الموضع الذى كان فيه مقيم ولم يزال الامير أبو محمد حتى دخل تلك الكنيسة وبات فيها عالم عظيم لوداع عقبة اللئيم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما أظلم الظلام نظر الأمير أبو محمد الى أبو يخلف وقد علق له عقبة فى حلقه صليب وحلق نصف رأسه وتركه بصورة شماس وحفظه عقبة شيئا من الإنجيل وهو يحرض الكفرة الملاعين على سب الأمـــير عبد الوهاب ويسال المسيح أن يمكنه منه ومن الامير أبو محمد البطال وهو باكى العين حزين القلب على سته شمسة وكان الامير عبـــد الوهاب قد زوجها بالملك ابن قراقونا زواجا صحيحا لانه نظر منه دينا جيدا واعتقادا صالحا وأبو يخلف قط ما أبصره صلى صلاة ولاركع ولاسجد ولما دخل بلاد الروم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير وكان هذا كله من قلة عقله وكان عقبة عول ان يأخذه معه إلى بغداد ليتم به إلى عند الخليفة مايريد هذا وقد نامت الناس والأمير أبو محمد يراقب عقبه حتى تنصف عليهم الليل ولؤلؤ يقول ياهؤلاء مابقى من الليل الا القليل عندها وثب الأمير أبو محمد وأتى إلى باب القبه وفتح بابها وغلامه معه ولما ان توسط المذبح صاح عليهم الصائح وقد جردت الصفائح وقد هجموا عليهم البطارقة أخذوا الامير أبو محمد وغلمانه قبضا بالكف (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا والأمير أبو محمد يقول لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم تمت علينا الحيلة إنا لله وإنا اليه راجعون

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكان السبب فى ذلك أبو يخلف لما ان دخل لؤلؤ إلى البلد عرفه إلا لؤلؤ فانه لم يعرف أبو يخلف لأنه كان بين الرهبان فدخل أبو يخلف إلى عقبة وأعلمه بذلك الشان فقال له عقبة اياك ان يكون اشتبه عليك قوله وأمره فقال لاوحق المسيح والصديق وستى عيشه فضحك عقبة وقال له عقبة لاتحلف هكذا فان كلهم مايعتقدون فى عائشة ولا فى الصديق فقال له أبو يخلف وكذلك هو وحق الصليب ما أعتقد فى المسيح ولا فى غيره ولا أعتقد الا فيمن يخلص لى الست شمسه فهو يكون المسيح وعائشة وموسى بن عمران فعلم عقبة انه ماله عقل ولا يعتقد فى دين من الاديان أصلا

فأعجب عقبة كفره وأقام كذلك الى ان دخل لؤلؤ فقال له هاهو فوقعت عين عقبة عليه فقال هاهو لؤلؤ وحق المسيح صدق أبو يخلف فيما قال ولكن لم أقدر أحدق اليه بالنظر فيكون منى على حذر وما أتى إلى هنها الا حتى يسمع عنى خبر ولا شك ان مولاه الامير أبو محمد معه بلا محاله ولكن فى هذه الليلة اقبض عليهم وسوف اظهر لهم انى راحل حتى يزداد حذرهم على ويطمعوا فى أخذى ثم اعرض بذلك السفر والمقال حتى يدخلون الى الكنيسة ثم انه قال ماقال ومضى لؤلؤ الى مولاه البطال ودخلوا واخذوا كما شرحنا هذا وعقبة قد طار فرحا بأخذ الامير أبو محمد اعظم عنده من فتح بغداد لانه كان أقسم انه متى ظفر بواحد منهم فما يبقى عليه وقد اوقد الشموع من حواليه وقال له مرحبا ياأبو الحصين اوحشتنى هذه الطلعة التى ماقصدى أراها الا وهى على هذه الحالة وأحسن منها فقال له الامير أبو محمد أما انا ياملعون أيضا احمد الله تعالى على هذه الحالة وعلى غيرها لاننى ارى المصيبة فى الأبدان ولا أراها فى الأديان (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة من الأمير ابو محمد ذلك الكلام فقال ياويلك اذا كان الامر كما تقول أنت فسوف أنزل عليك من البلاء مالاتطيق حتى تأكل لحم الخنزير وتشرب الخمر والعصير وتتبرأ من دين محمد البشير النذير والسراج المنير فقال أبو يخلف على المشى ياقرنان الى مكة حافيـــا عريانا ولا بد لى ان أضرب راسك فى مقابلة ماعمل معى الأسود الزنيم عبد الوهاب فى أخذ ستى شمسه لانها مولاتى وما أقمت فى بلاد الشرق الا من اجلها

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وعقبة احضر الخل والخمر والملح والقصب وشحم الخنزير والسياط واحضر الأمير ابو محمد الى وسط الكنيسة ومده وضربه الى ان غاب رشده وكذلك فعل ايضا بغلمانه هذا والامير ابو محمد يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبة يقول له ياويلك قل ربى المسيح حتى اننى أخلصك من هذا الاسر هذا والامير ابو محمد يقول واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ويلك ياشيخ السوء من اين لنا فى الحياة ارادة وانت تقـــول لى اكفر بالرحمن فهيهات هيهات ان يكون ذلك ابدا ولو شربت كؤس الردا ولست اموت الا على دين الإســلام وعبادة الملك الديان فافعل الآن ماتريد فانى صابر وعلى ماتفعل بى شاكر عندها كاد بعقبه الغضب وقال وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لابد من احراقكم بالنار حتى تعلموا ان المسيح احرقكم بالنار وانا سالم من الأضرار وكلما تقولوه من صلبى فهو زور ومحال (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما اصبح الله تعالى بالصباح

واضاء الكريم بنوره ولاح انقلبت البلد بأهلها يتفرجون على البطال وغلمانه وقد اقبلت بنات البطارقة واولاد العمالقة ينتظرون الى صاحب الاسم والافعال الذى قد شاع ذكره فى بلاد النصرانيه وقد ازدحمت الناس عليه وهم يلطمونه على حر وجهه وقد حل به الهم والغم والبلاء كله (قال الراوى) هذا وبرق بن رياح ماعنده منهم خبر ولا يعلم ايضا ماتم عليهم من العبر وهو مقيم فى الممكن الذى كانوا فيه هذا وعقبة نادى فى الروم ان يحملون فى يومهم والثانى والثالث وقد اجتمع رأيهم على احراق أبو محمد البطال وغلمانه وقد أوقدوا الشموع فى البيع والكنائس فى النهار والليل فرحا باحراق البطال العيار المحتال هذا وعقبة وكل بالبطال أبو يخلاف يحفظه وهو يدخــــل عليهم فى كل ساعة ويقول لهم فى غداة غد تحرقون بالنار والعاقبة للاسود الحجام ان يوقعه المسيح كما أوقعكم هذا والأمير أبو محمد أقبل على غلمانه وقال لهم هذا كله من تدبير الأمير عبد الوهاب الذى أوقعنا فى هذا العذاب ومع ذلك فانه ما أفلح بما فعل لأن شمس النصرانية كان اسلامه حيلة حتى أخذ شمسة وهرب بها إلى بلاد الروم ولولا أن بنى سليم لحقوه وقتلوه لكان أخذ هذه الجارية وهرب إلى بلاد الروم وقد أخذتها الأميرة ذات الهمة منهم وحلفت أنه لا يصل اليها أحد منهم أبدا فقال لها الأمير عبد الوهاب ولم ذلك ياأماه فقالت له هذه الجارية لأبو يخلف المسكين المشتت عن دياره التى قد حصلت له مثل هذه الجارية وقنع بها من الدنيا لأنه من أهل الستر لا من أهل القتال وما تعطى هذه الجارية إلا له لأجل انكم قد كويتم قلبه بالنار فقال لها الأمير عبد الوهاب وحق ذمة العرب ياأميرة انى خائف من الله بما صنعت فى حقه وما قلت ان هذا شمس النصرانية يظهر منه هذا الحيل والمكر وأنا أقسم بالله ان كان أبو يخلف سالم غانم ليكونن له عندى أوفى مما قلى عليه وقد اتفق الحال على الانتظار تمام هذه السنة إلى أن يأتى ويعطوها له وان ما أتى وإلا أعطوها للامير عمرو بن عبيد الله لانه كان قد طلبها وأنا قد أتيت فى حجة طلب عقبة لعل ان أنظر إلى أبو يخلف وأعلمه بالقصة لاربح الثواب من الله رب الارباب فى ذلك المسكين وأنا أقسم باؤلؤ لولا هو ما كنت دخلت بلاد الروم فى هذه السنة ولما صدفناه ما أمهلنا الزمان إلى ان نعلمه بهذه القضية التى ينشرح بها صدره ولكن وقعنا بهذه الرزية وبلينا بهذه البليه ولكن قالت اليهود خير ماتعمل شر ماتلقى (ياسادة) وكان البطال يتحدث مع غلمانه بهذا لانه علم أن أبو يخلف قد خرج من القبة ليسمع مايقول البطال ويشرف عليهم ثم أن البطال قال بعد ذلك يالؤلؤ وقد قالت الاميرة ذات الهمة أنا أعلم أن أبو يخلف مادخل الى بلاد الروم الا من الغيظ والحنق والا فهو انسان مغربى شديد فى دين

الاسلام مايتنصرابدا والرجل اعقل من ذلك ولكن الهوى يحمل الانسان وابو يخلف لو علم اننا مادخلنا الى هذه البلاد الا بسبب مافعل فى حقنا هذه الفعال وبعد فانه معذور (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان ابو يخلف كان يسترق عليهم السمع فلما سمع ذلك كاد قلبه يطير فرحا ولم ياخذه صبر دون ان دخل عليهم وسلم عليهم وبكى بين ايديهم وقال يا ابو محمد وحق المسيح والصديق وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب يعز على ماجرى لكم وما تم عليكم ولقد سمعت كلما قلتموه وتحدثتم به والآن فان الامر كما ذكرتم وما حملنى على ذلك الا الهوى فقال البطال يا ابو يخلف وسمعت الذى قلناه من أوله الى آخره قال له نعم وانا معتذر اليكم مما جرى منى عليكم ولكن يكون عوض هذا خلاصكم فقال البطال جزاك الله خيرا تكون قد قابلت الاحسان بالاحسان ولكن قبل كل شيء اعمل عملا ناخذ به عقبة لننال بذلك عند الامير عبد الوهاب منزلة رفيعة لان الامير وأمه لك فى احسن نية وقد اوجعتهم واوجعت قلوبهم لما تم عليك وسوف تنال عند الامير عبد الوهاب باخذك لعقبة وقبضك عليه المنزلة العالية السامية فقال لهم ابو يخلف اعلموا ان عقبة مايبيت فى الكنيسة ولا اعلم له موضع وان صبرتم الى غداة غد حرقتم فقال البطال اعلم ان معنا رفيق وهو برق بن رياح الساعى وهو مقيم بالموضع الفلانى فاذا اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وذكر محمد سيد الملاح اخرج اول الناس حتى تصل اليه وتقدم عليه وتخبره بحالنا وتوصيه ان يكون اهبة وان يسرق لنا خيول نركب عليها ونهرب فليفعل ذلك وارجع من وقتك وساعتك الى عقبة وقول له لا تحرق القوم فاذا قال لك ولماذا فقل له انى خرجت اليوم الى ظاهر البلد لامر عرض لى فرأيت ذلك الرجل الذى سرقك الذى اسمه برق بن رياح مقيم فى موضع حتى يخرج عقبة فى طلبه فهو يهرب فاهم لا يلحقوه فقل ياقاضى عقبة لم لا تفتش هذه المقابر فانه لاشك مختفى فيها لأنها نواويس يختفون فيها فهو يشتغل طول نهاره بذلك فاذا كان الليل اعرف موضعه وأين يبات وعد إلينا فسوف ترى العجب وحل وثاقنا ودلنا عليه وقد كشف الله عنا الشدة فقال أبو يخلف سمعا وطاعة (ياسادة) هذا وقد وقع من كلام البطال فى قلب أبو يخلف النار وهو يظنه تحقيق فما صدق بالصباح أصبح حتى نزل كأنه مجنون ولم يرده إلا موضع برق بن رياح وكان قد أبطأ عليه خبر البطال وهو على مقالى النار إلا أنه لا يقدر يظهر لأجل وصية البطال وأيضا فانه مايعرف بلسان الروم وقال لعلهم يدورون على مكان عقبة (قال الراوى) ياسادة يا كرام هـذا وان أبو يخلف أتى إلى المكان الذى فيه برق ونادى برفيع من صوته يابرق أريد أقول لك كلام

فظن برق ان القوم قد فطنوا به فصار يجرى وأبو يخلف يغدوه خلفه ولا يقدر يلحقه فصار يقول له ويلك يافرخ الزنا كشف الله عنك ستره فلما سمع برق كلامه بالعربية أنس إليه وقال له ويلك من أنت قال أنا أبو يخلف وصاحبك البطال وغلمانه فلان وفلان وقد أخذوهم الروم وقد جئت برسالة من عندهم وانا أعمل على خلاصهم ثم أعطاه العلامة من عند البطال فعند ذلك أنس اليه ورجع إلى مكانه وقد قال أبو يخلف على الذى أوصاه البطال ودعا الى المدينة الى عند القاضى عقبة فوجده فى احراق البطال وغلمانه وقد أضرمت النيران ورفعت الصلبان وعقبة يبوس الأرض شكرا للمسيح ويقول هذا الذى كنت أريده أن يعطينى المسيح

(ياسادة) هذا وأبو يخلف قد دخل عليه وتحدث معه بما اتفق مع البطال فلما سمع عقبة ذلك قال اكتموا أقوال هؤلاء فلا شك انهم قد قدموا فى طلبهم فارقبوهم الى أن يدخلوا الى المدينة فان نحن طلبناهم لاشك يهربون وان عقبه أقام الى أن أمسى المساء وقال لابو يخلف تكون الليلة عندى فى المذبح وغدا يدخلون القوم الى البلد لامحالة فإنهم اليوم أشغلهم التعب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انأبو يخلف صبر الى أن تنصف الليل وأتى الى البطال وخلصه وخلص غلمانه وقصد بهم الى عقبة وقال خذوه فلما عاينوه تبادروا اليه وكتفوه وألقموه الاكرة وخرجوا به من البلد من باب القوافل وساروا الى أن وصلوا الى برق فوجدوا عنده ستة بغال كان قد اقتطعها من قافلة نزلت عليه فى أول الليل وكانوا من تجار الروم فمضى اليهم وقطع البغال وأقام الى أن أتى البطال وغلمانه وعقبة معهم وقد انفطر مرارته وعظمت حسرته وزادت بليته ولا يدرى من أين أصيب حتى نظر أبو يخلف وهو مطلوق معهم غير موثوق فعلم ان البطال قد لعب بعقله هذا والاكرة فى فمه ولا سبيل له الى الكلام (قال الراوى) وساروا به يقطعون الأرض فى الطول والعرض الى ان وصلوا الى وادى الغزال وقد بقى بينهم وبين ملطية سته أيام إذ لقيه صابر المرعشى ورجع يطلب الامير عبدالوهاب ويبشره بقدوم البطال وقد اقام البطال مكانه حتى يأتيه الامير عبد الوهاب ووصل اليه الجاسوس كما ذكرنا وركب الامير ومعه خمسين فارس من بنى كلاب على عجل وقد دخل فى قلوبهم الوجل حتى لايسمع أحد من بنى سليم بقدوم البطال (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان الامير أدرك البطال وغلمانه ومعه القاضى عقبة فلما أن رآه الامير عبد الوهاب ووقعت عينه عليه كاد يطير من الفرح وقال له يا كلب النصرانية واخس من غمس فى ماء المعمودية قد أمكن الله منك فقال قد أوصلت هذا القرنان اليكم فتسلموه واحضروه بين يدى الامير عمرو

ابن عطار دغمر فه لانه هو الذى عمل عليه حتى يهتك ستره عند بنى سليم فقد حلفوا وحلف الامير عمرو بن عبدالله انه لايرجع فيه ولكن لى عليه طلابة بالضرب الذى ضربنى اياه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أمر عقبة فمد على ظهره وضرب له أوتاد أربعة فى الارض وسحبه بطاق الاديم الطائفى وأخذ له سوط من جلود البقر طوله ذراعين ونصف فى غلاظ السير المظيم وما برح حتى بله بالماء وضرب عقبة به الى أن نزل لحم ظهره وغاب عن الدنيا ولا هناك قلب يرحمه ولا من الضرب يمنعه لما قد انكوت منه قلوبهم وما تركه البطال حتى تعبت سواعده وأيقن له أنه شرب كاس مصائبه ثم إن الأمير عبدالوهاب نظر إلى أبو يخلف فقال ياأبو محمد إننى أرى أبو يخلف معكم لاستر الله عليه هذا الديوث فقال البطال مجنون ولا عليه لوم ولا حرج ثم أعاد عليه القصة كيف جرت فتعجب الأمير من سلامة البطال وباس الأرض شكرا لله الملك المتعال ثم أنه أقبل على أبو يخلف وقال له إن أردت أن تنجومنى وتأخذ شمسة التى كأنها القمر فحدث بنى سليم بجميع أحوال عقبة فى بلاد الروم وبكل مارأيت منه وساروا القوم إلى ملطية وكان الأمير عمرو بن عبيدالله لما ركب الأمير عبد الوهاب قد جمع قومه وقال ماأدرى ما أزعج عبد الوهاب إلى بلاد الروم فقالوا أيها الأمير مالنا علم ولقد كان الواجب عليه أن يخبرك بأمره لأنك المقدم ثم شالوا فى هذا وحطوا (قال الراوى) ودخل الامير عبد الوهاب إلى ملطية وعقبة بأسوأ حال فقال عمرو بن عبد الله هذا عقبة بلا شك وفى غداة غد تكون الحكومة هذا وقد انقلبت ملطية لما نظرت بنو سليم إلى عقبة فى ذلك الحال وهو مضروب والدما يخرج من مناخيره وهو رافع رأسه إلى السماء وهو يقول بهذا حكمت وبهذا قضيت لامرد لقضائك ولا دافع لبلائك يامن مقاليد الامور بيدك أسألك خاتمة خير ياكريم يامن هو عليم اللهم صل على محمد عبدك ورسولك الذى بعثته من أكرم العرب ونسل عبد المطلب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وسمعوا بنى سليم ذلك فرجعوا إلى دار الأمير عمرو بن عبيد الله وقالوا أيها الأمير لاصبر لنا على هذا وأنت تعلم أن القاضى عقبة هو ابن عمنا فى يد الأعداء وقد فعلوا به مالم يفعله أحد أبدا ومع هذا فما فعل شيأ يوجب هذا الضرب الذى تراه عليه ولو فعل بنا أحد من الناس دون ذلك فعلنا ما تقتضيه مروءتنا ونحن لاصبر لنا على هذا الأمر فقال عمرو بن عبيد الله اعلموا أنكم ما تقدرون على مقاومة بنى كلاب ولا على ملاقاة السودان وان تكلمتم وقع السيف بينكم وسفك الدما وتغلبون ولا تصلون الى ماتريدون ولا تنالون ماتشتهون ومع ذلك فان لنا مع

القوم حكومة وقد ذكروا أنه يوقفونه غداة غد قدام غمرة وان قالت هذا الذى خاص الماسورين وعلم على فقدى علمنا أن قولها حق وما لنا فى حماية كافر منافق جاحد اذا كان على هذه الصفة فقالوا أيها الامير هذا وأنت أعلم الناس بالاحكام وكيف يقبل قول امرأة لاعقل لها ولاشهادة وكيف يسمع قولها فى تكفير امام الاسلام حافظا لكتاب الله العزيز ويحفظ ثلاثون ألف حديث عن رسول الله ﷺ وأكثر علماء أهل بغداد قد قرأوا عليه العلم ويقرأ القرآن بالروايات المختلفات ويعرف العلوم وكل اللغات ونحن لا نقدر نصبر على هذا ولوها لكنا عن بكرة أبينا ومع هذا فانت أمير الامراء وما ندرى من هو أمير الامراء الاعبد الوهاب ولو كان الك أمر مقبول أو مسموع لكانوا أحضروا القاضى عقبة الى دارك الى أن تحضر الاميرة غمره وتنظر وجهه وتسمع قولها فقال الامير عمرو بن عبيد الله وقد عمل كلامهم معه لقد كان الواجب أن يفعلوا هذا الامر وأيضا لو قالت هذه الملعونة ان عقبة فعل بها ذاك لما سمعنا منها لانها من بنى كلاب وما نامن أن يعلموها وما نقدر نخالفهم فكيف نمكنهم منه وأمير المؤمنين المعتصم بالله قد سير فى طلبه فى جميع الاقاليم والارض فى طولها والعرض وربما جعله وزير خلافته ومدبر مملكته واذا كان ابن عمنا وزير الدوله كنا طيبين ومع ذاك فإنى أكتب للخليفة كتاب ولا يصبح الجواب الا عندنا (قال الراوى) ثم انه كتب كتاب يقول فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم ثم بعد ذلك ذكر ألقاب المعتصم ثم قال فى جملة ما كتب اعلم يامولانا ومن هو مالك رقابنا يا أمير المؤمنين ان البطال وصل هو وغلمانه ومعهم الزاهد العابد الورع القاضى عقبة وهو بأسوأ حال وأقبح صورة ودماؤه تشخب وعبراته تسكب وهو فى القيود والاغلال معذب وضرب السياط لائحه عليه وعلى خواصره والقوم عزموا على قتله وقد ذكرت أن سيدنا ومولانا أرسل إلى جميع الآفاق فى طلبه فلم يعبؤا بكلامى ولادخل فى آذانهم خطابى والرجل فى غداة غد هالك وأنا خايف على مولانا من مالك الممالك وكل راع مسؤل عن رعيته وقد أعلم المملوك بما كان فليعمل أمير المؤمنين ما أراد وكبت الله أعداك والحساد وختم الكتاب وعلقه على جناح الطائر فما أمسى المساء إلا والطير بين يدى أمير المؤمنين المعتصم بالله ففك الكتاب وقرأه فلما علم ما فيه طارت عيناه فى أم رأسه ثم قال وصار هذا الكلب الأسود هو الخليفة يفعل مايريد ويقتل مثل ذلك الإمام العابد الزاهد عقبة فكيف يكون ذلك انه يظن أننى مثل الرشيد بالله مشتغل بالنسوان مولع بالنكاح عن ضرب الصفاح وطعن بالرماح أو يحسب أننى مثل المأمون مشتغل بعلم النجوم ومعرفة العلوم والقضاء بين الخصوم ثم دخل على السيدة زبيده وأعاد عليها القصة فبكت

وقالت أدرك الرجل وإلا هلك واكتب إلى عبد الوهاب أن لا يتعرض إلى هذا الرجل وكذلك لعمرو بن عبيد الله لا يغفل عنه فقال لها المعتصم إن هذين الشيطانين قد جبلا على العصيان وهما أبو محمد البطال والمأمون وأنا أقسم بالله وبالنبي المنتخب سيد العجم والعرب لا أبقيت على أحد من العرب الذين يقال لهم بنو كلاب وأنا أعرف كيف أعمل ما لا يعمله غيري ثم أمر من وقته وساعته أن يكتب كتاب يقول فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فهذا الكتاب بخط يدى لما خطر ببالى إلى الأمراء خصوصا الأمير الأجل سيف المجاهدين ومجمل دولة أمير المؤمنين (الأمير عبد الوهاب) سيد بنى كلاب وذلك أنى رأيت مناما أمرت فيه أن أدخل إلى بلاد الروم على نية الجهاد ولعل الله أن يفتح لنا البلاد ويذل لنا الرقات ونهلك أهل البغى والفساد فان وقع لك خبر الملعون عقبه فى أى بلد كان فى بلاد الله تعالى فاقبض عليه إلى أن أصـــل اليك وآخذه وأحدثك بما صح عندى من كفره وأصليه على باب الذهب كما أمرك النبى المنتخب وأنا فى رأس الشهر الثالث عندك فكن على أهبة من أمرك من إصلاح الزاد والعدد وكلما يحتاج للغزو وقد عولت أن أجعل كرسى الخلافة بالقسطنطونية ثم علق الكتاب على جناح الطائر وكتب كتابا إلى الأمير عمرو بن عبيد الله بالسر يقول فيه أبشر فسوف يأتيك منى ما لا تعرفه من الخلفاء المتقدمين من العزم والقوة والحزم فلا تتعرض لهم فانى قد دبرت النوبة فى كتاب لهم بكذا وكذا فأظهر التوجع على عقبة والسؤال فيه حتى يكون ذلك أوكد فى الأمر ثم ان المعتصم برز إلى العراق ودخل إلى خراسان بنفسه وقد سمعت به العجم فانقلبت الأمم وقالوا يا أمير المؤمنين كنت أرسلت الينا بعض غلمانك حتى كنا نسير اليك وإلى خدمتك فقال المعتصم هذا أمر لا يتم بالغلمان ثم تمثل المعتصم يقول

وما غلظت رقاب الاسد حتى ... بأنفسها تولت ما عناها
ولا تبعث رسولك فى مهم ... فما للنفس ناصحة سواها

(قال الراوى) فلم يبق احد الا وانضاف اليه وقبض على اكثر الولاة ممن كان يعصى على الرشيد والمأمون وطرحهم فى المطامير بالويل والتعتير ثم دخل إلى بلاد الترك والقفجق والديلم والخوارزمية واخلع على الملوك منهم وأعطى الأموال وفتح خزائن البلاد وأخذ ما فيها من الأموال ونادى فى بلاد العجم بالغزو ولم يزل حتى صار فى الف الف وخرج فى أول العساكر وقد حضر ملك الترك وكان له قوس عظيم فلم يقدر احد من الاربعمائة الف تركى ان يوتر قوسه وكان فى أول زمانه يعالج بالصخور والحجارة (قال الراوى) وسار المعتصم إلى أن دخل بغداد وقد خافت منه العساكر ووقعت هيبته فى قلوب السلاطين والبلاد

(قال الراوى) ياساده باكرام هذا جرى واما بنى كلاب والأمير عبدالوهاب فانه لما حصل عقبة فى أيديهم فرحوا بذلك فرحا وما صدقوا ان الصباح يصبح وركب الأمير عبد الوهاب الى دار الأمير عمرو بن عبيدالله ودخل عليه وقال له أيها الأمير الاجل الرفيع القدر والمحل معلوم انى ماابرم امرا الاعن امرك فلايميل بك الهوى وهذا قد كفرو تجرأ على الملك الاعلى وهذا عقبة وأنا أقسم انه اكفر أهل الأرض واكثرهم عتوا على الله تعالى واقلهم منه خوفا وقد قتل من المسلمين مالايقع عليه احصاء فلاتتكلم الا بالحق فى ذلك فان بيننا وبينكم أمرا وهو الأميرة غمرة ابنة عطارد وانتم تعلمون انها ماتعرف الرجل ولا بينها وبينه معاملة ونحن الساعة نحضرها فى وسط الميدان ونحضر شيخا أعورا غير عقبة ويكون أعور فان قالت هو هذا علمنا ان قولها محال وان قالت ماهوهذا تركناه وقدمنا عقبة فما بقى عندى فى أمره شك وان فعلتم غيرهذا علمنا انكم تخسرون بنى كلاب ويقع الحرب بيننا وبينكم ويكون عقبة ميشوم على خلق كثير فقال له الأمير عمرو بن عبيد الله وقد عظم عليه ذلك وكبر لديه ايها الامير ان عقبة له من يرحمه ويطلبه غيرنا وقد كتب أمير المؤمنين المعتصم إلى سائر الآفاق يطلبه ان وجده والآن فافعلوا فيه ماتريدون فيه برأيكم واحكموا فيه بأمركم فسوف نركب إلى الميدان ونسمع ماتقوله غمرة فى حق هذا المسكين الذى هو كل يوم فى بلية فخرج الأمــير عبد الوهاب من عند الامير عمرو بن عبيد الله والكتاب وقع فى يد الأمير عمرو بن عبيدالله بذلك الأمر ففرح بذلك واعلم أكابر بنى سليم ففرحوا بذلك فرحا عظيما واتى البراج بالكتاب الثانى إلى الأمير عبد الوهاب ففتح الكتاب وقراه على بنى كلاب ففرحوا بذلك فرحا شديدا وادعى بالأميرة ذات الهمة والبطال وقرأ عليهم الكتاب فقالوا من الفرح هذاشىء لم يكن لنا فى حساب وكنا خائفين من قتله لاجل أمير المؤمنين المعتصم بالله فقال سيف الحنيفية وضيغم وقشعم والله ماتلتفت اليه ولا نبالى به ولو لم يأتينا الكتاب ماكان لنا بد من أن ندخل إلى بلاد الروم نفعل به ما أمرنا به فى المنام فقال الامير عبد الوهاب معلوم ذلك وقد سهل الله تعالى علينا هذا الأمر من كل وجه ويد الخلافة لاتطاولها يدوقدومه يكون أمكن لنا الانا نفتح مدينة القسطنطونية ونصلبه على باب الذهب فقالت الاميرة مافى هذا شك وخرجت الاميرة ذات الهمة والامــير عبد لوهاب إلى الميدان وخرجوا بنى سليم وسائر الناس جمعا والامير عمرو بن عبيدالله والامير الاشعث وولده عامر وفى قلبه من غمرة البـــلاء وقد حدثته نفسه انه يغتالها فى بعض المواضع ويقتلها وركب الاميرعطارد بن عوف والاميرة غمرة إلى جانبه وكانت

قد وضعت القناع على وجهها بعدان عرف انها جارية وأخرج عقبة هذا وبنى سليم قالوا اما نقبل نحن من كتاب المعتصم ونخاف ان يفرط الامر فيه ولا نقدر نحميه وان شهدت عليه غمرة قتلناها حتى لا تشهد عليه عند أمير المؤمنين المعتصم (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان أكثر العرب متفرقين فى البلاد وكذلك السودان الانجاب وما فى البلد سودان وعرب الادون العشرة آلاف وخرج الامير عمرو بن عبيدالله وقد خرج معه عشرون الف من بنى سليم وقد عزموا على قتل غمرة ان هى شهدت على عقبة وكثر الصياح واخرج عقبة على بغل للميدان وهو مكشوف الرأس وترجلت العرب وقد قبضت على قوائم سيوفها والأمير عبدالوهاب قد اوعز إلى بنى كلاب ان يكونوا على أهبة لانه قد أحس بالشربة وتقدمت الامـــيرة غمرة ونادى المنادى أيتها الاميرة انتى واقفة بين درجتين اما إلى الجنة واما إلى النار فلا تقولى الا الحق (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الاميرة غمرة لما عاينت إلى ذلك وإلى عقبة عرفته بلا شك ولاريا وأشارت إلى الناس ان اسكتوا الجمـــيع عن ذلك فبدا عقبة بالكلام ونادى معاشر العرب الكرام معلوم انى ما أبالى ان دخل الموت على أو خرجت عليه لانى قد كبر سنى ونحل جسمى ودق عظمى وما بقى للحياة عندى قدر ولا قيمة ولا لى حاجة فيها ولكن أسفى على أقوام يشهدون على خطيئتى وأكون أنا السبب فى ذلك وهذا كله من الشيطان أبو محمد البطال وهو الذى أخذنى من جبال بيت المقدس من مقام إبراهيم الخليل عليه السلام لأنى كنت طلبت العذلة فأتى إلى وأخذنى وأتى بى إلى بلد الروم حتى يشنع عنى أنى كنت عند النصارى وبينى وبينه وقفة بين يدى الله عز وجل (ياسادة) فعندذلك أحضر البطال أبو يخلف على أن يقول له تكذب فخانت منه التفاتة فنظر إلى شمس الحنيفية ابن قراقونا زوج شمسه وكان فى تلك الساعة قد وصل من قرية كان الأمير عبد الوهاب أقطعه إياها فلما ان رآه عرف ان البطال قد تلاها به ولعب بعقله فقال أبو يخلف يا أبو محمد تكذب وحق الصديق كنا كلنا نزور إبراهيم الخليل فأخذتنى وأخذته وقلت لى اشهد عليه بالكفر ونحن نعطيك شمسة وأنا ما أبيع الآخرة بالدنيا الساخرة ثم وثب إلى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال ياأمير أنا مستجير بك فقال له الأمير عمرو وصلت ياشيخ وقد أجرتك من كل من على وجه الأرض وما عليك خوف بعد ان قلت الحق ثم أقبل على الأميرة غمرة وقال لها ما تقولين فقالت وما عسى ان أقول اقسم وحق من خلق السبع الطباق وقدر الآجال والأرزاق هذا هو الشيخ الذى جرى على منه ماجرى من المكر والنفاق فضحك عقبة وقال هذا هو الجهل الكلى ان يسمع كلام ذات حيض فى مثلى وأنا أعلم

ان ذلك من قبل أعداء فافعلوا مابدا لكم فقد قال من لا يخشى ريب المنون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك وبنو سليم قالوا نحن ما نفعل ذلك حتى يأتى أمير المؤمنين وننظر مايكون منه فقال الأمير عبد الوهاب دعوا عنكم هذا الكلام فهذا كتاب مولانا الخليفة قد وصل إلى وهو يأمرنى ان أطلب عقبة ويعلمنى انه قد صح عنده كفره وهو قد عول على الدخول إلى بلاد الروم وصلبه على باب الذهب ثم أنه رمى الكتاب إلى الأمير عمرو بن عبيدالله فأظهر التعب والانكار وأقبل على بنى سليم وقال لهم الأمر لأمير المسلمين إلى ان يصل الينا ونحتكم بين يديه فان كان قد صح عنده كفره فما فينا من يطالب تاره وكلنا نريد قتله إذا كان منا منافقا على الله ورسوله (ياسادة) فاغمدوا سيوفهم ورجعوا إلى بلدهم وأبو يخلف معهم وقد سأل الأمير عمرو بن عبيد الله فيه لعبد الوهاب فأجابه وسمع فيه شفاعته وقال مانتعرض له لأنه كان السبب فى خلاص صاحبنا البطال وهو مجنون ماعليه حرج وان شمسة قد اخذت عقله وضيعت عليه دينه وقام الناس ينتظرون وصول امير المؤمنين المعتصم حتى وصلت النجابة الى ملطيه ودخلوا على الأمراء وامروهم بأخذ الأهبة واعداد الضيافات ويخبروهم ان المعتصم قد خرج من العراق بعساكر تملأ الآفاق بالتراس الدقاق والحرب الرشاق والسيوف الرقاق والرماح الدقاق وقد انضاف اليه عساكر العراق والجزيرة ووصلت عساكر الشام وديار مصر والمغرب وخراسان وقد طير الطيور الى اليمن والحجاز باجتماع العرب وسير الى الجبال يطلب الأكراد

(قال الراوى) وسار المعتصم يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل الى آمد وفيها ميمون الجماس فلما وصل اليه المعتصم احضر أرباب دولته وقال لهم من أول نفاق عبد الوهاب أنه أخذ هذه المدينة العظيمة وجعلها مع أصحابه السودان وطلبها الرشيد والمأمون فلم يسلمها لهما وما كان لهما من الهمة أن يعرفا كيف يأخذوهامنه وسوف ترون العجب (ياسادة) وخرج ميمون الجماس الى المعتصم وقبل الأرض بين يديه وقال يامولانا ما سبب هذه الحركة فقال نريد ان نفتح بلاد الروم ان شاء الله تعالى ونجعلها دار الاسلام وننصب فيها المنابر ونبنى المساجد والجوامع والمشاهد ونذكر فيها الملك الواحد على رغم أنف كل كافر وجاحد وقد رأيت من الرأى ياميمون ان تشهد معى هذه الغزوات وانما لا يصلح فى المقام بالحصون الا الشيوخ وانت بطل معروف وفارس مشهور ثم خلع عليه ففرح بخلعة المعتصم وقال يامولاى لقد شرفتنى على أبناء جنسى فما الذى عولت عليه فقال يكون هنا حصان التركى نائبك فى بلدك إلى أن تقدم من الغزو

إن شاء الله تعالى ثم تعود إلى موضعك من قبل عماد دولتنا سيف المجاهدين الأمير عبد الوهاب الكلابى (ياسادة) وكان هذا من المعتصم خـــديعة حتى يأخذ آمد من عبد الوهاب كى لا يبقى له مكان يأويه ولا موضع يعتمد عليه ولم يعلم باطن هذه القصة ميمون الجماس ولا أحدا من الناس (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان المعتصم ولى حصان التركى ومعـــه عشرون ألفـا من الأتراك أبطال شجعـان فدخلوا إلى آمد وملكوا القصر وخرجت السودان مع ميمون الجماس وغيرهم من العرب والاكراد وقدم لهم المعتصم السماطات وخلع عليهم ثم ان المعتصم رحل إلى ان وصل إلى حصن زياد وبقى بينه وبين ملطيه يوم واحد وخرج الأمير عبدالوهاب وذات الهمة وسائر بنى كلاب وبنوسليم بالأمير عمرو بن عبيد الله وساروا إلى لقاء المعتصم حتى وصلوا اليه فقبلوا الأرض بين يديه وكان اللقا فى الطريق فصاحت بهم الحجاب أن اركبوا فركبوا وسار المعتصم فى تلك العساكر والأمم التى ما اجتمعت قط لخليفة قبله ففرح بذلك الأمير عبد الوهاب وقال الأمير عبدالوهاب يا أبو محمد وذمة العرب بهذه العساكر يفتح إن شاء الله وتعود الدنيا حنيفية وتدمر الملة المسيحية فقال البطال يكون ذلك ان شاء الله تعالى ولكن ياعبد الوهاب قدخفق قلبى من المعتصم وأنا خائف عليك منه فقال اسكت بهذا الكلام فانه ماسار بهذه العساكر العظيمة إلا وهو على نية خالصة وقد هتك الله سترعقبة عنده حتى ينجز وعده (قال الراوى) ياساده ياكرام ونزلت العساكر وملأت الارض فى طولها والعرض وخلع على الامراء ثم أقبل على الامير عبدالوهاب وقال له يا أمير ما عندك من أخبار عقبة فقال يا مولانا جرى من أمره كذا وكذا وأعاد عليه القصة بأسرها فقالوا بنى سليم يامولانا هذا كله محال ولا يصدق عليه كلام الشيخ الرفيع القدر والمحل القاضى عقبة عند ذلك أمر المعتصم الحجاب أن يصيحوا على بنى سليم وقال لا يتكلم منكم أحد فاضرب رقبته فان هذا الامير عبد الوهاب ما نعلم منه الا الصدق وكذلك الاميرة ذات الهمة فصاحت الحجاب من مثلك ياعبدالوهاب ثم قال المعتصم وأما الاميرة ذات الهمة التى لها على أبائى الخدم فى سائر الآفاق فباس الاميرعبدالوهاب الارض وكذلك ذات الهمة فصاحت الحجاب من مثلك ياأمير عبد الوهاب ومولانا أمير المؤمنين يثنى عليك فقال نعم قد سمعنا فى قول العلماء اذا سمعتم المولى يمدح عبده فاعلموا أن المولى كريم ولا أحد أكرم من أمير المؤمنين فى عصره كيف وأنت أمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين ﷺ أعز الله مولانا أمير المؤمنين بالدنيا والدين وقمع به المشركين فشكره المعتصم وقال أيها الامير قد عزمنا فى رأس الشهر على الرحيل الى بلاد الروم وقد بقى سبعة أيام ثم أمر

ان يخلى له الحمام الذى فى البلد فأخليت ودخلها وخرج منها الى دار الخلافة وهى بنيت لاجل نزول الخلفاء (قال الراوى) ياساده يا كرام وان المعتصم قال للامير عمر بن عبيدالله وخواص أمرائه ورتب تلك الليلة ان يقبض على الامير عبدالوهاب وأمراء بنى كلاب ممن يخشى مكانه وأمر ان يرسل الى القرى ويقبض من فيها وأمر الاتراك مع بنى سليم فلما تنصف الليل أرسل يطلب الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمه وأرسل الى دور الامراء وكان كل من أتاه رسول المعصم يأتى سرعه (ياساده) وكان البطال عندالامير عبد الوهاب لما جاءه رسول المعتصم ودعاه فقال البطال قل له سمعا وطاعه فاذا مضى دعنى أنا أسبق فان رأيت قد جاء لى رسول بأخذى فاخرج أنت من ملطيه بالكلية ومن سهل الله معك فخذه واقبل نصيحتى فوالله لقد رابنى ذلك المدح العظيم وهو ذم وقدنفر قلبى من ذلك وما هى إلا لمصيبة فقال الأمير سبحان الله يا أبو محمد مالك قلب سليم فقال البطال اسكت فقدقالت الأوائل إذا كان الغدر طباع فالقه بكل أحد عجز فهو فى الكلام واذا ببعض الحجاب قد دخل عليه وقال أيها الأمير بغلة النوبة من مولانا أمير المؤمنين قد وصلت لتركب عليها فوثب قائما وقال ياأبو محمد لايخطر ببالك إلا الجميل ثم أنه خرج فوجد بغلة النوبة فلم يركب وقال لو مشيت على رأسى لمولانا أمير المؤمنين لكان أشرف الأشياء على وأجلها لدى وكذلك قالت الأميرة ذات الهمة (ياسادة) فما وصل الأمير عبد الوهاب إلى الخليفة إلا والمعتصم قد قبض على سائر الأمراء من بنى كلاب وأولاده الجميع وما عنده خبر حتى صار هو والأميرة ذات الهمة قدام المعتصم وقبلا الأرض ووقفا ينتظران الاذن فى الجلوس فلم يأذن لهما وقال وأين القاضى عقبة أريده الساعة فقال الأمير سمعا وطاعة فقال لا ياعبد الوهاب كانك أنت الخليفة تقبض على من تريد أذاه ويلكم خذوه فتولته خمسمائة من الأتراك فقبضوا عليه وكذلك فعلوا بالأميرة ذات الهمة عند ذلك أيقن الأمير عبد الوهاب أنه هالك ومضوا الغلمان وكذلك الأمير عمرو بن عبيد الله معهم وأتى بالقاضى عقبة وهو بأسوا حال فلما تمثل بين يدى الخليفة ونظر اليه جعل يستغيث ويقوم ويقعد ويقول بالله يا أمير عبد الوهاب اتق الله فى حق ذمة الاسلام ودعنى ولو شهر واحد لعلى ان أرى مولانا أمير المؤمنين المعتصم فاذا رأته افعل بى ماتريد بعد ذلك فلما رآه المعتصم بذلك الحال وسمع منه ذلك المقال بكى بكاء شـــديدا وبكى كل من كان حاضر عنده وقال مسكين القاضى عقبة قد خل وما بقى يعرف أحد ثم أنه وثب اليه بنفسه وقال ياقاضى أنا ولدك المعتصم وما جئت إلا من أجلك وها أنا وها عبد الوهاب وجميـــع أعدائك من بنى كلاب أضرب

منهم فى هذه الساعة الرقاب (ياسادة) فلما سمع عقبة ذلك الكلام صاح ووقع مغشيا عليه كالميت مافى عينه قطرة وظنوا أنه مات ولم يزل الى أن مضى من الليل أكثره وظنوا أنه لحق بربه وقضى نحبه ثم أفاق وقال ماهذه الا أضغاث أحلام (ياسادة) وان البطال لما أبطأ عليه خبر الامير عبدالوهاب طلب الإذن فى الدخول على الملكة ميمونه فخرجت اليه وقالت له ماحاجتك أيها الامير فقال لها الساعة يقبض على الامير عبدالوهاب لامحالة أو يكون قبض عليه وما أتى المعتصم الى ههنا بنفسه الا وقد انقرضت دولة بنى كلاب فاطلبى لروحك النجاة لعلكى أن تخلصين بعض الاسارى ثم خرج البطال يطلب لنفسه النجاة وثيابه تحت ابطه فأدركته الرجال وأخذوه ووقع فى الناس الصوت فخرجت بنو كلاب منهزمة وقد أخذت ساداتهـا وأمرائها وخرج الامـير عطارد بن عوف والملكة ميمونة وكانوا سودانهـا كلهم حاضرين بين يديها وانضافت لها بنو كلاب والامـــيرة غمرة ابنة عطارد فى ألف فارس كالليوث العوابس ولحقتها نورى زوجة البطال والقناصة وعلوى وأما الأشعث وابنه عامر فانهما أقاما لان الامير عمرو بن عبيدالله كان قال لهما مازهد الامير عطارد وغمرة فيكما الا عبـد الوهاب لانه طلب غمرة لولده ظالم وأما ميمونة فانها قالت لقومها اعلموا انثان ان أقمنا هلكنا من هذه العساكر والكثرة تغلب الشجاعة واذا كان قرب الصباح اطلبوا النجاة لانفسكم الى بلد الروم ففعـلوا ذلك وأصبحت ملطية خاوية على عروشها من بنى كلاب والسودان الانجاب وكانوا قد أخذوا أمراء السودان جميعها مثل أبو الهزاهز وسملق وقراقد وولده قرقود وغيرهم

(ياسادة) وان المعتصم لما أصبح الصباح خرج الى ظاهر ملطيـة وقال لعمرو بن عبيد الله كيف رأيت هذه العزيمة التى لا كان الرشيد ولا المأمون يعرفانها ولا يعلمانهـا فقال يامولانا هكذا تكون عزيمة مثلك وفرحت بنى سليم ثم ان المعتصم أحضر القاضى عقبة وقال له ياقاضى قد أعطيتك السيف وخصومك ان شئت أن تضرب رقابهم فافعل ما بدالك فقال عقبة معاذ الله يا أمير المؤمنين أقسم بالله عز وجل لو ذبحوا لى مائة ولد وقالوا لى فى مقابلة ذلك أدع على من فعـل بك ذلك مافعلت من رقة قلبى وكيف أرى هذا فى دينى أن أقتل رجلا منهم ولكن العفو عنهم أجمل فقال الخليفة هكذا يكون اعتقاد المسلمين ثم أنه ادعا بالحدادين وعمل القيود فى أرجل عبد الوهاب وذات الهمة وأولاده وكذلك البطال ومائة أمـير وكتب على قيودهم مخلدين واقسم أنه لايفرج عنهم أبدا وقال ما أريد قتلهم لما سبق لهم من الخدم ثم أنه ادعا بالملك آت ملك الترك وضم له مائة ألف وقال له أوصل هؤلاء الى بغداد وكتب معهم الكتب الى نوابه أن

اطرحوهم في دار الدم وهي مطمورة في دار الخلافة مادخلها أحد قط وعاد رأى الدنيا وقد قبضوا عليهم الخلفاء مرارا ولم يدعوا أحدا منهم فيها ثم قال للملك آت واذاوصلت الى بغداد ارجع الى بلادك فهى خالية وما لها من يدبرها وما نأمن من خارجي يخرج عليك فقال سمعا وطاعة ثم ان المعتصم أمر بالرحيل الى بلاد الروم وقال فى نفسه لايقولوا الناس انى دخلت الى ههنا بهذه العساكر الا لاجل هذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم الذى لاقدر له ورفع منزلة عقبة وسلم اليه أمور الدولة (ياسادة) وكان برق بن رياح فى البلد اعله يسرق الامير عبد الوهاب وانه لما سمع ذلك خرج من العسكر فلقيه لؤلؤ غلام البطال وسأله عن القصة فقال قد جرى من الامر كذا وكذا وإنى أريد أن ألحق الملكة ميمونة وأعرفها ثم أنه لحقها وعرفها فلما سمعت ذلك قالت لرجالها دعونا من المسير الى بلاد الروم وسيروا بنا إلى أرض الرقة حتى يأتى الملك آت ملك الترك بالامراء ونخاصمهم فقالوا الرجال الامر اليكى ثم أعرضت من معها من الفرسان فكانوا ثلاثون ألف سوى سودانها خمسة آلاف أسود وسارت تقطع الارض على غير الجادة وملابط البغال قدامها وهو يقول أقسم لو كان المعتصم وجميع من معه من العسكر الذى فيه الامير عبدالوهاب لارمينا نفوسنا عليهم وكان برق بن رياح قدرجع وسار فى عسكر آت اعله برزق غفلة وقد علم أن لؤلؤ فى العسكر وسائر غلمان البطال وان ميمونة لم تزل بجدة فى سيرها حتى وصلت إلى أرض نصيبين وقد سبقت القوم بيوم وليلة ففرحت وأراحت ذلك اليوم وليلة وسارت فكانت وقت الظهر على برقميد والعسكر عليها ووقع الصياح وعرفت الترك أعلام بنى كلاب والسودان الانجاب فركبوا وركب الملك آت واستقبلوا عسكر الملكة ميمونة وطمعوا فى أخذهم وتصايحت الابطال احملوا فان قتال الاتراك قتال غنيمة وان نحن توانينا بطحوا خيولنا بالسهام فاحملوا عليهم حملة رجل واحد فاذا صرنافى صدورهم بطل حكم النشاب فصاحوا يا آل كلاب يا آل كلاب وحملت السودان الانجاب واختلط الفريقان وطارت الرؤس من على الابدان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الملك آت قتل من السودان أربعة وأدركته الملكة ميمونة بطعنة فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وكرت السودان فى وجوه الاقران وبربرت الحبشان وارتفع الصياح وعملت الصفاح حتى فرشوا الارض بالقتلا وبلى عسكر المعتصم بأنواع البلا ووقع عليهم بعد قتل ملكهم الخذلة فولوا منهزمين وتبعتهم السودان وأخذوا أموالهم وخيولهم وأثقالهم وكان انهزامهم نصف الليل لان القتال تم يعمل إلى ذلك الوقت وأقاموا السودان وبنو كلاب إلى الصباح وانهم قدموا الاسارى ليفكوا

قيودهم وإذا هم بغبار قد ثار حتى ملا الاقطار وقد أزعج سائر الافطار وخيل لهم ان الدنيا قد انقلبت فصاح البطال عجلوا بكسر قيودنا يا أولاد العواهر قبل ان تأتيكم العساكر ومالا يمكن به من طاقة فقالت الملكة ميمونة لا بأس عليك وسوف نفك قيودكم يا أبو محمد ولكن لابد ما أعرف المعتصم شوم هذه النوبة إذا تركت البلاد العامرة خراب ينوح فيها البوم والغراب ويعلم ان ميمونة لاترعى له جناب اذ فعل معنا هذه الفعال من غير ذنب ولا أسباب وان عاد عبد الوهاب إلى خدمته فهو يكون من عدم مروءته ثم أشارت تقول

ألا أيها العاقل المحترم وحق النبي الشفيع فى الامم
وحق الذى كان من ربه على قاب قوسين فهو العلم
لاقتحمن الوغا سرعة واضرب أعناقهم والقمم
ولا أرهب الجمع فى عظمة من الترك فى خيلها والعجم
ولا أسمع القول من قائل ولا بد من قتلة المعتصم
وأحمى الحريم وأولادهم واترك حيهم يحترم
وخلفى من السودان مثل السباع ولونهم مثل لون الظلم
لهم همة فى مقام الحرب تزيد على عاليات الهمم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فما فرغت من شعرها حتى قرب الغبار واظلم النهار وأطبقت الخيل كانها قطع الليل واسودت الأفق واستدت الطرق واظلم الجو ولاحت غبرة أخرى يمين وغبرة أخرى شمال وغبرة من قدامهم وغبرة من ورائهم (ياسادة) وان البطال ذل عقله لما رأى هذه الغبائر فصاح ياملكة دعينا من الاشعار واكسرى قودنا سرعة فما هذا الأمر عظيم وخطب جسيم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك الغبار ان الملكة ميمونة لما عبرت على الرقة أنكر صاحب الرقة حالها وكان من بنى سليم يقال له مالك بن أبان السلمى فكتب إلى الأمير عمرو بن عبيد الله يعرفه بذلك فأوقف عليها المعتصم فقال عقبة خلص عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وسوف يخربون البلاد ويشتتون العباد فقال عمرو صدقت ياقاضى ولئن خلص عبد الوهاب يحل بنا العذاب ويجيش الجيوش من أرض الحجاز واليمن ومعه ميمونة تدخل إلى بلادها وتجلب كل من فى أرض الحبش وكذلك الهدلموس فقال المعتصم هذا أمر ما أبالى به ولو هربوا إلى أقصى الدنيا أخذتهم ولكن كنت قصدى أدخل الى بلد الروم نخلى دخولها فى هذه السنة ونلحقهم أينما كانوا وان كان الأمر صحيح ولحقتهم السودان وبنو كلاب فأنا طيب القلب بان آت يزيد أهل

الأرض ثم انه فرق عسكره أربع فرق وأمرهم بالجد فى المسير حتى لاتفوته ميمونة (ياساده) وكان ميمون الجماس لما وقع الصياح هرب أيضا ولحقته طائفة من الأكراد والسودان وجماعة من البلاد الى ان صار فى عشرة آلاف فارس فطلبوا آمد فلم يفتح لهم حصان التركى الذى تركه المعتصم فى البلد فندم ميمون الجماس حيث لاينفعه الندم وقال مالى أن أقصد الجزيرة لعلى أجد موضعا يحمينى إذا طلبت وسار يقطع الأرض ساعة وقد شرف عسكر المعتصم من سائر الجهات ووقعت العين على العين وان ميمون الجماس لما نظر الى الدنيا وقد انتشرت بالعساكر بقى حائر مايدرى أين يروح ثم التف فرأى أعلام ميمونة وعسكرها ففرح فرحا شديداً ثم انه قصدهم وسألهم فأخبروه بخلاص الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) وفكوا قيد الأمير عبد الوهاب والأميرة وسائر الامراء ووصل المعتصم كما ذكرنا ووقف فى مقابلتهم وكان الامير عمرو بن عبيدالله قدفور الارض وظهر من بين أيديهم فى ثلاثين ألف فارس من بنى سليم وعسكر الأمير الأشعث وولده عامر وهما مغتاظين على الأمير عبدالوهاب وقد داخلهم قول الأمير عمرو بن عبيدالله فى حقه وأيقنوه صحيح وكان المعتصم قد اجتمع بالمنهزمين من عسكر آت وسألهم عن حالهم فقالوا يامولانا الامر عظيم والخطب جسيم لانهم أقوام سودان كانهم جن سليمان وقد قتلوا الملك آت واصطادوا الأبطال وقتلوا الافيال فعظم ذلك على المعتصم (قال الراوى) وأحدقت العساكر بعساكر ميمونة من كل جانب ومكان ولم تزل الناس تتقدم حتى صار نصف الليل وكان عند المعتصم جماعة لم يعجبهم هذا فى حق الأمير عبدالوهاب من جملتهم جوهر ومسرور ومن يجرى مجراهم لكنهم لايقدرون على الكلام ولم يزالوا كذلك إلى أن طلع الفجر ولم يركب المعتصم بل انه فى سرادقه وقد أهمل أمر الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب وما على قلبه من ذلك الا انه أمر بعض العساكر بقتالهم وانفرد لهم ثلثمائة الف مع الامير عمرو بن عبيدالله وركب عن يمين عسكره مائة الف وعن يساره مائة الف واصطفت الصفوف وازدحمت الالوف وصف الأمير عبدالوهاب أصحابه وهو يقول ياقوم كيف ترون هذه النوبه على هذا الحال فقالوا أيها الأمير مالنا طاقة بهذا العالم العظيم والصواب أننا نصدم هذا العسكر الذى بين أيدينا بجملة واحدة ونخرقهم إلى الجانب الآخر ونطلب النجاة لانفسنا ثم بعد ذلك نجمع الجيوش من الاقطار ونخرب هذه الديار فقال الأمير عبدالوهاب مافى الأمر غير هذا ولكن العساكر قد أحدقت بنا وان نحن ثبتنا بين أيديهم أكلونا فى هذا النهار من كل جانب ويطمع فينا كل أحد والهارب مطموع فيه ولكن ادفعوا عن أنفسكم بالمبارزة واقطعوا نهاركم واذا انسدل الظلام اندفعنا فى غيهب الدجا إلى حيث

يسهل الله تعالى علينا ذلك فقالوا صدقت أيها الأمير (قال الراوى) فهو معهم فى الكلام واذا بفارس قد خرج من عسكر الأمير عمرو بن عبيد الله وكان ذلك الأشعث الكلابى أخو الأمير عطارد وصاح فى جواده فخرج من تحته كالبرق الخاطف أو السحاب الواكف وعليه درع داوودى وبيده سيف هندى ورمح خطى وترس مكى والجواد عربى ولم يزل سائر حتى قرب من صف الأمير عبد الوهاب ونادى يا ابن الحارث لقد ظهر قبيحك وبان شنيعك لانى قد أتيت اليك وقصدتك وللفضل فما وجدتك وفى غمرة وفدتك وأنت تريدها لظالم ولدك وان كان ولا بد فاخرج الى أو يخرج ولدك ظالم إلى ولدى عامر ليعلم أينا أقوى ساعد وأجرى جنان فى مقام الطعان والجولان فهرق دمك بعد ما أجله الأمير المعتصم فاخرج حتى أذيقك حتفك وألوح قحفك فعندها نادى الأمير عبد الوهاب أصحابه وقال ياقوم أليس هذا الأشعث الكلابى قالوا نعم أيها الأمير ولقد قال انك طلبت غمرة لولدك ظالم فقال الأمير حاشا الله أقسم بالله ما كان ذلك أبدا ولقد طمع فينا كل قليل الدين وبعد هذا فانا متوكل على رب العالمين وها أنا خارج اليهم إلى الميدان وهم أن يخرج اليهم فسبقه الأمير عطارد وحمل على أخيه الاشعث وكان الاشعث فارس شديد وبطل صنديد فاخذه فى أول الميدان ولم يدعه يجول معه فى أول الجولان فخرج اليه فارس آخر واذا به الأميره غمرة فنادت برفيع صوتها ياعم يامن له الهم والغم اطلق سبيل الأمير عطارد والا وحق الملك الواحد الذى هو ممجد ماجد نكست عمامتك بين الاقران وفضحتك بين الشجعان فلما سمع الاشعث كلامها قال لها ويلك ماالذى زهدكى فى ابن عمك وهو البطل المعروف والشجاع الموصوف فقالت لاتطيل الخطب ولا تكثر العتب فهذا مالا يكون أبدا فعندها حمل عليها وحملت عليه وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ساعة وانقشع عنهما الغبار واذا بها تقود عمها الأمير الاشعث فقال لها اطلقينى وأنا أطلق لكى أبوكى فقالت اطلقه أنت فى الأول فصاح الاشعث بقومه ياويلكم اطلقوا عطارد فاطلقوه فعندها أطلقت عمها الاشعث فلما نظر الأمير عمرو بن عبيد الله إلى ذلك قال لقومه احملوا عليهم فما لكم فى مبارزتهم من طاقه وأكب رأسه وحمل وتبعته بنى سليم وأطبقت عليهم القوم من كل جانب وتمكنوا منهم القواضب وعملت الصوارم فى الجماجم وشوشت العمايم ونحرت الرجال كما تنحر البهائم ووقع بالجبان الخبل واشتد الوجل وعظم الأمر وضاق الصدر وكثر الشر وانفصلت العساكر وطلبت الراحة عندها ركب المعتصم فى تلك العساكر التى لاتعد ولا تحصى وضربوا صفوفا حتى ملؤا البقاع وأقبل

على قبائل الترك والعجم ونادى يامعشر الناس أنتم فى هذا الجمع العظيم ومالكم طاقة بقتال رجل وامرأتين فان أنتم قهرتموهم فوحق البيت العتيق لاعطين هذه الأموال لكم فقالوا يامولانا من هم المرأتين والرجل قال أسود بنى كلاب وذات الهمة وميمونه وأما غيرهم فلا نبالى بهم فلو اننا حملنا عليهم أفنيناهم بحوافر الخيول والدواب ولكن ماأريد أن يقال ان عسكر الخليفه جمعه قد حمل على شرذمة قليلون فما الذى أترك لقتال الاعداء

(قال الراوى) هذا وقد صاح المعتصم عليهم فخرج من العسكر ألف بطل كل واحد منهم يقول أنا للجميع وكان أحدهم يقال له كرمان لانه ملك الديلم صاحب كرمان وكان يضرب به الامثال والآخر يقال له شكرنا بن بادمان وكان مارمى سهما وأخطأ والآخر من العرب الخثاعمة يقال له فاتك بن مهلهل وهو سيد بنى خثعم وكان أطعن أهل زمانه وكل منهم يقول أنا للكل فقال المعتصم لا بل يخرج كل واحد منكم إلى واحد منهم فقالوا سمعا وطاعه هذا وقد وقف المعتصم والمظلله على رأسه وقد طلبت نفسه القتال والنزال لأنه كان من الشجاعة بمكان عظيم هذا وعقبة إلى جانبه يقرأ القرآن وهو يقرأ هذه الآيات (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) وهو ينادى زادك الله شرفا يا محمد ويقول لقد كان ﷺ يتولى الكفار ويجاهدهم بروحه هذا وقد خرج الثلاثة فوارس فقال البطال هؤلاء ثلاث فوارس وهم أبطال الأرض فعندها صاح الأمير بجواده فخرج مثل البرق الخاطف وكان عليه عدة كاملة فمال اليه ملك الترك وقد وضع السهم فى كبد قوسه هذا ولما أن نظر عقبه إلى الأمير عبدالوهاب فقال حتى يسمع المعتصم يالك من فارس محتشم إلا أنك ماترى فى هذه الدولة العباسية شىء (قال الراوى) هذا وقد خرجت الأميرة ذات الهمة على جواد أصفر مليح مضمر وبيدها رمح من عمل سمير وحملت وهى تقول :

ألا فاعرفونى إننى بنت مظلوم　　صبورة قوم فى مقام المعارك
أصول على الأقران صولة ضيغم　　وأطعنهم طعنا كطعنة فاتك

(قال الراوى) وقد ذكروا عن هذا فاتك إنه كان يطعن بمطعنته الحمل الرمل يرفعه على رمحه هذا وقد حمل على الأميرة ذات الهمة وهو ينشد ويقول :

أذاهمـــة جتك المنية سرعة　　معجلة والله من كف فاتك
فدونك منى طعنة تصبحى بها　　طعاما لوحش البر عند الدكادك

(قال الراوى) فلما أن سمعت الأميرة ذات الهمة شعره فعرفته بالسماع عنه لأنه كان فى جبال عمان مع الاكراد فى عالم عظيم مثل الجراد ولم يخدم أحدا من

الخلفاء ولا دخل تحت طاعتهم إلا هـــذا المعتصم فلما أن سمعت الأميرة شعره فأجابته تقول :

أيا فاتكا رفقا فإنك هالك ... وإن كنت طمانا برمح المهالك
دع الحرب ياهذا فإن الحرب سهلة ... فدونك حربا مثل وقع السنابك
ستضحى صريعا من حسام هزبرة ... وتبكى عليك البوم وحش المعارك
لتعلم أنى لست أخشاك طاعنا ... وأنت حقيرا فى عجاج المسالك

(قال الراوى) ثم أنها حملت عليه وحمل عليها هـذا وقد خرجت الأميره ميمونة وهى تجر قناتها وقد مال اليها كردمان وحمل عليهـــا ولم يتـكلم وهذازى الديلم لأنهم لايحبون الكلام الكثير هذا وقد تصادمت هؤلاء الستة أبطال تصادم الجبال فى صور الرجال وزحفت اليهم الخيل حتى قاربتهم وضاق عليهم المجال حتى ينظرون اليهم الناس ويشاهدون هـذا وقد زحفت أيضا أولاد الأمير عبـد الوهاب وكذلك البطال وسائر الأمراء والأبطال فقال إنى أخاف أن يظفروا أصحابنا على أصحابهم فينطبقوا عليهم عسكر المعتصم فكونوا على أهبة وأصدموهم بصدمة فقالوا سمعا وطاعـة ثم جرد سيفه ظالم وضيغم وسيف الحنيفية وقشعم وأبو الهزاهز والأميرة غمرة والقناصة وسائر الأمراء وقد ضاقت الحلقة عليهم وكادت الاسنة تصل اليهم وكان خصم الامير عبدالوهاب قدلبس درعين وفى يده ترس حديد صينى خوفا من حسام الأمير عبد الوهاب وقد ضايقه حتى بطل حكم قوسه وقد تضاربوا بالحسام والدرق وجرى بينهما العرق وعظم القلق وطارت السيوف من أيديهم ولم يبق منها غير المقابض فتقابضوا بالاطواق ومر بهما قوة الجوادين وحيل الساعدين لجذبه الأمير أخذه من سرجه وقد كبر فأجابته الأميرة ذات الهمة وقد علقت فاتك وهو فى يدها كأنه جمل بارك فأجابتها الملكة ميمونة بوجهها الادهم وقدضربت ملك الديلم على هامه طيرت رأسه أمامه (قال الراوى) فلما نظر المعتصم الى ذلك أشار بالحملة من شدة الحنق وقد زاد بهم الهم والقلق وأحـدقوا بهم كاحداق البياض بسواد الحدق فصاح البطال هلك الامير المجاهد والبطل المجالد وهلكت معه الاميره والملكة ميمونة فعندها حملوا الابطال الاقيال وقد كشفوا الرؤس ونادوا بالملك القدوس هذا وقد حمل ملابط البغال والهدلوس هذا وقد نظر المعتصم إلى الابطال وحملتهم فقال يالها من مذلة عليكم وفضحية لديكم أن تكون نحو ألف ألف وخمسمائة ألف مافيهم من يقوم مقام هؤلاء الابطال وأنا أعلم أنهم يضيعون فى كثرة الفوارس ويهربون فى ظلمة هذا الليل الدانس ولايكون لكم اليهم سبيل ويدخلون البرية ويجمعون العربان ويخربون الرستاق

والبلدان فقال عقبة لعمرى يامولاى لقد صدقت (قال الراوى) فعندها انتخت سائر العساكر وقد حملت عساكر خراسان وفم الضح وحلوان والصين وعبدان وقم وقاشان ودورق وسجستان وديليان وما وراء النهر إلى بخارا واندران وقد حملت أجناس الترك وعساكر العراق وبجمعة الآفاق والتركمان والاكراد والعرب وعساكر البلاد وكانت أكثر هذه العساكر مقصودها الأسر وقلة سفك الدماء الا بنو سليم فانهم اعتمدوا على كلام قاضيهم عقبة لعنه الله تعالى وابتلاه بألف نكبة فى تحليل دماهم وبذلوا السيف فيهم هذا وقد عملت الصوارم فى الجماجم وقطعت العلاصم وبريت الاكف والمعاصم ودارت رحات الحرب وأضرمت النيران فتزايد الطعن والضرب واضطرمت الأرض بجنباتها وانقلبت وأيقنت الناس بهلاكها وانصبغت الأرض من دماء ساداتها وجالت الخيل بركابها وعترت الخيل برؤس ساداتها وأيقنت الجموع المجمعة بشتاتها وحميت الشمس على الرؤس وأخذت الأسنة حياة النفوس وكان يومهم يوم عبوس هذا وقد هدر الملك الهدلموس وقد نظر المعتصم إلى القوم وقد أقاموا على قتالهم وكلما استراح عليهم جيش زحف إليهم جيش غيره وهم على أعظم شيء يكون وهم على البلاء صابرين فأخذته النحوة الهاشمية والحمية العباسية فكشف رأسه فنزلت ذؤابتيه وقد ترجل إلى الارض فترجلت الترك وكانوا مثل الجراد وأوتر المعتصم قوسه وضرب بعض الخيل بسهم فوقع ففعلت الترك مثل فعاله (قال الراوى) هذا وانهم قد أرموا عشرين ألف سهم فى عشرين ألف فرس فرموها كلها إلى الارض وقد وقع بها الفنا وكذلك فعلت فى بنى كلاب وما بقى فيهم إلا من جرح فرسه أو قتل فبقوا الجميع رجاله وقد زحف المعتصم واصطلا نار الحرب بنفسه فنظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك فقال كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أقسم لو أنصفونا لعرفونا والآن فنحن هالكون بين هذا الجمع العظيم ولو قدرنا على الثبات إلى الليل لتفرقنا بين التلال هذا وقد زاد الامر عليهم وأرميت الدرق عليهم فأخذوا أكثرهم قبضا باليد وقتل منهم وسلموا الباقين أنفسهم الا عشرين نفس منهم الامير عطارد والامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وميمون الجماس وظالم وضيغم وسيف الحنيفية وبرد بن الازهر وغمرة وهارون العلوى ومالك بن طوق وسعيد بن الفرج وفراقد وسملق وأبو الهزاهز وملابط البغال ومن يجرى مجراهم فانهم قد أحموا نفوسهم وقد تكردست عليهم الابطال (قال) وأما اوا فانه كان فى عسكر المعتصم هو وبرق بن رياح يطلبون أن يسرقون أحدا وقد أظلم الليل يتحول إلى ثلاث أربع مواضع ولا يدرك له مستقر وكان القاضى عقبة قد حذره وأنذره

وقال له اعلم أن غلام أبو محمد البطال لؤلؤ قد فقد وهو أيشم من أستاذه وقد انضاف إليه شيطان آخر فى صورة إنسان يقال له برق ابن رياح يخوض الليل ويسبق الخيل وما يقع أحدا على أكتافه إلا ويأمن من الحياة وقد حملنى مرة وألقانى اليهم وهو الذى سرقنى من بيت المقدس فلا كتب الله عليه سلامة وكان أبو يخلف معى فأخذ المعتصم حذره فلم يقع عليه أحد وكان لؤلؤ وبرق مختفيان (قال الراوى) هذا وقد قال الامير عبد الوهاب لاصحابه اعلموا أننا قد وقعنا فى هذه النوبة وخلصنا وان وقعنا فى أيديهم مرة أخرى أذاقونا العذاب والهوان وقد ضجرت من هذه الحياة والهياج وشماتة الأعداء فى سائر الأوقات والموت أطيب من هذه الحياة وما أسلم روحى حتى أشرب كاس الحمام وأجرع مرارة الموت هذا وقد تقسطل عليهم الغبار وحمى الحديد على الأبدان وما بقى فيهم من يدفع عن نفسه أو يمنع أو يقدر على حركة من مكان إلى مكان هذا وقد تقدمت إليهم الديلم وأرموا عليهم الدرق وقبضوهم قبضا بالكف هذا وقد ركب المعتصم وقد فرح بالنصر وقد قال له عقبة والله هذه العزيمة التى لا يقدر عليها أحد سواك ياأمير المؤمنين ولقد طلبهم الرشيد والمأمون رحمهم فما فيهما من قدر عليهما أن يأخذهما بالسيف قهرا إلا ان كان أنت فالله درك يا أمير المؤمنين فهكذا تقطع ان شاء الله تعالى أصول الملحدين حتى لا يبقى أحدا على الأرض من المنافقين والمشركين إلا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم النبيين والمرسلين ثم ان الملعون عقبة أنشأ يقول هذه الأبيات .

إذا كان الخليفة ذا نشاط ... وهمة ضيغم فى يوم حرب
حقيقا يملك الأرضين جمعا ... ويكشف كل نائبة وكرب
ويقتل كل ندل خارجى ... ويملك أرضها شرقا وغرب
وأبلغ منيتى فيهم سريعا ... ويأنس وحدتى بحبيب قلب

(قال الراوى) وقد فرح المعتصم غاية الفرح وانكشف عن قلبه الهم والغم والترح هذا وقد خلا عقبة به وقال له يامولانا هذه النصرة التى نصرتها توقع لك بها الهيبة فى قلوب الناس ولكن فى الأمر شىء واحد وهو ان نضرب منهم الساعة ألف رقبة حتى لا يرجع أحدا يطمع فى هذه الدولة المحروسة وتأمن من شر أهل النفاق فقال له المعتصم أيها القاضى الاجل اننى أخاف الخطية لكن هؤلاء الأمراء ما اضرب رقابهم لأن لهم على آبائى الخدم فيما تقدم ولكن أتركهم فى مطموره فى القصر وهى المطمورة التى تسمى الهلاك التى مادخلها أحد وسلم فقال له القاضى عقبة اللعين أيها الامام أنا أخبر بشرائع الإسلام اضرب رقابهم وأنت برىء من دمائهم وأنا المطالب بها وما قصدى بهذا ياأمير

المؤمنين الا حتى تهدى البلاد وتستقر العباد (قال الراوى) ياسادة ياكرام وما زال الملعون عقبة يلح على المعتصم بذلك الكلام حتى نظر قتلهم أفضل من قتل الروم اللئام هذا وقد أجازوا الناس قتلهم لما أن سمعوا من عقبة ذلك الكلام وكذلك كل من كان يحسد الامير عبد الوهاب فضرب منهم خمسمائة رقبة سودان وعربان وأما الاشعث فانه سأل عن الامير عطارد وقومه فاجابه المعتصم إلى ذلك وساله فى زواج غمرة بعامر ولده فأطلق سبيلهما وقد أعرض عليها المعتصم الزواج بابن عمها فأبت فاخبر المعتصم عمها بحالها فصار عامر يبكى بين يدى عقبة فرق له وقال هذه تصلح لابن عمها وما أفسد حالها ولعب بعقلها إلا الامير عبد الوهاب لانه أراد أن يزوجها بولده ظالم وقد لعبوا بعقلها حتى شهدت بالزور على (قال الراوى) فزوجها المعتصم لابن عمها كرها وأقبل على بقية العرب والسودان وأخذ عددهم وقال لهم من أراد منكم الديوان فليمضى إلى الامير عمرو بن عبيد الله ويكون عنده فى ملطيه فرجعوا السودان إلى الطاعة لاجل نسائهم وأولادهم وكذلك العربان من بنى كلاب هذا وقد أخلع المعتصم على الامير عمرو بن عبيد الله وأعطاه الامارة خاصة لنفسه وقال له قد وليتك بالثغور وإذا وصلت إلى قرارك واستقرت بك دارك زوج هذه الجارية إلى ابن عمها وان أراد المقام عندك فاعطيه الديوان الجيد ولا تقرب أحد من بنى كلاب سواهم فانا لا بدلى ما أفنيهم من الارض حتى لا يبقى منهم ديار فما يخرج علينا منهم خير من بعد هذه النوبة وهذه الفعلة (قال الراوى) ياسادة هذا وان المعتصم لما أن قبض على الامراء تشتتوا بنى كلاب وقد سلم الامير قراقد وولده قرقود ومعهما ثلاثة آلاف فارس أسود وقد التموا وقالوا مالنا حاجة فى ملطيه بعد الامير عبد الوهاب اطلبوا بنامصر هذا وقد انضافت إليهما سودان الملكة ميمونه وقد قتل منهم ألفين فارس وبقى ثلاثة آلاف ومن أصحاب أبو الهزاهز ألف وسار بهم الامير قراقد إلى أن وصل إلى أرض الشام وقد طلبوا مصر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وما ما كان) من المعتصم فانه رحل وسار إلى أن وصل إلى بغداد وقد زينت أسواقها والامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وميمونه وظالم وأبطال بنو كلاب المجاهدين على أقبح حال وعقبة لعنه الله راكب بين أيديهم وقد أركز المقرعة على قربوص سرجه وهو يقرأ برفيع صوته وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ففرح المعتصم لما أن سمع ذلك هذا وقد صعب على أكثر أهل بغداد من كبراء أهل البلد ووجوه الدولة وقالوا والله مافينا إلا من هو عتيق سيف الامير عبد الوهاب ويفعل به هذا من أجل عقبة بلاه الله بنكبه هذا ولما أن دخل المعتصم إلى دار عزه أرمى الامراء إلى المطامير

والأمراء الكبار ارماهم فى مطمورة الهلاك ماطرح فيها إلا من استوجب عليه القتل فيموت ويهلك فيها وكان عليها ثلاث طوابق من الحديد الصينى وكان اؤلؤ غلام البطال قد دخل إلى بغداد ومعه برق بن رياح وقد ضاقت بهم المذاهب وأقام اؤلؤ وبرق سنة كاملة ببغداد على أنهم يقدرون يدخلون إلى القصر فلم يقدرون على الدخول ونظر اؤلؤ إلى المعتصم فنظر له همه مارآها لأحد قبله وانه كان فى بعض الأيام يتمشى على الدجله إذ ركب الخادم ودخل إلى البستان على نية الفرجة فلما أن حصل فى البستان لحقه اؤلؤ ووقف بين يديه وقال له يامولاى اعلم اننى رجل غريب ولى قوم أسارى فعسى أن تجود على بشىء من حطام الدنيا الفانية (قال الراوى) فلما أن نظر جوهر إليه وسمع حسه عرفه وعرف أنه يخفى امره عن غلمانه فعندها أقبل جوهر على غلمانه وقال لهم انصرفوا وتفرجوا فى البستان فلما ان مضت الغلمان من عنده قال له أنت اؤلؤ فقال له نعم يامولاى ثم أن اؤلؤ اندفع يبكى فبكا جوهر وقال له ياهذا ما أظن أنهم فى السلامة إلا أن يكون فى آجالهم تأخير فما الذى تريد فقال له اعلم اننى أريد منك أن تدخلنى إلى دار القصر لعلى ان أنظر إليهم فان خلصوا وإلا لى بهم أسوة فقال له جوهر وكيف تقدر على الدخول أو الوصول إليهم وعليهم ثلاثة أبواب وأقفال كثيرة لا أحد يقدر على فتحها فقال اؤلؤ يامولاى اعلم أن معى رجل لا كالرجال وبطل ليس كالأبطال يقال له برق بن رياح وهو سلال لو كان عليه ألف قفل فتحها فى الحال لأنها صنعته فقال له جوهر إذا كان الأمر على ماذكرت فأنا أعاونك على ذلك وان خلصوا تصدقت بألف دينار شكرا لله تعالى على الفقراء والمساكين ودعهم يخربون الديار ويقتلون عقبة اللعين ويأخذون منه بالثار فقال له اؤلؤ اننى أريد أن توصلنى إلى دارك من قبل أن يظلم الظلام وتنظر مايحل به من الويل فقال سمعا وطاعة ولو كان فى ذلك هلاك نفسى ثم قال وأين صاحبك ورفيقك فمضى اؤلؤ ورجع وبرق بن رياح معه فنظر جوهر إلى شيخ غريب ورجل عجيب كأنه قضيب فى دقة الديب هذا وان جوهر اقبل على غلمانه وقال لهم هؤلاء قوم ضعاف اكسوهم من ثيابكم (قال الراوى) فلما أن سمعوا الغلمان من سيدهم ذلك الكلام فرمى كل واحد منهم عليهم شيأ من ثيابه وقد تزايوا فى زى غلمانه ثم أنه قال لهم سيروا معى إلى الدار وقد ركب لوقته وساعته ودخل إلى القصر وغلمانه بين يديه وهؤلاء فى جملتهم إلى أن حصلوا فى داره ففرق غلمانه كل واحد منهم فى ناحيه إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام وهجعت عيون النوام فقال اؤلؤ يامولاى فى قلبى النار فقال بسم الله أخرج إلى شغلك فأنت خبير بالقصر جميعه فأخذ برق بن رياح معه وخرج

وسار إلى أن وصل إلى الموضع فوجد عليه عشرة من الأرمن من قبل القاضى عقبة حتى لايرحموهم ويتهاونوا فى طعامهم وشرابهم (قال الراوى) وإن لؤلؤ ذبح العشرة أسرع من البرق ودنا من الطابق وقال لبرق لمثل هذه الليلة ادخرناك فتقدم برق وفتح الاقفال التى على الطابق أسرع من البرق ونزلوا إلى الأمراء وفكوا القيود من أرجلهم وبشروهم بالخلاص والأمراء لايستطيعون القيام من الضعف والخوف ثم أخرجهم إلى جوهر وقال مانعرف الخلاص إلا منك فقال لمن الله الحياة بعدكم وتركهم فى سرداب الدار وقال لابد مايقع الصوت فى القصر وتغلق الأبواب فان سلمتم كان والا فلى أسوة بكم ولما أصبح الله بالصباح وقع الصوت بهروب الأمراء وعلم المعتصم بذلك وكان البطال قد قال لجوهر أن ينصب بالبرج الحبال حتى يوهم أن الرجال قد نزلوا منها فقال المعتصم ان تم على هذا فهو سبب موتى وصار يعض على أنامله أسفا ولهفا وبكا من حرقته وقال على بالقاضى عقبة فلما حضر قال له انظر الى هذه النوبة ياقاضى وما يكون العمل

(ياسادة) وكان المعتصم قد رأى فيه الرأى الحسن لانه انقطع فى العبادة وكان يصلى نهاره ويبكى طول ليله ويعظ الناس ويخوفهم وقد زهد غلمان الدار فانقطعوا الى العبادة ووافقوه على ذلك وانه لما سمع الصياح وأتاه رسول الخليفة خرج وهو فزعان ولهان حيران فوجد القصر لم يفتح إلا على حاله فسأل عن القصة فأخبره المعتصم بالامر فقال ياأمير المؤمنين من هذا قلت لك لاتبق عليهم فانك لا نأمن على نفسك منهم فقال المعتصم مضى مامضى وفات الأمر وانقضى وقد وجدنا الحبال على جانب القصر الايمن وقد هربوا لامحالة وأريد الساعة أن أطير الطيور إلى سائر الجهات وأسير الخيل فى مشارق الارض ومغاربها فقال عقبة دع عنك هذا الامر فانا أقسم أنهم ماخرجوا من القصر ففتش عليهم فان هذه الحبال صنعة وحيلة من مناصب البطال فقال المعتصم وأين أطلبهم وقد فتشنا القصر عن بكرة أبيهم فلم نجد لهم خبر فقال عقبة يامولاى سلم هذا الامر إلى حتى أفتش دارك فى جملة ما أفتش حتى لايبقى على اعتراض فيما سواها فقال المعتصم لك ذلك وان عقبة جعل يدور حيله منه ومكر إلى أن أتى إلى دار جوهر فرآه قد تغير كونه واصفر لونه فلم يخف عليه ذلك وانه دخل إلى داره فلم يجد أحدا فجعل يدور عقبة فى الدار فوجد بلاطه فقال للغلمان اكشفوا هذه البلاطة فكشفوها وإذا بامراء السودان فقال يامولاى القوم ههنا فان المؤمن ينظر بنور الله تعالى ونزلوا الغلمان الى القوم فشدوهم كتاف بالحبال وأخذوا برق بن رياح ولؤلؤ غلام البطال وملكوا الجميع وعملوا فى أرجلهم القيود وقال عقبة يامولاى ماجرا هؤلاء على دارك إلا هذا الملعون

يعنى برق بن رياح فأمر المعتصم بضرب رقبته فضربت وأراد أن يضرب رقبة جوهر فقال يامولاى ماعندى من هذا خبر فهم دخلوا إلى مثل هذا القصر ولم يصعب عليهم فكيف يصعب عليهم أن يخفون أنفسهم فى دارى وأنا أعلم منهم أنهم يعرفون كل موضع فى القصر وما فيه دار الا وقاموا فيها سيما هذا البطال لانه نديم الخلفاء من زمان فصدقه المعتصم وقال نعم من فعل هذا لايصعب عليه هذا الأمر (ياسادة) وان عقبة لما سمع هذا لم يعجبه بل قال يا أمير المؤمنين ان جوهر لم يكن هذا بعلمه وانه ما علم بهم حتى حصلوا فى داره فأخفاهم واستحى منهم بلا شك وقد أخطأ ولم يزل يذكره بكلامه حتى أمر المعتصم بجوهر أن يقيد ويطرح معهم ويضيق عليهم حتى بقى لايفتح عليهم الا فى كل ثلاثة أيام نوبة ينزلون اليهم مايترمقون به وانقطعت أخبارهم ونسيوا ولم ينتخى لهم طالب هذا والمعتصم قد أطاعته الأمم وحمل اليه من الأموال أضعاف ما كان يحمل إلى غيره وعقبة يكاتب ملوك الروم ويقول اياكم أن يظهروا أحدا منكم من بلاد الروم ولايؤذوا أحدا من المسلمين فان الخليفة مايتقاوم وانا قد عملت على الاسود وأمه وأولاده وأصحابه وضربت رقاب سودانه وأنصاره وفرقت الباقين فى مشارق الارض ومغاربها فلا يرجع يجتمع منهم اثنان والاسود وأصحابه فى المطمورة فى قصر المعتصم وقد وكلت بهم خمسين أرمنى يحفظوهم من الهرب وقد عولت على أننى أبذل اليهم الاموال حتى أنهم ينزلون اليهم فى الليل وتخنقوهم الكل عن بكرة أبيهم ويقولون للمعتصم انهم مرضوا وماتوا فاذا كان كذلك فاخرج انت هنالك واملك البلاد والعباد واخرب بيت المعتصم وسوف تجدنى فى بيت زبيده واول ماسلم اليك أمرالها التى ذكرت انها تتصدق بها فى مكة وتبنى بها المصانع والقناطر والمساجد وهى مائتى الف دينار وانت احق بها من كل احد وفى هذه السنة تبلغ الغرض من الاعادى ويشتفى غليل الفؤاد بأن المسيح قد سهل لنا ذلك وأمكننا من اعدائنا وبلغنا ما أملناه (ياساده) وتطاولت الامور بالأمير واصحابه فيماهم فيه إلى تمام عام خمس سنين متواليه حتى ايقنوا الناس كلهم انهم قد هلكوا وانقطعت أخبارهم من الدنيا وقد ندبتهم النوادب وبكتهم الاحباب والاقارب وتمثلت بهم الشعراء ومن جملة ماقيل فيهم هذه الابيات

هل انت معبرا بآل كلاب … صارت منازلهم كشبه خراب
حنت عليهم اليوم فى ارجائها … وترنمت حزنا كصوت غراب
ومضى الأمير مع الأميرة والذى … كانوا عماد الدين والمحراب
والمطعمون الناس لابسؤالهم … والمفضلون على ذوى الانساب

قد أصبح الاسلام يبكى بعدهم ... بمدامع منهلة كسحاب

(قال الراوى) هذا وان الأمير عمرو بن عبيد الله صفت له الأمور فى السلطنه وأما عامر ابن الأشعث فانه قال للامير عمرو بن عبيد الله أريد ان أزف غمره على عامر فقال سمعا وطاعه ثم انهم أغصبوها وزينوها عليه فلما أخلوها معه شدتد كتاف وركبت جوادها وطلبت بلاد الحجاز فعظم ذلك على الأمير عمرو بن عبيد الله ولم يزل يتوسل اليها لعلها ان ترجع إلى ملطيه فلم تقبل ودخلت بلاد اليمن تأكل من صيدها وتندب الأميره ذات الهمه لأنها كانت قد ألفتها (قال الراوى) ولما كانت السنة السادسة جاءت الأخبار إلى ملطيه بأن ملك الروم ميخائيل قد خرج من القسطنطونية وبرز وقد عول على الخروج إلى بلاد الاسلام فى أمر عظيمة ماخرج قط مثلها فكتب الأمير عمرو بن عبيدالله إلى المعتصم بذلك وقال له كن على أهبة فانى ماأدرى ماالذى أخرجه إلى ذلك فأرسل اليه المعتصم يقول انا ماأعرف هذا الحديث ولكن متى سمعت انه قد خرج من القسطنطونيه فى يوم واحد فأنا أسير اليه وألقاه فى بلاد الروم وسوف يكون ماتراه مالا تقراه

(قال الراوى) ففرح الأمير عمرو بن عبيد الله بذلك الجواب وقال هذا والله يصلح للخلافة ويصطلى نار الحرب بنفسه ولقد كانت خلافته مباركه بقلاع دولة آل كلاب فعندها أرسل إلى سائر المواضع يجلب العربان (ياساده) وكان السبب فى خروج الروم فى تلك السنة أمر عجيب وحال غريب وذلك ان عقبه لما كاتب ملك الروم وقال له لا تتحرك حتى أعلمك بان الأمير عبد الوهاب قدمات هو وأبو محمد البطال وبعد ذلك تظهر كما تقول وطال على عقبة المطال وتحدث مع الارمن بان يخنقوا الأمير عبد الوهاب ويقولوا أنه قدمات وكانوا الارمن ينزلون إلى المطموره فيجدون الأمراء من الاسود فيقولوا اما نقدر عليهم لاننا نزلنا اليهم فى بعض الأيام وأردنا ان نخنقهم فطلبوا يقبضون علينا ويفعلوا بنا ماأردنا ان نفعل بهم وكان عقبة يقول لهم قللوا عنهم الأكل والشرب وباشروهم يوم بعد يوم حتى يذهب قواهم ففعلوا ذلك وكانوا الامراء كلما قل عنهم الاكل والطعام قد زادوا نشاطا وقوه وانبساطا من عند الملك العلام لانهم كانوا فى الليل يقومون على الاقدام فى طاعة الملك العلام وفى النهار يصومون وقد ضاقت معدتهم وانضمرت من قلة الاكل وصاروا يكتفون بالقليل من الاكل والقوة تأتيهم من الله تعالى هذا ماجرى لهؤلاء وأما ملك الروم فانه قد عول على الخروج إلى بلاد الاسلام حتى تاتيه الرجال والفرسان من القرى والبلدان حتى صار على باب القسطنطونيه عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى وعزم الملك ميخائيل على الخروج وإذا قد ضرب بوق البحر على الابراج

(قال) فصعد اليه البطارقه ونزلوا وهم صارخين وقالوا ايها الملك قد أقبل علينا من كبد البحر قلوع بعدد النجوم حتى ان البحر ما بقى يبان من كثرة المراكب ولم نعلم ماهى ولا سببها ولا من أين أتت هذا وقد طلعوا أهل القسطنطونيه إلى الابراج ينظرون إلى البحر وقد امتلا مراكب فقال ميخائيل ان هذا أمر عظيم فيا ليت شعرى ما سبب خروج هؤلاء القوم

(قال الراوى) وكان السبب فى خروج هؤلاء القوم بهذه المراكب حديث عجيب وأمر مطرب غريب نحب نذكره على الترتيب بعد الصلاة على محمد الحبيب الذى من صلى عليه قط ما يخيب وكيف يخيب وهو يصلى على حبيب القريب ما ترنم طير على غصن رطيب وذلك انه كان فى جزائر البحر الاقصى جزيرة تعرف بجزيرة قمران لان فيها نبات العود القمارى وكان قد ظهر فيها بطريق يقال له بحرون المسيحى وكان أبوه وأمه من صعاليك الروم وكان لبحرون من العمر ثمانية عشر سنة وقد ظهرت فيه النجابة والقوة والشجاعه وكان فى قدر الجمل البازل غبل الذراعين عريض المنكبين كثير الثره وانه قد قد قهر البطارقه وأباد العمالقه فرفع صاحب الجزيره قدره وعلا أمره وصار يقربه اليه ويمده بالاموال وعمرله المراكب فصار بحرون يدور بها فى البحر فما مرت عليه سنة حتى فتح مائة وستون جزيره التى حوله وصاروا يحملون اليه الخراج والى ملك قمارى وكان اسمه لوقا ففرح به الملك وزوجه بابنته ومال الجند اليه وصار بحرون فى عالم عظيم وسلم اليه الملك سرير ملكه وقوى بحرون واستفحل ولم يبق له معاند ولما كان فى رأس السنة رأى بحرون صهره الملك لوقا قد عبا هدية ومال وأرسلها مع جماعة من أصحابه إلى القسطنطونية فقال بحرون أيها الملك هذه لمن فقال ياولدى هذه للملك ميخائيل لان له رسم علينا على هذه الجزيره كلها وهو الحاكم على البر والبحر قال فلما سمع ذلك سكت وأقام سنة كامله وهو يخرج الاخشاب والأموال ويعمر المراكب وأرسل إلى سائر المراكب التى فى الجزائر فأحضرها وأرسل أيضا إلى سائر الجزائر وادعى بسائر كبار البطارقه وأنفق عليهم الأموال وقال لهم ماقولكم فى ملك القسطنطونية وأعطيكم الأقاليم وأفتح بلاد الروم والمسلمين وسائر الاقطار فقالوا أيها الملك ها نحن لك وبين يديك فعند ذلك أرمى المراكب إلى البحر فكان عدتها عشرة آلاف مركب من السفن الكبار فملاها بالخيل والعدد والسيوف والخود وأقلع طالب مدينة القسطنطونيه فلما أشرف على البلد ونظر اليهم ميخائيل أمر بعض البطارقة ان ينزل إلى مركب ويخرج اليهم ليكشف خبرهم وينظر من أين أتوا وماذا يريدون ويقول لهم ان كنتم خرجتم تريدوا الغزو فالملك ميخائيل خارج إلى بلاد الإسلام (قال) فخرج ذلك البطريق ونزل فى مركب وسار حتى

وصل إلى مراكب بحرون وكان بحرون فى المقدمة فلما نظر إلى ذلك المركب أمر باحضار البطريق الذى بين يديه فقال بحرون للبطريق من أنت فقال أنا رسول الملك ميخائيل وهو يقول لكم فيماذا جئتم وماذا تريدون فان كنتم جئتم تغزوا إلى بلاد الاسلام فهو أيضا قد عول على ذلك فقال له ارجع اليه وقل له يعلم ان ماللنصرانية ملك سواى وان لم يخرج من مدينة القسطنطونيه ويسلم ذلك إلى وأنا أعطيه بعض الأقاليم يكون فيه والا وحق المسيح أنزلت عليه بلاء مانزل عليه قط مثله (قال) فرجع البطريق بالمركب إلى الملك ميخائيل وأخبره بذلك الجواب فعظم عليه وكبر لديه والصقت المراكب إلى الساحل ونزل منها عالم بعدد الجراد المنتشر وأخرجت الخيل من السفن الكبار فركبوا عليها هذا والملك ميخائيل قد جمع ملوك الروم وقال لهم ترون من الرأى فى أمر هذا الخارجى الذى قد خرج على وعليكم فقالوا نلقاهم ولوكانوا بعدد النجوم وقطر السحاب فعندها خرج الملك ميخائيل بعساكره ورتب دساكره وكذلك الملك بحرون ثم أقبل بحرون على قومه وقال نطول فى القصة ونصف عسكرنا مانريد ان مثلهم فقال له وزيره وكان قد استوزر صبيا وكان أحسن الناس وجها وأزكاهم قدرا وكان أخذ بحرون بعض الجزائر فوجد فيها هذا الصبى وأهل الجزيره يسمونه مذبحون وكان أحكم أهل زمانه فأخذه الملك بحرون لنفسه وجعله وزيره ومدبره ومشيره وانه جعل يرتب العساكر (ياساده) وتقابلت العسكران كما ذكرنا وكانت بعدد النجوم وان مذبحون وزير بحرون أقبل عليه وقال له ان الحكماء قد قالوا ان الحرب خداع وعندى من الرأى مالا يقدر عليه أحد غيرى من سائر الحكماء فاسمع ما أقول وقد أخذت الملك وتدع القتال لغير هذا الوجه فقال بحرون هات ماعندك فقال أيها الملك تقول الساعه لعشرة من البطارقة وأنا معهم امضوا إلى الملك ميخائيل وقولوا له ان الملك بحرون غلامك وماوصل إلى هذه الديار الا ليجاهد قدامك ويفتح بلاد الاسلام ونضرب كل من فيها بالحسام فهو اذا سمع ذلك يقول فلما عولتم على قتالى وحربى ونزالى فأقول له انما أراد بذلك أن يصف عساكره ودساكره ويوريك أيها الملك قتاله وانى قلت له ماهذا صواب لان ربما هلك بذلك خلق كثير وعالم عظيم وما وصل إلى ههنا الا لما علم انك خارج إلى بلاد الاسلام فهو على كل حال يفرح بذلك ويخرج لكم الخيل والعدد وكلما تحتاجون اليه فاذا أنس اليك فاقبض عليه وقد ملكت القسطنطونية فقال بحرون وما يسمع عنى انى ملكت القسطنطونية بالحيلة وهذا مالا يكون أبدا ثم حمل وحملت العساكر معه والتقى الجيشان طول النهار وقتل من الجمعان مالا عين رأت ولا أذن سمعت وكان فى القسطنطونية مارس ودارس فكتبوا بذلك إلى أهل

ملطيه كتاب على جناح الطائر يقولوا فيه ان ملك الروم كان قد عزم على الخروج فى عالم عظيم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد أشغله الله تعالى بملك قد خرج عليه من الجزائر خارجيا فى عالم لا يكيف ولا ينقطع له مدد وقد التقيا مع الملك ميخائيل وهم الظافرون علينا والسلام وإن الطائر وصل إلى أهل ملطية وقرأ الأمير عمرو بن عبيدالله الكتاب وعلقه على جناح حمام إلى العراق فما بات إلا عند المعتصم فلما عرف ذلك ادعى بأرباب دولته وعرفهم الخبر وأعلم عقبة بما كان من ذلك فقال عقبة ما كان مرادنا أحدا يتبدل بهذا الكلب ميخائيل لأنه ما بقى له عندنا هيبة وكذلك عساكره قد كان فى قلوبها من الإسلام الفزع وهؤلاء القوم ما فى قلوبهم من أهل الأرض حبه وما خرجوا إلا يريدون الأرض جميعا والله المعين عليهم ومن قد أذل أهل دينه من الأول يدل على أنه جبار من الجبابرة فقال عقبة صدقت يامولاى وربما يكون النصر الملك ميخائيل عليه وقال فى نفسه وحق المسيح إنى كنت أريد أن يأخذون ملك القسطنطونية حتى يفتحوا البلاد ويذلوا رقاب العباد واطلب من المسيح أن يجعل هذا ملك يملك الأرض فى الطول والعرض وأقام عقبة ينتظر الخبر وانه ادعى ببعض غلمانه وكتب معه كتابا إلى الملك بحرون يقوى عزمه ويقول له املك القسطنطونية واطلب بلاد الاسلام حتى أعطيك مقاليد الأرض (ياسادة) وأقام القتال بين بحرون وبين الملك ميخائيل عشرة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر وقد قتلت الأمم حمل الملك بحرون وأرمى روحه فى أكثر من مائة ألف وزحزح الصفوف وطعن صاحب العلم قتله ومعه عسكر من وراه يحمى ظهره فانكسر عسكر الملك ميخائيل وظنوا أن الملك قد قتل فانهزموا ومنهم من قد استأمن إلى الملك بحرون وقالوا مانريد إلا الملك بحرون يكون ملكنا لأنه أشجع من الملك ميخائيل وأما ميخائيل فانه دخل إلى القسطنطونية ومعه قليل من الناس والباقون انضافوا إلى بحرون فصار فى عالم عظيم وغلقت أبواب القسطنطونية شهر كامل ولم يقدر عليها فقال بحرون لوزيره مذبحون كيف ترى فقال له دع عنك هذا أيها الملك فانك لو أقمت عمرك كله ماقدرت عليها وإن تركت الأمر فأنا أفتحها لك فى غداة غد (قال الراوى) وكانت الروم الذين استأمنوا إلى الملك بحرون وينظرون الى القس مذبحون وعلى وجوههم يصلبون فقال لهم الملك بحرون ما بالكم تتعجبون من صاحبى فقالوا وحق المسيح إنه يشبه رجلا فى بلاد الاسلام قد طير قلوب النصرانية وصورته فى الكنائس مصورة يقال له أبو محمد البطال فقال بحرون لمذبحون أتسمع مايقولون فقال بلى قد شبهوا مسلم وسوف يرون ما أفعل (ياسادة) فهم كذلك ورسل الملك ميخائيل قد أتت وهم قساقسة ورهبان ومطارنه

فقالوا أيها الملك الملك ميخائيل يقول لك ان قصدك المال فعليه المال وان كان أردت الاقطاع والبلاد فهو يعطيك أى اقليم أردت وان كنت طالب الجهاد الى بلاد الاسلام فهو يمدك بكلما أردت من المال والعدد وان كان على ديارك التى أنت فيها خراج أو مال فهو محطوط عنك وان كنت تريد المملكة فهذا لايتم لك أبدا ولا هذا حلال لأنى أنا وآبائى لنا المملكة وما تطيع الروم الا لى والمسيح جعل الملك فينا ومن طلب ازاحته عنا قسم المسيح عمره فلا تسلك طريق المظالم فتصبح خاسر ونادم ولو أقمت عمرك على بلدنا أعمار النسور فما لك الينا وصول (قال) فلما سمع بحرون قال أنا ما أدرى مايقولون وما لى فى المال حاجة فدع عنك اللجاجة وأما قولك الملك فينا فهذا قط لاأسمعه وحاشا المسيح أن يجعل الملك فيكم دون غيركم وإنما الملك فيمن ينصر الدين ويجاهد المسلمين ولو كنت ملك على الحقيقة لما حملت المال من بلد الروم الى بلد الاسلام وفى ذلك مايقوى به أهل دين الاسلام وتذل به النصرانية فأنا ماجئت ههنا راغبا فى مال ولا رجال بل أريد أملك الارض شرقا وغربا وبعدا وقربا حتى لا يبقى فيها مسلم فإذا صارت الدنيا على الملة المسيحية علم الناس أننى أحق بالمملكة منك لأنى نصرت الدين العتيق وان كان لك رغبة فى هذا الدين فسلم لى البلد والمال وابعد حتى لا يبقى لواحد منكم حكم حتى أسير الى بلاد الاسلام وأضرب فيهم بالحسام فإن أنا افتتحت البلاد وأخذت خليفة بغداد فهو المراد والك أسوة بالعباد على أنك تكون أوفى الناس عندى مكان وأعلاهم شان وان أنا هلكت فأنت تنظر فى مصالحك كما كنت أول مره (ياسادة) ولما رجع الجواب الى ميخائيل بما قال بحرون عظم عليه وكبر لديه وقال هذا رجل ماينفع فيه الكلام اذا كان يروم هذا المرام واذا كان على هذه النية فما ينصره المسيح ودعه يقيم على باب الذهب ما أقام وأنا اسأل المسيح أن يفلل جيشه وينقطع عزمه (قال الراوى) وأقام بحرون على البلد يحاصره حتى أعياه فقال له وزيره مذبحون أيها الملك هذا مقام كثير ومالك على الوصول من سبيل الا بما أقول لك وان تركتنى دبرت لك على أخـــذ البلد فى هذه الايام وتخرج الى بلاد الاسلام فقال له بحرون افعل مابدالك (قال) فعندها جعل يفكر فيما يفعل وقد أعيته الحيل فدعا بغلام يقال له مطران وقال له خذ كتابى هذا واقصد به إلى باب القسطنطونيـة وقل أنا رسول إلى الملك ميخائيل من رجل يريد يعمل معه جميل فأخذ الغلام الكتاب وسار إلى ان وصل إلى باب القسطنطونيه فصاحت عليه الروم والبطارقة فقال ياقوم أنا رسول إلى الملك ميخائيل (قال) فلما سمع ذلك أمر باحضاره فأرميت اليه الحبـــال فطلع وكان ذلك فى الليل فلما مثل بين يدى

الملك ميخائيل باس الارض وقال يامولاى أنا غلام الوزير مذبحون وهو صاحب أمر الملك ونهيه وهذا كتابه فانظر إلى مافيه وافهم معانيه فأخذ ميخائيل الكتاب ونظر فيه وإذا فى أوله كلمة الكفر ونحن نقول لاإله الاالله محمد رسول الله ﷺ أما بعد أيها الملك من عرف وأنكر فقد غرق فى بحر الجهالة والغرور وانا أعلم ان المسيح انما جعل الملك فيك وفى آبائك طول الازمنة والايام والشهور والاعوام لانك من أهلها وأما هذا الملك بحرون فانه يحدث نفسه بما لا يكون ولعمرى انه شجاع فى نفسه ولا له فى الارض مساوى ولا قرين مناوى ومعه هذه العساكر التى قدسدت الفضا وملات المستوى وليس هو من أهله وقد علمت ان هذا مارأيتم له فاردت ان يكون لى عندك اليد البيضاء تراعينى بها وقد دبرت عليه حيله أن أزوجه بابنتك ويكون من تحت طاعتك وترفع أمواله إلى عندك إلى مدينة القسطنطونيه وترحل بعد ذلك إلى بلاد الاسلام فهو زوج ابنتك وان هلك فتكون قد كفيت شره وأمنت غدره (قال) فلما سمع الملك ميخائيل ذلك صلب على وجهه وقال هذه بغيتى وحق المسيح لولا هذا الوزير فرج عنى كربتى كانت قد انفطرت مرارتى ثم أقبل على غلام مذبحون وقال له ابشر أنت ومولاك وحق المسيح ان كان لا بد لى ما أعطيه وأعطيك شيأ يغنيك ويغنيه ويكون صاحبك صاحب الامر والنهى وأنا بحكمه وقد فوضت أمرى اليه دعه يفعل مايشاء فالمسيح يكافئه بالثواب (باساده) ورجع الغلام وأعاد على مذبحون الكلام فقال الساعة علمت ان الملك قد صار فى يدى ودخل على بحرون وأعاد عليه القصة وانه يأخذ البلد بهذا الامر ففرح بذلك بحرون وقال كيف تعمل قال الوزير إلى غداة غد يكون ماتراه لا ما تقراه (قال) ولما أصبحوا ادعى بالبنرك والقسوس وغيرهم من الرهبان والجاثليق وسار الوزير معهم وقد حمل معه من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت من اللؤلؤ والجوهر وما أشبه ذلك وكان الملك ميخائيل لم ينم تلك الليله من الفرح وهو تارة يصدق وتارة يكذب إلى ان قيل له قد وصل الوزير مذبحون ومعه قساقسه وشمامسه وأموال ورجال ففرح بذلك وأمر بفتح الباب ففتح ودخل الوزير هذا ودارس ومارس أيقن بهلاك الاسلام من هذا العسكر العظيم والبطل الجسيم لانهم قد شاهدوا من بحرون مالم يشاهدوه من غيره وانه يرفع الفارس على قنطاريته ويضرب به فارس آخر فيقتلهما فقال مارس لاخيه دارس ائن صار هذا ملك دبرنا فى الهرب إلى حصن يانس المتعزب ونكون فيه إلى ان نعرف ما يكون من أمر هذا الملعون فلما اجتمع مذبحون بالملك ميخائيل صلب على وجهه وقال وحق المسيح ان هذا الوزير يشبه أبو محمد البطال لص المسلمين (قال) وأعاد ميخائيل على

مذبحون حديث أبو محمد البطال ومذبحون يتعجب من ذلك وقد طاب له حديثه ثم انه قدم المال إلى الملك وقال قد انفصل الامر ونحن خاطبون ابنتك الكريمة لهذا الملك بحرون حتى تنتظم الكلمة والمملكة ولا يقع الخلف بينكم فقال الملك ميخائيل لو أرادها جارية لحملتها اليه وزوجتها به ثم أنه خلع على مذبحون وعلى من معه وفتح باب البلد وأخرجت الضيافات والعلوفات والأغنام وأنواع الطعام حتى امتلأت الدنيا مما حمل الملك ميخائيل اليهم وأقام الناس كذلك ثلاثة أيام ودخل الملك بحرون الى القسطنطونية فى خواصه والملك ميخائيل قد فرح به وقال بهذا أبلغ المراد من المسلمين وآخذ بغداد ودخل بحرون بابنته وأقام معها وشغف بها وقال للوزير مذبحون اعلم أننى قدعولت أن أقيم على ماأنا عليه فقال مذبحون ماهذا صواب لأنك تريد أن تكون ملك الأرض ولعمرى ماتكون بهذه الصفة إلا بعد الملك ميخائيل وجميع أهل بيته لأن الملك فيهم ومتى أغضبت الروم عملوا عليك وسلموا البلاد اليه فقال لعمرى لقد صدقت ولم يزل يدعو كل يوم أصحابه قوم بعد قوم حتى امتلأت الأرض منهم الى يوم من الأيام صاحوا بحرون يامنصور وقبض على ميخائيل وخواصه وأهله وماله وملك القسطنطونية فصاح أهل البلد بحرون يامنصور ودخلت اليه العساكر وطيرت الطيور الى الأقاليم فازعنت بالسمع والطاعة وسارت اليه البطارقة والأبطال وحملت اليه الأموال من كل جانب ومكان وذهبت دولة ميخائيل كأنه ما كان وأخذته مصايب الحدثان ووضع الملك بحرون فى أرجلهم القيود الثقال وأرماهم فى المطامير وقال ماأقتلهم خوفا من المسيح لأنهم يعلمون بشريعته (قال الراوى) وجمع بحرون الأمم على باب الذهب وكان جريدة عسكره ألف ألف فارس وكان عسكر الروم بهذا العدد وعسكر الجزائر مثله وكانوا عالم لايحصى بعد الرمل والحصى وأخرج الخيام وعول على الرحيل وأمر الناس بأخذ الاهبة وقد صحبه مائة ألف فارس مابين راهب وشماس وقس ومطران يطلبون الجهاد وخرج معه من لاخرج قط من صومعته هذا وقد حدثوه بحديث يانس المتعزب وقصته مع المسلمين وقالوا هذا مسلم فقال وكيف كان الملك ميخائيل يغفل عنه فقالوا أيها الملك ماكان يقدر عليه لانه فى مكان عظيم فقال بحرون أقسم بالاربع أناجيل ومافيها من التحريم والتحليل ومن أعلاه والبحر ومن أجراه ان خرجت من بلاد الروم وفيها من يعصى على وهذا من غاية العجز ولا بدلى من المسير اليه قبل الخروج الى بلاد الاسلام فاذا أنا أخذته علموا الناس انى قد أخذت من قد عجزت عنه الملوك على طول الاعوام والشهور والايام ثم انه استخلف موضعه بطريق يقال له مفلاطون بن مصحران ودفع اليه خمسين

فارس من عسكر الجزائر ورحل وقد سارت الجواسيس إلى حصن يانس المتعزب وأعادوا عليه القصة فأنفذ إلى الامير عمرو بن عبيد الله يقول له اطلب لنفسك النجاة وحرض الخليفة على الخروج فى عساكر الارض وأن تكون على أهبة فقد خرجت عساكر بعدد الجراد وأما انا فقد ساروا الى ونازلون على حصنى وما ادرى مايكون لان الامر عظيم والخطب جسيم وكلما فعلتم بالامير عبدالوهاب وامراء بنى كلاب تجدوه وتعضون الانامل عليه اسفا وتأكلون الاكف ندما ولهفا (قال الراوى) ولما وصل كتاب الطير إلى ملطية ووقف عليه الامير عمرو بن عبيد الله وعرفه جمع أمراء بنى سليم والاشعث اخو عطارد وولده عامر وكانت غمرة قد دخلت إلى برية الحجاز إلى ان سمعت بأن بنى كلاب قد هلكوا فجمعت الرجال وقطعت الطريق وخانت السبيل وملكت بلاد اليمن من صنعاء إلى عدن واقامت هناك وسمعوا قومها فساروا اليها واقاموا عندها وكان عامر ابن عمها على مقالى النار من اجلها والامير عمرو بن عبيد الله يقول اصبر حتى ننظر مايكون من أحوال الروم واضم اليك عسكر عظيم وتمضى اليها وتأخذها غصبا (قال الراوى) وملكت غمرة من ارض حضرموت إلى أوائل بلاد السر وإلى المشرق وبلاد اليمن كلها وقبائل العربان إلى زبيد وسواحلها (ياسادة) فهذا ما كان منها واما ما كان من الامير عمرو بن عبيد الله فانه لما اوقف الناس على كتاب يانس حملوا هما عظيما وقالوا والله ماقال للناس اطلبوا الخلاص الا وهو يعلم ان ملطية ماتقيم قدام هذا العسكر العظيم ساعة واحده فقال عمر وهذا تفزيع لنا وسوف اجمع الامم من العرب والعجم الى ان يأتى المعتصم حتى لا يقول الناس ان بنى سليم يقصرون عن فعلى بنى كلاب ثم كتب الى المعتصم بهذه القصه كلها وان الملك بحرون ملك القسطنطونية واخذ الارض والبلاد وقد عول على بلاد الاسلام وقد نزل على حصن يانس المتعزب فدبر ما تراه ساعة مايصل هذا الكتاب اليك وتقرأه فلما سمع المعتصم ذلك نادى فى الناس بالغزو فلم يبق احد الا وخرج وخرجت الناس والعساكر من الاتراك والديلم هذا وعقبه لما سمع ذلك امتلا قلبه شحما ولحما وقال ما كنت اظن ان اعيش الى مثل هذه الايام وهذا الزمان وماهذه الاسعاده للنصرانيه وقد ظهرت بالكليه وان اخذ حصن يانس المتعزب فهو اعظم عندى من اخذ بغداد ثم نزل الى داره واخبرهم بذلك وكتب كتابا الى الملك بحرون يقوى عزمه ويقول له انت الموصوف فى الانجيل بأنك تظهر آخر الزمان تطهر الارض وتملكها طولا وعرض ويعود الدين العتيق تحقيق بعدها كان اشرف على الزوال والتمزيق والآن خذوا المال والخراج واخرج وانا اسلم

اليك بغداد ولكن لاتظهر من بلاد الروم حتى تأخذ حصن يانس المتعزب لان ميخائيل ماسبب انكساره من المسلمين الامن حصن يانس وهو مسلم وسار رسول عقبة طالب الملك بحرون هذا وبحرون نزل على حصن يانس واحدق به ونظر الى الحصن مايقدر عليه احد ولا كل من فى الارض فقال مذبحون هذا ماتقدر عليه بقتال فقال بحرون انا ماملكى الا بك فافعل ماتريد فقال مذبحون بشرط ان يكون هذا الحصن لى وما فيه من الأموال فقال اوهبتك اياه ولو طلبت القسطنطونية اعطيتها الك ففرح (ياسادة) وقد اتفقت رواة الحديث ان ماسمع قط بمثل هذا مذبحون فى تسليق الحصون ان يكون رجليه إلى فوق ويديه إلى أسفل مثل العقرب وتشرح رجليه حتى يسيل الدم ويطلع ولو كان الموضع ألف قامه وأنه لما انسدل الظلام واختلط الفتام وتجلى الملك العلام أقبل مذبحون إلى الحصن ودار حواليه فرأى له قرنة خالية من الحرس لأنها كانت بعيدة من القتال فتسلق وجعل رأسه إلى أسفل ورجليه الى فوق شبيه العقرب وما كان غير ساعة حتى صار فى أعلا الحصن ودخل إلى دار يانس فرآه هو وزوجته والشمع يقيد فيه ومفاتيح الحصن بين يديه وهو يقول أسأل الله أن يكافىء من هو السبب فى زوال دولة بنى كلاب فطال ماا كتسبوا من الاجر والثواب وأما حصنى فلا يقدر عليه أحد بسبب من الأسباب فحانت من زوجته التفاته فنظرت مذبحون وهو مطلع عليهما من طاقة فى الحصن فاقبلت عند ذلك على يانس وقالت يامولاى رأيت هذه الساعة شخص فى هذه الطاقة وهو يطل علينا فقال هذا مما فى قلبك من الخوف لأن هذا المكان الذى ذكرتى انكى رأيتى فيه شخص مايصل اليه الطير الطائر (قال الراوى) فلما سمع ذلك مذبحون قصد إلى أعلا الحصن واختفى بين الشبابيك هناك وأقام طول الليل إلى الصباح ونزل يانس وقاتل ذلك اليوم من أعلا الحصن من فوق الصور كل هذا يجرى ومذبحون يدبر كيف يعمل على تسليم الحصن وحده وأنه قام هناك يومين وليلة حتى عرف الصعود والنزول تلك الليلة وأطفأ الشمع والقناديل وسرق مفاتيح الحصن من تحت رأس يانس وقصد باب الحصن فرأى هناك عشرين بواب فدنى منهم وذبحهم وفتح الباب وكان بينه وبين بحرون وقت معلوم فلما خرج من الباب رأى جماعة من أصحاب بحرون كانه قد امره بذلك فامرهم مذبحون بالدخول فما أحسوا أهل الحصن بهم إلاوهم عندهم وعمل الصارم فى الدجا وضرب بعضهم بعض وخرج منهم ألف نفر يطلبون النجاة فاخذوهم أصحاب بحرون أسارى وقد أخذوا الحصن بما فيه واحتووا عليه من سائر نواحيه وأما الأمير يانس لما نظر إلى ذلك أرمى نفسه من الصور بالحبال إلى ظاهر الحصن وسار تحت الظلام طالب ملطية قال وبحرون أنه سلم الحصن

إلى وزيره مذبحون بما فيه من الأموال وأقام الملك بحرون على الحصن عشرة أيام ورحل بعد ذلك طالب ملطية وقد ترك مذبحون بطريق من قبله وأضاف اليه خمسة آلاف فارس ورحلوا طالبين ملطية فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما يانس فانه لما نزل من الصور وسار فلحقه بعض من أصحابه من الذين سلموا من قدام بحرون وساروا إلى أن وصلوا إلى ملطية وساروا قدام الأمير عمرو فسأله الأمير عمرو عن حاله فاخبره بما جرى له فقال له عمرو ما وصلوا هؤلاء لحصنك الاوهم فى قوة زائدة ثم انه أدخلهم البلد وطيب قلوبهم وقال لهم اننا اليوم فى ثلثمائة من بنى سليم وغيرهم وقد بلغنى ان الخليفة قد وصل إلى الموصل فقال يانس أنا ما اقيم عندهم ولا عندكم لأننى أعلم ان هذا البلد يؤخذ بلا محالة وانا سائر الى الخليفة فقال له الأمير عمرو هذا الأمر لك ثم اعطاه هو وأصحابه من الخيل والعدد والزرد شيء يسير لأنه ما كان يرى لهم لأجل محبتهم فى الأمير عبد الوهاب فسار يانس حتى وصل إلى الموصل فوجد المعتصم عليه وقد عول على الرحيل ولما اخبروا المعتصم بيانس وقدومه أمر باحضاره فلما حضر يانس عنده قبل الأرض بين يديه ففرح به المعتصم وحياه ورفع مكانه وعلاه وسأله عن حاله فبكى الأمير يانس ثم اخبره بما جرى وقال له يامولاى ليس الخبر كالعيان فزول بما فى قلبك من الأمير عبدالوهاب وامراء بنى كلاب فانى اخاف يدق الناقوس على راسك فاستيقظ من غفلتك وان كان احد من اولاد الأمير عبد الوهاب سالم فاخرجه واخلع عليه وطيب قلبه ولبه بجمع بنى كلاب قال فلما سمع المعتصم ذلك قامت عليه القيامه وامر بضرب رقبة يانس وكان ذلك برأى عقبة لانه صاح عليه وقطع كلامه وقال له اسكت ياويلك من أنت حتى تقابل مولانا الخليفة بمثل هذا الكلام وقد حل قتلك على سائر المذاهب ياملعون قال فغضب المعتصم وقبض على يانس وقال له ما أقتلك حتى تعلم انى كسرت تلك الروم ثم أرسله الى بغداد وأمر ان يطرح فى المطمورة التى فيها عبد الوهاب وتفرقت أحبابه أصحابه (قال الراوى) وكان يانس لما سمع كلام المعتصم فرح وقال لى أسوة بعبد الوهاب وجماعة الأصحاب ولا خير فى الحياة بعدهم لانى ماعرفت الله الا بهم وسار وهو بين الخوف والرجا ولم يزل حتى صار فى وسط المطمورة وحده لان المعتصم قد أخذ أصحابه وقال انا أخلص لكم الحصن وأهلكم فلا ترتاعوا من ذلك فطمعوا فى قوله وقالوا هذا الذى نريد وساروا معه (وأما) يانس المتعزب فانه لما نزل إلى المطمورة وإذا بالمكان فى غاية من الظلمه فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ادفع ما أطيق وما لا أطيق ثم انه سمع أنين ضعيف ففتح يانس عينه لما توسط تلك المطمورة وإذا بأشباح بقيت بلا أرواح يبكى عليهم الحاسد

ويرحمهم العدو والمعاند (قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظر يانس إلى الامير عبد الوهاب وقد طال شعره ونصل ظفره وتغيرت حالته وذهبت حركته والأميرة ذات الهمة كذلك والأمير أبو محمد البطال وسائر الأصحاب وهم على ماهم عليه من الذلة والانكسار والبلا فبكى يانس واشتد بكاه وقال واأميراه واأولاداه وا اسلاماه وا اهلاه واحصناه ونظر الأميرعبدالوهاب وأصحابه إلى يانس فعرفوه وقد أنكروا ذلك عليه وبكوا لبكاه وكانوا قد فنيت دموعهم لكثرة بكائهم وجوعهم واذاهو بصوت ضعيف يقول يايانس فقال نعم أنا الحزين الآيس الذى قدلاقى بعدكم ما أبكى العيون وقد ملكت الحصون وهتكت الحرائر ودارت عليهم الدوائر وما دام انكم سالمين فقد هان على الموت بعد نظرى اليكم فقالوا له حدثنا ماسبب قصتك فأعاد عليهم ماجرى له من أوله إلى آخره وحديث الملك بحرون ووزيره مذبحون وكيف أخذوا الملك ميخائيل وملكوا مدينة القسطنطونية وان بحرون قدأطاعته الأمم وهو فى عالم عظيم ومع ذلك فانه نزل على حصنى وما أقام إلا قليل وهم قد ملكوه وما علمت ما السبب فى ذلك وإنى هربت بروحى وقصدت إلى ملطية وسرت من ملطية إلى الموصل فوجدت عقبة على غاية الاعظام والاكرام عند المعتصم وعمل على قتلى ولو أن الأجل حصين فأمربى المعتصم إلى ههنا والحمد لله الذى جمع بينى وبينكم ولى أسوة بكم وقد هان على جميع ماجرى لى لما نظرت إلى حالكم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فعندها بكى الأمير عبد الوهاب وصاح وا اسلاماه وادين محمداه فسوف تخرب البلاد وتملك الأرض والعباد ونحن ههنا تحت الأرض لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا فقال الأمير أبو محمد البطال لا كتب الله عليهم سلامة لقد أكلت كبدى بقولك يا أمير ما كفى مانحن فيه وأنت تبكى عليهم فعوض ماتبكى عليهم ابكى على نفسك وعلى حالك وحال أمك وأولادك وأصحابك وعيالك فقال له صدقت يا أمير أبو محمد فى هذا المقال ولكن أين أنت من فرج الله تعالى واعلم أن الفرج قريب والله ياأبو محمد مابى نفسى ومابى إلا إلا المسلمون وهم ينادون وا اسلاماه وادين محمداه ونحن غافلون عنهم فقال له الأمير أبو محمد البطال قد كفاك الله هذا وأنت تحت الأرض ماتسمع شيء من ذلك الا نحن مثل بيت الماء لانأذى ولا نؤذى (قال) فبكت الأميرة ذات الهمة وقالت للملكة ميمونة ماأظن جرى على أحد من المصائب مثل ماجرى علينا وعلى أولادنا ولا أدرى كيف يكون حالنا فقال الأمير أبو محمد البطال أنا أسأل الله تعالى أن ينصر هذا ملك الروم هذا الذى هو الخارجى ويسهل له الى عندنا المجيء حتى لا يبقى فى هذه الديار أحد فاما أن

يخرجنا من هذا البلاء وأما أن يقتلنا فنستريح من هـذه البلية أو يمن الله علينا بالفرج فاذا كان أهل ديننا قد فعلوا معنا هذه الفعال وجعلوا فى رقابنا السلاسل والاغلال فلعل الفرج يكون من يد العدو قريب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فضحكوا القوم من كلامه وقال له الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد سوف ترى من ألطاف الله تعالى مالم يكن فى الحساب فقد قال القائل :

كم فرحـــة مطوية لك بين أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأقاموا القوم فى تلك المطمورة وهم ينتظرون الفرج راجين أن يكن لهم مما هم فيه مخرج فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من أمر الامام المعتصم بالله فانه وصل إلى نصيبين وكان الملك بحرون قد أشرف على ملطيـــة وكانت عساكره قد طبقت الأودية والتلال والهضاب والرمال والصحارى والشعاب وسائر الأرض طولا وعرض ونشفوا الأرض والمياه والعيون وقطعوا الأشجار وأخربوا الأقاليم وتلك الديار ونفرت الوحوش من كثرة عجيجهم وضجيجهم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وتقسطل الغبار على الاقطار حتى أظلم النهار ولما انكشف الغبار بانت من تحته صلبان الروم وهى تكفر بالله الحى القيوم وقال الامير عمرو بن عبيدالله معاشر بنى سليم لاتخلوا الناس يابنى عمى يقولون ما كان يحمى الثغور الا الامير عبدالوهاب فاليوم يبان البطل الصنديد ويظل الجبان الشريد فقالوا أيها الامير سوف ترى منا العجب من ضرب يهد وطعن يقد (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم أنهم لبسوا السلاح واعتقلوا بالرماح وأظهروا الزينة القوية وتقلدوا بالسيوف الهندية والسهام المسقيه والخشوت اليمانيه والهمم الجليه والجحف السلاميه والعزمات الحميه (قال الراوى) وخرج الاشعث وولده عامر والامير عمرو بن عبيدالله وقد ماجت بهم الأرض ذات الطول والعرض والغبار متراكد والزحام متزائد هـذا وقد وقعت العين على العين (قال الراوى) هذا وان الامير عمرو بن عبيد الله لما نظر الى ذلك العسكر الذى لهم لم يشاهد قط مثله ولا نظر الى شكله فعندها اقبل على قومه وقال لهم اعلموا ان العجل فى الامور مما يدل فيها القوم الكرام ويتعب الانسان فقالوا له قومه بنى سليم وما الذى قد عولت عليه ان تفعل فقال لهم يابنى عمى هـذا عسكر عظيم وقد طبق الرستاق والاقاليم والرأى عندى ان نعود الى داخل بلدنا ونقاتل من وراء الاصوار ونحتمى بالجدار الى ان يأتى المعتصم بالله الينا ويكشف هذه الغمة من علينا فقالوا له بنى سليم هذا مالا

يكون ابداوما كان الأميرعبد الوهاب ينصر الالاجل إنه ما كان يفكرفى كثرة المدد ولا فى زيادة المدد ونحن فلابدلنا أن نرى أرواحنا فى هذا الجمع الغزير والجحفل الكثير فإن البدرة لمن بدر ولعل الله تعالى ان يخلصنا بالنصر والظفر ولا بد لنا من اللقى لأن لنا عند المعتصم بالله أعداء ولا لنا من يشكرنا عنده إلا أن ابن عمنا القاضى عقبة فانه يدعو لنا وما نفلح إلا ان كان بدعاء ذلك الشيخ الزاهد العابد والرجل المجاهد فقال لهم الأمير عمرو بن عبيد الله خلونا الساعة من هذا المقال واعتمدوا على ضرب البيض والنصال والسمر العوال وان اتكلتم على دعاء القاضى عقبة وقعتم فى نوبة صعبة وحل بكم كل رزية ونكبة فقالوا له بنى سليم سوف ترى العجب يا أمير (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وقد أشرف عسكر الملك بحرون على عسكر الأمير عمرو بن عبيد الله (قال) فلما رآه ضحك وصلب على وجهه وقال وحق المسيح والأربع أناجيل أنا وحدى أقوم بهؤلاء القوم الطناجير خذوهم قبل أن يطول المطال (قال) فما استتم الملك بحرون ذلك المقال حتى حملوا الروم وحملت العربان والتقوا الجمعان ودام الضرب والطعان وعملت الصوارم فى الجماجم والقواضب فى العلاصم والتوت فى البراجم وعظمت العظائم وزاد الشر وعظم الأمر وضاق الصدر وتطحطحت عساكر العرب وحل بهم الويل والحرب ورجعت بنى سليم إلى خلفها وقد قتل منهم أكثر من نصفها (قال) وان الملك بحرون لم يقف تحت الصليب على حسب العادة التى جرت للملوك بل كشف راسه وخفف عن لباسه وكان له شعر أسود أجعد وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو ينادى ياويلكم أنا الملك بحرون ثم جعل يفتك بالرجال ويكفر بالملك المتعال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلاحت منه نظرة فرأى الراية المنصوبة على رأس الأمير عمرو بن عبيد الله فقصد إليها حتى قاربها ونادى خذ الأهبة أنا ملك الروم وأنت لاشك ملك العرب فدونك والقتال والنزال فى هذا المقام قبل ان ارديك بهذا الحسام الصمصام (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله كلامه فرآه فصيح اللسان ثابت الجنان فطمع فيه غاية الطمع وحمل عليه وهو ينشد ويقول :

ألا أيها الفارس السيد ... رويدك انى فتى أجرد
يبيد الألوف بضرب السيوف ... إذا ضاقت الأرض بالجلمد
أنا عمرو ليث بنى سليم وقد ... ألفت المعامع فى المرقد
وحامية الثغور يوم الوغا ... إذا همهم البطل الأنجد

(قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون شعر الأمير عمرو بن عبيد الله انقلبت عيناه

فى أم رأسه وكان قد أمر العساكر بالنزول وبقى أيضا فى مائة ألف فارس فلما ان سمع شعره أراد يقول مثله إلا ان عجمة الروم منعته من ذلك وما كان يقدر يرد عليه الجواب وما كان فى أبناء الروم أقوى ولا أفرس منه فعند ذلك صاح فى الامير عمرو بن عبيد الله صيحة عظيمة خيل له بأن الارض قد ابتلعته فضرب رأس جواده طيرة وقد وقع الامير عمرو بن عبيد الله إلى الارض فمد إليه يده واختطفه من قبل أن يصل إليها فأخذه أسير وقاده بيده ذليل حقير (قال) فنظرت بنى سليم إلى سيدها وقد أخذ فعندها حمل الامير عامر ابن الاشعث وضايق الملك بحرون حتى يخلص الامير عمرو بن عبيد الله منه ومن يده ويكون له عنده بذلك اليد البيضاء (قال) فما طال به الامر حتى أخذه الملك بحرون أسير وانهزمت العرب ودخلوا الجميع إلى ملطية وهى عالية البناء فقال له وزيره مذبحون لا تعظم من ذلك فأنا فى هذه الليلة أسلمها اليك ولو شئت سلمت اليك بغداد وأنت مقيم فى هذا المكان فقال له الملك بحرون وما الذى تفعل فقال له مذبحون سوف ترى من فعالى العجب (قال الراوى) وأقامت الناس إلى أن أظلم الظلام واختلط القتام وصاحت الحراس وقد نامت أكثر الناس وقصد الوزير مذبحون إلى برج الزاوية ولبس ثوب أسود وتسلق فى البرج فصار مع الناس فى البلد وقصد الى دار الامارة لانه رأى الناس اليها قاصدين ليأخذون رأى الاميرة أم الامير عمرو بن عبيد الله وهى مثل الحبة على المقلا فزعا على ولدها الامير عمرو بن عبيد الله والناس يصبرونها ويقولون العسكر يكون عندك بعد غداة غد والمعتصم بالله الامام يخلصه وهى لا تطيق الصبر على ذلك (قال) وكان الوزير مذبحون واقف يسمع ما يقولون الى أن تنصف عليه الليل بالظلام ونامت كل عين (ياسادة) وكان الوزير مذبحون قد حصل فى وسط الدار ولم تشعر به أم الامير عمرو بن عبيد الله الا وهو على صدرها الخنجر على نحرها فأيقنت بالقتل والعطب وقالت له ايش أنت فقال لها مذبحون أنا رسول ابنك أتيت اليكى وهذا خاتمه (قال الراوى) ثم ان مذبحون أخرج لها خاتم الامير عمرو بن عبيد الله الذى كان فى أصبعه وقال لها اعلمى انه قد استقر حال ابنك مع الملك بحرون وأنه قد اشترى روحه وماله بأنه يسلم اليه البلد فى هذه الليلة والا قتله عند الصباح وزحف اليكم وقدم عليكم وأنا أريد منكى أن تسلمى البلد من حيث لا يعلم بكى أحد لا أبيض ولا أسود لأن أهل البلد ان علموا بذلك لا يسلموه ويمضى ولدك الأمير عمرو بن عبيدالله رخيص وهو الذى أرسلنى اليكى بهذه العلامة حتى تعطى إلى المفاتيح وتعاونينى على فتح الباب وإلا هلك ولدك الأمير عمرو بلا محالة وحق المسيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام وهــذه امرأة على كل حال وقد

نظرت إلى الموت عيان بيان مع أنه قد أطمعها فى سلامة ولدها الأمير عمرو وأنها إن لم تفعل هذه الفعال وإلا اقتلها وقتل ولدها فعند ذلك قالت له خذ المفاتيح لا بارك الله لك فيها فهاهى فى ذلك الموضع فوق رأسك (قال) فعندها وثب مذبحون قائما من على صدرها وقد أخذ مفاتيح البلد بيده وقال لها تأتى معى من أجل غلمانك حتى إذا فتحنا الباب ودخلوا الرجال تكونى أنتى أمانى أيضا أمانى وفى ذمامى وإلا هلكتى فى ظلام الليل فعند ذلك قامت أم الأمير عمرو ومعه وذلك كله من الخوف والفزع وكان الآخر قد أخذها معه خيفة منها لأنه تفزع إذا مضى عنها وأمنت على نفسها ورجع اليها عقلها استدركت الرأى (قال) فلما وصل إلى الباب وفتح الاقفال وشرع الفردة وإذا بفارس قريب من الباب وقد صاح وحمل عليه وكان هذا الملك بحرون بنفسه وقد تداركت البطارقة ووقع الصوت فى البلد وتراموا أيضا بالأحجار من فوق الأصوار وهم لا يعلمون أن الباب قد فتح (قال) ولما علموا بذلك نزلوا وعملت السيوف وقاتلت العرب عن حريمها وعن أولادها ونسوانها (قال الراوى) ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل على مثل ذلك العمل إلى أن مضى الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه ونادوا عن لسان واحد الأمان الأمان فعندها رفع الملك بحرون عنهم السيف اليمان وأخذ منهم مالا يعد ولا يحصى من الأسارى والأموال والرجال وقد بعث الكل إلى أرض القسطنطونية وقال هذا أول الفتوح (قال) ولم يترك فى ملطية مايساوى الدرهم الواحد ورحل طالب العراق فبلغه أن المعتصم بالله قد قرب منه فقال لابد لى من المسير اليه والقدوم عليه ليكون ذلك أهيب لنا ثم أنه رحل بعساكره وقد أجهد الناس التعب والنصب ولكن من هيبته ماقدر أحد أن يتعرض عليه

(قال الراوى) وبلغ الخبر إلى المعتصم بالله بما قد تم وما قد جرى على ملطية فقال الخليفة ياقوم ماوقفوا بنى سليم بين يدى هذا العدو يوما واحدا من الأيام فعندها سمع الملعون عقبة بذلك الكلام فقال فى نفسه هذا الذى أريد وهذا أوان دولة السيد المسيح وهذا الوقت المعلوم الصحيح (قال) فبينماهم كذلك إذ أشرف عليهم الملك بحرون وعساكره وأبطاله على المعتصم بالله وهو فى كتائبه ومواكبه ووقعت العين على العين وكانوا المسلمين بعدد التراب وقطر السحاب لان المعتصم بالله كان قد جمع عالم ما اجتمع قط مثله ولا نظروا الناس شكله لامن بعده ولا من قبله (قال) ونظروا المسلمين الى عسكر الملك بحرون بزينة مليحة مانظروا مثلها من عساكر سواها من الدروع والجواشن والبيض والمغافر والخوذ والعمد والخيل المسومة والدرق المكوكبه

وأيضا السيوف المجذبة والصلبان الياقوتيه والرايات الخضر الهرقلية والبوقات الملكية وهو فى عزيمة قوية وفى أوائل عسكره أربعمائة ألف فارس من عساكر الجزائر كأنهم النخيل العالية هذا وقد نزلت الامم حتى لم يبق فى الارض موضع حافر ولا قدم إلا وفيه الفارس والراجل والمقاتل والمناصل (قال) ونظر الملك بحرون الى عساكر المسلمين وكثرتها فلم يكترث بذلك بل قال الروم أنا قد عولت أننى لا أترك هذا اليوم يمضى حتى أقتحمن عسكر المسلمين وأبيد أبطال الموحدين فعند ذلك قالوا له الملوك أيها الملك إننا نعرف من هذه العساكر مالا يعرفه أحد غيرنا ومامنهم إلا من قد جربناه وهو فى قتاله مع الملك ميخائيل ومع الملك قسطنطين والملك منويل وتوفيل وأيضا فيهم الاتراك الذين يرمون الحدق ويطرحون الطير من جو الافق ونحن لا نأمن من شرهم ونحن فى أثر التعب واتركنا إلى غداة غد و نلقاهم فقال الوزير مذبحون مافى هذا الرأى من باس ولا يذمه أحد من الناس إذا صبرتم إلى غداة غد بالناس فقد قال الحكيم ارسطاليس فى زمن الصبر يكون الاقتدار وفى العجلة يكون الذل والخسار ونقصان الامل

(قال الراوى) ولما سمع الملك بحرون مقالهم نزل ونزلت العساكر وأضرمت النيران وتحارس الفريقان على مثل ذلك العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وكان المعتصم بالله قد جمع أرباب الدولة فى تلك الليلة وقد قال لهم لعمرى مالقى أحد من الخلفاء مثل هذا العسكر الجرار الذى هو مثل البحر الزخار ولكن الرأى عندى أننى أكبس عليهم فى ظلام الليل وأخرج فى غداة غد الى الملك الذى لهم فى مقام الحرب وشدة الطعن والضرب فان ظفرت به بلغت المراد لاننى اذا أخذت الملك انكسرت العساكر (قال الراوى) فتحيروا الناس من عظم همة المعتصم بالله وقوة قلبه وشدة عزمه وجودة جفانه وفصاحة لسانه فقالوا له أيها المولى ماهذا صواب لانا كلنا لك وبين يديك ومن هو هذا الكلب حتى تخرج أنت اليه بنفسك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ واعلم أن أقل غلاما لك فى غداة غد يأتيك به أسير ويقوده بين يديك ذليلا حقير ويأتيك به الى بين يديك عاجلا غير آجل (قال الراوى) فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أرسل المعتصم بالله من عنده رسولا الى الملك بحرون يقول له (أما بعد) فانك معجب بهذا الملك الذى قد وصل اليك لانك لست من أهله وقد ملك غيرك من ملوك الروم كثير وطلبوا هذا الذى أنت طالبه فأهلكهم الله سبحانه وتعالى وأباد الله سلطانهم وقد أهلك أعوانهم وما بينك وبين بيان ذلك الا أن ترى الجيشان قد التقيا وتصبح عزيمتك منحلة وجيوشك منفلة وينصر الله تعالى أمة

محمد بن عبد الله المصطفى ﷺ والآن فانك خرجت إلى بلادنا فان كان ذلك من أجل الأموال التى تدفع الينا فى كل عام من بلاد الروم ومن أجل الثغور وطمعا فى بلاد المسلمين فدونك وما تريد من القتال والنزال وسوف ترى رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وهم معودين بضرب الصوارم وتفليق الجماجم ولا يخافون فى الله لومة لائم ولا يهربون من الموت ساعة واحدة ويرون الموت أيضا فى سبيل الله أو فى بضاعة قد قدموا ما أحسن من الأعمال فى مرضاة الله الملك المتعال والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى ولعنة الله على من كذب وتولى وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى ﷺ (قال الراوى) فلما أصبح الله تعالى بالاصباح أرسل المعتصم بالله رسوله إلى الملك بحرون بذلك الكتاب فلما وصل الرسول بهذا الكتاب إلى عند الملك بحرون فقامت عليه القيامة وزاغت فى أم رأسه عيناه وأخذ الكتاب بنفسه وكتب بيده فى ظهره يقول أما بعد فان الذى عهدته من أولئك فقد تغير لأن المسيح قد نصر دينه وأظهر شريعته ويقينه وقد بعثنى حتى لا أبقى فى بلد الإسلام لا كبار ولا صغار إلا أن يشووا كلهم بالنار وأنا أقسم بالشعانين والصلبان والكنائس والرهبان ان كان لا بد لى بما أكويك بين عينيك صليب وسوف ترى ذلك قريب ومع ذلك فان لا بد لى أن أفتح البلاد ولا أترك من يقول كلمة التوحيد إلا أن تزنوا الأموال مثل ما أخذتم من الملوك على طول الأيام وليكن فى كل عام عليك مثل ما كان يدفع اليكم من بلاد الروم وتلبس فى عيدنا ثوب من نسيج الروم عليه صليب مرقوم حتى أعلم أنك قد دخلت الطاعة والا فدونك والقتال والحرب والطعن والنزال وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر

(قال الراوى) هذا وقد وصل ذلك الكتاب إلى المعتصم بالله فلما سمع ما فيه من الكلام والخطاب انقلبت عيناه فى أم رأسه وطارت الدمعة من آماق عينيه ولم يبق ينظر ما بين يديه وصاح بأرباب الدولة لأنه ما ظهر فى الخلفاء مثله لأنه كان فارس همام وبطلا عظيما ضرغام وكان فيه من الحمية والدين والغيرة على المسلمين ما لم يكن فى أحد من أجداده (قال) فلما ركبا الفارسين ارتجت الأرض بأهلها واصطفت المواكب فى سهلها وجبالها وقد جردت القواضب وركبت الجنائب وارتفع الصياح من كل مكان وجانب هذا وقد نظر الملك بحرون إلى انزعاج عساكر المسلمين فلم يعظم عليه ولم يكبر لديه بل أنه ركب وركبت العساكر ولم بق أحدا يسمع صوت من يناديه من كثرة الضجيج والعجيج وحارت الأبصار من كثرة بريق الصفاح واصطفاق أسنة الرماح وضاقت الأماكن الفساح واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وحامت عليهم طيور الحتوف

(قال الراوى) هذا وقد قسم الملك بحرون عسكره ألف موكب بخلاف ما تفعل الروم وقدم الفرسان الطعانة فى أول الناس ورفعت البيارق واصطفت الطوارق وهزت الصوارم لضرب المفارق (قال) وكان المعتصم بالله قد عمل معه كلام الملك بحرون الى غاية فلم يجد الصبر على ذلك دون ان حمل وهو راكب على جواده وخرج الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وهو على جواده من الخيل شديد القوى والحيل قوى العصب مليح الركب ديال الذنب شريف النسب من أشرف خيول العرب وعليه درع داودى وسيف هندى وبيضة عادية وعمامة قصب مصفحة بالذهب وقد أرخى ذوائب الشرف على كتفيه وبردة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى على رأسه وكتفيه ولواء الحمد على رأسه وقضيب ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وقد تنكب بقوسه (قال) ولم يكن فى عسكره من يقدر يأتى ذلك القوس الذى له (قال الراوى) هذا وان الأمراء وأرباب الدولة لما نظروا الى المعتصم بالله وقد خرج بنفسه حتى يصطلى نار الحرب بنفسه فقالوا ماهذا صواب ولو قضى عليه بقضاء لهلك الإسلام جمعا وما كنا نقدر على نفوسنا بضر ولا نفع (قال) ثم انهم تقدموا إلى بين يدى المعتصم بالله وقالوا له يا أمير المؤمنين لاتخرق شرع ولا تغير رسم وها نحن لك وبين يديك وان كان قصدك البراز فها نحن نبذل قدامك نفوسنا

(قال الراوى) ثم تقدم فارسا منهم يقال له مدلاج العبسى وكان هو الذى كان المعتصم بالله قد وعده ان يكون موضع الأمير عبد الوهاب فى ملطيه مع الأمير عمرو ابن عبيد الله وكان فى خمسة آلاف فارس من بنى عبس وكان هذا الرجل مدلاج من الابطال الموصوفين وكان يقول لو كنت فى زمان عنتر بن شداد ما كان الذكر والفخر طلع الا لى وهو الذى يقول :

انا مدلاج ليث الحرب جمعا مبيد الخلق من جن وانسى
ولست أخاف من خوض المنايا اذا علقت به سيفى وترسى
وعنترة الوغا ما كان مثلى اذا وقع الفنا بابناء جنسى

(قال الراوى) وانه أقبل على المعتصم بالله وقال له يامولاى وحق أياديك الجليلة ومكارمك التى هى غير قليله اننى أخرج أناوحدى إلى أبطال هذا العسكر كله ولايخرج فى هذا اليوم اليهم غيرى وانظر إلى فعلى فقد كان بين يديك رجلا ما كان مثلى وهو الأمير عبد الوهاب وكان يفتح باب الحرب بنفسه فقال له المعتصم بالله افعل ما بدالك (قال) فعندها فرح مدلاج بذلك الكلام فرحا شديد ثم انه ركب على جواد كانه الليل

الداج وقحم إلى وسط العجاج وفى يدة حسام يلمع مثل السراج ونادى من أعلاصوته ويلكم يا أعلاج الروم هـــذا عليكم يوم ميشوم فدونكم والاسد الهجوم والفارس القدوم هل من مبارز هل من مناجز فهذا يوم الهزاهز ثم انه جال وأنشد وجعـــل يقول هذه الأبيات :

اليوم يوم الضرب بالصفاح والطعن بالخطية الرماح
ويظهر الجد من المزاح ويصرخ الهجام فى البطاح

(قال الراوى) فلم يستتم كلامه حتى خرج اليه فارس من عسكر الروم وكان من الجزائر طوله طول قصبه وعرضه عرض مصطبه وهو مثل الجاموس وعليه ثلاث لبوس وهو راكب على جواد هائل الخلقة لا يمل من التعب ولا من المشقه وفى يده قنطاريه عليها سنان ماضى وهو على الأرواح قاضى (قال) ولم يسلم بكلام حتى أشار إلى مدلاج وحمل لحمل مدلاج أيضا وطلع عليهما الغبار وتقسطل العجاج وتطاعنا بالرماح ساعة زمانيه حتى أيس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه ثم انهما قد أرميا الرمحين واخترطا بأيديهما السيفين وقد خرج منهما ضربتين فسبقه الرومى بالضربه فبطلها العبسى وضربه على عاتقه أطلع السيف يلمع من علايقه وخرج اليه ثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر ولم يزال يقتل منهما واحد بعد واحد إلى ان قتل فى نهاره خمسة وثمانين واحـــد من البطارقة الكلاب الزنادقه (قال) فعندذلك هللوا وكبروا المسلمين وصليوا على وجوههم المشركين وقالوا أصحاب الاقاليم لاشك ان اسود بنى كلاب قد أخرجوه من الحبس والملك يحرون قد تعجب من فعاله وأموره وأعماله وقال وحق المسيح ماهو إلا فارس حلو الشمائل فما يقال لذلك الفارس فقالوا له قومه ماندرى ان كان هو أسود بنى كلاب اوغيره (قال) ثم انهم جعلوا يحدثوه بحديث الامير عبدالوهاب وقوته وأفعاله وهو يتعجب من ذلك غاية العجب ثم قالوا ما للسلطان هذا عقل ولا بصيره مادام انه يفعل فى حق هذا الغلام هذه الفعال ولو كان فيكم أنتم من يأخذ هذا الفارس الذى نكل اليوم بالأبطال لاعطيته ما احب من القرى والأموال وأما أنا فما أعين نفسى عن الخروج اليه والهجوم عليه الا انى قد أعطيت السلطنة حقها وما خرجت فى يومى هذا الا انى أبرز إلى حومة الميدان ومحل الضرب والقتال والطعان وأطلب براز خليفة المسلمين وأقاتله بين هذه العساكر المجتمعين (قال الراوى) وكان الظلام قد قبل وانسدل واختلط القتال بالظلام ورجعت العساكر إلى المضارب والخيام وقد نزلت فى مكانها واضرمت نيرانها هذا وقد ادعى المعتصم بالله بالامير مدلاج وخلع عليه خلعة سنيه وأمده بالخيول

الملاح العربية وأعطاه خمسة آلاف دينار مصريه وقال لارباب دولته ها قد أخلف الله علينا الامير عبد الوهاب إلى هـــذا الفعال والضراب فقال عقبة يامولانا ومن هو عبدالوهاب فى مقابلة هذا الأسد الوثاب وانما كان الأمير عبد الوهاب يستعين بحيلة هذا الشيطان المكار المحتال الامير أبو محمد البطال ويتكل على قتال السودان الانذال وهذا فى يوم واحد من الايام قد فعل ما أبصرته وقتل خمسة وثمانين من الرجال (قال) فعند ذلك فرح المعتصم بالله بذلك الخطاب والمقال وقال هذا على رغم أنف الامير أبو محمد البطال الذى يقول ان ما ينتج الزمان بمثل الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا كله يجرى من المعتصم بالله وفى قلب عقبة من الامير مدلاج نار لا تطفى ولهيب لايخفى (قال) ثم ان عقبة أنفذ الى الملك بحرون يقول له لقد رحم دين المسيح ودين النصرانيه بك ونصرهم على دين لحنيفية غيران قلبى قد آلمنى من هذا الشيطان الذى قدقتل هذا اليوم الابطال ونكل بالرجال الاقيال وماكان ينجده فى العسكر فارس مذكور ولا بطل من الابطال مشهور وان كنتم أنتم ما تقدرون عليه فأنا أعمل على قتله والسلام (قال الراوى) فلما وصل رسول عقبه الى عند الملك بحرون فقال ياويلكم من هذ الذى براسلنا راسل الاذلال من عند المسلمين الموحدين (قال) فأعادوا عليه خواص أهل مدينة القسطنطونيه قصه عقبه وفعاله وأموره وأعماله مع ابناء الروم وانه حجة المسيح فى دياره فقال لهم الملك بحرون ولماذا يقعد عند المسلمين دون الروم فقالوا له قومه حتى يدبر عليهم الحيل فقال الملك بحرون هذا وحق المسيح والدين الصحيح من جهل ملوكهم والا ولو كان فيهم نصفة لما كان هـذا الرجل عندهم بل كانوا يفتحون الديار والبلاد وقد استغنوا عن العيون وغيرها (قال الراوى) الى هذا الكلام ثم انهم باتوا الجميع على مثل ذلك العمل والرواح الى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الأمم فكان أول من خرج إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب كان الأمير مدلاج العبسى وجعل يطلب البراز من الروم (قال) فلم يخرج اليه أحد لا أبيض ولا أسود فعندها صاح بهم الملك بحرون صوتا أرعبهم وخبلهم وصرخ بجواده فخرج من تحته كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف ثم انه وقف بين الصفين وكشف رأسه بين المعشرين وأعطى إلى غلمانه لباسه وبقى عاريا بالسراويل الذى كان عليه وقبض بيده على قنطاريه لاتحملها خمس رجال وأشار بيده إلى الأمير مدلاج وحمل عليه (قال) وكانت الروم لما حمل الملك بحرون ترجلت بين يديه مائة ألف من البطارقة فعرف المسلمون أن الروم مايفعلون تلك الفعال إلا للملك من ملوكهم وهو الملك بحرون هذا وقد عرف الأمير مدلاج

العبسى ذلك فقال هذا اليوم يكون سبب الغنائم ثم انه حمل و هو يقول هذه الأبيات

رويدك يا بحرون قد لاقاك ضيغما　　يصول على كل الانام الادانيا
أنا فارس الهيجاء مدلاج والذى　　له صولة فى الحرب إذ كان عاديا
سأنصر دين الهاشمى محمدا　　نبى كريم جاء للحق ها يا
وما عادتى إلا اقتناص أسودها　　إذا برزوا نحـوى بحسن فعاليا
وفى يومنا هذا ترى الجمع فعلنا　　إذا ما التقينا بالقنا والمواصيا

(قال الراوى) هذا وقد حمل بعضها على بعض وتكالحا كانهما جبلين تصادما أو بحرين تلاطما ساعة زملنية من النهار ثم انقض عليه الملك بحرون وقد بطل عليه مضاربه وسد مذاهبه ولازقه وضايقه حتى حك ركابه بركابه ومد يده إلى أطواقه أخذه أسير وقاده ذليلا حقير فعند ذلك نظرت الناس إلى الأمير مدلاج العبسى وهو فى يد الملك بحرون كانه الطفل الصغير فعندها أتوه عشرة من البطارقة فسلمه من يده إليهم وطلب البراز وسال الانجاز فخرج اليه واحد بعد واحد حتى أسر منهم اربعين وقتل منهم خمسين وانسدل عليهم الظلام وباتت الناس على مثل ذلك العمل والرواح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ثم ركبوا الروم اللاعين وركبت المسلمين الموحدين وأرادوا البراز فحملت الخيل بركابها وحملت الجيشان وتصادمت الفريقان وتطايرت الرؤس عن الأبدان وعمل الصارم اليمان وصارت الأرض وردة كالدهان وعضت الخيل على لجمها وعرقت أجسادها وعطشت أكبادها وفارقت الأرواح والأشباح وقد تقصفت الرماح وتثلمت بأيديهما الصفاح وجاء البطل الجحجاح ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وقد ملكت الروم أكثر مضارب الامام المعتصم بالله وقد تأسف وندم على قدومه إلى هذا العسكر الخشن (قال الراوى) ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أرسل عقبة إلى الملك بحرون يقول له مابقى فى القصة إلا أن تفعل اليوم مثلما قد فعلت أمس وقد بلغنا المنى وما يرجع المسلمون يجتمعون فى مثل هذا العسكر أبدا وتملك البلاد وتأخذ العباد وهذا الذى كنت أطلبه من السيد المسيح لعلى من كلمة الإسلام والتوحيد أستريح (قال الراوى) هذا وقد ركب المعتصم بالله الإمام على نية الخروج إلى الملك بحرون فى يومه فكان أول من فتح باب الحرب وموقف الطعن والضرب وقد هزته النخوة العباسية والقرابة النبوية ثم انه ظهر راكب على جواد مليح صافى الجوهر رائق المنظر ويفوت البصر يسوى من المال عشر بدر وعليه الصفة التى قد ذكرناها من آثار سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم

(قال) ثم أنه وقف بين الصفين و نادى بالملك بحرون فخرج وعليه الصفة التى قد تقدم ذكرها وقد ترجلت بين يديه الارمن و الدوقش و الانجاز و المغلبيط و الافرنج وسائر أجناس الروم والقساسة والشمامسة ورجال الجزائر ونظروا الناس اليه وهو فى أوساطهم يعلوهم بعظم قامته وهول خلقته (قال) وكان له هيبة عظيمة لم تكن لأحد من الملوك ثم انه سار حتى قارب المعتصم بالله وكان أمير المؤمنين المعتصم بالله قد قال لقومه لا تنظرون الى ولا تقولون هذا المعتصم بالله أمير المؤمنين الخليفة فأنا ما أدرى أن تكون الغلبة لى او على فان كانت لى فهو الذى أريد وان كانت على كنت أسيرا فأنا أرجو من الله عز وجل الخلاص وان كنت قتيلا فدبروا أموركم وارحلوا والا ما يبقى منكم أحد لا أبيض ولا أسود (قال) وكان المعتصم بالله ظن أن هذا الكلام لا يخفى عن المشركين (قال) وكان الملعون عقبة اللعين لعنه الله لما عول المعتصم على البراز أرسل الى الملك بحرون يخبره بخبره ويقول له ان قدرت على قتله لا تبقى عليه ولا يكون له دواء الا السيف فما هو الا أن تلطخ الأرض بدمه وما يبقى أحد من قومه وتملك الأرض ذات الطول والعرض وكان عقبة قد ختم الكتاب بهذه الأبيات يقول :

حمدت المسيح على فعله ... باظهاره الملك فى أهله
وأخذ البلاد وقتل العباد ... من المسلمين على فضله
ونصرة بحرون فى جيشه ... وعزمته اليوم فى رجله
وقد عول اليوم يغشاكم ... خليفتهم فهو من جهله
فلا تقعدوا اليوم عن ضربه ... ولا تمنع السيف من قتله
فما يبقوا الناس من بعده ... اذ حكم السيف فى متنه
أنا عقبة الخير لابد لى ... أملكك الوعر مع سهله
واضرب ناقوس دين المسيح ... على قبة العز فى قصره

(قال الراوى) فلما وصل الكتاب الى الملك بحرون فقال وحق المسيح أنا لقد اشتقت الى لقاء هذا الشيخ النجيح وأريد أجعله من تحت يد وزيرى مذبحون لانه صاحب سرى وشريكى فى أمرى ويكون هذا الشيخ النجيح مدبر ملوك الروم (قال الراوى) ثم أنه خرج الى الامام المعتصم بالله وكان أشوق الناس الى لقاه واذا رقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وقد ذكرنا اليكم ان سائر بنى العباس ما كان فيهم مثل المعتصم بالله فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب (قال) فتساويا فى ذلك الموقف وقد شخصت نحوهم الأبصار والأحداق وقامت الحرب بينهم على قدم

وساق وصعب ذلك على المسلمين وقد ضجت الموحدين وقالوا ماهذا صواب أن يكون هذا الملعون بحرون فى مقابلة أمــير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين محمد رسول رب العالمين ثم انهم عولوا على الحمله بأسرهم من غير اختيار المعتصم بالله (قال) وإذا قد خرج من عسكر الاكراد الأمير أبو المهندسين ابن خشترين وكان فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وكان أفرس من الأمير مدلاج (قال) وكان عقبة يبغض لهذا الرجل الـكردى لأنه كان يمـدح الأمير عبد الوهاب بين يدى المعتصم بالله وكان يقول يا أمير المؤمنين ما كان يجوز لأحـد أن يفرط فى مثل الأمير عبد الوهاب ولا فى مثل الأميره ذات الهمة فان كان له سيئة واحدة فله ألف حسنة لأن أمير المؤمنين مثل هـذا الرجل لاينكر فعله ولا يوجـد يوم الهياج مثله وبالله العظيم أقسم أنني قد مارسته فى الحرب ولاقيته فى الطعن والضرب وكنت أقول اننى أنا أشد منـه بأسا وأقوى مراسا وأنا ماأصدق ذلك الـكلام لأن العرب والعجم والترك والديلم وسائر الأمم قد اجمعوا أيهم أنه فارس هذا الزمان ونتيجة العصر والأوان وحاوى قصب الرهان وأدين أهل هـذا الزمان والأوان وإلا ومن يكون هذه الصفة صفته فقد كان جيدا أن يعفى عنه ويتجاوز السلطان عن خطيئته (قال الراوى) وكان المعتصم بالله إذا سمـع ذلك الـكلام منه ينـكسر غيظه وغضبه على الأمير عبد الوهاب وكان يقول أنا ما أدرى هل هم فى عافيه أم هم ميتون ولقد كان العفو عنهم أليق وتركهم لمثل هـذا الوقت أوفق (قال) وكان عقبة إذا سمـع ذلك الـكلام يعظم عليـه ويـكبر لديه ويقول فى نفسه من أين أتى هذا الشيطان وحق المسيح لو كان هـذا الـكلام يبقى فى قلب المعتصم بالله كنت قد هلـكت وكان عقبة لايرفع لهذا الرجل الـكردى رأس ولا يعلوه بين الناس (قال) فلـما أن كان فى ذلك اليوم أخذت الرجل الـكردى الحمية فى دين الله عز وجل (قال الراوى) إلى هذا الـكلام وكان فى كـف أبو المهند حسام مهند يقطع الدروع الداودية ولا يبقى على جيشن ولازرديه وبيـده رمح طويل وعليـه سنان مثل القنـديل ثم انه صاح بجواده فخرج من تحته كانه الماء إذا اندفق وقد سبق المعتصم بالله إلى الملك بحرون لأن المعتصم بالله كان قد خرج خروج الهوينا خروج الخلافة وترك العجلة هذا وإن الملك بحرون لما نظر إلى أبو المهند علم أنه فارس شديد وبطل صنديد فحمل عليه طمعا أن يقتل ذلك الفارس ثم ان أبو المهند حمل على الملك بحرون وقد أشار ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا بحرون جاك الموت حقا … وعاجلك الحمام بغير شكا
بكف أبو المهند عن قريب … وتصبح فى قمار الأرض هلـكا

قصدت إلى الثغور فصرت فيها لتحويها يديك بغير ملكا
ولو كان الأمير بها مقيما لكنت مقصرا عن أخذ تلك
يعز على أن يضحى رهينا ويجلس فى المحبوس بغير إفكا
ومافى الارض من يحكيه فضلا من الاعراب مع عجم وتركا
سأبذل مهجتى فى الله صدقا وانصر دينه من غير شكا
وأنصر للخليفة فى مقامى ولو كان الحمام بغير شكا

(قال الراوى) ثم ان أبو المهند حمل على الملك بحرون وحمل الملك بحرون عليه من غير كلام ولا نظام وأخذوا فى الصدام والملازمة والمداومة والانطراح على صدور الرماح وشفار الصفاح ونظرت الناس الى بطلين عظيمين لم يوجد مثلهما فى الخافقين ولا فى الفريقين وحمى الحديد على الابدان وملت السواعد من الطعان والا كف من ضرب الحسام اليمان والخيل من الجولان والمسلمون قد ضجوا من قراءة القرآن والروم قد دقت النواقيس وزجرت الرهبان والقسوس وحنق الملك بحرون على أبو المهند فلم يقدر عليه ولا وصل اليه حتى نزلت إحدى يدى جواده فى جحر اليربوع وقد أشرف أبو المهند على الوقوع (قال) فعند ذلك انقض عليه الملك بحرون فأخذه من بحر سرجه كانه العصفور وسلمه الى أصحابه ماسور (قال) فعندها اضطرب عسكر المعتصم بالله وقد صاح الإمام المعتصم بالله ضجة هاشمية وحمل على الملك بحرون وهو ينشد ويقول

رويدك هذا اليوم والحرب شيمتى وما كنت عن يوم الكريهة وافيا
أنا ابن كرام الاصل من نسل أحمد نبى الهدى المبعوث للخلق هاديا
أنا ابن حماة المجد من آل هاشم إذا ما بدت تحت الغبار العواليا
أنا لست أخشى الموت فى حمى الوغا إذا عطعطت أبطالها بالاعاديا
وأنصر دين الله فهو معظم وربى عظيم واحد ليس له ثانيا
منزه عن ابن وبنت وزوجة تبارك ربى عن شبيه مضاديا
لقد ضل عبدا كان بالله مشركا وقد قام فينا أحمد الطهر هاديا
لعمرى لقد أسأت الفعل فى خير سادة كرام لهم فى الحرب فعلا مساويا
ولو كان حاضر منهم اليوم فارسا لكنت قصيرا عن لقاء كماتيا

(قال الراوى) وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا حتى علا عليهما الغبار وغاب عن الابصار وقد مالت الميمنة على الميسرة من كل جانب ومكان ووقع الصياح

والصراخ فى عسكر العراق وقد ترجلوا الفقهاء والقراء والعلماء وعقبة سائر فى أوائلهم وهم يدعون الله عز وجل أن ينصر الإمام المعتصم بالله وينادون وعدك وعدك يا من لاتخلف الميعاد وقد زاد الغبار وقد حل بالمعتصم بالله الانبهار وأشرف عليه الملك بحرون وما بقى غير أخذه (قال) فعندها تصايحت المواكب وتزاعقت الكتايب وحملت من كل مكان وجانب وعملت الصــــوارم وقد قطعت الجماجم وخاضت الخيل فى البطون وقد دارت طاحون المنون وزهقت النفوس وطارت الرؤس ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وافترق الجيشان وقد طلبوا الملك بحرون فلم يجدوا له خبر ولا وقفوا على جلية أثر

(قال الراوى) فعندها شوش عساكر الروم فقال لهم الوزير مذبحون يا ويلكم إن كان الملك بحرون قد قتل فأنا ما مت وأنا فى هذه الليلة أكشف لكم الخبر فاكفوا أمره وإلا تفلل العسكر (قال الراوى) ثم ان مذبحون استخلف البرك لأنه يعلم أن الروم لايخرجون عن رأيه ولاعن مشورته ثم إنه لبس ثياب أبو المهند الكردى وخرج من عساكر الروم إلى عساكر المسلمين وصار يستنشق الأخبار حتى إنه صار بالقرب من عساكر المعتصم بالله فوجده جالس وأرباب الدولة حوله وعقبة يقول اعلموا أن الله عز وجل قد نصرنا عليهم بهذا الجبار الذى أسرناه الذى ما فى ملوك الروم مثله قال وكان الملك بحرون مقيد بين يدى المعتصم بالله (قال) وكان السبب فى ذلك أنه لما حمل الملك بحرون فى طلب المعتصم بالله انطبقت عليه أبناء الترك وصاروا يرموه من أيديهما بالسهام فلا تعمل فيه شيأ وذلك لما عليه من الزرد واللباس فرموا جواده من تحته وطرحوه إلى الأرض ثم انهم أخذوه أسيرا بعد ماتكاثروا عليه وأحضروه بين يدى المعتصم بالله فلما جلس على سريره فقال له أرباب الدولة يا أمير المؤمنين اقتله فان فى قتله تعويق هذه العساكر فقال لهم نعم مارأيتم ولكن فى غداة غد أقتله فقال الملعون عقبة ماهذا صواب لأن الحرب تعد على حالها وما ندرى مايكون منا ومنهم فالرأى أن تبقيه إلى أن ترى مايكون فقال لهم سنفعل ذلك إن شاء الله تعالى هذا وعقبة يجول فى ميدان فكرته ويدبر كيف انه يخلصه ثم ان المعتصم بالله وكل به ألف فارس فأحاطت به الرجال وبقى عقبة يطلب غفلة أو فرصة قال فعند ذلك دنا الوزير مذبحون من السرادق وإذا ببعض الخدم قد خرج لقضاء حاجة فتبعه الوزير مذبحون فلم يشعر به حتى انه قبض عليه ونزع ثيابه فلبسها وعاد كأنه الخدم بعد ماقتله ودفنه ولم ينكر أحدا عليه ودخل إلى بيت الحريم فوجدهم الجميع نيام والمعتصم بالله من شدة التعب والنصب مثل القتيل قال فدنا منه وقد

طرح الاكرة فى فيه وشد يديه إلى رجليه وحمله على كاهله وخرج به وقد أيقن بالسلامة وإذا هو قد رأى عشر رجال وهم بالسيوف العوال وهم يرتقبون خروجه فلما عاينهم لم يكن له سبيل إلى الهرب فقال لهم وقد قوى عزمه من أنتم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعون عقبة عرض على خلاص الملك بحرون فلم يجد إليه سبيلا فأرسل إلى الروم يطلب عشر رجال من العرب المتنصرة فما مضى من الليل ساعة إلا وقد أتوا فقال لهم أنا ماأنفذت خلفكم إلا لسبب خلاص الملك وما صار إلى فى هذه الليلة سبيل والمعتصم بالله فما عنده من السرقة خبر وما فى الأمر إلا انى سرقته قد خلص الملك بحرون ثم سار معهم إلى ذلك المكان الذى فيه المعتصم بالله ووقف يسمع ان كان المعتصم بالله يحس بهم أم لا فرأى القوم نيام (قال الراى) فهو كذلك وإذا بمذبحون قد خرج وكانوا المتنصرة معه وأخبروا الملعون عقبه بان الوزير مذبحون قد دخل إلى عساكر المسلمين فلما رأوه وقد خرج وناداهم فعرفوه وقالوا له نحن من أصحابك فعندها فرح وقد سلم المعتصم بالله إليهم فقال لهم الملعون عقبة أمضوا به إلى العسكر فاذا خلصتم وسمعتم الصياح من عندنا فامروا البطارقة أن تركب وتحمل أيضا طالبة السرادق فهذه ليلة الانفصال قال فضوا المتنصرة وقال الملعون عقبة لمذبحون ياولدى ماذا عولت عليه فقال له عولت ان أكون قريبا من الملك بحرون ونسير بعض غلمانه يسير الى عساكر المسلمين وينادى معاشر المسلمين قد أسر خليفتكم المعتصم بالله الامام فاذا شاش العسكر اخلص الملك بحرون فى ذلك الوقت ففعل الملعون عقبة ما أمره وفعل الغلام هذه الفعال وصاح فى العسكر فشاش وعلا الصياح والعياط من كل جانب ومكان قال فعند ذلك ركبت الروم وتبادرت الخيل فى ظلام الياهب وجردت القواضب وصار كل واحد منهما يأخذما خف حمله ويركب فرسه ويطلب الفرار والهرب قال وفى ذلك الوقت هجم الوزير مذبحون على الملك بحرون وخلصه من القيود ولما وصلت الخيل اليه اركبوه وأعطوه العدة الكاملة وملكوا المضارب والخيام والاثقال وانهزمت المسلمين ولم يزالوا كذلك على هذا العمل والرواح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتحل الملك بحرون فى أعقابهم الى أن وصل الى الموصل وكان قد انضاف اليه الملعون عقبة وعول أن يظهر نفسه ثم انه افتكر فى العاقبة وقال للملك بحرون اقصد الى أرض العراق وقد ملكت الافاق قال وكان سبب حملة الروم فى الليل كانت العرب المتنصرة لأنهم لما وذوا المعتصم بالله أعلموهم ففعلوا ذلك وكان حامله قد انقطع خلفهم وسبقوه التسعة رجال وقد تعب به ومن خوفه أن تعلم به المسلمين ويعلمون به قطع به فى عقبة عالية فمن

ثقل المعتصم بالله وقع به عند رأس القبة فقدخرج الى أسفل العقبة وما وصل الى وجه الأرض الا وقد انقطع كتافه ووثب الرجل المتنصر فوجده قائما فانهزم فلحقه الامام المعتصم بالله ومسكه من رجليه أرماه ولم يكن معه مايقتله به فلم يزال يخنقه الى أن مات وفات فيه الفوات وسار طالب عسكرهم فوجدهم قد انهزموا فتحير فى نفسه قال واذا ببعض الروم قد انقطع حزام فرسه فنزل ليصلحه فوثب عليه المعتصم بالله والكمه فقتله وركب على ظهر جواده وطلب النجاة لنفسه ولحق بعسكره ودخل الى الموصل واما أن رأوه أرباب الدولة فرحوا به وسألوه عن حاله وعن أمره فاخبرهم بالقصة وماتم عليه فقالوا له ماكنا نعرف هذه الفعال والأمور والأعمال الا فى الامير أبو محمد البطال وما هذا الا أمر عجيب وحال غريب .

﴿ تم الجزء الحادى والاربعون ويليه الجزء الثانى والاربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وغوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد سألهم المعتصم بالله عن عقبة فقالوا له والله مالنا به علم ولاخبر قال فضاق صدره لذلك الخبر وأيقن ان دولته قد زالت وعلم ان الروم تابعة له فخرج إلى ظاهر البلد امله أن يجمع العساكر فوجد أكثرهم قد دخل العراق وطلبها فدخل البلد ودخل عليه الأمير نوفل بن أحمد فى خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس قال فعندها فرح المعتصم بالله فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقد وعده بكل جميل وكان هذا الرجل فارس عظيم وفيه دين زائد وأقاموا ينتظرون الروم وإذا بعساكر الملك بحرون قد أقبلت ونزلت فسدت الأرض ذات الطول والعرض هذا والمعتصم بالله قد عول على لقاه وجمع كل من فى الموصل من المهزمين وانضافت اليه العساكر الوافده وخرجوا إلى قتال الملك بحرون واصطفت الصفوف وتزايدت الالوف وحمل الملك بحرون وطلب البراز قال فخرج اليه نوفل بن أحمد راكب على جواد صبور على القتال والجلاد رفيع العماد (قال الراوى) فلما صار فى الميدان صال وجال وأنشد وقال :

سأحمى عن المولى الخليفة طاقتى ... وآخذ بحرونا أسيرا مذللا
وأنكس جيش الروم ياقوم سرعة ... وانصر خير الخلق ياطه المرسلا
محمد الهادى عليه صلاتنا ... ومازال مكروما مهابا مفضلا

فدونك يابحرون حربى فاننى أرى الموت فى الهيجاء أعلا وأنيلا

(قال الراوى) فلم يرضى الملك بحرون أن يخرج اليه بل أنه قد قال لبعض البطارقة دونك وإياه فخرج اليه بطريق كأنه الفتيق راكب على جواد كانه الحريق فتطاعنا مليا وتضاربا وفيا فعند ذلك طعنه نوفل فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره وجال وصال ثم انه أنشد وجعل يقول :

ألا أيها الكفار بالله دونكم قتل غلام لا يمل من الضرب
يقول بأن الله لاشك وحد إله البرايا والشروق مع الغرب
سأفنيكم فى حومة الحرب سرعة بأسمر عسال مع الأبيض العضب

(قال الراوى) وحمل عليه فارس من العرب المتنصرة وهو راكب على جواد أدهم مثل الغراب وهو ململم فهمهم ودمدم وقد أشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

ألا أيها المحتال فى حومة الوغا ستعلم أنى لا أمل من الضرب
أنا الفارس المعروف فى حومة الوغا إذا نفرت نفس الجبان من الهرب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما سمع الأمير نوفل ذلك الكلام حمل عليه بنية صادقة وقد ضربه ضربة قاطعة ماحقة طيرت رأسه وصارت على الأرض مطلقة وقد وقع جديلا وهو قتيلا يخور فى دماه فجال على شلوه وطلب البراز فعندها خرج اليه أخو المقتول وقد أنشد وجعل يقول :

أيا نوفل لاقرب الله شخصه قتلت أخى وهو الكمى المحاميا
لقد كان عبدا دينا غير قاصر ويسجد للصلبان والليل هاديا
ومن بعد ذاكم قد أباد موحدا وكم مسلما ألقاه بالسيف هاويا
لا تتقمن اليوم منكم لأننى سآخذ بالتار الذى كان ناديا
وإنى على ماكان من أجل دينه سأضرب أيضا طالبا لنجاتيا

(قال الراوى) فعند ذلك قطع عليه الأمير نوفل شعره وذلك من شدة كفره ولعنته وقد عجل عليه بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره (قال) ولم يزل يخرج اليه فارسا بعد فارس حتى قتل خمسة وثلاثين فارس هـذا وقد انسدل الظلام واختلط القتام ودخل الأمير نوفل على المعتصم بالله الامام فخلع عليه وأعطاه مالا جزيلا فقال له الأمير نوفل يا أمير المؤمنين أنا ما أريد إلا الشهادة لأنها عندى أعظم السعادة لأن لى أم كبيرة كلما خرجت إلى الغزاه وعدت اليها سالما غانما تقول لى يابنى لو كنت سعيدا لكنت تصير شهيدا وأنا أؤمل من الله تعالى السعادة والشهادة

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما بات الأمير نوفل فى تلك الليلة رأى فى منامه ولذيذ أحلامه كأن حورية قد أقبلت عليه وقالت له يافتى ماتكون ضيفنا وأنا أكون زوجتك فقال لها وما يكون مهركى فقالت له الصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح فى سبيل الله تعالى فقال لها فى غداة غد أكون عندكى إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلع الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت على قامة سيد الملاح ركب الخليفة المعتصم بالله الامام وركبت المسلمين وكبرت أبطال الموحدين وصهلت الخيول ولم ينم الملك بحرون تلك الليلة بل أنه صار يتحدث فى فروسية الأمير نوفل وهو يقول وحق المسيح ما علمت أنه بهذه الشجاعة إلى هذا الحد كله وإلا كنت أول مبارز يبارزه ولا كان أفنى عباد المسيح هذا وقد برز الأمير نوفل طالب القتال والحرب والطعن والنزال فخرج اليه فارس من العرب المتنصره فقتله وبطريق من الروم فجندله فعند ذلك خرج اليه الملك بحرون بنفسه وحمل عليه حملة منكرة فالتقاه الامير نوفل بقلب قوى وجنان جرى وهو ينشد ويقول :

ألا مخبرا عنى العجوز بأننى أكون شهيدا كى أنال مراديا
ومن طلب الحوراء قدم مهرها فيصبر على ضرب الحسام اليمانيا
فما مات من كان فى الله قتله فطوبى له لاقا نعيما موافيا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا وتضاربا فعندها سبقه الملك بحرون بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد ميتا لوقته وساعته وقد عجل الله بروحه إلى الجنه ودار الرحمة والمنة فعندها حملت الروم وحملت المسلمين وعمل السيف الصقيل والرمح الطويل وبقيت الرجال تزحف والأرواح تعطف والآدمية تنزف والسيوف تدرف وزاد الأمر وعيل الصبر وانكسرت العساكر وتخلت عن الخليفة الامام فعند ذلك هجم الملك بحرون فى خمسة آلاف فارس على موكب الخليفة الامام وأحدق به وقد افترقت الناس عنه ثم أنه قاربه ودنا منه وقبض بيده على أطواقه وجذبه اليه أخذه أسير وأقام يقاتل وقتل من الروم خلق كثير ولولا أن فرس المعتصم بالله اندقت رجله فى حفرة من حفائر الارض لكان قد قاتل بقية نهاره وربما كان سلم وفرح الملك بحرون بأخذ المعتصم بالله وباتوا ليلتهم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وزحف إلى البلد فقاتلوه وألصق بالابراج فما قام إلا ساعة من النهار وقد هجم اليه وفتحه ثم نادى

برفيع من صوته ياويلكم لاتنهبوا ولاتقتلوا فان البلاد بلادى والرعية رعيتى ومابقى لهم سلطان غيرى ثم عول على الخروج إلى العراق بعد ان أنفذ المعتصم بالله مع ألف بطريق من البطارقة إلى أرض القسطنطونيه وساروا حتى وصلوا إلى تكريت ووصلت الاخبار إلى العراق ونادت العوام والله هذه المصيبة العظمى ان تكون أبطال المسلمين والاسلام وسباعها وليوثها فى الحبوس وتأخذ الروم من بيوتنا والله مانصبر على هذا ولا كرامة ولا عزازه (قال الراوى) ثم انهم اجتمعوا فى خمسمائة ألف عامى وقد أقلبوا الأرض بالصياح والعياط فعند ذلك سمعت السيدة زبيده ذلك الامر فقالت لهم ياقوم ماالخبر فأخبرت بالحال وأن المعتصم بالله الامام قدأخذ وأسر وان البلاد قد ملكت إلى تكريت وكانكى بالروم فى غد أو بعــده هجموا علينا فى بغداد فعند ذلك قامت عليها القيامه وكثرت عليها الحسرة والندامه وقالت يا ويلكم فماسبب صياح العوام فقالوا لها يريدون ان يخربون القصر ويخرجون الامير عبد الوهاب وأصحابه السادات الانجاب وكذلك الامير أبو محمد البطال والاميرة ذات الهمة وسائر الرجال يكونوا قبالة للروم الملاعين الانذال فلعل الله تعالى ان يجعــل الفرج على أيديهم وقالت السيدة زبيدة ومن غير مايفعلون أنا كنت معوله على ذلك (قال الراوى) ثم جازوا على المطمورة ففتحوها وكانوا الاسرى فى تلك الساعة يتحدثون وما عندهم من هذه الامور خبر والامير عبد الوهاب يقول ترى لنا من هذه المطمورة فرج أو من ضيقنا مخرج فلقد طال بكانا ههنا ولا فرج برحنا ولا صوت بدهمنا ثم أنشد وجعل يقول :

اذا حبسوا مثلى زمانا فانهم ... يلاقون هذا البغى والله مسرعا
فيا لت هذا الجيش فى معرك الوغا ... وأصبح مقتولا بسيفى مضيعا
وأعطى ثواب الله ان كنت قاتلا ... وان كنت مقتولا فاعلى وارفعا
لقد مضت الأعوام والقوم كلهم ... يريدون سجنى والمواضع شجعا
فيالهف قلبى أن أكون مقيدا ... ويصبح هذا السجن للجسم موضعا
ولقد بلغ الملعون عقبه جهده ... ونال برغمى ما أنال وأقلعا
فان يحبسونى فالجواهر دائما ... تكون لها الاصداف دارا ومرتعا
فياهل ترى فى جنة الخلد وتلتقى ... بذاهمة يوم السرور ونجمعا
تراها ترانى بعد طول مغيبنا ... وقد علمت انى أعيش مضيعا
لئن منعونى سوف يبغون نصرتى ... اذا دهمتهم فى المعامع شرعا
وكرت عليهم صافنا عدوهم ... فروعت الابطال والقلب مصدعا

وما هذه الدنيا الدنية والاسا لقلب امرئ فيها يرق ويخشعا
وماهى الا السجن حقا كمثلها لقول رسول الله الحق يصدعا
فياليت من عندى يكون مخلصا ودع يحبسونى أو أموت مودعا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما سمع الامير سيف الحنيفية شعر أبيه الأمير عبد الوهاب بكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد وأنشد يقول :

لئن ضيعوا هذا الهمام الصميدعا فقد أسرفوا والله فى الظلم شرعا
واصبحت الاطلال منا خواليا ودارا ألفناها من الأهل بلقعا
وما ذنبنا الا بان قلوبنا صحاح بصدق الدين والضيم مدفعا
أضاعوك يامولاى والله عامدا ومثلك حقا لايكون مضيعا
إلى كم يكون الحبس فى أرض ظالمة وعقبة يغويهم بنا وهو مولعا
ولو أنصفونا ماراوا واحدا لهم يكون أسيرا أو يكون مروعا
لانى اذا ماكنت يوما مخلصا فلا يطمع الواشون فيمن أودعا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها بكى الأمير أبو محمد البطال من شدة العبرة والاذلال وأشار ينشد ويقول :

لقد أصبحت مأسورا بقيد بعد اغلالى
وقد لاقيت أهوالا تنسى كل أهوالى
وقد أصبحت فى أسر ذليلا بعد اجلالى
وقد لاقيت من دهرى كثيرا غير اقلالى
وماأبصرت طول الدهر مثل اليوم فى مالى
وقد أمسيت مسجونا وفقد الاهل والمال
وانى كنت محتالا وما مثلى بمحتال
أنا البطال قد أصبحت بطالا من أعمالى
بلاد الروم فى أمن لأنى غير جوال
وعقبة فى مسرته عزيزا خالى البالى
فان كانت لنا دول سيلقى شوم أفعالى
وأسرق كل ما فى القصر من خز ومن مال
وأضرم نار مجتهدا وأحرق كل قتال
وأحرق سوق بغداد وأفنى كل قوال

وأحرق أرض موصلهم   وأرض سامر باعجال
وأترك بصرة صفرا   بلا قاض ولا والى
فهذا نسبتى فيهم   وهذا طالع الفال

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها ضحك الأمير عبد الوهاب وكذلك سائر الأمراء من وسط الغيظ وقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد سائر الناس مالهم عندنا ذنب وما يعلمون القصة وباطنها وما المصيبة كلها إلا فى رقبة عقبة لعنه الله لانه قال ما قد قال وأنت تعلم أن الدنيا محبوبة وإن الناس يرون شيخا عالما يقرأ القرآن ويعظم الرحيم الرحمن ويتهجد مصليا قواما وبالنهار صواما ويحالى بيت الله الحرام فى كل عام ويزور قبر سيدنا وحبيبنا ومولانا محمدا عليه من الله أفضل الصلاة وأتم السلام ولا يعلمون منه غير هذا الكلام ويقولون انه يمشى على الماء وانه قطب الدنيا وما يعلمون أنه منافق ملعون كذاب وأن للناس الظاهر والله سبحانه وتعالى متولى السرائر فلا تجعل الذنب إلا له ولا تتهم أحدا من العباد غيره لكن ان فرج الله سبحانه وتعالى عنا فما يبقى لنا فى هذه الديار مقام ولا نخدم بعدها سلطان ولا امام ولا نريد غزاه ونمضى إلى بلاد الحجاز ونكون هنالك مجتمعين إلى أن يأتينا الموت فان كان الحجاز لا يطيب لنا فيه المقام قصدنا إلى بلد الروم وفتحنا عموريه أو مكتوريه ونكون هناك مقيمين نأكل من مكسب الروم ونأخذ الجزية التى ترفع فى كل عام إلى الخليفة المعتصم بالله الامام ونحن أحق بها وان كانت الأخرى وليس لنا من هذا المكان خلاص فالله تعالى يأخذ حقنا ويعلم اننا مظلومين وهو يفعل مايشاء ويحكم مايريد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهما على مثل ذلك الكلام وإذا بباب المطمورة قد فتح عليهم وقائلا يقول ابشروا بالفرج من عند صاحب الفرج (قال الراوى) ثم انهم أخرجوا الأمراء وقد طالت شعورهم وأظفارهم وهم أيضا لايعرفون من تغير أحوالهم ونحول أجسادهم هذا وقد أحدقت بهم العوام وألبسوهم الثياب وأركبوهم الخيل العربيات وأعطوهم بأيديهم العدد وأسلموا اليهم الأموال وقد نادت أهل بغداد اعلموا أن أموالنا ورجالنا وأنفسنا بين أيديكم خذوا الآن مهما شئتم هذا وقد كثر لهم الدعاء والضجيج فبكت النسوان وصاحت الصبيان ونادوا بالأمير عبد الوهاب من كل جانب ومكان هذا وقد نظر الأمير عبد الوهاب إلى البلد وقد ماج بأهله وقد حفروا حوله الخنادق وزينوا أبراجه بالعدد والطوارق وهما على نية الحرب والقتال والضرب فقال لهم ياقوم ماشأنكم (قال) فأخبروه بالقصة وان الروم قد وصلوا إلى الموصل وملكوها وان مع الروم ملكا يقال له بحرون مانظرت قط مثله العيون

قد أباد الأبطال وجندل الاقيال وأخذ أيضا الخليفة الامام وملك أرض القسطنطونية وأخذ حصن الأمير يانس المتعزب وقد توجه إلى العراق وان دمانا كلها متعلقة فى عنقك فلا تتخلا عنا يا أمير المؤمنين وعماد الدين فقال الأمير عبد الوهاب الله تعالى ينصر الإسلام والإيمان وما نتخلا عنكم وبالله المستعان فقال الأمير أبو محمد البطال لاحيا ولا كرامة وأنت كنت فى نية صادقة على أننى أحرق بغداد وأخليها من أهلها وهذا الذى قد حل بكم من أجلنا ولأجل مافعل سلطانكم معنا وانه قد ظلمنا وسبعة أعوام حسبنا وقد رأيتم أحوالنا ولم نكن أذنبنا ونحن لا ننصركم أبدا فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد يابطال فما ذنب هؤلاء المسلمين الذين طول زمانهم لنا محبين ولا يسعنا التخلف عنهم لأجل الدين وما عذرنا عند الله تعالى إذا تخلينا عن نصرتهم وملكت الروم أموالهم وسبيت ذراريهم (قال الراوى) هذا وقد اجتمعت إليه الرجال وقوم من العرب وكانوا قد وفدوا من العراق على نية الجهاد فى طاعة رب العباد وهم ألف فارس من كل بطل مداعس وقد انضاف إليه من بغداد عشرة آلاف فارس فما خرج الأمير عبد الوهاب الى وأنا وعكيرا حتى صار فى خمسين ألف فارس هذا وقد وصل إليه الأمير يونس الكردى فصار الأمير عبد الوهاب فى جيش عظيم هذا والملك بحرون قد سار وطبق الأرض فى طولها والعرض ووقعت الطلائع على الطلائع (قال الراوى) وكان فى طلائع الملك بحرون بطريق يقال له نورس ومعه ألف فارس من كل بطل مداعس وكان فى طلائع الأمير عبدالوهاب ولده الأمير سيف الحنيفية ومعه خمسين فارس من كل ليث ممارس وأسود عوابس ولما التقت الطلائع بالطلائع طمع البطريق نورس فى طلائع المسلمين وذلك لأجل قلتهم فحمل عليهم

(قال) فعند ذلك التقاه الأمير سيف الحنيفية فما طال بينهما الخطب دون أن طعنه فى صدره بالرمح أطلع السنان يلمع من ظهره (قال الراوى) فنظرت الروم إلى تلك الطعنة فصلبت بأيديها على وجوهها وصاروا بالسيد المسيح عيسى بن مريم يستغيثون وقالوا كرياليسون وحق المسيح مارأينا مثل هذه الطعنة وما هذا من بنى آدم ثم انهم حملوا عليه بغضب وحنق فجال فيهم وحمل ومعه تلك الخمسين بطل وما كانت إلا ساعة حتى قتل كل واحد منهم الأربعة والخمسة وأما الأمير سيف الحنيفية فانه قد قتل سبعة وثلاثين فارس وقد انهزمت الباقون بين أيديهم وعمل السيف فيهم إلى أن وصلوا إلى الملك بحرون وهما مائتين وخمسين بطريق وقتلت الباقون فقال لهم الملك بحرون ياويلكم ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا له اعلم أن وراءنا الموت الأحمر والقضاء المقدر ولقد

لقينا فارس وهو أشبه الناس بك فى خمسين فارس فقتل منا من قتل ولو وقفنا بين يديه ما كان رجع منا اليك أحد (قال) فعندها غضب الملك بحرون وسار ولو كان له أجنحة لطار إلى أن وقعت العين على العين وقد نزل الأمير عبدالوهاب فى مقابلة الملك بحرون وكان الليل قد هجم (قال) ولما نزل الأمير عبدالوهاب أتاه الجاسوس وأخبره بأن عقبة معه وهو الذى قد أشار على الملك بحرون أن يرسل السبى والأموال التى أخذهم من الموصل ومعهم الإمام المعتصم إلى القسطنطونية وقد أرسلهم فى أول الليل مع عشرين ألف فارس (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب طار عقله وقال هذا أمر لا يمكن القعود عنه وما لهذا الامر غيرى فقالت له الاميرة ذات الهمة يابنى أنا أحمل عنك مضايق الامور وأفيك بنفسى من كل محظور فى طاعة الملك الغفور ثم إن الاميرة ذات الهمة انتخبت خمسة آلاف فارس كأنهم الاسود العوابس وأخذت معها الامير أبو محمد البطال والملكة ميمونة وقالت له أيها الامير أنا مالى عنك صبر وإن الطرقات كثيرة ولا ندرى أين يسلكون وأنت أخبر بها فقال لها الامير أبو محمد البطال سمعا وطاعة وعلى أن أخلص المعتصم بالله وأوافقه على فعله وأنا أقسم لولا أن الدنيا قد اضطربت لفقده لما كنت أعمل على خلاصه ولا عاونتكم عليه (قال) ثم انه سار يقطع الارض ذات الطول والعرض وقد سلك بهم الطريق الذى سلكته أصحاب الملك بحرون وسار بهم من مواضع يعرفها حتى وصلوا إلى قرب ضيعة الارمن الكبرى فاكمن هناك وأرسل غلامه لؤلؤ وقال له اسأل أهل هذه القرية هل تعداهم العسكر أم لا (قال الراوى) فمضى لؤلؤ وغاب ساعة وعاد وأخبر أن القوم يقولون ماعبر بنا أحد ولا تعداهم بعد عبور الملك بحرون المنصور فعلم أنهم أصدقوه (قال) فأقامت الاميرة ذات الهمة هناك ستة أيام ولم يأتيهم أحد فقالت ياأبو محمد أخاف أن يكونوا أخذوا على السويدية إلى طريق ملطية ودخلوا إلى بلاد الروم فقال الامير أبو محمد البطال مالهم طريق إلا من هاهنا وغدا يكونوا القوم عندنا وما أقول إلا أنهم مشتغلون بنهب البلاد وخرابها ونحن فقد استرحنا (قال الراوى) وكان الملك بحرون لما أراد أن يسير المعتصم بالله ومن كان معه من الاسارى والاموال فقال له عقبة أيها الملك لا تسير معهم إلا من يكون فيه شجاعة مثلك فعندها سير معهم بطريق يقال له حيدقوس وكان أبغض ما اليه رجل مسلم وإنه سار حتى وصل إلى نصيبين فالتقاهم عسكر الخابور والشط وحلب وهم طالبين الجهاد والمقدم عليهم عكرمة الشطى وسعيد بن هبيرة المازنى وكل واحد منهما فى عشرين ألف فارس فلما وقعت العين على العين عرفت المسلمين ذلك فقالوا لابد لنا أن نرى

أرواحنا عليهم فلعل الله تعالى أن يجعل لنا سببا لخلاصهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد التقى الجمعان وتقابل العسكران والملعون حيدقوس لما رأى ذلك لم يعظم عليه ثم انه حمل فى أبطاله وفتك بالناس ومكن منهم الحسام ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع خرج وطلب البراز فخرج اليه المقدم زياد وهو ينشد ويقول :

اليوم يوم الضرب بالحديد فى طاعة الملك المجيد
جل عن الاشباه والحدود وعن مقال الكافر الجحود
سأنصر الدين مع التوحيد لعل أن أظفر بالمقصود
ألقا إلهى بدمى شهيد عسى أنال جنة الخلود
فقد مضى عمرى فى التفنيد وهذه طلائع السعود

(قال الراوى) وإن البطريق لما نظر اليه احتقر به وأنفت نفسه أن يخرج اليه فخرج اليه غيره فقتله وثانى فجندله وثالث ورابع حتى قتل من الروم احدى وعشرين رجلا فعندها حمل البطريق عليه وجرى بينهما ماأشخص الابصار وحير النظار وماكان غير ساعة حتى طعنه البطريق فى صدره أطلع السنان من ظهره فمال عن جواده فبكوا عليه أصحابه وحملوا وخلصوه وهو فى آخر نفس وهو متبسما ضاحكا وقال ان الجنة نصب عينى وما بينى وبينها الا بمقدار ماتخرج روحى من جسدى ثم تشهدومات رحمة الله عليه (قال) وطلب البطريق البراز فخرج اليه بنوعم المقتول وهو يأسرهم أول بأول إلى ان امتنعت الناس من الخروج اليه فعندها خرج اليه سعيد بن ضبية أمير الخابور وحمل كل واحد منها على صاحبه واخذا فى الكر والفر طول النهار وعاد كل واحد إلى قومه (قال) وكان المعتصم بالله الامام ومن معه قد أملوا الفرج لما رأوا عساكر المسلمين ولما جرى ذلك اليوم ماجرى أيسوا من الخلاص واقامو على مثل ذلك العمل والرواح إلى ان اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح فكان اول من خرج كان البطريق وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه الأمير سعيد لأنه كان مافى القوم من يقوم مقامه وهو ينشد ويقول .

سأنصر دين الهاشمى محمد برمح رديني وسيف مهند
وقد نطق الانجيل حقا بفضله وخاطبه الذئب المقيم بفدفد
وددت بانى ألحق اليوم عاجلا بزياد فان الموت فى اليوم اوغد
وما هذه الا قليلا مارة فما اسطعت من معروفها فتزود

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولم يزالا كذلك والسيف يعمل بينهما إلى وقت الظهر وقد شخصت الابصار وحارت الافكار واختلفت بينهما ضربتان كان السابق بالضربة البطريق فوقعت فى الأمير سعيد فانطلق إلى ربه شهيد وعجل الله بروحه إلى الجنة ثم صاح البطريق فى رجاله وحمل والتقت العسكرين والتحمت الطائفتين وقد اضطربت المسلمين لفقد الأميرين وقد عملت الشفار وقل الاصطبار وذل كل جبار وبليت المسلمين بمالا طاقة لهم به فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار والهرب وغنمت الروم اموالهم واثقالهم وساروا هذا وقد كثر على المعتصم بالله الكرب فقال هذا وجه قد انقطع الفرج منه فقال له أبو المهند ياامير المؤمنين مايكون لاحـــد مثل الامير عبد الوهاب فوا اسفاه عليه فقال المعتصم بالله وقد جرت دموعه والله لقد صدقت لكن ما كان لنا هذا فى حساب ولا قلنا إنه يصيبنا مثل هذا المصاب وكل يوم يتعلم الانسان عقل جديد (قال) فكان هذا سبب اعاقة البطريق حيدقوس

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما ان كان فى اليوم التاسع من نزول الأمير أبو محمد البطال إذا شرفت عليهم عساكر البطريق حيدقوس ففرح الأمير أبو محمد البطال وقال للاميرة ذات الهمة اعلمى ان القوم فى الكثرة مثلنا اربعة اضعاف وهذا كله برأى عقبة وأنا فقد رأيت الجاسوس يصف مقدمهم بالشدة والباس والقوة والمراس وما آمن منه من كثرة معه وهؤلاء الذين معنا ماهم مثل بنى كلاب ولا مثل السودان الانجاب وعلى كل حال هم عسكر العراق ومامعنا من يقاتل الافرسان قلائل فلما سمعـــت الأميرة ذات الهمة والملكه ميمونه ذلك المقال قالت صدقت ياأبو محمـــد يابطال فما الذى تشـــير به علينا فقال لهم نبقى فى المكامن إلى أن ينزلون ولخيامهم يضربون ولخيلهم يسرحون وعلى الأرض من تعبهم ينطرحون هنالك نخرج عليهم وقـــد فرقنا الرجال من خمس أماكن فى كل فرقة منا ألف فارس ونكبس عليهم من كل مكان وجانب ونضربهم بالسيوف القواضب وما يكون لأحد منهم مركب يركبه (قال الراوى) فلماسمعت الأميرة ذات الهمة ذلك من كلام الأمير أبو محمد البطال قالت له صدقت أيها الأمير فى هذا الأمر ولهذا قد أخذتك صحبتى لأننى لم أستغنى عن رأيك (قال الراوى) ثم ضمت الأميرة ذات الهمة الى الملكة ميمونة ألف فارس والى الامير ملابط البغال مثل ذلك والى الامير أبو محمد البطال كذلك والى الاميرميمون الجماس كذلك وبقت الباقون معها (قال الراوى) وقدأقامت كذلك حتى كان وقت الظهر وقد حمى الحر وأوهج البر وأوقدت الرمضى واكفهر الحصى وصر الجندب وتوقد الجلمد وأوكر الطير

الى وكره فهنالك وصل عسكر البطريق ونزل وقد ظهر عليه التعب وعمل معهم العطش ومالت نفوسهم الى الراحة والنوم ونصبوا خيامهم وقد سرحوا لخيلهم وأكلوا اطعامهم وأرمى كل واحد منهم روحه الى وجه الارض يطلب الراحة وهم آمنون لان ملطيه لهم فيها عسكر كثير (قال الراوى) فعندها ركبت الاميرة ذات الهمة فى ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس وقد أكبت رأسها فى قربوص سرجها وحملت فى أوساطهم وضربت بالسيف فى أعراضهم (قال الراوى) ثم انها نادت الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وظهرت من بعدها الملكة ميمونه وهى مهللة ومكبره ولربها ذاكره فى ألف فارس وقد ظهر من بعدها الامير ملابط البغال فى ألف فارس وكذلك الأمير أبو محمد البطال فى ألف فارس هنالك قام القاعد وقد استيقظ الراقد وتواثبت الروم الملاعين مولولين (قال الراوى) وكان البطريق حيدقوس قد سرح بعض خيله وعنده بعضها وهو قلق القلب كثير اليقظة هذا وقد نظروا وجوه الروم إلى فعله ففعلوا مثله فلما وقع الصائح وعملت الصفائح ركب فى ستة آلاف فارس والباقون ماقدروا على خيولهم (قال الراوى) ونظر البطريق حيدقوس إلى حملة الاميرة ذات الهمه وعسكرها فأقبل على أصحابه وقال لهم وحق المسيح ان أنتم تركتموهم حتى انهم يصلوا اليكم ضربوا منكم ألف رقبة وها أنتم أكثر منهم بأضعاف فاحملوا عليهم

(قال الراوى) ثم انه حمل فى ستة آلاف فارس فعند ذلك نظرت الاميرة ذات الهمة إلى ذلك فتركت باقى الخيل وراءها وحملت فى ألفين فارس وانطبقت بهما على الستة آلاف فارس فيالها من ساعة ما أعظمها وللقلوب ماأوجعها هذا وان المعتصم بالله لما سمع العياط والصياح ونظر إلى الرماح فقال ترى يكون لنا من هــذا فرج ومن هذا الامر مخرج فياليت شعرى من هؤلاء القوم الذين جاؤا إلى نصرتنا وحماية ملتنا فقال له أبو المهند يا أمير المؤمنين أول من حمل فى الموكب عرفته والباقى ماعرفته وهى الأميرة ذات الهمة العامرية (قال الراوى) فبكى الخليفة المعتصم بالله وقال هيهات هيهات أولئك فى المطمورة وقد صاروا أشباح بلا أرواح ولله على نذر عظيم ان أنا خلصت من هذه النوبه العظيمة أخرجتهم وأسلم اليهم ما كانوا فيه ولا أسمع فيهم كلام متكلم (قال الراوى) هذا وقد نظرت الاميرة ذات الهمة إلى البطريق حيدقوس وقد فتك أيضا بالرجال وأباد الابطال والاقيال فعلمت انه مقدم القوم وأرادت الحملة عليه اذ لقيتها الملكة ميمونة فقالت لها اياكى ثم اياكى وهذا البطريق فاننى ما رأيت أشد منه باسا ولا أقوى مراسا وأنا لى معه ساعة زمانية فى الكر والفر فما قدرت عليه وتركته (قال الراوى) فضحكت الاميره

ذات الهمه وقالت لها يا ميمونه انى مع ذلك معكى أثر الخوى من الحبس وسوف ترى من فعالى العجب ثم ان الأميرة ذات الهمة صاحت بجوادها على البطريق وحملت عليه ونظر البطريق حيدقوس اليها فعلم انها هى التى حملت فى الاول وهى مقدمة الجيش فكان إلى قتالها أشوق من العطشان إلى الماء الزلال واشتغلت الناس بالنظر اليهما عن الحرب والنزال وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والاخـــذ والرد والعطا والمنع والمصادمة والمقاربه إلى ان طلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ونادوا يالانفصال وبلوغ الآمال (قال الروى) ورجع كل منهما عن صاحبه لما ذهب النهار وأقبل الليل عليهم بالاعتكار ولما رجع البطريق ضم رجاله فوجد أكثرهم جرحى فقال ياويلكم لو قاتلوكم إلى آخر النهار ماكان بقى منكم ديار ولا نافخ نار فوحق المسيح والدين الصحيح مافى الكل مثل فارسين لقيتهما فى موقف الحرب غير الذى خرج علينا من الاول

(قال الراوى) فلما سمعوا قوله قالوا وحق المسيح لقدرأينا الفارسين الذى ذكرت ولقد لقينا نحن أيضا اثنين أسودين الواحد يصيح أنا الأمير ملابط البغال والآخر يقول أنا الامير ميمون الجماس ولقد جزروا فينا جزرا ونثروا الرؤس نثرا ولو انهم ألفين لما فعلوا فعل هذين الاثنين فلا كتب السيد المسيح عليهم سلامه واعلم واعجب من هذا تريد نعلمك به فقال لهم وماهوفقالوا رأينا الوزير مذبحون يقاتل معهم ولاشك انه قد وقع بينه وبين الملك بحرون وقد عاد إلى المسلمين وصارمعهم وهو الذى أعلمهم بنا فقال ياويلكم لايكون قد شبه لكم فقالوا له لا وحق المسيح مارأيناه إلا مكشوف الرأس والوجه وحديثه ودقنه وصوته فقال البطريق أنا ما أدرى هذه القصة كيف هى ولكن طيبوا نفسا وقروا عينا فأنا فى غداه غد أبرز إلى هؤلاء الأربعة الذين قد شاهدتموهم ومايثبت عسكرهم بعدهم ساعة واحدة (قال الراوى) وبات وهو معول على مثل ذلك العمل والرواح إلى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتفع الصياح وجردت الصفاح وهموا بالحمـــلة بعضهما على بعض فعندها خرج البطريق حيدقوس وهو راكب على جواد أبلق كأنه شعلة حريق فلما رأته الأميرة ذات الهمة قالت لأصحابها ياويلكم أوصيكم بنفوسكم فوالله لقد لقيت الجبابرة فما رأيت فارس أوفا من هذا ولا أصبر على البلا ولا يحس بالتعب ولا يجد بالنصب ثم ان الأميرة ذات الهمه حملت وهى تنشد وتقول :

ألا مبلغا عنا الخليفة اننا رزينا بلاذنب فصرنا مواليا

تشتت منا الجمع بعد تواصل ... وأشمت منا حاسدا ومعاديا
وخلفنا فى القيد والغل برهة ... وأشغلنا عن خدمة الله عاديا
نصلى على ثقل الحديد وضيقه ... ونبكى طول الليل والليل هاديا
فلا نعرف الاوقات من ظلمة بها ... كان العشا والصبح أضحى مساويا
وقد بليت أحبابنا بتفرق ... زمان وأضحى العظم بالسقم واهيا
وقد نبتت أظفارنا وشعورنا ... علينا وأضحى القمل فى الجسم ساعيا
نبيت عطاشا نبتغى فضل جرعة ... فياطوله سقما به الضر باديا
ولسنا لقينا ذلة ليس مثلها ... ولم يرحموا منا ضعيفا وباكيا
ولما بدا بحرون للأرض مالك ... وأصبح جيش الروم فى الارض ساعيا
وأخرجوا أهل العراق ترجيا ... ايرجون منا ناصرا ومحاميا
فكنا كما يرجون ثم تراجعت ... ليوث كلاب فى الحروب كما هيا
سأصلب رأس الشوم والشر عقبة ... وأبذل فى الكفار عضب يمانيا
ولا خير فى الدنيا إذا كانت وانيا ... عن الله فى موتى ولا فى حيانيا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم حملت على البطريق ولم يطل الخطب بينهما حتى طعنته فى صدره أطلعت الرمح يلمع من ظهره وحملت الرجال على الروم وكان يومهم يوم مذموم قتل أكثرهم وانهزم أيسرهم وخلصت الاميرة ذات الهمة الاموال والابطال والنساء والاطفال والمعتصم بالله وأبو المهند ومدلاج العبسى وأقبلت الاميرة ذات الهمة على الامير أبو محمد البطال وقالت له امضى الى حرارة الوقعة وسمع المعتصم بالله مرارة الحديث وقل له ياظالم هذه فعال من يريد لك وللمسلمين الخير واما أنا فما تقع عينى فى عينه أبدا ودعه يمضى الى بغداد فى هذه الخمسة آلاف فارس الذين معنا وأنا آخذ الامير ملابط البغال وميمون الجاس والملكة ميمونة وأبو المهند ومدلاج العبسى وأسير إلى ولدى الامير عبد الوهاب فإن قلبى عليه مثل الحبة على المقلا لاننى قد خليته فى كثرة الاعداء ولاأدرى ما كان منه ولو كان ملك الروم فى مثاله مره وعشرين فان قلبى طيب ولكنه الملعون فى عالم عظيم بعدد قطر المطر وورق الشجر وولدى عبد الوهاب وأصحابه على غاية من الخوى والتعب وان كل مامعه على خطر ولا حذر من قدر

(قال الراوى) هنالك مضى الامير أبو محمد البطال ودخل مضرب البطريق فوجد المعتصم بالله على غاية من الضيق وهو لايعلم من كان السبب فى هذه النوبة حتى دخل عليه الامير أبو محمد البطال وقال السلام على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ومن ينظر فى

أحوال المجاهدين ويحبسهم أيضا تحت الارض سبع سنين وأشمت بهم عقبة اللعين وسمع فيهم كلام الحاسدين وهذه فعال لا تليق بالائمة المهديين أما بعد فإنه لما وصل خبر أسرك إلى العراق وعسكرك فى الآفاق تشتتت وتزعزعت قلوب العباد من اظهار البغى والفساد فانتخوا لنا أهل بغداد وأخرجونا من ضيق السجن الزائد وعلينا من الضرب شواهد وخرجنا من الاغلال والقيود على رغم كل حسود وأقمنا فى بغداد هذه الايام حتى عادت الارواح للاجسام ووجدنا الراحه والقوى وذهب عنا الخوى وعلمنا ماحل بالمسلمين من الاعداء فقال الامير عبد الوهاب وقد عول هو ومن معه أن يمضون إلى الحجاز ويقيمون فى أرض نجد ولا يرجع يعرض نفسه إلى خدمه ولا جند فتذكر أسرك وكسر عسكرك فقال الامير عبد الوهاب هذا بين أيديكم ولكن بعد طاعة باريكم فانه الى الجهاد يدعوكم وما هو لاجل مافعل الخليفة بكم وشماتة أعاديكم تتركون مافيه بلوغ أمانيكم فاطلبوا نصرة الإسلام فان لم تجدون معروف عند الخلفاء فسوف تنالون من الله الوفاء (قال الراوى) هذا كله يجرى من الأمير أبو محمد البطال والمعتصم بالله باهت وقد طارت الدمعة من عينيه من الفرح ومن الحياء الذى قد نزل عليه ماله لسان يرد جواب عليه (قال) فلما علم الأمير أبو محمد البطال انقطاع الخليفة عن جوابه وإنه ساكت على مضض من عتابه فقال ياأمير المؤمنين وجمعنا ماسهل علينا من حد العراق وممن طلب الجهاد فى طاعة الله رب العباد (قال) ولما بلغ الأمير أبو محمد البطال إلى هذا القول رفع الخليفة الامام له رأسه وقال له ولقيتم الملك بحرون فلقد لقيت منه الذل من قبل ماتأتون فلا ستر الله تعالى على وزيره مذبحون فانه دخل إلى وقبض على وكان يمسك أذنى ويهز رأسى حتى كنت أقول أنه قد خلع رأسى من بين أكتافى فقال له الأمير أبو محمد البطال سرنا إلى الملك بحرون ووقعت العين على العين وسمعنا من الجاسوس بأن ملك الروم سيرك إلى أرض القسطنطونية فقال الأمير عبد الوهاب ماهذا صواب وإن كان قد أساء الينا فنحن نرعى له إلى الأبد وذلك لأجل قرابته من سيدنا وحبيبنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم واما أن نرجع إلى خدمته فلا كان ذلك أبدا وان نحن نصرنا فهو الذى نريدوان كانت الاخرى فنكون قد هلكنا فى طاعة الله الملك المجيد (قال) فتجردت الاميرة ذات الهمة والملكة ميمرنة معى طلبا لخلاصك من يد قناصك وخلاص من معك من المسلمين وانها قد أرسلتنى أسلم عليك وهى تقول لك خذ عسكرك واذهب الى العراق حتى تتمهد البلاد وتقر بقدومك العباد وتجتمع لاجلك العساكر وهى تريد ان تمضى الى ولدها الامير عبد الوهاب فقد تركته على غاية من الخطر

فقال الخليفة المعتصم بالله وقد سمع ذلك المقال يا أبو محمد يابطال اعلم ان كلما عملتوه مايساوى حبة واحدة الا ان تصلح بيني وبين الاميرة ذات الهمة وبعدها يبطل قول القائل وعذل العاذل ولو بغضكم ولدى لضربت رقبته وأخذت مهجته وما أنت يا أبو محمد يابطال فما أعرف هذا إلا منك فقال له أبو المهند ياأمير المؤمنين مايقدر الامير أبو محمد على ذلك الحال فإن أردت أن تقابل فعالهم بمثله فدع عنك عزة النفس لاجل الله تعالى فلو فعلت معهم مالا فعله أحد مع عدوه فكيف على من له عليك وعلى آبائك خدم وبالله العظيم أقسم ان آباؤكم كلهم عتقاء سيوفهم من الاعداء مرار فان أردت صلحهم فاخرج الى من أنت عتيق سيفها وأمين خوفها وقد خاطرت لاجلك بنفسها ولقيت البطريق الذى تفزع منه صناديد الرجال وتخاف منه الشجعان والاقيال وأيضا تستعطف قلبها فان النبي ﷺ كان يمشى الى منازل الفقراء ويعود المرضى ويطيب قلوب المجاهدين ويحلب بيده الشاة ويطحن الشعير ويخصف نعله ويلاعب ولديه الحسن والحسين ويخرج بنفسه لقضاء حاجته ويساوى بنفسه أصحابه فقم بنا اليها وسلم عليها واعتذر إليها

(قال الراوى) فعند ذلك وثب الامام المعتصم بالله راجلا والامير أبو محمد البطال بين يديه وأبو المهند خلفه فلما وصل الى العسكر وعاينوه ارموا أيضا نفوسهم الى الارض فقبلوها وقدموا اليه الجنائب والبغال وهو يقول والله لارحلت الى الاميرة ذات الهمة الا راجلا غير راكب وهذا كله فى حقها قليل (قال الراوى) فعندها سبق الامير أبو محمد البطال الى الاميرة ذات الهمة وقد نزلت فى موضع تصلى فيه صلاة الشكر على هذا النصر على عدوها وتسأله ان ينصر ولدها الامير عبد الوهاب الذى تركته وقد أحدق به عالم مثل البحر المتلاطم الزاخر الذى ليس له أول يعرف من آخر فلما نظرت الاميرة ذات الهمة إلى الأمير أبو محمد البطال وهو يهرول فى مشيه أو جزت الأميرة ذات الهمة فى صلاتها وقالت له ماوراءك يا أبو محمد فقال لها يامولاتى انه قد جرى من الأمر ماهو كذا وكذا وقد خرج مولانا المعتصم بالله اليكى ماشيا وقال والله ما أركب حتى أصل إليها وأعتذر بين يديها (قال) فبكت الأميرة ذات الهمة وقالت وبلغ من قدرى أن يمشى إلى خليفة المسلمين وما الذى فعلته وما خلصهم إلا الله تعالى (قال) فهى كذلك وإذا بالمعتصم بالله قد وصل إليها وقدم عليها فقبلت الأرض بين يديه فرفع رأسها من الأرض بيديه من حيائه منها وما قد فعلت فى حقه ولم يعلم بما يتقدم به إلى قلبها فقبل رأسها وقال لها أيتها الأميرة انتى تعلمى بأن ابن آدم مولع بسوء الظن وان لكم من يحسدكم على ما أعطاكم الله تعالى من السعادة والشجاعة وقد بان الصباح لاصحاب النظر ومن عاد فينتقم الله منه

وقد جئت اليكى معترفا بما صنعتى معى من الجميل والاحسان (قال) فعند ذلك قبلت الاميرة ذات الهمة عذره وقالت له يامولانا نحن غلمانك وماللعبد أن يعترض على المولى والآن فدع عنك هذا الكلام فالى اصطبار على هذا المقام وخدمك من هذه العساكر ماشئت والذين أسروا أيضا معك واقصد إلى أرض العجم إلى بغداد وبعد ذلك ان قدرت ان تجهز عسكر من أرض الحجاز والعجم وتستنفر الامم فافعل فانى قد عولت على أمر وهو انى أسير إلى ملطيه الساعة لعل الله ان يسهل لى فتحها وآخذ مافيها من الاموال والاثقال فهو بما يشغل قلب الروم وإذا وصل إليهم الخبر بذلك انحلت عزائمهم وربما سرت إلى أرض القسطنطونية لانها خالية من الرجال وما فيها غير خمسة آلاف فارس من تلك الابطال وأنا أؤمل من الله تعالى ان أسير إليها وأرمى روحى عليها وان مضيت إلى عند الامير عبد الوهاب مايكون لقدومى عليه تأثير وعسكره قليل وعسكر الروم كثير وان لم أفعل أنا هذه الفعال وإلا ما يرجع ملك الروم لانه فى عالم عظيم (قال) فلما سمع المعتصم بالله ذلك من كلامها قال والله العظيم لولا احتياط العراق وأهله وان فى رجوعى غاية المصالح لما كنت أسير الا فى أوائل العسكر معكى الى هذه الاماكن التى قد ذكرتيهم ثم انه أخذ من العسكر مائة فارس وقال هؤلاء يكفونى وأنا أسير بهم على الطريق الذى أتيتم أنتم منها ثم انهم أقاموا يومهم أجمع وودع الاميرة ذات الهمة عند المسا ورحل تحت ظلام الدجا (قال الراوى) وأما الاميرة ذات الهمة فانها أقامت على مثل ذلك العمل والرواح إلى ان أصبح الله تعالى بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وجمعت العدد والسلاح وافردت الف فارس وألبستهم ثياب الروم وأركبتهم خيلهم وعقدت لهم راياتهم وصلبانهم وقدم فيهم ابو المهند والملكه ميمونه ومدلاج العبسى والامير ميمون الجماس وقالت لهم اسبقونا كانكم ايضا منهزمين إلى ملطيه فاذا قربتم منها سوف نتبعكم نحن طالبين المنهزمين والأمير أبو محمد البطال يناديكم بالروميه ادخلوا اقبل ما تلحق بنا المسلمين ولا شك ان المسلمين قد مضى منهم جماعه إلى ملطيه وأخبروهم بما قد جرى واخذوا منهم حذرهم وأغلقوا بابهم وهم عشرة آلاى بطريق فقال لها الأمير أبو محمد البطال اعلمى ايتها الأميره إننا نأخذ البلد بهذا الحال أسرع من طبق الجفن على الجفن (قال الراوى) ثم انه سار يقطع الأرض ذات الطول والعرض وقد رحلت الأميره ذات الهمه بعد رحيله بساعتين من النهار وسار الأمير أبو محمد البطال إلى ان أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وقد قاربوا البلد هذا وان الأمير أبو محمد نظر إلى غبار من نحو ملطيه قد ملأ الأرض وسد الطرق فقال الأمير أبو محمد البطال والله

ان هذه امور مدبره علينا فاقيموا إلى أن امضى انا وأكشف الخبر فما هو إلا عسكر الروم لما وصلوا اليهم المنهزمين خرجوا من ملطيه يطلبون خلاص ماأخذ منهم

(قال الراوى) هذا وقد سار الأمير أبو محمد البطال حتى انكشف له ذلك الغبار ونظر إلى ذلك العسكر وهو مثل البحر الزخار فى أكثر من اربعين ألف وهم كلهم بالقنطاريات الخلنجيه والسيوف الافرنجية وهم ملوءا الآرض والبريه فقال الأمير أبو محمد البطال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملك بحرون كان قد ترك فى ملطيه عشرة آلاف فارس مع بطريق من البطارقة الزنادقة يقال له كركناس وكان جبار من الجبابره وهو الذى فتح ملطيه بالسيف قهرا وأخذ كل من كان فيها اسرى وله عند الملك بحرون منزله عظيمة ولم يزل مقيما فيها إلى ان وصلوا اليه المنهزمين يخبرون بما قد جرى عليهم فقال ياويلكم وفى كم يكونوا المسلمين فقالوا ماندرى إلا انهم فى أكثر من خمسين ألف فارس وكان قولهم ذلك حتى انهم لاينقصون عنده فعظم ذلك عليه وكبر لديه وعول على انه يخرج فى طلبهم فأشاروا عليه ان لايفعل وجعلوا يعظمون القصة عليه (قال الراوى) فهو كذلك وإذاقدأشرف عليه من نحو بلاد الروم عسكرعظيم وكان ذلك الدوقس الكبير وكان قد تخلف فى بلد الافرنجيه ليلحقهم ثم انه قد تجهزوخرج فى ثلاثين ألف بطريق خدمة الملك بحرون وخوفا من الوزير مذبحون وكان أشجع الافرنجيه كلها وهو عظيم الخبث والحيله وكانت نفسه تحدثه بأنه يخرج على الروم خارجيا ويجعل المملكه فى الافرنج إلى ان خرج الملك بحرون فانقطع طمعه من ذلك وخرج إلى خدمته وقصد إلى ملطيه ووصل اليهافوجد الروم على ماهم عليه من الهم والغم فسألهم عن حالهم فقالوا له أيها الملك اعلم أن الملك بحرون قد فتح البلاد وسر العباد وأخذ خليفة المسلمين وجماعة منهم وأموال كثيره وسير الكل مع بطريق فى عشرين ألف بطريق فخرجت عليهم عسكر المسلمين فقتلوا البطريق فى الطريق واكثر من كان معه وخلصوا الاسارى فقال لهم كم بينناوبينهم فقالوا له يوم واحد فعند ذلك خرج الدوقس وخرج معه كركناس من وقته وساعته وهو يعتذر اليه ويقول له وحق المسيح لقد اردت أنأسيراليهم من وقتى وساعتى فنفونى من من ذلك وجعلوا أيضا يعظمون القصة على فقلت إذا كان الآمر على هذه الصفةفاأريد ان أخاطر بعسكر الملك وهو سريع الغضب فيكون ذلك لقتلى سبب (قال الراوى) هذا وقد سارت القوم وهم فى اربعين ألف فارس يريدون أهل الارض ذات الطول والعرض الى أن أشرف عليهم الامير أبو محمد البطال وقال لاصحابه والله هذا عسكر قد أقبل من

بلاد الروم فى طلب الملك بحرون وقد سمع هذه القصة وقد خرج أيضا فى طلبنا فارجعوا بنا ياويلكم الى عند الاميرة ذات الهمة نأخذ رأيها (قال) ثم عرج بهم الامير أبو محمد البطال مقدار فرسخ وقد لاح لهم غبار الاميرة ذات الهمة فما كانت الا ساعة حتى وصلت اليه وقالت له ما الذى رجع بك فعند ذلك أخبرها بالحال فترجلت عن ظهر جوادها وافتقدت حزامه ونادت الى قومها ياويلكم انزلوا عن خيولكم حتى اننا نستريح فوالله لاطرحنها الا ان كان فى وسط العجاج فقال أبو المهند أنا والله أول من يحمل معكى وكذلك قال مدلاج العبسى وكذلك أنا الآخر يا أميرة (قال) وانتخبت الاميرة ذات الهمة الرجال وصناديد الابطال هذا والامير أبو محمد قد الصق جواده الى جواد الاميره ذات الهمة وقال لها أيتها الاميرة اعلمى أن عسكر العراق ماهو مثل عسكر بنى كلاب حتى ترميهم فى وسط هذا العسكر الزخار فقالت له الاميرة ذات الهمة دع عنك هذا المقال يا أبو محمد يا بطال فأنت من رجال الحرب وما يكون ولدى الأمير عبد الوهاب قد أرميته فى وسط ذلك البلا واطلب لنا الراحة فى الدنيا ولكن كم حذرت القوم فأنا أعرفك بعدد الرجال وما لك على لقاهم احتمال (قال) فضحك الأمير أبو محمد البطال من قولها وقال لها إن صح حذرى ياأميره فهما أربعون ألف أو يزيدون فقالت الأميرة ذات الهمة أنا والأمير ملابط البغال والملكة ميمونة والأمير أبو المهند ومدلاج العبسى وميمون الجماس للنصف الأول من الأعداء وأنت وباقى العسكر للنصف الآخر فقال لها الأمير أبو محمد البطال ماهذا حساب جيد والله مانقوم نحن بخمسة آلاف فارس مثلنا فلا تتكلى علينا (قال) فضحكت الأميرة ذات الهمة من ذلك الكلام (قال) فبينماهم كذلك وإذا قد أشرفت عليهم نواصى الخيل وقد نظر الدوقس إلى قلتهم فطمع فيهم فأقبل على بعض المهزمين وقال ياويلكم فما سمعتم من هؤلاء فقال له رجل منهم أيها الملك اعلم أن المقدم عليهم امرأة يقال لها ذات الهمة (قال) فلما سمع الدوقس كلامه صلب وجهه وقال كرياليسون هذا هو الصحيح وحق المسيح ولو كانت وجدها لأرمت روحها فينا فقال كركناس هذه الأميرة ذات الهمة رجل أو امرأة (قال) لجعل الدوقس يحدثه بحديث الأميرة فعظم عليه وقال وحق المسيح والدين الصحيح مافيكم أحدا يتعرض لقتالها حتى أخرج أنا اليها فما كان المسلمون يأخذون منكم الخراج فى كل سنة إلا لأجل هذه المرأة (قال) ثم أنه خرج وبين يديه ترجمان ينادى بصوته المجهر تخرج الأميرة ذات الهمة إلى هذا الملك (قال) فعندها خرجت الأميرة ذات الهمة وهى فى أكمل عدة حتى إذا ساواها فى الميدان وفى موقف الضراب والطعان

لحمل كل واحد منهما على صاحبه وتطابقا بالجوادين ثم أطلقا العنانين وزجرت الاميرة ذات الهمة فسمع لها صوتا مثل صوت الرحا فى البئر فقال ملك الافرنج وهو الدوقس هلك صاحبنا وحق المسيح وما يعود الينا أبدا لأنى أعرف من هذه أم الأسود الزنيم والوغد اللئيم مالا يعرفه أحدا غيرى وإن لم نحمل عليها بكثرتنا وإلا هلك صاحبنا فقالوا له الروم أيها الدوقس أنت نعم الصاحب ولكن اصبر حتى ينجلى الغبار فان كان صاحبنا هو الظافر علمنا أنه غير خاسر وإن ظهرت عليه حملنا كلنا فى نصرته وهو أننا نعرف صاحبنا بخلاف غيره من الرجال فلا تظنه مثلك ولا مثل سواك وسوف ترى مايسرك (قال) فلما سمع الدوقس ذلك الكلام غضب غضبا شديدا وقال فى نفسه أنا أدرى أن مايزول عنهما ذلك الغبار إلا ورأس كركناس فى الهوى قد طار (قال) فهو معهم فى مثل ذلك الكلام وإذا هم بالغبار قد زالت غياهبه وإذا به قد ضربته الأميرة ذات الهمه على عاتقه أطلعت السيف يلمع من خاصرته فعندها أقبل الدوقس وقال لاصحاب كركناس مستهزأ بهم وقال احملوا ياويلكم وخلصوا صاحبكم من قبل أن تخرج روحه (قال) فعمل فيهم كلامه وحملوا بأجمعهم وحمل الدوقس ورجاله فعندها حملت الملكة ميمونة والأمير ملابط البغال وأبو المهند وأيضا حمل مدلاج العبسى وميمون الجماس وباقى الرجال والابطال وارتفع قسطل العجاج واختلطوا المسلمين بالاعلاج وسالت الدماء وأرملت النساء وكانت الاميرة ذات الهمة تهدر فى وسط المعمعة والدوقس الكبير كلما لقيها فى مكان هرب منها إلى غيره (قال) فهو كذلك إذ لقيته الملكة ميمونة فلما رآها أنكرها فطمع فيها فانقضت عليه مثل العقاب الكاسر ولم تطل معه الخطاب دون أنها قد طعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره فعندها طارت الرؤس واختلست النفوس وامتلأت الارض من القتلا وتخضبوا بالدما

(قال الراوى) هذا وقد نظروا أصحاب البطريق كركناس إلى صاحبهم وهو قد قتل والدوقس الكبير قد جزل فعند ذلك قبل بعضهم إلى بعض وقالوا ياويلكم ارجعوا بنا قبل أن يهربوا أصحاب الدوقس الى البلد وينهبون الاموال التى فيه ويدخلون إلى بلادهم (قال الراوى) فعندها قاتلوا قدر ساعة وانهزموا وكذلك أصحاب الدوقس فلماوصلوا إلى ملطية وجدوا الابواب مغلقة وأبطال الروم على المسلمين زاعقة والامير أبو محمد البطال فى خمسمائة فارس على الاصوار لانه لما حملت الناس بعضهم على بعض علم أن البلد مافيه أحد فسار فى خمسمائة فارس فى زى الافرنج إلى أن دخل اليه وقتل كل من فيه من ملك البلد وصلوا هؤلاء فوجدوا الامير أبو محمد البطال واقف على الاصوار فى خمسمائة بطل

من الابطال لبسهم لبس الروم ولكن أصواتهم مرتفعة بتوحيد ربهم (قال) وكانت الاميرة ذات الهمة قد افتقدت الامير أبو محمد البطال فلم تجده فعظم عليها وكبر لديها وسألت عنه الرجال فقيل لها اعلمي يا أميرة أنه لما حملت المسلمين على القوم الكافرين قدرفع رايات الروم والافرنج الملاعين الذين كانوا معهم وعليها الصلبان وملك هذه الطريق وماندرى ماالسبب فى ذلك الأمر والشان (قال) فضحكت الأميرة ذات الهمة وقالت والله مامضى الأمير أبو محمد وتركنا فى وسط الحرب إلا وقد لاحت له فرصه ولا بد لى من لحاقه ثم سارت الاميرة ذات الهمة خلف كل ذلك من خوفها عليه وعلى من معه من الرجال (قال الراوى) ولم تزل الاميره ذات الهمه سائره وهى لربها ذاكرة إلى ان شارفت إلى ماطيه وكانت الروم لما رأت الأمير أبو محمد البطال قدملك البلد نزلت عليه طمعا ان تخلصه من يده لان كان فيه اثقالهم وأموالهم وفيه من الجوار والدواب والعدد شيء كثير (قال) فعندذلك قاتلهم الأمير أبو محمد البطال ولم يعبأ بهم إلى ان أشرفت الأميره ذات الهمة فى رجالها وأقيالها فولت عساكر النصرانية مقهوره وأيضا المسلمين مؤيده منصوره ولحقتهم الأميره ذات الهمة فأسرت منهم شيء كثير ولم يسلم منهم الا من كان جواده سابق ورحلوا إلى البلد ففتحوا لها الباب بأمر الله عز وجل مسبب الأسباب فقالت الأميرة ذات الهمة لله درك يا أبو محمد فلقد فعلت فعال حميدة تشكر عليها وهذا الأمر إذا وصل إلى الملك يشتغل خاطره وفكره ولكن قلبي خائف على الأمير عبدالوهاب فا عندك من الرأى قل وأوجز فقال لها الامير أبو محمد البطال هذا البلد ما بقى له جيش يحميه فاقطعى بنا الأرض فى طلب الامير عبدالوهاب لنقاتل معه وان المعتصم ما يقعد عنه ولابد له أن يجمع الناس مرة أخرى ويلحقه بنفسه لانه أيضا مقدام فى الامور وأما الذى معى فى زى الروم فانى أسير بهم من هونا إلى السويديه وأقطع الأرض إلى نصيبين إلى الموصل وأربل وألحق عسكر الملك بحرون وأقيم فيه الصياح والعياط والصراخ وأيضا أخبره بان بطريقه قد قتل وكل من فى ملطيه جندل وقد ملكوها المسلمين وأقيم كذلك إلى يوم المصاف واذاحملت الناس على بعضهم البعض رفعنا أصواتنا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فيكون ذلك وهنا لهم وبعد ما ينكسر منهم موكب واحد فقدولت عساكره فقالت له الاميرة ذات الهمة والله لقد أشرت بالصواب وأتيت بما لا يعاب وهذا أجود لنا مما نمضى إلى بلد الروم ونطلب أرض القسطنطونية ولا أدرى ما يكون من أمر ولدى الامير عبدالوهاب مع خصمه الملك بحرون فسر بنا فى غداة غد إلى ماقد ذكرت وأنا أرجو من الله تعالى ان الامر مايفرط أيضا فى أصحابنا واعلم

ان العسكر الذى للروم فى عـــدد النجوم ومايبان فيه ولو دخلت فى مائة ألف وأنا أكون معك فى جملة هذا العسكر فان عولوا على اللقاء عولنا نحن بموكب الملك بحرون وأذقناهم طعم المنون وألحقنا به وزيره مذبحون وبعدذلك فانى خائفة من عقبة أن يكون معهم وماهو الاعندهم فى هذه النوبة لانه قدأيس من المعتصم وقد سمعت من الجاسوس الذى أخبر ولدى الامير عبد الوهاب ارسال المعتصم بالله إلى بلد الروم ان مادبر ذلك الا عقبة وأنا أخاف أن يعرفنا إذا نحن لحقنا عسكر الملك بحرون وما فى الامر الا ان نكون فى أذيال عسكره وما تخبر بما جرى فلابد مما يصل اليه لان الخبر السوء يطير ويسبق البريد فاذا كان وقت القتال خرقنا الكتائب والمواكب حتى نصل اليه ومن عرفنا فقد عرفنا (قال الراوى) فعندها استحسن الامير أبو محمد البطال تدبيرها وكلامها وقال لها لله درك من بين النسوان فهذا شىء قد خصك الله به الملك الديان الحنان المنان -

(قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد البطال أخذ عـــدد الروم وفرقها على سائر العساكر من دروعهم وزردياتهم وخيلهم وسلاحهم الى ان اكتفوا كلهم وصاروا كانهم وصلوا من القسطنطونيه وتركوا فى ملطيه قليلا من الرجال وأرسلت إلى بغداد للمستخلف الذى كان فيها من جهه الخليفة الامام تقول له جرد من عندك ألف فارس إلى ملطيه ومن يحفظها فانى أخاف أن تعود عساكر الروم إلى البلد فتخرب فاريدك تحميه ثم انها سارت تقطع الارض طالبة العساكر وقلبها خائف على ولدها الامير عبد الوهاب وهى تقول لاتسألوا الركبان مخافة أن يكون الامر بخلاف ماأريد (قال الراوى) فهذا ماجرى فهذا من الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال (وأما ما كان) من الامير عبدالوهاب والملك بحرون فانهما لما انفصلت الاميرة ذات الهمة تلك الليلة وأصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح هنالك ركبت جيوش الكفرة واصطفت عساكر الفجرة وقد ركب الامير عبد الوهاب فى طائفة المسلمين الابرار الا ان الناس الذين كانوا معه من عسكر العراق على غاية من الفزع والخوف والجزع لان عساكر الروم عالم عظيم مثل الليل البهيم والامير عبد الوهاب قد حمل نفسه على أمر عظيم وخطب جسيم (قال الراوى) هذا وقد اصطفت الصفوف واشهرت بأيديها السيوف وازدحمت المئات والالوف ونظر الملك بحرون إلى الروم مرعوبين فقال لهم ياويلكم ما بالكم هذا وأنتم عددهم أضعاف وحق المسيح ان لم تنجزون أمرهم لاتقمكن منكم ومن ملوككم ولا أترك فى أقاليم الروم ملك غيرى فقال له ملك البنجاك وكان اسمه قسطه أيها الملك لاتظن أن هذا العسكر مثل من لقيته هذا الاسود عبد الوهاب الذى أخرب بيوت النصرانية وقد قهر

ملوكها ولو وقعت عينه ماتخلصت منه فان أردت منا نهضة فلا تعجل علينا الى أن نفنيهم بالمطاولة (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك من كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وجرد سيفه وأمر به فقربته اليه البطارقه وهم يظنون أنه يهول عليه فضربه بالسيف أطاح رأسه من بين كتفيه فما بقى فى الروم الامن انزعجت روحه وكاد ان يسكن ضريحه وقالوا لبعضهم البعض ياويلكم ارموا أرواحكم اليوم على هؤلاء المسلمين والا قتلنا هذا الرجل الجزار الذى لارحمة فى قلبه لنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فعندها حملت الروم كلها حملة رجل واحد فيالها من ساعة ماأعظمها ومن حملة ما أجسمها زفرت فيها الاشبال وهدرت الاسد الريبال وعملت البيض العوال والتحمت الرجال بالرجال وتصادمت الصافنات فى المجال وتطايرت الرؤس مثل البرد فى يوم شديد الزلزال وقدأيقنت الارواح بالهم والغم والنكال (قال الراوى) وقتل من الروم خلق كثير وأما عسكر الامير عبد الوهاب فانه كان فى مائتين ألف فارس لان العساكر اجتمعت اليه وتقهقر الى خلفه طول النهار وما بقى أحدا ينجيه الهرب من شدة العطب وعقبة يسير كل ساعة عسكر بعد عسكر وموكب بعد موكب ويقول لهم ياويلكم اتبعوا من يهرب من المعمعة الى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ونزل الامير عبدالوهاب وضم الناس أيضا بعضهم الى بعض وقد أحدقت بهم الروم كما يحدق البياض بسواد الحدق وأضرمت النيران وتحارس الفريقان هذا وعقبة قد خلا بالملك بحرون وقال له ماوصل أحدا من الملوك الى ماوصلت أنت اليه وما لهؤلاء القوم الذين بين يديك حياة الا بقدر ماتدوسهم بحوافر الدواب وقد هلكوا عن آخرهم ولولا مافعلت مع الروم تلك الفعال وضربت رقبة الملك قسطه لما كانوا الروم اجتهدوا على ذلك ولكن فى غداة غد يكونوا لك مماليك (قال الراوى) ففرح الملك بحرون بذلك الكلام وقال له أيها الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح أنا ما أشتهيهم يهلكون حتى أخرج الى هذا الفارس الذى يصفونه الروم والمسلمون حتى تعلم الناس انه مايقوم مقامى ولا يرجع أحدا يصف فارس قدامى وأنا معول أيضا فى غداة غد ان أبرز إليه فقال عقبة لعنه الله يامولاى وما قدر هذا الرجل الأسود حتى تخرج أنت إليه وتبرز نحوه (قال الراوى) وما كان قصد عقبة بذلك الكلام إلا خوفا على الملك بحرون ولم يجسر أحد ان يظهر له ذلك خوفا منه ان يعجل عليه كما أنه قد عجل على الملك قسطه فقال له الملك بحرون وقد سمع كلامه أيها الشيخ النجيح دع يكون هذا الرجل عبد الوهاب عبدا مملوكا أو يكون أحقر الناس أليس هذا الذكر ذكره فى مجالس الملوك بأنه فارس العرب من بعد منها ومن اقترب وأنا لابد لى من لقائه والهجوم عليه

فقد شوقتنى صفته إلى مقابلته فقال عقبة أما انه فى الخلقة فكانه أنت أيها الملك وانه أيضا فى الشجاعة والبراعة فهو فارس الأرض فى طولها والعرض وأما أنا قلت لك ذلك الكلام من وجه الاشفاق فافعل أنت ماتشاء (قال الراوى) ثم خرج عقبة إلى الملوك وقال لهم هذا الملك بحرون هو على كل حال صبي مع أنه فارس لايرام ضراب بالحسام غير اننى لا آمن عليه من الأسود الزنيم والوغد اللئيم عبد الوهاب فى مقام القتال والضراب والطعان وهو إذا هلك مايرجع منكم أحد إلى بلاد الروم ولا كنتم تقفون بعده فلا تتركوه على عقله ورأيه وإذا بارزه فانظروا إلى الظافر منهما فان كان الملك بحرون فهو المراد وان كان الأمير عبد الوهاب فاحملوا عليه واطحنوه بحوافر الدواب ولا تمهلوه ولا تطولوا معه فلا نأمن ان تأتى اليه نجده وتخلصه من هذه الشدة فقالوا أما برازه بنفوسنا فاهو بصواب ولا نقدم اليه الملك أيضا ولكن نحن نفعل ما أمرتنا به ولعلنا نقدر عليه قبل ان تأتيه نجده تعينه فان قولك هذا صحيح (قال الراوى) وباتوا إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح والأمير عبد الوهاب لم ينم تلك الليلة إلا يداوى ويقوى قلوب الأصحاب ويدفن من مات ويقول ياقوم أنا فى غداة غد أقيكم بروحى وأخرج الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فقال الأمير ظالم ها أنا بين يديك وقالت الأمراء كلنا كذلك وما بقى لنا فى الحياة أرب ولا نريد النجاة ولا نطلب الهرب ولو ضاقت الدنيا خيلا ورجالا ووعرا وسهلا وجبالا فقال لهم الأمير عبد الوهاب جزاكم الله خيرا ولعل ان يفرج الله عنا قريب فهو الملك المجيب (قال الراوى) ولما ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركبت الروم كلها والملوك بأسرها وركب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأحباب وأخذ فى تعبية عساكره والروم قد اجتمعت على الحملة كما قد أشار عليهم عقبة فأرسل عقبه يحرضهم وأرسل الملك بحرون النقباء تضرب وجوه الخيل وتمنع الناس عن القتال والنزال وقالوا الملك بحرون يريد الخروج إلى هذا المسلم الموصوف وهو الذى بالفروسيه معروف

(قال الراوى) فكادت مرارة عقبة ان تنفطر وقال هذا الرجل دمه عليه يغلى أو يكون قتل الأسود الزنيم على يده فدع يخرج اليه فمانى المقدر عليه حيله ولا لى اليه وسيله

(قال الراوى) هذا وقد خرج الملك بحرون وهو فى عدة كامله قد غمست فى الذهب ومعه سيف مشطب وسنان يلتهب بالعطب وتحته جواد مثل العقاب الكاسر أو النسر الطائر مليح الحوافر يسبق الرياح البواكر سريع الخطا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فوقف بين الصفين وقد ترجلت الملوك وأولاد الملوك كلها بين يديه ثم انه صاح بجواده

فخرج عنهم والترجمان ينادى دعوا أمير المسلمين المسمى بالأمير عبدالوهاب يخرج بنفسه

(قال الراوى) فعندها سجد الأمير عبد الوهاب شكرا لله تعالى وقد أكب رأسه فى قربوص سرجه وهم بالخروج فسبقه ولده الأمير ظالم ومازال سائق جواده إلى ان وصل إلى عند الملك بحرون وهو يقول له كيف يخرج اليك الشيخ الكبير وأنا مقيم فى الحياة أيها الملك الخطير فدونك والقتال والحرب والنزال فهو أليق بك ان كنت من الأبطال الاقيال (قال) فعندها حمل الملك بحرون وقد علم انه ولد الأمير عبد الوهاب لانه كان عنده موصوفا ولم يزال الحرب بينهما حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وتضاربا بالحسام البتار وقد انقشع الغبار وقد تقابضا وهم راكبين على الجوادين والأمـــير عبد الوهاب قد فرح بذلك لما يعلم من قوة ولده الأمير ظالم (قال الراوى) فهو كذلك اذ صاح به الملك بحرون صيحة شديده وهزه هزة قويه فاقتلعه بها من بحر سرجه أسرع من البرق ثم انه سلمه من يده إلى أصحابه وقد طلب البراز وسأل الانجاز

(قال الراوى) فخرج اليه أخيه الأمير سيف الحنيفية وهو فى عدة كاملة راكب على حجرة عربيه تسبق الطيور المرسيه وفى يده صمامة هنديه رقنطاريه افرنجيه ثم انه قد حمل على الملك بحرون وهو ينادى أنا الامير سيف الحنيفيه أنا دامغ النصرانيه فدونك وقتالى وانظر إلى فعالى وأعمالى ثم انه أشار ينشد ويقول :

أيا بحرون أبشر من قريب ... بضربة صارم صقل قطوع
أنا ابن هامها فى كل حرب ... وخواض المهامه والجوع
سأحمى عنهموا جهدى وسؤلى ... وأخضب صارمى بدم نجيع

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا وتطاولا وتباعدا وتقاربا واختلف بينهما طعنتان سابقتان كان السابق بالطعنة الامـــير سيف الحنيفية فوقعت فى صدر الملك بحرون وكان عليه يومئذ ثلاث زرديات ماهما نظير فى الأرض محكمه منظمه لم يظهر السنان منهما هذا وقد انحنى الملك بحرون على الرمح فقصفه من حد السنان وقاربه حتى حك الركاب بالركاب وقبض بيده عليه وهزه فاقتلعه من بحر سرجه (قال الراوى) فلما نظر عقبه إلى ذلك أقبل على الملوك وقال لهم لكم الامان بعد هؤلاء الاقوام فالملك بحرون يأخذ اسود بنى كلاب وهؤلاء الاثنين أقوى منه باسا وأشد مراسا وهم كلهم ضعاف من أثر المحبوس (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وقد عظمت الأمور والأسباب على الامـــير عبد الوهاب ولم يجد له صبر دون ان خرج وهو مثل الأسد راكب على ظهر جواده وهو فى أكمل عده وأحسن أهبه إلى ان قارب الملك بحرون

فعندها صاح عقبه بالبطارقه ان أعلموا الملك بحرون بان هذا الفارس المذكور والبطل المشهور حتى يكون منه على حذر (قال الراوى) ياساده يا كرام فصاحت الملوك به وأشاروا اليه يعنى إلى الملك بحرون ان هذا هو الفارس الذى ماخرجت الا لأجله ففرح الملك بحرون بذلك فلما ان وصل الامير عبد الوهاب اليه وحمل عليه كانا فى سرجيهما سواء وفى الركبة والاكتاف أكتافا واحده الاان الملك بحرون أصفالون لاجل تربيته فى بلادالروم فانظرت العيون أحسن منهما فارسين ولاأشجع منهما مبارزين فصاح به الملك بحرون أنت عبدالوهاب فارس بنى كلاب فقال له الامير عبدالوهاب أنا ذاك فقال له الملك بحرون لقد وصفت أيضا بالشجاعة فقال له الأمير عبدالوهاب ذلك بعون الله الملك الوهاب التواب (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه وتقاتلا طول النهار وانفصلا عند المساء ولم يصل أحد منهما إلى الآخر ورجعا إلى عسكرهما وكل واحد منهما لايصدق بالصباح ان يصبح عليه حتى يخرج إلى خصمه وهو يصف ماقد رأى وما عاين من قرينه (قال الراوى) فلما ان كان فى اليوم الثانى من الايام جرى لهما كذلك (قال) ولم يزالا فى القتال والنزال والمبارزة والمجال وأمراء المسلمين تخرج إلى البطارقة والملك بحرون يقاتل الأمير عبدالوهاب ولا يصل أحد منها إلى صاحبه إلا كأنهما شخص واحد فى القوة والشجاعة والجلادة والفروسية والبراعة والسعادة (قال الراوى) ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى قتال ونزال ستة عشر يوما فلما أن كان فى اليوم السابع عشر من الأيام أشرفت غبرة عظيمة فلحقها قترة جسيمة من نحو أرض العراق وكان فيها الإمام المعتصم بالله (قال الراوى) ياسادة يا كرام وذلك بأن المعتصم بالله لما رجع إلى العراق وجد الدنيا منقلبة على قدم وساق فاطمأنت العالم برؤيته وكاتب العسكر وقد أمرها بالاجتماع وبعد ذلك وصلت الأميرة غمرة ابنة الأمير عطارد من أرض الحجاز ومعها ثلاثين ألف فارس من بنى كلاب وعشرة آلاف من غيرهم وذلك بأنهم سمعوا بأن الأمراء قد خلصوا فعندها ساروا اليهم كل ذلك من شوقهم اليهم ومعهم ألفين بطل أسود كانوا قد تفرقوا وطلبوا أرض الحجاز لما أخذ الأمير عبدالوهاب ووصلت نجدة أخرى من بلاد الترك والديلم فى مائتى ألف فارس ومن البصرة وأعمالها خمسين ألف فارس فلما صار فى هذا العسكر رحل طالب الأمير عبدالوهاب كما ذكرنا ووصل كما وصفنا ففرح الأمير عبدالوهاب بذلك وقويت قلوب أصحابه به هذا وقد أقبلت عليهم غبرة أخرى من صوب أربل والبواريج وكانت تحتها عسكر الشام ومصر مع الأمير قراقد المصرى فى مائة ألف فارس وعشرة آلاف

بطل أسود من الذين تفرقوا إلى أرض مصر (قال) وكان الأمير عبدالوهاب لما خلص من السجن قد طير الطيور إلى أرض مصر وأرض الشام يعلمهم بخلاصه من يد قناصة وإن الخليفة الإمام المعتصم بالله فى الجهاد فعندها تجهز نائب مصر وسار فى هؤلاء الاقوام إلى أن وصل اليهم (قال الراوى) وأول ما وصلت الأميرة غمرة ابنة الأمير عطارد فى سادات بنى كلاب التى كانت فى الحجاز وفى قلوبهم الغدر للمعتصم بالله وهم يقولون إن لم يكن الأمير عبدالوهاب خلص على الحقيقة ونراه مشاهده مع جماعة أمرائنا وأصحابنا وإلا أطبقنا على المعتصم بالله بمن معنا حتى أنه يخرج لنا أميرنا وأميرتنا وأصحابنا من المحبوس ولم يزالوا كذلك وهم بين المكذبين والمصدقين حتى وصلوا الى عساكر الأمير عبد الوهاب وقد التقاهم وفرح بهم وهناهم وهنوه وسألوه عن الأميرة ذات الهمة فقال لهم الأمير عبد الوهاب انها ذهبت إلى خلاص أمير المؤمنين ولا وصلنى لها خبر ولا حال ولا أثر (قال الراوى) ونظر الأمير عبدالوهاب إلى ذلك العسكر العظيم غير سادات بنى كلاب فقال لهم ومن أمير هذا العسكر سواكم فقالوا له الخليفة المعتصم أمير المؤمنين وهو يذكر لنا أن الأميرة ذات الهمة قد خلصته لأننا وصلنا إلى بغداد بالاتفاق فوجدناه قد جمع العساكر وكان قد وصل الينا كتابك فشكينا فى خلاصك وقلنا إن لم نراك وإلا فيكون الكتاب قد زوروه على خطك وعولنا على ماهو كذا وكذا

(قال) فضحك الأمير عبد الوهاب ونزل المعتصم بالله وبقى الامير عبد الوهاب كلما أراد أن يمشى اليه ويبوس الارض بين يديه فيرجع يأخذه كبر النفس لاجل ماصنع فى حقه والامراء يقولون نحن مانمضى اليه ولا نسلم عليه فلا تظن أنه سائر الينا يبغى نصرتنا وإنما أتى ليقاتل عن بلده وروحه والإسلام وإلا كان سار الملك يحرون اليه وأخذه من موضعه (قال) فهم كذلك وإذا قد أشرف عليهم المعتصم بالله وهو راكب على بغلة النوبة وأرباب الدولة من بين يديه والوزير أحمد بن سهل معه ونظر الامير عبدالوهاب إلى العسكر وقد نزلت أيضا والإمام المعتصم أيضا قد سار طالب مضربه بنفسه فعند ذلك بكى فرحا وخرج اليه راجلا وخرجت الامراء من حوله حتى إذا التقيا فترجل المعتصم بالله اليه واعتنقه وجعل الامير عبدالوهاب يبوس الارض بين يديه ويقول له ياأمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين وبحق أجدادك المكرمين الا ركبت إلى المضرب فقال لا والله لافعلت ذلك إلا أنا وأنت نسير إلى المضرب وينقضى من النظر اليك غاية الارب (قال) ولما صار إلى المجلس سأله الامير عبدالوهاب عن أمه الاميرة ذات الهمة فقال له كان من أمرها ماهو كذاوكذا وما أبطأت عنك إلا وقد سارت إلى بلاد الروم

حتى تخرب البلاد كما يبلغ الخبر إلى ملك الروم فيشتغل قلبه (قال الراوى) هذا وقد وصلت عساكر مصر وقورت الارض ودخلت من خلف عساكر الروم وقد حصلت عند عسكر الاسلام وكان فيها الامير قراقد والسودان كما ذكرنا فى عشرة آلاف بطل من الابطال فعندها فرح الامير عبد الوهاب بالسودان وفرسان الطعان وفرح المعتصم بالله الامام بوصول ذلك العسكر العظيم وقال يالها من سعادة كاملة لاترام (قال الراوى) الى هذا الكلام ولاحت غبرة أخرى من خلف عسكر الروم وكان تحتهـــا الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال والملكة ميمونة ومن كان معهم من الابطال فى ذلك الزى الذى ذكرنا وقد رحلوا إلى عسكر الروم ولم يوجه لهم لعظم تلك العساكر التى كانها مثل البحر الزاخر هذا والروم لم يعظم ذلك الأمر عليهم ووصول هذه العساكر ولا خطر ببالهم لانهم قد ملكوا الاودية والتلال والجبال (قال) ووصل جاسوس عقبه اليه فخبره أيضا بقدوم المعتصم بالله اليه وكيف كان خلاصه على يد الأميره ذات الهمه وقتل البطريق وقدوم السودان فكادت مرارته ان تنفطر وقال لابارك السيد المسيح فى الحبشان ثم انه دخل على الملك بحرون فوجد عنده الوزراء وهم جالسون وهما يتحادثان ويضحكان ومافى عيونهما من اهل الأرض شيأ فقال عقبه لعنه الله بعدما سلم عليهما وقدقاما اكراماله واعظاما فجلس بينهما وحدثهما بما جرى من أول الأمر إلى آخره (قال) فلما سمع الملك بحرون ذلك من كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وقامت أوداجه حتى كاد ان تنقطع منه أزياقه وقال خلص المعتصم بالله فقال له نعم أيها الملك وهاهو قد نزل فى مقابلتك كما نراه وهذا كله عملك لانك أنت قد طاولت القوم إلى هذا الحدمع هذا الاسود الزنيم الوغد اللئيم حتى قويت شوكته وتركته من يدك حتى كثر عسكره ولهم مثل هذه العاهره ذات الهمه ومثل هذا الشيطان أبو محمد البطال يدبر لهم الخيل وسوف توخذ البلاد لان أبو محمد البطال يأخذ ثياب الروم وعددهم ويلبس ذلك ويأتى إلى عسكرك ويختلط بهم وإذا التقيا الجيشان وتقاتل العسكران والتحم الاقران هنالك يحمل على المواكب التى تكون أنت فيها فلو مالت الراية التى عليها الصليب الأحمر لانهزمت الامم فانظر الآن مابين يديك من هؤلاء القوم الذين قد ملؤا الأرض ذات الطول والعرض والاندمت حيث لاينفعك الندم إذا ذلت بك القدم فان وراءك مثل هذا الشيطان أبو محمد البطال اللص المحتال وهو يدور من حول العسكر بلامحالة ولا تعرفه فى عظم ذلك الجيش الكبير

(قال الراوى) إلى هذا الكلام فلما سمع الملك بحرون من عقبة ذلك الكلام فقال فى غداة غد أحمل فى العساكر كلها عليهم ولا أبقى منهم باقيه هذا وان الوزير مذبحون

لما سمع بذكر الأمير أبو محمد البطال فقال الملمون عقبه إلى كم تفزعنا بهذا الشيطان أبو محمد البطال فقال له عقبه أيها الوزير الاجل أنت هذا الرجل ما تعرفه وهو فرعون الأرض لكنه ماقدر قط يتسلق كما فعلت أنت بحصن يانس المتمذب (قال) ثم ان عقبة جعل يحدث الوزير مذبحون بصنائع الأمير أبو محمد البطال وفتحه البلاد وحيلته على العباد ثم انه قال وحق المسيح لوغاب وحضرت أنت نقول ماقلنا إلا انه غيرك ولو غبت أنت لقلنا أنك هو لان الخلقة كلها واحده ومافيها خلاف فى القد واللحيه والمنظر والصوره وجميع الأشياء (قال) فلما سمع الوزير مذبحون ذلك الكلام تعجب وقال له أيها الشيخ النجيح إذا كان الأمر على ماذكرت فلو رأيت هذا الرجل أبو محمد البطال أو عرفت له مكان لرأيت منى العجب وأما عبد الوهاب فان أردت فى هذه الليله ان يأتيك قتيل أو أسير وأقوده بيدى قود الطفل الصغير فقال عقبه اما انك لو كنت تغير هذا الزى لقلت انك يتم لك جميع ماتريد وأما انك هكذا فلا (قال) فلما سمع الوزير مذبحون ذلك الكلام انتخب من العرب المتنصره عشرة آلاف فارس وقال الملمون فى أى زى يخرج الأمير أبو محمد البطال فقال له عقبه فى كذا وكذا فعندها لبس الوزير مذبحون فصار كانه الأمير أبو محمد البطال لايفرق بينهما أحد من الناس ثم انهما خرجا من العسكر وعقبة على غاية من الخوف والخطر على الوزير مذبحون لئلا يلقى نفسه فيما لايخلص منه أبدا (قال) ولم يزل كذلك حتى تنصف الليل وصار بالبعد من ناحية عسكر المعتصم بالله على قدر فرسخ منهم وأكمن أصحابه ودخل إلى الخيام وتخطى المضارب (قال) فهو كذلك إذا لقيه مالك بن طوق فى رجال الحرس والمشاعل تقد بين يديه فلما نظروه صاحوا عليه من أنت فقال لهم أنا من تعرفوه ولا تنكروه أنا (الأمير أبو محمد البطال) فلما أشرفوا عليه ونظروا اليه وإذا به الأمير أبو محمد البطال ينطق لاريا ولاريب ولامحاله الصوره والكلام الكل واحد (قال) فعندها ترجل الأمير مالك إلى وجه الأرض وقالوا ياأبو محمد يا بطال الحمد لله على سلامتك ولقد من الله تعالى على الامام المعتصم بالله بكم وعلى سائر الناس ولكن اخبرنى من أين وصلت فى هذه الساعه قال من عسكر الأميره ذات الهمه ونحن معولين على الوصول إلى عسكر الروم ونكون من حول سرادق الملك يحرون إلى ان يصبح الله بالصباح ويرتفع الصياح هنالك نهلل ونكبر ونهجم على الملك يحرون ونحدق به وارفعوا أنتم أصواتكم واحملوا ولكن الاميره ذات الهمه لها مع ولدها الامير عبد الوهاب رأى آخر لايقف عليه غيره فادعوه الساعة فقال سمعا وطاعه ثم انه مضى لوقته وساعته فوجد

الامير عبد الوهاب عند المعتصم بالله وهم فى الاحاديث التى جرت يدبرون والى لقاء الملك يحررون يتشاورون فعند ذلك دخل مالك بن طوق وتقدم الى الأمير عبد الوهاب وساره فى أذنه بكلام ففرح وقال أنت رأيت الأمير أبو محمد البطال فقال له نعم فى هذه الساعة فقال له المعتصم بالله ما الخبر فقال ياأمير المؤمنين يكون الحديث عندك مكتوم والاخرج الخبر لأن هذا المكان لايخلو أن يكون فيه جاسوس للروم وينفسد ماتدبره الأميرة ذات الهمة فقال له المعتصم بالله ووصلت الى ههنا فقال نعم فقال له المعتصم فأنا أجيء معك وأسمع مايقولون وأوصيها بأمور فى قلبي ان تفعلها (قال) ثم انه ركب على بغلته وركب الأمير عبد الوهاب وقدساروا ومالك بن طوق بين أيديهم حتى وصل بهم الى عند الوزير مذبحون وهو يظنه الأمير أبو محمد البطال فقال له هذا الأمير عبد الوهاب وصاحبه أمير المؤمنين يريد الأميرة ذات الهمة حتى يقول لها على شيء فى نفسه ويبقى الرأى على مايكون فقال الوزير مذبحون نعم مافلت وأنا أرجو أن يكون هذا الحال لايخرج من أحد منكم فيبطل علينا ما كنا فيه فقال مالك بن طوق ماعلم بهذا الا الله تعالى ونحن (قال) ولما قربوا من بعضهم البعض تقدم الوزير مذبحون الى المعتصم بالله وهو يعرفه لأنه كان مأسورا عندهم فقبل الأرض بين يديه وقال يامولانا ما الامر الا أقرب من أن تتولاه أنت بنفسك وسوف ترى مايسرك ان شاء الله تعالى (قال) فلم ينكر أحدا على ذلك الكلام انه كلام الامير أبو محمد البطال وان شخصه (قال) ثم أنه دنا من الامير عبد الوهاب واعتنقه وقال والله مالنا عيش هنيء من الخوف عليك من عسكر الكفره الملحدين الفجرة فقال الأمير عبد الوهاب اعلم ياأبو محمد ان القلب مع الله وما يكون الا الخير ومن يتوكل على الله فهو حسبه فسر بنا قبل مايأتى الظلام فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) ثم سار المعتصم بالله والامير عبد الوهاب ومالك بن طوق والوزير مذبحون سائر بين أيديهم كأنه شيطان والامير عبد الوهاب يقول ياأبو محمد ماهذا صواب ان نكون نحن ركاب وأنت راجل فقال له يامولاى لو كنت راكب ما كان خفى وقع حافر الفرس على جراسيس الروم فقال له صدقت الآن ياأبو محمد هذا نظر مثلك (قال) ولم يزل سائر بهم الى أن أوقفهم فى وسط الالف فارس المتنصره وكانوا كلهم أقيال أوقاح فرسان الحرب والنزال وفى أيديهم السيوف الصقال فلم ينكر ذلك وجعلوا يخترقون الناس ويطلبون الاميره ذات الهمة (قال الراوى) فعندها صاح الوزير مذبحون فأخذوهم على غفلتهم ورجعوا أيضا من ليلتهم بهم الى أن أبعدوا بهم عن العسكرين وكان عقبة لما سار الى ذلك الامر فقال له ان ظفرت بالامير عبد الوهاب لاتقتله لان خلفه شياطين الارض قد خلصوا معه ولكن

سير به الى بلاد الروم ونأمن عليه ونملك البلاد ونهلك رقاب العباد وبعد ذلك نقتله أشر قتلة (قال الراوى) هذا وان الوزير مذبحون لما أخذ هؤلاء الثلاث رجال علم أنه ظفر بما لم يظفر به أحد ثم انه صار يقطع الأرض ذات الطول والعرض إلى أوائل جبال الروم وأرسل إلى القاضى عقبة المذموم من عنده رسول يعرفه بهذه النوبة وانه قد أخذ المعتصم بالله والأمير عبد الوهاب (قال) فلما سمع بذلك فرح فرحا عظيما وألحقه بالأمير ظالم وأخيه الأمير سيف الحنيفية وقال للرسول قل له لايرجع حتى أنهم يحصلوا كلهم فى مدينة القسطنطونية وأنا أدبر الملك فى الوزراء إلى حين ترجع (قال) فعند ذلك أخذهم ذلك البطريق الذى أرسلهم الملك معه وسار بهم على غير طريق التى سار بهم فيها الوزير مذبحون (قال الراوى) هذا وقد أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد فقد المعتصم بالله من السرادق وفقد الأمير عبد الوهاب كذلك فعظم ذلك على المسلمين وأبطال الموحدين وقالوا كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فعندها صاح الأمير ضيغم ولد الأمير عبدالوهاب فى بنى كلاب وقال ربما تكون الأميرة ذات الهمة قد أرسلت وراءهم لأمر تريد أن تصنعه فلا تشوشو فانا موضع أبى الأمير عبد الوهاب ونحسب أن الامام المعتصم باللهما أتى إلى الآن (قال الراوى) ثم ان الأمير ضيغم صاح فى الناس فركبوا وحملوا الاتراس وعقبة قد أعلم الملك بحرون بهذه القصة ففرح فرحا شديد هذا والأميرة ذات الهمة ماعندها خبر من ذلك لأنها فى عسكر الروم وانها قالت للملكة ميمونة والأمير ملابط البغال كونوا بالقرب من صليب الملك بحرون حتى أقول لكم ماذا تصنعون فقال الأمير أبو محمد البطال أنا أخاف من الملعون عقبة ان يعرفنا فقالت بعد ماتكون لقربهم مانبالى ان عرفونا أم لا ونحن نعرفهم بأنفسنا اطلبوا بنا المصاف فقالوا لها نحن بين يديكى نضرب بالعمد ونرمى أرواحنا فى الأمر الصعب ولو كانوا فى عدد النجوم فنحن نتوكل على الحى القيوم الذى يعلم الغيوم ويسبحه قطرات الذر تحت التخوم (قال الراوى) ثم جعلوا يتخطون النــاس حتى قربوا من المصاف الذى للملك بحرون وموكبه الذى هو راكب فيه وهو يوصى قومه بالبراز ويقول لقومه من أخذ اليوم مسلما أعطيه البلاد ثم جعل يخلع عليهم وعلى سائر أمراء المتنصره ويدعو دارس وأخيه مارس ويخلع عليهم (قال) ثم انه ادعى بالأميرة ذات الهمة وقال ياويلكم اخلعوا على هذا البطريق نخلع عليها خلعة سنية فقال له عقبة إن هـذا الفارس الذى بين يديك هذا الذى نخاف كلنا منه وكان عقبة قد أعـــلم الملك بحرون من أول الليل كما ذكرنا (قال) فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أتاه

عقبة وأخبره بأن الاميرة ذات الهمة فى خمسة آلاف فارس فى العسكر وهما أبطال المسلمين ولهذا أمر الملك بحرون أن يخلع على البطارقة حتى يعرفوا بعضهم البعض وعقبة الى جانبه وقد علم أنهم مايقدرون يحملون على الملك بحرون حتى يقع القتال والحرب والطعن والنزال وتحمل الرجال على الرجال فقال للملك بحرون أنا أكون أيضا بالقرب منك متنكر فاذا وصلت الاميرة ذات الهمة اليك أعلمتك بها فقال له سمعا وطاعة (قال) لجمل يخلع عليهم الى أن تقدمت الاميره ذات الهمة وهى على أمان واطمئنان فأخذوها وقد وقع السيف فى الناس فهلل وكبر الامير أبو محمد البطال وكبرت الرجال وانطبقت عليهم الروم من كل جانب ومكان وعملت بينهم السيوف القواضب هـــذا وقد نظر الملك بحرون إلى ذلك لحمل بنفسه من حنقه عليهم وسمع الامير ضيغم العياط والصياح من العسكر فظن أن الامير عبد الوهاب فيهم مع الاميرة ذات الهمة فى هـذه النوبة لحمل بعساكره وأبطاله (قال) ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن دخل عليهم الليل وقد خلص من أصحاب الاميرة ذات الهمة ثلاثة آلاف فارس وفيهم الامير أبو محمد البطال وكذلك الملكة ميمونة ووصلوا الى عسكر الاسلام وكان على قلب الأمير أبو محمد البطال وعلى قلوب المسلمين من ذلك أمر عظيم (قال) فسألوا عن الامام المعتصم بالله والامير عبد الوهاب فذكروا لهم انهم قد فقدوا ومعهم الامير مالك بن طوق وقد قيل لنا انك يا أبو محمد جئت اليهم فى ظلام الليل وأخذتهم فقال لهم الامير أبو محمد البطال والله ماعندى من هذا علم ولا جلية أثروماهما الا قد تمت عليهم الحيلة من هذا الذى وصفوه جميع الخلق بى وكأنه أنا وكأنى هو على ماقد قيل لى وأنا ماأدرى من أين أتى هذا الشيطان وما أصيبوا الا بى الاسلام فقالوا له والله ياأبو محمد انه ماخلا منك لا كثير ولا قليل فسبحان من خلقكما من ماء مهين فقال لهم الامير أبو محمد البطال ما بقى يـكشف هذه النوبة الا أنا (قال الراوى) الى هذا الكلام ثم ان الامير أبو محمد البطال أخذ غلمانه وخرج من العسكر الى أن وصل الى عسكر الروم ومشى بينهم وقد علق عليه لحية كبيرة شقرة كأنها برشم ومعه غلمانه فجعل يجلس مع قوم بعد قوم فلم يسمع خبر إلى أن وصل إلى الصقلب يتحدث معهم إلى أن أتوا إلى حديث الوزير مذبحون فقال الامير أبو محمد البطال كيف خلاه الملك بحرون يمضى فى هذا الوقت وهذا العدو بين أيدينا فقال له واحد منهم مامضى إلا برأى الملك بحرون ورأى الشيخ النجيح وانه قد أخذ خليفة المسلمين وأميرهم المسمى بالأمير عبد الوهاب ولولا ذلك لما أخذنا اليوم الأميرة ذات الهمة بل كان الأسود الزنيم يهجم الى وسط الناس ويخلصها

(قال الراوى) فلما أن سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام فقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه أقبل على غلمانه وقال لهم هذا الأمر الساعة قد فات وفات فيه الفوات قوموا بنا ننظر مايكون فى هذه الليلة (قال) ثم إن الامير أبو محمد البطال قصد إلى سرادق الملك بحرون فوجد الملوك كلهم قيام يحجبوه وأيديهم على قوائم سيوفهم وهو جالس على كرسى من الذهب والبترك بين يديه والاميرة ذات الهمة قدامه والبطارقة متطاولين إلى قتلها والملك بحرون قد وعدهم بذلك فى غداة غد وما منهم إلا من هز سيفه فى وجهها ويقول لها ياويلكى كم لكى فى الروم من داهية ولا بد لنا مما تروى سيوفنا من دمكى والاميرة ذات الهمة لاتجيبهم بكلام ولا ترد عليهم نظام

(قال الراوى) هذا وعقبة مقبل على الملك بحرون وهو يقول له السيد المسيح يحفظ هذه العوارض الجميلة فقد نلت فى الدنيا غاية المراد ولو لم يكن إلا أخذ هذه العاهرة التى قد سفكت الدماء وأرملت النساء وما فى قلبى حسرة إلا من هزيمة هذا العسكر الذى بين أيدينا مع هذا الأمير ضيغم وما أخذ الامير أبو محمد البطال وقد انكسروا ولو أنهم يكونوا فى عساكر أهل الارض فقال الملك بحرون أيها الشيخ النجيح بحق السيد أيهما أشجع هذه الاميرة أو ابنها الامير عبد الوهاب فقال له عقبة أيها الملك لايغرك أنك أخذتها وهى آمنة مطمئنة وما تظن أنى عرفتها وغمزت عليها وأخذتها وهى فى غرة منها وان رجالها متفرقة فى سائر الاماكن وهذه الاميرة ذات الهمة وحق المسيح ماعلى وجه الارض نصرانى ولا نصرانية إلا وفى قلبه منها دبله وأى دبله وأما أنا فهى أبغض الناس إلى وبعدها ذلك الشيطان أبو محمد البطال فقال له الملك بحرون دعنى من هذا الفشار والزور والهذيان اناسألتك سؤال ما أجبتنى عليه فقال له عقبة يامولانا ايش هو الذى اجيبك عليه وحياتك لوكان فى عسكرك مثلها عشر رجال فتحت الأرض برا وبحرا وما فى الرأى الا ضربها فى غداة غد بالسيوف بين الصفوف ففى ذلك انكسار عساكر الاسلام وأخذ الديار والبلاد والسلام (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام عظمت الأميرة ذات الهمة فى عنيه وقال ما أظن هذا حقا وهذا شيخ كبير السن وماله بهؤلاء معرفة فلاجل هذا يتحدث بما لا يعرفه لان الأبطال لايعرفهم إلا مثلهم فعندها علم الملعون عقبة مافى نفس الملك بحرون فأقبل على البطارقة وقال يا أبناء النصرانية ماتصدقوا قولى عند الملك لانه مايعرف هذه الأميرة ذات الهمة فكل من كان عارف بأمر الأميره ذات الهمه يقول فقالوا وحق المسيح ياملك ماوصف الشيخ النجيح الا بعض ما فيها من الفروسيه ومافينا الا من اخذته وأخذت فديته المال الجزيل وقتلت آباؤنا

وأجـــدادنا ولها فى كل بلده واقليم هول عظيم (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام من البطارقة فقال ياويلكم على بغلامى جرجيس بن تمليخا فعندها حضر بين يديه وكان مثل الجمل العظيم طويل من الرجال بجلس على أكتافه من كل ناحية رجلان مفتول السواعد كانها العمد الطوال (وقد ذكر الناقل) لهذا الكلام أنه ما كان فى بلاد الروم كلها أقوى منه ولا أشد منه بأس ولا أقوى مراس (وفى الحكاية عنه) أنه أخذ عامود ثقيل من الحديد فشد يديه عليه وقد طواه حلقه وهذا أبلغ مايكون من القوة والشجاعة وكان الملك بحرون قد جعله سيف نقمته وهو اذا سخط على إنسان دعاه ليضرب عنقه فكان يضربه مرة بسيفه ومرة يلطمه بيده فيطير لحم قحفه ورأسه وكانوا أبناء الروم يفزعوا منه إذا نظروا اليه لاسيما إذا دعاه الملك بحرون إلى بين يديه فلم يبق أحد منهم الايظن انه هالك وان الملك بحرون مادعاه الا ليهلكه (قال) فعند ذلك دعاه الملك بحرون فوقف بين يديه وقد جرد سيف النقمه بيديه وكان عرضه عرض باب دار قوى المسمار حاد الشفار للموت فى طرفيه آثار وقد كتب عليه هذا قاطع الاعمار وكان هذا الملعون إذا دعاه الملك بحرون تنقلب أيضا عيناه فى أم رأسه وهو يطلب سفك الدماء لانه كان قد خلع الله الرحمة من قلبه فلما نظر الملك بحرون اليه فقال أتدرى لماذا قد دعوتك فقال لاأعلم انى لو أمرتنى بضرب ألف رقبة لفعلت ذلك وأنا وحق المسيح فى هذه الليلة مسريح ولم أقتل فى الحرب من المسلمين غير ستة وثلاثين فارس وقد صعب على اذا لم أقتل الا هذا المقدار (قال الراوى) فعندها ضحك الملك بحرون من كلامه وقال له ماقولك فى هذه المرأة التى بين يديك وقد أجمع الناس كلهم انها أفرس من ولدها الامير عبد الوهاب وقد عاينت أنا من ولدها الامير عبد الوهاب مالم أراه من غيرى فى حال برازى معه أياما عديده ولم أصل اليه ولم أقدر عليه فقال له أيها الملك قل لى أقتلها حتى اريك كيف أصنع فيها فقال له الملك بحرون ماهذا مليح وقد وصفت لى قوتها وأنا أعلم أن مافى أبناء النصرانية أقوى منك (قال) وأنا أريد منك فى هذه الساعة أن تحل أيضا كتافها وتصطرع أنت وإياها فان أنت صرعتها إلى الارض ذات الطول والعرض خلعت عليك وان لم تصرعها ضربت رقبتك فقال له ذلك الملعون أنا قد عرفت الشرط الذى بينى وبينك ولكن يامولاى أنت تعلم انى مابارزت أحدا قط وشم نسيم الهوى وهذه المرأة أنت تعلم انها هالكه وان كان فيها غير القتل فافعله والافقد دنا أجلها فقال له الملك بحرون أسرع (قال) فعندها قام قائما على قدميه وقطع كتافها وحل رباطها وفك قيدها فقامت الاميرة ذات الهمة قائمة على قدمها وهى تقول أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا

عبده ورسوله ﷺ ثم انها رأت ماقد عزم عليه الملك بحرون وعظم ذلك البطريق الذى كانه الفتيق أقبلت الاميرة ذات الهمة على الملك بحرون بقوة قلبها وقد أيقنت بالموت فقالت له اعلم أيها الملك ان الموت محتوم على كل مخلوق مرة واحدة وماأبالى بأى وقت أتانى فأنا الذى سمعت صفتى وهذا البطريق الذى تشهد له سائر أبناء الروم بأن مافيهم أقوى منه وهذا ماهو صحيح أن يكون معك ألف ألف بطريق مافيهم أحدا مثله وأنا على كل حال امرأة ضعيفة فان أردت قتلى بالسيف فافعل وإن أردت أصارعه كما ذكرت يكون على وعد منك وعهد وعقد وذلك ان ظفرت به تترك سبيلى لعلى اجتمع بولدى الامير عبد الوهاب وأراه قبل الموت وكنت قد سمعت بأن الوزير مذبحون قد أخذه وأخذ المعتصم بالله الآخر وسيرهما إلى القسطنطونية وكنت قد بقيت على غاية من القلق (قال) فلما سمع الملك ذلك الكلام من كلامها رق أيضا قلبه لها وقال هذه امرأة مسكينه تعلل قلبها بأنها سالمة من القتل والهوان ولكن وحق المسيح والدين الصحيح ان انتى سلمتى منه لاطلقن سبيلك وان شئتى المقام عندى إلى ان أفتح البلاد وأجمع بينك وبين ولدكى الأمير عبد الوهاب وان أردتم المقام على دينكم وتكونوا جميعا تحت يدى فأنا افعل ذلك وان تنصرتم فأنا اعطيكم الديار والبلاد من ملطيه إلى بغداد (قال) فلما ان سمع عقبه من الملك بحرون ذلك الكلام أيقن فى نفسه الخبيثة بأن البطريق جرجيس يقتل الأميره ذات الهمه حيث هو يصارعها هذا وان الأميره ذات الهه شمرت عن ذراعيها وزنديها وكل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شذراويرمقه حذراهذاوالبطارقة قد أخذتهم البهتة اليهما وهما كانهما جبلين تصادما أو بحروين قد تلاطما (قال) فدنا كل واحد منها من صاحبه وتحاربا وتضاربا وقد تعاركا فعندها جعل الملعون جرجيس يجذب الأميره ذات الهمة موضع إلى موضع وهى كانها عامود حديد أو الرصاص الذى ليس له من الأرض خلاص ثم انه قد أجهد نفسه ان يصرع الأميره ذات الهمة فوجدما أمله منها بعيد والوصول اليها صعبا شديد (قال الراوى) ولم يزالا يتماركان إلى ان كل ومل فصاح الملك بحرون بالبطريق جرجيس فقال لبيك لبيك يامولاى فقال له ويلك أين لطماتك وأين ضرباتك (قال الراوى) فعندها تملص الملعون من الأميرة ذات الهمه وكبب يده كانها حافر بغل شموص ولكم بها الأميره ذات الهمه فوثبت من بين يديه أكثر من ستة أذرع فجاءت رجليها عند الكرسى الذى كان جالس عليه عقبة وكان قد دلا رجليه فجاءت قفزه الأميره ذات الهمه بحيلها على رجليه فكادت تقضى عليه فصرخ عقبة صرخة شديدة وقد وقع مغشيا عليه (قال الراوى) ثم ان الأميرة ذات الهمه صرخت

على ذلك البطريق ووثبت عليه وقد لكمته بيدها فى صدره فخسفت رفادة صدره فانقلب واختلج ساعه زمانيه وعجل الله تعالى بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فعندها صلبت الروم على وجوهها وصار بحرون يضرب بيد على يد ويصلب على وجهه ويقول ماليح مليح

(قال الراوى) فانتبه عقبة لعنه الله من غشوته وهو يقول له يا ملك النصرانيه ايش هاهنا من المليح وهى قد قصفت رجل الشيخ النجيح أنا ماقلت لك يامولانا ان هذه العاهرة ماتطلق وتدرك فى السباق يا ملك النصرانية بحق السيد المسيح والدين الصحيح لاتطلق سراحها فتندم غاية الندم وحق المسيح لئن أطلقتها إلى عسكرها لتاخذنك فى غداة غد من مكانك الذى أنت فيه يامولاى قد أطحنت رجلى فلا تطلقها من يدك بحق السيد المسيح فقال له الملك بحرون لا وحق المسيح انه قد أعجبنى أيضا فعلها ياشيخ يانجيح وحق المسيح هذا القول الذى تقوله الآن مايليق بمثلى لأننى قد أقسمت لها بالسيد المسيح ان هى ظفرت بغريمها فلا بد لى ان أطلق سبيلها فقال له عقبة يامولانا ماللمسلمين عندنا لاعهد ولاميثاق فلا تغتر بهذا القدر فقال له الملك بحرون ياشيخ نحن الآن مطلوبين بالصدق ولا يرضى بالكذب الا أقل الناس وأنا فلا يدعنى طبعى الا إلى الصدق وأنا فلا بد لى من اطلاقها (قال الراوى) فلما سمع عقبة من الملك بحرون ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه ثم قال فى نفسه من يوم رأيت لونه اسود فعلمت ان مالى منه راحه ثم انه قد أقبل على الملك بحرون وقال له اعلم يامولاى انك لسوف تندم غاية الندم ان عولت على اطلاقها (قال الراوى) فهو معه على مثل ذلك الكلام وقد عول على اطلاقها ولا واحدا وإذا باكثر من عشرين بطريق صارخين فقال الملك بحرون ياويلكم ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا له وراءنا الويل الشديد والحرب الأكيد الذى ماعليه من مزيد قتلت الرجال وفنيت الابطال وأسر وزيرك مذبحون وخاص خليفة المسلمين وخلص أيضا صاحبه الامير عبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام فقال ياويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال فعند ذلك أخبروه بالقصة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الامير عبدالوهاب والامير مالك بن طوق لما ان أخذوا وتمت الحيلة عليهم التى دبرها عليهم الوزير مذبحون وأخذهم وسار بهم يقطع الارض ذات الطول والعرض طالب بلاد الروم فكان من قضاء الله وقدره بان الامير نافع الذى كان فى حصن الكوكب الذى أقطعه اياه الامير عبد الوهاب كان فيه الامير نافع مقيما فى مائة فارس من تلك السودان (قال الراوى) وكان المعتصم بالله لما قبض على الامير عبدالوهاب ومن كان معه من الاصحاب قد أرسل اليه يطلب منه تسليم الحصن فابى ذلك الخطاب

وكان معولا على أنه إذا دخل إلى بلاد الروم يأخذه قهرا بالسيف هذا وقد طالت الايام إلى هذا الوقت وكان الامير نافع قد أقبل على غلمانه وقال لهم هذا كلب الروم قد أخذ حصن الامير يانس المتعزب وقدخرج الى بلاد الإسلام وقد أخذ ملطية ولم نسمع بعدهذا خبر وإن الامير عبد الوهاب قد أطلقه الخليفة الامام وأنا فقد عولت على أننى آخذ منكم قدر سبعين رجلا ويبقى فى ذلك الحصن ثلاثين رجلا وأسير الليل أيضا وأكمن بكم فى النهار حتى نصل إلى بلاد الاسلام وأنتم تعلمون اننى أخاف من الروم ومن الاسلام وأنا أخاف أن يقبض على المعتصم بالله حتى أسلم اليه الحصن فأنا أسير فان سمعت بأن الامير عبدالوهاب خلص مضيت اليه وجاهدت بين يديه وإن تكن الاخرى وهلك الامير عبدالوهاب ولم يبق أحد من أولاده سلمت الحصن إلى السلطان وأقمت فى بلاد الاسلام فقد ضجرت من المقام بين الكفار الملاعين اللئام فقالوا له قومه نعم مارأيت

(قال الراى) ثم ان الامير نافع أخذ من قومه سبعين فارس اقيال أبطال وسار يقطع الارض وهو يسير الليل ويكمن بالنهار وقد أخذ على غير طريق ملطية وقور الارض فوقعت طريقه على الطريق التى سار فيها الوزير مذبحون وكان ملتقاهم عند قرية البرج إلا أن الامير نافع مكمن هو وأصحابه لانه قد سمع بأن الملك بحرون فى أرض الموصل فهو فى المكمن وإذا بغبرة قد طلعت وعلت وارتفعت فقال الامير نافع لاصحابه هذا عسكر قد طلع علينا فلا تبرحوا من هذا المكمن الذى أنتم فيه حتى ننظر هؤلاء القوم فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا جماعة الوزير مذبحون فنزل هنالك وسرح خيله لانه قد أمن على نفسه فى تلك البلاد لانها أرضهم وفى أيديهم وهى خاليـــة من الإسلام والعسكر الذى بقى قد انضم الى عسكر العراق وقد خلت الآفاق فهم آمنون ممن يروعهم فضربوا خيامهم هذا والامير نافع ينظر اليهم فعلم أنهم من العرب المتنصره (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينماهم كذلك اذ نظر الى رجال طرحوهم من على ظهر البغال وقد توكلت بهم الرجال فقال الامير نافع هؤلاء قوم أسارى بلا محالة ثم انهم صبروا الى أن جن عليهم الليل ثم دخل فى العسكر الى أن قرب من الاسارى والرجال من حولهم فعرفهم (قال الراوى) فعلم أنه الامير عبد الوهاب والامير مالك ابن طوق والمعتصم بالله هذا وقد نظر إلى الوزير مذبحون وهو نائم على سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وهو يشرب الراح وفضلتـه يصبها على رؤسهم والامير عبد الوهاب ينظر اليه ويقول سبحان الخالق الذى ليس له شبيه ولا مثال وكان كذلك لان الوزير مذبحون هذا ماخلا من الامير أبو محمد البطال حبة واحدة

(قال الراوى) فلما نظر الامير نافع الى ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وعاد إلى أصحابه وأخبرهم أيضا بهذه القصة فعند ذلك أخذوا العدد وركبوا على ظهور الخيل فقال لهم الامير نافع ياويلكم تفرقوا من سائر الجنبات واطلبوا تلك النار الكثيرة الارهاج فاذا وصلتم اليها وقدمتم عليها فاعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير وابذلوا أيديكم فيهم (قال الراوى) وكانوا سبعين فارس أسود الحرب وليوث الطعن والضرب ثم انهم تفرقوا وعند ذلك النار قد اتفقوا وصاحوا فى ظلام الليل صيحة واحدة فانزعجت بهم الدنيا وقد خيل للعرب المتنصرة أنهم مائة ألف فارس ثم انهم قد ضربوهم بالسيوف الحداد والرماح الطوال المداد (قال الراوى) فلما نظر الامير عبدالوهاب الى تلك الاحوال تمطأ فى كتافه فقطعه ثم وثب قائما على قدميه ولفه على سواعد الوزير مذبحون وتفرقت العرب المتنصرة من حوله وطلب كل واحد منهم الهرب فنهم من طلب بلاد الروم ومنهم من طلب عسكر الملك بحرون وبعد ماقتل منهم خلق كثير وقد خلص الأمير عبدالوهاب والمعتصم بالله وكان الذين طلبوا عسكر ملك الروم بحرون كانوا عشرين فارسا فاعلموا الملك بحرون بما جرى عليهم فقال لهم الملك بحرون وقد شاط غيظا وغضبا ياويلكم اقبضوا على هذه المرأة فان كان صاحبى قد أسر خلصته بها وإلا أطلقناها كما وعدناها (قال الراوى) فعند ذلك قبضوا القوم على الأميرة ذات الهمة وأما الملكة ميمونة فانها أقبلت على عسكر المسلمين وقالت لهم اعلموا أن هذا الأمر يطول وما لنا إلى العسكر من وصول إلا بما أقول ويحسبوا هـــذا الأمر منا لضعفنا فاحملوا بنا عليهم فان ظفرنا بهم فهو الذى نريد وإن لم نظفر بهم وإلا أخذنا من تفادى به هذه الأميرة ذات الهمة فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب

(قال الراوى) وركبت فى جملة العسكر وقد هان على الناس المنية ثم انها قد حملت فى ثلثمائة ألف فارس وهللت وكبرت وكبروا الناس من بعدها وأرموا أنفسهم على الروم وعمل الحرب والقتال والطعن والضرب وعملت الصوارم فى الجماجم وطارت الرؤس وعم الكفرة الخذلان والبؤس (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أتى وقت السحر وقد انفردت الملكة ميمونة فى ألف فارس من بنى كلاب ثم طلبت سرادق الملك بحرون بعد ماركب وركبت الأمم من حوله ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وفى ذلك الوقت والساعة وصل الأمير عبدالوهاب والإمام المعتصم بالله والأمير مالك بن طوق والامير نافع طالبين عسكرهم فوجدوا الحرب قائمة على قدم وساق (قال الراوى) فعندها وكل الامير عبدالوهاب

بالوزير مذبحون من يحفظه وحمل هو والامام المعتصم بالله وحملت الرجال على الرجال ونادوا عن لسان واحد الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر وجحد فسمعوا بنى كلاب صوت الامير عبد الوهاب فمالوا اليه ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان سالت الدماء وأرملت النساء وامتلات الارض بالقتلى وزالت غياهب الدجا وأقبلت عساكر الضيا وطلعت شمس الضحا واختطفت الكواكب من عيون الورى فالسعيد من برأسه نجا وعرفوا الناس الاصدقاء من الاعدا والملكة ميمونه قد أخرقت صفوف الروم ومزقتها (قال الراوى) فعند ذلك لقيها الامير عبد الوهاب فى رجال الامير نافع وقد أظهروا العجائب بالسيف القاطع هذا والامير عبد الوهاب يهدر ويزمجر وأما الملكة ميمونه فانه قد ذهب همها وزال منها غمها ووصلت بنى كلاب اليه (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزال القتال يعمل والدم ينزل إلى ان جن الليل بالظلام وقد مال الامير عبد الوهاب إلى عسكره ومالت الابطال معه إلى أماكنها هذا وقد فرحوا الناس بخلاص الامير عبد الوهاب أكثر مما فرحوا بخلاص الامام المعتصم بالله ثم جلس المعتصم فى سرادقه وربط الوزير مذبحون إلى قائمة السرير وقال لابد لى من قتل هذا الشيطان بعد ماننظر مايكون هذا وقد سأل الامير عبد الوهاب عن الامير أبو محمد البطال فأخبروه انه مضى إلى الاميرة ذات الهمة ولم يرجع إلى الآن فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام والخطاب بقى من أمره على مقالى النار لفقد الامير أبو محمد البطال هذا وقد أضرمت النيران (قال الراوى) ولم ينام الامير عبد الوهاب فى تلك الليلة بل ينتظر الصباح لضرب الصفاح فهذا ما كان ههنا من الكلام (وأما) الملك بحرون فانه فى يومه لم يقاتل ولولا أنهم فى عدد التراب كانوا ما سلم منهم أحد لا أبيض ولا أسود وانه لما افترقوا الناس من القتال جمع الملك بحرون الملوك بين يديه وقال لهم وحق المسيح ما رأيت قط عسكر أشد من هؤلاء القوم ولا أوقح منهم فقالوا له أيها الملك من أجل هؤلاء القوم الملك قسطنطين ومنوبل وتوفيل وميخائيل كانوا يحملون المال إلى الخلفاء ولو ظفرت أنت بهم لمارجعت تقوم للاسلام راية أبدا فقال لهم الملك بحرون أنا فى غداة غد أفرد مائة بطريق ومع كل بطريق مائة ألف فارس وآمرهم باحراق المضارب والخيام حتى تتفرق هذه العساكر من أيدينا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انه قد أحضر الإنجيل وحلف عليه الملوك ان مافيهم من يحمل ويرد رأسه حتى يحرق خيام المسلمين بالنار هذا والبترك الكبير قد جمعهم وصلى عليهم صلاة الموت وقال لهم كل من سلم منكم كان لطفا من السيد المسيح ومن قتل

فانه يوصل إلى مايؤمل من رضا السيد المسيح هذا وعقبة يقول ويلكم يامعاشر الملوك قد سمعت عن السيد المسيح انه قال من ضرب فى المسلمين ضربة أو طعن فيهم طعنة فقد أعطيته قصرا فى الجنة فى مجاورة حنا ومريم والصليب فقالوا له وحق المسيح ان كان فينا فى غداة غد من يرجع حتى يضرب المضارب والخيام بالنار فقال الملك بحرون وأنا فى أوائلكم هذا والأمير أبو محمد البطال يشاهد مقالهم وقد رفعت الأميرة ذات الهمة إلى بيت الجوارى الذى الملك بحرون وهى فى القيد والكتاف فلما مضى من الليلة ربعه تقدم الامير أبو محمد البطال فرأى الملك بحرون على حالته والملوك بين يديه ومافيهم من يقوم من مقامه ولا يزول من موضعه من هيبة الملك بحرون (قال الراوى) فعندها قصد الأمير أبو محمد البطال إلى المضرب الصغير الذى لجوار الملك بحرون والروم محدقين

(قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة فى هـــذه الساعة قد افتكرت فى هذه الشدائد التى قد جرت عليها فقالت اللهم لك الحمد على هذه النعمة التى قد أنعمت بها على ثم اندفعت تقرأ سورة يس والقرآن الحكيم إلى قوله تعالى أولم يرى الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهـــو بكل خلق عليم

(قال الراوى) وكان للملك بحرون جارية من أحسن الناس صورة ووجها وأشهاهم حديثا وكانت قريبة من القسطنطونية وعارفة بسائر الالسن الرومية وغيرها من العربية وكانت مطربة للملك بحرون تلعب بجميـــع الملاهى فلما سمعت الأميرة ذات الهمة وقد قرأت القرآن وقد سبحت الله عز وجل وهى تقول فى دعائها يارب انك أنعمت علينا حتى اننا لانهض بواجب شكرك فلك الحمد من قبل ومن بعد لااعتراض على أمرك ولا راد لحكمك فمن أسعد منى ان أوصلتنى ومن أشقى منى ان قطعتنى افعل بى ماتشاء فأنت أكرم الأكرمين ورب السموات والأرضين وقد روى صاحب هذه السيرة العجيبة ان الاميرة ذات الهمة لم يكن فى زمانها أدين منها ولا مثل شجاعتها وقد تقدم فى هذا الديوان مايغنى عن وصفها على أن ذلك توفيقا من الله عز وجل وعناية بها حتى جعلها سيفا للدين وترسا لقبر محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين ويروى عن الاميرة ذات الهمة أنها قد رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامها فى أيام صباها وكانت تخرج تخطف ماتجد فقال لها فى المنام يافاطمة أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى عنكى هذه الغفلة واستعدى للنقلة فأنتى سيف من سيوف الإسلام وسوف ترزقين ولدا يكون ترسا لقبرى وحامى عن ملتى وقد سألت الله تبارك وتعالى ان يوفقكم بالنصر ويلهمكم لذلك وينجيكم عند المهالك

(قال الراوى) فلما رأت الاميرة ذات الهمة إلى ذلك المنام رجعت إلى الله تعالى وقد رزقت ولدها الامير عبد الوهاب وكانا منصورين كما ذكرنا وهى على غاية من الزهد والورع وانها لما بكت بعد قراءة يس وانهملت دموعها من الخشوع بكت الجاريه التى للملك بحرون وطار قلبها وعمل ذلك الكلام فى لبها فلم تملك صبرها دون ان تقدمت إلى الاميرة ذات الهمة وقطعت بيدها كتافها وقالت لها اعلمى أيتها المرأة الصالحة انى أنا جارية الملك بحرون وهو كافر بالله ملعون وكنت على ما كان عليه والآن فقد شرح الله صدرى لدين الإسلام من حيث سمعت منك هذا الكلام العزيز الذى قد سمعته منكى فعرفينى من قاله فقالت لها الاميرة ذات الهمة هذا كلام عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فقالت الجارية ياسيدتى قد تحركت لهذا الكلام جوارحى فانا قد عولت على انى أطلقكى وأهرب معكى فى هذه الليلة وأنا فقد فككت قيدك فخذى هذا السيف وهو سيف الملك بحرون وأنا أحظى الجوار عنده وأعزهم إلى قلبه وهو عندى أوفى مما أنا عنده ولكن محبة الله قد أشغلتنى عن محبته واعلمى انه من محبته لى ما استصحب معى قط جارية غيرى وهذه الجارية الاخرى فهى لى وما دنوت إليكى وقدمت عليكى إلا حتى أوثقتها كتافا وسددت فاها (قال الراوى) فعند ذلك سجدت الاميرة ذات الهمة شكرا لله تعالى وكانت الاميرة قد فكت قيدها وقامت قائمة على قدميها وأخذت السيف فى يمينها وقامت الجارية وقد حملت ماقدرت عليه من المال والملبوس وأتت الى بعض الاطناب لتقلعه وتخرج وقد جعلت الاميرة ذات الهمة فى زى الجارية التى لها لانها كانت فى كل ليلة تخرج هى وجاريتها من المضرب لقضاء حاجة تعرض لها فهى على ذلك معولة على الخروج وإذا بطنب الخيمة قد قلع وشيخ يعدو على يديه ورجليه

(قال الراوى) فهمت الجارية ان تصيح فقالت الاميرة ذات الهمة وقد خفق قلبها دعيه وربما يكون الامير أبو محمد البطال قد أتى أيضا فى طلبى ثم انها قد سكنتها وقالت أبو محمد فقال نعم وقد عرف كلامها لبيكى أيتها الاميرة (قال الراوى) فدنا اليها وقد فرح بخلاصها فرحا شديدا ماعليه من مزيد فاخبرته باسلام الجارية وقد أخفوا أنفسهم بازاء ما عبروا ثلاث مضارب وقد اختلطوا بالناس وكثرتهم وظلام الليل الى أن خرجوا قرب الصباح من عسكر الروم وقد وقفت الجارية وكان قد حصل لها شدة من كثرة التعب والنصب وشدة المشى فخشيت ان تمضى الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال عنها ويتركوها وكان شوقها على دين الاسلام أكثر من أن تقتل (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انها رفعت رأسها الى السماء وقالت يارب لا تقطع بى بعدان وصلتنى ولا

تردنى الى الضلالة بعد ان هديتنى فلم يستتم كلامها حتى جدد الله تعالى لها الحيل والقوة ثم خرجوا من عسكر الروم ووصلوا الى عسكر الاسلام وقد دخلوا على الامير عبدالوهاب فوجدوه قائما يصلى فى المحراب وهو يصلى بهم وقدموا عليه والأمير أبو محمد البطال وقد فرحوا الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد فعند ذلك علا منهم الصياح وجردوا الصفاح بأيديهم هذا كله يجرى والملك بحرون لم يدخل فى تلك الليلة إلى بيت الجوار من خيفته على القتال بل انه يعد الملوك والابطال ويخلع عليهم ويعطيهم ويقول لهذا احمل أنت عن يمينى وهذا عن شمالى وأنت من قدامهم وأنت من وراء ظهورهم ولم يزل كذلك على هذا العمل والرواح إلى ان أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح والملك بحرون على غاية من القلق على الوزير مذبحون هذا كله يجروى وعقبة قد علم ان فى قلبه النار فقال له أيها الملك رأيت ان مشورتى كان فيها صواب الساعة لو لم تكن الأميرة ذات الهمة عندك ما كان هلك أيضا الوزير مذبحون فان أردت خلاصه فاخرجها إلى بين الصفين واصلبها واطلب الوزير مذبحون فان أخرجوه ووقع الفدا فلعلك ان تغدر بهم وتقتلها فهى نصف الاسلام فلا تخلها من يدك حتى تمكن منها الحسام الصمصام فقال له الملك بحرون وحق المسيح على هذا كنت قد عولت وقلت اننى أخرجها وأنادى يامعاشر المسلمين اطلقوا أيضا وزيرى مذبحون حتى أطلق لكم هـــذه المرأة إلا وحق المسيح والدين الصحيح أقتلها أشر قتله وأمثل بها أقبح مثله ثم انه قال ياويلكم على بها فدخلوا الغلمان والخدام ليأتوا بها فوجدوا القيد مكسور وليس فى الموضع غير الجارية وهى مكتوفة وفى فمها أكرة كبيرة والموضع من الأميرة ذات الهمة ومن الجارية بلقع فرجعوا إلى الملك بحرون وأخبروه بالخبر فصلب على وجهه وصعب عليه وكبر لديه ثم أنه وثب قائما على قدميه وأدعى بالروم الذين من حول المضرب فضرب منهم مائة رقبة وركب وهو على غاية من القلق والحرد والغضب ثم انه صف العساكر وسمع الصياح فى عسكر المسلمين فعلم بأن الأميرة ذات الهمة قد وصلت اليهم وقدمت عليهم فصعب ذلك على الملعون عقبة وقال الحمد للمسيح الذى كان هذا حوالينا ولا علينا هذا وقد ركب المعتصم بالله والأمير عبدالوهاب والمعتصم بالله سائر تحت المظلة والعجم تحت ركابه وحمل المعتصم بالله بنفسه وقال لابد لى من قتالهم ولو ذهبت روحى وقوتى وأصلحت شدتى وقد ترك الاميرة ذات الهمة والملكة ميمونة فى الميمنة والأمير عبد الوهاب وولده الأمير ضيغم فى الميسرة وقد ذكرنا أن الملك بحرون أرسل الامير ظالم وأخوه الأمير سيف الحنيفية خلف الوزير مذبحون إلى أرض القسطنطونية والذى سار بهم سار على غير الطريق

الذى سار الوزير مذبحون فيها وعبر على ملطية فى الليل ودخل الى بلاد الروم

(قال الراوى) هذا وان المعتصم بالله وقف فى القلب والملك بحرون قد ركب فى تلك الخلائق والأمم ولم يبق موضعا فى الارض الا وقد دقه الحافر والقدم ثم ان الملك بحرون أقلب قنطاريه من الخانج مايحملها غيره وطلب الموكب الذى فيه الخليفة المعتصم وكذلك الروم نكسوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وأطلقوا الاعنه وقوموا الاسنة وعملت الصوارم وطارت الجماجم وانحلت العزائم واسترخت الأيدى عن قبض المراود والشكائم هذا وقد طارت الرؤس بعدد قطر السماء وفاض الدماء مثل السيل اذا انحدر وقد وقع بالرجال الضجر ولم يبق شجاعا الا وقد انبهر ولافارسا شديدا إلا وقصر وعمل الصارم الأبتر وازدحمت الناس فى بعضهم البعض حتى شبهوه بيوم المحشر فما طلع فيه من الغبار واعتكر (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى أن ذهب أكثر النهار وانهدر وقد أرمت الروم أنفسهم إلى الخيام وهان عليهم ضرب الحسام الصمصام ولا زالوا إلى أن خرجوا الناس من خوفهم هجموا سرادق المعتصم بالله الامام فوقع الامير عبد الوهاب اليهم فى عشرة آلاف فارس وثلاثين ألف فارس من بنى كلاب والامراء الأنجاب مثل أبو المهند ومدلاج العبسى فكشفوا الناس عن الخيام وانضاف عسكر العراق إلى بنى كلاب وفعلوا مثلهم وقد أرموا أنفسهم على الأعداء إلى أن ردوا العساكر بالسيف قهرا ونثرا أيضا الروس نثرا ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل على مثل ذلك العمل إلى أن أتى عليهم الليل فنادوا بالانفصال وافترقت الرجال عن الرجال وقد قتل من عسكر المعتصم بالله خلق كثير ومن الروم أضعاف ذلك هذا وان الأمير عبد الوهاب قد اجتمع بالامير أبو محمد البطال وقال له ياأخى كيف رأيت هذا العسكر الذى مع هذا الملعون بحرون فقال ياأخى هذا عسكر كثير مايقع عليه قياس يا أخى تقول لى عسكر المعتصم فيه شيأ من النفط قال نعم فيها خمس خزائن جميعها نفط فقال الامير أبو محمد البطال والله لايكون سبب هزيمة هذا العسكر غيره لانى آخذ السودان وأفرق عليهم منه ويكون عدتهم عشرة آلاف وأفرقهم فى خمسين مكان من نواحى العسكر ويكونوا قريبا من المضارب والخيام فاذا صاروا هناك صرت أنا والأميره ميمونة والأميرة ذات الهمة والأمير ملابط البغال وتمام العشرين أميرا إلى ان تقرب من سرادق الملك بحرون وتضربه بالنار ويعلو الصياح ويدق الناس بعضهم بعضا وقد بلغنا المراد ومسرة القلب أيضا والفؤاد وانهزموا ان شاء الله تعالى وتركوا البلاد فقالت الأميرة ذات الهمة لله درك يا أبو محمد ان فعلت ذلك

ما يجتمع منهم فى الليل اثنان فبادر إلى هذا الأمر فقال لهم أنا أريد هذا الشيطان الذى أخذكم وهو كصورتى كما زعمتم (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب دخل إلى المعتصم بالله فنظر إلى الوزير مذبحون وهو على أقبح صورة له غوارض شقر خفيفة وكان الأمير أبو محمد البطال كذلك الا انه كان ينتف لحيته لما كان يدخل الى بلاد الروم ويعلق له لحية بعد لحية فيوم شقراء ويوم سوداء ويوم بيضاء ويوم كبيرة وأما الصورة والقد والكلام فانه واحد هذا وقد قعد الأمير بين يديه وهو ينظر اليه فكانا كانهما قالب واحد فقال الخليفة المعتصم بالله يا أبو محمد سبحان من لا له شبيه سبحان الخالق المصور الذى له الأسماء الحسنى والله لو غاب الواحد منكم لما عرفت الآخر وهو على انك أنت كبير السن وهذا غلام حدث السن وأنا فلا بد لى من قتله لأنه قد صنع بى فى الأسر كل قبيحة فقال الأمير أبو محمد البطال وقد رحمه يا مولانا يا أمير المؤمنين قتله بين يديك فلا تعجل عليه فما ندرى ما يكون (قال الراوى) هذا وقد خرج الأمير أبو محمد البطال وقد جالت الدمعة من عينيه وهو لا يدرى ما سبب ذلك الإشفاق عليه فوجد الأمير عبد الوهاب وقد فرق النفط على السودان وأمراء الحبشان وهما على غاية من انتظاره فجعل الأمير أبو محمد البطال يفرق مائة بعد مائة وعشرة بعد عشرة ويقول لهم خذوا هذا الطريق وعرجوا إلى الموضع كذا وكذا وأما الأمير عبد الوهاب فيكون خلف العسكر ولا يحسوا بكم الا وقد ظهرتم عليهم فى المضارب والخيام (قال) ثم انه التفت إلى السودان وقال لهم وأنتم الآخرين افعلوا كذا وكذا إلى أن فرق الكل عليهم هذا والملك بحرون قد أقام فى تلك الليلة بين عسكره وعسكر المعتصم بالله ثلاث ملوك فى مائتين ألف فارس وداموا كذلك طول الليل وكان ذلك خوفا من كبسه أو سرقه هذا وقد ساروا السودان ودخلوا عسكر الروم من كل جانب ومكان وإذا أراد الله تبارك وتعالى أمرا هيأ أسبابه وإذا وقع أمر لا ينفع الحذر فحصلوا كلهم فى العسكر وأخذ الأمير أبو محمد البطال الأميره ذات الهمه ومعهم عشرة آلاف بين يديه وركب المعتصم بالله وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير والسراج المنير هذا وقد حمل الملك بحرون يطلب صوب الصياح وإذا بالزعقة قد وقعت من صوب الخيام وهى قد ضربت بالنار (قال) فلما نظر إلى ذلك علم أنه إن وقف أصبح هالك فما كان له الا أنه قد ألوى عنان جواده وولى منهزما إلى بلاد الروم وبقى السيف يعمل فى بقية أصحابه الى أن أصبح الله تعالى بالصباح فركنوا الى الهرب والفرار وطلبتهم المسلمين الأبرار هذا وقد غنم الإمام المعتصم بالله تلك الأموال والرجال والبغال والجمال وشىء لا يقع عليه احصا بعدد الرمل والحصا (قال) وحلف الإمام المعتصم بالله أنه لا بد له من

اتباع الملك بحرون ليسقيه كاس المنون وفى ذلك اليوم وصلت عساكر خراسان وامتلأت الأرض من كثرتهم وأنفذ المعتصم بالله إلى العرب وإلى أرض الحجاز فى طلب العساكر وعرفهم أن الاجتماع يكون فى ملطيه لأنه طالب بلاد الروم فى طلب الغزو والقتال والنزال وأنه يريد يخرب مدينة ميخائيل (قال الراوى) وقد ذكرنا اليكم قبل ذلك المقال إن جماعة كثيرة من أبطال بنى سليم ومن أقيالهم ونسائهم وبعض نساء بنى كلاب والأميرة ذات الهمة مأسورين والأمير سيف الحنيفيه والأمير ظالم أسارى فى ملطيه والأميرة علوى والاميرة القناصة كانوا قد ذهبوا مع بنى عمهم إلى أرض الحجاز لما قبض على الامير عبد الوهاب ومرضت الاميرة علوى مرض شديد فطال بها المرض فلما صلحت من المرض جمعت العبيد من بلاد اليمن ومضت الاميرة القناصة إلى حصنها الاول فاستنجدت أيضا بالرجال وسراة الابطال ورجعت طالبة إلى العراق فى طلب خلاص ولدها الامير ظالم والامير عبد الوهاب وقد قتلها الشوق اليهم على طول الليالى والايام (قال) فلما وصلت اليهم الاخبار بأن الاميرعبد الوهاب قد خلص والامير ظالم معه وقد كسروا عساكر الروم لان الأخبار وصلت على أجنحة الطيور إلى سائر المواضع وشاع ذلك الخبرفعندها فرحت الاميرة القناصة وقالت لقومها وكان قد اجتمع اليها أربعين ألف بطلا أسود من كل بطل أمجد فقال لهم اعلموا رحمكم الله أن الله سبحانه وتعالى قد من علينا بخلاص ولدى الامير ظالم وبعلى الامير عبد الوهاب وقد وصلت الكتب من عند الخليفة الإمام يأمر الناس بالجهاد إلى بلاد الروم فعولوا بنا حتى تنالوا الثواب والاكتساب فماذا أنتم قائلون فقالوا لها نحن لكى وبين يديكى (قال) فعندها سارت الاميرة القناصة إلىأن وصلت إلى أحياء العرب وأخذت الاميره علوىوسارت تقطع الارضذات الطول والعرضوقدطلبتها العرب فىطلبالغنائم والمال والاكتساب إلى أن وصلت الى أرض بغداد فوجدت الناس على غاية للامير عبد الوهاب من الدعاء وقد وقعت لاجل قدومها البشارات وأخرجوا لها الإقامات والعلوفات والضيافات هذا وقد حملت لها السيدة زبيدة الخلع الملاح والهدايات وكلما تحتاج اليه والاميرة القناصة تفرقه بيدها علىرجالهاوخيار أبطالها هذا وقد ركبت اليها السيدة زبيدة وقالت لهاويلك يا أميرة لقد من الله على المسلمين بقرينك الامير المهاب ترس قبر محمد النبى الاواب صلى الله عليه وسلم وهوالامير عبد الوهاب وأن لولاه لكان الملك بحرون قد ملك الامصار وأخرب الارض والديار وقد وصلنى الخبر أن العساكر مجتمعة علىملطية (قال) فعندها

استراحت الاميرة القناصة مدة ثلاثة أيام ورحلت تقطع الارض ذات الطول والعرض إلى أن وصلت إلى حصن زياد وبقى بينها وبين ملطيه يوم واحد هذا وقد سمع الامير عبد الوهاب أيضا بقدومها فركب اليها فى سادات بنى كلاب فلما نظروا اليها رأوها فى جيش عرمرم فتعجبوا ثم بكى الامير عبدالوهاب والاميرة القناصة من فرح التلاق وجرت الدموع من الآماق ثم أنه قال لها يا أميره ما الذى قد قطعك فى هذه الايام عنا ولو كنتى قدمتى إلى سواد العراق وقطعتى الطريق ما كنا قعدنا هذه الايام كلها فى المحبوس فقالت له الاميرة علوى والله قعدت ستة أعوام وأنا فى الشدائد والاهوال لا أستطيع إلى القيام ولما تمايلت الى القيام جمعت هذا العسكر الذى تراه وسرت اليك لما أتانى البشير بماقد من الله عليك بالسلامة والخلاص وزيادة السعادة بعد الانتقاص فقالت لها الأميره ذات الهمة سبحان الله تعالى إنما وقع المرض حتى يتم القضاء المحتوم علينا بطول المقام وما كان لنا بد ذلك الأمر والسلام (قال الراوى) هذا كله والأمير عبد الوهاب قدفرح بها وبالأميره علوى غاية الفرح ولما نظر إلى السودان كاد قلبه أن يطير من الفرح لأنهم هم المحامين عن دين الله عز وجل (قال) ورجع الأمير عبد الوهاب إلى الإمام المعتصم بالله فى ذلك الجيش العرمرم وسأل المعتصم بالله عن ذلك الجيش فقيل له إن زوجتى الأمير عبد الوهاب القناصة وعلوى قد وصلوا فضحك الخليفة فرحا وقال لقد رزق هذا الرجل من نسائه وأمه الأميرة ذات الهمة ما لا يرزق أحدا غيره هذا وقد قدمت العساكر وأمر المعتصم بالله بإحضار الخزائن التى بأرض العراق ولم تكن قط قد فتحت من أيام المنصور بالله والملك السفاح وما جمعه المهدى والهادى وغيرهم من الخلفاء وأنفق الاموال على الرجال وبلغ الناس ذلك الحال فصارت عوام البلد تخرج وتطلب الديوان وقصدته جميع الاعاجم والعربان حتى صار فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى

(قال الراوى) وأقام المعتصم بالله على ملطيه مدة أربعة أشهر والعساكر تزداد إلى أن صار فى عالم يسد الفضا (وقد روى) أن المعتصم ما دخل إلى بلاد الروم فى عالم مثل هذا العالم إلا أن يكون فى فتوح عموريه وسوف نذكره فى مكانه إذا وصلنا اليه إن شاء الله وقد اجتمع أيضا فى هذه الغزاه من لم يحمل قط سلاح مما بذل فيهم من الاموال والخيرات الحسان الغوال (قال الراوى) إلى هذا المقال ثم ان الإمام ابن الإمام المعتصم بالله عقد ألف راية وسلم منها راية بيضاء الى شاه ملك الترك وضم اليه أربعين ألف رجل تركى وهم بالاقبية الزبيق الابيض وقدم الملك ميمونة على السودان وأمراء الحبشان وسلم رايه عباسية اليها وأضاف اليهم الامير ملابط البغال والامير ميمون الجاس والملك

الهدلوس ابن مناطح التيوس والامير سملق وأبو الهزاهز والامير هراقد وولده قرقود وتراجعت السودان من كل جانب ومكان (قال) ثم ان المعتصم بالله سلم راية صفراء الى الاميرة ذات الهمة المجاهدة وقدمها على بنى كلاب فى ستين ألف بطل عنان وضم العساكر كلها بعضها إلى بعض وقد اجامعت بنى سليم فى مائة ألف فارس من البلاد فى طلب خلاص أميرها ونسوان أقاربها ومن كان سلم منهم هذا والمعتصم بالله قد ركب على بغلته رياح وتعرف بالموج وقد ركب من حوله عشرين ألف بغلة كلهم قراء وفقهاء وعلماء وقضاة ووزراء وكتاب وعمال وأصحاب ديوان ودخل الى بلاد الروم فى جحفل عظيم ما رآه أحد ولا رأى قط مثله وقد ترجلت الجيوش والقبائل والديالم والاعاجم والاعارب والمصادمة والمغاربة والمصريين وأهل الشام والشطين وأهل اليمن وأهل الحجاز وأهل العراق والموصل وجميع الإسلام من حوله وقد لبس من فوق ثيابه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ فى يده قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والامير عبد الوهاب يقول للإميرة ذات الهمة الله تعالى يكفينا شر العين فهذا والله عسكر ما رأى الاسلام قط مثله والمعتصم بالله قد بقى يطيب قلب الامير عبد الوهاب بكلما يقدر عليه وقدمه على سائر الناس وجعل الامير أبو محمد البطال أوفى ندماه ويحادثه بما يجرى للخلفاء والملوك فى بلاد الروم وهو يتمنى بأن الارض تطوى له شوقا الى الجهاد والقتال وقد فرح أيضا بالامير أبو محمد البطال وجعل يتلذذ بما يسمع من دقيق حيله وفى قلبه النار من اجل الجهاد (قال الراوى) فبينما هو فى الحديث إذ قدموا اليه وقالوا له يا أمير المؤمنين قد خلص الوزير مذبحون ونحن لاندرى كيف كان سبب خلاصه من يد قناصه وكان السبب فى ذلك أنه كان للمعتصم بالله غلام أرمنى اسمه بولص وهو من جملة خدمه وكان قد أسلم على يديه ظاهرا وكان فى الباطن نصرانى فلما وقع الوزير مذبحون عمل على خلاصه ثم قتل المتوكلين به ثم لبسوا ثياب من ثياب أهل الكسرة ودخلوا الى بلاد الروم هذا والمعتصم بالله قد طول شعره وأقسم بالله العظيم أنه لايحلق شعره حتى يعمر المساجد ويخرب الكنائس ويعمر الموادن وينادى أيضا عليها فى أقطار بلاد الروم لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ هذا والأمير يانس المتعزب وأصحابه فى الأوائل التى للجيش وهو متطاول إلى خلاص حصنه وأهله ونسوان قومه (قال) وكان المعتصم بالله يرحل المراحل القريبة من كثرة العالم وإذا رحل تصايحت القراء وأصحاب الأصوات الشجيه والألحان النديه والخيل ترفع رؤسها من سماع كلام الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان وعليه يومئذ حلة سوداء وشعره منه قد طال (قال) وفى تلك الساعة قد تذكر عقبة لسل الأندال وقال

والله ان القاضى عقبة له صوت إذا قرأ كان فى حلقه مزامير داود ولحنه بحنان وخشوع وبكا أيضا وخضوع وما رأيت قط أكثر من جريان دموعه وما ذاك إلا من دين قيم (قال) ثم بكى المعتصم بالله وقال ماهو ذلك المسكين الا قتل فى هذه النوبه أو أسر فى هذه المره التى أسرت فيها فقال له الأمير أبو محمد البطال ياأمير المؤمنين انه مايكون الا فى أرض القسطنطونية وربما سوف تراه إن شاء الله تعالى (قال) فعلم المعتصم بالله ان الأمير أبو محمد البطال يعنى فى خطابه انه مكرم معظم عند ابناء الروم فعندها سكت الخليفة ولم يتكلم هذا وقد وصلت الأخبار إلى الملك بحرون بمسير هذه العساكر وكان لما دخل بلاد الروم منهزما سار فى ساعه الحال إلى بلد الصقلب واخرب أعمالها وقتل الذى كان ملكا لها وسار إلى افرنجه فقتل ملكها واخرب دياره وذلك حيث قعدوا عنه واخرب الأقاليم ونهب الأموال التى للروم إلى أن صار أيضا عنده المال فى أرض القسطنطونية مثل الجبال (قال) ودخل إلى الجزائر مدة أربعة أشهر ومعه مائة قنطار من المال ففرق على البطارقة وملوك الجزائر فى ألف جزيرة وخرج حتى صار فى مثل عسكره الأول وعسكر المعتصم بالله ثلاث مرات ثم وصل إلى القسطنطونية وقد ملا بلاد الروم بالأمم وكان هذا كله برأى وزيره مذبحون ورأى الشيخين الملعونين عقبة وشومدرس وكان معولا على أنه يخرج إلى بلاد الإسلام وإنما ماعوقه إلا الشتاء والبرد وهو الذى أعاق المعتصم بالله (قال الراوى) فلما توجهت أيام الربيع وقد عول الملك بحرون على الخروج وقد نظروا أيضا الروم منه همة عظيمة مانظروا مثلها قط لملك من الملوك الموال وقد أعزل ستة عشر ملك عن المملكة وهو على نية الخروج معولا إذا وصلته الأخبار بأن المعتصم بالله قد دخل إلى بلاد الروم (قال الراوى) فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وصاح فى الروم بالرحيل فقال له الملعون عقبة دع عنك العجل وخذ أمرك بالمهل فانى أخاف عليك من العجلة فانها غير محمودة واعلم ان معك عسكر ماسيره أحد من الملوك الذين للروم ولا من ملوك الإسلام ومقامنا هاهنا أصوب لأن هذه أرض القسطنطونية خلف ظهرك والبر والبحر بحكمك وان المسلمين يرحلون إلى هذه الأرض لامعقل لهم ولا حصن فان أنت كسرتهم فما تبقى منهم باقية ولا يرجع منهم إلى بلاد الإسلام أحد وتأخذ الأموال والرجال والأثقال وان كانت الأخرى فان البلد بين يديك فأى المواضع شئت كان قريبا فقال له الملك بحرون سوف ترى ما يكون وأنا الذى قد فرطت فى النوبة الأولى بمطاولتى فى البراز إلى بلاد الاسلام إلى أن عاد جيشهم قواهم على عسكرى وبان فيهم القلة وخامرت على الملوك والآن فقد أنجزت أمرهم ولم يبق معى مقدما على العسكر الا من الجزائر وقد

أخذت كل من كان من أصحاب الملك ميخائيل وقدمت أصحابى ومع ذلك فما أخافك والذى قتلته أحب إلينا من الذى قلنا نحن عليه وإذا كسرناهم خرجنا إلى بلاد الاسلام وتكون خالية من العساكر أحب إلينا واسهل علينا فقال الوزير مذبحون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) هذا وقد أقاموا إلى أن وصلت العساكر والجواسيس تخبر بأن المعتصم قد وصل إلى الحصون وقد بقى بينه وبين الملك بحرون ثلاثة أيام ووصل أيضا جاسوس الأمير عبد الوهاب يخبره بأن الملك بحرون قد جمع العساكر العظيمة وهى مثل أضعاف عساكره التى سارت معه فى النوبة الاولى فقال الامير عبد الوهاب ماهذا إلا أمر عظيم وخطب جسيم وما رأينا فى ملوك الروم أقوى من هذا الشيطان ولا أشد منه بأس فقال الجاسوس أيها الامير لو رأيته وقد قتل فى القسطنطونية ستة عشر ملك وأخرج الروم من الجزائر وفعل مالا يفعله أحد غيره فلما سمع الامير عبد الوهاب من الجاسوس هذا الخطاب قال له ومن أين هذه العساكر العظيمة فقال دخل إلى جزائر الروم وطاف جزائر البحار وبذل الاموال وجمع الرجال فقال الامير عبد الوهاب الله تعالى يكفينا شره فما رأينا فى الاعداء مثله ثم سأل الامير عبد الوهاب الجاسوس عن الملعون عقبة فقال له يامولاى هو عنده وهو مديره ووزير دولته هو والوزير مذبحون (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام رحل يوم فى يوم وفى اليوم الثالث وقعت العين على العين كل هذا والملعون عقبة على حذر ووجل من دخول الامير عبد الوهاب وقد سمع أن بنى كلاب والسودان الأنجاب قد رجعت واجتمعت والمعتصم بالله قد دخل إلى بلاد الروم فى عسكر ماجرى لأحد من الخلفاء قط مثله فهو على غاية من الخوف والحذر (قال الراوى) هذا وإن الملك بحرون قد قدم ملكا من ملوك الجزائر يقال له شرشومقلص وكان جبار عنيد وشيطان مريد وكان قد ضمن للملك بحرون أنه يقوم بعسكر المسلمين جميع لأنه كان فى أربعمائة ألف فارس فضم اليه الملك بحرون عسكر اقاليم الروم وبقى الملك أيضا فى عسكر الجزائر وهم أمم كثيرة مايقع عليهم إحصاء بعدد الرمل والحصاء هذا وإن الملعون شرشومقلص أخذ معه الوزير مذبحون وعبا عساكره ودساكره ولما قابل الوزير مذبحون عساكر المعتصم بالله رأى عسكر جرار فقال الملك شرشومقلص اصبر حتى انى أدبر لك حيلة عظيمة تكسر بها هذه العساكر فى أول مرة فقال له الملك شرشومقلص هذا الذى أريد وكذلك الأمير أبو محمد البطال قد قال للامير عبد الوهاب قد وصل إلى بعض غلمانى وأخبرنى بأن هذا العسكر الذى هو مقابلنا ماهو عسكر الملك بحرون وإنما هو مع رجل جبار لا يصطلى له بنار يقال له الملك شرشومقلص وهو ملك

من ملوك الجزائر وقد وعد الملك بحرون أن يكفيه مؤنة هذا العسكر الذى معنا وأنا فقد عولت على أننى أعمل حيلة عظيمة آخذ بها هذا الملعون شرشومقلص وقد هان علينا مقاتلة هذا العسكر الآخر فقال له الأمير عبد الوهاب افعل مابدالك ولكن ذلك على عجل منك وإن فى غداة غد يكون اللقاء وقد استقر الأمر على ذلك ونزلت العساكر فى مقابلة بعضها البعض وقد ملؤا الأرض ذات الطول والعرض (قال الراوى) فعندها وثب الأمير محمد البطال وودع الأمير عبد الوهاب وقد أخذ معه غلمانه الاربعة وسار طالب عسكر الروم (قال الراوى) وكذلك الوزير مذبحون ودع الملك شرشومقلص وقال له أنا قد عولت على الدخول إلى عسكر المسلمين وقد عرفتهم منذ كنت عندهم مأسور ثم انه أخذ معه أربع غلمان معودين لهذه الأمور وسار بهم الوزير مذبحون وقد قور الارض حتى صار من وراء العسكر وعول على الدخول عليهم من أطراف عسكرهم ثم وصـــل إلى حربة القصورة وكان قد وصل اليها الامير أبو محمد البطال ولم يشعر بعضهم ببعض حتى التقوا فصاح به الأمير أبو محمد البطال وقال له من أنت فلم يرد عليه أحد فقال لغلمانه ان هؤلاء جواسيس من بلاد الروم خذوهم فعندها هجمت الاربعة على الأربعة ومذبحون على أبو محمد وحققت الحقائق وأخرجوا الخناجر وتضاربوا وإن لؤلؤ ضرب واحد من غلمان مذبحون فقتله وأخذوا غلمان أبو محمد يتجادلوا مع غلمان مذبحون وتقابض مذبحون وأبو محمد وكان مذبحون شاب حسن وهو فى عز صبوته فشال أبو محمد وجلد به الأرض وقعد على صدره وطرح الخنجر على حلقه وقال اخبرنى وإلا وحق المسيح قتلتك فقال له أبو محمد لاتقتلنى وانتفع بأخذى عند ملك الروم فعندها أدار كتافه وأدرك أصحابه وعاونهم على أصحاب البطال حتى أخذوهم وكتفوهم وقال لأصحابه ماتريد أكثر من هذه الغنيمة وأنفذهم إلى القسطنطونية مع الرجال ودخل إلى عسكر المعتصم فلم يخطى لما يريده الله مضرب الأميرة ذات الهمة فنظر اليها والشمعة تقيد بين يديها وهى تسبح الله تعالى بعد ماصلت وردها فقال مذبحون ما أنال من هذا العسكر كله أحسن من قتل هذه الأميرة فى هذه الليلة وأريد أتركها حتى تنام فكانت الأميرة لما فرغت من وردها افتقدت عدتها حتى تصلح ماتشعث منها حتى تنال الجهاد فى طاعة رب العباد وقد ناموا غلمانها وكان الامير فى تلك الليله قد تولى الحرس بنفسه من غير قصد إلا خيفة من الأعداء وإن الأميرة رضى الله عنها لما مضى من الليل أكثره ونزل عليها الكرى تركت رأسها على ذراعها ونامت وان مذبحون هجم الى المضرب وقد سمع خطيطها فأطفأ الشمعة ودنا من الأميرة ذات الهمة وجلس على صدرها ومكن الخنجر

من نحرها وهم أن يقطع رأسها وإذا بيد قد قبضت على يده وكانت الأميرة لما وقع على صدرها أفاقت من نومها وعلمت أن قد دخل عليها داخل فأخرجت يدها من تحت رأسها ثم قبضت على يده وعصرت فوقع الخنجر من يده وعصرت عليه أخرى فصاح ملو بطنه ووقع إلى الارض طريح فوثبت الاميرة وصاحت بغلمانها فاستيقظوا وتواثبوا اليها من كل مــــكان وأوقدوا الشموع فنظرت الاميرة اليه فعرفته فقالت له وقعت ياخبيث لا كتب الله عليك سلامة فوقع الصوت فى العسكر حتى سمع الامير عبدالوهاب فأتى من فزعه على الاميرة ذات الهمة فوجدها قد قبضت بيدها على مذبحون ففرح بسلامتها (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومن شدة فرحه هم أن يقتل الوزير مذبحون فقال له لاتفعل يا أمير فانى ماجئت إلى ههنا إلا وقد أخذت صاحبكم الامير أبو محمد البطال وغلمانه وقد حصلوا فى أرض القسطنطونية فان أنت قتلتنى قتلوا أصحابك الخمسة (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وقال له ويلك ياملعون وحق الله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه وهو الذى هد ركن الجبابرة بقوة ركنه ويعلم وزن الجبل الشامخ لا يخفى عليه شىء من أمره لولا أن الأمير أبو محمد البطال عندكم وقد ذكرت لى ذلك لعلوت رأسك بهذا الحسام (قال الراوى) ياسادة ياكرام فبينما الأمير عبدالوهاب معه فى مثل ذلك الكلام ورسول المعتصم بالله قد وصل اليه لأن المعتصم بالله كان قد سمع الخبر فأنفذ يسأل عن ذلك فسار الأمير عبدالوهاب اليه فلما وصل قبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين قدأخذت الأميرة ذات الهمة مذبحون وأعاد عليه أنه أراد قتلها فغضب المعتصم باللهوقال والله ان قتل هذا الملعون صواب لأننا لا نأمن على أنفسنا من غائلته فقال المعتصم بالله ياأمير عبدالوهاب إننى أريده فى هذه الساعة فقال سمعا وطاعه (قال) فلما مثل بين يديه فقال له الخليفة المعتصم كيف ترى ياملعون أوقعك الله تعالى بعد ماخلصت من أيدينافقال له الوزير مذبحون دع عنك هذا الكلام فما يمنعنى أن أجيبك على كلامك إلا كثرة الأدب الذى معى وإلا فما أبالى بالموت ان دخل على أم خرجت اليه وعند الروم من يقتلوه عوض قتلى وهم أولاد هذا الأمير الذى أخذته فى هذه الليلة وهو الأميرأبو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله ذلك الكلام حنق عليه غاية الحنق ولولا الأمير عبدالوهاب قائم بين يديه فى ذلك اليوم لضربه بالحسام قتله ولكنه وضع فى رجليه القيود الثقال وسلمه إلى الرجال وقال أقسم بالله لان نام منكم أحد لأضربنه أطرح رأسه عن جسده (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأحدقوا القوم بالوزير مذبحون من كل

جانب ومكان ولم يقنع الأمير عبد الوهاب بذلك حتى اشتغل قلبه بالأمير أبو محمد البطال لأنه مايدرى ما كان منه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان من حديث الأمير أبو محمد البطال ان الغلمان لما مضوا به إلى أرض القسطنطونية وأوصلوه الى الملك بحرون فعندها جعل الملك بحرون ينظر اليه ويضحك ويقول وحق دينى ماخلا ذلك الرجل من الوزير مذبحون لا كثير ولا قليل ثم انه أمر بضرب عنقه لأن عقبة وشومدرس أشاروا على الملك بحرون بذلك وهـــذا الملك بحرون جبار لا يفكر فى عاقبة ولا ينظر فى أمر من الامور فقال لبعض البطارقة دونك ورأسه واقتل أيضا هؤلاء الاربعة الذين معه فقال له لؤلؤ أيها الملك لا تفعل هذا الفعال فان صاحبكم الوزير مذبحون قد مضى إلى عسكر أمير المؤمنين فان وقع وقتلتنا ضرب المعتصم بالله رقبته (قال) ولم يكن عند لؤلؤ من هذا الكلام خبر وانما هو كلام جرى على لسانه حتى يكون سببا لنجاتهم

(قال الراوى) فلما سمع الملك بحرون ذلك الكلام من كلامه أمر بالقيود فطرحت فى أرجلهم ورفعوهم إلى دار البـــلاط (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الأمير ظالم وأخيه سيف الحنيفيه والأمير عمرو بن عبيدالله وخمسة آلاف من بنى سليم الكل فيها ومن النسوان أيضا والصبيان مالا يقع عليه احصا وكان الملك بحرون أخذ جماعة من أولادهم ونصرهم فتنصروا من الجوع والضر ولما دخل الأمير أبو محمد البطال وغلمانه إلى ظالم وسيف الحنيفيه فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا يا أبو محمد وكيف ذلك حتى وقعت أنت الآخر فقال لهم لا تقولوا وقعت ولكن قولوا كيف تتخلص (قال) ثم نظر إلى الأمير عمرو بن عبيدالله فلم يسلم عليه فبكى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال له يا أبو محمد ماهذا الاعراض عنى وأنت تعلم انه قد طال أسرى فقال له الأمير أبو محمد البطال ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد وكلما نالنا من المعتصم بالله أنت كنت السبب فيه ثم انك عاملتهم علينا ولو كنا فى ملطية فاتمت عليكم هذه البلية والرزيه (قال الراوى) ياسادة فبكى الأمير عمرو بن عبيد الله وجعل يحلف ان كان هذا الأمر لغرضه وبكوا نسوان بنى سليم فرق لهم قلب الامير أبو محمد البطال فقال لهم أبشروا فقد وصلت عساكر الإسلام فى عالم عظيم والله ينصرهم على الجاحدين الكافرين (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتفع من عسكر المعتصم بالله الصياح وركب الامير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وركب معه أيضا ثلث العسكر كما فعلت أبناء الروم ولم يركب المعتصم بالله وقد ركب الملك الذى قد ضمن قتل الامير عبدالوهاب ثم انه عبا عساكره وأبطاله فكانوا أربعمائة ألف

بطريق كل فارس منهم يريد لرأسه جماعة وفى أيديهم الاتراس الرقاق هـــذا وقد قام الحرب على قدم وساق (قال الراوى) وتقدم البطريق فى ألف رجل بالسيوف المجلية الهنديه والقنطاريات الخلنجيه والاسنة الافرنجيه والخود الفولاديه والبيض الهرقليـــه والدروع الداوديه والرايات الملكيه والثياب الديباج الروميه والزنانير الحريريه الابريسميه والصلبان الجوهريه فى قلائد عربيه وهى على الصدور مرخيه وفى أوساطهم المناطق السلطانية والمهاميز الحربية والسروج العرعرية والركابات المسجدية واللوائح الزمردية والتخوت الفضـــية وهم راكبين على خيول معودة للجولان قوية وقلوبهم من الكفر ممتليه ولهم أعمال دريه لانهم يكفرون برب البريه

(قال الراوى) يا ساده يا كرام هـــذا وقد ركب الامير عبد الوهاب فى الابطال الإسلامية والهمم العليه والافعال الزكيه وهم أصحاب الشريعة المحمدية وأصحاب كلمة لا إله إلا الله العليه وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خير البرية على رغم أنف الكفرة المسيحيه وهما بوجوه مضيه وملة حنيفيه إذ يسبحون الذى رفع السماء العليه وجعل الارض بقدرته مدحيه وجعل الجبال عليها شامخة مرسيه والبحار زاخرة مجريه وهو الذى كتب على كل جبين بما سبق فى اللوح المحفوظ من القضيه (قال الراوى) هذا وقد حملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال وقد ارتجت الارض من شدة الركض وطلع الغبار على سائر الاقطار وطارت الرؤس مثل النثار وقل الاصطبار وقد قدحت سنابك الخيل شرار النار وصبرت القوم الاخيار وفرت اللئام الاشرار وقد اختلط الكفار بالابرار ولم بقى يعرف الليل من النهار وقضى عليهم بقطع الاعمار خالق الليل والنهار (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل على مثل ذلك العمل الى أن ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه ورجع الامير عبد الوهاب الى مقامه وقد امتلات الارض من القتلا وتخضبت البقاع من الدما وأنفذ المعتصم بالله هناه بالسلامه فمشى الى السرادق وقبل الارض بين يدى المعتصم بالله وقال والله يا أمير المؤمنين ما رأت الروم قط مثل هذا العسكر ولقد تقاتلوا القتال المنكر وهم الذين خرجوا مع الملك بحرون من الجزائر وكل واحد منهم كالاسد الزائر (قال الراوى) هذا وقد جملت الابطال يشكوا ما لقيوا من البطريق المقدم ذكره فقال الامير عبد الوهاب أنا قد عولت أننى فى غداة غد أخرج اليه وأقدم عليه إن شاء الله تعالى والله الموفق والمعين وهو خير الناصرين (قال الراوى) يا ســـاده يا كرام فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من البطريق فانه لما نزل فقال لاصحابه ما كنت أقول إن فى المسلمين من يصبر على قتالنا ساعة

واحدة وإلا ما كنت ضمنت للملك بحرون أنى أكفيه مؤنة العسكر على أنه ما خرج الينا إلا بعض العسكر الذى للمسلمين ولكن أقول إن هؤلاء القوم هم أصحاب الحرب وحماة الطعن والضرب هذا وقد جعلوا الروم يشكوا ما لقيوا من الامير عبد الوهاب ومن الأميرة ذات الهمه ومن الملك ميمونة ثم قالوا نحن رأينا ثلاثة وهم الذين فتكوا فى الناس وأن لولاهم ما ثبتوا الباقى بين أيدينا ولا شك أن هؤلاء الثلاثة الذين يصفوهم الروم عند ملوكهم فقال البطريق أنا فى غداة غد أخرج اليهم وأكفيكم شرهم فقالوا له هذه أكبر إرادة الملك بحرون وما كسره أيضا فى بلاد الإسلام غيرهم

(قال الراوى) وبات ذلك البطريق على هذا العزم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فركبت الأمم واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وظهر الأمير عبد الوهاب وقد خلع عليه المعتصم بالله وقد ركب على جواد سلهب فلما صار بين الصفين صاح بالجواد فخرج من تحته كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف فحمل على عسكر الروم فقتل فارس من الميسرة ثم هجم فقتل من الميمنة رجل آخر ثم وقف فى وسط الميدان وصال وجال بين الأبطال والأقران وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

ستعلم أبطال الهياج بأننى ... همام الوغا فى وقت وقع المضارب
إذا نفرت نفس الجبان وأصبحت ... تحدثه عنها بكل العجائب
وصالت ليوث الحرب فى معرك اللقا ... بسمر القنا أو مرهفات القواضب
سأنصر دين الهاشمى محمد ... رسول كريم صادق غير كاذب
وأقتل من يدعى بشرشومقلص ... وأتركه شلوا بقاع السباسب
وآخذ بحرونا ذليلا معفرا ... وأملك لا رقاب العداة الكواذب
أنا ابن حماة الدين من آل عامر ... كريم عفيف من أناث أطايب

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم طلب البراز وسال الانجاز فخرج اليه فارس غير البطريق فقتله وخرج اليه ثانيا فجندله وثالث فأباده ولا زال كذلك إلى أن قتل منهم عشرة فلما علم الملعون شر شومقلص بأن الأمير عبد الوهاب قد أخذ ساعده الحاجه من التعب وجواده قد كل من الجولان فى الميدان صاح بجواده وكان جواد أبلق كانه البرق إذا برق له صهيل كالرعد إذا خفق يفوت إذا جرى نظر الحدق أو مثل سابقة البرق إذا برق وسبق قطاع الطرق كالسهم إذا مرق مليح الخطره كثير بياض الشعرة سائل الغره وهو من تحته كالبحر العجاج

إذا أزبد وهاج وهو على ظهره كانه خلق من سرجه (قال الراوى) وإنه كان ذلك الملعون إذا ركب على أعالى الخيل أى شيء لقاه من حشيش الارض خلعه برجليه ثم انه مد السنان الى الامير عبد الوهاب ففتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضرابا وطعانا وقد استعمدا سيفا وسنانا (قال) ولا زالوا كذلك الى أن طلع الغبـــار الى العنان وكلت الخيول من الجولان وحمى الحديد على الابدان ولم يزل بينهم الطعن والضرب على ذلك الامر والشان حتى حارت منهما العسكران فى الميدان ثم تقطع الغبار وقد ترجل كل واحد منهمـا على الارض هذا والروى قد رفع أذياله فى دور منطقته واشتمل بطارقته وثلاث حراب أخذها فى قبضته وهو يريد أن يؤمل من الامير عبدالوهاب أمنيته بضرب السيف والامير عبدالوهاب كذلك منيته أيضا لعزيمته (قال الراوى) وبعد ذلك قد تضاربوا بالصوارم وضربوا بأيديهم إلى سيف الركاب ورجعوا إلى ما كانوا عليه أول مرة وقد أيقنت النفوس بالمضرة وعدموا السلامة والمسرة هنا لك خطا الامير عبد الوهاب الى خصمه خطوة وأى خطوة وضربه ضربة شديدة وصاح فى عقبها خذها وأنا أسود بنى كلاب الامير عبدالوهاب فوقعت على كتفه اليمين طلعت من تحت أبطه اليسار وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال) فكبرت المسلمين الابرار وصلبت على وجوهها الـكفار وفرح المعتصم بالله الامام وكان قد ركب إلى المصاف من قلقه على الامير عبد الوهاب (قال) فلما نظروا إلى تلك الضربة فقالوا له أرباب الدولة ممن يتعصب للامـــير عبدالوهاب يامولانا مثل هذا الفارس مايفرط فى أمره فقال المعتصم بالله صدقتم فيما قلتم عفى الله عما سلف نحن قد أخذناه بالقبول والرضى (قال الراوى) فهذا ماجرى ههنا (وأما ما كان) من أمر الروم فانه لماقتل شرشومقلص حلوا كلهم على الامير عبدالوهاب طمعا فى قتله ليـكون فارسا بفارس وعلمت الاميرة ذات الهمة مافى أنفسهم من الغدر فحملت قبـل حملتهم وصاحت فى الرجال وعلى القتال عولت هـذا وقد طارت القمم ولم تكن الاساعة من النهار حتى ولت القوم الـكافرين وتبعتهم المسلمين (قال الراوى) وبلغ الملك بحرون الخبر فعظم عليه وكبر لديه وكيف انتصروا بملك الجزائر القصوى فى مائتين ألف وخذلوا هذا وقد رجع عسكر الامير عبد الوهاب الى مكانه وأمسى المساء وانفصلوا من القتال والنزال وجلس المعتصم بالله على سريره وادعا بالامير عبدالوهاب وشرفه وعظمه وخلع أيضا عليه وأكرمه وقال له أيها الامير لقد أغنيتنا اليوم بنصرتك وأشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليـل فقال يامولانا هذا كله بسعادتك ولقد رأيت منه ياأمير المؤمنين مالا رأيته من سواه إلا أن يكون من الملك بحرون فانى مارأيت

منه ماأعجزنى فقال المعتصم بالله ماأقول ان الملك بحرون أشجع من هذا الفارس الممارس فقال له يامولانا وحق النبي المصطفى محمدا ﷺ انه فارس عظيم ولكن مايلحق الملك بحرون فقال المعتصم بالله هاتوا الوزير مذبحون حتى نسأله فما يخفى عليه ذلك

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فمضوا الغلمان إلى موضعه فى طلبه فوجدوا الغلمان وهم غلمان السلطان قتلى والسودان قد عدموا الوزير مذبحون قد فقد فلا له خبر ولا أثر فرجعوا بالخيبه إلى السلطان وأخبروه بذلك الشان فعظم عليه وكبر لديه وأقبل على الأمير عبدالوهاب وقال له كيف ترى هذه النوبة أناوالله ماأردت إلا أضرب عنقه ولكن رأيتك لهذا الأمر كارها وهو الآن قد خلص من أيدينا فقال الأمير عبدالوهاب والله انى ماأتعجب لقتله لغلمانك لأنى أقول قتل الرجال وخلص لأن هذا الرجل شيطان عظيم ولكن أنا متفكر فى أمر العشرة السودان الحجازيين الذين قد وصلوا مع الاميره القناصة وهما مثل السباع يعد كل واحد منهم بألف بطل ولم أرى لهم أثر ولا طلع لهم خبر

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد بقى الامير عبدالوهاب على غاية من شغل القلب وكذلك المعتصم بالله والحجاب من حوله قيام والامير عبد الوهاب متفكر فى هذه القصة وإذا ببطريق قد دخل الى السرادق فلما نظرته الرجال صاحوا عليه وجردوا السيوف فكشف عن وجهه وإذا به لؤلؤ غلام الامير أبو محمد البطال فلما رآه الامير عبدالوهاب فرح به الفرح الشديد وقال لؤلؤ قال نعم يامولاى فقال ماوراءك فقال الخير ابشر بخلاص الامير ظالم والامير سيف الحنيفية والامير أبو محمد البطال وأنا قد جئت اليك آخذ رأيك فيما هو أوفى من هذا فقال الامير عبدالوهاب وكيف كان خلاصكم فقال يامولاى اعلم أن البطارقة والوزير مذبحون لما قبضوا علينا وأرسلنا الوزير مذبحون إلى عند الملك بحرون عول على ضرب رقابنا برأى القاضى عقبة فقال المعتصم بالله يالؤلؤ لايحملك الهوى أن تشهد بهذه الشهادة فقال يامولاى وحق من زجر البحر ويعلم قطر المطر ان عقبة عند الملك بحرون فقال المعتصم بالله يجوز أن يكون عنده مأسور فقال يا أمير المؤمنين فان نظرته بعينك فهو المدبر والمشير فقال له ان كان ذلك حقا فوحق قرابتى من محمد ﷺ لامنعتكم من صلبه كما تريدوا فقال الامير عبدالوهاب دعونا فى هذه الساعة من هذا فقد برد أمره ولكن اخبرنى يالؤلؤ فقال يامولاى وأمر الملك بحرون بحبسنا فزعا ان يكون الوزير مذبحون قد أخذتموه فلما دخلنا إلى دار البلاط وجدنا ظالم وأخيه سيف الحنيفيه والمأسورين والمأسورات من بنى سليم وبنى كلاب (قال) فبكى الامير عبد الوهاب فقال لؤلؤ يامولاى ولم يبات مولاى الامير أبو محمد البطال حتى كسر قيودهم (قال) ولما كان فى

هذه الليله دخل السجان ليفتقد قيودهم فلطمه الأمير ظالم على أم رأسه فما تحرك من موضعه ووثب مولاى الامير أبو محمد البطال وخلع ثيابه ولبس ثياب السجان وسلخ دقنه وركبها عليه (قال) وكان الرجل السجان أعور من اليمين فأطبق الامير أبو محمد البطال عينه اليمين وقصد إلى باب دار البلاط وأخذ المفاتيح من على اسكفة الباب وقعد بواب هذا كله والملك بحرون فى القسطنطونيه فى عالم عظيم وقد أمرنى مولاى أن استشيرك أن تأمرنا ان نقيم إلى مايخرج الملك بحرون إلى قتالكم ويخلوا البلد لنا فعلنا ولكن نريد منكم فوارس ليكونوا بزى الروم ويختلطوا بهم فما ينكروهم فاذا كان فى غداة غد يدخلون مع جملة من البطارقة إلى عند الامير أبو محمد البطال ليعرفوا المواضع وهو يجمعهم فى دار البلاط إلى وقت الحاجة اليهم وان أردت ان نرجع اليه ليعمل فى خروج الامير ظالم والامير سيف الحنيفيه ويقصد اليكم فعلت ذلك فقال الامير عبد الوهاب هذه والله بشارة مامثلها وبها ان شاء الله نكسر الروم ونأخذ البلد وخلاص المأسورين من أمة محمد ﷺ يا لؤلؤ وقل له مانلت فى الأول وفى غداة غد تكون الرجال عندكم فى الزى الذى قد ذكرت ولا أنفذ لكم إلا رجال يعرفون أزقة القسطنطونية والمواضع كلها والموضع الذى أنتم فيه (قال) فرجع لؤلؤ ولم ينم الأمير عبد الوهاب باقى ليلته من الفرح والسرور ثم انه أوعد الرجال من بنى كلاب المعروفين بالطعان والضراب وألبسهم لباس الروم وساروا فى وقت السحر ثم انهم اختلطوا بالعسكر الذى للروم فلقوهم فى عدد النجوم وفى البلد مثلهم (قال الراوى) ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فتح باب الذهب الأحمر وهو من النحاس الاندلسى ثم ان القوم دخلوا ووصلوا إلى عند الأمير أبو محمد البطال فلما قدموا عليه فرح بهم وأدخلهم دار البلاط وفرح الأمير ظالم وأخيه الامير سيف الحنيفيه والامير عمرو بن عبيد الله لما انهم نظروا إلى أمراء بنى كلاب وطمعوا فى الخلاص من ضيق الاقفاص

(قال الراوى) هذا وقد وصل الوزير مذبحون فى ذلك الصباح إلى عند الملك بحرون ومعه السودان وكان قد لعب بعقولهم وقد أطمعهم فى المال لانهم تحدثوا بين يديه وقالوا ما جئنا إلا فى طلب الغنيمه فقال ماقولكم فيمن يدفع لكل واحد منكم ألف دينار وعشرين ثوب ديباج فقالوا له ومن يفعل ذلك قال أنا فقالوا أحلف وقد حلف لهم فعندها قتلوا أصحاب المعتصم وأطلقوا الوزير مذبحون وهربوا به ولما دخلوا على الملك بحرون فرح بخلاصه واعطاهم المال الذى ضمنه لهم الوزير مذبحون وأعرض عليهم التنصر فتنصروا واجتمع عقبة بالوزير مذبحون فقال الحمد للمسيح الذى خلقك وأوقع أبو محمد

البطال فى يدك فقال له الوزير مذبحون وحق المسيح انى عولت فى هذه الليلة أشتق منه فقال عقبه وأنا معك ونأخذ معنا الراهب شومدرس فنى قلبه منه البلاء وتشتفى صدورنا منه (قال الراوى) ثم انهم صبروا إلى الليـــل وقام الوزير مذبحون وعقبة الملعون وشومدس المفتون وساروا إلى دار البلاط فقال عقبة لابو محمد البطال وهو يظن أنه الرجل وهو بعدته وثيابه وعقبه يراه فى ضوء القنديل وهو يفرد عين وهى ناقصه فقال له افتح لنا أيها الرجل حتى اننا نشتفى من لص المسلمين ونريدك أن تخرجهم إلى بيت العقوبة حتى أخلو بهم ولا يعرفنى عمرو بن عبيدالله وقومه بنى سليم فقال له الامير أبو محمد البطال سمعا وألف وطاعة (قال الراوى) ودخل الامير أبو محمد البطال فعلم الرجال والابطال وقال لعمرو بن عبيد الله كن أنت الآخر معهم حتى ترى ابن عمك القاضى عقبه (قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد البطال أخذ معه الرجال إلى بيت العقوبة وقال للوزير مذبحون والراهب شومدرس ادخلوا بارك السيد المسيح فيكم وكان الامير أبو محمد البطال قد قال للامير ظالم وأخيه الاميرسيف الحنيفيه ايش تعملوا مع عقبة فى هذه الليله فقال له الامير ظالم الليلة نأخذ من عقبة بأوفى نصيب ودع يجرى ما يجرى

﴿ تم الجزء الثانى والأربعون ويليه الجزء الثالث والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والاربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فدخل الامير أبو محمد البطال الامير سيف الحنيفية وأ... م ظالم ومالك بن طوق وراشد بن ضمرة وغيرهم من الامراء وأخرجهم إلى دار العقوبة كما أمره عقبة وكان فيه مخدع للسياط والقضبان مستعدة للعقوبات (قال) فأخذ الامير أبو محمد البطال غلمانه وجعل فى أرجلهم القيود وجعلهم فى ذلك المكان وقد قال للامير عمرو بن عبيد الله وغيره من بنى سليم أريد فى هذه الليلة أريكم كفر ابن عمكم القاضى عقبة فقال له الامير عمرو ان كان ذلك كما تقول فوالله العظيم لا كان أول من يعمل على هلاكه غيرى لاننا مانراه إلا على دين الاسلام وما نرعاه إلا لاجل انه حافظ لكتاب الله عز وجل وهو من علماء أمة محمد ﷺ (قال) فعند ذلك أخذ الامير أبو محمد البطال غلامه لؤلؤ وقد البسه تلك الثياب التى كانت عليه وهو مأسور وجعل القيد أيضا فى رجليه وقال له دع رأسك على ركبتك واظهر انك مريض وقال لمشايخ بنى سليم الذى يسمع قولهم ويرجع إلى رأيهم ولعمرو بن عبيد الله السلمى اشهدوا أنتم بما تروا من عقبة (قال) ثم انه خرج إلى عقبة والملعون شومدرس وقال لهم ادخلوا ياموالى بذلك الرجل الامير أبو محمد البطال فانه كما تعلمون فى جهد عظيم من المرض وان أنتم ضربتموه ضرب شديد فيهلك فقال له عقبة لايعافيه السيد المسيح ولا يشفيه ياويلكم اعلموا أن مرضه حيلة ومكر منه فأنا لابد لى مما اذيقنه العذاب بيدى إذ أوقعه المسيح فى يدى

فقال الوزير مذبحون أنا أريد ان أريح أبناء النصرانية منه لانهم من فزعهم منه قد صوروه فى الكنائس وما قدروا يتخلصوا منه ولا يخلصهم منه إلا أنا فقال الملعون شومدرس وحق المسيح والدين الصحيح ان الروم كانوا يدعوا لك ويذكروك جيل بعد جيل فقد أقرح القلوب والاكباد وقتل الآباء والاجداد والاولاد ثم دخلوا القوم

(قال الراوى) هذا والامير أبو محمد البطال قد حنق على عقبة نسل الانذال فلما صاروا فى بيت العقوبة رأوا غلمان الامير أبو محمد البطال الاربعة ولؤلؤ جالس وهو يبكى وقد لبس ثياب الامير أبو محمد البطال ورأسه على ركبتيه وهو يتأوه كما أوصاه مولاه (قال الراوى) فعند ذلك دنا إليه عقبة ورفسه برجليه وهو يظن أنه الامير أبو محمد البطال وقال يا ملعون إلى متى تهلك المسيح وفى هذه الليلة أذبحك فما رد عليه جوابا فقال الخادم جوهر يا قاضى عقبة لا تفعل فان الله تعالى لابد ان يخلصنا من يدك كما عوايده علينا واحسانه إلينا وببركات سيدنا محمد ﷺ ينجينا (قال) فلما سمع عقبة كلام الغلام جوهر غضب من قوله وضربه بيده على حروجهه وقال له لعنك السيد المسيح ولعن من يقول بقولك هل بقى لكم خلاص مما أنتم فيه والملك بحرون قد جمع العساكر وقتل أبطالكم وسوف يقتل الاسود الزنيم والعاهرة ذات الهمة ويأخذ المعتصم بالله ويملك الارض باقطارها حتى لا يبقى فى الارض ملك غيره ولا يشار اليه سواه وعنده خمسة آلاف من بنى سليم والامير عمرو بن عبيد الله وفى غداة غد يضرب رقابهم عن بكره أبيهم فقال له جوهر غلام البطال تكذب ياويلك وكيف تقتلهم وهم بنو عمك فقال له عقبة ياويلك وهل بقى بينى وبينهم نسب أو مودة أو قرابة أو حسب وإنما أنا أريد ألعب بعقولهم لاضرب رقابهم وذلك لاجل قولهم إن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا له زوجة ولا ولد وان نبيه المبعوث بالحق محمد ﷺ ومن قال هذه المقالة ما بينى وبينه نسب لا من العجم ولا من العرب (قال) فلما تم كلامه صاح اخرجوا لنا القضبان حتى اننا نضرب هذا البطال الشيطان ابن ألف شيطان ونذيقه طعم الذل والهوان فعندها دخل الامير أبو محمد البطال إلى ذلك المخدع فوجد الامير عمرو بن عبيد الله وأضراسه تضرب بعضها فى بعض وهو يقول كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا أستغفر الله من ذنبى ومن الإيمان التى كنت أحلفها عن هذا الملعون عقبة (قال الراوى) هذا وأمراء بنى كلاب قد أخذهم الحنق وقد قال لهم الامير أبو محمد البطال ابصروا من يخرج فى الأول فقال الامير ظالم أنا وخرج هو وأخيه الامير سيف

الحنيفية وتبعهم الامير مالك بن طوق وراشد بن ضمرة وملابط البغال وجماعة كثيرة خرجوا وهم ملثمين فقال عقبة اللعين بعد ان أقبل على الامير أبو محمد البطال فقال له ويلك ياسجان ماهؤلاء فى هذا المكان فقال له اعلم يامولاى لاشك انك لما شتمت الانبياء بعثوا إليك الزبانية يتولوا عقوبتك (قال الراوى) ثم تقدم الامير ظالم وقبض بيده على ذقن الوزير مذبحون ورقبته ثم أنه قد جذبه جذبة شديدة وضرب به الارض كاد ان يطحن عظامه بها وقبض الامير ملابط البغال على الملعون شومدرس وقبض الامير سيف الحنيفية على عقبة (قال) ولما علم الوزير مذبحون أن الدست قد تم عليه فقال وحق المسيح والدين الصحيح أنا ما اشتهيت أجىء معكم ولكن جابنى القاضى عقبة فقال له الراهب شومدرس ومن هو القرنان ابن ألف قرنان الذى اشتهى أن يجىء إلى هذا المكان هذا وقد خرج الامير عمرو بن عبيدالله وقومه بنى سليم ثم قالوا له ويلك ياملعون عقبة لقد هتك الله سترك واطلعنا على خفى أمرك فقال عقبة وقد علم أنه فات أمره وانهتك ستره اعلموا ان الضرورات تلجى إلى هذا ومثله وأكثر منه ولا يصح على مذهبى الكفر إذا غصبت عليه (قال) وقد أراد عقبة ان يتخلص بمكره فقال الامير أبو محمد البطال مدوه فمدوه وضربه ضرب شديد ماعليه من مزيد حتى وقع لحم صدره والامير أبو محمد البطال يقول هذا جزاء من يكفر ويسب ثم انه قدم الراهب شومدرس وضربه حتى غشى عليه وهو يقول لا ألقى الله القاضى عقبة خيرا فما كانت هذه المصائب إلا من تحت رأسه وإلا إيش فضولى أنا فى عقوبة الامير أبو محمد البطال (قال الراوى) ثم قدم من بعدهم الوزير مذبحون وكشف بيده عن بدنه وأمر الامير أبو محمد البطال بضربه فضربه وجعل يتململ من نعومة بدنه فقال خلوه فوالله الذى لا إله إلا هو مارحمت قط كافر أو سواه ولا اختلع قلبى قط بالشفقة على كافر إلا عليه فلعله ان يسلم ويعود إلى الله (قال الراوى) هذا وقد طرحت القيود أيضا فى أرجلهم وقد حصل مائة أمير من أبطال المسلمين فى دار البلاط وهم بالعدد الكاملة والسيوف والخناجر وقد خلص الاسارى من بنى سليم وهو عالم عظيم (قال) ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركب الامير عبد الوهاب وقد أعلم المعتصم بالله بقصة الامير أبو محمد البطال وقال له اركب حتى اننا نحمل على العسكر الذى بين أيدينا فان نحن كسرناه فالملك بحرون يخرج من أرض القسطنطونية والا فما يخرج ولا يتم للامير أبو محمد البطال الذى يريد أن يعمله من الامور والاعمال (قال) فعندها ركب المعتصم بالله بتلك العساكر المقدم ذكرها وقد تقدم الامير عبد الوهاب بين يديه وجرى الامر على هذا وأمثاله هذا وقد التقى

الجمان وجرى بينهم حرب يشيب الولدان ونزل البطل الصنديد واستوى فى الحرب الموالى والعبيد (قال) ولم يكن إلا القليل من النهار حتى تزعزعت عساكر النصرانية إلى خلفها وعلم الملك بحرون أن الخليفة الامام ركب بنفسه فقال الملك بحرون لارباب دولته ماذا ترون نخرج ونقوى العسكر والا ان انكسر هذا الجمع العظيم الذى تروه وما يرجعوا الروم يواجهوا العدو فقالوا له صدقت (قال) ثم ان الملك بحرون خرج فى الأمم التى لاتعد ولاتحصى بعدد الرمل والحصى هذا وان عقبة لما أن أصبح الله تعالى بالصباح وكان قد أفاق من عقوبته أقبل على الوزير مذبحون وقال له كم أشير على الملك بحرون وهو لايقبل منى ويتشاغل عنى وحق المسيح لقد كنت فزعان من هذا الشيطان لما حبس فى دار البلاط وأيضا فانى قلت للملك بحرون اعلم أن المسلمين لايطاقون وهم فى عالم كثير عظيم فوكل بهم ألف بطريق فلم يفعل ذلك الفعال ولو كان وكل بهم جماعه لم يتم علينا هذا الأمر ويجوز أن السجان الذى كان موكل بهم قد دخل اليهم فقبضوا بأيديهم عليه وقد صار الأمير أبو محمد البطال مكانه وتزيا بزيه والملك بحرون قد فرط فى أمره وأمرهم فقال له الوزير مذبحون وقل انهم قبضوا عليه فكيف صارت دقن السجان على وجهه فقال له عقبه أنت ماتعرف هذا الرجل إنه إبليس دهره وزمانه وحق المسيح والدين الصحيح لو أراد أن يركب عليه رأس السجان لفعل وسوف ترى ياولدى مايعمل وأنا قلبى يحدثنى أن أبو محمد البطال ماعمل هذا العمل إلا وقد صار عنده من المسلمين جماعة أبطال وما هو إلا منتظر الملك بحرون حتى يخرج إلى القتال ويفتح دار البلاط ويأخذوا العدد ويضربوا الناس بالحسام المهند وقد حصلت القسطنطونيــة فى أيديهم وينكسر الملك بحرون بلا محالة ويصلبونى أنا على باب الذهب لأن الأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم قد سمعوا قولى وانكشف معهم أمرى فقال له الملعون شومدرس كلما يجرى علينا وعليك من يدك وكثرة فضولك وشقشقة لسانك (قال) ولما أن خرج الملك بحرون فى ذلك العالم العظيم الذى يضيق به الفضا أرسل إلى المعتصم بالله يأمره بأن يصف عساكره وكان المعتصم بالله الخليفه الإمام ابن الإمام مائة صف فى كل صف مائه ألف وقد صف الملك بحرون أيضا عساكره ومواكبه وقد دقت الطبول وضربت البوقات ودقت النواقيس والكوسات وصاحوا الجميع بالحمله (قال) وفى تلك الساعة أقبل الأمير أبو محمد البطال على أصحابه وقال لهم اغتنموا هذه الساعة فى هذه الضجة فان الصباح لايسمع لعل أن نملك البلد فما بقى فيه غير العوام واطلبوا الباب فاغلقوه والبلد أيضا فاملكوه فقالوا له الرجال يا أبو محمد اعلم أننا ههنا فى خمسة آلاف فارس من بنى سليم

ومافيهم من معه عصاة يمنع بها عن روحه وفى البلد عالم عظيم من العوام والسوقة وتفرق فى كثرتهم ولكن نريد شيأ من العدة فقال سمعا وألف طاعة (قال) ثم انه خرج لوقته وساعته إلى باب دار البلاط وأخذ من العدة المعلقة وهو يقول الملك بحرون أرسل إلى يامرنى بحفظ هؤلاء المأسورين والرجال عندى بلا عدد وجعل ينقل السيوف والعدد والدرق (قال) ولم تكن إلا ساعة حتى صار عندهم مايريدوا (قال الراوى) فهذا ماجرى ههنا وغبار العسكرين قد علا وارتفع إلى الاعنان وعملت الصوارم فى نواعم الأبدان وخلف كل قلب مطمأن وعملت السيوف وقطعت الرؤس واختلست النفوس وحمل الفارس العبوس ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وتصادمت المواكب وظهرت الاهوال والعجائب وكثرت القتلى وسالت الدما وتقابضوا أيضا باللحا (قال الراوى) فهذا ماجرى ههنا وأما الأمير أبو محمد البطال فانه خرج فى جماعة من الابطال وقصدوا إلى الباب وضربوا البطارقة بالسيوف وأغلقوا الأبواب وأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير هذا وقد سمعت الروم بذلك فثاروا من الأسواق وأخذوا عددهم والتقوا بالأمير أبو محمد البطال والأمير ظالم وأخيه الأمير سيف الحنيفية وانطبقت عليهم الرجال من كل جانب ومكان (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل من داخل البلد وظاهره هذا وقد تكردست الرجال عليهم وهم أيضا يجزرونهم جزرا ويرمونهم خمسا وعشر عشرا وفتكوا بنى سليم والرجال بالقوم الكافرين وحلوا بهم البلاء المبين ونصر الله الأمير أبو محمد البطال ورجاله على عوام البلد وتفرقوا من حولهم ورجعوا إلى دورهم وغلقوا عليهم أبوابهم وطلع الأمير أبو محمد البطال إلى القصر وملكه وملك جميع ما فيه وأطلع الرجال والأبطال اليه (قال الراوى) وكان عسكر المعتصم بالله ظهر على عسكر الروم من داخل البلد فقال لهم الملك بحرون يا ويلكم ما الخبر فقالوا له أيها الملك ما نعلم شيئا غير أننا نسمع صياح فى البلد وما ندرى أيضا ما السبب فقال لهم الملك بحرون اطلبوا الباب فقصدوه وإذاهم بالأبواب مغلقة وقد صعدت أبطال المسلمين على الأبراج شاهرين بأيديهم سيوفهم وهم يزعقون عن لسان واحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم يولولوا ويبكوا

(قال) ولما رجع الخبر إلى الملك بحرون بما قد جرى عظم عليه وكبر لديه وخشى أن ينهزم عسكره كله فحمل على المسلمين بنفسه وحملت معه العساكر وعملت الصوارم فى الجماجم إلى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه فعند ذلك طلب الملك بحرون للوزير

مذبحون فلم يجده فقال هذا صلوب الرأى والتدبير قد عدمناه فأين الشيخ النجيح فلم يخبره عنه أحدا بخبر وطلب الراهب شومدرس فعدمه الآخر ونظر إلى القسطنطونية فوجدها قد هلكت ولم يجد إلى الدخول اليها من سبيل (قال) فعندها أقبل على الملوك وقال لهم فى غداة غد نرجع إلى قتال المسلمين لعلنا أن نأخذ البلد وقد طمع فى ذلك إذ رأى ما وراه شىء يرجع اليه وأثقاله فى البلد وقد تم عليه هذا الأمر فقال لهم وما الرأى عندكم فقالوا له أيها الملك انت قد فرطت فى بلدك وكان فى القسطنطونية خمسة آلاف أسير فدخل اليهم الأمير أبو محمد البطال خلصهم وقد ملكوا منا البلد وما لنا غير الفرار والهرب فى هذه الليلة إلى مدينة عمود الكبرى (قال الراوى) وما كان فى بلاد الروم أكبر منها وفيها عالم عظيم وأن الملك مسيحا الذى قد وصل إلى خدمتك ملكها وتكون عنده أنت بعساكرك مقيم وتزداد عنده أيضا من مدينته مثل هذا العسكر وهذا هو الرأى وهى مدينة ما للمسلمين مثلها ولا لهم عليهم منزل وإن نحن أقمنا فى غداة غد هلكنا فقال لهم صدقتم ارحلوا بنا (قال الراوى) فعندها رحلوا الروم قوم بعد قوم إلى أن مضى أكثر الليل وقد وقع الصياح فى عسكر المعتصم بالله فركب الأمير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب وطلب أعقاب عسكر الروم فرجع اليه الملك بحرون وعظم بينهم القتال وتقاتلوا أيضا بالرماح وبالنصال طول الليل وظهر عسكر المعتصم بالله على على عسكر الملك بحرون فتقهقر إلى وراءه وسار الملك بحرون فظن الأمير عبد الوهاب أنها حيلة فلم يتبعهم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وقد أبعد أبناء الروم وجاءت الجواسيس الى الأمير عبد الوهاب وأخبروه بأن عسكر الملك بحرون قد سار الى عمودا فقال الأمير عبد الوهاب لو كنت علمت ذلك لكنت سرت خلفهم وبالله العظيم انهم قد ساروا الى موضع حصين أحصن من القسطنطونية فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى لكن الذى سهل لنا أخذ القسطنطونية بغير حساب قادر أن يسهل لنا أخذ القلعة عمود ببعض الامور والأسباب (قال الراوى) هذا والأمير أبو محمد البطال قد فتح الباب الذى للبلد ودخل المعتصم بالله فى أحسن زى وأكمل أهبة فقال الوزير أحمد يا مولانا سبحان من حكم لك بهذا انك تدخل الى القسطنطونية فى ثياب العز والمملكة بعد ما كانوا الروم قد أخذوك واليها أنقذوك وهذا كله بهمة الأمير الأجل المهاب الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة لبوة الغاب فاحفظ لهما هذا على طول الزمان والشهور والأعوام واعلم يا أمير المؤمنين أن لولا يكون عند الله نية فى صفا سرائرهم لما كان أعطاهم مناهم ونصرهم على أعداهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله ذلك

الكلام فقال له صدقت والله أيها الوزير فيما وصفت به هذا الأمير الاجل الامير عبد الوهاب ثم ان الخليفة شكر الوزير واثنى عليه ثم ان المعتصم بالله بعد ذلك صعد الى القصر ونظر الى ذلك المكان العظيم فطار قلبه فرحا بما فتح الله تعالى به عليه ثم انه قد أحضر الملعون عقبة بين يديه وقال له ويلك ياملعون بعت الآخرة بالدنيا الساخرة فقال له الملعون عقبة معاذ الله يا أمير المؤمنين فأنا كنت مأسورعندهم منذ انكسرت العساكر واخذت أنا كما قد أخذت أنت لكن الله سبحانه وتعالى سهل خلاصك ووصلت أنا الى القسطنطونية وكنت فى أضيق مكان وفى أيشم موضع أقاسى فيه الضرر والجوع الى أن دخل الامير أبو محمد البطال الى أرض القسطنطونية وفتح الله البلد على يديه بهذه الحيلة وأنه قد علم موضعى فأخرجنى من مكانى بعد ما أراد أن يذبحنى فقلت يا هذا أنا مالى فى هذه النوبة ذنب أبدا فبالله عليك دعنى من يدك والا قل لى كيف يكون الخلاص منك فقال تحلف لى بالله أربعين يمين أنك تنطق بالكفر وإنى سوف آتى بالوزير مذبحون والراهب شومدرس الآخر معه وقد أظهرت أنهم قد جاؤا لعقوبتنا تقول ماهو كذا وكذا حتى يظهر صدقنا وصدق الأمير عبدالوهاب وعند الأمير عمرو بن عبيدالله يامولانا فأجبت إلى ماقدذاعنى اليه من خوف الموت وقلت من ساعة إلى ساعة فرج وقد قال عليه الصلاة والسلام محمدا صلى الله عليه وسلم حاكى الكفر ليس بكافر ورتب لى رجال فى الخدع وأنا أعلم بهم وأنا ماقلت ذلك إلا طلبا للنجاة منه وبعد هذا ياأمير المؤمنين افعل بما تشاء فقد شبعت من هذه الحياه النكده والله مافى قلبى حسرة غير انى أموت وما أعلم مايكون من الإسلام من بعدى وأنا الآن قد طاب قلبى بهذا الفتح الذى من الله تعالى به على الإسلام

(قال الراوى) فلما سمع المعتصم بالله الإمام كلامه فقال له ياويلك وهذا الذى ذكرته مالك به بينه وهؤلاء القوم قدأقاموا بينتهم للشهادة عليك ولابد من تسليمك اليهم وهم المقلدين بدمك (قال الراوى) ثم التفت الخليفة الامام إلى الأمير أبو محمد البطال وقال له خذه اليك وافعل به ماشئت ولكن بعد فراغ قلوبنامن هذا العدو الذى هو الملك بحرون فقال له الأمير عبد الوهاب سمعا وألف طاعة لله ولأمير المؤمنين ويكون هو أيضا والوزير مذبحون فى المطمورة التى كان فيها الأمير أبو محمد البطال التى هى واسعة الجنبات ويكون معهم الراهب شومدرس الملعون إلى مايفتح الله علينا ونأخذ هذا الملعون بحرون ويعود الاسلام إلى عزه ويكون (قال الراوى) هذا وان المعتصم بالله أمر باخراج الملك ميخائيل فأخرج من المطمورة ومعه الحاجب مارس وأخيه دارس وأيضا خواص دولته وقد تغيرت أحوالهم وأبدانهم والبترك الكبير معهم والكل فى أسوأ الاحوال وكانت

قد نحلت منهم الأجساد وشمتت بهم الأعداء والحساد (قال) فبكى الخليفة الامام المعتصم بالله وقال ما أصعب زوال النعم وحلول البلاء والنقم ثم قال الملك طب نفسا وقر عينا فسوف آخذ لك هذا الكتاب وأعيد الملك اليك بشرط انك تحمل الحمل كما كان مرتين فقال سمعا وطاعة يامولاى وكيف ينالك وأكون لك خادم على طول الزمان وكل مايرتفع فى بلاد الروم أحمله اليك (قال الراوى) وأما الأمير عبد الوهاب فانه بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد لاجل الحاجب مارس وأخيه دارس وقال لهما اعلما أن الله تعالى يريد بهذا أن يزيل عنكما ذنوبكما بعظم أجركما فاحمدوه وعظموه ومجدوه وأيضا اصبروا على ما أصابكم فان الله يجزى الصابرين أجرهم بغير حساب (قال الراوى) هذا وان المعتصم بالله قد خلع على الملك ميخائيل برأى الأمير أبو محمد البطال وعلى خواصه وهم الحاجب مارس وأخيه دارس وأركبهم فى أرض القسطنطونية ونادى المعتصم بالله بالرحيل بعد ثلاثة أيام الى قلعة عمودا فعندذلك أخذوا الناس أهبتهم وترك فى البلد الأمير عمرو بن عبيدالله وأمراء بنى سليم لانهم كانوا ضعفاء من أثر الأمر وعشرة آلاف فارس من عسكر العراق وألف فارس من السودان الأنجاب وسار يقطع الأرض فى طولها والعرض وهو طالب عمودا وقد بقى بينه وبينها أربع فراسخ (قال) فعندها وصل الخبر إلى الملك بحرون وقد قوى عزمه وتراجع عسكره وعول على العوده إلى أرض القسطنطونيه لانه لما سمع بأن العساكر قد وصلت فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وقد رفع على رأسه مائة ألف صليب مرصعة بالدر والياقوت والجواهر تحت كل صليب جيش عظيم (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ماجرى ههنا من الكلام والخطاب (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه نظر إلى مرج أخضر وهو يصلح للقتال يسع أهل الدنيا فقال للمعتصم بالله أقم بناهنا ياأمير المؤمنين حتى يصل الروم الينا (قال) فأقاموا حتى وقعت العين على العين وحان الحين وارتفعت الزعقات حتى ارتجت الفلوات ونادت الفرسان بعضها ببعض انزلوا إلى غداة غد فعندها نزلت العسكران وأضرمت النيران وتحارس الفريقان إلى أن ولا الليل بظلامه وأقبل الضياء بابتسامه وارتفع الضجيج من أبطال المجاهدين وأقيال الموحدين وطلب الأمير عبد الوهاب فلم يوجد فى موضعه فعظم ذلك على الأميرة ذات الهمه وكذلك المعتصم بالله والتقت الأبطال بعضها ببعض وتزلزلت الأرض من شدة الركض والتحم العسكران وطارت جماجم الاقران وارتفع الغبار إلى العنان وضاق بهم المكان وقتلت الأقران وصارت الأرض كوردة الدهان وهلك المناصل وأصبح عليهم الحمام نازل (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب

تشعل إلى أن تقهقر عسكر المعتصم بالله إلى ورواءه وانسدل الظلام وأضرمت النيران وافترق الجمعان هذا والاميرة ذات الهمه قد عظم عليها فقد ولدها الأمير عبد الوهاب ولم تعلم سبب غيبته وعظم على الامام المعتصم وقالت الاميره ذات الهمة والله ما مضى ولدى من عندى البارحه الا وقت صلاة العشاء الاخـــيره وكان ركب فى مائة فارس وصاروا يدوروا حول العسكر فزعا من الجواسيس يأتون فى ظلام الليل فقال المعتصم بالله سبحان الله العظيم كيف عدم هو والمائة فارس فقالت لا ياأمير المؤمنين الفرسان مافقدوا غير قليل فقال على بهم لحضروا بين يديه وإذا هم تسعين فارس وقد فقد منهم عشرة فقال لهم الخليفة أليس كنتم مع الامير عبد الوهاب فقالوا له نعم ياأمير المؤمنين كنا معه إلا أنه قسمنا عشر مواكب عشرة بعد عشرة وأمرنا ان نتفرق عشر جهات حتى لا يعرف بنا أحد فنعرف ومضى الامير عبد الوهاب إلى جهة أخرى فى عشر فوارس فيهم مثل الامير ملابط البغال ومالك بن طوق وراشد بن ضمرة وسعيد بن الفرج والامير هارون العلوى وبرد بن الازهر والامير طارق الحجازى والامير عطارد وابنته الاميرة عمرة والامير يانس المتعزب وهذا آخر العهد به (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المعتصم بالله ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وقال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واشتغلت قلوب سائر الاصحاب لاجل غيبة الامير عبد الوهاب

(قال الراوى) وكان من حديث الامير عبد الوهاب وأصحابه أمر عجيب وحديث مطرب غريب وذلك انه لما انفرد بالعساكر وأخذ العشر رجال الذين معه ابعد عن العسكر بمقدار فرسخين كل ذلك ثقة منه بنفسه والابطال الذين معه فهو كذلك إذا نظر إلى شبح يلوح فقصد الامير عبد الوهاب إليه بنفسه وقد أحدقت به الابطال وان الشبح لما سمع كلامهم عرفهم وعرفهم بنفسه وإذا به صابر المرعشى فقال الامير عبد الوهاب يا صابر فقال نعم يامولاى فقال له من أين وإلى أين فقال له أتيت من موضع عجيب وقد أتيتك بحديث عجيب غريب وقد أتيت اليك لاجله قاصد لانها غنيمة فى هذه الليلة لها قدر وشأن وقيمة فقال له الامير عبد الوهاب وما ذلك يامبارك فقال له اعلم يامولاى انى مضيت من أمس ودخلت إلى مدينة عمودا فوجدت مدينة أحصن من سد حديد وفيها عالم لا يحصى لهم عدد واقمت بها إلى أن أتى على الليل وإذا أنا بالبلد وقد انزعج وارتج بأهله فسألتهم عن موجب ذلك الخبر فقالوا لى ان الملكة مرجانة بنت صاحب عامودا قد خرجت مع أترابها إلى كنيسة البترك وهى بالقرب من هذه المدينة وقد طلبها الملك بحرون لما ان دخل الى عامودا حتى يتزوج بها فلم يفعل أبوها وامتنعت هى أيضا وقالت هذا خارجى

ليس هو ملك من الملوك ولا يعلم له أب ولا أصل ومع هذا من يوم وقعت عيني عليه ورأيته قد وقعت بغضته فى قلبي لاجل سواده وهذا بخلاف الروم وأجناسها وبعد هذا ان أغصبنا ولج علينا وان طاب قلبي بذلك فأنا ماأفعل حتى أتبارز أنا واياه فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فان هوظفر بى كنت زوجته وان لم يقدر على وظفرت أنا به وهبت له نفسه وعرفته بين الملوك قدره ولا يعود بعدها يتعرض بى أبدا (قال) وكانت هذه الجارية الملكة مرجانة قد هويت بعض أولاد البطارقة وكان مثل القمر الطالع وان بحرون لما سمع هذا القول منها فرح بذلك وأعجبه قولها وقال حتى يخلو قلبي من المسلمين وأجيبها الى ماطلبت من المبارزة (قال) وان الملكة مرجانة قد أخذت من جوارها وأترابها وهى مائة جارية وقد سمعت يامولاى ان كل جارية منهم تريد جماعة من البطارقة وقد أخذت معها الشموع والنذور والستور وغير ذلك وسمعت أنا ذلك فسرت معهم حتى نظرتها وقد اجتمعت بالقس الذى للكنيسة وقالت له يا أبونا هذا الملك بحرون يريد زواجى غصبا وكرها وانا فما لى قلب له ولا فيه رغبة ولا أريده وحق المسيح ان أنا غصبت على ذلك قتلته وطلبت بلاد المسلمين فلما سمع القس منها كلامها فقال لها مايقدر أحدا يغصبك على مالا تريدين وربما هلك ومات قبل ان يصل إلى عامودا لأن عسكر المسلمين قد وصل فى عالم عظيم ولعلهم يهلكون شبابه وقد تخلصتي فقالت وكيف لى ومن لى بذلك فقال لها القس اندرى لهذه الكنيسة النذور وقد انفصل الأمر وقد بلغتي المأمول فقالت إذا تم لى ذلك وهلك الملك بحرون كان جميع ماعلى من الحلى والحلل والجواهر والذهب لهذه الكنيسة وها أنا الساعة أفعل ثم خلعت ما كان عليها من الحلى والحلل والجواهر والذهب للكنيسة مايساوى خراج عمودا فأخذه القس ورفعه وأنا أشاهده وقد تفرقعت مصاريني فى فؤادى من هول مارأيت من الأموال ثم ان القس فتح بيتا فى الكنيسة فرأيت فيه حوضين نحاس كلهم ملآنين من الجوهر والأموال وصلبان الذهب والجارية مرجانة وجوارها وهم عنده (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من صابر المرعشى هذا الخطاب تعجب غاية العجب وأقبل على قومه وقال لهم ماذا ترون فقالوا نسير إليهم ونأخذ أموال وجواهر ونعود فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم ساروا وهم معه حتى وصلوا إلى باب الكنيسة فنظروا الخيل فغلقوا الأبواب وقالت جارية منهم ويلكم ياشلوح العرب ما الذى أوصلكم إلى هذا المكان وحق المسيح ماسافكم إلا آجالكم فان كنتم سمعتم بى فاتركوا مافى أيديكم وانجو بأنفسكم سالمين وأنا مرجانة بنت صاحب عمودا وهؤلاء جوارى وكل واحدة منهن تقاومنى فى الشجاعة

فارحموا أنفسكم وانجوا سالمين (قال الراوى) فلما سمع ملابط البغال من الملكة مرجانة ذلك الكلام قال للامير عبد الوهاب يامولاى ما أقول إلا أن رضوان قد غفل باب الجنان حتى خرجوا هؤلاء الجوار منها وما أريد منك غير هذه الجارية مرجانة فقال الامير عبد الوهاب انت فى حل من الكل وأى جارية أردت خذها إلا مرجانة فهى لأمير المؤمنين فغضب ملابط البغال وقال والله لاأخذها غيرى فانقلبت عيناه فى أم رأسه وشخر ونخر حتى رغرغت أشداقه من الزبد وفاح صنانه وانعقد نخافته الأمراء وقالوا هذا مجنون اتركها له حتى ترى مايكون ثم انهم تعاونوا على الباب ففتحوه فلما فتحوه قالت الجارية ماهو مليح تأخذونا غصبا وإلا غدرا والإنصاف من الاشراف فدونكم والقتال (قال الراوى) فلما سمعوا الأمراء كلام الملكة مرجانة أجابوها إلى ذلك وكان أول من خرج اليها ملابط البغال فما كانت الا ساعة حتى وثبت اليه على ماهى فيه من رقة خصرها وثقل ردفها وقد أدهشته وحيرته وأظهرت انها تضربه على قوائمه استتر تحتانى فضربته فوقانى أسرع من البرق بالسيف صفح فوقع إلى الأرض لايعقل على نفسه فأخذته أسير وسلمته إلى جوارها حقير وأقبلت على الأبطال دونكم والقتال فعندها حملت عليها غمرة بنت عطارد وقد كشفت وجهها فصارت كأنها القمر فى ليلة أربعة عشر فلما نظرت الملكة مرجانة إلى صورتها قالت يامسلم وحق المسيح إنك شاب مليح ثم جالت معها مرجانة ساعة وصاحت بها صيحة أدهشتها فأخذتها أسيرة فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى الملكة مرجانة وما فعلت علم أنها واحدة زمانها وفريدة عصرها فصاح بقومه ياويلكم خذوا حذركم منها فخرج اليها مالك ابن طوق فأخذته أسير فصاح الأمير ياويلكم احملوا عليها كلكم فحملت الأمراء وحملت مرجانة وجوارها ولم يزل القتال يعمل بينهم حتى قتل من الجوار ستة وأخذ منهن ثمانية أسرى والتحم القتال بين مرجانة والأمير عبد الوهاب (قال الراوى) فأخذها أسيرة وملك سائر الجوار وأخذ الأموال التى كانت معهن وملكوا جميع ما كان فى الكنيسة وكان القس لما وقع القتال بين الامراء والجوار خرج من الكنيسة من مواضع يعرفها تحت الأرض فوصل إلى عمودا ووقع النفير فركب أبو مرجانة فى ذلك العسكر وقصد إلى الكنيسة فرأى بنته وقد ملكت وأكثر الجوار قد هلكت فحمل على الأمراء فقاتلوا القتال القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد وكانوا الأمراء قد أحموا باب الكنيسة من الرجال ومنعوهم من الدخول فأدخلهم القس من الموضع الذى خرج منه فما شعروا إلا وهم قد خرجوا عليهم ووقع الحرب بينهم وتضاربوا بالقواضب من كل ناحية وجانب وطلعت الرجال إلى

أعلى الكنيسة وضربوا المسلمين بالحجارة من فوق الاصوار ونظر الامير عبدالوهاب الى هذه المصائب فأيقن له ولأصحابه بالهلاك وقال يابنى الاعمام الرأى عندى أن نسلم أنفسنا اليهم والا هلكنا ولعل الله تعالى يأتينا بالفرج فلقد كانت هذه النوبة غلطة منا (ياسادة) فلما سمعوا أصحـــابه منه كلامه قالوا هذا هو الصواب فاستسلموا كلهم وقد تركوا الكنيسة ملآنة بالقتلى غارقة بالدما (قال الراوى) ولما رأى الملك ماحل بقومه غضب وأمر بقتل الأمراء عندها جردت القواضب وأحدقوا بهم من كل جانب فقال صابر المرعشى وقد أخذ معهم والله لاعرفنا هؤلاء الملاعين قدرهم ومحلهم وأقول لهم ان هؤلاء أمراء المسلمين وفرسان الموحدين عساهم يتركوهم ولا يؤذوهم فقال الأمير عبد الوهاب افعل عسى مشورة أخرى يضربوا رقابنا فما كانت مشورتك علينا إلا ميشومة فقال صابر المرعشى والله ما أردت الا منفعة المسلمين ولكن مالى اعتراض على رب العالمين (قال الراوى) فهو معه فى الكلام والخطاب وقد هموا أن يضربوا منهم الرقاب وإذا بالملكة مرجانة قد نادت وحق المسيح لا مكنتكم من قتلهم لان مافيهم من يستاهل القتل وإن كانوا المسلمين كلهم هكذا فإنهم يفتحون سائر البـــلاد النصرانية ويهلكون أهل ماء المعمودية ويكسرون الملك بحرون وينزلون به ريب المنون ثم قالت لأبيها أنت تعلم يا أبى ماكان على وجه الأرض أفرس منى ولا أشجع ولا أقوى منى وهؤلاء المسلمين هم سباع الإنس وقد أخذنى هذا الأسود قهرا ثم أقبلت على الأمير عبد الوهاب وقالت وحق المسيح انك فارس مليح فبحق دينك من تكون من المسلمين فان قلت الحق فأنا وحق دينى اصطنعك وأطلقك فقال لها الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب قالت أنت ابن ذات الهمة قال أنا ذلك فقالت مرجانة لقد كنت أسمع بأخبارك ثم صلبت على وجهها وقالت من هؤلاء القوم الذين معك فجعل الامير يصف لها فارس بعد فارس الى ان وصلت الى غمره قالت له هذا الفارس من يقال له فقال هذه جارية بنت عذرا وهى بنت أمير من أمراء المسلمين فتعجبت مرجانه من قوله وقالت وحق دينى ما فى الكل بعدها أفرس منك ثم ان مرجانه أقبلت على أبيها وقالت له أيها الملك لا تفرط فى هؤلاء المسلمين فانهم فرسان الموحدين وأبطال المؤمنين اتركهم عندك فى الاعتقال الى أن تنفصل من بقية فرسانهم فان كان الظفر لنا فأنت تأخذ بهم عند الملك بحرون اليد البيضاء وإن كان الظفر للمسلمين فأنت تفادى بهم بلدك وأهلك ومع هذا فقد سمعت بهذا الرجل المسمى بعبد الوهاب ان له حرمة وذمام وان كان بهذه الصفة مع هذه الشجاعة فلا يجب أن يفرط فيه فلما سمع أبوها

كلامها أخذهم وعاد بهم الى مدينته وطرحهم فى صهريج مظلم تحت الارض وجعلت مرجانة تكرم مثواهم بالأطعمة ومن الحلاويات والاشربه هذا وقد اشتغل قلب الامير عبدالوهاب على المسلمين ولم يدر ما كان منهم (وأما الاميرة ذات الهمة) فانها أرسلت الخيل فى طلبه وأقلبت تلك الارض فلم تقع له على خبر ولا أثر فقالت ما شاء الله كان

(قال الراوى) وان المعتصم لما أصبح الصباح صف عسكره على ما جرت به العادة فقالت له الاميرة ذات الهمة يا مولاى قد عولت فى هذا اليوم على البراز لعل الله تعالى يسهل لى أخذ بعض الملوك فيكون عنده خبر من ولدى فلا شك أن الملك بحرون عنده علم من ولدى فقال لها المعتصم افعلى ما بدا لك (قال الراوى) ولما اعتدلت الصفوف ظهرت الاميرة ذات الهمة بين الصفين وحملت على الميمنة فقتلت منها ثلاثة ثم انها طلبت القلب فصاح الملك بحرون على البطارقة فحملوا عليها من كل جانب فما كانت الا ساعة حتى تركتهم غنائم ورؤس بلا عاصم وأبدان بلا جماجم وأكف بلا معاصم فلما نظر الملك بحرون الى فعلها قال للبطارقة من هذا الفارس فقالوا أيها الملك أم الفارس الاسود التى كانت فى أسرك وولدها قد فقدته من أمس وما هو إلا قتل وما بقى لهم من يعتمدون عليه الا هذه العاهرة فقال الملك بحرون من أتانى برأسها وزنت له بوزنها مائة مرة من الذهب الاحمر فلما سمعت البطارقة ذلك من الملك بحرون خرجت اليها من سائر الجيوش وصارت الاميرة كلما خرج اليها فارس تأخذه وتقتله الى أن أسرت خمسة عشر فارس وقتلت عشرين ثم انقطعت عنها الرجال فلم يخرج اليها أحد من الرجال فأنشدت تقول هذه الابيات

اليوم يوم الضرب بالصوارم فى طاعة الله السميع العالم
ننصر دين الهاشمى المصطفى أكرم به المختار خير العالم
هل فيكم الآن فتى مصادم يبرز لى فى ساحة المصادم

(قال الراوى) فما استتمت كلامها حتى خرج اليها فارس من الروم وكان ملك الزواورة وقد طلب من الملك بحرون جزيرة عمودا إن هو أتاه برأس الأمير فأجابه الى ذلك فخرج وهو على جواد أصفر جيد المنظر سريع الخبر صافى الجوهر كانه وجنة عاشق قوى سابق جرى لاحق صهيله مثل الرعد الخالق وعليه زرديه لاتعمل فيها السيوف المشرفيه ومعه ومعه قنطاريه بجليه مضيه لو صدم بها ثنيه لأرماها بالكليه وحمل على الأميرة وقد أيقن أنه يأخذها لأنها على غاية من التعب ونهاية من النصب وحملت عليه وقد أخرجت يدها من جلباب درها وطاعنته حتى اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنه الأميرة فطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وكبر المسلمون وحزن المشركون هنالك حمل الملك

بحرون وحملت معه الأمم وحمل المعتصم فى العرب والعجم والترك والديلم فطارت القمم وشابت من الهول اللمم وتزلزل القدم وعتم النهار وأظلم وجار السيف لما حكم وذبحت الرجال ذبح الغنم وجرت الدماء من الأبدان مثل جرى القلم وصار الوجود عدم وتشتت الشمل بعد ما انتظم وأقام السيف يعمل حتى أقبلت عساكر الظلام ونادوا بالانفصال فلم تخلص الرجال من الرجال وعمل السيف طول الليل الى أن طلع سهيل وطلعت الشمس وهم على ذلك ما بين سالم وهالك وعطشت منهم الأكباد وقطعت الأجساد والملك بحرون لما انظر إلى ذلك جعل يأمر ملك بعد ملك أن يخرج من المعمعة بقومه فيأكاون ويطعمون خيولهم ويركبون غيرها ويزحفون للحرب وباتوا على حالهم

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك ثلاثة أيام ولياليها حتى فنيت الأمم وكان اسم هذه الوقعة وقعة الروم وهلك فيها الأبرار والفجار ولما كان اليوم الرابع افترقت الناس بعضهم عن بعض وقد امتلات بالقتلا الأرض وأكثرهم مجرحين والباقى على الثرى مطرحين وأخذوا فى مداواة الجرحى (قال الراوى) هذا جرى (وأما ماكان) من المعتصم فانه بقى فى قلبه النار لغيبة الامير عبد الوهاب ولا يعلم ما كان منه وان الاميرة ذات الهمة باست الارض بين يديه وقالت يا أمير المؤمنين قد عولت أن آخذ خمسة آلاف فارس وأعكر بلد الروم شرقا وغربا وبعدا وقربا حتى أكشف خبر الامير فان قلبي فيه نار السعير وقال المعتصم اعلمى أن هذا الكلب بحرون ما أراه مثل الملوك المتقدمين فانه لا يضجر من القتال ولا يمل من النزال ولابد له مما يعود إلى الحرب فى غداة وما تكونى حاضره ولا ولدك عبد الوهاب فيكون وهنا للناس فقالت الاميرة يامولانا الناس ما يتعرضون للقتال يوم وعشره لما قد جرى علينا وعليهم وبهم أكثر مما بنا من التعب والجراح (قال الراوى) وكان فى الأميرة اثنى عشر جرحا من هذه الوقعه ثم انها طلبت الامير أبو محمد البطال فلم تجده فعظم ذلك عليها وكبر لديها فهى كذلك إذ دخل أحمد الشمشاطى وقال لها لكى البشاره أنا رسول أبو محمد اليكى وبشاراتى عليكى فقالت له وأين تركت أبو محمد فقال لها تركته فى كنيسة يقال لها كنيسة البترك وقد كشف خبر الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لانه قد أخذ خبرهم وهو فى عموريا وأن أبو محمد عبر إلى القس فى صفة راهب وغلمانه وتلامذته وهو عنده فى المنزله الرفيعه وهو يقول لكى انه سمع ان ليلة الاحد يخرج صاحب عمودا وابنته مرجانه وجوارها إلى الكنيسة فتسيرى معك الرجال حتى تأخذيهم وخلص الامير ومن معه من الاصحاب (باساده) فلما سمعت الاميره ذلك باسعت الارض شكرا لله تعالى ثم انها تجردت فى مائة

فارس كأنهم الليوث العوابس منهم ظالم وميمونه وأمثالهم من سادات العربان وأمراء السودان وسارت ليلة الاحد وبين يديها الجاسوس الى أن وصلت الى الكنيسه وقد سبق أحمد الشمشاطى الى الباب فوجد أبو محمد مثل الحية على المقلى فقال له لما رآه وصلت الاميره فقال أنعم يامولاى وهاهى قربت منك وانما سبقتها أناحتى أكشف الخبر فقال إيش يا أحمد فقد وصلت الملكة مرجانه فى مائة جارية ومعها أربعمائة بطريق خوفا من النوبه الاولى وفى كم وصلت الاميره قال فى مائة بطل فقال أبو محمد ومعها ميمونه وظالم فقال نعم وسيف الحنيفية فقال أبو محمد قف أنت واياها ههنا فاذا مضى من الليـــل أكثره ولم يبق إلا أيسره فتحت لك الباب فاهجموا عليهم وهم نيام فما يفيقون من المنام الا وقد مكنت منهم الحسام (قال الراوى) فرجع أحمد الى الاميره وأخبرها بذلك فقالت هذ ما أسمعه وربما أبو محمد هذا من طريق الإشفاق علينا ونحن لانبالى على مابنا من الجراح أشهى الينا القتال من العطشان الى الماء الزلال ثم وصلت الى باب الكنيسه وترجلت فى أبطالها ودخلت ثم هللت وكبرت ونادت لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فكبرت معها الأبطال والاقيال وصناديد الرجال فعندها وقع الصوت فى الكنيسه وثارت الروم وهم أربعمائة بطريق وفى أوائلهم الجاريه مرجانه القوية الجنان وهم فى مائة جارية وثارت الرهبان وكل قس ومطران وتضاربوا بالمرهف اليمان وقطعت الرؤس من الأبدان ورفعوا الصلبان وأشركوا بالواحد الاحد الحنان المنان ونادت المسلمين بكلمة الاعلان المنجية من النيران وقطعت الاميرة ثمار النفوس من أغلا الاغصان وتركت الرجال على الارض صرعا فى كل مكان ونصر الله أهل التوحيد والايمان على طائفة الشرك وأهل العصيان (قال الراوى) فلما نظروا البطارقة الى ذلك رموا سلاحهم ونادوا الامان الامان فأسرت الاميرة منهم مائتين أسير والملكة مرجانة وسائر جوارها وأخذت كلما فى الكنيسة من الاموال والرجال وعزمت على الارتحال فقالت لها مرجانة على ماذا عولتى يافارسة المسلمين فقالت أسير بك الى عسكر المسلمين وأبطال الموحدين وأنا ذات الهمة أم الامير عبد الوهاب فقالت مرجانه ياأميرة لقد كذبت الروم فيما وصفوا فيكى وفى ولدك وحق المسيح أضعاف ماوصفوا فهل لكى أن تطلقى جوارى ورجالى ولكى ماأخذتيه من المال وأنا أرسل الساعة وآتيك بالامير عبد الوهاب فوحق المسيح انه فى غاية الإكرام فلما سمعت الاميره كلامها أجابت مرجانه إلى ماطلبت ثم ان الاميرة قالت لها أخاف أن يكون منكى مكيده بأن ترسلى إلى أبيك فيأتى فى عساكر الروم

(قال الراوى) وقد ذكرنا أن أبو الملكة مرجانه قد خرج معها إلى الكنيسه خوفا

عليها من المرة الاولى وانه لما أوصلها إلى الكنيسه وأمن عليها عاد الى عمودا وان الاميرة لما قالت لمرجانه أخاف أن تكون مكيده ويأتى أبوكى فى عساكر الروم على انني بحمد الله وعونه بهذه المائة الذين معى مليه بسائر عساكر مدينتك لكن من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب (قال الراوى) فلما سمعت مرجانه كلامها صلبت على وجهها وقالت وحق المسيح والدين الصحيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل وحق عيسى بن مريم والبترك المحترم وحق كل بنت عذراء والا قطعت الزنار ونتفت لحية البطريق والجاثليق وأكلت لحم الجمل فى عيد الشعانين وبدلت نفسى لعربان المسلمين وإلا توضأت بالماء عند الصلاة فى عيد الصليب وبطلت شرب الخمر عند التقريب وحنثت فى هذا اليمين لا أعمل عليكم حتى تصل أصحابكم اليكم وأنا أعلم ان وصفك قد شاع فى البلاد وممدوحك فى جميع أقطار العباد (قال الراوى) فلما ان سمعت الأميرة حلفان الملكة مرجانة ضحكت من تلك الايمان وقالت الحمد لله الذى هدانا للاسلام وعرفنا محمد عليه السلام ثم انها أقبلت على الجارية مرجانة وقالت لها ويحك لقد أعطاك الله من الحسن والجمال شيأ عظيم ولكن قد طردك عن بابه السميع العليم وبعد هذا فانكى تقسمى الاقسام والايمان التى كلها فشار وهذيان ثم تقولى وإلا توضيت إيش هذا الكلام فقالت مرجانة اعلمى يا أميرة المسلمين ان علماءنا يقولون لنا ادخلوا الكنيسة وصلوا وتقربوا حتى تخالفوا المسلمون فقالت لها الأميرة يا مرجانة أنتم تنزهون جملة الرهبان عن التزويج والأولاد فلم لا تنزهوا الملك الجواد الذى جعل فوقكم سبعا شداد وجعل الأرض بساطا ومهاد وزجر البحر بقدرته وجعل فى بطن الإنسان قلبا وفؤاد وهداه إلى طريق الرحمة توفيقا وبعث محمدا رسولا إلى جميع العباد فدعاهم إلى توحيده وعرفهم طرقات تسبيحه وتمجيده وأنذرهم يوم يدعى الداعى فيرتعد العبد ممن يدعيه وينكر أمه وأبيه وصاحبته وبنيه وأهله وأقربيه اذا عظم المكروه ورأى الإنسان المحروم فى كتابه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا سلم من عقوبته يوم ينادى ياعيسى ابن مريم فيبادروا الملائكة ويحضروه فى يوم مقداره خمسين ألف سنة لا يسألوه ولا يكلموه ويوقفوه ويسمع النداء من الملأ الأعلى والملائكة يقدسوه ويمجدوه ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فيختبط فى دمه ألف سنة والملائكة يرمقوه وينظرون جوابه بما يكون فاذا أفاق مما هو فيه ينادى والخلائق تسمعه ان كنت قلته فقد علمته يا من يعلم من العباد ما يسروه عندها يأمر الله عز وجل بكم الى جهنم مجازاة لكم بما كنتم تكفرون ويحاسب العباد بما قدموه وأخذوه

(قال الراوى) فلما انتهت الأميرة الى هذه الألفاظ ترغرغت عينامرجانة بالدموع وعمل معها كلام الأميرةووقع بها الخشوع وقالت ياستاه ماهذا الايوم عظيم يوم يشيب لهوله الطفل الوليد ومن يكون صاحب هذا اليوم يجب ان ينزه عن الأزواج والأولاد والأنداد وأنا أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة كلام مرجانة واقرارها بتوحيد الملك الرحمن طار قلبها من الفرح واتسع صدرها وانشرح وشكرت الله على هدايتها واسلامها وقالت له يابنيه الحمد لله على هدايتك لدين الاسلام واعترافك بتوحيد الملك العلام فقالت الملكة مرجانة الآن ياستاه مابقى غير الاخلاص فى الدين والنصر لرب العالمين فلا يبان لك صحة اسلامى وقولى الا بما أفعله وهو انى أسلمك عمودا وما فيها لأن هذا مما يهد ركن بحرون لأنه مايكون له ملجأ بعد مدينة عمودا ونحن ما سلمناها اليه خوفا منه وما فعلنا ذلك إلا من طريق الدين فسلمناها اليه بعد ماحلفناه أنه لايغدر بنا ان هو نصر على عدوه والآن فقد هدانى الله تعالى الى دين الاسلام ومعرفة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام واذا سلمنا اليكم عمودا مايبقى لهم غير الهزيمة قدامكم ويتمزق هذا العسكر العظيم ويتشتت فى سائر الأقاليم والا فلو انهم يسلموا اليكم أنفسهم لتقتلوهم فما فرغتم منهم فى ستة أيام لانهم عالم كثير وجم غفير (قال الراوى) فلما سمعت الاميرة كلام الملكة مرجانة تهلل وجهها بالفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت لله درك يامرجانة فلقد أسعدك الملك الديان فاذا كنتى قد عزمتى على هذا الامر فانا أعرض الإسلام على هؤلاء القوم الذين معك فان أسلموا فقد سلموا وقد تم لنا ماتريد وان لم يسلموا ضربت رقابهم والبست قومى ثيابهم فهم الذين فتحوا مدينة القسطنطونية لانهم رجال الحرب وليوث الطعن والضرب فاعرضى على جماعتك الاسلام عسى يهديهم الملك العلام حتى أقول لك بعد ذلك مايكون عندها جعلت مرجانة تقدمهم واحد بعد واحد وتعرض عليهم الاسلام فواحد يرضى وواحد مايرضى فالذى ما يرضى تقتله حتى أسلم مائة وثلاثين رجلا ثم انها أعرضت الاسلام على الجوار فاسلمن كلهن ثم أقبلت على أصحابها وقالت البسوا ثياب البطارقة ففعلوا ذلك فقالت الاميرة للملكة مرجانة خذى هؤلاء معك وامضى الى مدينتك وقولى لابيك ان المسيح قد من علينا بالخلاص ويكون الرجال قد حصلوا عندك فى القصر ثم انكى تخرجى الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فهم يكونوا مع هؤلاء المائه ويكون أمرهم مكتوم الى ليلة غد فانى سوف آتيك فى ظلام الليل فى عشرة آلاف من بنى كلاب والسودان الانجاب فافتحى لنا الباب وقد ملكنا البلد باذن مسبب الأسباب الذى اذا دعى أجاب فقالت الملكة مرجانه نعم

ماقلتى واليه أشرتى ثم سارت مرجانة ومعها أمراء بنى كلاب وقد قالت الاميرة اعلموا ان قلبى ماهو طيب عليكم وأخاف ان هذا الأمر من مرجانة مكيدة وخداع لان الله تعالى وصف كيد النسوان قال تعالى إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم فقالت ميمونة باستاه طيبى نفساوقرى عينا فسوف أدخل إن شاء الله تعالى إلى البلد وأقصد إلى القصر ودع ذلك يكون منها خديعة وأضرب كل من فى البلد بالسيف وأتسلم القصر وأحميه من أهل المدينة شهر وشهرين فشكرتها الاميره على مقالها وودعتهم الاميره وسارت الى العسكر وهى فرحانة وقد سار الامير أبو محمد البطال وغلمانه معهاوسارت طالبة عسكر المعتصم ونظروا الذى حول عسكر المعتصم اليها وهى وحيدة فريدة بعد ماءضت فى تجريده فقالوا أصيبت الاميرة بقومها وما نجى غيرها وقد نهلوا بالكاس الذى نهل به الامير عبدالوهاب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياسادة) وشاع ذلك فى العسكر فاضطرب الناس وتبادروا السودان وبنى كلاب الى الاميرة ذات الهمة فوجدوهاضاحكة مستبشرة ولاعندها هم ولاغم فعلموا أنها ماجاءت إلالامرمهم ووصل خبرها الى المعتصم فقلق غاية القلق وأركب اليها الوزير أحمد ومعه جماعة فسارت اليه الاميرة وقبلت الارض بين يديه وأخذت له فى الدعاء فقال لها اخبرينى الساعة بما كان من عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقالت أريد الخلوة معك فنظر المعتصم الى من حوله فتفرقوا ثم تقدمت اليه وأعادت عليه قصة الجارية مرجانة وجمالها وفعالها وإسلامها وانها تسلم عمودا اليهم فوثب المعتصم قائما وقبل الارض لاثما فبكت الاميرة ذات الهمة وقالت سبحان من تعفر الملوك وجوهها بين يديه وترجع فى جميع أمورها اليه (قال الراوى) ثم ان المعتصم قال ياذات الهمة هذه النوبة تكون سبب هزيمة ملك الروم وقدجاءنى الجاسوس وعرفنى أنه فى غداة غد معول على القتال والمسلمين أكثرهم مثخونين بالجراح وأنا خائف على عسكر المسلمين وجيش الموحدين فان تم لنا مانريد فهو سبب سعادتنا وهذا كله ببركتك وبركة ولدك فوالله لقد كانت سبب هداية الملكة مرجانة على يديك ولقد كانت جواسيس تأتى من مدينة عمودا وقد كان قلبى بوصفها مشغوف فالحمد لله الذى كان هذا على يديك فضحكت الاميرة من قوله ثم أنها جعلت تنتخب الرجال طول النهار وهى على غاية من القلق ونهاية من الأرق لانها لاتعلم ماحدث بعدها

(قال الراوى) فهذاجرى ههنا (وأما) الملك بحرون فانه وصل اليه الجاسوس يخبره بأن المسلمين قدضعفوا عن لقائه فلما سمع الملك ذلك فرح وقال غدا ألقاهم فهو على هذه

النية واذا قد دخل اليه ثلاث شخوصة عليهم علامات الشقاء حتى اذا صاروا بين يديه كشف أحدهم وجهه واذا به مذبحون والثانى عقبة الملعون والثالث شومدرس المفتون فوثب من فرحته بالوزير مذبحون وقال له وحق المسيح لقد تنغص على ملكى لاجل غيبتك فأين كنت وكيف كان خلاصكم وسببه فقال عقبة ماهذا موضع حديث لانى ماأمنت على روحى الا الآن ولايخلو ان يكون فى عسكرك جاسوس للمسلمين ولكن أترك موضعك من شئت من الملوك وقم بنا الليله الى مدينة عمودا حتى نحدثك بما يكون فيه هلاك الاعداء (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك كلامهم وما نطقوا به من نظامهم قال لهم هذا الفزع خلوه عنكم فان المسلمين قد ضعفوا وقد وصل إلى الجاسوس يخبرنى بذلك وغدا ألقاهم وهذا آخر عهدهم بالحياة فاخبرونى أنتم بقصتكم وكيف كان السبب فى أخذ بلد القسطنطونية فأعاد عليه عقبة القصة من أولها إلى آخرها وإن ذلك كله من تدبير أبو محمد البطال فقال الملك بحرون وحق المسيح لأقتله أشر قتلة وتنظرون غداما يكون منى ومن هذا الملعون وتأخذون تاركم بمعونة المسيح قال مذبحون وحق المسيح ماأقدر على المقام لأننى أريد أعمل على هذا الشيطان الذى أخذنا وضربنا فى دار البلاط وأنا الليلة أدخل إلى عمودا وأدخل فى صفة أدخل بها إلى الكنيسة وما يصبح الصباح أو يمسى المساء إلا وقد أتيتك برأسه فقال عقبة لبحرون بعد أن قال له أقم عندى قال لا أقدر لأننى أيها الملك قدعولت على أمر مايمكننى المقام ولكننى أمضى إلى عمودا وآخذ من العرب المتنصرة عشرين ألف فارس وأحمل من عمودا الدواب والبراذين من الثياب والصلبان وأسير بهم فى زى المسلمين إلى مدينة القسطنطونية وأضرب كل من فيها بالسيف بعد أن أقول لهم إن المسلمين قد فتحوا البلاد وأخذوا عمودا وهذه غنيمة وآخذ كرسى الملك بالحيلة كما أخذوه بالحيلة (ياسادة) ففرح الملك بحرون من كلامه وكان فى قلبه من القسطنطونية وأخذها النار التى لا تطفى فأجابه إلى ذلك وقال لشومدرس أقم أنت عندى فقال عقبة أيهـــا الملك الكريم ما أقدر على ذلك ولا أستغنى عن مشورته ولا عن رأيه فقال له الملك خذه معك وسيروا على بركة المسيح أيها الشيخ النجيح

(قال الراوى) وسار عقبة ومذبحون وشومدرس وهم فرحين بذلك وما كان عقبة يصدق بوصوله الى البلد لانه مايعلم أن البلاء له فيه مخفى فكان من قضاء الله وقدره أن الملكة مرجانة لما لحقت أبيها الى المدينة ومعها الامراء فى زى البطارقة وجوارها ففرح الملك بها الفرح الشديد وسألها عن حالها فقالت طاولنا القوم بالقتال حتى خلصنا من أيديهم ولم تتكلم حتى حصلت الرجال معها فى القصر وسارت الى الموضع الذى فيه الامير

عبدالوهاب فأخرجته وأخرجت من معه من الامراء وعرفته بالنوبه فباس الارض شكرا لله تعالى والتقى بالامير أبو محمد وميمونة وأصحابها فتمت المسرة وقال الامير نحن فينا كفاية لكل من فى هذا القصر فقالت الملكة مرجانه دع عنك هذه العجلة فهى غير محمودة حتى تأتى الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) فباتوا وأصبحوا على ذلك فلما أصبحوا وجاء وقت العصر من اليوم الثانى وصل القاضى عقبه ومذبحون وشومدرس الملعون الى باب المدينة ووصل جاسوس الملك بحرون الى صاحب عمودا بالوصية بهم فركب اليهم واستقبلهم وسار معهم الى أن صاروا فى مجلسه وأجلسهم معه على سريره وأعادوا عليه ما جرى لهم فى مدينة القسطنطونية وأن خلاصهم كان على يد الوزير مذبحون لانه نقب الموضع حتى خرجوا منه إلى دار الملك ميخائيل وتنكرنا وخرجنا من القصر إلى البلد فأخفونا الروم إلى الليل وأرخونا من الأصوار بالحبال فهنا هم الملك بالسلامة وقال فيما أتيتم فقالوا أيها الملك نريد الحيلة على المسلمين وهلاكهم فقالت لهم الملكة مرجانه قوموا بنا الساعه الى موضع الطعام والشراب واختلوا بنفوسكم ودبروا ماتريدون فقالوا نعم مارأيتى ثم انها تركتهم وسارت إلى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وأعلمتهم بذلك ففرحوا وشكروها على ذلك هذا وعقبة وشومدرس ومذبحون سائرين وعقبه يقول إن قلبى يحدثنى أن فى هذه الكرة يكون هلاك المسلمين لأنه قد أحاط بهم الملك بحرون ونحن نعتمد على أخذ مدينة القسطنطونية ونقتل المعتصم وقد ملكنا الدنيا شرقا وغربا وأنت أيها الوزير إذا دخلت إلى بلد المسلمين فلا تعود إلاوراس القرد أبو محمد معك ولم يزالوا إلى أن دخلوا حجرة الشراب والجارية مرجانه قد تلقتهم وسارت أمامهم وعقبة قد حار من حسنها وجمالها فما هم إلا أن حضر الطعام ومد عقبة يده وأخذ لقمة إلى فاه وإذا بباب المجلس قد فتح وخرج شخص ملثم وبيده سيف مشهور والموت بين عينيه يظهر وخرج شخص آخر من وراه يتبختر كانه اسد قسور فلما نظر عقبة اليهم وقفت اللقمة فى فمه وأشار إلى الراهب شومدرس وقال له ويلك أنظر إلى هذا الشخص الخارج من الخزانة ما أشبهه إلا بملابط البغال وإذا قد ظهر آخر من ورائه قصير من الرجال وكانه أبو محمد البطال فقالت مرجانه تشبه فهو صديقك الذى وصفته ورفيقك الذى نعته ثم قرب من عقبة ومسك بذقنه وقال كيف هذه الصورة القذرة ويلك ما يخلو منك مكانٍ هذا وقد حار مذبحون من هذه القصة وقبضوا عليهم وأوثقوهم كتاف بعدما اشتفوا من ضربهم (قال الراوى) وخرجت الملكه مرجانه وأمهلت إلى أن غسق الظلام وأخرجت الأمراء بالعدة الكاملة وفتحت باب البلد فوجدت الأميرة ومعها عشرة آلاف فارس لايخافون الموت ولايخشون الفوت ودخلت الأميرة والتقت بالأمير عبد الوهاب وفرحت بسلامته ودخلوا المسلمين وجردوا القواضب

وأعلنوا بالهليل والتكبير وكان أول من كبر الأميرة ذات الهمة فأجابوها المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وضربوا أهل عمودا بالسيف يوم وليلة حتى فاض الدم من عرصاتها وصاحت العربان على ساحاتها وانهتكت نسوانها وبناتها فانهزموا أهلها إلى أن وصلوا إلى الملك بحرون وحدثوه بما لاقوه من طوارق المنون فرحل من وقته وساعته طالب عمودا والمعتصم خلفه إلى أن وصل بحرون إلى البلد فوجدوها قد ملكوها عباد الرحمن وخذلوا أهل الشرك والطغيان واستولى الأمير عبد الوهاب على ما فيها من النعم الجمه والأموال الضخمه والملكة مرجانه قد قبضت على أبيها وقالت اعلم أنه إذا جاء الحق زهق الباطل وإذا طلب العبد ما يبقى هان عليه ما يفنى وإذا عرف العبد ربه فقد وصل إلى الأمل وقد برح الخفي وانكشف الغطا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا التى عملت على أهل المدينة وعليك ولم أرع حرمة الوالد اذا كان لربه جاحد وربنا عز وجل إله واحد وكل شيء على وحدانيته شاهد وقد أسلم معى مائة من البطارقة وماقلبك أقسى من الجلمد الا أن تكون من طاعة الله مطرود فعد الى توحيد عالم الغيوب حتى يسامحك بما سلف من الذنوب والا وحق النبى الهاشمى القرشى والدين الاسلامى ومحمد الأبطحى الذى شهد بفضله الانجيل لئن شغلك عن ذلك الغرور والاباطيل لارمين رأسك عن جسدك وتصبح مفارقا لاهلك فانظر ما يكون الجواب قبل ضرب الرقاب فقال لها وقد عظم عليه أمرها وحار من قولها يا هذه أنا معكم أسير ولابد ما أفكر فى هذا كما قد فكرتى أنتى وما تكونى بأعقل منى فتركته عند عقبة وقد حار عقبه من كلامها وقال وحق المسيح ما كان لهذه الجارية فى الاسلام إلا سنين

(قال الراوى) ولما وصل بحرون الى مدينه عمودا ووجدها قد ملكت أيس منها وترك المعتصم فى مقابلته وفتح الامير عبدالوهاب الباب وخرج بأبطال بنى كلاب ووقع التكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وخرجت الملكه مرجانه تطلب الجهاد فى طاعة رب العباد (ياساده) وركب المعتصم فى عساكره وأبطاله ودساكره وكذلك الملك بحرون وانقلبت الارض بأهلها وامتلا بالعسكر سهلها وجبالها والملك بحرون ما فى عينه من الكل شيء وما تحدثه نفسة إلا بالظفر لانه معه عالم عظيم يضيق به السهل والوعر وتصادمت العساكر كلها كالبحار الزاخره والعشائر المتكاثره فى رؤس الاصاغر والاكابر واشتبكت الخناجر فى الحناجر وطار عليهم الطائر وزجرت الزواجر وبطلت النواهى والاوامر ولعبت بالرؤس الحوافر وقدحت السنابك الشرار المتطاير واحلولك الظلام وصار النهار مثل الليل العاكر (قال الراوى) وبينما الامير عبد الوهاب فى المعمعة اذا اتى

الاميره ذات الهمه فقالت يابنى ما وراءك قال الخير والسلامة وقد قتلت صاحب العلم الذى لبحرون وعاركته ساعة ولم يصل أحد منا الى صاحبه وخفت أن يقضى النهار فى غيرفائدة فقالت الاميرة فأى مكان كان يابنى فاشار بيده الى وسطالعجاج فحركت الاميرة رأسها وقالت والله ماهذا مكان الملوك وماهو إلا مكان الصناديد ولعمرى ماولى الروم مثل هذا البطل الغشوم والفارس الميشوم ثم انها أخرقت العجاج ولم تزل تطلبه حتى استوت الشمس فى قبة السماء وأشعلت الأكباد بنار الجوى واشتاقت الأرواح إلى شرب الماء ونظرت الأميره إلى ميمونه والدم يفج من يديها والبطارقة قد أحدقوا بها من كل مكان وهى تحامى عن نفسها وظنوا أنها الأميرة ذات الهمة ولم يبق إلاان تعمل فيها القواضب هنالك صاحت الأميرة فى تلك الكتائب أنامهزمة المواكب وحملت على الرجال بقلب أقوى من الأسد الرئبال وفرقتهم من حولها يمين وشمال ثم لاصقت ميمونة وقالت لها من أين هذا الدماء فقالت أيتها الأميرة كنت الساعة فى العجاج اذا لقيت ملك الروم بحرون وهو ينادى تارة باسمه وتارة باسم المسيح وتارة بالعربى وهو يقول يامسلمين أناوحق المسيح ملك الروم فدونكم والقتال وهو قد فتك بالأبطال وأباد الرجال فلما رأيت ذلك غرنى الطمع هنالك حملت عليه ومددت سنانى اليه حتى انقصفت الرمحين فاعتمدنا على السيفين وضربته فلم يعمل فيه السيف لاقليل ولا كثير ثم انه عطف على وضربنى فأخذتها فى الترس قطعه نصفين ولوكان فى الضربة طول حبة لكانت طيرت يدى فى الهوى بالسيف فى حدته فوصل ذبابه إلى صدرى فجرحنى فى صدرى جرحا أخاف أن يكون على قاضيا فهم فى الكلام واذا قد وصل ملابط البغال ومالك بن طوق فقالت لهم الأميرة هذه ميمونه مجروحه خذوها واخرجوها من المعمعه لانها على آخر نفس ثم قالت وأين هو الملك بحرون فقالت هاهو بالقرب منك وحرصك ان قدرتى عليه لاتقتليه لعله يكون للاسلام ركنا فوالله لقد فعل بى مافعل وقلبى يطالبنى بالاشفاق عليه ولعله يكون له فى الاسلام نصيب فسارت الأميرة ذات الهمة وقد عظم أمر الملك بحرون عندها لما تعلم من ميمونه ومن شجاعتها إلى أن توصلت الناس فنظرت إلى فارس قد غرق فى الدماء وهو كثير النشاط ومن حوله البطارقة بالجنائب وهو يدور ويزمجر والناس يهربوا من بين يديه يمين وشمال وقد قتل من الأبطال فعندها صاحت الأميرة ويلك يابحرون أنافاطمه بنت مظلوم وصاحت به الروم هذه الاسلام كله وهى التى قد شاهدت فعالها فكن منها على حذر فلم يعبأ بكلامهم بل حمل عليها وحملت عليه والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن فما شاهدت العيون ولا نظرت الناظرون أحسن من قتالهما وترى لهما فى الأخذ والرد والهزل

والجد وقد جردوا عن الساعدين وشمروا عن الزندين وقبضوا على السيفين وتصادما بالجوادين وتراشقا بالحراب حتى كلت منهما الكفين وعجت الناس من شدة هذين البطلين وحجبهما الغبار عن أعين النظار فارتفعت هنالك الضجات حتى ارتجت الفلوات وسمع الأمير عبد الوهاب ذلك فقصد إلى الصوت بالفرس خببا خشية على المسلمين أن تصاب بسبب من الاسباب واذا قد لقيه ملابط البغال وأخبره انه أخرج الملك ميمونه من وسط المعركة مجروحه وان الذي جرحها الملك بحرون وان الأميرة قد قصدت اليه وحملت عليه وهذا الصياح عليهما فلا أعلم ما كان منهما فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب قلق غاية القلق وقال والله انها فى مقام الخطر لأنها عجوز كبيرة وقد بلغت الثمانين وهى تطالب نفسها بأمر عظيم وتحمل على مثل هذا الغلام والبطل الهمام الذى مارأيت مثله فى الأنام والله أنا خائف عليها منه ثم حمل طالبها وحمل ملابط البغال خلفه إلى أن وصل الأمير إلى مقام الجولان وإذا قد جرحت الأميرة وعاتقها يفج بالدماء وهى تدافع عنها الأعداء فقال الأمير من هذا فزعت والله عليك فقالت يابنى ابشر فانى قد زودته ضربه ماأظنه ينجو منها كما قد زودنى هذه الضربه وسوف يبين لك ذلك وأما جرحى فانه سالم فلا يشغل قلبك بحال من الاحوال ثم ان الامير خرج بالاميرة حتى يشد جرحها فما هو إلا أن خرج من العجاج حتى نظر إلى رايات النصرانية قد ولت وأبطالها عن القتال قد انحلت (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك بحرون لما خرج وافترق من القتال قال للروم اعلموا إننى قد جرحتها كما جرحتنى وقد منعنى هذا الجرح عن القتال وعمودا قد أخذت فما عندكم من الرأى قالوا الهرب إلى قلعة المريخ فهى تحميك من كل من على وجه الارض فان سلمت رجعت إلى حربها وان كانت الاخرى رضى عنك المسيح فعند ذلك هرب الملك بحرون وتبعته أبطال الروم وعمل فيهم الصارم المخدوم طول النهار وغنم الناس غنيمه عظيمة ودخل المعتصم إلى عمودا ونظر إلى قصرها المشيد وفيه من النعم مالا يقطع عليه أحصى بعدد الرمل والحصى وأحضرت الجارية مرجانة أبوها بين يدى المعتصم وقالت ياأمير المؤمنين أعرض عليه السلام ولعل الله تعالى أن يهديه ببركتك وإلا فاضربه بسيف نقمتك فأقبل المعتصم عليه وقال أيها الغافل عن ربه الغارق فى ذنبه العادم لعقله عمن أوجدك ورباك فأعطاك السمع والبصر وحفظك فى منامك ويقظتك ورعاك لم لاتنزه وتمجد ربك فانه واحد أحد فرد صمد منزه عن الولد الذى خلقك فسواك وبنور قدرته نظرت عيناك وبارادته بطشت يداك وسعت قدماك وان خالفت ذلك تعجل لك فى الدنيا الهلاك وفى الآخرة تكون فى النار فى الادراك يوم عطش الكبود والفضيحة فى اليوم المشهود وكلما نضجت

لكم جلود عادت جلود فقل كلمة النجاة لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله فلما سمع صاحب عمورية ذلك من كلامه أقبل على بنته وقال ويحك لقد عمل فيك الكلام المزخرف والمحال ورجعتى عن دين آبائك والاجداد وهو مايموت إلا على دينه فلما سمعت مرجانه كلام أبيها ضربته بالحسام وإذا برأسه قد طار وقالت لم يجيء منه خير وكان المعتصم نظر إلى مرجانة وقال أعبرى الى ولا بقيتى تنزلى عند الرجال وقال للامير عبد الوهاب أنا مرادى آخذ هذه الجارية لنفسى فقال الامير نعم ياأمير المؤمنين أنا ذكرت لك أن عقبة وشومدرس ومذبحون هربوا من القسطنطونية ووصلوا الى عمورية ليدبروا على هلاك المسلمين فكنا نحن ههنا كما علمت فقبضنا عليهم فقال المعتصم قد ذكرت لى ذلك وقلت ان عقبة ههنا فانكم لصادقون فيما تقولون فقال أبو محمد يامولانا أرسل الساعة الى مرجانة وقل لها أريد الشيخ النجيح ليحضر عندى وانظر من يأتيك فقال أنت الرسول يا أبا محمد فقال لا والله يا أمير المؤمنين لايدخل الشك عليك فى متهم بذلك قال فأرسل الوزير أحمد فمضى ورجع والجارية بين يديه ومعها جماعة من البطارقة الذين أسلموا وهم يقودون القاضى عقبة بدقنه وقد تخسفت فكيه ومعطت لحيته وعارضيه وأثار الضرب عليه وقد احمرت منه رقبته فجعل المعتصم ينظر اليه ولم يعرفه حتى تكلم ورفع صوته وتنحنح وقرأ سورة الفتح الى آخرها فعرف المعتصم أنه عقبة لطيب صوته فقال له ويلك أنت الشيخ النجيح الذى تشهد بالربوبية للمسيح فقال عقبة وقد ضحك وتمثل يقول :

ولم أجن ذنبا غير صفو مودتى ... ولم أدر أن الصفو يعقبنى هجرا
وقد كنت أرجو بالخلافة اننى ... أنال به عزا وتصبح لى ذخرا
فلما استوى فى ملكه وتمهدت ... له الارض واستولى على ملكها قهرا
وعقبه تحت الذل والقيد والبلا ... وقد زادت البلوى لواحده عشرا
وأثقل بالقيد الثقيل عداوة ... وقالوا بأنى هارب أبتغى الكفرا
وسوف أنال الاجر والناس كلهم ... على الارض قد طارت قلوبهم دعرا
اذا طرقتنى فى الزمان مصيبة ... أقول لها يانفس لاتتركى الصبرا
ولا تجزعى فالخوف ليس بنافع ... ولا يملك الانسان نفعا ولا ضرا
يقول لى المولى الذى ليس مثله ... أمام ولا يحوى بحالتنا خبرا
أأنت الذى تدعى النجيح عداوة ... وتشهد أن الدين ملتجفه نكرا
ولو أن لى نجح لكنت مسلما ... من الضرب والاذلال عندهم أمرا

ولم يكفهم أنى بقيت مخالفا ... مدينة قسطنطين فى أسرهم شهرا
فرحت لفتح المسلمين لثغرها ... لاخلص من بحرون فى حبسه دهرا
ولم أدر أن القوم لايرحموننى ... ويرثوا لضعفى بل يروا قتلى فخرا
واوجد من حبس إلى هذه التى ... تسمى عمودا يهتكوا لى بها سترا

(قال الراوى) ثم بكا وتنهد وتحسر وقال يامولاى هذا كله من فعال أبو محمد البطال لأن فى قلبه لما تعرفه وتفهمه وإنه لما فتح القسطنطونية وخلصتم الاسارة فعلوا بى مافعلوا حتى نقبوا الحبس وأخذونى مع هؤلاء الكلبين مذبحون وشومدرس ومابى ماجرى على بما أسمع من كفرهم بالله ورسوله وما تمضى على وعليهم ساعة الا وهم يقولون لى قل مثلنا حتى تخلص كما خلصنا (قال الراوى) وإن المعتصم فرح بكلامه ودخل عليه التشبيه وقال لعل يكون صحيح فلما علم عقبة أنه اعتقد ذلك فقال يامولاى وحق رأسك ما اتهم الأمير عبد الوهاب لأنه لايتكلم فى حق بردى فقال الأمير لقد أبهتنى الملعون فسكت ولم أتكلم ثم ان عقبة باس الأرض وقال يامولانا عجل على بالقتل فهو أروح لى بما أنا فيه فصاح الأمير أبو محمد البطال وقال ويلك يا ملعون هذا كله مايتفق على أمير المؤمنين فنادى عقبة ياولدى لاتفعل بحق صاحب الشفاعة وأنت تدرى أنى عزمت فى هذه السنة على زيارة تربة رسول الله ﷺ فراقب الله فى أمرى ولا تعجل فان زوجتك نورى كانت مع المأسورين فى القسطنطونية وهم نساء بنى كلاب وغيرهم وقد رؤنى فى القوم فعد الى الله من قريب واطلق زوجتك بالحق فى حالى عند ذلك قال المعتصم ياأبا محمد قد حكم على نفسه ومعلوم ان نورى ماتبيع الآخرة بالدنيا وقد كانت مأسورة مع الناس فى القسطنطونية على ماسمعت أنها كانت فى قصر الملك طمعا انها ترجع إلى دين النصرانية وقد ذكر لى أنه كان معها مأسور فان شهدت له بذلك فيجب أن تعود إلى الله من قريب وإن قالت ماراأيته صلبته من ساعته فقال عقبة هذا الذى أريد فلما استقر الأمر على ذلك مضت الرسل إلى مضرب القناصة وكانت عندها فخلت اليهم وكانت بها مرض وأوقفت بين يدى المعتصم فقالت ياأمير المؤمنين لاتسمع قول هذا الجاحد الكافر الذى هولدين الإسلام خاسر فوالله ما كان عندهم الا مكر فلما سمع عقبة ذلك الكلام ضحك وقال أنظر بعينك يا أمير المؤمنين حتى تعلم أن الهوى غلب التقوى وإنما المليح انكم دعوتموها قبل أن تعلموهابى والآن فقد بطلت شهادتها لأنها صارت لى خصما وقد تكلمت فى حق قبل أن يؤذن لها فى الشهادة ثم انها حلفت بأنى كافر ومتى ماحلفت بطلت شهادتها (ياسادة) فلما سمع المعتصم ذلك قال يا أبا محمد ماتقول فقال يامولاى احضر الساعة

مذبحون وشومدرس واضربهما واسمع كلامها (ياسادة) فأحضر مذبحون وشومدرس والناس قداجتمعوا ينظرون الى مذبحون ويقولون والله كانه أبو محمد فنظرت اليه نورى وصاحت ووقعت مغشى عليهـــا فلما أفاقت قالت يا أبا محمد وحق من هدانى إلى دين الإسلام وعرفنى الحلال من الحرام هذا مذبحون ولدى فاكشف عن حاله فان لى فيه ثلاث علامات الساعة فبان بعضها فبهتت الناس لقولها وأبو محمد قد رجف قلبه وقال لها ماعلامتك فقالت سوف تبين (قال الراوى) وكان هذا مذبحون ولد الأمير أبو محمد البطال وحديثه عجيب وقد ذكرنا أن نورى أسرت الى جزيرة قراقونا وإنه لما أعرض عليها التنصر وامتنعت أمر بذبح ولدها فأخذوه الغلمان من يدها ونزلوا به الى ساحل البحر فنظرت اليه جارية من بنات البطارقه من أرباب الأموال وأصحاب الأحوال وهو يضحك ولايدرى مايراد به وقد مد يده فى تلك الساعة نحوها فألقى الله له الرحمة فى قلبها فنادت على الغلمان بالرومى لم تقتلوا هذا الطفل المليح الصورة فقالوا لها هذا ابن واحدة من هؤلاء المسلمات المأسورات وقد أمرنا الملك بذلك فقالت الجارية هل لكم أن تبيعونى إياه على أن أعطى كل واحد منكم مائة دينار وعشر ثياب من الديباج وقولوا للملك قد ذبحناه وفى البحر قد أرميناه وخضبوا سكاكينكم بالدم فقال الخادم لأصحابه وقد رحم الصغير لما يريد الله تعالى من حياته افعلوا بنا هذا ولا تقتلوا الطفل الصغير ثم أخذوا المال وأعطوها الصغير وصعد الخادم الى الملك وسكينته تقطر دما وقـــد لونها بالدم وقال هاقد قتلته كما رسم الملك أدام المسيح لدولته وأخذت الجارية الصغير وربته ولمـا دخل الأمير عبد الوهاب الى الجزيرة فى ذلك الأسطول وملك الجزيرة وهربوا أهلها أخذت المرأة ولد الأمير أبو محمد وهربت فى جملة الناس الى تلك الجزيرة التى كانت فيها وسمته مذبحون لأنه أشرف على الذبح فلما نشأ علمته الخط وحفظ الانجيل ولما شاع ذكره وظهر فيه من الزكاء ما ليس مثله إلى أن ملك الملك بحرون الجزائر وأحضروه ورأى منه ماحيره وأبهره من الرأى والعزم والسياسة فأحبه محبة عظيمة واستوزره ورفع قدره وعـــلاذكره (وعدنا إلى ما كنا فيه من الحديث) فنظرته نورى وقد كان فى أذنيه زيادة لحم مثل الحمصتين وكانت نورى قد قطعت بعضها وهو صغير فأشرف منها على الموت فلما أن رأت ذلك تركت الأخرى فلم تقطعها وكان أيضا قد وقع من يدها فانجرح صدره فانفح منه الدم فحشيته بكحل أسود وفى بطنه شامة حمرة قدر كف الانسان وفى بطن أبيه مثلها فأمر الامام أن ينظروا هذه العلامات ففتشوه فوجدوها فغاب صواب البطال من الفرح ورمى روحه على مذبحون وقال له أنت ولدى

ورب الكعبة وفرح مذبحون فى الباطن وقال قلبى يشهد بصحة ذلك القول غير ان فى الأمر شيء آخر وهو أن لى أم فى الجزائر فاحضروها فان قالت لكم انها ليست أمى التى ولدتنى علمت أن قولكم صدقا وأسلم اليكم بحرون وأكون لكم عونا على ماتريدون وان كانت هى التى ولدتنى من بطنها بطلوا مقالكم ولا تأخذون أولاد الناس بالفشار عند ذلك جهزوا عشره وأنزلوهم فى مركب وكانوا من أهل تلك الجزيره وأمرهم أن يحضروا أمه وأوصاهم أن يكتموه خوف لاتمتنع من الحضور وسارت بهم المركب وان المعتصم أمر بفك قيد مذبحون وخلع عليه وعلى الذين صدقوا بالعلامات (قال الراوى) وأما البطال فانه أقبل على نورى وقال أليس قلبى بذبحه قالت كذا ذكروا ما شهدت عيانا وربما الذى أخذه رحمه وأبقى عليه وجرى أمر من الأمور سبب سلامته لان إذا كان الاجل حصين لا يقدر أحد يؤذى أحدا لا بسيف ولا بسكين ثم قال المعتصم لمذبحون ماتعلم من حال هذا القاضى عقبة فقال يامولاى انه نصرانى فأمر الامام أن يتسلم عقبة ويحتفظ عليه إلى أن ينفض أمر بحرون اما بالقتل أو بالأسر ونعود إلى القسطنطينية يصلب على بابها ففرح البطال بذلك وقال لمذبحون بحق من يعلم السر المكنون مااسم عقبة عندكم فقال مذبحون اسمه الشيخ النجيح وهو أعلم زمانه فى دين النصرانية وأحفظهم للانجيل والروم يرجعون اليه وفيه يعتقدون فمن حنق الامام عليه أحضر عقبة قريب منه وبصق على وجهه ووبخه وذكر ماقاله مذبحون وما به وصفه (قال الراوى) فقال عقبة يامولانا من يقول عنى ذلك المقال قال مذبحون وزير بحرون قال يامولانا هـــذا قوله لا يقبل لانه كافر والكافر لا تقبل شهادته على مؤمن ومع ذلك فانه بقى لى خصيم حيث ظهر انه ابن البطال لانه يتقرب اليكم بمثل ذلك المقال ولم يزل المعون يقول مثل ذلك وكلما يقوله من الكتاب والسنة حتى ان الامام شك فى تلك الأمور وتردد فى كلام مذبحون فأمر أن يكون فى السجن على حاله وأقبل على الأمراء وقال ياقوم إن الله قد فتح لنا البلاد وأذل أهل الكفر والعناد والآن ان عدنا إلى بلاد الاسلام فلا نأمن من بحرون أن يحشد الجيوش ويأتى مرة أخرى وأنتم تعرفون همته وشجاعته بخلاف من تقدم من الملوك وقد جرحته الأميره وانهزم منها ولا نعرف أى الجهات طلب فقالت البطارقة الذين أسلموا من أهل عمودا يامولانا ان بحرون ماله ملجأ يلتجىء اليه إلا حصن منيع يقال له قلعة المريخ وهو على جبل شاهق فى الهوى بأبراج وبدنات وأصوار فى قدر مدينة وقد ذكروا الفلاسفة الذين للروم والحكماء العارفين بعلم النجوم ان كوكب المريخ يطلع عليها وبها طالعه فسميت قلعة المريخ وبها أقوام طوال مسكنهم الجبال يرمون بالسهام ولهم عيون صغار ضيقه

وبلادهم قط ماسلكها سالك الا ان يكون منهم هالك وبحرون مضى اليها لما تفرقت عنه الملوك ولم يبقى معه غير الطوائف التى خرجت معه من بلادهم وفى أهل هذه القلعه كفاية وهم قط ماأطاعوا ذلك من ملوك الروم لانهم كان بينهم وبين ملك الروم واقع وأطاعوا الملك بحرون لأنه قد قلع دولة الملك ميخائيل عدوهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك فقال لابدلى من المسير اليهم حتى يعلم اننا طلبناه وتضعف همته عما تحدث به نفسه

(قال الراوى) وكان من فضل الله ان يوم عول المعتصم على الرحيل كان مركب من الجزائر أرسله مذبحون فأتت أمه وقد ترهبت من مدة أربعة أعوام كلها اقترفت على مذبحون وما كانت تعطى القسوس حق حفظ الانجيل فلما صار وزير الملك كانت قد ترهبت ولم تطلب الدنيا وقالت لو كان ولدى قس كان أحب إلى من أن يكون ملك فلما مضت الرسل من عنده يقول لها انى قد ملكت مدينة عمودا وقد أعطانى إياها الملك بحرون وان الرهبان والنصرانية كلها يأتوا إليها من قمامه ومقام السيدة مريم والنظر اليها عباده فاذا وصل اليكى هؤلاء القوم تسيرى معهم إلى وتعيشين بعيشى وانها لما وصلت اليها الرسالة سارت معهم فى المركب حتى وصلوا الى عمودا وقد كان مذبحون يدخل اليه أبو محمد البطال ويدعوه الى دين الاسلام من حرصه عليه فيقول له مذبحون ان كنت أبى على الحقيقة فتنصر حتى تكون معى على طول الأيام فيقول له يابنى يمنعنى من ذلك الخوف من النار وأن أحشر مع الكفار فلما طال الأمر على مذبحون وبلغه إلى أين استقر الملك بحرون دخل على عقبة وشومدرس وقال لهما قد عولت على الهرب وأكون لخلاصكما سبب

(قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك فرح وقال إياك يابنى أن يغر الشيطان عقلك فتكون من أهل القرآن وتترك دين الصلبان وإنى يابنى قد حفظت القرآن وقرأت عليهم فما وجدت فيهم خير فقال مذبحون اعلم أنى ماملت إلى دينهم ولكن أدركت تأنيسهم بى ولابد لى من أخذ رأس الشيطان أبو محمد البطال وعبد الوهاب والمعتصم وأهرب وأنتم معى فقال عقبة وقد سره هذا القول وحق المسيح لو قتلت عبد الوهاب وحده وأبو محمد لم أقام المعتصم فى بلاد الروم بعدهم يوم واحد ولاسمع أن هذا أبوك وأنت الك كما ذكرت أمر فقال له مذبحون كنت أنت طيب القلب من هذا الأمر فهذا ما لا يدخل فى عقلى

(قال الراوى) وأن مذبحون خرج من عنده على أنه فى تلك الليلة يعمل على هلاك أبو محمد وإذا قد وصل الموكب إلى عمودا وطلعت أمه الراهبة وقد أمر الناس أبو محمد أن يلتقوها وخرج اليها مذبحون ودخلت الى القصر واجتمع الناس من أجل مذبحون طمعا أن يسمعون القصة وأن مذبحون أقبل على الناس وقال لهم أريد الخلوة مع والدتى

وأسألها عن قصتى لأنها ربما تكتم الأمر إذا علمت باختلاف الدين فقال الأمير أبو محمد وقد قلق يا بنى افعل ما شئت فأنا أرجو من الله تعالى الهداية لك وأن يشد عضدى بك وأن لا تخليني منك فهو معه فى الكلام إذ صاحت المرأة بأعلى صوتها لا تفرق الجماعة يا مذبحون واعلم أن لنا تدبير فلا تبرحون فقد سبق هذا فى اللوح المحفوظ وان الأمر كما يزعمون فقل ما يقولون فقد وصل إلى ذلك قبل أن يرسلون وأنا أشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك له تنزه أن يكون له صاحبة أو بنون تذل لهيبته المتكبرون وتخضع لعظم هيبته المتجبرون وأشهد أن محمدا ﷺ رسولا الى الحق فاهتدى به المهتدون فلما سمعوا الناس ذلك وقع بهم الصراخ والبكا والسماع وعجبوا من هذا الأمر وإذا بالأمير أبو محمد وقع مغشيا عليه والأمير عبد الوهاب وكل من كان حاضر وبقى مذبحون حائر وفاضت دموعه ولم يعلم كيف كانت هذه القصة ولا كيف آخرها فلما سكن الضجيج أقبل عليها مذبحون وقال دعيني من هذا الكلام المدغم والأمر المهم وحدثيني حديثا يفهم ألست والدتى أم ببعض المواضع وجدتيني وحديث إسلامك حدثيني وعن باطن كلامك أعلميني فقالت له مجاوبة اعلم أنك وإن كنت عندى أعز من الولد فانك ما أنت ولدى إلا من التربية وأعادت عليه القصه من أولها إلى آخرها كما قد تقدم ذكره ولا فائدة فى إعادته فقال لها ما السبب فى انتقالك عن دينك فقالت له أنت فقال لها وكيف ذلك فقالت اعلم أننى كان قد طال شوقى اليك لأجل غيبتى فقد سهرت عشر ليالى لا أنام الليل بل أسأل المسيح أن يجمع بينى وبينك فلما كانت الليلة الحادية عشر غلبنى النوم فنمت فرأيت فى نومى شخص أسمر اللون مليح الكون كأنه القمر فى ليلة أربعة عشر ومعه رجال عليهم الهيبه والجمال فقال يا هذا من تريدين فقلت ان يجمع المسيح بينى وبين ولدى مذبحون فقال لى ياهذا قد رجع الحق الى أهله وإنما كان عندك وديعة وقد سبق فى اللوح المحفوظ أنه يتلو القرآن ويصوم رمضان ويحج الى البيت الحرام ويكون من أهل دين الإسلام مثل أبويه وقد جئنا الى عندك من أجل شوقك اليه وحضانتك له وأنت شاهده له عند الابكار وهو سبب خلاصك من دين الكفار فقولى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الجبار وأن محمدا عبده ورسوله النبى المختار فقلت له ومن هذا الشخص الذى خصه الله برسالته فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقلت ومن هؤلاء الذين من حولك فقال ملائكة ربى وأسلمت على يديه فى المنام وقال لى غدا يأتيك الرسول من عمودا من عند مذبحون يأمرك بالمسير اليه فافعلى ذلك فسوف تحظين فى الدنيا برؤيته وفى الآخرة بالجنة لأجل تربيته فلما سمع مذبحون ذلك وقد تطاول الناس بالأعناق ورمقوه بالاحداق وقال تشهد

يامذبحون بوحدانيته فقال وقد شرح الله صدره للاسلام وهداه الى طريق الايمان أنا أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فضربت الكوسات وارتجت البوقات وفرح المعتصم وكذلك الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقالوا هذا أيشم من أبو محمد بطبقات وهم يفتحون الدنيا وما لاحد معهم كلمة ولا بد ما يصير الآخر عندنا في ملطيه ويصيرون فى قافلة كلها لصوص وتمت الافراح وتقدم الامير يانس المتعزب اليه وهناه بالاسلام فقال له أنت يا بنى الذى تسلقت الى حصنى وسلمته للملك بحرون فقال نعم طب نفسا وقر عينا فأنا أرسل معك كتاب من قبلى الى من فى الحصن حتى يخرج كل من فيه ويسلموه اليك ففرح يانس بذلك لعلمه انه مايصل الى الحصن بقتال أبدا ووصل الخبر الى عقبه فانفطرت مرارته وبكى وقال لشو مدرس هذه علامه زوال دولة النصرانيه (قال الراوى) وهنت ميمونة نورى وقالت لها مافى قلبى حسرة الا ذلك الطفل الذى أرماه قراقونا الى البحر لو كان بقى والآن فقد أيست من الاولاد واشتغلت بالجهاد فى طاعة رب العباد فقالت نورى ولعل الله أن يجعل لك فى الاولاد حظ ونصيب إن الله قريب مجيب وقد تجهز المعتصم للمسير فقال عندى رأى وهو إننى آخذ أبى وأسير الى عند الملك بحرون فقال له أبو محمد سير إن أردت حتى لاينكسر عليك لانى أخاف أن يسبق الخبر بأنك ولدى ومهجه كبدى فيعمل بحرون على هلاكنا الجميع فان أصابك أنت والعياذ بالله مكروه أكون أنا أعمل على خلاصك فقال مذبحون ماعلى من ذلك وها أنا سائر إلى قلعة المريخ وأدبر على قتل الملك إن شاء الله تعالى ثم سار ورحل المعتصم خلفه طالب قلعة المريخ وكان فى تلك القلعة ملك يقال له شادروخ وكان حوله فى تلك الجبال عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى غير انهم رجاله ليسوا خياله قد ألفوا المسير فى الجبال والصبر على الاهوال فلما وصل الملك بحرون وقص ماجرى عليه قال له وحق المسيح لايلتى الترك غيرى وأنت ولدى ومساعدى وعضدى ثم سلمه القلعة وخرج فى أربعين ألف فارس من أخيار القلعة وصاح فى تلك الرجال ياويلكم ان المسلمين قد دهمت أرضكم فادهموهم قبل أن يدهموكم وانفروا اليهم قبل أن ينفروا اليكم فاجتمع عليه أمم عظيمة وعول على المسير (قال الراوى) فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من المعتصم فانه رحل من عموريا بعد مسير مذبحون يجد فى سيره هذا وقد رحل الملك شادروخ عن القلعة رحلة خفيفة حتى أشرفت جيوش المسلمين فأخذوا الرجال أهبتهم واستعدوا بعدتهم ونزلوا من الجبال مثل الغيث المنهمر والسحاب المنحدر وأشرف عليهم المعتصم

وقد نظر الى رجال وأى رجال فى صورة السباع وعلى رؤسهم الخفاف البولاد وفى أرجلهم الطواريخ الجياد وهم أخف من الوحش وفى أيديهم المناجل التى لو ضربوا بها شجرة لقطعوها (قال الراوى) فلما نظر المعتصم الى ذلك أقبل على أرباب دولته وقال لعمرى مارأيت قط فى عمرى هذه الارض ولا أوحش من هؤلاء الرجال ولا من العدد التى فى أيديهم فقالوا يامولانا ونراهم قدموا أصحاب المناجيل ولاشك أنهم يضربوا بها قوائم الخيل فقال المعتصم هذا مالايتم واذا صدمناهم بالخيل فلا يثبتون بين أيدينا وحملت الروم من غير أن نصل مصاف مع المسلمين ولكن دقت نواقيسها وحمل الملك شادروخ فى أوائلهم فهنالك صاحوا المسلمين وكبروا الموحدين ونادوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وحمل الأمير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وظنوا المسلمين ان حملوا عليهم بالخيل تفرقوا بين أيديهم فلما حملوا المسلمين عليهم صدموهم بالتراس وصاحوا بالخيل وضربوها على وجهها ولم يزالوا يضربون قوائمها بالسيوف والمناجل فما كانت إلا ساعة حتى أرموا ثلاثة آلاف من الخيل ووقعت الناس من على ظهورها ثم هجموا الروم يريدوا نحورها فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك ترجل عن جواده وصاح فى أصحابه فترجلوا وفعلت الأميرة ذات الهمة مثل فعاله وترجلت السودان وقد قتل من الرجال خلق كثير وأشرف عسكر المعتصم على العرب وصار الناس كلهم رجاله والتقى الملك شادروخ بالأمير عبد الوهاب ونظر إلى من حوله من البطارقة بالتراس المذهبة والملك مثل الجمل الهايج فعلم أنه المقدم عليهم فحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وفى تلك الساعة خرج الأمير أبو محمد البطال من المعمعة وهو مطلع إلى أخبار مذبحون إذ لقيه بعض البطارقة الذين كانوا مع مذبحون وقال له ابشر بتسليم القلعة والقبض على الملك بحرون فى هذه الليلة فلما سمع أبو محمد ذلك فرح غاية الفرح وقال لا كلام حتى نرى مايكون من يومنا هذا ولم يزل السيف يعمل بينهم الى الظهر والامير عبد الوهاب مع الملك شادروخ فى القتال الشديد والحرب الأكيد الذى ماعليه من مزيد وقد اختلف بينهما ضربتان سبق عدو الله بالضربة فبطلها الأمير عبد الوهاب وعطف عليه بضربة عظيمة فوقعت على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ونظرت الروم الى ملكها فخنقت على المسلمين وتكاثروا عليهم ولم يزل السيف يعمل بينهم إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه ورجعت كل طائفة الى الأخرى وأضرمت النيران وتحارسوا الجيشان ورجع الأمير إلى مقامه واجتمع بالأمير أبو

محمد وقال له هل أتاك من الامير مذبحون خبر فقال نعم هذا البطريق قد ذكر ان الملك بحرون فى قلعة المريخ وعنده ألف بطريق من بطارقة القلعة و باقى عسكره كله تفرق فى هذه المغائر التى هى فى الجبال وهى مغاير وفيها سراديب واسعة وكل مغارة تسع ألف رجل وأكثر من ذلك وان البطريق قد قال لى ان القلعة ما فيها مانع ولا مدافع لأن القوم آمنون وقد أرسلنى مذبحون آخذ منكم ألف رجل يلبسون ثياب الروم ويطلبون القلعة فما يظنوكم إلا أصحاب الجبال وإذا حصلتم عنده دبر لكم على أخذه من غير قتال ومع ذلك ان يكون كل من فيها طعام السيف وما يبقى فيها أحد وان ملكتموها قد تفرقت هذه العساكر من حولكم ولا تقوم للنصرانية بعدها قائمة أبدا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك فرح وأخذ فى انتخاب الرجال حتى انتخب ألف رجل أولهم ذات الهمة وميمونة وجميع أبطال بنى كلاب المشهورين بالطعان والضراب وألبسهم زى الروم وأخذ بهم البطريق على غير تلك الطريق حتى خرج بهم من جنب عسكر الروم وأقبل عليهم وقال لهم اعلموا أنه يحدث من الأمور أمور لا أدرى ما قد جرى بعدى فقفوا مكانكم حتى آتيكم بالأخبار وأمضى الى القلعة وأعود اليكم فقالوا صدقت فى مقالك ثم انه مضى وغاب عنهم ساعة ورجع وقال يقول لكم مذبحون يجئ منكم عشرة عشرة حتى لا ينكر أمركم لأن عند باب القلعة أكثر من مائة ألف وأخاف أن ينكروا علينا فانفرد الأمير والأميرة وظالم وسيف الحنيفية وأبو محمد البطال من خوفه على ولده وتمام العشرة إلى أن وصلوا إلى باب القلعة فوجدوا عند بابها أمم كما قال لهم البطريق فقالوا والله صدق مذبحون ولو كنا جئناها بذلك الجمع لانكروا علينا ولا كان صح لنا ما نريد وشقوا الناس والبطارقة ودخلوا إلى باب القلعة فى دهاليز مظلمة وهم خائفين على نفوسهم من الاعداء فلم يشعرون إلا والارهاق فى أعناقهم وأطبق عليهم ألف رجل بهذه الصفة وأخذوا الامراء أخذا بالكف فقال الامير عبد الوهاب لابو محمد لقد أسلم ابنك اسلام مليح وحسن اسلامه فليت لا كان عرف الله نبينا ونبيه فأطرق أبو محمد خجلا من كلامه ولم يرد عليه كلام وحملوهم الى وسط الحصن ومن حولهم الرجال والسيوف فى أيديهم مجلية الى أن وصلوهم الى البيعة وطرحوهم هناك وان الامير عبد الوهاب لما طرح هناك سمع صوت أنين وبكاء حنين فمد عينه واذا بالامير مذبحون والبطارقة الذين أسلموا من مدينة عمودا ورأوا السلاسل والاغلال فى أعناقهم والقيود فى أرجلهم فقال لهم وقد علم ان الامر نفذ فيهم ويلكم كيف كانت قصتكم حتى وقعتم وأوقعتمونا فقال مذبحون ما عندى مما تقول خبر غير ان

طلعت أنا والرجال الى القلعة فوجدت أهلها كأنهم منتظرين لنا فلم أحس بروحى الا والرجال قد قبضوا على وعلى الذين معى وضربت الضرب الوجيع وكذلك أصحابى وقال الملك بحرون تعمل حيلتك على قلعتى وعملت على أنت وأبوك فى عمودا وأخبرنى بالقصة من أولها الى آخرها حتى كأنه معنا ولا أدرى من أين أصبت ولا تم هذا الامر

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك البطريق الذى أتى لهم بالرسالة واسمه قسطه وكان اسلامه نفاق فلما وصل الملك بحرون وأمن على نفسه ورأى ماهو عليه من الملك علم أنه ان سكت حتى تتم عليه الحيلة هالك وهلكت الروم فدخل على الملك فى خلوه وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وقال له خذ لنفسك الحذر والا فأنت هالك لا محالة فلما سمع الملك بحرون ذلك صلب على وجهه وقال ماعلامة ذلك قال علامته الليلة تقف الرجال الذين مع مذبحون برا القلعة ويسير فيأتى بهم فاذا نمت أنت وغلبك الكرى قتلوك فى فراشك وقتلوا كل من فى القلعة بالسيوف وملكوها وما يبقى للروم من يعتمدون عليه والملك شادروخ قد قتل فخذ لنفسك الحذر فقال الملك بحرون أنا ما أصدق على مذبحون حتى أرى ذلك عيان ثم انه صبر إلى الليل وأخرج البطريق فى الرسالة ونظر الملك بحرون إلى مذبحون خلف فى الدخول إلى دهاليز القلعة فصح عنده القول وقبض عليه وعلى الثلاثة الذين معه وضربهم الضرب الوجيع وقال لمذبحون لا أقتلك حتى يحصلوا كلهم فى القيود الثقال وأصلبك معهم على قرون هذه الجبال وتمت الحيلة على الأمراء وجعل قسطه يدعوهم عشرة بعد عشرة إلى أن حصل فى الحصن من أبطال المسلمين ألف بطل ودقت النواقيس وفرح الملك بذلك وأصبح الصباح وأشرف الملك بحرون من القلعة وجعل يقدم واحد بعد واحد ويضرب رقابهم إلى أن قتل من بنى كلاب ثلثمائة رجل ووقع البكاء فى المسلمين وعظم على المعتصم وأمر كلما وقع رأس واحد منهم إلى الأرض يبصروه ويقولون هذا رأس فلان والمعتصم يبكى وهو خائف على الأمير عبد الوهاب فلم يجد الصبر دون أن أمر الناس بالحملة فحملوا حملة رجل واحد وقد كشف المعتصم رأسه وأرخا دوايب الشرف ونادى واسلاماه وادين محمداه وتحامت أبطال المسلمين وأقيال الموحدين وحمحمت الأسود الضرائم وصبرت النسور القشاعم وقطعت الصوارم ثمار الجماجم وقطعت الاوداج والمعاصم وطار الغبار على الجماجم وعرقبت القوائم حتى عثرت الخيل برؤس الاكارم من الروم والعرب والاعاجم (قال الراوى) وكان يومهم يوم مهول ماثبت فيه غير الفحول وخارت الدما من جماجم السباع والشبول ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل الى أن أرمت المسلمين الكافرين

الى الصور وقد نظر الملك بحرون من فوق الحصن الى ماقد نزل بأهل دين النصرانية وما قد حل بهم من سيوف أهل الحنيفية وان الروم هالكين لامحاله هنالك صاح على من معه فى الحصن ووكل بالاسارى عشرة آلاف رجل وأوصاهم أن لا يغفلون عنهم ونزل ومعه من العالم الذين فى الحصن خلق كثير مثل الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر حتى امتلأ بهم الصفا والكدر والمسلمين لم يعبؤا بهم وصبروا على ضرب البتار فى طاعة الملك الجليل الجبار ورجعت المعمعة على حالها وقطعت الاشباح بنصالها هنالك صاح الملك بحرون برجاله يا ويلكم ترجلوا وعرقبوا خيولهم عندها ترجلت أصحاب بحرون وانضافوا الى عسكر الملك شادروخ وجعلوا يعرقبون الخيل فلما نظر المعتصم الى ذلك صاح على اصحابه فترجلت العرب والسودان فى طاعة الملك المنان الا ان الطوائف قد ذهبت حماتها وقد غابت كماتها ودخل المعتصم فى الروم وفتك فيهم وقتل كل بطل غشوم وقد شد بردة النبى ﷺ على منكبيه وآثار النبوه قد رفعت هيبته فهنالك قد التقى به الملك بحرون وعرف كل واحد منهما بصاحبه فقال المعتصم هذا والله ملك الكفار وأنا خليفة الابرار وسوف احمل عليه وأتوكل على الملك الجبار ويعطى الله النصر لمن يشاء وتكون هذه القاضية بيننا وبينهم ومايقوم للروم بعدها قائمة ابدا وأخلص المسلمين الذين فى يده واما أن تكون الاخرى ثم نادى يامعشر المسلمين اياكم ان تركنوا الى الدنيا الفانيه الدنيه واركنوا الى الكرامه الابديه واطلبوا الآخرة فانها خير لكم من الدنيا الدنيه وكان المعتصم قوى الهمة شريف العزم وقد تعلم فى شيبوبته الدقاف والضرب بالسيوف والاحتراز فى القتال فهو معه فى الجدال اذ صاح بحرون عليه وأطبق وحمل عليه وزعق والمعتصم من زعقته لم يقلق لأن له قلب أقوى من الحديد وهمه أقوى من الجلاميد وعملت بينهما الصوارم والاسنة اللهازم واشتد القتال ودام النزال واشتد بينهما الأهوال طول النهار ولم يزداد واحد منهما من صاحبه وافترقا عند المساء ورجعت كل طائفة الى مقامها وبات الناس على أصعب مبيت وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان الى أن برق ضياء الفجر وصاحت الروم القتال وكذلك المعتصم قال والله لابرحت عن خصمى حتى ينقطع منا الاياس فمن أراد أن يقاتل والا فليقعد ثم زحف مثل اليوم الأول ونزل بحرون الى مقامه وكان قد صعد فى تلك الليله الى قلعته من خوفه على الامراء لئلا يجرى عليهم عارض فى الحصن ثم أحضر الأمير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة والملكة ميمونه وقال لهم لو تنصرتم لاعطيتكم من الاموال والبلاد مهما أردتم فقال له الامير عبدالوهاب فلو كنت تسلم لخلصت

فى هذه الدنيا من العار وفى الآخرة من عذاب النار (قال الرواى) وأصبح الصباح وحمل بعضهم على بعض وامتلات بالقتلى وجه الارض وبليت المسلمون بما لا يطاق فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وطلبوا عمودا وقد تركوا الاموال والاثقال وظفر الملك بحرون بما لم يظفر به أحد من الرجال (قال الراوي) وكان المعتصم لما هربت الناس طلب طريق منفرده لا يعرفها لأنه كان تحته جواد سابق مليح رائق وانه صاح به فضرب الجواد بيده فى محاجر عينه وتبعه الخيل من كل جانب والرجال فى متونها مثل السلاهب ولم يزل هارب والعدو له طالب طول النهار الى وقت العصر وانقطعت عنه الخيل لسرعة جواده الا ثلاث فوارس كانوا على خيول مسومه أحدهم على فرس ابلق مليح الحدق كانه البرق اذا برق له صهيل مثل الرعد اذا خفق وكان راكبه أول من لحق بالمعتصم ونادى بالعربى يامسلم وحق المسيح مابقى لك الى النجاة سبب وأجلك قد اقترب فسلم نفسك قبل أن أسكنك رمسك وأطعنك فى ظهرك أخرج السنان من صدرك فلما سمع المعتصم كلامه ورآه قد لحقه عطف عليه ومكن من قوسه نبلة عريضة الزج قصير الخشب لها ريش زائد وضربه بها فى صدره مرقت تلمع من ظهره فتبعه الفارس الثانى وقد نظر الى البطريق الذى سقط الى الارض وما فيه طعنه ولا ضربة وماهو الا أنه قرب منه وصاح يامسلم سلم نفسك ولا تهرب فتندم فهو معه فى الكلام واذا رشقه المعتصم بسهم ثانى على هيئة السهم الأول فوقع فى لبته خرج من نقرته عجل الله بروحه الى النار وأدركه الثالث فلم يتركه المعتصم حتى رشقه بسهم ثالث فوقع الى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وانقطع عن الطلب ولم يزل سائر نهاره أجمع حتى أقبل الليل الديجوم وازدهت النجوم ونزل عن جواده فى أرض واسعه وقد انكسرت عساكره وخيله ومعاشره وعمل معه الجوع والعطش فقال كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب فانهم لما أمسا المسا وعلموا بما قد تم على أصحابهم أخذوا فى البكاء وأيسوا من الفرج وان بحرون أحضرهم وقال لهم قد كنت معول على قتلكم والآن أبيعكم نفوسكم بأن تسلموا لى عمودا وما فيها وما أقتل منكم أحد لانى أعلم انى أعود آخذكم ولا بد لى من الخروج إلى بلاد الإسلام فقالت ميمونة وحق المصطفى انه كلما تحدث ونظرت إلى وجهه يحن قلبي عليه وما كأنه عدو وعليه من ولدى الذى وقع فى البحر شبه عظيم فقال الأمير عبد الوهاب دعى عنكى قلة العقل فعندها شغل شاغل عن الأولاد وقد هلك العباد ولا أدرى مايكون منا ومن هذا الشيطان فهم فى الكلام والملك بحرون وثب قائما وقد قال له البطريق قسطه أيها

الملك خلص الشيخ النجيح والراهب شومدرس فهما فى أضيق مكان (قال الراوى) فلما سمع بحرون ذلك صاح بالبطارقة فانتضوا سيوفهم وسحبوا الأمراء وعزموا على ضرب رقابهم فصاح الامير أبو محمد لاتفعل بنا هذا أيها الملك فقال أريد عمودا والقسطنطونية والشيخ النجيح وشومدرس وإلا وحق المسيح ضربت رقابكم فقال أبو محمد فتحلف لنا بالإنجيل انك إذا تسلمت عمودا والقسطنطونية تطلق سبيلنا فقال وحق المسيح مالى طبع يميل إلى الكذب ولا أحب الغدر فاذا سلمتم إلى هذين البلدين أخرجكم إلى بلادكم وأنتم سالمين فقال الامير أبو محمد لعبد الوهاب أيها الامير اعلم أن العساكر قد ولت وماترد رؤسها إلا ملطية ولاشك فى ذلك فدعنى أنا أخرج فى عساكر الملك بحرون على أننى أسلم البلاد الى أصحابه وأنظر أين المعتصم ان كان فى عمودا أو فى القسطنطونية فاحضرهم على الرجوع وان كانوا قد تموا على حالهم فأنا أشير عليك أن نسلم البلاد اليه وتسلم أرواحنا فان كان لنا قوة تقدرنا على أخذ البلاد فقال الامير عبد الوهاب افعل ماتراه ياأبو محمد فعندها أقبل أبو محمد على الملك بحرون وقال له أنا أسير غدا فيمن تريد وأسلم البلاد اليهم كما قد رسمت الا انى قد ضمنت عنك الوفاء لهؤلاء الاسارى فقال الملك بحرون وحق المسيح ان سلمتم الى عمودا والقسطنطينية أطلقت سبيلكم فشكره أبو محمد ودعوا له بالرومى وباتوا متفكرين فى هذه النازلة وأما الملك بحرون فإنه لم ينم تلك الليلة من الفرح لانه كان فى قلبه من أخذ القسطنطونية أمر عميم وحال عظيم ففرح بعودتها ولم يصدق أنها تعود اليه ولم يصدق بالصباح أن يصبح حتى يسير أبو محمد البطال ومعه الرجال واستدعا بالبطارقة وضم اليه خمسين ألف فارس من أهل الجزائر وأصحاب عمودا وقال تسلموا بلدكم الى أن أعود اليكم وأقدم عليكم من تختارون وهؤلاء الباقين يأخذون القسطنطينية ويكونوا فيها الى أن أصل اليهم وسلم اليهم أبو محمد البطال ودفع اليه خاتم بالامان وأخذ أبو محمد كتاب الامير عبد الوهاب وكذلك الاميرة ذات الهمة بتسليم البلاد وان لا يشنع أحد عليه من جميع العباد وسار يقطع الارض سيرا رفيقا أربعة أيام واذا بغبار أشرف من بين أيديهم وقد ملأ الاقطار وحجب الشمس عن الابصار ثم انكشفت الغبرة عن دروع مغموسة بالذهب على خيول من ذوى الحسب وهى تحت رجال من ذوى النسب فلما نظر أبو محمد الى ذلك قال فى نفسه لعل ان يمن الله علينا بالفرج

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عساكر المعتصم لما ولت منهزمة ووصلت الى عمودا طلبت المعتصم ففقدوه فقالوا بأى وجه نرجع الى بلاد الإسلام وكانت قد أخذت أمراء المسلمين وعدم أمير المؤمنين وان الملكة مرجانة لما علمت ماجرى على

الناس عظم عليها وكبر لديها وقالت للبطارقة الذين كانوا أسلموا معها سدوا الضروب حتى لا يعبر أحد من المسلمين فانى قد عولت اننى آخذهم وأرجع بهم الى قتال الروم فما يسعنى القعود عن عباده (قال) وانهم كانوا قد سبقت لهم السعادة وأخرجت السيوف والسلاح وفرقت على الناس واستراحوا وذهب عنهم التعب والنصب ثم انها جلست فى خيمتها وجمعت قومها ومن كان من مقدمين الإسلام ثم انها حمدت الله وأثنيت عليه وذكرت سيدنا محمد وصلت عليه وقالت اعلموا يامن حضر ان اخوانكم المسلمين قد أسروا عند بحرون وفقدوا أمير المؤمنين وقصدتم الى الهرب والفرار فما تكون حجتكم بين يدى رب العالمين حيث خيرتم أنفسكم عنهم وولیتم فأين مروءة الرجال أين نخوة الابطال أين من يزهد فى هذه الدنيا الساحرة أين من يطلب الدار الآخرة (قال) فبكى كل من كان حاضر وقالوا أيتها الملكه مانرجع عن اخواننا وفينا روح ولا حركه فشكرتهم وتركت فى البلد ألف فارس ورحلت وعقدت على رأسها الرايات وقد ذكرنا مافيها من المروءة والشجاعة ونظرت الى ذلك المسكر الذى تحت طاعتهـــا فزادت شجاعتها حتى أشرفت على أبو محمد البطال ومن معه وكانت قدمت بين يديها جواسيس فعاد وأقبل وصول العسكر ففرحت وقدمت بين يديها مائة بطريق من الذين أسلموا معها وقالت لهم امضوا إليهم وسلموا بالرومى عليهم فان سألوكم فقولوا لهم هذه الملكه مرجانه قد سمعت ماعمل الملك بحرون بالمسلمين وبما فتح المسيح من النصر والتمكين وانها أتت تعتذر اليه وقد ضربت رقاب من كان عندها من المسلمين فلما سمعوا ذلك اطمأنوا من جانبها واركنوا لأمرها وأنفذت مرجانه خمسين ألف عنان وقدمت عليهم مدركة وأمرت العساكر يمضون فى مخارس وصفتها لهم وقالت تأتوهم من خلفهم واحملوا عليهم وأنا أحمل عليهم من قدامهم فما ينفلت منهم أحد فساروا القوم من تلك الطريق وأما البطارقة فانهم وصلوا إلى القوم وسألوهم فأخبروا بما كان فركب من الروم جماعة أعيان وكانوا القوم نزلوا فلما قربوا منهم صاحوا الله أكبر وعملت الصوارم فى القحوف والجماجم وفرشوهم على الأرض طول وعرض فولوا منهم منهزمين فلقيهم مدركة ومن معه فى وجوههم فظنوا أنه بحرون وإذابهم نادوا عليهم وأخذوهم مواسطة فيالها من ساعة قتلت فيها الروم من كل جانب ومكان وحكم الصارم اليمان فنادوا عن صوت واحد الأمان فنادوهم ألقوا السلاح ولكم الأمان فألقوا السلاح من أيديهم وفى لحظة أخذوا ثلاثة ألف أسير والباقى شربوا كاس التعتير فلما نظر البطال إلى ذلك سجد شكرا لله وظن أن المعتصم فيهم فلما أن اجتمعت مرجانة بالبطال فقالت أرجو من الله خلاص الأمراء

ولكن هكذا صرف الزمان و لقد أحسن الشاعر حيث قال

اصــــبر لها غير محتاج ولا ضجر   فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل

هل عندك خبر يا أبا محمد من أمير المؤمنين فقال لا وحق محمد سيد البشر وما أظنه إلا معكم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وما أمير المؤمنين إلا قد هلك لأنى أعلم أنه شديد النخوة فقالت الملكة مرجانه يا أبا محمد دع المقال والقيل وجد بنا فى السير (قال) وساروا يقطعون الأرض طول وعرض خوفا أن يسبق الخبر إلى بحرون فيفوتهم ماله مؤملون فلما بقى بينهم وبين قلعة المريخ يوم واحد أتاها بعض جواسيسها وأخبرها أن بحرون فى هذه الأرض وإذا بثلاث بطارقة منهزمين من المعمعه وقد أخبروه بالخبر فألوى عنانه وقد طلب الحصن ولم يكذب خبر فصعب عليها وقالت فى أى الطريق خرج فقال لها على الطريق الواضحة فقالت وحق التوحيد والقرآن ما سلكها إلا وهو خائف فزعان فهو فى كم فارس قال فى مائة فارس فانتخبت خمسة آلاف فارس وتبعته وأمرت العساكر أن يسيروا على حالهم وكانت بصيرة بتلك الأرض ولم تزل سائره وهى على وعدها صابرة من أول النهار إلى آخره وقد أشرفت على بحرون وهو نازل على الماء وخيله ترعى فجالت بينهم وبين خيلهم دهمته ولم تمهله هنالك ركب بحرون وحمل وبعض من الذين كانوا معه وعملت الصوارم فى الأبدان وتلقحت من الشجعان وما كانت إلا ساعة حتى جالت فرسان مرجانة فى بحرون وأخذوا بحرون برقبته وقد قتل سائر من من معه فقال أبو محمد البطال لمن معه من الرجال والله هذه نوبة ما كانت لنافى حساب ولا على بال هذا والملك بحرون قد نظر إلى مرجانه وقد غاب عقله من حسن جمالها وهى مثل القمر البازغ من تحت الغيوم اذا أحدقت به النجوم وأن الأمير أبو محمد دنا منه وقال له ما يخلصك منا الاخلاص الأمراء كلهم عن بكرة أبيهم وسائر المأسورين الذى عندك وولدى مذبحون والاضربت الملكة رقبتك فى هذه الساعة فلما سمع بحرون ذلك قال ارحلوا بنا حتى تصلوا إلى القلعة فاذا نظروا أهلها الى فهم يفدونى بكل أسير عندى فقال أبو محمد صدقت ثم أقامت مرجانه فى ذلك المكان حتى تواصلت عساكر المعتصم وسارت حتى وصلت إلى القلعة الموصوفة بقلعة المريخ وكان قد وصل اليهم الصياح وقد نزلت المواكب والكتائب والجيوش وأرباب الدولة فما كانت إلا ساعة حتى صار على وجه الأرض أكثر من عدد النجوم وقد تقدم عليهم ملك يقال له قفرطوس بن طاطيس وكان من الجبابرة أعنى خلق الله وأكفرهم به ومافيهم من هو على شبه جثته وخبثه ولعنته وقوته وشجاعته وهو مسموع الكلام فى قومه مطاع الأمر مقبول القول وهو يحدث نفسه بقلعة المريخ

لما كان فيها البطريق الأول فلما قتل جلس فيها مكانه الملك بحرون وكان مصمم أنه يعمل على قتله إن طال مقامه فيها ولما بلغه أن الملك بحرون أسر فرح بذلك الفرح العظيم وانطاعوا له الناس وجلس على سرير الملك وأخرج الأمراء المأسورين وعزم على ضرب رقابهم فقالوا له عقلاء قومه ووجوه عشيرته ما هذا صواب لأنك ملاقي العدو وما ندري كيف يصير الحال فلا تعجل في أمرك وانظر ما بين يديك من الحكماء من الروم قد مدحوا الصبر والمهلة وذموا العجلة فلما سمع ذلك أجابهم إلى قولهم مع أنه كان مجنون لايعرف نصيحة ولا يدبر قبيحة ونزل في ذلك الجيش العظيم لما أشرفت الملكة مرجانة ومعها جيش الرحمن وجند الملك المنان الذي لايشغله شان عن شان ولم يطل الخطب حتى أعدل الجيشان وتقابل الصفان وقد تقدم ملك الروم بين أيديهم على ماهو عليه من الهيبة وقد عقدت الرايات على رأسه والصلبان والملكة مرجانة قد تقدمت على جيش السلطان وقد رضيوا بها لما بان لها من الأفضال وقالت لهم لاتظنوا أني تقدمت عليكم أريد التقدمة بل ذلك أفديكم بروحي وأقاتل عنكم جهدي وطاقتي فان كان الفتح على يدي فهو الذي أريد وإن كانت الأخرى فرحبا بما قضاه الله وقدره فلا مفر من قضاه ولا دافعا مما أبلاه فشكروا الناس فعلها وقولها وكذلك الأمير أبو محمد دعا لها وقال ابشري أيتها الملكة بالثواب من الملك الوهاب والعافية الحسنة وجميل السلامة من الله تعالى وأما التقدمة فانني أولى الناس بها إذا ماكان جمع شملهم غيرك ولا ردهم إلى نصرة دين الله تعالى سواك وبعد ذلك فانني على نهاية من القوة والشجاعة فالله تعالى يوفقك وبالنصر يرزقك ولكن أنظرى بين يديك فهذا يوم عظيم وأى عسكر انكسر من هذين العسكرين فما تقوم له قائمة فقالت المعين هو الله وقد مضى من عمرى عشرين سنة وكنت آكل رزقه وأعبد غيره وكان مع ذلك يعطيني ولا يقطع بي فكيف وقد عرفته وما أظنه يخذلني أبدا (قال) فتعجب الأمير أبو محمد من حسن اعتقادها وقال لها ابشرى فما تنالين إلا الجنة وقد نشرت على رأسها الأعلام مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وطلبت مرجانه أن تخرج للمبارزة في ذلك اليوم فلم تقدر على ذلك لأن الخيل قد صهلت والأرض قد تزلزلت وعمل البتار وقطعت الأعمار حتى ماجت الأرض بأربابها وعدمت الأبدان رقابها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار بضياء وجاء الليل بظلماه ونادى المنادي بالانفصال وقد رجعت الطوائف عن حومة المجال وما للناس حديث غير الملكة مرجانة والملك المقدم ذكره وما صنع في يومه من القتال وإنه قد نكل

بالاقيال وصناديد الرجال ومعه أبطال لايملون من النزال وكانت الملكة مرجانة تسمع ذلك وتقول ياقوم اقصروا عن وصف هذا الكافر الفاجر فأنا أخبر الناس به لأنه قاتل عمى وكان قد طلب عمودا فكرهوه لما يعرفون من مكره وجنونه فاغلقوا الأبواب فى وجهه وأقام عليها ثلاث سنين ولم يقدر عليها لأن المكان كما علمتم حصين وان أبى كاتب الملوك فأتوا إلى هذا الملعون وسألوه وقطعوا له فى عمودا كل سنة مائة ألف دينار فرضى بذلك وانصرف إلى القلعة الشامخة وكان صاحب قلعة المريخ يداريه ويعطيه المال إلى أن كبرت وأنا وصرت أركب الخيل وأخوض الليل وبلغه ذلك عنى فارسل إلى أبى يخطبنى فأجابه خوفا وإنى كرهت ذلك لانى سمعت عنه أنه أوحش خلق الرحمن فقال لى يابنية لاسبيل إلى الامتناع من ذلك فقلت له امتنع أنت وان هوأتى ونزل اليك خرجت أنا اليه فان هو غلبنى دعه يفعل بى مايريد وإن لم يقدر على ذلك ووصلت أنا اليه فهو المراد فارسل اليه يقول له إن مرجانة قد أبت ذلك وقالت أنا أبارزه فكل من أخذ صاحبه فعل به مايريد ففرح بذلك وعول على المسير الينا فأتيتم أنتم واشتغل كل أحد بنفسه وغدا تشاهدون موقفى معه إذا خرجت اليه وأسأل الله تعالى أن ينصرنى عليه فهو كالأسد الغضبان الذى قد طمع فى الفرسان وباتت الناس على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرفت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وقد ارتفع الصياح بين العسكرين وكان هذا البطريق المقدم ذكره قد قال لأصحابه فى ليلته قد بلغنى المسيح المراد بأخذ هذه القلعة وقد سارت مرجانة الى الذى قد ملكت فؤادى ولابد لى من أخذها فى غداه غد من وسط العجاج ولو احتمى لها أهل الأرض جميعا ولكن قد نقصت قيمتها عندى لما قالت بمقال المسلمين ولا بد لى أن أعاقبها بسياط البلا وأسقيها شراب الردا (قال الراوى) ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ركب الملك بنفسه واصطفت الجيوش فى مقاماتها وضربت طبولها وبوقاتها وكانوا الناس مثل البحار المتلاطمة والجبال المتصادمة وعولوا الناس على الحمله وإذا هم بفارس قد ظهر من الروم على جواد عالى طويل العنق يسابق الرياح مثل الصباح قد أخذ من الأسد سطوته ومن النمر وقاحته فهو كما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات :

يجرى وتجرى الريح من خلفه ... فيدرك الفرصة قبل الصباح
يقتنص الغزلان فى مشيه ... ويبلغ المقصود قبل الرماح

(قال الراوى) وعلى راكبه درع قصير الاكمام ومن فوقه ثوب ديباج شغل

القسطنطونية ملكى مقصب وفى وسطه زنار ابريسم أخضر بومانتين من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وعلى رأسه بيضة مضية لاتعمل فيها السيوف المشرفيه ولا تنفد فيها الرماح الخطية ومعه قنطارية وفيها حربة أفرنجية قد سقيت بماء المنيـة وإن القوم لما عاينوا ذلك الفارس وصفته شهـدوا له بالفروسية ونادى يا كلاب العرب دونـكم وملك الموت الأحمر الذى قد سلطه المسيح على هلاك البشر فما استتم الـكلام حتى خرج اليه فارس من العرب فقتله وفارس من الترك فجندله وثالث من العجم فرجله ورابع من السودان فأباده فتأخرت الفرسان عن قتاله فلما نظر الى ذلك أشهر سيفه ونادى أنا الملك المعروف والبطل الموصوف خاطب الملكة مرجانة فارجعوا عن هذا المكان حتى اتبع آثاركم لانقطاع أعمـاركم وإن أبيتم ذلك فما يبقى منكم أحد إلا هالك فقد وصل معى من الجبل عسكر عظيم وما بين وجودكم وعدمكم الا بمقـدار ماتحمل الناس عليـكم حملة واحدة وقد تركوا الدنيا منكم خامده فلما بلغ غاية كلامه إذ خرج عليه فارس طويل جافى القطعة مليح الصورة كانه القمر ليلة أربعة عشر والجواد تحته أصفر هائل المنظر مليح المخبر يسبق البرق إذا خطر ثم انه اشتهر وإذا به الملـكة مرجانة وقد نادت برفيع صوتها ياعدو الله لقد كنت أشوق إلى لقائك من العطشان للماء الزلال ويلك أنا مرجانه ابنة صاحب عمودا فدونك والقتال وان الملك لما سمع كلامها حمل عليها وهو على غاية من الفرح ثم فتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضرابا وطعانا واستعملا سيفا وسنانا والتقيا وافترقا حتى شخصت النواظر اليهما وعجب من قتالهما الأكابر والاصاغر ولم يعرف الرابح من الخاسر وعلا الغبار حتى غاب عن الأبصار ومضى أكثر النهار وبقى من السيوف مقابضهـا وأخذا غيرها وقد جرى بينهمـا العرق وعظم القلق ورجعا إلى مقام الهياج ولم يطل الخطب حتى ضربته مرجانة بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولمـا نظروا الروم إلى ماحل بملـكهم حملوا وحملت عسا كر الاسلام وعمل الحسام ونثرت الجماجم والأجسام إلى أن أقبل الظلام وقد تأخرت الروم بالخيل مما حل بهم من الوبل ثم انهم طلعوا إلى قلعتهم وقالوا مالنا الا نرسل اليهم ونفاديهم بالملك بحرون واستقر الحال على ذلك فلما أن أصبح الصبـاح جاءت الرسل من الروم فى طلب الفداء واتفق الحال على خلاص المأسورين عن بكرة أبيهم بالملك بحرون ومن معه فأجابوهم إلى ذلك وأقام الملك بحرون عند المسلمين إلى أن وصلت الأمراء الى العسكر وأطلقوا الملك بعد أن حلفوه اربعين يمين أن ماعنده خبر من المعتصم فحلف لهم بذلك فصدقوه وأن الأمير عبـد الوهاب وغيره أخـذوا

فى السؤال عن الأمير المعتصم فقيل لهم قد عدم من الوقعة الاولى وما عندنا منه خبر فعظم ذلك على الأمير عبدالوهاب وكبر لديه وقال ماهذه إلاشناعة على المسلمين بأن يعدم أمير المؤمنين ياأبا محمد أريد أن تأخذ غلمانك ومن شئت واذهب فى طلبه حتى أنفصل أنا من هذه الملعة والروم والملك بحرون وما نعود إن شاء الله تعالى إلا وقد فرغنا من أمرهم ثم ان أبو محمد أخذ غلمانه وسار فى طلب المعتصم ورجع بحرون إلى قلعته واجتمع بأرباب دولته وقال لهم وحق المسيح مادام انى قد خلصت فما أبالى بعدها بمن هلك من ملوك الروم لأننى إذا هلكت أنا هلك دين النصرانية واذا كنت أنا سالم فسوف ترون مايكون منى ومن هذا العسكر إذا نزلت اليهم فى غداة غد وإنما الجيوش بالسلطان والملوك بالأقران وكذلك الأمير عبد الوهاب قال لأصحابه غداة غد ان شاء الله تعالى يكون الانفصال إلى نزول الملك بحرون إلى القتال فقالت الملكة مرجانة ماأقول انه ينزل الى القتال بعد ماقد جرى عليه من الأهوال فقال الأمير عبد الوهاب والله انه مايقعد لأنه فارس لا يطاق علقم مر المذاق وإنى لاعجب كيف وصلتم أنتم اليه فقالوا أيها الأمير كان فى الصيد والقنص فى ثلاثة آلاف وكنا نحن فى ثلاثين ألف فارس مكمنين وعشرين ألف ظاهرين وأقام بقتالنا كلنا الى ان قبضناه قبضا بالكف بعد ماقتلنا جواده وأفنى من الناس جماعة حتى قدرنا عليه (قال الراوى) وبات الامير عبد الوهاب الى أن برق ضياء الفجر ونزل الملك بحرون فى عساكره وقد أرسل إلى سائر الجهات يحضر العساكر ويقول مابقى المسلمين الا هذه النوبة فلا يتخلف من يقول كرياليسون والا وحق المسيح أغزو من تخلف عنى كما أغزو المسلمين ثم أرسل إلى الامير يطلب الامهال عن القتال عشرة أيام فأجابه الامير إلى ذلك لانه قد جرى على أصحابه ضعف من الاسر والجوع والعقوبة فأراد أيضا المهلة حتى يقوى هو وجماعته وتمهلوا مدة عشرة أيام وقد أقبلت الدنيا من سائر الجهات من خوفهم من بحرون ورغبتهم فى دين النصرانية حتى صار الملك فى عالم عظيم فلما علم الامير عبد الوهاب بذلك ندم ثم توكل على الله تعالى وقد عزم على القتال فى غداة غد ويعطى الله النصر لمن يشاء وقد نادى فى الناس بأن يأخذون الأهبة للقتال ولما أن اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وارتفع الصياح وجردت الصفاح ومدت الرماح وامتلات بالخلائق البطاح ودنت الكباش من النطاح وتصادم العسكران طول النهار حتى ذهب الضياء وأقبلت الظلماء وتحارس الناس إلى اليوم الثانى والثالث وبقى القتال كذلك خمسة عشر يوما هذا وعساكر الروم كل يوم متواصله والأمير عبدالوهاب فى غاية من الغم لأجل غيبة المعتصم وما طلع له خبر فلما كان فى اليوم السادس عشر حملت

الأبطال على الأبطال وحملت الأميرة ذات الهمة على صاحب العلم والصليب الأكبر فطعنته
فى صدره أطلعت الرمح يلمع من ظهره وحملت على الملك بحرون وحملت ميمونة ومرجانه
والأمراء المعروفين والأبطال الموصوفين وما كانت إلا ساعة حتى ولت عساكر الملك
منهزمة ثم ان الأميرة ذات الهمة طعنت الملك بحرون لجاءت الطعنة تحتانية لجاءت فى الحصان
قتلته ووثب الملك بحرون كانه مجنون ودخل فى جملة العسكر فترجلت الاميرة خلفه وهو
منهزم وتبعته وكل إنسان قد اشتغل بما هو فيه وقد صارت الارض مثل الارجوان
وتفرقت الروم على وجوهها فلم يجتمع منها اثنان ولم يخلص الا من كان جواده سابق
وطلبت للقلعة أقوام يتحصنون فيها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل إلى
الليل ورجع الامير عبدالوهاب إلى مقامه وقد فتح الله النصر عليه وقرت عينه بالظفر على
الاعداء وغنموا المسلمين من الاموال والاثقال والاوانى ما لا يعد ولا يحصى ولما أستقر
الامير فى موضعه سأل عن الاميرة فقالوا أيها الامير عهدنا بها وقد حملت على الملك
بحرون وقد أطبقت عليهم البطارقة وغاصت فيهم وماعلمنا منها بعد ذلك إلا أن الاميرة
ميمونة تتبعت أثرها فقال الامير عبد الوهاب اسألوا الاميرة ميمونة عنها لعل أن يكون
معها منها خبر فتفقدوا ميمونة فلم يجدوها فعظم ذلك على الامير عبد الوهاب وقال كلمة
لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم بات الامير وهو بأعظم قلق وأشد
حرق الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك نادى فى الناس بالصعود الى
الجبل والقلعة وعول على حصارها وكان قد صعد الى القلعة خلق كثير والمكان حصين
لا تصل اليه الطيور الطائرة وقد رفعوا الروم القرادات والمناجيق والحجارة والصخور
الكبار وقلب الامير عبد الوهاب على مقالى النار لا يعلم ما كان من أمر الاميرتين وزحف
الامير الى الحصن يطلب قتاله فاخذته الاحجار من سائر النواحى وقتل من المسلمين خلق
كثير وأقام على ذلك ثلاثة أيام ولم يسمع للاميرتين خبر وهو يظنهم أسارى فهو كذلك
واذا بمنادى ينادى من أعلى الحصن يا معشر المسلمين لا تطيلوا الخطب فلو أقمتم على هذه
القلعة الحصينة أعمار النسور أو الى يوم النشور ماقدرتم عليها ولا اهتديتم الى الوصول
اليها ولو أمدكم الملوك بامداد عساكرها من جميع الممالك لان القلعة حصينة ممنوعة عن
الطالبين كما تشاهدون ونحن عليكم فى كل يوم رابحون ولكن ان كان معكم الملك بحرون
أسير لكم علينا فى فدائه المال الكثير وان كان تركتوه فى ميدان الحرب قتيل من جملة
القتلا الذين على وجه الارض جديل فما لكم غير الرحيل (قال الراوى) فبينما الامير
عبدالوهاب مع أهل تلك القلعة فى ذلك الخطاب اذ أقبل عليه غلام مليح الهندام فتميزه

الامير عبد الوهاب فوجده بطريق كانه نار الحريق مليح الشمائل ظريف الخصائل وللشجاعة عليه آثار ودلائل على جواد أصيل النسب ديال الذنب وعليه عدة كاملة وزردية سابله فلما مثل بين يدى الامير عبد الوهاب كلمه بأحسن الكلام والخطاب وقال له أيها الامير ابشر ببلوغ المنى والقصد والهنى وزوال الشر والغنى فانى بشير الاحباب ومبشر بقدوم الغياب ففرح الامير عبد الوهاب بذلك الكلام وقال هات ما عندك من البشارة أيها الغلام فقال اعلم أيها الامير ان معى ثلاث بشارات تدخل على قلبك الافراح بدوام المسرات أحدها بشارة الاميرة ذات الهمة والدتك والثانية بشارة الملكة ميمونة زوجتك والثالثة معرفة الملك بحرون ولدك وحشاشة كبدك فلما سمع الامير عبد الوهاب من البطريق ذلك الخطاب سجد شكراً للملك العلام وقد حار فكره فى سماع تلك الامور والاحكام (قال الراوى) لهذا الكلام وكان السبب فى قدوم ذلك البطريق بالاخبار وهو بطرون غلام الملك بحرون وبشارته بما تقر به العيون وهو أنه لما خرج الملك بحرون من المعمعة وتبعته الاميرة ذات الهمة مسرعة وكان جواده سابق والبرق لاحق ولما نظرت الاميرة الى ذلك تبعته لانها علمت أنها ان ظفرت به كان السبب فى انكشاف أخبار أمير المؤمنين المعتصم وقد رأتها الاميرة ميمونة فتبعتها فزعا على الامـــيرة ذات الهمة أن ينفرد بها الملك بحرون لان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ولم يتبع الملك بحرون غير هذا الغلام بطرون على جواد سابق ولم تزل الاميرة تطردهم فى غير طريق فى يوم كامل وكان الجواد الذى تحت بحرون كريم النسب ذيال الذنب من أنجر خيول العرب كلما جرى زاد نشاط وكذلك كان جواد الملكة ميمونة وكذلك البطريق بطرون ولم يزالوا كذلك يومهم وليلتهم أجمع وما فيهم إلا من هو جاهل بذلك البر فأصبحوا فى أرض وعره مقفرة معطشة مدهشة قليلة المنفوع كثيرة اليربوع عادمة الماء الجن فى فلواتها تبج والوحوش فى عرصاتها تهج وقد وقعت الخيل من التعب طول الليل وأيقنوا الركاب بالويل ثم ان الاميرة صاحت بجوادها فوقع الأرض فطلبت بحرون راجلة وقد ترجل هو أيضا وطلبت ميمونة البطريق بطرون وقد ترجلوا أيضا واشتد القتال بينهم وان الاميرة ذات الهمة رفعت رأسها إلى السماء وقالت يامن أحاط علمه بكل شيء إلا نظرت الساعة إلى ضعفى وظفرتنى بعدوى انك على ماتشاء قدير (قال الراوى) وتضاربت هى وإياه بالسيف حتى لم يبق فى ايديهما غير القبضتين وتقابضا وتعاركا إلى أن ذهب بعض النهار وقد عمل منهما الانبهار فوقعت كلاهما على الأرض من التعب وان الاميرة كانت أسرع وثبة منه فصارت على صدره ومكنت الخنجر من نحره وقالت أدركتا فك فهى معه

فى الـكلام وإذا قدأقبلت ميمونة اليها وهى قد أدارت بطرون كتافا وان الأميرة قالت لميمونة نحن على ماتريه من العطش والخيل قد وقعت من الدهش ومالنا إلا نأخذ رؤسهم ثم همت الأميرة ان تقطع رأس بحرون فنظرت ميمونة اليه وهو متوشح بتعويذ فى غلاف نحاس لطيف وزنه مثقال عليه أسطر مكتوبة وكانت ميمونة لما ان وضعت بحرون فى بلاد الروم وهى فى الاسر عند قراقونا أخذت ذلك التعويذ من عضوها وعلقته عليه لاجل الجن وقالت تعود بركة هذا التعويذ عليه فلما نظرت اليه صاحت بالاميرة ذات الهمة أيتها الاميرة هذا التعويذ الذى كان طول عمرى فى ساعدى واسمى عليه مكتوب فقالت له الاميرة يابحرون من أين لك هذا التعويذ فقال هذا قديم عندى وهو من أمى وهو مبارك يقولون ان عليه اسم المسيح واى من لسع وعلق عليه هذا يبرأ من ساعته ثم ان بحرون بكى وقال وحق المسيح ماقلت ان هذا يتم على وهو معى لان أمى كانت تحدثنى قبل موتها بأنى وقعت وأنا صغير فى البحر وما سلمت إلا به ولهذا سمونى بحرون دون اسم البطارقة وقالت لانك وقعت فى البحر فسميتك بحرون (قال الراوى) وكان هذا الولد من الملكة ميمونة والسبب فى سلامته انه لما أخذه الملك قراقونا ورماه فى البحر وهو مشدود القماط فوقع على ظهر البحر فدفعه الموج إلى الساحل وهو شاخص ببصره إلى السماء إلى أن أرماه الموج إلى جزيرة أباه الذى رباه فأخذه الملك ورباه على ذلك الكلام الذى شرحناه والخبر الذى ذكرناه إلى ان شاع أمره وعلا ذكره وملك الجزائر وكانوا الروم يقولون ماسلم هذا من البحر إلا بهذا الكتاب الذى معه وكانوا يستعيروه لكل مرض عظيم ويشفى به كل سقيم وان الملكة ميمونة لما سمعت ذلك قالت وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب ان كان هذا إلا ولدى لأن اللون لونى وهذا التعويذ الذى كان لى ظهر عليه واسمه بحرون لأنهم وجدوه فى البحر فلعل الله تعالى قد سلمه حتى يكون منه هذا الامر لان الله تعالى يفعل فى خلقه مايشاء ويحكم مايريد فلما سمعت ذات الهمة ذلك من كلامها قالت والله العظيم ان قلبى تحن عليه وفيه مشابهة من الامير عبدالوهاب ثم انها أقبلت على بحرون وقد نزلت عن صدره وقالت أيها الملك أتدرى ماتقول هذه الملكة قال لا وحق المسيح فما الذى تقول فقالت هى تزعم انك ولدها وان هذا الكتاب الذى معك كان فى ساعدها واعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وان اسمها عليه مكتوب وانهم سموك بحرون انما سموك بهذا الاسم لاجل انهم وجدوك فى البحر (قال) ومن أين وصلت هذه الى البحر فقالت كانت أسيره فى جزيرة قراقونا لانك أنت ماتعرفه لانه قتل بعد ماربَاك فى البحر وما يخلو أنك سمعت به فقال بحرون هذا دليل على انى ابنها مع مانى قد رأيت لونى من دون

أولاد الروم لانني اسمر غميق السمرة وهذا الكتاب فى هذا النحاس مكتوب ايش فيه لانى وحق المسيح لا أنا ولا أحد من الروم الا وقد رأينا فيه البركة وقد قالوا الا تفتحوه تذهب بركته وبركة المسيح منه لانه قد ختم عليه فلما سمعت الاميرة ميمونة ذلك وقد تحدث معها بالرومى فقالت صدقت والله يا ولدى مكتوب فيه كلام بالزنجى وفيه صورة سوداء على صورة التابع فلما نظرت الاميرة ذات الهمة الى ذلك تعجبت فقالت ميمونة وحق من خلق الانسان من طين وجعله من سلالة من ماء مهين هذا ولدى بحرون والذى جمع بين نورى ومذبحون جمع بينى وبين بحرون وان هذا حديث أحب شىء يكون ولا بد مما يتحدثون به الناس جيلا بعد جيل فقالت الأميرة بالرومى لبحرون أتفهم ما تقول هذه فقال لا وحق المسيح قالت انها تقول انك ولدها وبهذه التعويذة عرفتك وقالت ان اسمها فيها مكتوب ولما وجدوك فى البحر سموك بحرون فقال ومن أين وصلت هذه إلى ذلك المكان فأعادت عليه القصة فقال ما يبعد ان أكون ولدها لأن لونى كلونها لكن ما فى هذه النحاسة مكتوب لأنى وحق المسيح عمرى ما فتحتها ولا مكنت أحدا من فتحها (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك قالت ان فيها مكتوب كلاما بالزنجى وفيها صورة سوداء على صورة التابع فافتحها تنظرها واسمى مكتوب فيها فأخذ بحرون النحاسة وكسرها فوجد امارتها صحيحة واشارتها حقيقة هذا وبطرون غلامه أسير ميمونة يسمع كلامهم بأذنه ويشاهد ببصره فقال له أيها الملك كلما قالوه صحيح واعلم أيها الملك ان أباك الذى رباك كان مقدما وكنا معه فى بعض الأيام على جانب البحر إذ قذفك الموج الينا فأخذك وسماك بحرون وقد وجدناك فى جزيرة الملك قراقونا ولقد صدقوا فيما نطقوا وهذه التعويذة كانت معك وحفظتها لك أمك التى ربتك الى ان صارت تعلقها عليك فقال الملك بحرون وحق المسيح ما كنت أظن الا ان ميمونة رجلا شجاعا ولقد لاقيتها فى الحرب وقاسيت منها كل أمر صعب وما علمت انها امرأة الا فى هذه الساعة لكن من هو أبى الذى يتصل به حسبى ونسبى فقالوا له أبوك الأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب وان هذه الأميرة الذى أسرتك هى جدتك أم أبيك فقال بحرون وحق المسيح انه أصل كريم لا فيه ريبة ولا عار ولا دناءة ولا شنار ولقد صح هذا عندى وقد عرفت ان أبى كريم الحسب عظيم النسب لكن كيف أفارق دين عرفته من صغرى وألفته من كبرى اتركه وأرجع الى دين ما عهدته لكن أكون عندكم على دينى الى أن يشرح الله صدرى للاسلام وربما أميل اليه باختيارى (قال) فأطلقته الاميرة وجعلت تقبله وكذلك ميمونة والدته وقد أعادوا عليه قصة مذبحون وزيره من أولها الى آخرها ثم بعد ذلك قالت

الأميرة اركبوا بنا لعل نجد ماء نشربه ونسق خيولنا لأنها صارت قتلى فساروا قليل فوجدوا أرض خضره نضرة فيها مراعي وكلا وماء حلو بارد فنزلوا عليها وشربوا وأسقوا خيولهم وسرحوها ترعى إلى ان عوفيت وصار لها قدرة على المسير وركبوا وجدوا فى سيرهم فى طرق يعرفها بحرون وما زالوا حتى قربوا من قلعة المريخ فأرسل الملك بحرون غلامه بطرون وأمره ان يمضى إلى أبيه ويبشره بتلك البشارة ويأتى بزاد يقتاتون به وماء يشربونه وخيل يركبونها (قال الراوى) فسار بطرون وأشرف عليهم كما قدمنا وبشر الأمير كما وصفنا فركب الأمير عبد الوهاب فى مائة من الفرسان وأخذ معه الزاد والماء والخيول والجنائب وما زال سائر إلى أن التقى بهم وترجل الأمير ودنا من الملك بحرون وجعل يضمه إلى صدره وقد أعادت عليه الأميرة سبب المعرفة والتعويذة وقصتها وما لفظ به بطرون فزال الشك باليقين وانسروا بذلك المسلمين وساروا إلى أن وصلوا إلى عسكر الموحدين ونزل بحرون فى سرادق أباه وعنده اخوته ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وقد شاع ذلك فى العسكر وتعجبوا وأمنوا من شر بحرون

(قال الراوى) ثم ان بحرون أقبل على أبيه وقال له على بمذبحون فقال الأمير ماهو حاضر وأعاد عليه خبر فقد المعتصم أمير المؤمنين وانه خرج هو وأبيه فى طلبه فقال بحرون وحق المسيح مامعى منه خبر وماهو عنـــد الروم يعيقكم عن طلبه فقالوا له حتى تخلصنا من حربك وتفللت عنا عسكرك ونحن نرجو من الله أخذ هذه القلعة وبعد ذلك نسير ونطلب الخليفة أينما كان فان كان حيا خلصناه وان كانت الأخرى فله الأمر من قبل ومن بعد فقال بحرون اما القلعة فمالكم إليها وصول ولو قعدتم عليها سنين ماقدرتم على أخذها إلا أن يكون من داخلها ولا بد ما أعمل عملا أتقرب به إلى قلوبكم وهو انكم لا تتعرضوا إلى فى دينى فقال الأمير يابنى الذى نجاك من الغرق يهديك إلى الإسلام وأما أنا فلا أتعرض لك ولا أوذيك فقال بحرون افسحوا لى ودعونى أعمل عمل آخذ به القلعة قريب قال الأمير ماتريد أن تفعل قال أمضى إلى تحت القلعة وأقول لهم انى كنت مأسور وهربت وإذا فتحوا لى القلعة وصعدت عنـــدهم آمرهم فى غداة غد يخرجون للقتال والحرب والنزال وان بقى عندى ألف أو أكثر أفنيهم بالحسام وأسلم اليكم القلعة من غير قتال ولا كلام (قال الراوى) فلما سمع الامـــير قال له افعل ماتريد فقالت له ميمونة يابنى انى أخاف أن يكون هذا منك مكر وخداع حتى تنجو من بين أيدينا وتبلينا بالفراق بعد التلاق واعلم ان كان يعسر عليك مفارقة ملكك فعند أبيك أضعافه إذا وصلت إلى بلاده فحلف لها ان ذلك على الحقيقة وانه يرجع اليها ولا يفارقها ثم انه

أخذ غلامه بطرون معه وسار فى ظلام الليل وخرج من العسكر الى أن وصل تحت القلعه فصاحوا به الحرس لما أن رأوه فأعطاهم اشارته فعرفوه وفتحوا له الباب ونزلوا له بالمشاعل والفوانيس ولا قوه وبعد ذلك أدخلوه وغلقوا الباب ولما أن أصبح الله بالصباح أقبل بحرون على العساكر وقال لهم كل محصور مقهور ومن الرأى أن تجعلوا هذا اليوم يوم الانفصال وتخرجون جميعا إلى القتال ولا يتأخر منكم أحد عن حرب المسلمين ولعلهم إذا شاهدوكم ينقطع طمعهم منكم ويرجعون عنكم لانى كنت أسير عند أميرهم وقتلته وهربت ومابقى لهم بعده مقدم (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك امتثلوا أمره وخرجوا للحرب عن بكرة أبيهم ولم يبق الا الملك بحرون من فوق الصور وعنده جماعة من خواصه وهم مائة بطريق وقد أغلق الباب وقد كان قال لهم بالليل ان الروم يريدون أن يخرجونى من القلعة ويقيمون فيها فزعا من الاعداء وقد عولت أن آخذها منهم حتى أعمر المراكب وأرجع فيها إلى بلادى فقالوا نعم مارأيت أيها الملك فلما خرجوا وغلق الباب وصعد بحرون من فوق الصور ونادى برفيع من صوته ياأهل النصرانيه ان بحرون قد قتل وعلى الأرض قد جندل وان عبد الوهاب أخذ القلعة من غير شك ولا ارتياب فاقطعوا مطامعكم واطلبوا أماكنكم (قال الراوى) فلما سمعوا الروم إلى ذلك النداء صلبوا على وجوههم وحملت المسلمين عليهم فمزقوهم ولم يثبتوا بين أيديهم وولوا الادبار منهزمين والمسلمين فى أقفيتهم عمالين فقتل منهم خلق كثير لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل الحصى ورجع الامير عنهم لما كسرهم وأبعدوهم وأسروا منهم جماعة كثيره ورجعوا إلى القلعة وهم بين الرجا والخوف من بحرون ولما أن صاروا تحت القلعة ووقفوا عند الباب وإذا ببحرون نزل اليهم وفتح لهم الباب ودخل الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وقد فرحوا المسلمين وسألوا الله تعالى أن يهدى بحرون للاسلام ووجدوا فى تلك القلعة أموالا تعجز عن حصرها الاقلام وعن وزنها القبان (قال الراوى) وباتوا تلك الليلة فى أحسن مبيت مما حصل عندهم من السرور ثم ان الامير أقبل على الامراء والاميره ذات الهمه وقال لهم قد أبطا علينا خبر الامير أبو محمد البطال وانى ارجو من الله تعالى أن يطلعه على خبر أمير المؤمنين ويفرج عن المسلمين (قال الراوى) فبينماهم كذلك واذ بلؤلؤ دخل عليهم وهو مجروح فلما نظره الأمير حار وقد اندهش وقال يالؤلؤ ماوراءك قال اعلم يامولاى اننا لما سرنا من عندكم فى طلب أمير المؤمنين وقعنا فى جبال شاهقة وبرارى شاسعة كثيرة العوسج فجعلنا نسير فيها الليل والنهار ونقتفى الآثار حتى وقعنا على أثر جواد منفرد فقال مولاى هذا على أثر جواد ضائع أوهارب ولاشك

انه أثر جواد أمير المؤمنين فسرنا نتبع أثره عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر وصلنا إلى أرض كثيرة النبات طيبة الجنبات عزيزة الانهار كثيرة الاثمار فتعجبنا من كثرة ثمارها وعذوبة ماءها وحسن هواها فبينما نحن كذلك اذلاح لنا فارس راكب على جواد أحمر كانه العقيق وهو على ظهره كانه الفتيق وهو غايص فى حلق الحديد كانه شعلة حريق والجواد الذى تحته قد أخذ من الرياح هبتها ومن السباع وثبتها ومن الرعود صهلتها ومن الثعالب روغتها ومن الثورة وقاحتها ونهرتها والفارس على ظهره كانه البرج المشيد ولما ان قرب منا صاح علينا وقال من أين أتيتم ومن أنتم فقال مولاى نحن ناس عابرين سبيل ونطوف الأرض نطلب عباد المسيح من الرهبان فى خراب الأرض وعمرانها ونلتمس بركاتها ونسعد بقربها نطلب بذل الثواب من السيد المسيح فلما سمع ذلك الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا أبى محمد أوقعك المسيح فى يدى ولقد كنت أسأل ذلك طول عمرى فلما سمعنا ذلك فزعنا منه على نفوسنا وصار مولاى يتحجج بحجه بعد حجه فقال له دع عنك هذا المحال وما أنت إلا أبى محمد البطال لاشك فيك أبدا واعلم اننى صورتك فى أربعمائة مكان فى جميع صورك التى تدخل بها بلاد الروم ولقد خرجت إلى الثغور فى زى تجار حتى نظرتك عيان بلا انكار وهؤلاء الذين معك غلمانك إلا هذا ماعرفته وكان يعنى مذبحون فلما سمع مولاى تحقق أنه عرفه ولاشك ولايقدر يخلص منه فصاح فينا وقال ياويلكم أنتم ستة وهذا الكلب واحد فدونكم وإياه (قال الراوى) فعند ذلك ترجل عن جواده وأشهر حسامه وهو غير مكترث بنا وما طال بنا المقام حتى أسرنا كلنا وماخرج فيهم أحد الا أنا وساقنا قدامه كاننادواب ولما أن أظلم الليل وجدت الحبل متسعا فى رقبتى فاخرجت منه رأسى وقعدت بين حجرين فساروا ولم يرونى وأتيت اليكم وأخبرتكم بالقصة فلما سمع الأمير عبدالوهاب قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم قدموا للؤلؤ الطعام والشراب واخرج دهن من دهن الصين المحكوم الذى للجراح ختوم فداوى به جراحه وقد اختار الأمير مائة فارس أبطال أقيال معودين بالحرب والقتال مثل بحرون وميمونة ونورى والقناصة وذات الهمة وضيغم وقشعم ومثل هؤلاء الأبطال المشهورين من بنى كلاب وأقام ظالم نائبه على بنى كلاب وجميع العسكر واخذ لؤلؤ قدامه وساروا ودخل البريه فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من المعتصم فانه لما وقع فى البرية ودخل عليه الليل البهيم ودام الديجوم وازهرت النجوم وصاح من حواليه البوم ترادفت عليه الهموم وصار لايعرف طريقا تأويه ولامكان يحويه ولاأى الجهات تنجيه فصار يقتات هو وجواده من نبات الارض ويئسوا من الحياة خوفا لايموت جواده فيضيع فى البر كمدا ولايدرى بما ابتلا به أحدا

فأقام فى ذلك عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر خرج إلى أرض بيضاء كافورية كأنها الفضة المجلية كثيرة أشجار وأثمار وأطيار تغرد فى تسبيح الملك القهار غزيرة العيون والانهار ووصل الى بستان فدخله فوجد فيه فسقيه مفروشة بالرخام انابيبها من الذهب الاحمر والماء ينحدر وعلى جانبها سرير منصوب من العرعر مصفح بصفائح الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والجوهر وعلى ذلك السرير شيخا مليح الهيبة عظيم الشيبة كانه أسد من الاسود وقلبه أقوى من الحجر الجلمود ومن حوله حشم وخدم وهو فى جمع محتشم فحانت منه التفاته فنظر الى أمير المؤمنين المعتصم وهو على جواده وأثر الجوع والضر ظاهر عليه فصاح على غلمانه وقال وحق المسيح ان هذا مسلم قد دخل أرضنا وما هو الا من عسكر المسلمين قد انكسر وظفر بهم بحرون وهذا واحد منهم قد ضاع وأخرجته الطريق الينا فاخرجوا اليه ورجلوه عن جواده فعندها خرجوا اليه الغلمان وقد رجلوا المعتصم عن جواده وهو لايدافع عن نفسه ولا يمانع ودخلوا به على الملك وكان هذا اسمه اشتالوخ وان هذه الارض التى وصفناها تسمى ارض الخافقين وذلك انه وسطها نهر عرضه مائه ذراع وعمقه عشرين وعليه قناطر معقوده ومن كل جانب حصن ملك وكان الملك اشتالوخ ملك الحصنين وكان شملوخ فى أحدهم فلما أن قدموا المعتصم بين يدى اشتالوخ فنظر عليه ثياب الملوك وسلاحهم وجواده من الخيول الاصايل وهو بمركب من الذهب صايل فعلم أنه من الملوك الاصايل فاحضر له طعاما وأكل هو وإياه ثم انه أنفذ خلف أخيه وأحضره فقال له لما حضر فى ماذا دعوتنى فى هذه الساعة فقال له اعلم أنه قد وقع فى يدى رجل من المسلمين وأريد أنك تنظر اليه فلعل أن تكون لك به معرفة لانك دخلت الى بلاد الاسلام ونظرت ملوكهم وفرسانهم الابطال فقال على به فلما احضروه ونظر قال وحق المسيح لقد بلغت المراد أتدرى من هو الذى بين يديك ومعك أسير فقال لا فقال له هذا هو دين المسلمين المعتصم الخليفة ولقد دخلت بغداد ورأيته عيان لما أن دخلت بسبب ابو محمد البطال حتى اننى أعرفه وآخذ حذرى منه

(قال الراوى) وأما اشتالوخ فانه لما سمع الكلام فرح وابتهج وقال وحق المسيح لآخذ به كلما أخذوه المسلمين من بلاد الروم ثم انه صعد من وقته إلى قلعته ورفع المعتصم عنده فى أضيق مكان وقيده بالقيود والسلاسل والأغلال وأقام ينظر مايكون من المسلمين وبحرون وبعد أيام قلائل خرج شملوخ إلى البريد فرأى أبى محمد البطال وغلمانه فاخذهم كما ذكرنا وهرب لؤلؤ كما شرحنا وطرحهم عنده فى قصر وساروا كل يوم هذين

الآخوين يركبون فى عشرة آلاف فارس من البطارقة ويسيرون فى الجبل فى طلب من يسير اليهم من المسلمين فبينماهم يوما من بعض الأيام يسيرون كعاداتهم واذا هم بغبرة طلعت من بين أيديهم وانكشفت عن مائة فارس ليوث عوابس ووقعت العين على العين وصاح فيهم غراب البين فقال اشتالوخ لأخيه شملوخ مايبعد أن يكونوا هؤلاء من المنهزمين من عسكر المسلمين فقال لأخيه لاندرى إلا أن المسيح ساقهم رزقا لنا وغنيمة نتقرب بها للمسيح ونتمتع بمالهم ثم إن كل من الطائفتين أخذ الأهبة لنفسه فقال الأمير عبدالوهاب ما القوم إلا كثير فقال بحرون أنا والعجوز ميمونة نكفيك شرهم ولوكان معهم أمثالهم فقال له اباه شد الله بك اذرى وهداك ياولدى بجاه سيدنا محمد النبى العربى لأنك أعز أولادى على فقال له ياأبى طب نفسا وقر عينا فأنا أرجوا أن يكون ذلك فقال الأمير عبد الوهاب اللهم يارب الأرباب ويامعتق الرقاب اكشف عن قلبه الحجاب ولا تطرده عن الباب فقالت الأميرة ذات الهمة يابنى دعه فانه إذا جاء المفتاح من عند الفتاح طابت الرياح ولاتلج عليه ربما حمله اللجاج على الغدر وأقامته على الشرك والعصيان لكن ادع له سرا إن الله يهديه الى الإيمان (قال الراوى) وبعد ذلك افترقوا على هذا القدر وكل طائفة أخذت فرقة من الكفرة الطغاة الفجرة فما كانت إلا لحظة حتى جرت الدما سيول وحكم فى الروم الصارم المصقول وفتك فى الناس الملك بحرون ونثر الجماجم وجز المعاصم وميمونة قد بطحت الأقران وجندلت الفرسان إلى أن تعلقت الشمس فى قبة السماء وحميت الرمضاء وقد حل بالمسلمين البلا فقال الملك اشتالوخ لأخيه شملوخ أما ترى إلى ماقد وقعنا فيه من هؤلاء الشياطين الذين هم مع قلتهم يتكفلون بعشرة آلاف فارس وقد قتلوا منهم زهاء عن ألفين فارس من الصبح إلى نصف النهار ووقع بالروم الخذلان وهذا عار علينا وشنار فقال له أخيه دع عنك هذا الكلام فأنت فى غفلة من هؤلاء الأقوام واعلم أن هذه المائة فارس الذين تراهم بعين القلة وتحتقرهم وقدمت على قتالهم وحربهم ونزالهم قد أزالوا الرقاب وملكوا العباد وقتلوا الملوك وأسروا الغنى والصعلوك فهم أبطال العرب من بنى كلاب والسودان الأنجاب وما أرى إلا أن ترجع إلى حصنك وتتبع إلى أهل إقليمك وتجلب الرجال وتتأهب للقتال وإلا ما قدرت عليهم وإن لم تقبل منى فافعل ماتشاء فقال اشتالوخ يا أخى الرأى أن تقاتل وتناضل وتصدمهم صدمة تكون فيها فناهم وتملك أقصاهم وأدناهم فقال له يا أخى لاتخالفنى تندم وابعث الساعة إلى السواد والأقاليم يأتيك منها عالم عظيم واحدق بهؤلاء من كل جانب ومكان فإن أنت ظفرت بهم نلت المراد فقال اشتالوح هذا كلام لا أسمعه ولا أطاوعك

عليه فما أرى أن تقول عنى الملوك إننى فى عشرة آلاف فارس وليس الصواب إلا أننى أقاتل وأستنفر الناس من حول الحصتين وتأتينا الأبطال من الجهتين على الخيول العتاق وتذيق المسلمين وندوسهم بسنابك الخيل (قال الراوى) ثم انهم أرسلوا إلى سائر الجهات يستنفرون الناس وما أصبح الصباح إلا والعساكر أقبلوا وحملوا وحمل الملك ورجاله خلفه مثل الجراد المنتشر أو السيل المنحدر فعند ذلك صاح الأمير برجاله وقال يامعشر المسلمين إياكم أن تولوا مدبرين واعلموا أن الجنان قد فتحت والحور قد تزينت فجاهدوا فى سبيل الله واطلبوا مرضاته فحملوا على الكفار وحكموا فيهم الصارم البتار هذا ولؤلؤ يصيح يامولاى الذى أخذ أبو محمد البطال وغلمانه فيهم وقد رأيته بعينى معهم فقال الأمير عبد الوهاب إن أوريتنى إياه فقد فرج الله عن مولاك والأصحاب فقال له ها أنا أريك إياه هذا وقد تطايرت الرؤس وجندلت على الأرض البطارقة والقسوس ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلماته فنادى مناديهم بالانفصال وانقطع القتال وقد حل بالروم من المسلمين الوبال فقال الملك لأخيه ألم أحذرك وقد نصحتك وقلت اجمع عساكرك لأن هؤلاء القوم أبطال المسلمين وأقيال الموحدين فلم تسمع منى ولم تقبل قولى حتى بليت من هؤلاء بالبلاء ولا آمن عليك بعد هذا اليوم أن تأتيهم نجدة تحول بيننا وبين الهرب ويكون الى الهلاك سبب ومن الرأى الصائب أن ترجع الى الحصن مهاب لعل أن تسلم من المصاب وتنجو بنفسك من الأوصاب (قال الراوى) فعند ذلك سمع الملك قول أخيه ولا أبدى ولا أعاد ولا تكلم وولى وهرب تحت الظلام لعله أن يسلم وترك ثقله وأحماله وقد ألوى عنانه وسار طالب النجاة فكان كما قيل

اذا سلمت فما أبقى على أحد   من فاز بالوصل أو من بالفراق رمى

وقد جدا فى السير هو وأخيه وقد أنشد أخيه يقول

ونفسك فزبها ان صبت ضيما   وخلى الدار تنعى من بناها
لأنك واجد أرضا بأرض   ونفسك لم تجد نفسا سواها
ولا تبعث رسولك فى مهم   فما للنفس ناصحة سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى   بأنفسها تولت ما عناها

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح فوثبت المسلمين الى ظهور الخيل القداح واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالسيوف الصفاح وقد انتظروا الروم أن يركبوا الى الحرب والكفاح فلم ينظروا منهم

انسان فعلموا أنهم قد هربوا وللنجاة طلبوا فأقام الامير عبد الوهاب مكانه ولم يتبعهم وقد أنفذ ثلاثة من أصحابه يأمر الاميرظالم بالحضور هو والعساكر ويدع على حرص الحصن أبطال قلوبها حواضر وقد أقام فى الانتظار وأما المشركين فانهم لما انهزموا ورجعوا منهزمين جمعوا العساكر وتجهزوا للحرب من كان فى الرستاق حاضر وقد ضربت طبول الروم وكان يومهم يوم مهول وقد خرج فى مائة ألف مقاتل ثم انه طلب أخيه شملوخ وقال له يا أخى كن لنا طليعة على القوم وخذ معك عشرين ألف فارس من الفرسان المعروفة والأبطال الموصوفة وأصدم القوم وارجع الى بهم فى هذا اليوم فقال شملوخ سمعا وطاعة ثم انه أقبل على العساكر وصار ينتخب منها فرسانها وشجعانها الذين يعرفهم أنهم من أهل الحرب والوقائع حتى انتخب عشرين ألف بطل وكل واحد منهم عليه لامة حربه وقد اشتمل وودع أخيه وسار ولم يزل سائر حتى أشرف على المسلمين فثار غبارهم ونما فقالت الأميرة ذات الهمة يا ابنى هذا غبار قد أقبل علينا يدل على عسكر جرار ونحن هنا لأبطال الموحدين فى الانتظار ومعنا من التعب والنصب والكثرة اذا زادت تبطل عندها الفروسية واعلم أن خيولنا غالبها جرحت وأبطالها شطبت (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب كلامها وما أبدته من مرامها قال لها فماذا تشيرى به علينا فقالت من الرأى عندى أن نقصد هذا الجبل ونسند ظهورنا اليه ونبارزهم لعلنا نطاولهم إلى أن تأتى عساكرنا ويبلغنا الله ما نريد من مرادنا فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم انه ركب لوقته وأوصل إلى الجبل ثقله وجعلها فى مغائر فى الجبل من خلف ظهره هذا وقد أدركهم شملوخ بعساكر مستريحه على خيول سليمه غير جريحه فوجد الامير عبد الوهاب طلب الجبل لما أعيته الحيل ففرح الملعون وكان قدومه آخر النهار فلم يتعرض للقتال ولا لحرب ولا لنزال بقية نهاره وليلته (قال الراوى) فلما برق ضياء الفجر وطلع الصباح أدعا شملوخ ببطريق يقال له مجرس وكان مقدما على ألف بطل وامرهم ان يصعدوا من جبل الى جبل وينزلوا على المغائر التى خلف الامير عبد الوهاب من منافذها ثم تسيروا الحرب فيها ويركب هو ويدهمهم من قبالها فما يصبح الصباح الا والأرض من المسلمين خاليه (قال الراوى) وقد كانت تلك المغائر التى من خلف الامير عبد الوهاب كبار واسعة ولها منافذ من الجبل والروم تعرفها والمسلمين لا خبرة لهم بها فامتثل مجرس بما امره به واخذ القوم معه وصعد الجبل ومن منافذ المغائر عند المسلمين حصل وقد مكنوا الخناجر من الخناجر وكانت الأمراء فى تلك الساعة هجموا واقاموا على الحرس مثل الاميره ذات الهمه والملكه ميمونة وولدها بحرون وابو الهزاهز وملابط البغال

وميمون الجاس ومالك بن طول وراشد بن ضمره والاميره غمرة وابوه عطارد فبينماهم فى الحرس اذ سمعوا ضجة الروم فقالت الأميره سيروا ولا تفترقوا إلى ان تقاربوهم فان كانوا عولوا على كبسة أصحابنا رجعنا اليهم وأعلمناهم وان كانوا نيام أيقظناهم فساروا وقد أشرفوا على الروم فوجدوهم ركبوا وللمسلمين طلبوا فقالت الاميره ذات الهمه ارجعوا إلى أصحابنا فهذا الذى قد حسبناه وقد عولوا على الغدر وهموا ان يرجعوا اذ سمعوا الصياح من وراء ظهورهم والسيف يعمل فى أصحابهم وقد سمع شملوخ الصياح من فأجابهم وحمل يطلبهم فقالت الاميره ذات الهمه كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلكوا والله أصحابنا وهلكنا معهم ولكن اطلبوا بنا الجبل حتى نكشف هذا الخبر فقال بحرون ماهذا صواب فقالوا له فما يكون عندك من الرأى نختلط بهم ونمكن سيوفنا فيهم فعند ذلك حملوا عليهم وقد ضربوا بالسيوف فيهم وقطعوا رقابا وعلاصما وأوداجا وأنوف وسقوا الروم كاس الحتوف (قال الراوى) ياساده ياكرام فقتل من المسلمين عشرين وأسر واثلاثة وأربعين وألصقوا ظهورهم إلى الجبل وقاتلوا قتال الموت لما أعيتهم الحيل فسمع بحرون صوت شملوخ وهو يحرض الروم على القتال فقصده وقد تبعته أمه ميمونه فأمكنهم الله منه وقد وجدوه فحملوا عليه وضايقوه وصاح بحرون فى وجهه أدهشه ومديده إلى جلباب درعه فقبضه وجذبه أقلعه من بحر سرجه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسمع الامير عبد الوهاب صيحة بحرون ولده لما صاح فى شملوخ فعرف صياحه وقصده فوجده أخذ خصمه وهو خارج به من المعمعه فعاونه وساعده وكان الصباح قريب فلما لاح واسفر وشملوخ فقد من العسكر وهو بين الامراء أسير وقد جردت الاميره سيفها وقالت وحق من فلق الحبه وبرى النسمه وتردى بالعظمه لئن لم تأمر أصحابك يكفوا عن القتال ويرجعوا عن الحرب والنزال لآخذن رأسك وأخذ أنفاسك فلما رأى الجد منها صاح على قومه فرجعوا عن القتال وانتهوا عن النزال ونظر شملوخ إلى روحه وهو أسير حقير مع المسلمين ذليل فقال لها أيتها الاميره هل لكى ان تطلقى أصحابك وتطلقينى فقالت له وتطلق أبى محمد والمأسورين الذين عندكم والاسير الذى من قبل فقال اما ماذكرتى فليس هم فى حكمى وانماهم فى قبضة أخى شادلوخ وان قتلتونى قتل أخى أصحابكم ويفوتكم مطلوبكم فقالت له الأميرة اطلق لنا أصحابنا ونحن نطلقك ونرجو من الله الظفر بك

(قال الراوى) فعندها أرسل الى الروم فاطلقوا من عندهم من المسلمين وكذلك المسلمين أطلقوا الملك شملوخ فما هو الا أن وصل الى أصحابه فغدر وعاد الى الحرب والقتال فقاتلوهم المسلمين قتالا عظيما وكانوا قد كسبوا من الروم خيولا فركبوها وأسلحة

اعتقلوها الى أن أمسى المسا وافترقت كل طائفة عن حربها ورجعت الى مستقرها وقد عاينوا المسلمين الموت عيانا وهم لا يلوون الى الهزيمة ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح ركبوا المسلمين وطمعوا فيهم الكفرة اللئام وظنوا ان يأخذوهم بعد أن يثخنوهم بالجراح فبينما هم كذلك وإذا هم بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن عساكر اسلامية ومعهم الامير سيف الحنيفية وكان طلبه للعسكر فى عشرة آلاف فارس ولما أشرف عليهم وجد الحرب قائم فصاح وحمل وحملت أصحابه وفى دون ساعة عملت الصوارم وقطعت الارواح والعلاصم فانهزم شملوخ ومن معه من قومه فأخذ الامير المساكر وتبعهم الى أن أشرف على الحصن وسمع المعتصم السير فأيقن بالفرج وكذلك البطال ولما نزل الامير قال ياقوم أنتم تعلمون انى مقدم عليكم وأمرى فيكم نافذ فأنا أشهدكم على انى من اليوم أكون كواحد منكم والمقدم على بنى كلاب من اليوم يكون بحرون فما أنتم قائلون فقالوا أيها الامير رضينا بما تقول وقالت اخوته كذلك وكان قد قصد الامير عبد الوهاب ان يستميل قلب بحرون حتى يدخل إلى دين الاسلام ويترك دينه الا انه تعود بالمملكة وانقياد العساكر ولا يسهل به بعد أن يكون أميرا يصير مأمور عليه وكان مالكا يكون مملوكا وقد باتو على ذلك ولما طلع الصباح من شملوخ أرسل رسولا الى بحرون يقول له أيها الملك ما الذى أقدمك علينا فقال بحرون نحن مادخلنا الى أرضكم إلا لاجل من عندكم فى الاسر والاعتقال فان أراد صاحبكم رحيلنا فيسلم من عنده الينا فرجع الرسول الى عند الملك وأعلمه بما قال بحرون فغضب وأمر الناس بالحملة فحملوا على المسلمين فحملت المسلمين عليهم فما كانت إلا ساعة حتى ولت الروم الادبار وعبروا الى القلعة ونظر الامير عبد الوهاب ان ماله وصول اليها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبى محمد البطال فانه سمع حس العسكر ففرح فاخرج مبردكان معه فبرد به قيده وقيد ولده ومن معه ونقبوا المطمورة وخرجوا من جانب القصر وغطوا النقب وطلبوا الباب فلم يجدوا لهم وصول وكان فى تلك الليلة الذى نزل فيها الامير عبد الوهاب فرجع بهم الامير أبى محمد من حيث أتى وهو متحير فيما يفعل فقال مذبحون ياأبتى انزل الى العسكر وعرفهم اننا خلصنا وان أردنا ان نقطع رأس شادلوخ فعلنا وان أرادوا الصعود الينا بالحبال فعلنا وقدرنا فقال البطال ياولدى من أين لنا قدرة على النزول فقال له سوف تنظر العجب ثم أتى الى جانب السور وأخذ فى يده حجرا وانخرط به من السور فصار على الارض فتعجب أبوه من ذلك وقصد سرادق عبد الوهاب ودخل عليه ففرح به وقص

عليه القصة والتفت فنظر بحرون فقبل يده فسألهم عنه فاخبره الامير أنه ظهر ولده ففرح مذبحون وقال الحمد لله رب العالمين وقال أيها الملك بقى من تمام السعادة ان تسلم فقال الامير ماهذا وقت كلام ولكن فيما ذا أتيت فقال مذبحون ينتدب منكم عشرة رجال حتى أصعدبهم بالحبال فقال الاميرمن يكون لها فقال بحرون أنا ونهضت ميمونة والامير وأبو الهزاهز وغمرة وبرد بن الازهر ومالك بن طوق وملابط البغال وتمام العشرة فقال الإمير أنتم لها ولكن الاميرةمدبرة العسكر فاذا جرى علينا أمر تعمل على خلاصنا ويكون عوض عنها سيف الحنيفية فأجابته إلى ذلك وخرجت العشرة ومعهم الحبال وساروا إلى أن وصلوا إلى الصور الذى نزل منه مذبحون فنظر الأمير إلى ذلك المكان فقال ما يقدر يطلع من هذا الاشمهورش ملك الجان فقال مذبحون أنا أصعد منه فقال الأمير وكيف تقدرفقال سوف ترى ثم انه أخرج ذيبق كان معه ودهن يديه وأخذ طرف الحبل فى وسطه وأخرج سكين وشد وسطه وصار يغرزها بين الحجارة ويصعد عليها إلى أن وصل إلى أعلا الصور فقال الأمير عاشرنا أباه زمن الشباب فما فعل هذا ثم انه رمى الحبل فى شراريف القصر وقواه ونزل إلى الارض واجتمع بأباه فعانقته وحرك الحبل فعرف الامير فشد وسطه ورفعه ثم رفعوا الكل فقال الامير ارفعوا أصواتكم بالتكبير فقال مذبحون أيها الاميرعندى رأى فقال الامير وما هوفقال أمضى إلى شملوخ وآتيكم برأسه فقال الامير ان قدرت فافعل فمضى مذبحون وأباه معه إلى أن وصل إلى باب القصر فوجده مغلوق فقال أباه ارجع فقال مذبحون اصبر ثم تقدم الى ركن من الدار وصعد منه فأشرف على الملك فوجده جالس بين حريمه وهو يشرب الخمر حتى أخذ من الخمر كفايته ومال على فراشه وتفرقت النساء فنزل مذبحون وبرك على صدره وقتله ورجع الى أبيه وأرمى اليه رأس الملك فقال أباه الله أكبر فأجابوه الامراء بالتكبير وقد انزعج الحصن بما فيه ولم يزل السيف يعمل الى الصباح فلما رأوا الروم ذلك فقالوا لبعضهم افتحوا الباب واطلبوا النجاه ففتحوا الباب فوجدوا الاميرة وضعت فيهم السيف فولوا الادبار ودخلت الاميرة الى الحصن وبعد ذلك أرسلوا الى شادلوخ يطلبوا منه الاسير الذى عنده فأرسل يقول مهما فى أيديكم افعلوه فلما سمع الامير كلامه زحف الى حصنه ونزل عليه وكل يوم يتقاتلون فبينما هم كذلك واذا بسهم نزل عليه وفيه كتاب فاخذه بعض الابطال وأتى به الى الامير فاخذه الامير وقرأ واذا هو بخط أمير المؤمنين .

﴿ تم الجزء الثالث والاربعون ويليه الجزء الرابع والاربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الكتاب أن المعتصم لما كان فى السجن كان يستأنس بقراءة القرآن وكان الى شادلوخ بنت يقال لها مريمان وكان قصرها قريبا من المعتصم فلما أرسل الأمير يطلب المعتصم فقالت مريمان لجوارها ماهذا الأسير الذى عندنا إلا رفيع القدر وإننى أريد أنظره فقالوا لها الجوار ما نقدر على ذلك الا أن كان فى الليل فلما جاء الليل وثبت مريمان ومعها عشرة جوار وقصدت إلى السجن وأمرت السجان أن يفتح الباب ففتحه ودخلت على المعتصم فأنكر أمرها فتقدمت اليه وقالت له يامسلم بحق دينك من تكون فقال لها أنا خليفة المسلمين فقالت إذا خلصتك تأخذنى معك إلى بلادك فقال لها نعم فقالت اكتب إلى المسلمين كتاب واطلب أمرائهم واطلب البطال وأن يأتوا ليلة غد حتى أفتح لهم الباب ويملكون الحصن ففعل المعتصم ذلك وكتب الكتاب فأخذته وصبرت إلى النهار وأرمته إلى المسلمين فى سهم نشاب فاوصلوه إلى الأمير فلما قرأه الأمير فرح وصبر إلى الليل وانتخب الأبطال وقصد باب الحصن وكان ذلك من بنت الملك خديعة والسبب فى ذلك انها قصدت إلى أبيها وقالت له انى أراك فى خوف عظيم فقال لها وكيف لايكون ذلك وقد أخذوا حصن عمك وقتلوا الرجال كل ذلك لأجل الأسير الذى عندى فقالت نقطع رأسه ونرميها لهم فقال وهذا صواب فقالت فما قولك فيمن يسلم اليك أمرائهم فقال لها وكيف ذلك فقالت اعلم انى قد

عولت أن أدخل إلى هذا المسلم الماسور وأخليه أن يكتب منه الى المسلمين كتاب وتكون أنت قد أكمنت بعشرة آلاف فاذا حصلوا هؤلاء عندى يخرجوا عليهم ويقبضوهم فقال لها أبوها افعلى ذلك فدخلت على المعتصم واستكتبت الكتاب وأوصلته الى المسلمين فى السهم النشاب وجاؤا فى الليل ووقف الأمير على الباب فهذا ما كان من هؤلاء

(وأما ما كان) من الجارية مريمان فانها دخلت على المعتصم وفكت قيده وأخذت معها من الجوار أربعة وأخذت المفاتيح من البواب من تحت رأسه وهو ساكت لم يتكلم وفتحت الباب وقالت للمعتصم اخرج إلى أصحابك وأمرهم بالدخول ففرح المعتصم وخرج اليهم فلما نظروه وقبلوا الأرض فقال لهم ادخلوا فدخلوا فلما دخلوا قال الأمير لأصحابه يقف ههنا عشرة فما ندرى مايكون فهو معهم فى الكلام واذا بالمشط قد نزل عليهم فقال الامير تمت علينا الحيلة فقال المعتصم ما أظن هذا أبدا فقال الامير أنت ماتعرف مكر بنات الروم فأين هى وما واعدتك فقال عند الباب الثانى فقصدوه فرأوه مغلوق وقد صاروا بين الابواب والروم طالين عليهم من فوق الابراج والاصوار وقد عولوا أن يرموهم بالاحجار فامهلوهم الى الصباح وأما الملك بحرون ومن معه لما طال عليه المطال وأبطأ عليه خبر الامراء أقبل على أصحابه وقال وحق المسيح لقد رابنى أمرهم ان تكون حيلة قد تمت عليهم وأما أبو محمد البطال وولده فإنه كان مع المائة فقال اعلم يابنى اننا وقعنا فاعمل على خلاصنا والا ان طلع علينا النهار هلكنا فعند ذلك غطس مذبحون من بينهم وما حسوا به الا وهو من الصور قد أشرف عليهم وتقدم الى البطريق الحارس الى المشط فذبحه وتخطى فأشرف على الملك فوجده جالس على كرسى وبنته بجانبه والبطارقة حوله حتى أقبل على أرباب دولته وقال فماذا تشيرون فقالوا جماعة نتركهم بين الابواب وقالت جماعة نقتلهم فلما سمع مذبحون وهم يترددون فى ذلك فهو كذلك اذ أقبل علج من الروم ومعه مفاتيح فطرحها قدام الملك وقال له هذه مفاتيح الابواب كلها فقال الملك الى بطريق خذ هذه المفاتيح اليك حتى أطلبهم فأخذهم وصعد الى طاقة فوق الصور وقد وضعهم فيها ومذبحون يراه ونزل البطريق فنهض مذبحون وأخذ المفاتيح وفتح القفل ونزل من المكان الذى نزل منه البطريق فوجد الروم من فرحتهم مشغولين فقصد الباب وفتحه فوجد الامراء واقفين من خلفه فأرادوا أن يصيحوا فقال مذبحون لاتعجلوا لئلا يجتمعوا الروم عليكم فتقتلوا فقالوا وما نفعل فقال تقصدوا البرج الذى صعد فيه الملك وابنته فقال المعتصم لعنها الله وسلط عليها السودان فقال أبو الهزاهز يامولاى هذه الدعوى أجيبت فقال الامير عبد الوهاب

لا تقصدوا الا الملك لأننا إذا أخذناه انحلت عزائمهم وملكنا البرج الذى على الباب وإذا أردنا رفعنا المشط ودخلت الينا أصحابنا فدخل مذبحون ومعه الرجال ثم انهم ساروا وهم سكوت إلى أن بقوا قريبا من الملك وإذا به جالس والشموع بين يديه وصعد مذبحون إلى البرج ومعه أربعين وفيهم الأميرة حتى صار مع الملك ونظروا اليهم فقالت حراس البطارقة من هؤلاء فقالت الاميرة نحن مسلمون وعاجلت الملك وضربته فقتلته وقد وقع بالروم الخذلان وأما مذبحون فانه أخذ أبو الهزاهز وسار الى البرج الثانى فوصل الى البواب المقتول والباب المقفول فرأى مقابض المشط وله لوالب مصنوعة إذا دارها طول ارتفع المشط ففركوا اللوالب فارتفع سريعا وقد انفتح الباب فصاحوا على المسلمين الا وأن الباب قد انفتح فدخلوا ولم يبق من الروم ديار وأخذوا مريسان وقد جمعت الغنائم فى عشرة أيام وقد رحل الامير وقلبه على العسكر فلما وصلوا اليهم ضم الامير ما فى القلعة وكانت مرجانة قد سبقتهم وأعدت لهم الضيافات وان المعتصم لما نزل فى القصر جمع أرباب الدوله والفقهاء والقضاة وقال لهم انى قد عولت أن أتزوج بهذه الملكة مرجانة فقالوا له نعم مارأيت وإنك تستاهل ذلك فلما سمع المعتصم قولهم شكرهم على ذلك وان البطال لما دخل الى عمودا لم يكن له سؤال الا على عقبة فلما نظره البطال فقال له عقبة ويلك وأنتم سالمين فقال نعم وما بقى غير صلبك أنت وشومدرس اللعين فقال عقبة وأين كانت هذه الغيبة فقال له البطال اعلم أيها الضال إننا قد ملكنا قلعة المريخ وسرنا فى طلب المعتصم وملكنا حصن شادلوخ وحصن شملوخ أخيه فقال عقبة وحق المسيح لقد وصلتم الى موضع ماتقدر الشياطين عليه ثم انه تنهد وقال ان دين النصرانية قد ذهب وغضب عليهم المسيح لانه ماينصرهم ومارأيت منه نصر أبدا فيالله عليكم عجلوا بصلبى فما بقى فى حياتى فائدة فضحك البطال وقال له ابشر ومده وضربه حتى نزل لحمه عن عظمه وفعل بشومدرس كذلك وان مذبحون بات عند بحرون فرآه فى أسوأ حال فقال له أيها الملك أعلمنى بحالك فقال له اعلم انى هائم بمرجانه وقد عول المعتصم على أخذها منى وأنا ما كنت بالذى اتبع أبى بعدها فقال له مذبحون ها أنا خارج إلى أبى وأتحدث معه ثم انه مضى وأخبر أبيه بذلك فقال البطال أعوذ بالله من هذه النوبة ما أصعبها وانها تكون مثل نوبة أمك نورى فى الذى جرى لها ثم انه قام ودخل على الأمير عبد الوهاب وأعاد عليه ماجرى فقال الأمير أبو محمد فلعل أن يكون ذلك سبب إسلامه وأنا أقول للمعتصم أن يوهبها وما أقول أن يردنى خائب فقالت ميمونة ولو ردك ما سمعنا منه (قال الراوى) يا سادة فبلغ المعتصم ما جرى من الأمير

عبد الوهاب فدعاهم اليه وقال لهم إنه بلغنى ما هو كذا وكذا وأنا أقول لكم إذا أسلم فهى له وإن أبى فهذا لا يكون ان نفعله فقالوا له يامولانا احضره لحضر فأعرضوا عليه الإسلام فابى وان المعتصم قال ما بقى لكم على كلام ثم انه خطب الجارية من نفسها وقال لها الدخول عليكى يكون فى بغداد (قال الراوى) وبعد ذلك جرى ذكر عقبة وتعهدت الناس عنه إلى المعتصم بكفره وكانت الشهود المائة بطريق الذين أسلموا مع مرجانة فصدقهم المعتصم واستقر الحال على صلبه ثم انهم تجهزوا للمسير وساروا وقد حملوا عقبة على جمل وشومدرس وأنفذ الأمير من ياتيه بالخشبة من حصن نافع هذا وان بحرون لما نظر الى عقبة على تلك الحالة وانهم يريدوا أن يصلبوه لأجل دين النصرانية فعظم ذلك عليه ورق قلبه فصبر الى الليل وعول على قطع الجمل وعلى سرقته

(قال الراوى) هذا وان البطال لم يخف عليه ذلك فدنى من الأمير عبد الوهاب وأعلمه فقال له لا تقول فى حق ولدى هذا فانه ما يفعل فقالت ميمونة الضمان على أنا أتوكل بعقبة فسمع بحرون بذلك فعول على قتلها وسرقه عقبة ثم قال فى نفسه حتى أعرض عليها ما فى قلبى فان وافقتنى فهو الذى أريد والا قتلتها ثم انه دنا منها وقال لها يا أماه اعلمى أن لى اليك حاجة فقالت له يا بنى مهما أردت قوللى وما هي حاجتك فعند ذلك أشكى لها نار الهوى وقال ان لم أصل اليها والا أنا هالك وهذه على كل حال والدته ومالها ولد غيره فقالت له يابنى اعلم أنك فى بلاد المسلمين ماتقدر على أخذها ولكن اصبر حتى أقول لك ثم انها أدعت ببعض السودان وشكت لهم حال ولدها وما أرادت أن تفعل فقالوا لها نحن كلنا بين يديك فما الذى تريدين فقالت لهم نخلص عقبة وننال به عند ملك الروم المنزلة العظيمة ونهجم على مرجانه وناخذها ونطلب الى بلاد الروم ونحن على ديننا وفى أى مكان كنا أكلنا خبزنا بقوائم سيوفنا فقالوا افعلى ما بدا لك (قال الراوى) فعند ذلك أفسدت أربعة آلاف أسود وأخبرت بحرون فقوى عزمه على ما أراد وما زالوا سائرين مدة خمسة أيام فلقاهم الجاسوس فاخبرهم ان ميخائيل قد مات وأنه خرج من الجزائر القصوى ملك يقال له ارمانوس الاكحل وهو من المكحله ومعه سبعمائة ألف طوال الاجسام كبار الهندام سود الأحداق كبار الآماق ونزل بعسكره على القسطنطينية فقاتله من فيها من المسلمين ثم ان الروم نقبوا نقبا لا تقدر أن تنقبه الجن وان المسلمين خافوا من ذلك فصالحوهم على الخروج من البلد بكلما غنموا من الأموال فأجابوهم الى ذلك وخرجوا بما معهم من الأموال فغدر بهم الملك ارمانوس وعطف عليهم وأن الأمر عظيم فعظم ذلك على المسلمين وأما بحرون فأعجبه ذلك وكذلك ميمونه وغلمانها وعقبة

بعد ما كان أيقن بحتفه فقال بحرون الآن جاءنا الأمر كما نشتهى ونريد

(قال الراوى) وكان السبب فى غدر ارمانوس الاكحل بالمسلمين لما أمنهم أن يخرجوا بأولادهم فصاحت عوام الروم وقالوا ما ندخل البلد حتى تأتينا اذن بان نلحق المسلمين ثم نقتلهم أجمعين ولو دخلوا بلادهم فلما سمع ذلك قال لهم افعلوا ما بدا لكم فتجرد بطريق يقال له منطالوس صاحب جزيرة أريس فى خمسين ألف وسار خلفهم يقطع الأرض فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك جد فى المسير خوفا على المسلمين حتى صار بينه وبين القسطنطينية ثلاثة أيام وقد ذكرنا ما عول عليه بحرون وقالت له أمه اصبر يابنى حتى تقرب من القسطنطينية ونفعل ما نريد وانهم لما قربوا من مفرق الطرق خلصوا عقبة فى ظلام الليل وسارت ميمونة الى خيمة مرجانة وقالت لقد ضاق صدرى وقد عولت على الحديث عندك فتحادثا وعلى كل حال ميمونه سودا وقالت لمرجانه على قصة ولدها وماهو عليه من الغرام فقالت لها أمير المؤمنين قبل ان يتزوج بى قال لولدك أسلم فأبى ولا تكن المسلمين تحت الكافرين أبدا فلما سمعت ميمونه ذلك علمت ان مافى قلبها من ولدها شىء وان ولدها أشرف على الهلاك من الهوى والغرام وقد قال القائل اسود وعاقل مصيبه نازله ثم انها أقامت عندها إلى نصف الليل فنامت مرجانه فعندها بركت على صدرها وقد وضعت الاكره فى فمها وشدت يديها إلى رجليها وحملها وقد نامت الخدم وخرجت بها ووصلت إلى بحرون فطار قلبه من الفرح ثم انه ركب وركبت ميمونة وسودانها وأخذوا عقبة رشو مدرس وقالوا هؤلاء نأخذ عند الملك اليد البيضاء وساروا ومن كثرة العساكر لم يعبأ بهم أحد فلما ان كان وقت السحر وقع الرحيل فدخلت الخدم إلى مرجانة فلم يجدوها فعظم الصياح ووصل الخبر إلى المعتصم وعظم عليه فأدعى بالأمير عبد الوهاب وقال أقسم بالله ان عدمت هذه الجارية ماطالبت بها غيرك لكن ماتعلم انها زوجتى ومن أخذها فقد سبا حرمتى فحلف له الأمير بالطلاق الثلاث من نسائه الثلاث وعتق مماليكه ان ماعنده من هذا الأمر خبر ثم ادعى بالبطال وقال له امضى إلى بحرون وانظر خبره فسار البطال إلى الجانب الذى فيه بحرون وميمونة فما رأوا لهم خبر ووجد الدنيا منهم بلاقع وقد تخلف من سودانها أربعة آلاف فلما رآهم البطال سألهم عن ميمونة فأعادوا عليه القصة من أولها إلى آخرها فعظم عليه وعاد وأعلم الأمير عبد الوهاب بذلك والمعتصم فقامت عليهما القيامة ثم ان المعتصم أدعى بظالم وقال وحق اتصالى من رسول الله ﷺ لئن أتيتنى بها لأعطيك أى اقليم شئت فقال له سمعا وطاعة وما أقول ان ميمونة تضرب فى وجهى بالسيف وانما مافعلت هذه الفعال إلا حتى لا يبقى لبحرون

عليها مقال ثم انه سار على الخيل العتاق (قال الراوى) وكانت العرب قد تشوشوا على أهاليهم فرحلواهم والسودان طول ليلتهم إلى الصباح وقد بقى بينهم وبين القسطنطينية يوم واحد فأدركوا ميمونة على عين الناسوت ففرح الأمير ظالم وقال هذا يوم الانفصال لأن ميمونة لاتتعرض لى بقتال وكذلك ميمونة لما نظرت إلى ظالم صارت تتميز قوائم الخيل فقالت لقومها هذا ظالم قد لحقكم ولاشك ان فيهم عبدالوهاب أو أحد من أولاده فقال بحرون ما نفكر بهم ولو انفردت وحدى بهم أشتتهم ولو كانوا أضعاف ذلك ولو كان أبى رددته خائب ثم انه ركب وركبت ميمونة والأربعة آلاف الذين معها من السودان فلما نظر ظالم اليهم وقد تأهبوا للقتال أقبل على بنى كلاب وقال لهم اعلموا أن بحرون فارس لا يطاق وكذلك ميمونة ومعها أربعة آلاف أسود وما يحملون علينا إلا ونلقى منهم أمرا عظيما وأخاف عليكم منهم فاسمعوا ما أقوله لكم فان كان صواب فافعلوه وإن كان غير ذلك فالرأى لكم فقالوا له وماذاك فقال لهم اعلموا أن الرأى عندى ان تظهرون لهم الفرح وتترجلوا لهم وتسلموا عليهم وعلى الملك بحرون على ميمونة وتقولوا لها لقد أظلمت الدنيا علينا وعلى الأمير لفراقكم وتزعزع جيش الإسلام وقامت المسلمين على المسلمين وقالوا لقد أسأنا المعاملة مع الملكة ميمونة وولدها بحرون وما لها صبر على فقده ومن أجل جارية رومية تغيظوه وكم لأمير المؤمنين مثلها والآن فقد غصبت ميمونة وأخذت ولدها وعبيدها فقال الأمير سيروا بنا ندخل على المعتصم ونعرفه بذلك والآن ان صاروا فى القسطنطينية صعب علينا أمرهم وكان المعتصم علم بأخذ الجارية فقامت عليه القيامة وأقام فى موضعه وقال ما أرحل حتى تكشفوا لى خبر الجارية فهو كذلك إذ دخل عليه الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وقد بكا الأمير بين يديه وقال له يامولانا من أجل هذه الجارية يروح ولدى وزوجى وأربعة آلاف أسود مجاهدين فى سبيل الله فلما سمع المعتصم ذلك أطرق رأسه إلى الأرض ثم قال أقسم بالله لا أكسرن قلبك أيها الامير ولو مت بحبها ثم انه نجز طلاقها وقد أشرط على الامير ان تكون الجارية عنده وفى داره لا يصل اليها بحرون حتى يسلم وترضى به فيكون ذلك اليه فلما سمع الامير ذلك منه ادعى بولده ظالم وضم اليه عشرة آلاف فارس وهانحن وصلنا اليكم ولولا قلب الامير اشتغل بالعسكر الروم التى لحقته من بلد القسطنطينية وإلا كان سار معنا فاذا سمعوا ذلك اطمأنوا وساروا معنا حتى نرميهم فى وسط عساكر المسلمين فينطبقون عليهم من كل جانب ومكان وان لم نفعل ذلك والا مانقدر عليهم فقالوا له هذا هو الصواب ثم انهم ساروا ودخلوا على بحرون وقد ترجلوا للقاهم وقد أعاد عليهم ظالم ماذكرنا (قال الراوى) فلما سمع بحرون كلامه فرح

فرحا عظيم ثم انه قال نحن نفعل ذلك ولكنني قد عوات ان أترك هذا الشيخ الضعيف يمضى إلى حال سبيله ويكون لى الثواب فى ذلك فقالت ميمونة وقد تمت عليها حيلة ظالم لا بنها لا تطلق هذا فيفسد بينك وبين أبيك لان هذا الشيخ له فى جسد أبيك من الضرب وكم مرة عمل على هلاكه والله تعالى ينصره عليه (قال الراوى) هذا وعقبة سمع ما يقولون فلما سمع بحرون ذلك قال لها سمعا وطاعة وكان ذلك من حيله ومكره فصبر الى الليل وسير عقبة وشومدرس على بغلين وهو يدعو له وكان ظالم لما وصل ونظر عقبة وهو عند بحرون على غاية الاكرام أقبل على بنى كلاب وقال لهم اعلموا ان هذا الشيطان عقبة قد أحسن اليه بحرون وقد سمعتم قوله انه يريد أن يطلقه فينفرد منكم عشرة ويرقبوه لأنه سيطلق عقبة لأننى أرى الغدر بين عينيه ولا شك أنه يريد الغفلة ويطلقه والرأى عندى فى أطلقه هو وشومدرس حتى إذا بعدوا عن العسكر خذوهم فقالوا سمعا وطاعة ثم انه انفرد الأمير راشد بن ضمرة فى عشرة ولما أطلق بحرون عقبة وشومدرس الا وراشد بن ضمرة وأصحابه شاهدون ذلك وساروا خلفهما (قال الراوى) وإن عقبة قطع الأرض إلى الصباح ونزل هو وشومدرس إلى جانب صومعة منحيه عن الطريق فقال راشد ترجلوا واطلبوهم بنا رجاله حتى نسمع إلى ما يقولون وإذا بعقبة وهو يقول لشومدرس وحق المسيح يا أبى الشر ما طمعت فى الحياة إلا فى هذه الساعة فقال شومدرس ما هذا الكلام فوحق المسيح ما آمن على روحى إلا إذا صرت فى القسطنطينية فقال عقبة ما بقى خوف سوف أدخل إلى القسطنطينية لهذا الملك أرمانوس الذى كنا نسمع يذكره فى الملاحم انه سوف يخرج ويملك بلاد الإسلام ولقد كنت معولا إذا أدخلت إلى الجزائر القصوى أدخل عليه لعل أن يكشف هذه الغمة عن النصرانية والآن قد فرج المسيح عنى وسوف ترى ما أصنع فى هذه النوبة فهو مع شومدرس فى ذلك الكلام إذ صاح به راشد بن ضمرة يا عدو الله كيف تنجوا ونحن خلفك ثم انه قد هجم عليه وضربه على أجنابه حتى غمى عليه وشد يديه الى رجليه ولطم قمته ونتف لحيته وكذلك فعل بشومدرس ثم دفعهما على بغليهما وهما لا يعقلان من شدة الضرب ثم أخذوهما وساروا وقد استقاموا على الطريق وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا الى مرج الذئب

(قال الراوى) فبينما هم سائرين واذا قد لاحت لهم غبرة ملأت الأفق ثم انكشفت عن ثمانمائة فارس بالأتراس والحراب وكانت هذه سرية من أصحاب الملك ارمانوس والمقدم عليهم بجلبونا بن توما وكان جبار من الجبابرة وكان الملك أرسله ليكشف خبر المسلمين لأن أهل بلد القسطنطينية أخبروه بخبر المعتصم وخبر الأمير عبد الوهاب وما صنعوا فى بلاد الروم فادعى بهذا البطريق بجلبونا وقال له خذ معك من أردت واقصد

عسكر المسلمين وارجعوا برؤسهم أجمعين فقال مجلبونا وحق المسيح مايسير الى المسلمين غيرى وحدى ولو كانوا المسلمين بعدد التراب ثم سار يقطع الأرض حتى أشرف على راشد بن ضمرة ومعه العشرة وعقبة وشومدرس أسارى فصاح بهم مجلبونا من أنتم فقال راشد لأصحابه هذا مالم يكن فى الحساب واليوم يوم الطعان والضراب ولما سألوه الروم أعلمهم أنهم من أصحاب أرمانوس فقال لهم نحن من أصحاب حرب بن شيبان مقدم متنصرة العرب فقال عقبة يكذب هذا من المسلمين فلما سمع البطريق كلام عقبة صاح خذوهم وصاح عقبة ياراشد جاك البلا الذى مالك منه ملجأ فلما سمع راشد كلام عقبة كشف رأسه وانتخى نخوة العرب الجياد وصاح ويلك ياعقبة ورب الكعبة صاحب زمزم والحطيم لابد ماأرمى روحى عليهم واذا أتى فى مالا أطيق أخذت رأسك ولاأتركك تعيش من بعدى (قال الراوى) ثم حمل على الروم ولم يزل يضرب فيهم بالحسام ويقتل من الروم حتى أنه قتل ثلاثين وقد قتل من المسلمين ثلاثة وأسر ستة ولم يبق غير راشد ولم يبق له معين ولامساعد غير الرب الواحد هذا وقد عجب البطريق وقال امسكوا عنه وحق المسيح انه بطل مليح ولاشك أنه أمير المسلمين ثم دنا منه وقال له يامسلم أنت أمير المسلمين فقال لا ولكن أنا غلامه فقال له مابقى لك الى النجاة من سبيل فسلم نفسك حتى أصطفيك لنفسى وحق المسيح لقد عجبتنى فى قتالك فقال له الامير راشد ياملعون هذا مالا يكون فقال له وحق المسيح انى أخشى الفضيحة أن يقال مجلبونا خرج الى بعض فرسان العرب وهذا على عار لانى أدخر لنفسى لامير المسلمين ثم صاح بقومه ياويلكم قطعوه فحملوا عليه وحمل فيهم الامير راشد وقد توكل على ربه الواحد ثم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات:

ألا مبلغا عنى الامير المسددا ... بأنى قد أصبحت فى الحرب مفردا
وقد أسروا صحبى وقمت بجمعهم ... ولا شك أن الله لى مساعدا
ومالى عون غير توحيد خالق ... وأن شفيعى فى الورى هو أحمدا
فصلى عليه يا إلهى وصحبه ... اذا صاح قمرى على الايك غردا

(قال الراوى) وحملت عليه الرجال وهو يجول فيهم كأنه الأسد الريبال وقد مالت عليه البطارقة وبعضهم مضوا الى عقبه وشومدرس وأطلقوهم هذا وقد قتل راشد ابن ضمرة من الروم مائة وثمانين فتحايدته الفرسان وكان يومهم معه طويل ولما جن الليل ارتقى راشد الى بعض الروابى وقد عظم على البطريق أمره وقال لاصحابه احفظوه من الهرب وأنا أخرج اليه فى غداة غد وآخذه أسير فصاروا يرقبوه الى أن برق ضياء الفجر

ثم ركب وقبل جواده بين عينيه وكان اسمه برق اليمانى لانه حمل اليه من بلاد اليمن وكان كريم النسب صبورعلى الجوع والظمأ والتعب فقال له فى أذنيه يابرق بحرمة الصحابة الاماوافقتنى على هذه النوبة الصعبة وصبرت معى على الجهاد فى سبيل الله ثم قبله بين عينيه ثانيا وقد استوى بعد ذلك على ظهره وهو يقول هذه الابيات :

ستعلم يابرق انى إذا ملبت بأمر شديد المزاق
صبور على شدة النوائب ولو كان فيها حمام السياق
وعن طاعة الله لاأنثنى ولو شدت الروم منى الوثاق
فان كنت ذونسب خير كريم فاصبر على يوم السباق
فانى على ماترى صابرا فكم صابر فاز يوم الخناق
فلا بد من موت كل النفوس ومن شربة كاس مر المذاق
إذا كان لابد من موتتى فبالسيف أفضل مما ألاق

(قال الراوى) ولما فرغ الامير راشد بن ضمره من نظمه انطبقت عليه الروم وكان جواده تعب فجدد الله تعالى فيه الحيل والنشاط وقد انبسط كل الانبساط وقاتل فى وجوه الاعداء وضربهم طولا وعرض حتى ملا من القتلى البيداء وتلك الأرض فصلبت الروم على وجوهها وقالت الحمد المسيح الذى مالاقينا عسكر المسلمين ولا أميرهم إذا كان هذا واحد فكيف يكونون كلهم ثم انهم حملوا عليه ليتعبوه فطلب صدور الخيل ولم يزل راشد معهم والصوارم تحكم والارواح من الاجساد تعدم إلى ان قامت الشمس فى كبد السماء ووقع بالخيل الانبهار والظمأ فوثب البطريق كانه يحادث عقبة وشومدرس فيما فعل راشد بالابطال فقال له عقبة وحق المسيح ماأعرفه الا فارس فان كنت تقدر عليه وتلقاه والا فاعزم على الهرب فضحك مجلبونا وقال أيها الشيخ ماقعدت عنه الاخوف الفضيحة والنقص ان تسمع البطارقة انى خرجت إلى شلح من شلوح العرب فقال له عقبة وحق المسيح ماهو إلا اميرابن أمير وإنما الفضيحه ان ترى رجالك تقتل بين يديك وأنت تقول المبارزة نقص ولم يزل به حتى حمى مزاجه فركب مثل الجمل الهايج واعتقل بقناه مايحملها ثلاث رجال فلما نظره عقبه قال لشومدرس اعلم ان كان لنافرج فالبطريق يقتل راشد فقال شومدرس فقم بنامادام انهم فى شغل عنا ونهرب فقال عقبة لاوحق المسيح لابد ما أقود راشد قود الكلاب هذا وقد حمل مجلبونا على الامير راشد وقد تأخرت البطارقة فعلم راشد انه مقدم الجيش فصاح بايرق هذا أمير القوم فان صبرت برئت من التعب واللوم ثم حمل كل واحد منهما على حبه صا وأنشد الامير راشد يقول

أيابرق لم يبق الا القليل فبالله يابرق صبر جميل
اما أفوز بقتــــل العدا واما أصبر فى الفيافى قتيل

(قال الراوى) وحمل البطريق وقد تطاعنا فاختلفت بينهما ضربتان فكان السابق بجلبونا فزاغ عنها الامير راشد ثم عطف عليه وضربه وقدذكر اسم الله واسم النبى ﷺ لجاء السنان فى صدره خرج من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار هنالك أطلقت الروم أعنتها لما رأت ماحل بجلبونا ثم ولت هاربه إلى القسطنطونية طالبه ولما نظر شومدرس إلى ذلك قال لعقبة ماقلت لك اهرب بنافقلت ياقرنان ماتهرب حتى نقوده قود الكلاب فقال عقبه ويلك يامملعون ماقلت ان الامر يأتى كذا ثم انه سارهاربا وقال له اتبعنى وجعل يجرى وهو طالب النجاه فناداه راشد ياملعون وحق النبى المنتخب ﷺ ائن تحركت من مكانك لاخرجت هذا السنان من صدرك فقال شومدرس يا أمير بحق دينك الاشفيت قلبى منه لانى قلت له اهرب بنا فقال لى حتى آخذ رأس الامير راشد ثم أهرب فضحك راشد من قوله ثم نزل عن جواده وقبل حوافره وقدمنا من عقبه ورفصه ألقاه على وجهه ولم يزل يرفصه ويضرب به على أم رأسه حتى غيبه عن الدنيا ثم شده كتافه وشد كتاف شومدرس وأطلق المأسورين وركب راشد جواد البطريق وركبت أصحابه من خيول القتلى وطلبوا الأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب وهم منصورين (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه سار فى عسكر الموحدين الذين خرجوا من القسطنطينيه خوفا عليهم من العساكر الذين تبعوهم مع البطريق اسطالوس كما أخبر الجاسوس وكانوا المسلمين لما خرجوا من القسطنطينية جدوا فى سيرهم إلى أن وصلوا إلى مرج الحصن وهو آخر مرج فباتوا هناك فلما أتى الصباح وعولوا على الرحيل اذلاح لهم غبار فقالوا بنى سليم إلى بنى كلاب انظروا إلى هذه الغبره فاننا لانأمن ان يكون هذه غبرة عدو ولحقنا فخذوا أهبتكم وقاتلوا عن الحريم فركبت الفرسان من الاكراد وقد ركب معهم اثنى عشر ألف امرأة من بنى كلاب والباقى وقوف وثلاثة من المسلمين وقد انكشف الغبار فبان العلم الاخضر فلما قربوا حملوا الروم على الموحدين فحملت الرجال وكذلك الامير هياج الكردى وقدعمل فى الروم عملا عظيما حتى صارت الشمس فى قبة السماء وقدخاضت الخيل فى الدماء وقدأشرفت المسلمين على الهلاك وأخذ أكثرهم أسارى وملكت النسوان قهرا ولم تقدر الرجال على الذب والمحاماة ولم يبق فى المعمعة غير ثلاثمائة فارس منهم عمرو والامير هياج الكردى وبناته فترجلوا عن الخيل وقد ألصقوا المناكب بالمناكب وقالوا نموت كلنا وتكون طريقنا الى الجنه واحده ثم ان الأمير هياج أنشد وجعل يقول

أيامعشر الاخوان دونكم الحرب | فقد بعض الهجران واتصل القرب
ولاحت لنا جنات عدن وحوارها | بهذا وعدنا الواحد الملك الرب
لعمرى ان اليوم يوم مودعا | وقد حضرت فيه المنية والخطب
وان حياة المرء فى الارض مدة | ونادى المنادى من البرية لاتخب

(قال الراوى) هذا وقد صاح البطريق اسطالوس مع أصحابه وقد ترجل منهم أكثر من عشر آلاف وانطبقوا عليهم واذا بغبار قد طار فقال اسطالوس لاشك ان الملك ارمانوس خاف علينا اذ أنتم سائرين الى بلاد الاسلام فأرسل لنا جيش نجده ثم تأخر عن الحمله واذا قد ظهر رايات فى لون الظلام اذا أقبل وعليها مكتوب لااله الا الله محمد رسول الله وقد لاح العلم الذى على رأس المعتصم ومن حوله أربعمائه أمير وعساكر سائرين من ورائه (قال الراوى) ولما ان وقعت العين على العين نظر البطريق الى تلك العساكر الاسلاميه فاطلق الحمام الذى معه الى القسطنطينيه يخبر ارمانوس بتلك البليه هذا وقد حملت الرجال على الرجال وانطبقت العساكر على العساكر فعند ذلك تعلقت الرجال بالرجال وكثرت الاهوال وعمل النصال وتعلقت العيون من رشق النبال ولم يزل السيف يعمل بقية النهار حتى أقبل الليل بسواد الاعتكار ولما ان هجم الظلام عليهم نزلت العساكر الاسلاميه بعد ماخلصوا أكثر الاسارى من الرجال والنسوان والتقى الأمير عمرو بن عبيدالله بالأمير عبدالوهاب واعتنقه وشكره على همته وقد أتوا بنى سليم الذين كانوا مع المعتصم وهنوا أميرهم بالسلامة وأخلع المعتصم على الامير هياج وفعل كذلك ببناته واخلع على زوجته ثم انه سال عن بنات هياج هل عازبات أم متزوجات فقال الامير عبدالوهاب لا يا أمير المؤمنين غيرانى كنت سميت كل واحد منهم باسم واحد من اولادى فامتنعن وتعبدن وما خرجت قط فى غزاه الى بلاد الروم الا وهن فى أوائل القوم ففرح المعتصم بهن وقال للامير هياج الكردى دعهن يفعلون ماذكره الامير عبد الوهاب لان زواجهن من الصواب وأنا أجهز كل واحد منهن بعشرة آلاف دينار فقال هياج سمعا وطاعه وأنا أشاورهم فى هذه الساعه ثم عرض عليهن قول أمير المؤمنين المعتصم فقالوا لا والله لافعلنا قط هذا الشأن ولا كان لنا جهاز غير الاكفان ولاربينا الا فى طاعة الله الرحمن والجهاد فى أهل الشرك والطغيان لأن الانسان فى الحياة الدنيا بين امل وعسى وهو يرتقب الموت صباحا ومسى (قال الراوى) فتعجب المعتصم من تلك المقالات وقال قد وصف الله المؤمنين والمؤمنات هذا والمعتصم فى قلبه النيران من الملكه مرجانه وقد زاد عيون من أجل بحرون ثم ان الناس باتوا على ذلك الرواح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك ركبت الرجال

على ظهور الخيول الجياد وبرزت إلى ساحة المجال وركب اسطالوس وهو كانه الأسد العبوس
ثم انه أدعى براهب يقال له بطرون وقال له صلى علينا صلاة الموت فعند ذلك صلى عليهم
وجعل يقسس ويدور من حواليهم ثم انهم هموا بالحمله على أمة من أرسله الحى القيوم
وإذا بغبرة قد طلعت من ناحيـة بلاد الروم ولم تكن غير ساعة حتى انكشف الغبار
وبان من تحته عشرة آلاف فارس من بنى كلاب وبحرون فى أوائلهم كانه أســـد الغاب
وعن يمينه عشرة آلاف أسود عليهم صدور الزرد فلمـــا نظر اليهم المعتصم والأمير
عبدالوهاب فرحوا بتلك الأسباب والذى خفى من تلك القضية ماحسبوا له حساب إلا أن
بحرون لما قرب من العسكرين ونظر الرجال وهم على نية الحرب والقتال أقبل على أخيه
ظالم وقال له ياأخى هاأنا قد سمعت قولك وأتيت معك وأنا أخاف من المعتصم أن يغدر
بى اذا نظر إلى مرجانة وأريدك تأخذ لى منه الأمان على أنه لايتعرض لى فيها فان فعل
ذلك كنت عبده وهو الملك ثم ان بحرون نزل بمن معه من الفرسان فى مقابلة
العسكران فعند ذلك سار الأمير ظالم وترك أخيه حتى وصل إلى أبيـه الأمـير
عبد الوهاب وكان الأمير فى مضرب أمير المؤمنين المعتصم بالله فأخبره الامير ظالم بما
جرى من أوله إلى آخره وكيف تم فقال الأمير عبد الوهاب ماقصرت فيما فعلت ثم ان
الأمير عبدالوهاب أقبل على من معه من بنى كلاب وقال لهم اعلموا انى أريد أن أنفرد
بكم الى هذا الملعون بحرون وهذه القليلة العقل اللئيمة ميمونة وأنا ماأرضى بما قال ولا
نسلم جارية مؤمنة لكافر بالملك الغافر ثم أقبل على المعتصم وقال له ياأمير المؤمنين انفرد
أنت وعسكرك الى عسكر الكلب اسطالوس الملعون حتى أمضى أنا بمن معى الى الكافر
بحرون فقـال المعتصم افعل ما بدالك وانظر الى اصلاح حالك (قال الراوى) ياسادة
ياكرام ثم ان المعتصم أقبل هو ومن معه من العساكر والجيوش وأحدق بعسكر الكلب
اسطالوس وأما الامير عبد الوهاب فانه قصد الى ولده بحرون فى ذلك العالم فقال بحرون
لامه أنظرى الى ماعمل فينا أخى ظالم وكيف أتى به الى من هو إلى طالب والرأى أن
نميل الى هؤلاء الروم وأنا لى بهم أسوة لان ارمانوس لابد له أن يرسل لهم نجدة وأنا
وحق المسيح احميهم من جميع أعاديهم فقالت أمه ميمونة وأنا الاخرى معك وأينما سرت
أتبعك فعند ذلك ركبت ميمونة فى سودانها وأما بحرون فإنه سلم مرجانة الى عبد من
عبيد والدته ميمونة واسمه دينار ثم ركب الى جانب أمه ميمونة وإذا بأبيه الامـــير
عبدالوهاب قد وصل ونظر الى زوجته ميمونة وهى قد ركبت فى من معها من السودان
فقال لها أكفر بعد إيمان فقالت لاوحق الرحيم الرحمن لكن تلجىء الضرورات الى ركوب

المحذورات وأنت تعلم أن لك أولاد غيره وأنت مشفق عليهم من دون كل أحد وأنا فمالى غير هذا الولد ولا بقيت أقدر على فراقه ولا تطاوعنى نفسى على بعده وأنا على دين الإسلام وما على من دينه وأنت تعلم أننا خدمناك خدم كثيرة وخدمه قوية وحنقتم على ولدى من أجل جارية رومية وان أعطيتموها الى ولدى عدنا اليكم وان أبيتم فهو يكون سببا لفراقكم وقتالكم وسفك دماؤكم (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الامــير عبد الوهاب من ميمونة ذلك الخطاب اسودت الدنيا فى عينيه وعظم عليه وكبر لديه ثم قال لها ياهذه هل يجوز أن تكون مسلمة تقر لله تعالى بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة وتبغى نحس كافر من دين النصرانية فهذا مالا يكون ولو شربت كاس المنون فعودى الى طاعة ربك الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أفضل لكى من اتباع الولد فقالت صدقت وان هـذا لايجوز فى دين الحى القيوم لكن كفر بحرون لايدوم فقال لها اذا كان هذا فى نيتك فأنا لابد آخذ الجارية منه ومنك ومن مانع عنهما أرغمت أنفه ولوحت قحفه وأسقيته كاس حتفه فقالت ميمونة والله ياعبد الوهاب اعلم ان من دون ذلك ضرب الرقاب فلا تطمع نفسك بالمحال ثم تتكلم بكلام الجهال فلما سمع الامير عبدالوهاب من ميمونة ذلك المقال أدار الى أصحابه وقال لهم ياويلكم خذوهم وعلى أطراف الرماح شيلوهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فمع التفاته الى أصحابه هز بحرون حربه كانت فى يده وضرب بها أباه فجاءت بالعرض لما يريده الله من سلامته فوقعت فى قربوص سرجه فشكت فخذه فيه وخرقت الدرع فبقى الامير عبدالوهاب لايقدر أن يلتفت فاشتغل بنفسه فصاح بحرون فى الفرسان فأطلقت أعنتها وقد حملت ميمونة فى سودانها وارتفع الصياح بقتل الامير عبد الوهاب فأقبلت الاميرة ذات الهمة وقد ضاقت بها الاسباب وصاحت واولداه فما كان أيشم بحرون على أباه هذا وقد تشوش عسكر الامير عبد الوهاب ففرحت الروم بذلك فرحا كثيرا وفى الحال مضت جواسيس الروم من غير توانى وقد أخبروا ارسطالوس بما جرى من بحرون وإن بحرون نصرانى فقال لهم إن الواجب علينـا معاونته لأنه كان ملكا للروم ونحن فى خدمته ثم انه صاح وحمل ونادى عيسى ومريم فأجابهم بحرون بذلك النداء وحملت ميمونة بسودانها فارتجت البيداء فيالها من ساعة بانت فيها أهل الشجاعة هذا والأميرة ذات الهمة خرقت المعمعة وهى تجيد الطعان والضراب حتى الى الأمير عبدالوهاب ومن حولها أبطال بنى كلاب وقد أخرجوه من المعمعة وهو على فرسه ونزعوا تلك الحربة من فخــذه وهو لايعقل على نفسه ثم انهم وضعوه فى مضربه وأتوا له بالجرايحى وقد

أيقنوا الناس بعطبه ولم يزل القتال يعمل إلى الليل فافترقوا وقد كلوا الرجال والخيل وقد باتوا الناس ولما ان كان نصف الليل وصل الأمير راشد بن ضمرة ومعه عقبة وأصحابه فنظروا إلى سواد عساكر الروم فظن أنه عسكر الأمير عبد الوهاب فما أحس إلا وهو فى عسكر الروم فثارت اليهم سودان ميمونة وقالوا له من أنت فلما رآهم لم يفكر فيهم بل قال لهم أنا راشد بن ضمرة ومعى الملعون عقبة وشومدرس وأصحابى فدلونى على مضرب الأمير عبد الوهاب لأنه أولى بى فقالوا له هاهو بين يديك فسير حتى نوصلك اليه ونقدم بك عليه ولم يزالوا يسيرون به حتى أوصلوه إلى بحرون فقبض عليه وأطلق عقبة وشومدرس ثم انهم باتوا إلى الصباح هذا وقد مضى جاسوس الأميرة وأخبرها بما جرى على راشد بن ضمرة فعظم ذلك عليها وكبر لديها فعندها ثارت الرجال وركبت خيولها واعتقلت برماحها وتقلدت بنصولها ثم ان الأميرة أرسلت إلى ميمونة على مافعلت وتعتبها على ماعملت وتقول لها إن ولدى عبد الوهاب قد أشرف على العطب وشرب كاس الحمام وأنتى من أجل هذا الكافر تركتى دين الإسلام فعودى إلى رب العالمين ولا تكونى سببا لاهراق دماء المسلمين (قال الراوى) ياسادة فلما وصلت هذه الرسالة إلى ميمونة أعرضتها على بحرون فأعرضها بحرون على عقبة الملعون فقال عقبة الآن طاب هلاكهم ارسلى اليهم واعتذرى لهم وقولى والله ما كان قصدى هذا الفعل النكير وما جرى على الأمير وقد هان على فراق بحرون ولا يجرى هذا ولا يكون وان قلبى من هذه الأشياء مقروحة وأنا أعود اليكم وباب التوبة مفتوحة ولكن ان السودان قد مالوا إلى بحرون لأنه قد أعطاهم وأخلع عليهم وأوعدهم بالقلاع وأنتى تعلمى بحالهم وان البطال معظما عندهم فارسليه الينا حتى انه يطيب قلوبهم ويتسلم الجارية مرجانة فلقد كانت غير مباركة علينا فهى إذا سمعت بهذا المقال أرسلت اليكم البطال وإذا أتانا فاقبضوا عليه لانه هو الذى يحرضهم عليكم وربما يعمل هو وولده مذبحون على سرقتكم فقالت ميمونة وأقول لها مع البطال ولده مذبحون لانه كان وزيره وهو يسمع منه فقال عقبة ائن وقع البطال ومعه مذبحون فأنتم تعيشوا طول الدهر آمنون وأما أنا فإننى آخذ من أصحاب أسطالوس عشرين وأسير بهم إلى القسطنطينية لان الروم قاست منهم الهموم وأنزل بهم النحوس وقد اتصل خبره وفعله إلى ارمانوس وأجعل الملك بحرون شريكا فى الملك مع الملك ارمانوس فيكون ارمانوس ملك البحر وبحرون ملك البر وأما أصحابك السودان فسوف يحمدون عاقبة كلامى إذا أعطاهم الملك الخلع وأتتهم الامور موافقة وزوجهم ببنات البطارقة وتستريحوا من القتال والتلاق لانهم قد خرجوا من بلادهم فى عشرة آلاف

فلم يبق منهم سوى هذه الاربعة آلاف ولو داموا فى بلاد الإسلام عام آخر ما بقى منهم بشر (قال الراوى) فلما سمعوا السودان كلامه صدقوه فى مقاله فعند ذلك أرسلت ميمونة إلى الاميرة ذات الهمة بذلك المقال الذى رتبه عقبة شيخ الضلال ولما ان سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك المقال قالت اللهم يسر باصلاح الحال ثم انها فى ساعة الحال أرسلت خلف البطال فلما حضر أعلمته بما جاء من الخبر فقال مذبحون أنا أقول ان بحرون يسمع منى ويرجع إلى قولى ثم انهم أقاموا بعد ما أخذت لهم خاتم المعتصم بالامان من تلك الامور وقد سلمت الخاتم إلى أبو محمد البطال (قال الراوى) فعند ذلك سار البطال وولده وهو يقول أنا خائف من عقبة ومكايده فقال مذبحون ما أظن ان بحرون يتعرض بك مادام انه عرف انى ولدك فحرك البطال رأسه وقال له ان عندى مالا عندك ثم انهم ساروا حتى وصلوا إلى عند ميمونة هذا وأصحاب اسطالوس قد ركبوا وأشهروا العدد وكان ذلك من ترتيب عقبة حتى لا يرتاب أبو محمد ولما ان دخل إلى ميمونة وجدها جالسة مثل الاسد وكذلك بحرون وقد رأوا عقبة مقيد وشومدرس إلى جانبه مصفد وهو من تدبير عقبة فلما نظر اليهم أبو محمد فرح بما تم عليهم ثم قال لعقبة ويلك يا ملعون إلى متى تعمل على هلاك الناس وهذه النوبة ما بقى لك منها خلاص فعند ذلك أقبلت ميمونة على البطال وقالت له فماذا أتيت يا أبو محمد فقال لها فى سبب من الاسباب وهو الذى أوعدتمونا به وقد أتيت ومعى خاتم المعتصم وهو لكم منه أمان (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلم يزالوا فى الحديث إلى ان أقبل الظلام عند ذلك عطفت ميمونة على مذبحون والبطال وقبضت عليهم وفكت عقبة وشومدرس ووضعت القيود التى كانوا فى أرجلهم فى رجل البطال وولده ثم ان عقبة وثب كأنه عفريت وقال قد وقعت يا أبا زريق فقال البطال وحق رب الارباب لقد حسبت هذا الحساب وقد قرأت عنوان هذا الكتاب ولكن قد دلست على روحى حتى وقعت فى هذه النوبة العظيمة وكان السبب فى ذلك كله ذات الهمة ثم ان ميمونه بعد ذلك سلمت البطال وولده وراشد لعقبة وشومدرس وقالت لهم سيروا بهم الى القسطنطونية وسلموهم الى الملك ارمانوس فساروا بهم فى مائة بطريق تحت الليل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميرة ذات الهمة فانها قد أبطأ عليها خبر البطال فادعت بهياج الكردى وقالت له سير الى هذه التى قد عدمت عقلها واتبعت رأى ابنها فان أجابت الى ما أرسلنا اليها والا قل للبطال يأتى من عندها فعند ذلك سار هياج الى ان وصل اليها فلم يرى البطال عندها فعلم انها قبضت عليه فقال فى نفسه ان قلت لها جئت فى رسالة قبضت علىّ أنا الآخر فقالت له ميمونة فماذا أتيت يا أمير هياج فقال لها جئت شوقا اليكم

وغيظا من المعتصم وذلك نفتح البلاد بقوائم سيوفنا وكلما خرج عدو له نقاتله حتى إذا وقع لأحد منا غرض زاحمه فى غرضه وهذا شىء مايقدرعليه أحدوقد جئت أيضا لأجل خوفى عليكى من الاحتيال لأنكى إذا سمعتى كلام البطال فهو يوقعكى فى يد المعتصم وربما أهلككى وأهلك ولدكى معكى وإياكى أن تسمعى قوله ولا تسمعين منه وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر (قال الراوى) فانطلا عليها قوله وقد صدقته فى كلامه ثم قالت له طب نفسا وقر عينا واعلم أن ما كان ذلك كله الاحيلة منى على البطال وولده وقد قبضت عليهم وإلى عقبة وشومدرس سلمتهم وراشد ابن ضمرة وأصحابه معهم وقد ساروا من أول الليل بهم وبعد ذلك أريد أن تقيم عندى (قال الراوى) فلماسمع هياج كلامها وما قالت انطلق فى قلبه لهيب النار الا أنه أظهر الفرح والاستبشار وقد أقام عندها باقى ليلته الى أن طلع النهار فركبت ميمونة وأصحابها وركب بحرون وسطالوس وأصحابه ولما أن نظرت الأميرة ذات الهمة الى عسكر الروم وهم الى الحرب يتبادرون فعلمت أن ميمونة غدرت وأما هياج فانه لما أصبح الصباح قال لميمونة طيبى نفسا وقرى عينا واعلمى أننى أكون الك عونا وعينا على ذات الهمة وولدها وما يتفقوا عليه من الأسباب فشكرته على ذلك وقد أوعدته بكل جميل ثم ان هياج سار من عندها الى أن وصل الى عند الاميرة وقد أخبرها بما قالت له ميمونة وبما فعلت من الفعال لان العساكر قد ترتبت الى القتال وأما هياج فانه مضى الى زوجته وبناته وقال لهم ماقولكم فى شىء يكون فيه الاجر والثواب وتنالوا الاجر من رب الارباب فقالوا له وماهو ذلك فقال لهم ماجرى على البطال وراشد ومن معه من الرجال وكيف سار بهم عقبة شيخ الضلال ثم قال لهم انى قد عولت أن أسير أنا وإياكم الى خلاصهم من ذلك الوبال ولا يكون لنا شريك فى هذه الفعال ثم انهم ركبوا خيولهم وتركوا العساكر مشتغلين فى القتال وقد ساروا وجدوا فى قطع التلال تلك الليلة وصبيحة ذلك النهار الى آخره كله وهم سائرين (قال الراوى) فهذا ما كان من هياج وأما ما كان من عقبة فانه لما سار من عند ميمونة كان من خوفه من العوارض ونزول الاقدار يسير الليل ثم يكمن بالنهار ولم يزل على ذلك الحال حتى وصل الى قرية فى لحف الجبل فنزل فيها بمن معه من الرجال وقد عول على عقوبة البطال فى ذلك المكان وأما الاميرهياج فانه مازال يقتفى من عقبة الآثار الى أن وصل الى تلك القرية التى نزل فيها عقبة فأقبل على زوجته وبناته وقال لهم كونوا فى أماكنكم حتى أعبر الى هذه القرية وأكشف لكم الخبر لان من هاهنا انقطع الاثر (قال الراوى) وقد كانت هذه القرية خراب فجعل الامير هياج يمشى قليل ويستتر بالاحجار والجدران الى أن وصل بقدرة

الله وأشرف على عقبة وشومدرس الملعون وقد مدوا البطال وولده مذبحون وعقبة يقول كيف تروا يا كلاب المسلمين وقد مكنني المسيح منكم أجمعين فعند ذلك عاد هياج الى بناته وزوجته وأعلمهم بما كان من عقبة ثم قال لهم دونكم والجنة فقد لاحت لكم فركبوا خيولهم وطلبوا الخربة فلما أشرفوا على عقبة فعرفهم فصاح فى البطارقة ياويلكم لاتخافوا منهم واهجموا عليهم لأنهم بنات وأنا أعرفهم وهذا هياج وبناته وقد حملوا عليهم فتلقوهم المائة بطريق من بين أيديهم وداروا بهم من كل جانب وقد عملت بينهم القواضب وسقطت الرؤس من أعلا المناكب مثل القوالب هذا وشومدرس قد أقبل على عقبة وقال له اهرب بنا من قبل هذا البلاء فقال له عقبة ماأفظع قلبك يالئيم فكيف أهرب وفى قلبي من هياج أمر عظيم ولا بد لى ماأشتفى منه وأنزل به العذاب الأليم هذا والسيف يعمل إلى نصف النهار وبعد ذلك انكشف الغبار وإذا قد قتل من البطارقة ستين وبقى أربعين فقالت البطارقة لبعضهم البعض ياويلكم اطلبوا لأنفسكم النجاة وإلا حل بكم الهلاك والفناء ثم انهم تفرقوا فى أقطار الفلاة ولم يعن منهم الأخ أخاه (قال الراوى) ولما أن نظر أبو الشر شومدرس إلى ذلك علم أنه هالك فأقبل على عقبة وقال له يا أعور النحس قتلتنى وقد قتلت نفسك ثم انه انهزم لعله أن يخلص من تلك النكبة فلحقه اللعين عقبة فصاح راشد بأعلا صوته ويلك ياهياج الحق عقبة فعندها لحقه هياج وقد طعن عقبة بعقب الرمح أرماه وطعن شومدرس اقلبه حداه وقد أطلقوا راشد والبطال ومذبحون وبقية الرجال وقد نزل فى رأس عقبة من اللطم شىء كثير وضربوه حتى حل به الهلاك والتدمير وكذلك جرى على شومدرس (قال الراوى) وكان عقبه قد لبس ثياب القساقسة حتى يدخل بها على ارمانوس فقال البطال أوقفوه قدام المعتصم وهو على هذا الحال وقد وجدوا معه كتب من عند ميمونه وبحرون الى الملك ارمانوس فقال البطال هذه النوبة يكون فيها هلاك هذا الملعون ثم انهم عادوا راجعين وبخلاصهم فرحين وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على عساكر المسلمين وهم مستبشرين (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما ما كان من ميمونة نسل اللئام فانها اجتمعت بولدها بحرون والاربعة آلاف فارس على ناحيه وأما الامير هياج فانه كان وصوله الى عسكر المسلمين فى الليل فقصد الى سرادق الاميره بمن معه وكانت الاميره على غاية مايكون من الهم لاجل الجرح الذى فى الامير وقد حملت أيضا هم البطال وماجرى عليه من الاسر والاذلال فلما دخل عليها هياج وبناته وقدموا لها شومدرس وعقبة الملعون ونظرت على الى أبو محمد البطال وراشد ومن معه من الرجال ففرحت بذلك الحال ثم انها اقبلت على أبو محمد وقالت له والله لقد ذهب عنى الهم بخلاصك لكن ولدى قد حل

به الآلام ومابى والله الاشماتة الاعداء والحساد وكنت اطلب من الله تعالى ان لا يموت فى هذه النوبه حتى ينال غرضه من صلب اللعين عقبة وبعد ذلك فما عندك من الرأى فقال لها مابقى من الرأى والتدبير ومعنا هذا الخنزير عقبه وشومدرس الكلب الحقير ونقتل الاثنين قدامه وننزل بهم المحن ونستريح من هذه الفتن فان سلم الامير فيكون قد بلغ المراد ونشتفى من هؤلاء الملاعين ونشفى غليل الفؤاد وان كانت الاخرى فيكون قد نظر الى هلاك عقبة الاعور وشومدرس أبو الشر فقالت الاميره لما سمعت ذلك الخطاب هذا هو الصواب ثم انها وثبت وقد قبضت بذقن عقبه وسحبته على وجهه والبطال سحب شومدرس الى ان دخلوا على الامير عبدالوهاب وهم يسحبون الشيخين النحسين الاعورين والادميه تجرى من افواههم بما حل بهم من اللطم الكثير حتى أدخلوهما على الامير فوجدوا الغلمان يولولون وهم يبكون فقالوا لهم ماشأنكم فقالوا الامير قد شخص بصره ونقول انه قد فرغ عمره (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائمهما وجرت دموعهما ونسيت الاميره الدنيا ومن عليها وقد جلست عند رأس الامير وعقبة يقول لشومدرس بعد ان حضرت موت الامير ما بقيت ابالى ما كان منى لاقليل ولا كثير فقال له شومدرس ويلك اسكت يا شيخ النحس وانظر ماحل بنا من النحس فلو سمعوا لضربوا رقابنا وصاحبهم يعد فى الحياة فقال هيهات إن عاد الأسود الزنيم يشم الهوى (قال الراوى) فما تم عقبه كلامه حتى أذن الله تعالى للغمة أن تنكشف عن الأمير وقد فتح فى الوقت عيناه ونظر إلى عقبه وشومدرس فجرت دموعه من الفرح وقد زال عنه الهم والترح وقال ماأظن هذا الامنام فقالت له الاميره يابنى ماهذا الافى اليقظة وما هو منام وتصلبه انشاء الله تعالى على رؤس الأنام وعلى رغم أنف الكفرة اللئام فقال الأمير أريد تحدثونى ماجرالكم فأعادوا عليه القصه من أولها الى آخرها وأطلعوه على باطنها وظاهرها فقال اذا كان الله تعالى قد هتك ستره فلماذا تخفون أنتم أمره وان المعتصم اذا وقف على هذه الكتب التى معه من بحرون وسطالوس وهى بخط عقبه الى أرمانوس فهو يكون بهذا سبب هلاكه وكشف ستره بين الانام ولا يبقى أحدا من العالم يقدر يكثر كلام فاحملوه الى عند الخليفه بلبسه وحرضوه فى غداة غد على قتله فعند ذلك أخذت الاميره هياج وبناته والبطال مذبحون وشومدرس وعقبة الملعون وسارت الى ان وصلت الى بين يدى الخليفة وقبلت الأرض بعدأن استأذنت فى الدخول عليه فقال اهلا وسهلا بمربية الدول وحامية دين النبى المرسل ﷺ ثم نظر واذا بالبطال وولده مذبحون ودخل من بعدهم شومدرس وعقبه المفتون فقال الحمد لله على سلامتكم وخلاصكم فاعلمونى كيف كانت قصتكم فعند ذلك اعلموه بماجرى من أول الأمر إلى آخره فتعجب وشكر هياج على فعله وقد قرأ الكتب وإذا هى بخط عقبه فبصق فى وجهه

وقال أقسم بالذي لا اله إلا هو إن فعلت بك مايقولون الا بين الصفين حتى تنظرك الخلائق بكل عين فقد صح كفرك من غير ارتياب وسوف أقتلك من قبل أن يموت الأمير عبدالوهاب هذا وعقبه ساكت لا يرد جواب بل اعتقل لسانه وبطل عن أمير المؤمنين كذبه ومحالة وهذيانه ثم ان الخليفة التفت الى أبو محمد وقال له احفظ عقبه واذا أصبح الصباح وركبت هذه الفاجره وبحرون قتلنا عقبه المنافق وشومدرس الملعون ففرح بذلك الامير وقد حل عنده السرور والابتهاج وقال ما أجد لعقبه أحفظ من هياج فتوكل به أنت وجماعة من الرجال (قال الراوى) فعند ذلك أحدقت به السودان من كل جانب ومكان هذا وعقبه يقول ولعل المسيح أن يخلصني من أيديكم وينزل سخطه وغضبه عليكم فعند ذلك قام البطال من عنده وأخذ خف وملاه رمل وعاد اليه وجعل يلطمه على راسه حتى اخمد منه أنفاسه وتساقطت أدراسه وقال له سوف ترى ياملعون مايكون فوحق من خلق الخلق بقدرته وعمر العالم برحمته لابد أحمل رأسك بيدي ولو دخلت الى القسطنطونيه وحدي وأغلق رأسك على باب الذهب حتى يكون ذلك تصديقا لقول النبي المنتخب صلى الله عليه وسلم هذا وعقبه قد أفاق من غشوته وسمع المعتصم فقال عقبه ويلك ياأبو محمد دع عنك هذه الامالى والغرور وهذا الكلام الذي كله زور فأنتم قلتم ان صلبي يكون على باب الذهب فما بلغتم ماتؤملوه ولا نلتم أرب (قال الراوى) فلم يزالوا على تلك المشاجرة إلى الصباح ولم يترك البطال ساعه لعقبه فيها استراح إلا كلما كلمه قام اليه ولطمه وهو يقول ماصح لك صلبى أتبرد بضربى فلما أن صلت المسلمين صلاة الصبح وركبت الابطال وتبادرت إلى ساحة المجال وركب المعتصم وركبت من حوله سائر الامم وبلغ الأمير عبدالوهاب ذلك فبكا وقال قد كنت أؤمل أن يكون الأمر بخلاف هذا ولكن لا أدافع لما أراد المولى وبقى على حاله من الانكسار وفى قلبه من أجل عقبه وصلبه لهيب النار فقالت له أمه يا بنى ماعجلنا عليه بالقتل الا لاجلك وأخاف ان يجرى عليك يجرى فيبقى فى قلبك حسره من اجل هذا الملعون ومانعلم ماذا يكون فقال لها ياأماه لقد صدقتى وبعد ذلك فلعل ان يكون لنا فى هذا الأمر خيره لانى والله على غاية من الخطر لكن لا مرد للقضاء والقدر ولكن احملونى فى محفة إلى بين الصفين حتى انظر إلى قتلة عقبه اللعين بالعين واشاهده والسيوف تقطعه فلعل ان تبرد نارى ويبرد من قلبى تلهفه ولعل ان اكبر تكبيرة يكون لى فيها الصلاح والخيرة فقالت الأميرة سمعا وطاعه ثم انها ادعت بالسودان وامرتهم بذلك الشان فقدموا له محفة ووطوها بين يديها فحملت الأمير ووضعته فيها فلما نظر الأمير إلى ذلك الحال جرت دموعه على خديه انهمال ثم انه تنفس صعدا وابدى

لوعة وكمدا وانشد يقول

ولقد كنت أرجو غير هذا فأخلفت على الليـــالى مارجاه فـــؤاديا
وما كان ظـــنى أو يقينى بانه يـكون سليما من شفار حساميا
لعمرى لقد أعطيت عزا ورفعة وذكرا جميلا عاليا فى البـــواديا
ولولا جراحى انه لى قاتــــل لـكنت صبور اللامور المواضيا
أسلم أمورى لاعارض خالق فان قضاء الله فى الخلق ماضيا
فيفعل بى ماشاء إذ أنا عبده ويمضى الهى ماهـــو اليوم ماضيا

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره بكا وبكت الأميرة والسودان هذا وبنو سليم ماهان عليهم حال عقبه وإذا بالبطريق سطالوس ركب ومعه بحرون وميمونه وقد سلبت عقلها واصطفت الصفوف وقدموا عقبـــة فقال بحرون انى أرى شخصا يحملوه فى محفة وبين يديه شخصا أحدقوا به وبأيديهم القواضب فقالت ميمونه لا علم لى إلا ان قلبي يحدثنى ان المحمول عبد الوهاب لأنك قد ضربته ضربه تعقب الموت وهذا الذى بين يديه عقبه وهم يدون قتله لاننى سمعت من الجاسوس أن الأمير على غاية من الألم فهذا كله لأجلك وأنت أعقبتنى النار واحرمتنى الجنة إلا أن تسلم ياولدى ثم تعود إلى الله تبارك وتعالى فقال بحرون هذا مالا يـكن وان كان المأسور كما قلتى عقبه فأنا أخلصه أو أهلك بسببه ثم أكب رأسه وحمل وحملت ميمونه هذا وان الأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك أمر أن يخرج من المعمعة لينظر مايـكون والبطال موكل بعقبه وعمل البتار وقصرت الأعمار وكثر الانزعاج وحمل البطل وهاج وولى الجبان وطلب الهجاج فهم كذلك وإذا بالناس سمعوا التـكبير من وسط المعمعة والأميرة ذات الهمة ظهرت وعلى رأس رمحها فارس كأنه البرج المشيد وأمر بنى كلاب من خلفها ومن تنادى بكلمة التوحيد ورفرفت روح الامير وألجمه الموت وجعل يرفع أصبعه ويتشهد ورأى البطال ذلك فبكى ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وقد أشار اليه الامير بأصبعه مودعا وهو يستعجله فى قدوم الاميرة لاجل قتل عقبة بين يديه عندها أسرعوا إلى الاميرة وأعلموها وسحب عقبة وإن ذات الهمه لما سمعت بخبر الامير صاحت وخرجت من المعمعة وكان الفارس الذى خرجت به من المعمعة سطالوس وقد خرج السنان من ظهره فنفضته الى الارض وقد وقع السيف فى الروم وهلك منهم خلق كثير وانهزم والباقون واندقت سودان ميمونة وبحرون وتبعهم عسكر المسلمين هذا والاميرة وصلت الى ولدها وبكت ولطمت وهلبت الخيل وقطعت الشعور ونادت بنى كلاب بالحرب والويل وقد هجموا على عقبة ليقطعوه بالسيوف وإذا بسواد قد ملأ الاقطار وحجب الشمس عن أعين النظار ساعة وبان

وانقشع عن عساكر سدت الفلا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك البطارقة الذى أرسلها سطالوس على جناح الطائر فخرج ارمانوس بنفسه وبين يديه الرهبان والقسوس والبترك الكبير وقد سار فى مائة ألف من المكحلة كل واحد منهم كأنه النخلة السحوق وسار يقطع الارض الى أن أدرك المنهزمين وميمونة وبحرون وعساكر المعتصم من خلفهم وقالت ذات الهمة هذا عسكر ارمانوس وان قتلناه فما تقوم للنصرانية قائمة وأبلغ من عقبة ما أرجوه ثم انها أمرت برد عقبة الى مكانه وطرحت الامير على فراشه هذا وقد اجتمع بحرون بأرمانوس فلما عرفه وثب له قائما وقال له أنت شريكى فى ملكى وهذه أمك تكون لى زوجه ثم قال يامعشر النصرانية أشهدكم على اننى أشركت هذا بحرون فى ملكى واجعل هذه الملكة امه تحكم على جميع النصرانية لأجل عقلها وحسن كلامها وهذا اللون الذى مثل الظلام العابس فلا بد ما أترك ملوك النصرانية لها عبيد ثم انه بعد ذلك خلع على بحرون وعلى سائر سودان ميمونة وقد استمال قلوبهم وساروا على انعكاف ملاح وشرب راح وأرمانوس يشرب ويسقى بحرون والحجاب وقوف على رأسه والملوك جلوس وغنت الأغانى وقد لذلهم يومهم ولم يزالوا كذلك حتى اختبل عقل أرمانوس فقام على قدميه وقد نزل شعره إلى وسطه وغزلت عينيه واسودت فنظرت ميمونة إلى ذلك فسفر الشيطان فى معاطفها فمالت اليه وطلبت وصاله وافتتنت بجماله وان الملك ارمانوس نظر إليها وإلى عظم هيكلها وكبر آذانها فوثب قائما وقامت لقيامه أرباب دولته وكذلك وثب بحرون فقال له أرمانوس اعلم أيها الملك اننى أريد ان أجرب قوتى وقوتك فدونك حتى نتصارع فقال بحرون وأنا وحق المسيح اشتهى ذلك ثم دنى كل واحد من صاحبه وتصادما والقساقسة والعمالقة يقولون أرمانوس يصرع وبعضهم يقولون بحرون يصرع فلم يطل الخطب بينهم حتى رفع أرمانوس بحرون على يده ووضعه على الأرض وضعا لطيفا فقام بحرون خجلا وقال وحق المسيح أن الانصاف مليح واننى قد وزنت روحى معك فوجدتك تزيد على الدرهم عشرة لكن ما أدرى ان كنت فى الفروسيه كذلك فقال أرمانوس مارايت منى هاهنا شىء إلا وعلى الجواد أضعافه فلما سمع بحرون كلامه قال وحق المسيح انك ملك الأرض فى طولها والعرض فقال أرمانوس أيما أقوى أنت أو الملكة ميمونة فقال بحرون ميمونة أقوى منى فقال له اعلم أنى اشتهى ذلك (قال الراوى) هذا وميمونة قد غاب عقلها وذهب رشدها ونسيت ولدها والدنيا وما عليها عندما شاهدت جمال أرمانوس وماصدقت ان تسمع منه ذلك الكلام حتى وثبت ميمونة وعانقته من غير اكتراث فرأى فيها من القوة مالا يراه فى ولدها فأعجبه ذلك فخلاها وقال وحق المسيح مثلكى فى الرجال قليل وهذا سرير

ملكى بين يديكى ويدى ولدكى وانى من اليوم زوجتى فقالت ميمونة ومن لى أيها الملك بأن أكون لك خادمة وانت أحب إلى من الأسود ابن ذات الهمة فقال لها لاسبيل لكى إلى هذا فقالت وكيف ذلك فقال لها لأنكى مسلمة وأرمانوس نصرانى فاذا تنصرتى فانى اصطفيكى لنفسى فأجابته إلى ذلك وقدسلبت ثياب النعمة ورغبت فى دين الصلبان ونسيت ربها وطمس على قلبها ففرح بحرون وكذلك أرمانوس واحضروا البترك ونصر ميمونة وأقبلت على سودانها وقالت لهم الآن ما بقى لكم إلى الإسلام طريق فمن تبعنى كان مثلى فأجابوها وتنصروا عن آخرهم ونحن نقول لااله الا الله محمد رسول الله هذا وعبدالوهاب غافل عن هذه الأسباب (قال الرواى) وفى تلك الليلة وفى هذه الساعة وقع بهم فى عبدالوهاب الاياس والأميرة قاعدة عند رأسه باكية وهو غائب عن الدنيا الى أن ذهب من الليل أكثره وهى تود أن تسمع منه كلمة واحدة واذا بها تسمع بكاء الأمير وكلامه فى نومه وهو يقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يارسول الله يارب لك الحمد كان ذلك فى الكتاب مسطورا فأوجزت الأميرة فى صلاتها ودنت منه واذا به استيقظ ووجهه كأنه القمر فقالت له اخبرنى فلله على حجة مبرورة وأتصدق بخمسة آلاف دينار وأعتق مائة رقبة شكرا لله فقال أيتها الأميرة رأيت فى هذه الليلة عجبا ولابد أن يسطر فى الدفاتر سطرا وذلك انى رأيت فى منامى رسول الله ﷺ بعد أن أشرفت على الهلاك وهو يقول لى يا ناصر دينى ابشر بالجنة فقلت يارسول الله اعذرنى فانى لاأقدر على النهوض اليك لأقضى واجب حقك ﷺ فقال لى ماحالك فاخبرته بالجرح وانه من ولدى بحرون فقال له لعن الله أمه لقد طردت عن باب الرحمن وعدلت الى الكفر بعد الايمان وفارقتك فراق الى الأبد فخذ حذرك منها واصرف قلبك عنها فبكيت فقال لى أنظر واذا بقبة من الزمرد الأخضر لها سلاسل من الجوهر فقال لى أنظر مافيها فنظرت واذا فيها جارية لو نظرت لأهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر وهى تقول لى ياابن الزاهدة العابدة تبكى على ميمونه وهى فارقت دين الاسلام فأنا أكون لك عوضها فلما سمعت ذلك سلاقلبى وشكوت مابى الى رسول الله فضرب بيده الى الجراح فقمت وأظن أنه التحم وقلت يارسول الله عقبة قد أضرنى فهل ذلك الوعد الذى وعدتنى به اقترب فقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه فقلت يارسول الله خلق الانسان من عجل فمتى يكون ذلك فقال اذا وصلت الروم الى الاسكندرية وأخذت الملوية وفتح الله على أيديكم عموريه وظهر مطرون وصلب شومدرس الملعون وقد قرب العهد فيما بينكم (قال الرازى) ثم ان الأمير عبد الوهاب قال ياأماه أنظرى الى جرحى فما منامى الا صحيح (ياسادة) ثم ان الاميرة كشفت عن

الجرح وإذا هو يضرب إلى حمره وقد نشف من الدماء والتحم وصار سالما ساكنا من الوجع بقدرة باعث الامم الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فعصبته الأميرة وادعى بشىء من الزاد فأكل وردت اليه قوته (ياسادة) وادعت الأميرة بالأمير أبو محمد البطال فحضر فأخبرته بالخبر وبما رأى الأمير فى المنام ففرح الفرح الشديد واستبشر وقبل الأرض شكرا لله تعالى وقال والله إن هذا منام عجيب وما فى رؤية رسول الله ﷺ تكذيب سيما وقد ظهرت الدلالة ببراء هذا الجرح الذى كان الأمير أشرف منه على التلاف فقال الأمير عبدالوهاب على بعقبة الخنزير فأخضروه بين يديه فقال له ياملعون ابشر بالوبل الطويل والخزى والتنكيل وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وبشرنى إنك عن قريب تصلب وفى روحك تنكب فقد أخبرنى رسول الله ﷺ النبى المنتخب سيد العجم والعرب فكادت مرارة عقبة أن تنفطر وقال فى نفسه لو فعل معى المسيح يوما من الأيام بعد مافعل مع هذا الأسود لكانوا يعتقدون أهل دين النصرانية أنى رسول المسيح اليهم ووالله ما المسيح إلا مسلم والا ماهذه فعال من يعلم انى أتحمل من أجله ما أتحمل من العذاب والعقوبة ولايخصنى بفضله (قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وارتفع الصياح هذا والمعتصم قد انكسر قلبه لأجل الأمير عبدالوهاب ويعلم أن أمه الاميرة ذات الهمة ماتركب من أجله ومن اشتغال قلبها عليه ما تقاتل بقلب وكذلك بنو كلاب وإن الخبر وصل اليه عند الصباح أن رسول الله ﷺ رآه عبد الوهاب فى المنام وملس بيده الكريمة على جرحه فبرىء مما كان به والتحم جرحه بإذن الله تبارك وتعالى فقال المعتصم هذا رجل له قدر عند الله وعند رسوله وعند الناس بمكان رفيع (ياسادة) وسارت اليه الفقهاء والعلماء وهنوه بالسلامة وجعلوا يقبلون مكان جرحه ومن تمام السعادة انه وصل لعسكر الإسلام فى ذلك اليوم نجدة فيها مائة ألف فارس وانتظروا الروم فى ذلك اليوم ان يتعرضوا إلى ثمانية أيام تمام متواليه (قال الراوى) وان الأميره ذات الهمة والأمير عبد الوهاب أخذوا فى اهبة القتال ووصل الجاسوس إلى الأمير عبد الوهاب وأخبره بأن ميمرنه تنصرت هى وسودانها فى أربعة آلاف اسود وانها قد أوعدت الملك ارمانوس بقتل الأميره بحيلة تدبرها وتعملها وقد ثبت عند الملك بأنك قد هلكت فكن من أمرك على حذر وقد زوجت نفسها لملك الروم ارمانوس قال فصعب ذلك على الأمير عبد الوهاب وكانت الأميره قد سلا عنها همها وزال غمها فأمرت العساكر بأخذ الاهبه وافتقاد عددها وارتفعت الاصوات ورفعت الرايات ودقت الكئوسات ونعرت البوقات وقادوا الجنائب وقد استغاثوا ابا الطالب

الغالب رب المشارق والمغارب وركب أمير المؤمنين المعتصم بالله إبراهيم أبا اسحاق على جواده وحوله أعوانه واجناده وعبيده وغلمانه والمظله على رأسه وقرأت القراء القرآن العظيم بين يديه وأما الامير عبدالوهاب فانه صف ايضاعسا كره ودساكره ونصب اللوى واوقف المعتصم من تحته وعليه عمامة رسول الله ﷺ وفى يده القضيب الممشوق وهو متوشح ببردة رسول الله ﷺ والأمراء بين يديه والأمير عمرو بن عبيدالله مقدما على سائر الطوائف على ماجرت به العادة والأمير عبدالوهاب قداصطفت بين يديه الأبطال من بنى كلاب والسودان الانجاب وقداستعدوا للطعان والضراب وفى ايديهم السيوف والحراب والأميره ذات الهمه إلى جانبه فى القلب والأمير ظالم فى الميمنه وسيف الحنيفيه فى الميسره وأما الروم فانها قدانزعجت من سائر الطوائف والاجناس وخيل لهم ان الدنيا انقلبت وأراد الملك ارمانوس الركوب فقال له بحرون وحق المسيح لا تعرضت أنت لحرب وها أنا فى أربعة آلاف أسود وآخذبهم هذا العسكر واقتل الكل وأول ما ابدأ بذات الهمه فهذا ما كان منه (وأما ميمونه) فانها قالت وحق المسيح لابد ما ابذل روحى فى طاعة الملك ارمانوس وانصر دين الناقوس قال وان ارمانوس اراد ان يشاهد شيأ من شجاعتها وبراعتها فأذن لها بالقتال فركبت وركب بحرون وركب الملك ارمانوس وضرب الناقوس ووقف الملك ينظر الى مقام الحرب ثم قال لبحرون اليوم اورينى قتالكم مبارزه على سبيل الفرجه وفى غداة تكون الحمله فأجابه إلى ذلك وإذا بفارس هائل المنظر وعلى جسده ثوب اطلس اخضر ومن تحته جواد مليح المخبر وسار حتى انه دنا من المسلمين وكشف لثامه ونادى وإذا بها ميمونه والزنار على خصرها والشقاوة قدلاحت على وجهها ثم انها نادت ألا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا ميمونه الحبشيه بنت الملك الدمدمان وقد تزوجت بالملك ارمانوس ونصرت دين الناقوس وخلصنى المسيح من عبد الوهاب صاحب الوجه الكالح والسواد اللائح (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك أخذه الزمع ولا استطاع الثبات على سرجه من الغيرة وقد عول على الخروج وإذا بفارس قد ظهر فتأملوه الناس وإذا به الأمير ظالم وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الأبيات :

حلفت يمينا بالنبي محمد ... نبى الهدى خير البرايا بلا كذب
له شرف يرقى إلى السبع رفعة ... وقدر رفيع الذكر والحسب
وان إله الخلق لاشك واحـد ... ولا والد حقا ولا صاحب قرب
تعالى عن الازواج يا ابنة دمدم ... فدونك ضربى واحذرى الآن من حربى

(قال الراوى) ثم حمل على ميمونة وقد عرفت معاطفه وقالت هذا ابن زوجى ثم

قالت دونك يا ابن الحجام فقال لها يامن قد طردت عن باب الملك العلام أنظرى الى بياضك الشفاف حتى انكى تعاريني بسواد أبى فلما أن سمعت من ظالم ذلك ازدادت غضبا وحنقا وقالت له يا ابن اللخنا المعروفة بالخناسف أخليك رهن الرمضا وانى قد تبدلت عن أبيك الكالح الوجه بمن هو كالبدر الطالع وسوف يدخل القسطنطونية ويجمع ملوك النصرانية يحضروا عرسى ويطيب ارمانوس بوصالى وتطيب بوصاله نفسى وأرتجى الراحة من المسيح ثم أنشدت تقول هذه الأبيات :

أيا ظالما بل أنت من نسل ظالم ... وما ظالما إلا سيبلى بظالم
وكل فتى يلقى الحروب بنفسه ... ولابد من ضرب السيوف الصوارم
ولا سيما من يد ميمونة التى ... لها كل فعل هائل فى المعالم
وتفرح بالأفراح من كل جانب ... بنصر أرمانوس وقت التلاحم
إلى أن نوافى نحو أرض ملوكنا ... ونجمع جمعا للملوك الاكارم
ونجمع للرهبان من كل بترك ... على دعوة مامثلها فى العوالم
وأحظى بأرمانوس كالبدر طالعا ... وقد أسفرت عنه سحاب الغمائم
وأبيض شفاف وجسم بجوهر ... أقابله منى بسواد فاحم
ونجلس فى قصر ونترك ملكنا ... لبحرون حتى نشتفى بالتلازم
ونفتح أقطار البلاد جميعها ... ونهب أموال الملوك الاعاجم

(قال الراوى) ولما فرغت من شعرها حملت على ظالم وتصادما فكانا كجبلين وفى العيان كالبحرين وتطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق فعثر جواد الامير ظالم فوثب عن ظهره الى الارض فطمعت فيه وأرادت أخذه وإذا بفارس قد ظهر من ناحية الروم الى ميمونة وكان من بعض سودانها يقال له خدعه لما أن رأى ماحل بالامير ظالم صاح بجواده فخرج من تحته كأنه البرق إذا برق وما زال الى أن قرب من ميمونة وقد ظنت أنه أتى لنصرتها وقد صاح صيحة أرعب بها جميع العسكر وطعن ميمونة فى ظهرها انقصف الرمح فى سرجها الا أنه أوهنها وطاعن ظالم وكان ظالم قد أشرف على الهلاك فلما نظر إلى ذلك عاد طالب العسكر وأما العبد فان الروم لما نظرت الى فعاله حملت عليه وكان تحته جواد سابق ونظر المسلمون إلى ذلك فحملوا وقد التقى الجمعان وكانت ميمونة أسبق الخلق إلى ظالم لأنه كان راجلا بين تلك العوالم فصاحت الأميرة ذات الهمة لله درك ياأمير ظالم فلا أفجع الله فيك حبايبك وأبيك هذا وقد اهتزت منهم الارض بأقطارها وقدح شرار النار من أحجارها وقد حمل الامير عبدالوهاب بعد أن كشف رأسه وخففه

لباسه وخرج من بين الصفين والزبد على أشداقه وأدرك ميمونة فلما أن نظرته قالت هذا عبدالوهاب وماحمله على ذلك إلا الغيرة ثم صاحت به ياعبدالوهاب ارجع إلى وراءك والاوحق الدين العتيق اعدمتك نفسك وأسكننك فى رمسك فلم يرد عليها جواب بل حمل عليها وهو ينشد ويقول :

لعنك إله الخلق يابنت دمدم ... ولا فزت بالغفران من عند راحم
فويلك والويل الطويل معمم ... عليكى سريعا من حضوره ومعدم
تركتى على جهل مقالة أحمد ... نبى الهدى والهاشمى المكرم
ولذتى بأرباب النصارى ودينهم ... وصرتى لعمرى من وقود جهنم
أما ينهكى مافى الكتاب زواجر ... وحجك للبيت العتيق رزمزم
فعودى إلى دين الحنيفية الذى ... به تسعدى يوم الحساب وتسلمى
وما لكى عندى ان أبيتى كرامة ... سوى صارمى والرمح ويلكى فاعلمى

(قال الراوى) ياسادة فلما سمعت ميمونة من الأمير عبد الوهاب علمت أنه رجل سليم القلب فأرادت أن تخدعه فقالت أيها الامير وحق من فلق الحبه وتردى بالعظمة ماحملنى على هذا الا لما أنى سمعت انك هلكت وأيقنت أن بحرون قتلك وما بقى لى وجه أعود به الى الإسلام وولدى كافر وما لى صبر عنه لاسيما ومابقى فى بلاد الاسلام من ألوذ به وندمت على ما كان منى وانى لم أزل نادمه حتى أكون على ربى قادمة ثم أنشدت تقول :

ندمت على ما كان منى جهالة ... ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم
فهل توبة ترجى فأرجع مسرعا ... اليكم فان الله لاشك يرحم

(قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من ميمونة فرح وظن ان فسادها قد انصلح فقال لها الباب مفتوح والخير ممنوح عندها قالت أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فطار قلب الأمير فرحا ورمى الرمح وكذلك ميمونة أرمت رمحها وأقرنت جوادها بجواده ولم يعلم باطنها وان ميمونه أورت الأمير انها تريد قتال الروم ورأته غافل عنها فوثبت اليه وقبضت على منكبيه وصاحت إلى الروم خذوه فكان أول من سبق اليه بحرون وقال لها من هذا فقالت هذا أبوك خذه فهجم عليه وقال فى هجمته يا كلب العرب وياحمال الجلة والحطب ومن يرضاك تكون له أب أحاط البلا والعطب وأنا متعجب وحق المسيح من تلك الضربة فقال الأمير عبدالوهاب ويلك يابحرون لا تتعجب فوالله ما كانت ضربتك إلا واصلة ولكن الله تعالى لطف بى ورأيت رسول الله ﷺ أبرانى وأخبرنى بتنصر أمك وانها صارت بملك الروم مفتونة فأين نخوتك العربيه وغيرتك

السلطانيه القوية وأنا أرجو من الله تعالى يا بنى ان لا تلقاه وأنت كافر فتكون فى الآخرة خاسر فنى هذه العاملات للبرد لا ئل فلا تكون مع القوم الذين باعوا الدين بالدنيا وكفروا بإله السماء فضحك بحرون وقال يا عديم العقل يا كثير الجهل لا ترضى أمى بالملك وان يكون لها بعلا وهى تعتقد اعتقادى ثم رفع السيف حتى بان بياض ابطه وهم ان يبطش به وإذا بصايح يصيح جاءك يا بحرون المنون فالتفت وإذا بفارس فرق الصفوف ووراءه آخر لا تقاومه ألوف وهو قد لوح من الروم القحوف وقتل صاحب العلم وقد خرج أرمانوس من تحته وقد صاح بالبطارقة مستغيثا بهم هذا والفارسان فرقوا الناس يمينا وشمال حتى وقعوا على بحرون وميمونة وعبد الوهاب وقد نادى أحد الفارسين أيا ويلك يا بحرون جاءك الموت والمنون من كف فاطمة بنت مظلوم ونادى الآخر أنا ظالم الهجوم والاسد الغشوم ووقعت الخصوم بالخصوم وصاحت الاميرة صوتا مثل الرعد وحملت وحمل ظالم عليهما وقلبه قوى بالاميرة وهجم عليهما وحملت أيضا الاميرة على ميمونة وأشغلتها عن ظالم وحين رآها ظالم اشتغلت عنه طعنها فى كتفها أنفذ الرمح منه وأخذها أسيره وقبض على ميمونة مثل قبضة الاسد حتى دخل عسكر المسلمين وعول على قتلها ليؤدب بها سائر العرب ولما أمن على نفسه قال الامير عبد الوهاب ان الاميرة فى قتال بحرون وهى غائصة فى بحر عجاج وأحاطت بها الاعلاج فقال يا ظالم فما الرأى قال العودة الى القتال ونسلم ميمونة الى العبيد فقال العبد خدعه أنا لها يا مولاى فقال لله درك يا خدعه فقد نصحت الاسلام وأرضيت الملك العلام وسوف ترى ما أصنع معك من الجميل وسار الامير عبد الوهاب واقتحم العسكر وتقاتلت فرسانها ونادت شجعانها وملات بالقتلى ميدانها وعساكر الاسلام رفعت بالقرآن أصواتها ونادت بملكها وديانها والروم صاحت بالانجيل قساقسها ورهبانها وكان الوغى فى تلك الساعة مثل نار جهنم إذا زفرت نيرانها هذا والاميران قاصدان الى الموضع الذى كانت فيه الاميرة حتى وصلا اليه فلم يجدوا الاميرة ولا لبحرون خبر فقلق الامير عبد الوهاب قلقا شديد فلما رآه ظالم كذلك قال له أيها الامير أنت تعلم ان الحرب ليس بحكم الانسان ولا السيف بحكم البنان ولا شك ان الاميرة تعبت من خصمها وإنما أعلم أن بحرون أقرب الى الهرب لانه ماله طاقة بالاميرة فاحملوا بنا عسى ننظرها ثم حملا وخاضا العجاج (قال الراوى) هذا جرى (وأما ما كان) من الاميرة وبحرون فانه لما تخلص ظالم من المعمعة ومعه ميمونة حملت على بحرون فرآها بحرون كل ساعة فى زيادة وكانت الاميرة كلما شاب رأسها اشتد بأسها والذرية هكذا كلها لكن فرق بينهم لقوله تعالى فمنهم شقى وسعيد لانه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فما رأت العيون أحسن منهما فارسين

على فرسين فكانا كانهما بحران انقلب كل منهما على الآخر ولم يزالا كذلك الى ان ذهب ضياء النهار ثم ان بحرون جعل يقهقر جواده الى خلف طالب ان يبعد بها عن العسكر وقاتل معها قتال مايقاتله مجنون فعلمت ان تقهقره خديعة عندها حملت عليه ولاصقته حتى ضيقت عليه ثم قامت فى ركابها وأشارت اليه بضربه بصارم لو وقع على صم الجبال لقطعه فلما نظر بحرون الى ذلك خاف ونادى للروم بالرومى هذه أم الاسود فدونكم وإياها فلم يتعرض لها أحد الا ان كل واحد مشتغل بنفسه فعلم بحرون انه هالك وكان تحته جواد سابق لخاض العجاج وظن انها لاتلحقه فصاحت بجوادها خلفه حتى خرج من العسكر وأوسع فى مرج فى بلادالروم وهى وراءه إلى أن انسدل الظلام وقطع أرض بعيدة فعندها وقف بحرون وهو يظن انها تعبت حتى إذا قاربته حمل عليها وجدها أقوى من الأول فقال لها ارفق بنفسك فقالت لا والله لأننى أقسمت لاأرجع إلا بك اما أسير واما قتيل حتى أضعك مع امك الملعونة فلما علم انه هالك أخذ فى الهرب وهى خلفه وكانت اخبر منه ببلاد الروم لأنها وقعت فى أرض لاتعرفها وهى تراها مثل الزعفران إلى ان برق الفجر بضيائه وهو مكان تسمع به الروم وهو قليل الماء كثير المهالك كثير الاوعار مظلم الجنبات موحش العرصات كثير الضب والذئاب قليل النبات لايطمع فيه طامع ولا يرتع راتع والآمن فيه خائف وهالك ولاأمان فيه لهالك ولا لجازع وهذا الوادى على الآفات منطوى يسمع فيه للجن دوى وللذئاب عوى وكانت الروم تسمع صفته فى السير القديمة ونعوته عندهم مفهومه الا أنه لم يدخله قط داخل لهول تلك المداخل وذات الهمة وبحرون خرجا على غير طريق ولم يعلما انهما سلبا ثياب التوفيق فندما على ما كان منهما

(قال الراوى) وعاد جاسوس ملك الروم إلى أرمانوس واعلمه ان ذات الهمة قد فقدت ففرحوا الروم وقالوا غدا نفرق الخيل فى سائر الطرقات فما نقول الا ان بحرون معها فى القتال ولما أصبح الصباح ركب المعتصم وركبت سائر الطوائف وصف عبد الوهاب العسكر وارتجت الارض وكذلك سائر عساكر الروم اصطفت كما جرت العادة وان أرمانوس صاح بجواده فخرج من تحته كأنه الريح الهبوب وصار بين الصفين ونادى بالرومية جفاليان انطوى أكتاش كبليز كناس كيكوش هارلانور لاسراح باكرمس ياذبانين ياهريت يعنى من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الملك أرمانوس ابن عبد الصليب والناقوس أقسم بالمسيح ومريم لئن لم تطلقوا ميمونة التى روحى بها مفتونة ليكونن ذلك سببا لانقطاع الآجال والشيخ النجيح والا فهو سبب خراب الديار فاذا أجبتمونى إلى ما طلبته عقدت لكم الصلح بينى وبينكم أربع سنين وأعود إلى القسطنطونية

من غير بذل مال ولا وزنه كل سنه فلما سمع المسلمون ذلك هاجت الأبطال وكثر الكلام وصاروا يلعنوه وقامت على المعتصم القيامه وقال مازلت مصدق ومكذب فى أمر عقبة حتى سمعت ملك الروم يذكره فى الصلح والئن أحيانى الله تعالى وسهل أمرنا لأصلبنه على باب الذهب وهاأنا خارج إلى هذا الملعون بنفسى (قال الراوى) فلما عول على ذلك وإذا بفارس قد خرج من بنى كلاب كأنه شهاب فلما صار بين الصفين كشف لثامه وأشهر حسامه وإذا به الأمير مدركه عم الأمير ظالم بن الصحاح وحمل على أرمانوس وقال ويلك يا كلب الروم ان بينك وبين ميمونة ضرب يطير الهام ويزلزل الأقدام (قال الراوى) وحمل على أرمانوس وحمل أرمانوس عليه ودقت الرهبان نواقيسها وطلع عليهما الغبار وعمل بينهم الصارم البتار ثم اختلف بينهما ضربتان وكان السابق مدركه فبطلها أرمانوس وعطف عليه وطعنه فى صدره أخرج الرمح من ظهره فوقع ميتا وصاحت الروم وارتفع البكاء فى بنى كلاب وورد على عبد الوهاب من قتله أكثر المصائب لأنه كان عنده مثل الوالد هذا وان أرمانوس ينادى يامسلمين ماهذه الفترة أين فرسان حربكم أين أسودكم أين أمه الغادرة خبروها بى فانى أحب برازها فهم الامير بالخروج وإذا بفارس بدركانه النجم إذا أزهر وتحته جواد يدهش النظر وإذا به الامير قشعم فقال له أرمانوس من أنت فلم يجبه دون أن حمل عليه وهو يقول :

ستعلم ياملعون انك هالك وانك يوم الحشر فى سجن مالك
ومدركة قد صار فى دار قدسه بروضة قدس فوق أعلى الارائك
سآخذ تارى منك يا كلب عاجلا وربى يرى ان يسهل لى ذلك

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد على صاحبه وقلق الامير عبد الوهاب وتطاولت الاعناق وشخصت الاحداق وقامت الحرب على ساق وكان حسن السيفين على الدرق كأنه عدة إذا خفق وجرى بينهما العرق ولم يزالا كذلك حتى تنصف النهار (قال الراوى) فهم على ذلك وإذا بالصياح قد علا من عسكر الروم وماجت بهم الارض وأرموا النفوس عن الخيل وأشاروا إلى أرمانوس ان يرجع فرأى الامر عظيم والمصيبة عليه فلما رأى أرمانوس ذلك تخيل وعلم انه خدث حادث وطلب الخلاص فوجد ذلك منه بعيد فلوى أرمانوس عنان جواده منهزما وقشعم تابعه فحملت عليهم الروم عندها حمل عبد الوهاب وبنى كلاب وحمل المعتصم والترك والديلم وارتفع الصياح وهاجت الاوقاح وصهلت الخيل القداح وعاد النهار ليـــل وسال الدماء سيل وامتلأت بالقتلى البطاح وسقيت على وجوهها الرياح ونفرت الخيل بالوجوه الصباح فيالها من ساعة كرهه

الأرواح فيها الحياه ولم يجد الولد أباه ولا أخ أخاه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار ونادى الفريقين بالانفصال ونزلوا الناس ولم يقدروا على الجدال وقال عبد الوهاب ما كان سبب قتل مدركة إلا ميمونة فعلى بها حتى أعرض عليها الإسلام فان أسلمت وإلا ضربت عنقها فقال البطال يا أمير ويكون عقبة معها فقال المعتصم على به وبها فغابوا ساعة وعادوا عليهم الانكسار فقال عبد الوهاب ما الذى دها كم فقالوا عقبة هرب وميمونة وماوجدنا لها أثر فقامت عليه القيامة وعظم على المعتصم وقال صح الأمر فى عقبة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن العبد خدعة الذى كان طعن ميمونة كان جرى حديث عقبة وشومدرس قدامه فقال أرمانوس وحق المسيح لو وجدت من يخلصهم أعطيته وزنهما ذهبا فلما سمع خدعة ذلك قال أنا أخلصهما وقال أنا الساعة أطعن ميمونة بهذا الرمح حيلة وأروح إلى عسكر المسلمين كأنى رجعت اليهم ثم فعل ماذكرنا وعرف العبد خدعة موضعهم فلما أظلم الليل مشى خدعة إلى نحو عقبة وميمونة وفك قيودهما من العسكر وكذلك خلص شومدرس ووصلت ميمونة إلى الملك أرمانوس فوقعت الفرحة فى العسكر وأخلع أرمانوس على العبد خدعة وأوفى ماوعده (قال الراوى) (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه لما علم ماتم على الاميرة ذات الهمة قام وودع أصحابه فقال له مذبحون اقعد أنت وأنا أقضى الحاجة فقال يا بنى ما أدعك تمضى ولا يطيب قلبى أن أتركك تسير وحدك فقال له اتبعنى ترى العجب ثم جعل يقرب شمعة إلى وجهه ويمعك دقنه وشاربه وهو من الأصل خفيف العوارض حتى بقى مثل وجه النساء والناس مكشفين الرؤس وكان مذبحون صورته جميلة مناسبة لأمه نورى فى الحسن والجمال وكان يتكلم بسائر اللغات ودخلوا العسكر وكان هو وأبوه ولؤلؤ وقال ادخلوا من جهات متفرقة ويكون المعياد سرادق الملك وكان من عادة الروم انهم إذا خرجوا للغزو يخرج معهم الرهبان والقساقسة لأجل البركة فهذا ما كان من هؤلاء.

(وأما ما كان) من عقبة وميمونة فانهم اجتمعوا تلك الليلة بالملك أرمانوس وقد فرح بهم غاية الفرح وقال للمسيح على منة عظيمة لاأقوم بها من وجهين أحدهما خلاص هذه الملكة ميمونة لأنه كان فى قلبى منها نار لاتطفى ولهيب لايخفى ومن أجلها اصطليت الحرب بنفسى فصلبت ميمونه على وجهها وباست الأرض قدامه فرحا بكلامه ثم قال الملك أرمانوس والثانى خلاص الشيخ النجيح عقبة فقال عقبة وقد بكى وتفارش اعلم أيها الملك اننى أجد فى الكتب القديمة أن المسيح ينصر شريعته وملته برجل يظهر من أرض الروم فى آخر الزمان يقال له أرمانوس الاكحل يفتح الأرض مشارقها ومغاربها

والآن فقد طول عمرى وقد نظرت إلى ذلك الزمان مشاهده وما بقى غير فتح البلاد فقال أرمانوس وحق المسيح والإنجيل لقد قويت قلبي وعزمى وخروجى إلى بلاد الإسلام بعد أن قرأت ذلك فى الكتب القديمة وما أنت ممن يشك فى قوله لأنك معدن الصدق فقالت الروم أيها الملك لقد صدق فيما قال لأن هذا الشيخ شيخ الملة المسيحية وصادق الهمة الذى لايرى الكذب فى قوله فكن واثقا به وكن على يقين من نصرة المسيح ببركته فما وجدت الروم بركه إلا به وبحضوره بينهم (قال الراوى) وكان فى الافرنج رجل يقال له مندرونا وكان شيخا قد كبر وهرم وكان قد حضر مع عقبة وقعات كثيرة مع ملوك الروم فلما سمع كلامه ضحك وصلب على وجهه فقال له الملك ماهذا الضحك فى غير موضعه فقال أيها الملك وحق المسيح ماحضر هذا الشيخ النحس قط معنا فى موضع إلا وقد طارت البركة منه وضربت رقابنا وأخذنا أسارى فى الحبال إلى بلاد الإسلام وأنا فقد عرفت طلعته وقد أقسمت بالمسيح إنه متى حضر فى عسكر وكنت أنا فيه هربت بالليل قبل أن يدركنى الصباح لأنجو بنفسى وأنا بعد ساعة داخلا إلى القسطنطونية فغضب عقبة غاية الغضب وعجب الملك وسائر الملوك من قوله وأراد الملك أن يقطع كلامه ويطيب قلب عقبة ويقطع خجله فأمر بضرب رقبة مندرونا فلما قدموه لضرب الرقبة قال هذا أول الأمر حتى تصدقونى فى شؤم طلعته وقلة بركته وإنه أول ما كلمنى أمر بضرب رقبتى فضحك الملك وسائر الملوك وكذلك عقبة وقال أيها الملك هذا رجل قد خرف وكبر فلا تؤاخذه وأطلقه لأجلى فأطلقه الملك وقال له إن قمت فى العسكر ضربت رقبتك فقال مندرونا لا وحق المسيح من غير ماتقول فعلى هذا كنت معول ولاأقيم بينكم ساعة مادام عقبة فيكم (قال الراوى) وإن ميمونة دخلت على أرمانوس وقالت أيها الملك ولدى بحرون ماله خبر فقال ماعندى منه خبر من يوم الوقعة التى أخذتنى فيها فقالت كان هو وذات الهمة قد نازلته فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وان ذات الهمه مارجعت إلى عسكرها وهم يظنون انها عندكم مأسوره وانتم ماعندكم منها خبر ولا من بحرون أثر وما لهم إلا حديث عجيب فقال عقبه المسيح يحفظ ولدك ايما كان واينما حل وقد جعلت بركتى عليه لامحاله مادام خاطرى معه ثم اقبل على الملك وقال له أيها الملك انت ترى هذا العسكر الذى بين يديك انه عسكر عظيم وفيه أبطال المسلمين جميعهم فان املت انه تقهرهم فذلك امر بعيد لأن أكثر العساكر بتوع الاقاليم ماحضرت وبلاد الروم قد نكبوا فى هذين السنتين بكتائبها انقرضوا فيها مع الملك ميخائيل وغيره وكلهم أفناهم هذا الاسود عبد الوهاب ومافى الأمر إلا الحيلة عليهم فقال له الملك وكيف لى بذلك فقال له عقبه دعنى ادبر

ما أريد فقال له افعل ما بدا لك فلا حكم فوق حكمك وكلنا تحت أمرك فعندها أدعى عقبه بحرب بن شيبان أمير العرب المتنصره وحده وقال له اعلم أن الملك دعانى الساعة اليه وقال لى أيها الشيخ النجيح اعلم أن العرب المتنصره الذين معنا ما منهم منفعة وما أقول إلا انهم مخامرين علينا وعلى كل حال قلوبهم إلى دين الاسلام والعرب يراعون بعضهم بعضا وماهم عندنا الا ليضيقون بلادنا ويأكلون أموالنا وينكحون بناتنا وأنا فمالى فيهم رغبه نبه عليهم وقول لهم يخرجون عنى ويرحلون إلى بلادهم والا وحق المسيح أمرت الروم يجندلوهم على التراب ويدوسوهم بسنابك الخيول (قال الراوى) فلما سمع حرب بن شيبان ذلك اصفر وجهه وتغير لونه واضطرب كونه وقال ايها الشيخ النجيح وحق السيد المسيح القتل أشهى إلى من دخولى إلى بلاد الاسلام لأن ما بقى لنا عندهم وجه وكنا كلنا نمضى على السيف وكيف يكون ذلك كما خطر فى قلب الملك ونساؤنا وأولادنا وأموالنا فى بلاد الروم وما نعرف اصلاح شأننا إلا منك فأطرق عقبه برأسه إلى الأرض ساعة كانه يدبر لهم تدبيرًا يكون لهم فيه الصلاح ورفع رأسه وقال وحق المسيح ما أعلم لكم شىء يصلح أمركم إلا ان تحملوا انفوسكم على البلاء العظيم فقال وماذاك أيها الشيخ النجيح فاننا نفعل ما تأمرنا به ولو كان منه هلاكنا قال تسيرون من هذه الساعة كانكم طالبين القسطنطونيه من غيبة الأميرة ذات الهمه لا تكون قد أخذت معها عسكر وسارت إلى القسطنطونيه واحذروا أن تشهروا هذا الأمر عند المسلمين ثم تعطفون طالبين بلاد الاسلام فما يصبح عليكم الصباح الا وأنتم خلف عسكر الاسلام بأربع فراسخ ثم تخلعون عنكم لباس الديباج وتظاهرون بالبياض وتضيقون اللثامات وترفعون أصواتكم بالتكبير فانهم إذا روكم يظنونكم من بلاد الحجاز وقد جئتم فى طلب الجهاد والغزاه فعند ذلك تطلبون المعتصم كأنكم تحدثوه وتسلمون عليه فاذا وقفتم ووقعت عيونكم عليه ولا يبقى الا انكم تترجلون حتى تقبلون الأرض عندها أطلقوا الاعنه وقدموا الاسنه واقصدوا الخليفة بطعنه واحده فما أظنه يسلم منكم وماهو إلا أن يقتل ويميل العلم ويحمل ملك الروم عليهم بعساكره فما يبقى فيهم من يشرب الماء ولا يشم الهوى فاذا فعلتم ذلك رفع قدركم عند الملك وصارت لكم اليد البيضاء والمنزلة الحسنه ويزول ما فى قلبه من الشك منكم فلما سمع حرب بن شيبان ذلك قبل يده وقال سمعا وطاعه سوف أبذل روحى فى البلاء وأنت تعرف منزلتى عند الملوك الذين قبله فقال عقبه دع ما مضى وافعل ما أقول لك واخرج من ساعتك هذه فى رجالك ولا تعلمهم إلا أن خرجتم عن عسكر الروم لأنه لا يخلو من الجواسيس سيما شيطان الانس وعفريت الجن أبو محمد البطال وأنا اعلم انه يعمل حيلة حتى يوقعنى فيها ويردنى إلى ما كنت فيه من الذل والهوان فعند ذلك خرج حرب بن شيبان إلى خيامه وأحضر وجوه قومه وأمرهم بالرحيل إلى القسطنطونيه واعاد عليهم ما قاله عقبه من الخوف

عليهم من ذات الهمه هذا والبطال يسمع ولما بعدوا أعلمهم حرب بن شيبان بالقصه وقال ما اظن قول منذرونا على عقبه الاصحيح وحق المسيح ما أعلم الملك بهذا القول وما فتح علينا هذه الابواب غيره فلا يستر المسيح عليه وما طلب بهذا إلا هلاكنا وما يمكننا الاجتماع ولا الامتناع ولا لنا غير الاجابه فقال بعضهم أيها الأمير ولعلها خير ولعمرى أنها مشوره جيده وإن صح ذلك وقتل المعتصم يصير لنا الذكر عند الروم ويدعوا لنا فى الكنائس وسار حرب بن شيبان كما ذكرناوهم على صفات العرب الأجواد على الخيول الجياد والسيوف الحداد والرماح المداد

(قال الراوى) فهذا ما كان منهم واما ما كان من ابى محمد البطال فانه قبل على ولده مذبحون وقال الحمد لله الذى كان هذا الحديث ونحن حاضرين فقال مذبحون وأى حديث جرى فقال كل خير وما هو إلا العرب المتنصرة مضى منهم مقدار خمسين ألف إلى القسطنطونيه اشفاقا عليها وخوفا من الأميرة ان تكون اخذت عسكر وسارت اليها فضحك مذبحون وقال هذا ما يدخل عقلى وأنا اعلم ان هذا من جملة جزع اللعين عقبه ومكره وقد اشار على الملك بهذا ولابد ما يعود حرب ابن شيبان ويظهر انه من ارض الحجاز ويهجم على المسلمين ويخاف على المعتصم من هذا لأنه يكون آمنا تحت الاعلام وبالله ان تم هذا يا ابتاه ليكون سببا لهلاك المسلمين وكسر عساكر الموحدين وشماتة الحاسدين (قال الراوى) فلما سمع ابى محمد البطال هذا المقال كانه كان نايم واستيقظ وقال يا بنى ان كان الأمر على ما ذكرت فها نحن ثلاث كل واحد منا لواحد واحد لسرقة عقبة والآخر لسرقة الملك والآخر يذهب ويعلم الأمير عبد الوهاب بحيلة حرب بن شيبان فقال مذبحون فمن لعقبة قال يا ولدى ماله غيرك فقال له انا له وسوف ما أعود إلا بعقبة فقال البطال وأنا أمضى واعلم الأمير عبد الوهاب بهؤلاء الكلاب واؤلؤ للملك ارمانوس فقال لؤلؤ حبا وكرامة ثم ان البطال سار من عندهم بعدما اوصاهم ودخل الى الأمير عبد الوهاب فقال له الأمير عبد الوهاب أرى العوده قريبه فقال له أيها الأمير أبشر ببلوغ الآمال وهلاك الأعداء واعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع الأمير بذلك فقال والله لقد دبر الملعون وماقصر فما الرأى عندك يا أبو محمد قال الرأى عندى تجهز عشرين الف من بنى كلاب وعشرة آلاف من بنى سليم وخمسة آلاف من السودان يكمنون فى موضع العيون فانهم غدا فى هذا المكان يكونون ولابد أن يرسلون بين أيديهم عرب مجهولين فى زى عرب الحجاز عليهم آثار السفر يعلمون الخليفة أنهم قدموا للخدمه والجهاد بين يديه ويطيبون قلوب الناس وما يشعرون بهم إلا وقت الحاجة فاذا وصلت رسلهم بذلك تخلع عليهم وتأمرهم بالنزول فى مواضعهم إلى ان يأتى اليهم المعتصم وتخلع على المقدمين منهم فاذا سمعوا ذلك

يظنوا انهم بلغوا المنا وشفوا غليل الفؤاد هنالك تخرج فى الفين من أمراء المسلمين وعلى وأسك الرايات والاعلام العباسية كأنك الخليفة وتنعر البوقات السلطانيه وتشرف عليهم وأكون أنا سبقت اليهم فى عشرة من غلمان السلطان واعلمهم بقدوم الخليفة واقول لهم لا يركب منكم انسان بل تمشون كلكم اليه وتقبلون الأرض بين يديه هنالك تحمل عليهم وتبذل السيف فيهم فما ينفلت منهم أحد ثم تحملون الرؤس وترموا بها الى اصحابهم وأنا اقول إن شاء الله تعالى ما يصبح الصباح الاعقبه مع القوم يجيبه مذبحون فقال الأمير أحسنت يا اوحد الزمان هذا والله ما لم يكن فى الحساب وان من الله تعالى تمام الاحسان ويظهر من الاميره خبر ولم تتم تلك الليلة حتى فعل ما أمره به البطال ولما أصبح الصباح وابدر وبدا نوره واذا بلؤلؤ دخل الى خيمة الأمير فقال له الأمير ماوراءك يامبارك فقال كل خير والله قد جرى علينا عن تحصيل اللعين عقبة كل عجيبة ولولا مذبحون وتدقيق حيلته لما قدرنا عليه فلما سمع الأمير ذلك ضحك وقال والله ما يقع فى يد المعتصم بعدما شاهد وما سمع عنه من ملك الروم ما بقى عليه ساعة واحدة فأين فارقتهم قل لى وأوجز قال يامولاى فى لحف الجبل مما يلى عسكر الروم فى مغاره وأنا عارف بها وأريد منك عشرة فى زى الروم حتى يتم لنا الوصول اليهم لان العسكر بين أيدينا ثم أدعى بعشرة رجال صناديد أبطال لا يرهبون الموت ولا يخافون الفوت وقد تزيوا بزى الروم وأخذهم لؤلؤ وسار (قال الراوى) ياسادة فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عسكر الروم فانهم لما أصبح الصباح طلبوا عقبة فلم يجدوه فعظم ذلك عليهم وسأل الملك عنه فقيل ان لصوص المسلمين أخذوه لانهم يسرقون الملوك من على أسرتها والاطفال من مهودها فصلب الملك على وجهه وقال ما رأيت الناس يسرقون الناس قالوا نعم أيها الملك ان لهم رجل يسرق الرجال اسمه أبو محمد البطال يأخذ الكحل من العين والجبه من بين القميصين لانه يدخل بين الرجل وزوجته ولا يراه أحد ويدخل الانسان فى زى أبوه وأخوه وأمه ولا يعرف بينه وبين أهله وزوجته وذويه فقال الملك وحق المسيح لقد فزع قلبى على ميمونه اطلبوها فمضوا وأتوا بها ففرح وأخبرها بذلك فقالت هذا من أعمال البطال فقال معلوم ان الذى أخذه بعد ما وصل به اليهم هل تعرفين من له بصيرة ببعض الاثر حتى يمضى فى أثره فقالت أنا أمضى ثم انها أخذت من سودانها مائة أسود بعدة وزرد وخرجت من العسكر وهى طالبة أثره (قال الراوى) وأما حرب ابن شيبان فان رسله لما وصلت الى المسلمين ووصلت الى الامير عبد الوهاب وأخبروا أنه قد وصلت عرب من أرض الحجاز وهم قاصدين الخدمة والغزاة فخلع عليهم وأمرهم ان يرجعوا اليهم وينزلوهم فى مرج العيون (قال الراوى) وبلغ حرب بن شيبان الرسالة

بأن الخليفة سائر اليهم بنفسه ففرح وقال قد قرب المسيح علينا العنا وبلغنا مسرة الهنا

(قال الراوى) وكان فرسان بنى كلاب والسودان الانجاب كامنين كما ذكرنا فما استوت الشمس فى كبد السماء الا وقد سار الامير عبدالوهاب فى ذلك الرأى الذى ذكرناه وقد سبق الامير أبو محمد البطال وهو يزعم أنه من خدم المعتصم هذا وحرب بن شيبان قد قدم غيره وأخفى نفسه وأشرفت أعلام المعتصم وراياته والامير عبد الوهاب تحت الأعلام وفرسان بنى كلاب هنالك نادى حرب بن شيبان فيمن معه امشوا كلكم إلى أمير المؤمنين وقبلوا الأرض بين يديه لأنه خليفة المؤمنين وكان أوصاهم لايهجموا عليه حتى ينزل ويجلس على كرسيه وتحدق به الرجال هنالك خذوه أخذا بالكف هذا وهم لايعلمون ماهو ماضى لهم فى الغيب وصاحب الغيب يدبره كيف يشاء ولما قربوا من الأمير عبدالوهاب وهم يحسبون أنه الخليفة فما كان بأسرع مما صاح الأمير فى الأبطال وقال لبنى كلاب ونادى الله أكبر الله أكبر هؤلاء كفرة فجرة (قال الراوى) وسمعت الرجال الذين فى الكمين صوت الأمير عبدالوهاب فخرج ضيغم والامير ظالم فى بقية الناس وخرج سملق وأبطال الحبشان وقد عمل الصارم اليمان وانطبقت عليهم الخيل من كل مكان ونظر حرب ابن شيبان الى ماحل به من الخذلان فنادى ياويلكم تمت عليكم الحيلة وحق المسيح لقد صدق منذرونا أن طلعة عقبة أيشم الطلعات وهذه الوقعة على المتنصرة أيشم الوقعات وما لحقت المتنصرة تركب خيلها الا والسيف يعمـــل فيهم مثل الصواعق على الجبال الشواهق وما كنت ترى الادم فائر مسفوح وجسد بلا روح ومافيهم الامن قاتل أكثر من ساعة حتى امتلأت الارض بالقتلى وأرملت النساء وأخذ حرب بن شيبان أسير وقادوه ذليل حقير ولم يسلم من الخمسين ألف غير تسعة آلاف وقتل إحدى وأربعين ألف وحملت الرؤس على الرماح وغنم عسكر الامير الخيل والسلاح والثياب والبغال والجنائب وعادت فرسان الامير الى الخيام والمضارب وعلم المعتصم فركب الى لقاء الامير بنفسه فى جميع عسكره وجنده وأما ملك الروم أرمانوس لما رأى الى المسلمين وقد ركبوا أدعى بالملوك الى بين يديه وقال لهم خذوا أهبتكم فهذا يوم الانفصال لأن حرب بن شيبان وصل الى المسلمين فى خمسين ألف فارس وهم يظنون أنها نجدة أتتهم وهم حملوا عليهم وأوصلوا الاذية اليهم فاحملوا أنتم فى عقبهم فعند ذلك مدت الروم أعنتها وقومت أسنتها واذا فى أوائل الخيل القادمين سبعة آلاف وعليهم صدور الزرد وفى أيديهم الرماح والعمد والرؤس على أسنة الرماح كأنها رؤس الشياطين وظهر بعدها سبعة آلاف أخر مثل الصفة الاولى قال ارمانوس يا ويلكم ماتروا السودان وعلى أسنتهم رؤس بلا

أبدان وقد انقلبت أصحابنا حتى عادوا هكذا فقالوا وحق المسيح انا نخاف أن الغصة انقلبت على أصحابنا (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا برجال وقد ظهرت من العسكر الإسلامية إلى العسكر الرومية ونادوا يا كلاب الروم النصرانية واخس من غمس فى جرن ماء المعمودية أبادكم الله جل وعلا وأوقع أصحابكم بالفنى ودارت عليكم المصيبة والبلاء (قال الراوى) فلما سمعت الروم ذلك عظم عليهم وكبر لديهم وقالوا أيها الملك ماتم هذا علينا الا من جواسيس المسلمين الذين عندنا ونحن ما نعمل شيئا الا وهو مصور عندهم (قال الراوى) ولقد بلغنى أن أرمانوس قال للملوك ماعندكم من الرأى قالوا أيها الملك قدطال بنا المقام ههنا والملك بحرون قدانقطع خبره وخبر أميرة المسلمين وما انهم الا انتهوا الى بعض بلاد الروم وقد لقاهم من أهلكهم على ما كانوا عليه لأنه لايخلوا أحدهم أن يكون تبع صاحبه ولجا فى البرية الى أن هلكا من التعب والعطش أولهما حديث عجيب فارجع بنا الى القسطنطونية حتى تنكشف أخبارها وأيضا أخبار الشيخ النجيح الذى سرق من وسط العسكر وماندرى ما كان منه ولا نأمن عليك أيضا لان الذى سرقه وهو حذر على روحه قادر على أخذ غيره فارجع بنا فى هذه السنة حتى تتكامل الروم والافرنج من تحت طاعتك ويشد عزمك وتجعل بحرون وميمونة فى القسطنطونية وتخرج أنت على بلاد الاسلام (قال الراوى) فقال وحق المسيح هذا هو الصواب ولكن ما أقدر أرحل حتى تصل الملكة ميمونة لانها أخذت معها رجال ومضت خلف أثر الشيخ النجيح فهم فى الكلام واذا بخيول غابره وهى من وراءهم على عجل واذا بها ميمونة وكان من أمرها أنها اقتفت الآثار الى أن وصلت الى المغار وقفت وقالت لاصحابها ان الاثر قد انقطع هاهنا وأخاف أن يكون ساروا به الى عسكر الاسلام فارجعوا بنا نحفظ الملك أرمانوس لايتم عليه أمر من الامور (قال الراوى) هذا وقد نسيت ميمونة ولدها بحرون لما فى قلبها من هوى وتباريح الجوى من محبة ارمانوس فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من لؤلؤ غلام البطال لما أخذ الرجال العشرة وسار بهم الى المغار الذى فيه عقبة الملعون فلم يجد له خبر ولا وقع لهم على جلية أثر (قال الراوى) وكان من قصتهم عبرة لمن اعتبر وأعجوبة لمن تفكر وذلك لما خرج مذبحون ليحتال على عقبة فى زى راهبة وأبى محمد مضى الى عسكر الاسلام يحذرهم من حرب بن شيبان لم يزل يدقق الحيل حتى خرج عقبة من الخيمة والرجال تحجبه اجلالا لقدره الى أن وصل الى الخيمة التى له وقد ضربت فى وسط العسكر من خوفه على روحه التعيسة ومن حولها عشرة بطارقه ولما حصل عقبه على سريره ومذبحون علم أن ماله اليه سبيل الا بالمخاطره

العظيمه فصبر وجعل يرقبه إلا أن استقر فى موضعه فتقدم الى البطارقه الذين على باب الخيمه وكلمهم بكلام المغلبيط فردوا اسلامه ورأوه مثل راهبة فقالوا امابالك يا راهبه فقال مذبحون أناقد أتيت إلى زيارة الشيخ النجيح وحجه السيد المسيح وانكم تعرفون أبى ملك المغلبيط الذى قد شاع ذكره وأيضا قد شاع ذكرى لأنى وهبت روحى للمسيح وتركت الدنيا عن مقدره وبنى لى أبى صومعة وأنافيها مقيمه إلى يومنا هذا تمام ثلاث سنين وكنت أسمع بذكر العبد الصالح حجة المسيح وكنت أتمنى لقاه لأنه من أتباع الحواريين ولما أن كان فى ذلك اليوم سمعت بأن الملك ارمانوس من القوم والبأس وشدة المراس ومامعه من العسكر والأجناد وأنتم لابد أنكم سمعتم بخبرى وماأعطيت من القوة والشجاعة فعولت على الغزاة وأنا أخفيت أمرى عن أبى لاجل محبته لى وشفقته على وهو كما علمتم رجل جبار مايدخل تحت طاعته أحد وسمعت أن ميخائيل قدمات وماوصلت الى تلك الأرض الا أدخل تحت الطاعة وكنت سألت المسيح أن يجمع بينى وبين الشيخ النجيح وانى قد سمعت بخبره وله هذا مده ومادخلت اليه لانه كان فى مجلس الملك حياء من الملوك حتى لا يقال هذه بنت فلان وإلا يخطبنى منهم انسان لانى قد تركت ذلك المعنى ووهبت روحى للمسيح (قال الراوى) ولما أن سمعوا البطارقه كلامه ونعومة خطابه وهو ابن سبعة عشر سنة وماهب عذاره وهو أبيض أشقر وقد احمرت خداه وتوردت وجنتاه وقد لبس ثياب سود على بدن أبيض وهو فى زى الرهبان بمنطقة سوداء يونانيه ووجه كأنه دائرة القمر الطالع وكان إذا لبس اسود أو غير ذلك فى زى النساء له لياقه وملاحه ولما أن نظرت البطارقه إلى ذلك الجمال الزاهر قاموا إجلالا له واكراما وقالوا ياملكه وحق المسيح ماعرفناكى وإلا كنا خدمناكى عند لقاكى فكيف لا نفعل وأنتى بنت الملك الرئيس ومافى الروم أكثر منه مالا ولا أكثر رجالا فقال مذبحون بلى لانى لا أحب أن تدعونى بالملكه لانى أطلب بذلك التقرب إلى المسيح ولكن ادخلوا إلى ذلك الرجل العالم وعرفوه بمكانى فقالوا سمعا وطاعة ثم دخلوا على عقبة وهو جالس متفكر فيما يفعل من المخازى والمكر وهو يدبر فكره فى ميدان المكر والحيل ولما أن رآهم داخلين عليه وعلى وجوههم آثار الفرح والسرور وقالوا ياشيخ من يكون مثلك وبنات الملوك يأتون اليك ويطلبون منك البركة (قال الراوى) فقال لهم زادكم المسيح فرحا وسرورا ثم انهم أعادوا عليه قصة الراهبة ولما سمع ذلك فرح وقال وحق المسيح لقد أتتنى هذه الجارية فى وقت الحاجة ولا بد لى أن أدبر بها على الامام أو على عبدالوهاب أو على البطال إن كانت بذلك الجمال (قال الراوى) ثم قال على بها فخرجوا اليها وأمروها بالدخول فدخل مذبحون وهو يقدم رجله اليسرى ويؤخر اليمنى

ويهز ردفه ويلتفت إلى خلفه فنظر عقبة وجه الراهبة فى ضوء الشمعة فرآه مثل الشمس الطالعة فى السماء المرتفعة فقال فى نفسه وحق المسيح هذا وجه مليح وقوام رجيح ثم ان مذبحون صقع وتخنصر وخدم فقال عقبة تجلس الملكة الصالحة التى قد تركت الدنيا الفانية الغادرة الماكرة فجلس مذبحون وكان قد دهن وجهه بياض البيض والاسفيداج ورش عليه الماء الورد والكافور فزاد رونقه فى ضوء الشمعة فقال عقبة وحق المسيح مارأيت قط مثل هذا الوجه وما فيه من اللموعة والماوية فبامن مذبحون الأرض ثم تدلل فى جلوسه فنظر عقبة إلى رقة خصره وكبر عجيزته فاشتاقت نفسه الخبيثة الى ذلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما مالت نفسه اليها قال لمن كان عنده من البطارقة اخرجوا الى مواضعكم فما آمن على روحى من الاعداء أن يطلبونى وربما كان للملكة سر مكتوم تعيده على لانها ماجاءت فى ذلك الوقت الا ولها حاجه أولها ذنب تريد أن أستغفر لها وان المسيح يغفر لها ويسامحها فخرجوا من عنده البطارقة وأما عقبة فجعل يقرأ الانجيل ويترنم ومذبحون يبكى ويحول أكمامه على وجهه ويشهق كلما يبكى ولما علم عقبة أن قد اشتد خوفها من كثرة التهديد والوعد والوعيد أخذ فى الرخصة والرحمة وقال أيتها الملكة فليهدأ روعك ويقل هلوعك فان النار ماخلقت لكى ولا لمثلك لاسيما وأنتى بذلك الوجه المليح والقد الرجيح والخد الاسيل والردف الثقيل فلا تغطى وجهك منى ثم مسك يد مذبحون وجذبه اليه وقال ويلك ياحضيه ماجملك المسيح بذلك الوجه المليح إلا للشيخ النجيح فعلم مذبحون مقصوده ومراده ومناه وانه تمكن من الصفع قفاه فقال له بالرومى بغنج ودلال يامولاى أنا بكر عذراء فقال عقبة وهل تصلح البنات الابكار الا للشيوخ الكبار وانما تحفظ البنت نفسها وبكارتها الا حتى تجد من يفرجها للدار الآخرة وهل يتمكن من ثقب الدر الكنون الا الثاقب المصون وما أرى لكى مغفرة الا بذلك الوجه المليح فابشرى والا ماتغفرى وعلى إزالة البكاره اصبرى (قال الراوى) فقال مذبحون وكيف يكون ذلك والبطارقة على الباب ولا آمن منهم وهم مثل الشياطين فقال عقبة سوف أقيكى من شرهم واما أبوكى فلا تخافى منه لأنه يعلم ان هذا واجب يقين ومن تقرب لى تقرب للحواريين ثم انه أخرج طعاما وشرابا من الذى ينفذه اليه الملك ثم ضرب بيده إلى داخل ثيابه ومذبحون يشاهد وأخرج خرقة صوف وفيها صره وأخرج من تلك الصرة شىء وطرح منه على الطعام وعلى الشراب وأخرجه إلى البطارقة فأكلت العشرة وعلى وجه الأرض انقلبوا وكان عقبة أراد بذلك حتى يفعل مايريد وافتكر فى نفسه وقال ما آمن

على روحى من هؤلاء ان يوصلون خبرى إلى الملك فيأخذها منى وأنا وقع فى قلبى هواها ولا أقدر أفارقها ومافى الأمر إلاأن أطرح لهم سم قاتل وأعدمهم الحياة فلا رحم المسيح منهم أحد ثم طرح لهم الدواء كما ذكرنا فأكلوا وهلكوا ثم دخل عقبة خيمته وأرمى بابها وسد فرجها وهو يقول لكى البشارة يامحضيه بما أعطاكى المسيح من البركة المصبوبة من تلك الصورة المقلوبة (قال الراوى) ومذبحون علم بموت البطارقة فقال فى نفسه ياستار استر على ثم ان عقبة أخرج دجاجة سمينة وحلاويات وخنوس مشوى وقال ياملكة نجاكى المسيح من كل هلكة وحق المسيح لاعطينك من الجوهر واللؤلؤ مالا لاحد مثله ثم انه رفع لقمة إلى فم مذبحون فقال فى نفسه أحسنت ياخبيث لقعادى فائدة ثم ان مذبحون مده يده ليأخذ اللقمة منه ووثب كأنه النمر الحردان ومسك يده مع حلقه كاد ان يفقع زوره فصاح الملعون ووقع مغشيا عليه مافى عينه قطره (قال الراوى) فتركه مذبحون بعد أن كتفه وألقمه الاكره وأتى إلى المكان الذى فيه لؤلؤ قال إيش عملت قال قضيت الحاجة فقال لؤلؤ والله انى أرى الحرس شديد من حول سرادق أرمانوس ولا سبيل لنا عليه قال مذبحون مانريد غنيمة أحسن من عقبة وحمله لؤلؤ على أكتافه وغطاه بدرجه الذى كان ينام عليه ومذبحون خلفه وكل من سألوهم يقول أنا مجروح من المعمعة إلى أن خرجوا من العسكر وكان الملعون رتب خمسة آلاف متفرقين من حول العسكر وكل ذلك خوف على روحه ولكن أين المفر من القضاء والقدر فلما ان كان ذلك الأمر رأوا الخيل دائره من كل جانب لو لاح طير فى جو السماء طلبوه سيما إذا كان هؤلاء فقال لؤلؤ لمذبحون أنا أعرف فى لحف الجبل مغار واسع فسير بنا اليه ونجعل ذلك الملعون فيه حتى إذا خرج خلفنا الطلب نجونا ونكون متحصنين فيها فقال مذبحون افعل مابدا لك فساروا إلى المغار ودخلوا فيه وقد ذهب من الليل أكثره وقال لؤلؤ عول بنا على المسير فقال مانأمن على نفوسنا من ذلك الحرس لاسيما وأنا فى زى النسوان وكل من رآنى ينكر على ولكن دعنى ههنا وامضى أنت إلى الأمير عبد الوهاب بما قد جرى وخذ من عنده عشرة رجال فى زى فلاحين الروم ومعهم بغال حتى يكون ذلك الملعون على بعض البغال ونسير فى بعض الطرقات فقال لؤلؤ صدقت يامولاى لأن من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب (قال الراوى) ثم مضى إلى عند الأمير كما ذكرنا وأخذ الرجال كما قد نعتنا ووصل إلى المغار فلم ير لامذبحون ولا عقبة المفتون فغاب عقله ودهش لبه وانبهر وافتكر وعاد غائبا متحير وهو يقفو الأثر واما ميمونة لما وصلت إلى المغار وانقطع عنها الأثر وعادت على عجل (قال الراوى) وكان من أمرهم أمر عجيب وحال غريب أعجب من

القبض على عقبة وذلك ان الملعون لما أفاق من غشيته وجد روحه محمول على أكتاف انسان وحطه فى المغار وسمعه وهو يقول والله يامولاى لقد تم لك على عقبة دست عجيب فعلم عقبة من أين دهى فرجع على روحه بالملامه وقال ياشيخ السوء من كثرة الشغل الذى معك والشهوة يحملك الطمع إلى منيتك من بنات الملوك و ندم حيث لا ينفعه الندم

(قال الراوى) ولما ان أصبح الصباح قال بصوت ضعيف ويلك يامذبحون قتلتنى مع انى عرفتك وانا كنت أمزح معك لأن الله تعالى قد نزه شيبتى عن المعاصى وما هربت من عسكر الامام إلا لما كنت فيه من الذل والهوان وأرميت روحى فى عسكر الروم كيما اتسع فى الأرض وقد طحنت رقبتى وانا فى آخر نفس وقد قرب موتى لا محاله فاذا وصلت إلى أبيك البطال قول له عمك عقبة يقول لك انت فى حل مما كنت تعمل فى حتى وما تقول على لا طالبك الله بشىء من ذلك وكذلك الأمير عبد الوهاب فأنا من الأموات وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمدا رسول الله عليها أموت وعليها أحيا وعليها أبعث فقال مذبحون دع عنك الحيل يا ملعون وكافر مفتون فقال عقبة ياسبحان الله الآن صح عندى انك ابن ذلك الرجل الظالم الغاشم ياهذا أنا أجود بروحى وقد قرب موتى وأنا ما أقول ذلك القول أنجو من الهلاك لأن الموت كاس دائر على جميع المخلوقات وأنا اقول ذلك القوم إلا حتى تعلم انى مت على دين الاسلام وأنا اعلم وأتحقق ان مايصيبنى الاما كتب الله على حتى ترفع بذلك درجاتى وتمحى سيئاتى ولكن ياولدى سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم الامادرتنى إلى القبله وإلا اطالبك بذلك بين يدى العلى الأعلى

(قال الراوى) وكان كلامه بضعف وانكسار ولما ان سمع مذبحون منه ذلك قال فى نفسه هذا شيخ كبير هرم وربما يكون كلامه صحيح وأطالب بذلك بين يدى المولى ثم تفكر فى نفسه وخشى ان يكون كلامه حقا وصدقا فيكون من الاشقياء ثم نظر اليه وقد غارت عيناه واصفر وجهه وبسط جسده وحبس الملعون نفسه حتى بقى يتردد فى صدره قليل فايقن مذبحون انه ميت لا محاله فقال هذا رجل مظلوم ولا له أحد يكشف ظلامته فيا ليتنى نفست عنه كتافه وخففت وثاقه ثم وثب اليه وحل وثاقه ونفس خناقه فعلم عقبه ان محاله قد انطلى عليه ففتح عينه الصحيحه وصار ينظر بانكسار وأشار اليه ان دورنى إلى القبله ففعل مذبحون ذلك ورشح بالعرق جبينه وامتدعناه من كثر ماحبس نفسه وقال أنت فى حل منى وأشار ان بل حلقى بقليل من الماء (قال الراوى) فقال مذبحون ماأظن يغفر الله ذنبى ان مات ذلك الرجل عطشانا ثم خرج من المغار فى طلب

الماء وكان الماء بعيد عن المغار واما عقبه لما علم ان مذبحون خرج من المغار علم ان مكره عمل معه جمل يتقلب مثل الثعبان إلى ان أتى إلى باب المغار ولما ان وصل إلى باب المغار فلم نظر أحد فطابت نفسه وقام مثل الشيطان أوكانه ذئب أمعط أو ثعبان أرقط أو بلاء مسلط (قال الراوى) وشد وسطه بالزنار الذى كان مكتف به وهج على وجهه هاربا وإلى النجاه طالبا خوف من الموت والرزيه وما نشب فيه من مخاليب المنيه وبعد ذلك رجع مذبحون بالماء فلم يلتقى أحدا وكان عقبة قد دخل بارض اخرى وفيها دير أوى اليه ولما ان رأى مذبحون المغار فارغ صفصف حار فى أمره واندهش سره ولحقه الانبهار وقال هذا جزاء من فرط فى أمره لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولقد حذرنى أبى من مكر ذلك الملعون ولكن ماغرنى إلا موته فبأى وجه التى الأمير عبد الوهاب وكيف يكون حالى مع أبى وربما عايرنى بسببه وان لم اخلع فى تلك النوبه رقبته على الحقيقه ماأكون نزلت من وسط امى نورى وسار فى أثره وقد تحقق الاثر ولم يزل ماشيا إلى الليل والأثر بين يديه وهو متعجب ويقول ما كان فى الملعون قوة يغدو هذا كله إلى غروب الشمس أشرف على الدير وكان عقبة وصل قبله بقدر ساعتين وكان ذلك الدير فيه تسعة رهبان بعضهم شيوخ والبعض شباب والشيوخ طاعنين فى السن وهم فى طول الزمان فى ذلك الدير ولما دخل الملعون عقبة عليهم وسلم ماعرفوه من تغير أحواله فعرفهم بروحه فقاموا اليه وخدموه وبجلوه وأكرموه وقالوا لأى شيء سلكت ذلك الطريق ونراك بلا صاحب ولا رفيق فأعاد عليهم قصته وماجرى عليه من لعنته ومصيبته وقال يا أولادى ماهدى روعى الا فى هذه الساعة الحقونى بماء بارد فأتوا له بماء ومعهم شراب التفاح وزاد فأكل وشرب الى أن اكتفى وأخذ وساده ووضعها تحت رأسه وحط يده على صدره (قال الراوى) وأما مذبحون فانه لما وصل الى الدير أخذ نفسه الى أن أتى الظلام نهض يطلب الدير فوجد بابه مفتوح لأنهم كانوا آمنين ولما صار مذبحون من داخل الدير ونظر الى عقبة نائم مما جرى عليه من التعب والشقاء وهو كانه غارق فى نومه وما عنده أحد فأيقن بأخذه وملكه فتقدم وبرك على صدره واذا بالصياح أخذه من كل جانب والرجال مثل السلاهب وفى أيديهم السيوف القواضب ثم انهم انكبوا عليه وما كان معه شيأ يمانع به عن نفسه من حلاوة الروح واذا بعقبة وثب كانه شيطان وهو يقول كيف رأيت الشيخ الميت سلم نفسك ياخبيث والاوحق المسيح قطعناك قطع وبضعناك بضع فاستسلم رغما عن أنفه فأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والاطراف وقدموه قدام الملعون فقال له ويلك يامذبحون كيف ترى فعلى فقال ياملعون هذا جزاء

من يغتر بكلامك وفعالك فضحك وكشر على أنيابه وأخذ عصى زيتون وضربه الى أن غشي عليه وبعد ذلك أقبل على الرهبان وقال اعلموا ياقوم هل تعرفون هذا قالوا لا فقال هذا الذي تعرفون أباه ولا تنكروه هذا ابن الشيطان المحتال أبو محمد البطال فصلبوا الرهبان على وجوههم وقالوا ويماه ويماه بحق المسيح لا تذكر ذلك الشيطان فانه اذا ذكر حضر فقال عقبة ياويلكم ايش ذلك الفزع الذى قد تحكم فى قلوبكم منه

(قال الراوى) فقالوا ياحجة المسيح أنت نائم ورجليك مطروحة فى الماء البارد اعلم أن هذا الدير كان أعمر الديوره وأغناها وأكثر ستوره وقناديل وكنا فيه أربعين راهبا كل واحد على خدمته مواضب حتى عمل معنا ذلك الشيطان مناصب يقطف رؤسنا من على المناكب وما زال يطرقنا ويبذل فينا الحسام حتى قتل كل من فى الدير وهرب من تبقى من الرهبان وطلبوا الصوامع والبلدان وتركوا ذلك الدير كما ترى ولم يبق الا من كبر سنه ودق عظمه ولما ان ضعفنا أخذ علينا عهود وإيمان وجعل علينا مال نعطيه فى كل عام وإذا دخل إلى بلاد الروم وعاز نفقه أو طعام أو شراب نعطيه مايريد ونحن عنده فى منزلة العبيد وقد أخذ علينا العهود ان لا ننقض عهده ولا نطلع أحدا على خبره ولهذا قد أبقانا والا ما كان ترك منا أحدا فقال عقبة وحق المسيح انا أريحكم منه لأن هذا ولده وهو أحب الأشياء عليه ولا بد له أن يطلبه لأنى أعلم أنه ما يصبر عنه ساعة واحدة وان سلك فى هذه الأرض سوف آخذه كما أخذت ولده ولا بد له أن يأتى فى طلبه وطلبى ويقتفى أثرى وأترك عليه الرصد والباب مفتوح وتكمنوا له وتخرجوا عليه بالسيوف القواضب فقالوا ياشيخ اننا ماعلمنا ان هذا ولد البطال لأن هيبته فى قلوبنا فقال سوف ترون من فعالى العجب ولا أحوجكم إلى قتال ولا نزال وأقام ينتظر البطال (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة (وأما ما كان) من لؤلؤ فانه رجع إلى أستاذه البطال وأخبره بأنه رجع إلى الموضع ولم يجد فيه أحد فقلق على ولده غاية القلق واشتد به الحرق ولما ان كانت الليلة الثانية اجتمع أرمانوس بالملكة ميمونة وقال لها قد عولت على الرحيل إلى القسطنطنية وأعاد عليها ما أشاروا عليه ملوك الروم فقالت يا ملك ان رحلت طمعوا فينا عسكر الإسلام وما يصل معك من كل ألف واحد وان كان ولا بد لك من الرحيل ارحل تحت العز ولا ترحل تحت الذل فقال وكيف ذلك (قال الراوى) فقالت تركب الساعة وتركب الروم جميعا وتأمرهم بالحملة من بعد أن يرفعون الخيام والأموال على البغال والدواب وترحل الرجال معهم بالثقل وأنت واقف وهذا الليل مظلم معتم فاذا علمت ان الثقل قطع الدروب تأمر الروم كلها ان تصيح صيحة واحدة وتطبق على المسلمين فان أنت ظفرت بهم بلغت

المراد وشفيت الفؤاد وان رأيت من أصحابك تقصير تهرب على الخيل فى سواد الليل وتطلب بلدك وقد تقدم ثقلك قبلك وأمنت على متاعك وأصحابك فقال وحق المسيح لقد قلتى قول مليح ثم جمع الملوك والمقدمين وأمر كل واحد منهم ان يأمر رجاله وغلمانه بقلع الخيام ويرسل أمواله قدامه وتركب الرجال المقاتله وتقف على أهبة من امرهم عند ذلك رحلت الاثقال وركبت الرجال المقاتله والابطال وركب ملك الروم فى سائر الطوائف وصهلت الخيل فى ظلام الليل (قال الراوى) وسمع الأمير عبد الوهاب ذلك الأمر فأنكر الحال وعلم ان الخيل لاتصهل إلا عند الركوب وتقعقع السلاح وصلصلة اللجم فخرج من خيمته وقد أنكر أمر العدا فصاح ياقوم كونوا على أهبة من أمركم ويقظة من شأنكم فان العدو ربما عول على الهرب وان فعل ذلك سرت خلفه فى الطلب وتملك ثقله ونهب ماله وان كان الامر بخلاف ذلك أوردناهم مورد المهالك ثم أرسل الى أمراء الاعراب وامرهم بالركوب فركبوا وللجنائب جنبوا وبلغ الخبر الى بنى سليم فركب الامير عمرو بن عبيد الله فى أبطال قومه وسادات عشيرته وركبت السودان والابطال والفرسان وبلغ الخبر الى المعتصم فسأل عن السبب الموجب لذلك فقيل ان الأمير عبد الوهاب قد أنكر حال العدو وأنه قد جعل حالهم على حالتين اماهرب واماقتال ولما ان سمع ذلك قال الحمدلله الذى أيد الابطال والإسلام وأهل دين الإيمان بذلك الفارس المكين ولافيهم من يقوم مقامه ولامن يروم مرامه ولقد أيد الله به أركان الشريعه وأنا أسأل الله تعالى ان يطيل عمرى حتى أبلغه مايتمناه من طلب عقبه إذا تبين عندنا أنه منافق على هذه الملة الحنيفية فاما أن يكون ذلك فى مكايدة هؤلاء القوم أو يكون كافر على الحقيقة (قال الراوى) ثم إن الإمام خرج من سرادقه فى عساكر العراق وصهلت الخيل فى ظلام الليل ولمعت السيوف الرقاق وقامت الدنيا على قدم وساق وسمعت الروم ذلك الزعاق فقالوا لأرمانوس لاشك أن الإسلام قد سمعت صهيل خيولنا وعجيج رجالنا فأخذوا أهبتهم فقال أرمانوس احسبوا أنهم كذلك دعوهم يفعلون مايشاؤن دونكم والحملة عليهم ومكنوا منهم الصوارم وانثروا الجماجم وانهبوا بالرماح منهم الأرواح عند ذلك صاحوا صيحة واحدة فارتجت منهم الأرض فى الطول والعرض وأكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملت بطارقتهم وعلوجهم وأزعجت الأرض وتزلزت من صهيل الخيل لما صهلت ووصلوا إلى الإسلام وهم كف واحد فوجدوهم كانهم السد الأقصى وقد غاصوا فى الحديد والزرد النضيد وضجوا بكلمة التوحيد وذكروا الملك الحميد المجيد هنالك غلت الحرب كغليان المرجل وزاد التحير والأسف وزاد توحيد العرب وثبتت بنى كلاب والسودان الأنجاب والتحم بينهم الضراب وجزت الرقاب وعسرت الطلاب وتصادمت

الخيل فى سواد الليل ووقعت وتطايرت الرؤس وعظم البؤس ولم يعرف الرجل أصدقاه من أعداه ولا أهله ولا أقرباه ووقعت الفتيان وخرست الافواه وطعنت الجباه واستغاثت المؤمنون بالله واستظهرت على الكفرة الطغاه وهاجت أبطال الوغى وليوث الوقعا والرجال وضراغم الفلا وفتاك البيدا وقشاعم الفضاء وسالت الدماء وأرملت النساء وعظم الصراخ والبكاء ونزل النصر من رب الأرض والسماء بإذن العزيز المولى على أمة نبيه محمد المصطفى ﷺ فاندفقت الروم على أدبارها راجعة وهى ذليلة خاضعة بما كانت فيه طامعة والمرهفات لرؤسها قاطعة وعيون أعداء الشريعة دامعة وكلمة الكفر خاضعة وضايعة وخيول الموحدين فى طلبهم مسارعة وأعلام الحقيقة بارقة ساطعة ونورها فى الآفاق لامعة والرماح لقمم المشركين قارعة وكان ذلك مثل اليوم الذى قال الله فى حقه القارعة ما القارعة إلى أن قرب الصباح ورجعت الاسلام وقد ملئت الأرض بالقتلى وهم طالبين خيامهم ومضاربهم وقد فرحوا بما فتح الله على أيديهم من النصر والظفر بعد وهم الا أن الروم كانوا قدموا الثقل كما ذكرنا ولم تغنم الاسلام الا خيول غائرة وعدد على الأجساد المطرحة الدائرة (قال الراوى) ولما أن وصلوا الاسلام إلى الخيام وجدوا النار تلتهب فيها من كل جانب وقد خلص حرب بن شيبان وسائر العرب المتنصرة المأسورين وأخذت خزانة الامام وخزانة الأمير عبدالوهاب وأخذوا الأموال والرحال والرجال مالا يقع عليه أحصى ولا عدد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الملعونة ميمونه وذلك أنها لما أمرت الروم بالحملة لبست هى وسودانها وعشرين ألف من الروم بالعدد والزرد وكانت لما رحل الثقل لم تدع عندها الا خزنة النفط ولما أظلم الليل واغتم فرقت النفط على الرجال ولما التقى الجمعان واختلط العسكران قالت لمن معها خذوا فى جوانب العسكر وانظروا لمن تكون عليه الدائرة فإن كانت لنا فلا كلام ونملك الطريق على الاسلام وكل من هرب أوردناه مورد العطب وان كانت علينا فلا بد من الاسلام أن يتبعون آثارنا ويطلبون المنهزمين فنكون نحن مكمنين الى أن يتبعوهم ونخرج نحن ننهب أموالهم ورحالهم ونطلق أصحابنا المأسورين ونضرب الخيام بتلك النار ونبلغ ما نختار ولما أن سمعوا خطابها أجابوها ولما انكسرت الروم وتبعوهم الاسلام خرجت ميمونه كما ذكرنا وقتلت الرجال المتخلفة فى الخيام والخدم والفقهاء والقراء وأصحاب الديوان وأطلقت العرب المتنصرة مع حرب بن شيبان ونهبت الأموال وخربت الأطلال الى وقت الصباح ثم تجنبت طريق المسلمين الى طريق المنجاك وهو الطريق المضيق على درب الزعفران وقد وصلت الملعونة إلى مايصل اليه أحد وقتلت زهاء من ثمانية آلاف رجل ممن يقرؤن

القرآن وحافظين لكتاب الله (قال الراوى) ولما أن شاهدوا الناس إلى ذلك وعاينوا تلك النكبة التى لم تكن فى الحساب وقع عليهم الندامة والاكتئاب أكلوا أيديهم أسفا والتهاب وانحلت عزيمة المعتصم ونظر إلى أمواله وقد نهبت وإلى مضاربه وخيامه قد حرقت ورجاله قدقتلت فبكى وبكت الناس لبكائه وتقدم إليه الأمير عبد الوهاب وقال يامولانا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ولقد لقينا من الأعداء خلاف ذلك ومالنا الا التوكل على الله والاصطبار والرجوع الى الله تعالى على اننا والحمد لله ماأحد إلا قتل من الأعداء الفارس والفارسين وأقل ماقتل من الأعداء مائة ألف والذى فقدناه قدصاروا إلى الجنان ونعم الدار ومستقر الكافرين جهنم وبئس القرار وان بقى لنا مقام والرأى أن نرحل الى ملطية لأنى كنت معول أننى أتبع أرمانوس الى أبواب القسطنطونية ولا أبرح حتى آخذ عقبة ان كان كما ذكر عنه ولا أزال أخرب فى بلاد الروم حتى ينكشف خبر الأميرة والآن فقدجرى ماجرى اذ نهبت الاموال والأثقال ولا بقى غير الارتحال وأقيم فى الثغور وأكاتب أرمانوس من شأن الأميرة وأطلب الصلح مع أرمانوس من أجلها فلو كانت حاضرة فى تلك الليلة لما تم علينا ماتم لأنها مليحة التدبير ولما أن سمع الأمير كلام الامام علم أنه صواب فقال هذا رأى طيب وأما الأموال التى غنموها سوف يحمل الينا أضعافها ولولا أنه مابقى للعسكر خيام يستظلون بها من حر الشمس لرحلت عقب هذه الكسرة وأنزل على باب القسطنطونية ولاأبرح الا بالأموال وغير ذلك ولكن الامر لله من قبل ومن بعد وعولوا الناس على الرحيل (قال الرواى) فقال أبو محمد البطال لهما أما أنا فلا بدلى من الدخول إلى بلاد الروم لوجوه شتى أحدها لأجل ولدى وحشاشة كبدى لأن عقبة قد نصب عليه حيله وأخذه بلا محاله وأنا كنت خائف عليه منه لأنه غير عارف بحاله ولا يعرف إيمانه الكاذبه والثانى لأجل الأميرة المجاهدة حتى لا تكون وقعت فى شدة ونشبت فيها أيدى الردى وتمضى إلى بلاد الإسلام فيكون ذلك سببا لهلاكها والثالث لعل الله ان يظفرنى بعقبة الملعون وشومدرس المفتون فاخرج مافى قلبى من الغيظ والحقود فى عقوبتهما وآخذ منهما أموالا مثل ماأخذوا منا (قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر كذلك فأنا وأمير المؤمنين مقيمون فى ملطية حتى إذا سمعت خبرا كتب الينا كتاب وعلقه على جناح طائر من الحمام فما يبات الا عندنا ويكون أنجز لأمرنا وامضى لشغلنا فقال الأمير أبى محمد البطال لقد أصبت أيها الأمير والسيد الخطير وأخذ أبو محمد الحمام وودع الأمير والامام والأصحاب ومضى إلى ماذكر ورحل الامام طالب ملطيه

(قال الراوى) واما أرمانوس فانه وصل إلى مرج الديباج وقد فقد منه خلق كثير

فصعب عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح لقد كان رأى عقبه ميشوم ورأى ميمونة أنحس وأقل بركة ثم انه طلبها فلم يجدها فظن أنها هلكت فقامت عليه القيامة وقال هذا تمام التعسير وسوء التدبير ولما أن ارتفع النهار وصلت ميمونة فى ذلك الجمع الكبير ومعها العرب وحرب ابن شيبان وأموال لاتحصى عدد الرمل والحصى ولما وصل ذلك الجمع ونظر أرمانوس إلى ذلك صلب على وجهه ثم وثب قائما على الأقدام والتقى ميمونة وسألها عن تخلفها فأخبرته بما فعلت وما قتلت وما نهبت ومن خلصت فطاب قلبه وطارت قلوب الروم من الفرح وقالوا وحق المسيح لو لا أن البعد حال بيننا وبينهم لتبعناهم وما كان يسلم منهم أحد ولقد فعلت هذه الملكة فعال مافعله أحد من الملوك فقال أرمانوس وحق المسيح لولا فعالها ما كنا إلا خاسرين ولقد نصرنا بما فعلت وصرنا رابحين ومافعلت ذلك الفعال إلا بسعادتى والآن فقد صارت زوجتى ولو علمت ان ذات الهمة تفعل معى مثل ذلك الفعال لبذلت الأموال حتى أتزوج بها لأنها خبيرة بالحرب والطعن والضرب (قال الراوى) ثم رحل أرمانوس إلى القسطنطونية وقد زينت البلد لقدومه ولأجل ميمونة وفعالها وأحضرت الخزائن بين يديه ففرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد وملأت خزائنه بالأموال وكتب الكتب إلى سائر الأقاليم والبلاد يسأل عن أخبار يحزون حتى يطيب قلب أمه وجميع الملوك وقالوا اذهبوا إلى بلادكم ودبروا أحوالكم وأموركم فى هذه السنة والعام القابل ولم يبق كبير ولا صغير إلا يعول على الخروج إلى بلاد الإسلام فما أنا مثل الملوك لأنى لو لقيت الاسلام فى كل سنة مائة مرة ماازداد ألا نشاط وقوة وانبساط ولا أبالى ان كنت رابحا أو خاسرا (قال الراوى) فهذا ما كان من أرمانوس (وأما ما كان) من أمر الأمير أبى محمد البطال وغلمانه الأشبال لأنه قال لهم اعلموا يا أولادى ان الطرقات كثيرة وبلاد الروم كبيرة ونحن لانعلم أى أرض نقصد ولاى الاماكن نطلب ولكن اقصدوا بنا المغار الذى كانوا فيه ونقصد إلى دير الرهبان لأن بينى وبينهم عهود وايمان فلا أفزع من جانبهم ولا أخاف وأسألهم عن ولدى ان كان عندهم منه خبر ومعه جوز حمام كما ذكرنا فقال لؤلؤ افعل ماتريد ثم انهم تبعوه إلى أن وصلوا إلى المغار وتبعوا الأثر من المغار إلى أن وصلوا إلى الدير وقد ذكرنا ان عقبة مقيم فى الدير ينتظر قدوم البطال فى طلب ولده وكان قد قدم على عقبة الشيخ الظالم والشيطان الغاشم أبو الشرشومدرس ومعه أربعة رجال مثل الكلاب يتكلمون بالعربية ولما ان اجتمع عقبة والراهب شومدرس فرح به وقال وحق المسيح انى أشوق الناس اليك وقال عقبة إلى أين أنت قاصد فقال الراهب اعلم أيها الشيخ ان فى قلبى نار لاتطفى ولهيب لايخفى من البطال وأنا ان أموت ولا آخذ بثارى لأنه كان السبب فى هلاك ولدى دهرشوم وزوجتى

شوما وأنا معول على الدخول الى بلاد الاسلام ومعى هؤلاء الرجال لعلى أصل الى البطال بدقائق قد احتكمتها واموروقد دبرتها وما قطعنى عنك الا اصلاحها وسوف أبين لك أمرها بعد حين فضحك عقبة فقال الراهب ماهذا الضحك ياريس الملتين قال عقبة لقد قرب المسيح خطاك وأحسن جزاك هذا ولد أبى محمد البطال فى قبضتى وتحت حوزتى وهو عندى وفى أسرى ثم أعاد عليه القصة وأن أبوه لا بد له أن يحضر ويسعى فى خلاصه ويقرب المسيح آجالهم فقال الراهب ياشيخ وحق المسيح لقد فرجت عنى كربتى بذلك الخبر

(قال الراوى) ياسادة عند ذلك وثب عقبة وأخذ الراهب وأتى عند مذبحون فوجده فى أسوأ حال وقد أشرف على الوبال ولما أن رآهما قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال الراهب شومدرس ماهذه الا خبائة والا أنت وأبوك أصول أرواح أهل الأرض ثم أخذ قضيب زيتون وضربه حتى قيل انه قضى عليه (قال الراوى) فقال عقبة خليه الساعة معذب لعل أبيه يأتى بسببه ونأخذه ونقتل الاثنين عوضا عن زوجتك وولدك فقال الراهب المسيح يحسن جزاك ويظفرك بأعـــداك ثم صعدا الى أعلا الدير وجملا يرقبان البطال ولما ان كان فى اليوم الثانى وإذا بأبى محمد البطال وغلمانه قاصدين إلى نحو الدير ولما ان رآهم عقبه على بعد نزل إلى الرهبان هو وشومدرس وهو يقول وحق المسيح ان هذا مليح فقالت الرهبان ماحالك ياراهب فقال أتى البطال وغلمانه لاغير فقالت الرهبان والرجال الذين أتى بهم شومدرس نحن نخرج لهم فقال لا ماهذا صواب لان غلمانه شياطين الأرض فى الطول والعرض وأخاف ان يقتل منكم واحد أو اثنين ومالهم إلا الحيله ثم انه جمع الرهبان وقال اعلموا اما أقول لكم عليه وهو افضل من العياده وأنا اخبر فقالوا اله ماتريدان نفعل قال اكمنوا كلكم بالمدمع هؤلاء الرجال أصحاب الراهب شومدرس ولا يبقى ظاهر منكم أحد وانا اطلع فوق الدير فاذا أتى البطال وسأل عن ولده مذبحون يقول له هذا الراهب الطاعن فى السن اهلا وسهلا ويسلم عليه ويقول له انه عندنا اعزمن نفوسنا لأنك تقدر على هلاكنا وخراب دريانا وتعفو عنا لأجل الايمان التى بيننا وبينك وتريد توفى لنا ونوفى لك واما ولدك فانه عندنا لم نقدر نفرط فى حقه ولا فى امره وقد أتى به شيطان وفاق على كل الناس وهو القاضى عقبة لأنه أودعنا اياه ومضى هو وشومدرس يدبرون على شىء آخر رايناهم يشتورون ويقولون مانسيرالا وأبيه معنا والسبب فى ذلك يا ابو محمدان عقبه من امس وصل الينا وهو ملهوف كانه كان فى شده فما هو إلا ان بات وأصبح وصل اليه الراهب شومدرس ومعه أربعة رجال من العرب المتنصره ومعهم ولدك مذبحون فقال عقبة تمت الحيله ياشومدرس قال نعم هذا مذبحون وبقى أبيه ففرح عقبه ووثب لولدك وضربه ووضعه عندنا وأوصانا عليه ان لا نفرط فيه فقلنا له لا نفعل ذلك

ولا تدعه عندنا الآن أبوه قد حالفنا وعاهدنا ان لا تخفى عليه أمر من الامور فقال لنا هذا فيه رضى المسيح ولا تفرطوا فيه تكونوا الخاسرين على الدين وان فرطتم فيه أأمر ارمانوس انه يخرب ديركم ويصلبكم على باب القسطنطونيه وها نحن باقيين إلى الملك وهذا الكلام من أول أمس فى أعقاب النهار ونحن أعلمناك بالقصه وولدك عندنا أدخل ابصره واسأله إيش عملنا معه من الجميل واحقن دماءنا واسرق كل من أردت وأودعه عندنا فان فرطنا فيه نكون خناك ثم قال عقبة للرهبان فاذا دخل الدير وانطلا عليه الهذيان وثبنا عليه وعلى غلمانه قبضناهم قبضا باليد

(قال الراوى) ولما ان سمعوا الرهبان والرجال المتنصره ذلك المقال أجابوا واعتدوا الا راهب واحد منهم يقال له قطامير فانه قال أيها الشيخ النحس وحق المسيح لقد عولت أن تجعل رؤسنا بلاطراطير وكلنا على الأرض مطرحين ولما ان سمع عقبة ذلك خجل وقال إيش هذا الهذيان يا نحس الرهبان فقال الراهب وحق المسيح ما هو هذيان وما قلت ذلك القول الا قد صح عندى وعند سائر الروم ان رجلك مثل رجل اليوم ما تحجل فى أرض قوم الا فى طالع ميشوم وأما أنا وحق المسيح ما أترك البطال يطأ ذلك المكان ولا يسمع ذلك الحديث فتكاسل عقبه ولا أخذ كلامه على وجه الحقيقه (قال الراوى) ووصل البطال وغلمانه إلى الدير فكلمه الراهب بما قال عقبه الكشحان وقال ادخل ابصر ولدك وأقم عندنا حتى تتسبب فى خلاصه فلو علما انه ولدك ما استودعناه عندنا وفتحوا له الباب وعول على الدخول فصاح الراهب قطامير لا تدخل يا بطال فقال له لماذا ياقطامير فقال تبقى رؤسكم بلاطراطير فقال البطال ما معنى ذلك فأراد الراهب ان يتكلم على عقبة وإذا بالرجال من الرهبان والعرب المتنصره قد ظهروا وصاحوا واما البطال وغلمانه لما شاهدوا ذلك سلوا سيوفهم والخناجر وتضاربوا بها فى الجنوب والخناجر وصدم البطال بعض الرهبان وضربه بالخنجر فى لبته وقع على قفته فصاح الراهب قطامير أنا فزعت من هذا التعثير وأحرم أكل الحنطة والشعير وأقاسى البلاء من هؤلاء المداميروقتل لؤلؤ رجل من العرب المتنصره فصاح عقبه وقد تبلد خاطره ودمع من الخوف ناظره ياويلكم ان طاولتموهم أفنوكم والذى ما تقدرون على قتله اخرجوه (قال الراوى) عند ذلك حملت الرهبان والعرب المتنصره من كل مكان وأشرفوا منهم على العطب قدر ساعة أخذوا البطال وجوهر وبقى لؤلؤ بعدهم قدر ساعة وملكوه وكادوا ان يهلكوه وقدمهم عقبة بين يديه وقال أتونى بالراهب قطامير وقربوه مع هؤلاء الخنازير فلولاه ما قتل من أصحابنا أحد وكنا أخذناهم بلا تعب فأتوا بقطامير وسحبوه قدام اللعين أحضروه فقام عقبه ولطمه على وجهه وقال يا ملعون أنت تقول إنك من أمة المسيح وتفعل هذه الفعال وحق المسيح لابد لى ان أؤدب بك كل راهب يسكن فى صومعة ولكن حتى أتفرغ مما أنا فيه ثم قدم

البطال وقال له كيف ترى فعلي ياقرد هل عنا بى المسيح أم لا ابشر بالعذاب الشديد ولكن ماأقتلك حتى أعـــذبك وأريد أحضر ولدك وتنظره وهو فى سكرات الموت والعقوبة وأضربه قدامك حتى تنسى دين الإسلام وأحملكم إلى القسطنطونية ولا بد لى ما أجمع بينك وبين الأسود الزنيم والبغل اللئيم وتكون أنت وولدك للراهب شومدرس يأخذ منكم بثاره ويكشف عنه عاره لأنى أوعدته بذلك وأنا عند وعدى ولا أخالف قولى ولابد أن أشرب من دم عبدالوهاب قبل موتى حتى أكون آخذ بثار النصرانية منه (قال الراوى) ولما سمع البطال ذلك تحسر من شدة كفره وتجبره وقال له يامعلون ويا كافر مفتون أنت تعلم أن الذى أوعدنا بصلبك صادق ولكن ياشيطان الشقاوة أبعدت بينك وبين الاقبال حتى كفرت بذى الجلال وتنسب اليه الأمثال وهو سبحانه وتعالى منزه عن الاشكال تعالى ربنا عما يقول أهل الضلال ياويلك أما تستحى وأنت تتجرأ على الخالق وأنت تعلم أنه يحاسب على الدقائق فى يوم تقف بين يدى الخالق الذى خلق كل الأمم ويحاسب كل أحد على ما أخر وقدم وسوف تندم فى ذلك اليوم حيث لا ينفعك الندم إذا شابت اللمم وزل عن متن الصراط القدم وشخصت أبصار الأمم هنالك يتجلى علام الغيوب وتعرف أصحاب الذنوب من أصحاب القلوب وتساق على وجهك إلى النار وأنت مسحوب إلا أن تقلع من الذنوب وتتوب إلى علام الغيوب (قال الراوى) ولما ان سمع عقبه من البطال ذلك الكلام ضحك وقال ياملعون إنك غلامى ومن بعض تلامذتى وأنا أخبر منك بهذه الأشياء وحق المسيح انى أعلم كيف يكون الحساب والخلق يوم القيامة ولا بد ما تعرف مقامى فى ذلك اليوم وأنا وحق المسيح لارحمت منكم أحدا لافى الدنيا ولا فى الآخرة ولابد لى يوم القيامة أن أجازيكم على فعالكم ثم قال ائتونى بمذبحون حتى ينظر بعضهم بعض فلم تكن إلا ساعة حتى حضر مذبحون وهو مثل الكبدة المحروقه مما قد ضربه عقبه وشومدرس ولما حضر قال أبشر يا مذبحون بالويل حتى لا يعطب واحد منكم إلا يشاهده الآخر ثم قال مدوه فقال مذبحون أنا قد أخذت نصيبى الأوفى وإن زدت على مت لامحاله فقال عقبة لابد أن تضرب قدام أبيك خمسين عصاة ثم مده وضربه حتى غاب عن الدنيا فقال البطال ويلك لاتفعل فما تعلم ما يأتى من العرضيات فقال عقبة مابقى لا عرضيات ولا طوالات ثم مد أبو محمد وضربه حتى كاد أن يقضى عليه وأشرف على العدم وضرب غلمانه حتى أنزل لحومهم وقال أتونى بالراهب قطامير فسحب وهو يقول أيها الشيخ الضال افعل بى ما شئت فأنا من وقت ما تجادلت أنت والبطال فى الأديان علمت أننا على الباطل وأنا برىء من دين النصرانية وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

محمدا رسول الله (قال الراوى) فصاح عقبة ياويلك قتلتني بذلك المقال وأنا كنت أهول عليك بالضرب فقال الراهب انى والله لصادق فى قولى وقد ثبت عندى الإيمان لأنى قرأت الإنجيل القديم وهو إنجيل يوشع الذى أمر به مرتوما بتبطيله ان عيسى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه خلقه من أنثى بلا ذكر كما خلق حوى من ذكر بلا أنثى وفى وسط الانجيل ان عيسى عليه السلام يبشر بنبى من بعده اسمه أحمد ويأمر باتباعه وأن نكون من أشياعه وأنا والله كنت من جملة الرهبان وروحى تحدثنى بعبادة الملك الديان وأتبع ذلك الرسول الذى يبعث من عدنان فقال عقبة وقد عظم عليه وكبر لديه يا كلب الرهبان ماهذا فى الانجيل قال الراهب تكذب يانحس انى قد قرأته والله لا حلت عن التوحيد وأن محمدا رسول الملك المجيد فصاح عقبة مدوه وكان شيخا كبيرا وضربه حتى نزل لحمه ومزق جلده وهو لايصيح فقال عقبة خلوه فقد مات فقال الراهب والله ما مت ان كنت تزيد فى الضرب فاضرب لأنى شيخ كبير وما قلت انى أضرب وأعيش والآن فما أجد لضربك ألم لأنه فى طاعة الله بارىء النسم وقد قوانى ربى على البلا وجدد لى جلادة على الأذى فاغتاظ عقبة الملعون وضربه حتى كل ساعده وزنده وقال ردوا الكل إلى المطمورة حتى تبصر كيف نسيرهم إلى القسطنطونيه فخلوهم فى سرداب هناك والبطال يبكى على حال الراهب ويقول والله لئن كان لى عمر كيف أشفى قلب الراهب منه فقال الراهب يا أبو محمد ما مللت قط لضربه كان بينى وبينه حجاب فلا أجد لضربه ألم ببركة خير الأمم فقال البطال هذا لطف من الله وأما عقبة فانه فتش رجل البطال فوجد الجوز الحمام فقال أحسنت يافرد هذا مليح ما أتى ذلك الشيطان الى تلك الأرض الاصاحب أخبار وماهو الا أراد أن يفتش على أخبار ذات الهمة وحق المسيح لا بد لى أن أكشف أخبارها وأطالع ابنها بانكشاف خبرها حتى يأتى ولدها وانصب عليه نصبه وآخذه ومن يأتى معه ثم انه أخذ دواة وقرطاس وكتب خط مثل خط البطال وهو يقول بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير فانى وصلت الى دير الرهبان الذين هم أصدقائى على طول الزمان فوجدت عقبة الشيطان وشو مدرس الكشحان وقبضت عليهم وخلص ولدى وهما معى فى الدير وقد انفذت غلمانه الى القسطنطونيه ليكشفوا خبر الاميره ذات الهمه وأنا قد سمعت عنها خبر وما استصحيته وبعد ذلك أن الملك ارمانوس كشف خبرها وخبر بحرون وقد أنفذ مائة بطريق ليأتى بها من قلعة صافور لأن بحرون قد انهزم بين يديها وقد تبعته الأميرة حتى وقعا عن الجوادين من شدة الجرى ووقعا عن وجوههما فلقيهما قوم من أهل القلعة فأخذوهم وأطعموهم وأسقوهم وعرفهم بحرون بنفسه فأكرموه وقيدوا الأميرة

ذات الهمة وأنفذوا إلى الملك أرمانوس وأعلموه بذلك ففرح وأنفذ المائة بطريق وأريد أيها الأمير إذا وصل اليك هذا الكتاب تتزيا أنت وعشرة من خيار الأمراء الأنجاب بزى البطارقة وتطلب دير الرهبان فان كان الخبر صحيح تخرجون أنتم على البطارقة وتخلصوا الأميرة ذات الهمة وإن لم يصح ذلك فتكونوا عندى الى أن يصلنى خبر من غلمانى فانها ماتخلص إلا بالحيله أو بالسرقة فعند ذلك أسير أنا لها وأتحايل فى خلاصها وأنفذ معكم الملعون عقبة والكلب شومدرس وأشهد أنا خلاصها فان خلصت وإلا فادينا بها والسلام ثم ان عقبة أخذ الكتاب وأتى به إلى السرداب ونزل الى عند أبو محمد البطال وقال له ياشيطان ماتسير إلا ومعك الحمام وغيره وترسل معه الاخبار ولكن أنظر ايش عملت وكيف فعلت ثم قرأ عليه الكتاب فعند ذلك قامت على أبو محمد القيامة وقال لعنك الله ياملعون فلا بد لك من يوم مشهور بين الناس فقال عقبه بعد أن أصلبكم فى هذه النوبة دع يفعل الزمان بى ماأراد فلا أبالى بأى موتة أموت بها ثم غلق الطابق على الأمير أبو محمد وغلمانه وطلع وعلق الكتاب على جناح الطائر وأطلقه وقال لشومدرس كيف ترى هذه الحيلة العجيبه فعند ذلك قال الراهب شومدرس وحق المسيح مايجىء عبد الوهاب ومعه تلك العشرة الا يريدون كل من فى بلاد الروم ويكون لنا معهم يوم معكوس مذموم وما هى الا حيلة معكوسة علينا ويلك ياممتعوس وحق المسيح اذا جاؤا هؤلاء كما نقرل من يجيرنا منهم فقال عقبة وحق المسيح لقد ذكرتنى بشىء كنت عنه غفلان ثم انه ادعى ببعض العرب المتنصرة وقال له ائتنى بالراهب فلان فادعى بالراهب اليه فقال له عقبة سير الى القسطنطونية ونفر الينا العرب المتنصرة فقال الراهب السمع والطاعة قال الراهب شومدرس وحق المسيح ما الصواب الا أخذ هؤلاء الشياطين ونسير بهم الى القسطنطونية ونحن رائحين والا نصبح خاسرين فقال عقبة وحق المسيح مانسير الا والكل معنا وان سبقوا وأتوا الينا قبل أن يأتينا أحد من القسطنطونية سوف آخذهم بحيلة عجيبة من العجب ماتهتدى اليها الجن الذين تحت الأرض فقال الراهب وحق المسيح لقد عولت على أننا نسير من هاهنا الى بلاد الإسلام أنا وأنت فى الصناديق محمولين بعد أن يلطمونا ستين فضحك عقبة من كلامه وكشر عن أنياب كأنها أنياب الخنازير وأقاموا ينظرون مايكون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب والمعتصم ومن معهما من العساكر فإنهم وصلوا الى ملطية وهم حاملين هم من قتل منهم من المسلمين هذا والامير عبد الوهاب لا يأخذه هدو ولا قرار لفقد الاميرة ذات الهمة والمعتصم يقول للامير عبدالوهاب أنا أقول ان شاء الله تعالى ان الامير أبو محمد البطال

مايعود الينا الا بخبر الاميرة وجلية أثرها وأنا فلا بد أن أنفذ الى الملك أرمانوس رسول فان كانت عنده تسببنا فى خلاصها بكل الاسباب فقال الامير عبدالوهاب فلا بد أن ترسل الى ملك الروم كتاب فى سبب ذلك (قال الراوى) وقد عولوا أن يسيروا الى ملك الروم رسولا بسبب الاميرة ذات الهمه واذا بالبراج قد دخل على الامير عبدالوهاب وبيده الطير الحمام والكتاب ففرح الامير عبد الوهاب بذلك وتناوله وفتحه وقرأه وعرف معناه ثم انه بعد قراءته الكتاب استدعى بأولاده مثل الامير سيف الحنيفية والامير ظالم والامير ضيغم والامير قشعم ومن الامراء مثل الامير سعيد بن الفرج وهارون العلوى وبردبن الازهر وراشدبن ضمرة وطارق الحجازى وميمون الجماس وتمام عشرة رجال من أمراء بنى كلاب فلما أن اجتمعوا عنده فى بيته أعلمهم بالخبر ففرحوا القوم بذلك غاية الفرح وقالوا والله العظيم أيها الامير لا بد لنا أن نسير معك فى طلبها ونرمى أرواحنا على كل من فى بلاد الروم حتى تخلص الاميرة ذات الهمة سيدة المجاهدين فلما سمع الامير عبدالوهاب كلامهم جزاهم خيرا وأوسعهم شكرا ثم قال لهم اكتموا هذا الحديث عنا ربما يكون جواسيس لملك الروم (قال الراوى) ثم ان الامير عبد الوهاب وثب من مجلسه ودخل على أمير المؤمنين المعتصم بالله وأخبره بهذا الخبر ففرح الخليفة بذلك غايه الفرح ثم ان الامير بعد ذلك استشار الخليفة وقال أريد الدخول الى ماأمرنى به أبو محمد فى كتابه ولكن نطلب من احسان أمير المؤمنين أن يكتم هذا الخبر عنا ولا تعلم به أحدا من بنى سليم حتى لا يشيع هذا الخبر وينفسد مادبره أبو محمد البطال فقال له الخليفة والله ياأمير انك مخاطر بنفسك وبمن معك بدخولك إلى بلاد الروم فلو وقع أحد والعياذ بالله هلكتم ولكن أنتم كما قال القائل من أراد عظيم خاطر بعظيم وأنا أقسم بالله العظيم لو أمكننى لسرت معكم إلى خلاص الأميرة المجاهدة والسيدة العابدة فلما سمع الأمير كلامه قبل الأرض وشكره على ذلك ودعا له ثم انصرف من حضرة الخليفة (قال الراوى) ثم ان الأمير هو وأصحابه تزيوا بزى البطارقة من الروم وقد أخذوا معهم بغال وجمال وساروا من وقتهم يقطعون البرارى والقفار وهم مجدين ليلا ونهارا وغدوا وابتكارا وكل من نظرهم ولقيهم يظن أنهم من البطارقة الذين للروم ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من الدير فهذا ماجرى هاهنا وأما ما كان من القاضى عقبة بلاه الله بألف نكبة فانه كان من خبثه ولعنته قد أوقف على طريق بلاد الروم ثلاثة رهبان من أهل الدير حتى إذا نظروا العرب المتنصرة يأتوه فى سرعة الحال ويبشروه بقدومهم وكان الملعون فى كل ساعة ينزل إلى عند الأمير أبو محمد وولده ويشتفى منهم بالعقوبة وأبو محمد يقول له ويلك اتق الله

وابق علينا فهذه الحيلة ماتتم على الأمير عبد الوهاب ولا بد أن يأتى ويخلصنا وتعود تقع فى أيدينا ونكاشك على فعالك معنا فقال له عقبة ويلك بهذه الحسرة لابد أن تموت وحق المسيح لأسوقنكم أنتم الجميع إلى القسطنطونية سوق الكلاب وأنزل بكم العذاب

(قال الراوى) فبينما عقبة وشومدرس فى بعض الأيام جلوس فى أعلا الدير وهم يتحدثان فيما جرى لهم وعليهم إذ نظر شومدرس إلى بغال محملة فالتفت إلى عقبه وقال له ياقاضى هل تعرف هذه القافلة فقال عقبة نعم هؤلاء من بعض الروم فقال له شومدرس وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ماهؤلاء إلا مسلمين وهم القوم الذين كتبت لهم الكتاب فقد أتوا الينا ولا بد أن يعذبونا بأنواع العذاب وأنا وحق المسيح علمت انهم يسبقون الروم وننظر منهم كل يوم ميشوم وقد سقتهم الينا يامجنون فلما سمع عقبة كلام شومدرس ضحك وقال له ويلك ياأبا الشر ماأنت الا تقرأ علينا كتب الآفات فى كل الأوقات ثم ان عقبة مدعينه وتبينهم واذا فى أوائلهم الأمير عبدالوهاب مثل ليث الغاب فقال عقبة وحق المسيح هم أمراء المسلمين على الصحيح وقد سبقوا العرب المتنصرة بلا تطويل وما أظن المسيح براغى لاصاحب ولاخليل وما أراه قط يعمل معنا جميل فياليت شعرى ايش السبب الذى غيب عنا العرب المتنصرة فقال له شومدرس أبطأهم عنا المسيح حتى يقطعوا هؤلاء القوم أقفيتنا بالضرب ويشرحوهم تشريح وهذا كله ببركتك أيها الشيخ النجيح فقال عقبة ويلك ما بقى ينفعنا مع هؤلاء القوم الا الحيلة وان توانينا عنهم هلكونا بلا محالة ولا بد لى ما أحتال عليهم وأوصل أذيتى اليهم فقال له شومدرس ويلك يافرنان وأى حيلة بقيت ههنا تنفع ولم تزل فى الحيل حتى يذوق معك شومدرس شراب الويل بأصناف العطب ونبقى للناس ضرب مثل فقال عقبة وقد اسودت الدنيا فى عينيه الرأى عندى ان تقيم أصحابك المتنصرة السيوف وكذلك الرهبان وانا نجرب أرواحنا فى الضرب والطعان فقال له شومدرس ويلك ياشيخ السوء دع عنك هذا الهذيان والافى هذه الساعة تأكل صفع وضرب يلين له الصوان فقال عقبة الرأى عندى نكمن لهم فى الدير وينزل لهم بعض الرهبان يكلمهم ويدخل بهم إلى الدير فاذا دخلوا وهم آمنون وأرموا العدد ليستريحوا وثبنا عليهم وضربناهم بالسوف وسقيناهم شراب الحتوف فقال له شومدرس وحق المسيح ان اتكلت على قتالنا ماترى سنة أيشم من هذه السنة ولا تفلح بعدها أبدا واما هذه العرب المتنصرة والرهبان مايكفوا واحد من هذه السودان (قال الراوى) فضحك عقبة على مابه من الخوف والفزع وقد رتب العرب المتنصرة والرهبان بالسيوف فى زوايا الدير وكانوا كلهم شبان وقد وقف بعضهم على أعلا الدير

فهذا ما كان (وأما الأمير عبد الوهاب) ومن معه من الاصحاب فانهم لما قربوا من الدير فقال الامير عبد الوهاب قفوا يامعشر الاصحاب حتى أقول لكم هذا الخطاب ولا نفرط فى أمورنا فربما تكون هذه حيلة قد دبرت علينا لان البطال لو كان ههنا لكان قد خرج الينا والتقانا مثل عوائده وما فى الامر الآن ننفذ منا فارسين ويمضون الى الدير ويكشفوا لنا الخبر فان كان ثم خير عادوا الينا وأخبرونا وان كان ثم شرا أو خوفا حذرونا على أنفسنا فقالوا له هذا هو الصواب (قال الراوى) ثم ان الامير نفذ الامير ظالم وأخيه سيف الحنيفية وأقام الامير وأصحابه فى أماكنهم وهم فى انتظارهم الا أن يعودوا اليهم بالخبر اليقين ثم انهم ساروا طالبين الدير فلما نظر عقبة الى ذلك والى انفرادهم قال لشومدرس ويلك ياأبا الشر أتدرى كيف حال القوم فقال له لا وحق المسيح فقال له عقبة ماهم الا قد أنكروا احالنا الآن وقالوا لو كان البطال وولده لخرجوا الى ملتقانا وقد انفردوا هؤلاء يكشفون لهم الاخبار فقال شومدرس جاءك العمل يارأس الفجار وحق المسيح ماهذا تدبير من يفلح فقال له عقبه ويلك ياشيخ النحس لقد قطعت ظهرى وحيرتنى فى أمرى بهذا الكلام ولكن افعل ماأقول لك والسلام وقد أخذناهم عن بكرة أبيهم فقال له وماالذى تريدان نفعل فقال نقوم أنا وانت نقيد أرواحنا وننزل فى السرداب غير الذى فيه البطال وولده ونعلم هؤلاء الرهبان ان يقولوا إلى هؤلاء الاقوام إذا جاؤا وسألوا عن أبو محمد البطال فيقولون لهم انه لما أتى وخلص ولده مذبحون قبض على عقبه وشومدرس وأودعهم عندنا ثم أخذ ولده وغلمانه وسار إلى بلاد الروم يستخبر عن الأميره ذات الهمه لأنه لما سمع خبرها أودعنا هذين الرجلين وسار وقد أوصانا وقال لنا إذا أتو اليكم أصحابى الذين كتبت اليهم الكتاب سلموا هؤلاء اليهم وهاهم عندنا محفوظين من أجل الايمان التى بيننا وبينه من قديم الزمان فان القوم إذا سمعوا ذلك ونظروا الينا ونحن فى هذا السرداب مقيدين آمنوا الرهبان وأكلوا من طعامهم وهم مطمئنين وأنا أعطيتهم دواء يعملونه فى الطعام فاذا أكلوا ذلك توافعوا على الأرض كانهم الموتى ونأخذهم جميعا بلا ضرب ولا طعان فقال شومدرس أنا ماأفعل شيء من هذا ولا أقيد روحى لمن يأتى يأخذنى قبضا بالكف فقال له عقبة وحق المسيح إذا لم تفعل ماقلته لك وإلا مايقع فى البلاء الا أنت لاننى أنا مايقدروا يقتلوننى وآخر أمرى أخلص منهم على كل حال ولا يقدروا على أذيتى لان الخليفة يطالبهم بى واما أنت إذا لم يقتلوك ههنا وإلا أنا أحرضهم على قتلك ولا أدعهم وحق المسيح يخرجون من هذا المكان حتى يصلبوك على هذا الدير وتخرج روحك من بين جنبيك (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال وحق

المسيح انك ما تفتح علينا باب من الخير أبدا وأن شرك يعم القريب والبعيد ثم ان شومدرس قام صحبة عقبة ونزلا إلى الرهبان فأمرهم عقبة ان يرموا العدد من ايديهم وقد علمهم ما يخاطبون القوم به من زخاريف المحال وقد اختفى العرب المتنصره فى بعض مخابىء الدير ثم انه أخذ شومدرس فى يده ومضوا إلى بعض السراديب وقد أمروا الرهبان بأن يقيدوهما ففعلوا ذلك وقد تعجبوا الرهبان من تأمل عقبه إلى تلك الحيل (قال الراوى) هذا وان شومدرس قد اضمر فى نفسه لعقبة كل بلية ونكبه وقال لقد لعن المسيح من يرجع يمشى مع هذا اللعين فى طريق ويأخذه له صديق أو يكون له رفيق (قال الراوى) ثم ان الرهبان اطبقوا عليهم باب السرداب وقد صعدوا على اعلا الدير وإذا بالامير ظالم واخيه سيف الحنيفيه قد وصلوا إلى باب الدير فلما نظروهم الرهبان قالوا لهم وأين باقى اصحابكم العشرة الذين ذكرهم أبو محمد البطال فى كتابه فلم نرى أحدا غيركم فقال له سيف الحنيفية هاهم بالقرب مناونحن قد أتينا ننظر مافعل أبو محمد البطال من الاعمال فقالوا له الرهبان وحق المسيح ماقصر ادخلوا حتى تشاهدوا ما قد فعل وماقد دبر ثم ان الرهبان ساروا بهم إلى ذلك السرداب الذى فيه عقبة وشومدرس وفتحوه ونزلوا جميعا فوجدوا عقبة وشومدرس مقيدين وعقبة قد اظهر الضعف والانين كانه قد ضرب فقال له سيف الحنيفيه كيف حال الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح فقال له يا بنى كيف يكون حال من خلّصه أبو محمد البطال فالله تعالى يأخذ لى حقى منه وممن ظلمنى فقال له سيف الحنيفية والله إنك يا ملعون لو عمل معك ما استوفى منك ربع ما عملته فى المسلمين فى كل وقت وحين فقال له عقبة يا بنى هذا كان فى زمن الجاهلية وأما اليوم فوحق النبى محمد المصطفى صاحب المكارم والوفى أبغض مالى الآن جلوسى مع من يكفر بالرحمن فلما سمع سيف الحنيفية كلامه قال والله العظيم انك تكذب ولا بد لى أن أشتفى منك فى هذه الساعه بالضرب والعذاب ثم انه أمر الرهبان فبطحوه ولم يزل يضربه هو وأخيه ظالم الى أن غشى عليه وكذلك فعلوا بشومدرس الى أن أرموا لحم أكتافه ثم تركوهم فى السرداب وطلعوا ليعلموا بذلك الأمير عبد الوهاب ومن معه من أمراء بنى كلاب ثم انهم عادوا إلى عند الأمـــير وأخبروه بما جرى من الأمور والأسباب فلما سمع الأمير فرح الفرح الشديد وسار هو ومن معه الى الدير وقد أيقنوا بكل خير ولم يعلموا بما خبىء لهم فى الغيب هذا وان الرهبان قد أظهروا الفرح والسرور والأمير عبد الوهاب يقول ما فى الدنيا مثل أبو محمد البطال ومصاحبته هؤلاء الرهبان وقد عمل هذه الأعمال

﴿ تم الجزء الرابع والأربعون ويليه الجزء الخامس والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشآم وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم أن الرهبان غابوا ساعة وعادوا إلى عند الأمير عبد الوهاب هو وأصحابه بالطعام والرقاق وبعسل وزيت وبشىء كثير من الزاد فلما نظروا القوم إلى الطعام هم جياع من طول المسافة وبعد الطريق نزلوا عليه مثل السباع فما هم إلا أن أكلوا وحصل ذلك الطعام فى بطونهم حتى تواقعوا إلى الأرض وهم لا يعلمون إن كانوا فى السماء أو فى الأرض فعند ذلك تواثبوا الرهبان إلى القاضى عقبه وشومدرس فوجدوهم قد أفاقوا من الضرب وهم يتخاصمان وقد تعلق شومدرس بعقبه وهما يتلاكمان فعند ذلك أخبروهما الرهبان بما جرى للقوم وكان فلم يعلم عقبة وشومدرس ما تقول الرهبان من عظم ما جرى لهم من الضرب والهوان فأعادوا عليهم القول ثانيا إلى أن أفاقوا من غشوتهم فلما سمع عقبة كلام الرهبان نهض كانه شيطان وقد قال للرهبان وحق المسيح وقعوا بحيلتى فقالوا له أى وحق المسيح قد وقعوا الجميع بهذه الحيلة ومالك ثانى فى الحيل والمعانى ثم أن الرهبان فكوا قيد عقبة وشومدرس ولما فكوا قيدهم صعدوا إلى أعلا الدير كأنهم شياطين فنظروا إلى الأمراء وهم مطروحين كانهم أموات فلما نظرهم عقبة وهم على تلك الحالة فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) وأن عقبة لما نظر الأمراء فى تلك الحالة صار يرقص باطيه ويطرب ويمزح مع شومدرس ويقول له ياشيخ الفسقة ما حالك تصل إلى هذه الطبقة أرأيت حيلة الشيخ النجيح وما قد صنع من الفعل المليح وقد صار يقول الحمد للسيد المسيح الذى مكننى من هؤلاء الكلاب

ومن هذا الأسود الزنيم الذى هو عبد الوهاب ولكنى فى هذا اليوم قد اصطلحت مع المسيح وقد عرفت له هذه السنة والفعل المليح (قال الراوى) ثم أن عقبة أمر الرهبان بأن يشدوا القوم كتاف ويقيدوهم بقيود ثقال وقد وضعوا فى أعناقهم السلاسل والاغلال (قال الراوى) ثم أن عقبة قال لشومدرس أنظر ياقليل العقل صبرنا على الضرب تمليل فنلنا هذا الظفر الذى ماله مثيل ولو كان عندى طرف من قلة عقلك جازيتك فى هذه الساعة على فعلك ولا بد لى ما أطالع الملك أرمانوس على جهلك ولكن أنا لم أكون مثلك لأن الكبر قد غيرك وغير عقلك (قال الراوى) ثم أن عقبة قال للرهبان ائتونى بالخل الحادق يكون له زمان عندكم فأتوه بما طلب فقال له شومدرس على ماذا عولت وما تريد تفعل فقال له عقبة أريد أعطيهم الخل حتى أنهم يتقايوا البنج ويصحوا على أنفسهم ويعقلوا على أرواحهم ويفيقوا من سكرتهم وبعد ذلك أعذبهم العذاب الشديد وهم ينظرون بأعينهم وينظر بعضهم إلى بعض ليكون ذلك أشد لعقابهم وأقوى لعذابهم فقال له شومدرس اتركهم أنت على حالهم ودع عنك هذا الهذيان فان القوم أبطال أنجاد وأنت أخبر بهم من سائر العباد ولا تأمن من واحد منهم أن يتمطأ فى كتافه فيقطعه ويثور الينا ويعمل هذا اليوم أيشم الأيام علينا وتتعب معهم فاتركهم على حالهم فى هذا المكان فلما سمع عقبة كلام شومدرس ضحك وقال ياأبو الشر ما يخاف من مثل هذه الأشياء إلا مثلك وأما أنا فلا أخاف من هذه الأمور وهم عندى مثل الغنم وهذا دليل على قلة عقلك (قال الراوى) ثم أن عقبة أقلب الخل فى خراشيمهم فعندها أفاقوا فى الوقت والساعة وقد نظروا إلى أنفسهم وهم فى ذلك الحال وفى أرجلهم القيود وفى أعناقهم الاغلال الثقال فلما نظر الأمير عبد الوهاب نفسه وأصحابه وهم فى تلك الحالة عند ذلك قال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وأنا اليه راجعون (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد بقى الأمير فى حيرة من أمره وكيف تمت عليه هذه الحيلة وجرت عليهم هذه النوبة الصعبة وقد نظروا إلى عقبة وشومدرس وهما مطلوقان من القيود فأيقنوا بالتلاف فعند ذلك علم الأمير عبد الوهاب أن هذه النوبة من فعائل القاضى عقبه وهو الذى عمل هذه النصبة وأنه زور على خط البطال هذا الكتاب وقد علم وتحقق أن أبو محمد البطال قد وقع فى اشراك عقبة ثم أن الأمير عبد الوهاب قال فى نفسه يالها من بلية أخذه الله الملعون فيها حماة الدين وأبطال الموحدين ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن الملعون ما فعل بنفسه هذه الفعال وقيده وحده هو والملعون شومدرس إلا شبه الفخ المنصوب (قال الراوى) ثم أن الأمير قال أن الذى

بلانا بهذه النكبة قادر أن يخلصنا ويدبرنا فقال له سعيد بن الفرج أيها الأمير لقد تحذرت وما ينفع الحذر ولم يرد القدر فقال الأمير ما يقدر أحد يدفع القضاء والقدر فقال هارون العلوى والله لقد صدق الأمير عبد الوهاب ولكن قد قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب الحذر ينفع مالم يلقه قدر فان أتى القدر لم ينفع الحذر وكل مقدر كائن أبدا وأن العسر بعد يسر (قال الراوى) هذا وأن عقبة قد صاح بالرهبان ياويلكم افتحوا الموضع الذى فيه البطال وولده وغلمانه الانذال حتى أجمع بينهم وبين هؤلاء الأبطال لأنهم أصحاب وأخوان وأريد أن أذيقهم العذاب ألوان ليكون ذلك أشد حسرة لعبد الوهاب والبطال فقال له شومدرس افعل ماتريد من الأفعال (قال الراوى) فعندها أقبل عقبه على الأمير عبد الوهاب وقال له ويلك ياأسود بنى كلاب ويا أخس من فى الأصحاب كيف ترى حالك وأنه أعلم محالى أو محالك فلما سمع الأمير عبد الوهاب من عقبه ذلك الخطاب قال له ويلك ياملعون ومن قد غضب عليه الحى القيوم أما أنا فى نعمة من الله عز وجل لأنى من رجال يروا البلاء عندهم أجمل من العطاء وانى عبد وأن لى مولى يفعل بنا مايشاء فلا اعتراض عليه وقد ابتلا محمد المصطفى وهو سيد الورى وأخر من وطىء على الثرى وقد أبلاه الله تعالى بأبى جهل وهو أشر الأعداء وقد ابتلا أبونا الخليل ابراهيم بالنمرود بن كنعان وقد ابتلا موسى بن عمران بفرعون وكذلك جميع الأنبياء ابتلاهم وقد امتحنهم فشكروه على البلاء وصبروا على القضاء ونصرهم بعد ذلك على الأعداء وكذلك يفعل الله بك ياملعون ويجازيك على ما مضى فعند ذلك حنق عقبه من كلام الأمير عبد الوهاب وقال له قل لمن أنجى الأنبياء من الأعداء أن يخلصك الساعة من هذا العذاب والردى فقال الأمير عبد الوهاب ما للعبدان يتعرض على المولى ولا يتحكم على سيده على أننى قد كبر سنى ودق عظمى وما بقى لى رغبة فى الحياة وقد اشتقت إلى الوفاة فان هـــذه الدنيا مكابره غداره عيشها مذموم وسائلها محروم وبنيانها مهدوم ونعيمها لايدوم وماثم إلا الحى القيوم (قال الراوى) فضحك عقبة من كلام الأمير عبد الوهاب حتى أنت انيابه كأنها أنياب الكلاب وقد سال لعابه وقال ويلك يا عبد الوهاب وحق المسيح الذى أقام الميت من التراب ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أحدا بابغض إلى منك ومن أمك ومن أولادك وأما أبو محمد البطال وأولاده وغلمانه فهو أبغض إلى منكم وأنا أسأل السيد المسيح أن لا يجمع بينى وبينكم فى القيامة وإنه يقع بكم فى ذلك اليوم الأسف والندامه (قال الراوى) هذا يجرى من عقبه وأما الأمير عبد الوهاب والبطال وجماعة الأصحاب قد تفتت قلوبهم وتقطعت أمعاءهم من كلام عقبه اللعين ولا سبيل لهم إلى الوصول إليه

لما فى أعناقهم وأرجلهم من ثقل الحديد والاغلال وقد صاروا يلعنوه فى أنفسهم ويسبوه (قال الراوى) هذا كله يجرى وسيف الحنيفيه مطاطىء الرأس خامد الحواس لا يكلمه ولا يرد عليه جواب وقد حول وجهه عنه لانه كان قد انتقم منه وأذاقه من العذاب الوان وأن عقبه ينظر إليه بعينه الصحيحه ويتغافل عنه خبث منه ولعنه ثم أن عقبه صاح بالرهبان وقال لهم احملوهم إلى السرداب وكان ذلك السرداب ضيق من فوق واسع ومن أسفل كبير مظلم وكان عقبه قد أوقد عشر شمعات كبار حتى صار المكان أضوأ من شمس النهار (قال الراوى) فنزلوا الرهبان فى ذلك السرداب وقد نزل خلفهم عقبه وقد فرح بهذه النوبه غاية الفرح وقد ترك الأمير عبد الوهاب وأصحابه فوق الدير ونزل إلى البطال ولما نظر البطال عقبه وقد نزل إليه ظن إنه قد نزل إلى عقوبته ليشتفى منه فتغير لونه واصفر وجهه فقال لعقبة ويلك ياملعون راقب الله تعالى فينا ولا تعاقبنا فكماندين تدان فما بقى فينا للعقوبة مكان فلابد ما يفرج الله عز وجل عنا ونأخذ منك بالثار بعد أن يكون خاقى مثل الأمير عبد الوهاب وبقية الأمراء والأصحاب ولابد أن أنزل عليك العذاب وأجازيك بما فعلت معى فى هذا السرداب (قال الراوى) فضحك عقبه وقال للبطال ويلك ثكلتك أمك وعدموك قومك يا بطال ويلك ابشر بالنكال هذا عبد الوهاب قد أتيت به اليك ومعه جماعة الأصحاب وأمراء بنى كلاب ثم أن عقبه صاح بالرهبان وقال لهم هاتوا أسود بنى كلاب ومن معه من الأصحاب فى ساعة الحال نزلوا بالأمير عبد الوهاب وقد وضعوه قدام البطال ونزل من بعده سيف الحنيفية وبعده سعيد بن الفرج وبعده هارون العلوى ومن بعده راشد بن ضمره وظالم وتمام العشره (قال الراوى) ولما نظر البطال اليهم على تلك الحاله نزلت دموعه على خدوده مثل الغيث الهطال حزنا على جماعة الأبطال ثم انه قال والله لقد كنت مؤمل الفرج من الله تعالى بكم فما الذى أوقعكم فقال له الأمير عبد الوهاب قد أوقعنا المقدور على موجب كتابك الذى أتى الينا على جناح الطير وهو الذى رمانا فى يد عقبة وشومدرس مشيخين اللئام (قال) فلما سمع البطال ذلك الكلام ونظر إلى وجوه الأمراء وهم على تلك الحال بكى إلى أن غاب عن الصواب ثم قال يا أخى ما أحدا يأمن غدرات الليالى والأيام وانى والله ما كتبت ولا سيرت لا كتاب ولا خطاب وانى لما وصلت إلى هؤلاء الدير وإذا الملعون عقبة يرتقبنى بالمرصاد وقد تمت على الحيلة وأخذنى من مأمنى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولكن قد جرى القلم بما به حكم على القمم فى القدم (قال الراوى) وان عقبة الملعون قد صاح بالرهبان يا ويلكم احضروا إلى هذا القوم آلة العذاب حتى نأخذ حقى من

هؤلاء الكلاب فقال له البطال يا ملعون راقب الملك المتعال مقدر الأرزاق والآجال الذى يغير حال بعد حال وما ندرى فلابد أن تقع فى أيدينا ونسقيك من الكاس الذى سقيتنا منه يا ويلك لا تتجبر علينا (قال الراوى) فعندها صرخ عقبة فى الرهبان وأمرهم أن يحضروا له بالسياط وقد زاد حنقه وتمرمر مذاقه وزاد فى العياط والزعاق وقال ويلك يابطال إذا وقعت فى أيديكم فلا عفى الله عنكم ان أنتم عفيتم عنى ثم ان الرهبان أتوا إليه بسياط مضفوره وقضبان السفرجل وكلا قد أتى مستعجل لاجل قضاء حاجة الشيخ النجيس لانه عند الروم بمنزلة المسيح وان الملعون عقبة أول ما بطح سيف الحنيفية وقد ضربه حتى غاب عن صوابه إلى أن قيل انه قد مات وقد فارق الدنيا ولما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ما حل بولده بكى بكاء شديدا ثم قال لعقبة ويلك ياملعون لا تسرف فى الضرب وادع نفسك وخاف لان الاسراف يورث التلاف فما أكثر تجرأك على الله تعالى فقال له عقبة ويلك يا ابن مرزوق أبكى على نفسك ودع عنك غيرك فوحق المسيح لأضربنك إلى أن أخلى دمك على الأرض سياح ثم أن عقبة قال على بظالم فقدموه إليه فمده وضربه ضرب الموت حتى غشى عليه وانقطع نفسه وخمد حسه وقيل انه قد مات ثم انه مد ضيغم وفعل به كذلك وبعد ذلك قشعم ضربه إلى أن أشرف على التلاف ثم مد الأمير عبد الوهاب وضربه إلى أن غاب عن الصواب ثم فعل بالجميع كذلك ولم تزل الرهبان تقدم واحد بعد واحد إلى أن فرغ من الجميع ولم يبق إلا البطال فقال له عقبة أنا أعلم أنك لهم محب والمحب لم يزل يوافق حبيبه فى كل شىء يصيبه ولابد لك أن توافقهم فى الضرب فقال البطال أما أنا والله فقد أخذت بالحظ الأوفر وأنت علينا تتجبر فلابد أن يرميك فى أيدينا القضاء والقدر فقال له عقبة لاوحق المسيح مابقيت تموت أنت وعبد الوهاب إلا بهذه الحسرة ولابد من قتلكم وموتكم فى هذه المرة وأستريح أنا منكم فى هذه الكرة ولم أزل أعاقبكم من هذه الساعة إلى بكرة وماتموت أنت وهؤلاء الكلاب إلا تحت العقوبة والعذاب ثم انه بعد ذلك مد أبو محمد البطال ولم يزل يضربه إلى أن غاب عن الدنيا والصواب وكذلك فعل بولده مذبحون وبباقى غلمانه إلى أن أذاقهم من العذاب ألوان (قال الراوى) ثم ان الملعون عقبة تركهم فى السرداب وطلع من عندهم وأغلق الطابق عليهم ثم انه قال لشومدرس إيش قلت ياشيخ أبو الشر فى تحصيل هؤلاء الكلاب خصوصا البطال وعبد الوهاب فقال له شومدرس صحيح انك شيطان الأرض فى طولها والعرض وقد حصلتهم عندك فى هذة المطمورة فما الذى عولت أن تفعل بهم وانى قد نظرت هؤلاء القوم وهم عظم من فى هذه المطمورة وكل حبس له صورة وقد خلصوا منا وأوصلوا

الأذية الينا ودارت دائرة السوء علينا وأخذونا أخذ الكلاب وخصوصا معك فى هذا الطريق البطال وعبد الوهاب فقال عقبة قد صدقت وقلت الصواب ولكن لم يكن معهم مثلى ولا من يفعل فعلى وقدعولت فى هذه الساعة أن أكتب إلى الملك أرمانوس وألزمه أن يفتش على ذات الهمة ويكشف عن أخبارها فان كانت قد هلكت فهو المراد ومسرة الفؤاد ونضرب نحن رقاب هؤلاء الأوغاد وان كانت سالمة أمرت الملك أن يحملها إلى هنا وأضرب رقاب الجميع فى هذا المكان وأجعل هذا الدير تزوره أهل ملة النصرانية والطائفة المسيحية فى كل وقت وأوان ماقام قائم وقعد لاجل اننى ضربت فيه رقاب المسلمين الذين هم أعداء الدين وحتى يعلمون اننى كنت قد وعدتهم بهذا الوعد وقد اتضح لى ذلك وقد أسقيتهم شراب المهالك وقد وفيت لهم بما أوعدتهم وقد بلغت المراد ونلت مسرة الفؤاد (قال الراوى) فلما سمع شومدرس الكلام من عقبه شيخ الضلال علم أن الأمر يطول وأن عقبة اللعين لم يسمع منه مايقول وربما فاته المقصود لأجل مافى قلبه من الأمير وأصحابه من الغبن والغيظ والحقود فصبر شومدرس على مابه من الغيظ وعقبة لم يفكر به ولا سأل عنه (قال الراوى) ثم إن شومدرس بعد ذلك أقبل على الرهبان وكانوا كلهم شبان وهم على غاية من القوة والشجاعة والبراعة وانفرد بهم إلى ناحية من نواحى الدير وتحدث معهم ساعة وقد قال لهم اعلموا أننى ماأتيت إلى هاهنا إلا رجاء أن أصل إلى بلام الاسلام وأعمل حيلة على البطال أوقعه بها فى يدى وأسقيه كاس الحمام وآخذ منه بالتاروأكشف عنى العار والآن فقد جرى من الأمر مالم يكن فى الحساب وهذه نوبة يطول شرحها وماندرى مايجرى فى العرضيات والأمور المقضيات وأخاف أن يتخلصوا هؤلاء من أيدينا ويعود شرهم علينا ويوصلون الأذية الينا وأنا أعلم ان البطال اذا تخلص مايقر لكم معه قرار وأنتم أخبر به من جميع الناس وأما عقبة ما يفعل هذه الفعال إلا ليحظى عند الملك أرمانوس بهذه الأعمال وربما ملكونا ويلطمونا إلى أن يأتينا الملك أرمانوس لأن عقبة أرسل يعلمه بما وقع وربما يقول عقبة للملك أنا الذى فعلت هذه الفعال وعملت هذه الأعمال ويعطيه الخلع والأموال ونبقى نحن بغير فائدة ولا عائدة فقالوا له الرهبان لعمرى انك لقد قلت الصواب ولقد تعبنا غاية التعب وقتل جماعة من أصحابنا وشربوا كاس العطب وقد قتل لؤلؤ غلام البطال خيارنا وهم ثلاثة رهبان أجواد وما حصل لنا مراد ولاشفينا غليل الفؤاد على اننا وحق المسيح فى قلوبنا من هذا الشيخ عقبة حرارات واحتقاد من أجل البطال لأنه كان لنا من جملة الأصدقاء والأصحاب وان تسيب لم يبق لنا معه مقام فى هذه الأرض والبلاد وما لنا إلا بلاد الروم ونترك

هذه المعالم والرسوم لاننا نعرف جميع خزائن الروم وبلادها ولاسيما جزيرة الملك غيضروس صاحب مدينة كرجانه وهو ملك عظيم وسائر الملوك تخاف منه وتعظم شأنه وهو ملك عظيم الشأن عزيز السطوة والسلطان تخاف سطوته سائر الملوك ويهابه كل غنى وصعلوك وتهابه ملوك القسطنطونية وماخرج قط أبدا من أرضه إلى بلاد الروم ولا تغرب عن دياره لأن موضعه حصين ومكانه مكان أمين وبلاده واد من الأودية الحسان الا أن فى حكمه واد يقال له وادى العفريت ضيق كثير المهالك ضيق المداخل والمسالك وهو مأوى للسباع والنمورة والضباع ومن صعوبة هذا المكان مايقدر الفارس يسير فيه غير ساعة من النهار ويهلك من الحر والعطش فى تلك القفار لانه مسيرة ثلاثة أيام وبعده يخرج الإنسان إلى فضاء عظيم وماء كثير وهو فى بياض الثلج وهو على ساحل البحر الأعظم وأرض كرجانه مسيرة عشرة أيام طول وعشرة أيام عرض والمراكب على ساحل المدينة كانها العرايس فى معصفرات الملابس وهى تنقل سائر البضائع إلى إلى مدينة الملك الغيضروس وعندهم من الحيوانات شيء كثير وأما لبس أهل تلك المدينة فهو الحرير ومايعرفون شيئا غيره من الملابس وإلى هذا الملك الغيضروس وأبوه وأجداده كانت مماكة الروم قبل عمارة مدينة القسطنطونية وقبل ظهور الملك هرقل (قال الراوى) وكان هذ الملك الغيضروس له مدينة فى قدر مدينة القسطنطونية لكن ليس لها صور وهى اقليم عظيم واسع وإلى جانبها جزيزة يقال لها جزيزة الحلفا ومنها يأكلون ويشربون ويصيدون من أسماكها ومن الجانب الآخر فما أحدا يعرف لهذه الجزيزة نهاية من كبرها ولكثرة ما فيها من الأشجار والأثمار وفيها من أنواع النباتات على سائر الألوان مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولهذا الملك من الجند والعساكر بعدد التراب وقطر السحاب وكلهم قصار القدود صغار العيون غلق الألسن طوال الشعور (قال الراوى) وكان هذا الملك الغيضروس قد عول على الغزو إلى بلاد الإسلام فما عاقه عن ذلك إلا وادى العفريت لان الماء فيه قليل وهو كثير السباع والنمورة والضباع والحيات الافاعى وكانت ملوك الروم ترسل إلى هذا الغيضروس الهدايات والتحف والأموال والجواهر الثمينة ويبعثون به ويقولون له أيها الملك نحن من بعض رعيتك وكانوا يداروه حتى لا يخرج إلى بلادهم ويخرج إلى بلاد الروم وينظر إلى القسطنطونية فيطمع فيها بالكلية ويتغلب عليها بتلك العساكر القوية وتعود أمراء ملوك الروم إليه وكانت أيضا ملوك الروم ليس لها وصول إليه لاجل وادى العفريت وصعوبته وكان الملك الغيضروس يخاف على عساكره منه (قال الراوى) وكانت أخبار أبو محمد البطال قد وصلت إلى الملك

الغيضروس وقد صورته الرهبان فى كنيسة كرجانه فى بيعة الملك الخاصة وكانت مبنية من الرخام الأبيض والأحمر وقد رصعت حيطانها بأنواع الجواهر وكانت تذهل أبصار النظار وقد صوروا أبو محمد البطال وغلمانه وكذلك الأمير عبد الوهاب وبعض من سودانه مثل أبو الهزاهز وسملق ومن يجرى مجراهم وهم مصورين فى جميع جوانب البيعة وإذا دخل الملك إلى تلك البيعة ونظر إلى صورة البطال وعبد الوهاب يقول وحق المسيح لو كان أحد يأتينى بهذا الشيطان أبو محمد البطال كنت أعيطته بوزنه من الذهب عشر مرات أو يأتينى بعبد الوهاب أو بأحد من أصحابه كنت ابنى على البطال بيعة ولو انى أصرف عليها نصف مالى وأسميها بكنيسة اللص المحتال أبو محمد البطال فتقول له الرهبان تعوذ بالمسيح من ذلك الوجه القبيح واعلم أيها الملك أن لا سبيل لاحد عليه ولا يقدر يصل إليه من عظم حيله وقوة عبارته وأما الرجال الذين خلفه مثل عبدالوهاب وأمه ذات الهمة فهم موصوفين بالشجاعة وهم أبطال معروفين فى جميع بلاد الروم فيقول الملك الغيضروس وحق المسيح لابد لى من الخروج إلى بلادهم وآخذهم عن بكرة أبيهم وآخذ سرير ملك القسطنطونية وأملك أيضا بلاد المسلمين الجميع بالكلية وأريكم ما أفعل بأبطال الموحدين وفرسان الحنيفية وأعرفكم انهم ما يصلحوا لركوب الخيل ولا لخوضان الليل (قال الراوى) لهذا الكلام ولم يكن فى ملوك الروم ولا فى مدينة كرجانه أصغر خلقه منه ولا ألطف قد ومع هذا لم يكن فى زمانه أقوى منه لانه كان يقتنص الأسد بيده ويخسف جنب الجاموس إذا رفسه برجله ويقلع بقوة سواعده الشجر ويقتل الجواد الجارى إذا ضم عليه فخذه ويفتح رأس الإنسان إذا كبس عليه بأصبعيه وكان واسع الحيله عظيم الصوله مهاب عند أرباب الدولة حسامه يسبق كلامه فكانت هذه الصفة صفة الملك الغيضروس وصفة جزيرته واقليمه وعساكره وأجناده (قال الراوى) ثم بعد ذلك نعود إلى حديث الشيخ أبو الشر شومدرس اللعين وذلك إنه لما كان بينه وبين الرهبان ما قد كان من الحديث وقد علم منهم أن كلامهم موافق له على ما فى مراده وانهم قد بقيوا فى طاعته فعند ذلك قال لهم وحق المسيح أن عند رأى وفيه الفلاح لى ولكم فقالوا له وما هو الرأى أيها الشيخ الصالح الذى طول عمره يسعى فى المصالح فقال شومدرس الرأى عندى أن نعمل على هـــذا الشيخ النحس عقبة ونعمل عليه حيلة ونصبه ونرميه فى نكبه وهو اننا نقيده ونرميه فى بعض هـــذه السراديب ونقتل بعض هـــذه الرهبان الذين يحامون مع عقبة حتى لا يطلع أحد على سرنا ولا يعلم حديثنا ثم نأخذه هذه البراذين التى وصلت معنا والخيل بتوع المسلمين ونحمل

هـــذه الأمراء عليها ونسير بهم إلى عند الملك الغيضروس صاحب مدينة كرجانه وإذا وصلنا إلى هذا الوادى الذى يقال له وادى العفريت الذى وصفتموه فأنا بعد ذلك أعرف كيف أسير بكم فيه فقالوا له البطارقة والرهبان الذين صحبوه اعلم أيها الراهب أن الملوك إذا أرادوا يكاتبوا هذا الملك فيراسلوا اليه الرسل فى البحر وهى مسافة ثلاثة أشهر فى البحر إلى مدينة كرجانه وأما هذا الوادى الذى ذكرناه لك الذى هو وادى العفريت انما نحن وصفنا لك صفته حتى يثبت عندك معرفته ولا سبيل لأحد إلى سلوكه ولو كانوا خلائق بعدد التراب أو قطر السحاب فلما سمع شومدرس كلامهم قال لهم فكيف الوصول إلى قطع تلك الأودية والفلاة فقالوا له كيف تعمل الساعة فى هذا الشيخ عقبة المرتد حتى أننا نأخذ منه هذه الأسارى ونوقعه فى نكبه فقال شومدرس أما الوصول إليـــه فهذا أمر هين وحال بين ولكن كيف الوصول إلى مدينة كرجانة فهـذا الذى أنا متوقف من شأنه فقالوا له مافى الأمر إلا أننا نتوصل إلى بلاد الانجار ونشترى لنا مركب ونكرى معنا رجال ويكونوا هؤلاء المسلمين مكتفين بالسلاسل والاغلال ونحملهم فى الصناديق ولا فتح عليهم إلا من الليل إلى الليل ونطعمهم ما يسد رمقهم حتى يقل منهم القوى والحيل ولا نزال إلى أن نتوصل بهم إلى الملك الغيضروس فقال شومدرس نخاف اننا إذا نزلنا بهم فى البحر لم يوافقنا الريح ويطول علينا الأمر فنتعب ولا نستريح وهذا أمر عظيم وحال جسيم وما فى الأمر إلا نسلك هذا الوادى ونحمل القوم فى الصناديق على هذه الخيل التى أتت فى صحبتهم وندخل إلى ذلك الوادى ويكون معنا القرب والصطابح على الدواب وهى ملآنة بالماء وأنا أطعمكم أنتم وإياهم طعام يبقى فى البطن عشرة أيام ما يستعمل ويستغنى به الانسان عن المأكول والمشروب وبعد ذلك ننال غاية المطلوب فقالوا له وكيف نعمل فى السباع والنمورة والضباع فقال لهم تتعلقوا فى رؤس الجبال والروابى والتلال فان سلمتم نلتم غاية الآمال وتنالوا من الملك الغيضروس المال بثقل الجبال لأن حسرة هذا الملك أن يرى واحد من هؤلاء الرجال الذى قد شاع ذكرهم فى سائر الأقاليم والأقطار وأما الموت فلا بد منه وما أنتم بأول من هلك فى طلب العز والغنا وشرب كأس الفنا ولم يبلغ من الدنيا مناه فان أنتم سلمتم نلتم ما أملتم وإن أنتم عطبتم فتكونوا قد نلتم الثواب من السيد المسيح (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا القوم من شومدرس ذلك الخطاب فقالوا له افعل ما أردت فلنا اسوة بك ولكن قبل كل شىء تقتل عقبة ومن يتعصب له من الرهبان حتى يخفى أمرنا ولا ينظر أحد على سرنا فقال شومدرس

أنا ما أستحل قتل الشيخ النجيح فيغضب على السيد المسيح ولكن أقطع يديه ورجليه وأرميه فى بعض هذه السرادب فان عاش نجا وإن مات قسمته وأما من صحبه من الرهبان فلا بد من قتلهم على أى وجه كان (قال الراوى) ثم أن القوم صبروا إلى أن اظلم الظلام واقتحم القتام وقد نامت عيون النوام وغرق كل انسان فى بحر المنام فعند ذلك صاح شومدرس فى العرب المتنصرة الذين أتوا معه إلى هذا المكان ومن كان اتفق معه من الرهبان ثم قال لهم قبل كل شيء ابدؤا بقتل هؤلاء الرهبان الذين قد وافقوا عقبة القرنان ويكون الأمر فيما بعد ذلك قد هان فنحن ما نبالى بعقبة الكشحان الكثير الفضول والكلام فوحق المسيح أن فى قلبى منه النيران بما يريد أن يفعل ما فعل بى من زمان لأنه يريد أن تكون التقدمة له على فى كل مكان وهذ مالا يصل اليه انسان وأنا عند السيد المسيح أفضل منه وأوفى بجهادى فى الأعداء (قال الراوى) ثم أن القوم بعد ذلك تواقعوا على صدورهم الرهبان فذبحوهم وقد أسقوهم كاس البوار والفنا كل ذلك طمعا منهم فى الغنا وينالوا من الملك الغيضروس غاية المنا وحتى يخفى أمرهم ولا يظهر أحد على سرهم (قال الراوى) ولم يبق غير اللعين عقبه وقد عول شومدرس على قطع يديه ورجليه وقد هم بذلك ثم أنه عاد على نفسه بالملام وقال وحق المسيح لا وآخذت عقبة بما جهل على ثم أنه قال لأصحابه اعلموا أننى لا آمن من المسيح إذافعلت فى حق عقبة قبيح ولا آمن على نفسى منه ولو بعد حين وهوعلى كل حال شيخ مسكين فقالت الرهبان والبطارقة ياأبونا لقد قلت قول مليح وأنت تعلم أن هذا الشيخ النجيح وهو على كل حال عالم من علماء النصرانية وعماد أهل الملة المسيحية وهو حجة السيد المسيح وكلمته وإن نحن قتلناه فنخشى من عقوبة السيد المسيح بسببه ونحن متوجهين إلى مكان صعب المسلك فقالوا الرأى عندنا أن نعصب عينه ونطرح الاكره فى فمه ونتركه فى ذلك السرداب ونترك عنده كلما يحتاج اليه من طعام وماء وغير ذلك ونغلق عليه هذا الطابق ونمضى إلى حيث تريد أن نمضى فاذا أفاق على نفسه فما يعلم من الفاعل به هذه الفعال وما يظن إلا أنه دهى من المسلمين ونعتمد نحن إلى أشغالنا فقال لهم شومدرس نعم ما رأيتم ثم انهم جلسوا على صدره وقد وضعوا على وجهه كساية سوداء فما أفاق من نومه حتى عصبوا عيناه ونزلوا به الى السرداب وقد عقل على نفسه وهو يظن أن عبد الوهاب وأصحابه قد تخلصوا من الوثاق وقد أيقن بالبلاء والمحاق وقال هذه النوبة يكون فيها هلاكى بلا محاله (قال الراوى) ثم ان العرب المتنصرة فتحوا السرداب الثانى ونزلوا اليه ورفعوا الأمير أبو محمد وولده مذبحون وقد أيقنوا القوم

أنهم مانزلوا فى هذه الساعة الا وهم قد عولوا على هلاكهم فجعلوا يتشهدون ويوصى بعضهم بعضا ان سلم منهم سالم يوصل أخبارهم إلى أهاليهم (قال الراوى) ولم يزالوا يرفعوهم واحد بعد واحد الى أن لم يبق أحد منهم ثم رفعوا الراهب قاطير ولم يكلموه فقال له الراهب شومدرس ياويلك قد تركت دين النصرانية وملت الى دين الحنيفية فقال له نعم طلبا للخلاص من النار واللحوق بالأبرار قال فغضب شومدرس وقال له ياويلك ارجع إلى ما كنت عليه من دينك والا وحق المسيح قطعت رأسك فقال له الراهب افعل ما شئت فوالله مايمحى عنى الذنوب التى سلفت الا بضربك لى بالسيوف فلا خير فى الحياة إذا لم يكن بعدها نجاة وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فلما سمع شومدرس من كلامه وثب له وضربه بالخنجر فى صدره فصاح الراهب من حرارة الضربة الحمد لله الذى أبلانى فى الدنيا وعافانى فى الآخرة فضربه ضربة أخرى فقال السلام عليكم يا أمة محمد المختار رضى الله عنكم وجزاكم بالرحمة إذ أنتم ذكرتمونى فترحموا على وترضوا عنى ثم مات رحمة الله عليه (قال الراوى) فلما عاين الأمير عبد الوهاب تلك الفعال بكى وبكوا جميع من معه من الأصحاب وقد قال للبطال أنظر يا أبو محمد الى هذا الرجل وهو قريب العهد بالاسلام ما أحسن اعتقاده وما أجود صبره فقال البطال ان الله لايضيع أجر من أحسن عملا وبالله أقسم أيها الأمير لقد نلت من الله تعالى أن يطول عمره ويفرج عنا ما نحن فيه حتى كنت أحسن اليه وأعاقب عدوه فقال له الأمير عبد الوهاب أما قولك تحسن اليه فان الله تعالى قد أحسن اليه أفضل من احسانك وواصله إلى محمد نبيه فى المقام الكريم وأما قولك يطول عمره فانه قد وصل إلى الحياة الأبدية والعيشة السرمدية (قال الراوى) هذا وهم لايدرون ماذا يريدوا القوم أن يفعلوا بهم وقد أنكر أبو محمد البطال غيبة عقبة ثم إن العرب المتنصرة أخرجت الصناديق التى كانت عند الرهبان برسم الطعام وقد وضعوا كل واحد فى صندوق وحملوهم على الدواب ثم انهم حملوا على باقى الدواب الزاد والطعام وقد أكثروا من حمل الماء خوفا من العطش وقد طلعوا من الدير وأغلقوا بابه وساروا القوم وقد تركوا عقبة بالويل (قال الراوى) وقد لطعوا تلك الأرض فى ظلام الليل فلم يصبح عليهم الصباح إلا وقد أبعدوا عن الدير ثم انهم استقبلوا الطريق فى أماكن يعرفوها حتى انهم بعدوا وخرجوا من تلك الأرض وقدساروا يقطعون الأرض ليلا ونهاروهم يقطعون الفيافى والقفار مدة سبعة أيام متوالية الى أن وصلوا إلى باب الوادى المعروف بوادى العفريت فعند ذلك نزلوا قريبا من فم الوادى وقد أرسل منهم جماعة شومدرس الى القرى

القريبة يشتروا لهم دواب وطعام وقرب وسيوف وعدد من خوفهم من السباع وغيرها وقد عمل لهم شومدرس معجون إذا أكله انسان أسند فؤاده عن طلب الطعام ثلاثة أيام هذا وإن القوم فى كل ليلة يخرجون الأمراء من الصناديق يقضون حوائجهم ويطعموهم ويسقوهم ثم يردوهم إلى الصناديق وهم لا يعلمون ماذا يراد بهم وقد عميت عليهم هذه القصة (قال الراوى) ثم ان القوم دخلوا أول الوادى وساروا فيه أول يوم فى مكان ضيق عظيم المضيق حتى أشرفت دوابهم منه على التلف ولما كان فى اليوم الثانى وصلوا إلى أماكن السباع والوحوش والضباع فجعلت الضباع تخرج عليهم وكانوا قد لبسوا البرانيس السود وفى أيديهم الخشوت وجعلوا يتعلقون فى الجبال والسباع تكسر منهم فرس بعد فرس من خيلهم الى أن هلكت أكثر دوابهم التى عليها الأمراء فقال شومدرس هلكنا وحق المسيح بلا محالة ثم أصبحوا على تلك الحالة وقد أفضى بهم السير إلى فضاء كبير فهلكت الدواب كلها عن بكرة أبيها ورموا نفوسهم الى الأرض وقد قال شومدرس افتحوا الصناديق وأخرجوا المسلمين منها فاننا كلنا هالكين ففكوا قيودهم وزيدوا فى كتافهم وعلقوا القرب فى أعناقهم وسيروا بهم بين أيدينا وسوقهم سوقا حثيثا لعلكم تنجوا من هذه الأرض وهذا المكان الميشوم وتخرجون من هذا الفلا المذموم فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم أخرجوا الأمراء من الصناديق وفكوا القيود من أرجلهم وشدوا أيديهم بالزنانير وقالوا وحق المسيح إذا لم تمشوا على مشينا وترعوا وإلا ضربنا رقابكم بالسيوف فما هذا موضع يمكن المقام فيه ولا نحن أجلد من الدواب التى هلكت (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامهم فقالوا لهم نحن نمشى معكم ويفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء (قال الراوى) ثم أن العرب المتنصرة أخذوا القرب وعلقوهم فى رقابهم والصفايح على أكتافهم قال وكان أبو محمد البطال قصير وضعيف التركيب لأنه قصير القامة فصارت القربة تمسح على الأرض وهو يقول ما مر علينا طريق أيشم من هذه الطريق ثم أنه قال لشومدرس ما هذه نصفه حملونا على قد أجسادنا فمن كانت رقبته غليظة يحمل قربه ومن كان مثلى يحمل سطيحه حتى تأمنوا الكد فقال له الأمير ضيغم وظالم لو أنك ياأبو محمد فى أى شىء من الضيق ما نخلى العيارة قط وأنت قد وصلت إلى ههنا وما تخلى الحيل وتقول خففوا عنى فدع هذا الهذيان وذوق ما ذاقت الصالحين ولا تذكر كبر الأبدان فقال له أبو محمد البطال لا كد ولا كرامة ما تكون أنت مثل الجمل والآخر مثل الحمار وتحملوا مثلى هذا الحمل (قال) فضحك الأمير عبد الوهاب وقال ياأبا محمد بالله عليك خلينا من هذا فما فينا شىء

لمزاحك وأن أرواحنا قد بلغت التراق فقال أبو محمد هذا وأنت عاقل الجماعة تقول أن هذا مزاح فوالله ما أقول إلا حق (قال الراوى) وما زالوا القوم على ذلك حتى إذا كان فى صبيحة اليوم الخامس وقعوا فى أرض محجر صلد وقد حمى عليهم الحر وأوهج البر وأرمت الشمس جرمها على الأرض وأوهجت الرمضا وصفرت الهوام وصرخ البوم وتوقد الجلمد واستوحشت العرصات وصغت الاصوات وخذلت الابدان عن الحركات ودارت عليهم دائرة الشتات وعطشت دائرة الشمس فى الجباه واتسعت الفلاه وسالت الدماء من الاقدام وجرى العرق من الاجسام ونشفت القرب وأيقنوا القوم بالعطب وقد ظهرت عليهم الحيات مثل الصوارى وقد ضاق عليهم فسيح الوادى وخافت البطارقة على نفوسها وقد أيقنوا بعكسها ونحوسها وجعلوا يشربون من الماء قليلا قليلا ولا يسقون الامراء فقال أبو محمد البطال لا تسرفوا واسقونا معكم حتى يجعل الله لكم فيه البركة فعند ذلك سقوهم قليلا فوجدوا الراحة ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا ألى أرض وعره فقال الامير عبد الوهاب ياأبو محمد هل تعلم القوم إلى أين هم سائرين بنا فقال له والله ما أعلم إلا كما تعلم وما أرى المصيبة إلا عامة بنا وبهم كنت أسمع أن فى بلاد الروم واد يقال له وادى العفريت وما سلكه قط بشرا إلا وعطب وعساه أن يكون هو ذلك الوادى (قال الراى) وقد حمت عليهم الشمس كما ذكرنا وأشرفوا على العطب وقد نشفت القرب وتعطلوا عن السير وقد أرموا القوم ما عليهم وقد أوهج الحصا من اللقاء والتهب ولم يبق لهم إلى الحياة سبب وقد أيقنوا بالعطب ووقع شومدرس إلى الأرض على وجهه وقد طلع لسانه على صدره وجميع البطارقة قد أصابهم مثل ما أصابه والأمراء قد أضربهم التعب والمشى وقد أرموا أنفسهم إلى الأرض من الجهد والنصب وطلب كل واحد منهم أن يتشهد فلم يقدر وقد وقعوا فى أرض صافية بيضاء فبينما هم على تلك الحالة إذ قد لاحت لهم أشباح وهى قاصدة اليهم وهم يجتمعون تارة ويتفرقون تارة فقال شومدرس لا صحابه ويلكم قد خرجنا من الوادى ولم أرى ما وصفتم لى من صفة هذه الأرض فقالوا له هذه أول الأرض التى وصفناها لك وقد صار الفرج منك قريب ولولا هذا الحر والعطش وما قد لقيناه من الدهش لكنا وصلنا إلى المحل ولعل هذه الأشخاص والسواد البعيد يكون لنا فيه الفرج فقال ابو محمد البطال معلوم انى أقول أن هؤلاء القادمين ما هم سائرين فى هذه الأرض إلا والماء منهم قريب فقال بطريق من البطارقة أنا خايف أن يكون هذا السواد القادم سواد السباع (قال الراوى) فقالوا جميعا وربما يكونوا سباع الوادى قد وردت الماء وعادت وقد جعلوا القوم يتطاولون بالاعناق اليهم ويرمقوهم بالاحداق إلى أن

مالت الشمس فوصل اليهم عشرون رجلا مثل الشياطين وعليهم مسفرجات طوال وأوساطهم مشدوده وشعورهم مسبوله مثل شعور الخيل وعيونهم صغار كانها عيون الفار وفى أرجلهم الطوابيج وفى أساطهم المناطق وفيها النشاب من كل جانب ومعهم الحراب ولهم أصوات على صغر أجسادهم مثل الرعود القواصف ولما وصلوا اليهم وقدموا عليهم صاحوا بهم من أنتم ومن أين جئتم وفى أى طريق سلكتم وعلى ماذا أنتم معولين أعلمونا قبل أن نرميكم بهذه الحراب ونرشقكم بالنشاب ونعذبكم أشـــد العذاب فلم يعرف أحـــدا كلامهم إلا الراهب شومدرس وكان الملعون يعرف بسائر لغات الروم وكانت الأمراء جميعا يعرفون بلغة الروم من كثرة غزوهم ودخولهم إلى بلاد الروم إلا هـذا اللسان لم يكونوا يعرفوه إلا أبا محمد البطال لانه كان يعرف هـذا اللسان لانه كان دخل إلى بـــلاد الروم فى بعض السنين لاجل عارض عرض له فى زمن خلافة الرشيد فدخل إلى بلاد الروم فى صورة شماس فنظر إلى مركب قد أتى من بلاد الانجار فى طلب غيضورس ومعهم هدية وفى جملة الهدية جارية كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحيه بوجه مثل القمر (قال الراوى) وقد سمعت نسوان الروم ان أهل مدينة كرجانه أحسن مناظر الروم جميعا بخلاف نسائهم وان الأمير أبو محمد البطال لمـا نظر إلى الجارية علق قلبه بها وقد عرف إلى من وصلت فأقام فى تلك البلد بعد أن قضى حوائجه الذى تتعلق بالخليفة الرشيد بالله أربع شهور حتى خرجت الجارية إلى بعض البيع فدخل مع بعض القسوس وقد ناولها قربانه فأكلتها ولم يزل يتوصل إلى أن سرقها وسيرها مع غلمانه إلى ملطيه وقد أحبها محبة عظيمة زائدة وقد تعلم كلامها (قال الراوى) ولمـا سمع البطال تلك اللغة عرفها وكذلك شومدرس إلا أن شومدرس قال لهم يا قوم من قبل أن نطلعكم على حالنا ائتونا بالمـاء واسقونا فقد أشرفنا على التلف وأنا ممن لاينكر أنا شيخ شيوخ النصرانية وراهب الملة المسيحية وانى جئت إلى هـذا الـكريم والملك العظيم غيضورس فى أمر يدخل عليه وقد غلبه الفرح والسرور وأعلمكم أحكام دينكم (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامه أتوا اليه ثم تحول بعضهم إلى صخرة كبيرة وقلع من جانب منها حجرا واذا بباب مغارة وقد ظهر فدخل اليه وخرج وإذا معه قربة ملآنة بالماء فقدم بها إلى عند الراهب شومدرس فشرب منها قليلا من خوفه على نفسه من العطب ثم سقى البطارقة وقصد إلى أبى محمـد البطال وناوله الاناء فشرب البطال لأن شومدرس كان مقصوده أن يهديه إلى الملك ففزع عليه أن يموت عطشا ثم شرب بعده الأمير عبد الوهاب وبقية الأمراء الا سيف الحنيفية فانه زحف اليه اشدة

الظمأ وهو معرض عنه فصاح الراهب شومدرس على الرهبان لاتسقوا هذا الشيطان فانه ضربنى ضربا وجيعا وانما المسيح قد ظفرنى به فقالوا له اسقيه فانه ولو كان كافر بالمسيح فان المسيح لايقطع عنه رزقه على انه قادر على هلاكه (قال) فلما سمع ذلك من كلامهم دنا منه وسقاه (قال الراوى) ثم أقبلوا على شومدرس وقالوا له الآن حدثنا بحديثكم من أوله إلى آخره ومن يكونوا هؤلاء القوم الذين معكم وانا نرى القيود فى أرجلهم وهم بزى الروم فقال شومدرس ان كنا نحن أمرنا عجيب فأمركم أنتم أعجب منا فقولوا لنا من أنتم ومن أى الطوائف أنتم من الروم وفى أى أرض نحن أخبرونا تطيب قلوبنا ومن أين لكم هذا الماء وما نرى بالقرب منا عمران فقالوا له نحن من مدينة كرجانه وهى مدينة عظيمة وملكنا يسمى الغيضورس ونحن لنا مركب نصل فيه إلى هذا الساحل من أرض الصفاء ثم اننا نأتى إلى ههنا ونصطاد السباع التى تخرج من وادى العفريت ولا نقدر عليها إلا إذا اشتد الحر عليها والعطش فتخرج تطلب الماء ولنا فى هذه الصحراء خنادق محفورة مسقفه وعليها أشباح من المرمر فتحسبها السباع انها بنى آدم فتطلبها وترمى نفوسها عليها فتقع فى الحفائر ولا نزال نرشقها بالنشاب والحراب حتى تقتل ونحملها إلى عند الملك الغيضورس لانه ما تحضر بين يديه مائدة إلا وعليها رأس أسد مشوى ولحمه مسلوق وذلك لاجل ما تتجدد قوته وتتزايد شدته ولنا اليوم فى هذا الوادى عشرة أيام لم يخرج الينا من السباع لا قليل ولا كثير فهذا أمرنا فمن تكونوا أنتم ومن يقال لكم فقال الراهب شومدرس أما أنا فأعرف فى جميع بلاد الروم بعالم النصرانية شومدرس بن ماناخوش وهؤلاء البطارقة أصحابى وغلمانى وتلاميذى لانى أعلم أهل الأرض وسوف يبان لكم ذلك إذا اجتمعنا مع الرهبان والقسوس الذين لكم وتنظرون كيف يبوسون الأرض بين يدى وأما هؤلاء القوم الذين فى القيود والأغلال فهم حسرات الملوك ومنبت كل غنى وصعلوك (قال الراوى) ثم جعل يصفهم لهم ويقول إن هؤلاء هم جميع أمراء المسلمين وأن فيهم أبو محمد البطال المحتال المصور فى جميع البيع والكنائس (قال الراوى) فلما سمعوا القوم ذلك صلبوا على وجوههم وقالوا أيهما أبو محمد البطال فأشار شومدرس إليه فلما نظروا إليه فقالوا وحق المسيح إن صورته على باب كنيسة الصخر والملك معول على الخروج إلى بلاد الإسلام لانه يريد يملك الأرض والبلاد ويأخذ القلاع وكان معول على أخذ هذا الشيطان حتى يقتله ويبنى عليه بيعه يذكر بها فى كل موضع إلى الأبد ما قام قائم وقعد والملك عند المسيح بمكان عظيم ولو لم يكن عند المسيح بمكان ما كان قضى حاجته من غير تعب ولا نصب فابشر يا هذا من الملك

بكلما تريد (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام انتقض وضوءه وقد قال للأمير عبد الوهاب أتدرى ما يقولون هؤلاء فقال الأمير والله يا أبو محمد لم ندرى إيش عمالين يقولوا فأعاد عليه جميع ذلك فقال له الأمير عبد الوهاب الله عز وجل قادر أن يدفع عنا وعنك شرهم فعند ذلك قال البطال وهذا القرنان مالق شيء يعمله إلا يبنى على بيعة ياهل ترى قد سمع عنى أنى من بعض الحواريين وها أنا قد رجعت فى أمرى إلى خالق وإن كان لابد من قتلى فوالله اننى ما أريد أن أكون تحت كنيسة يكفروا فيها بالرحمن ولو علمت ذلك ما كنت شربت فعسى كنت أموت عطشا وظمأ فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد اعلم أن الذى فرج عنا وسقانا من غير معدن هو قادر على أن يمنعنا من الأعداء فعليك بالصبر فانه مطية النجاة وإذا أحب الله عبدا ابتلاه (قال الراوى) فبينما القوم فى المحاورة وبطارقة كرجانه يتباعدون عن أبى محمد ثم ينظرون إليه من بعيد فقال لهم شومدرس تفرقوا عنه ليكون ذلك أقرب إلى نظركم إليه وأمكن لمعرفته فقالوا له يا هذا اعلم أن هـذا الرجل نسمع عنه إنه يطير فى الهواء ويدخل تحت الإنسان وبين ثيابه ويسلخه من إذنه ويمضى حيث يشاء ويغطس فى البحر ويسرق بنات الملوك وينزل من طاقات القصور على الملوك فى الظلمات ويسحر العقل حتى يبقى الرجل غايب بلا معقول ولا يدرى إيش يقول فلما سمع أبو محمد ذلك ضحك من فرط ما سمع على ما به من الخوف حتى غلبت القهقهة عليه فقال له الأمير عبد الوهاب والله يا أبو محمد ما بعد هـذا الضحك إلا الفرج فقال نعم إن شاء الله تعالى بسعادتك أيها الأمير الأجل ثم إنه أعاد عليه كلام أهل كرجانه فعند ذلك ضحك الأمير على ما به وقال ما نعرف هذه الصنعة إلا فى الدمرياط ملك الجن فقال شومدرس لعمرى انه بهذه الصفة وإنما المسيح قد علمنى شيئا فى المنام حتى وقع فى قبضتى واحتويت عليه فلم يقدر يتخلص من يدى وكان قصد الملعون شومدرس بذلك أن يعظم أمر أبو محمد البطال عندهم حتى ينال منهم ومن ملكهم اليد البيضاء ثم أن شومدرس قال لبطارقة كرجانه إلا آن ترجعوا بنا فى المركب إلى عند الملك فقالت البطارقة وحق المسيح مانقدر على ذلك فقال شومدرس ولم ذلك فقالوا له يا أبونا فلانا من غضب الملك علينا إذا رجعنا إليه بغير صيد وما أتينا إلى هـذا الموضع إلا فى طلب الصيد ولو اننا بقينا هاهنا عام ما نقدر نرجع له بلا صيد ولنا فى هـــذا الوادى أماكن قد خبينا فيها الزاد والماء ولنا على الملك الديوان لاجل هذه الصناعة (قال الراوى) فبينما القوم فى هذا الكلام وإذا بصوت وهدير قد ملا تلك الأرض والوادي وهو يزداد (قال الراوى) وكان ذلك صياح السباع وقد خرجت من الوادى فى طلب الماء وقد

لاحت لهم أشباح تلك الآدميين فعند ما نظرت إلى الأشباح هدرت وزمجرت وضربت بأذنابها أجنابها فلما نظرت أهل كرجانه إلى ذلك قالوا هلكنا وحق المسيح لان هذه السباع أشد سباع الأرض جميعا وما نقدر عليها إلا بالمكامن والخنادق فروح معنا حتى ندخل إلى هذه المغارة التى خرجنا وخلى للسباع ثلاثة من هؤلاء القوم الأسارى فقال البطال للأمير عبد الوهاب ذلك فقال الأمير لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله يا أبا محمد ما جرى علينا نوبة أصعب من هذه النوبة ثم قال يا أبو محمد قل للقوم يطلقونا أو يطلقوا أيدينا ويعطونا شيئا من هذه الحراب التى معهم ونحن بعون الله نكفيهم مؤونة هذه السباع فسمع شومدرس ذلك من الأمير عبد الوهاب فقال وحق المسيح انى اشتهى أن أخليك حتى تصل معنا إلى الملك ولكن من يقدر عليك وكنت تدخل معنا إلى المغار وتأخذ منا بالنار وتقصف منا الأعمار فقال الأمير عبد الوهاب من شفقته على نفسه وعلى أولاده وأصحابه وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ان ظفرنى الله تعالى بهذه الأسود فلا انقض العهود بل أرجع إلى القيود وكان شومدرس عارفا بالأمير انه إذا قال قولا وفى به من غير أن يحلف فاطلقوه واطلق سيف الحنيفية بعد أن حلف الأمير عنه وكذلك ضيغم وقد صاح شومدرس بالبطارقة أعطوهم هذه الحراب التى معكم وانظروا العجب فقالوا له ياهذا لا تفتر بالأمانى ولا يأخذك فى الهرب توانى فان هذه السباع تبقى اليوم واليومين والعشرة والعشرين لا تأكل شيئا وهى طارية وليست هذه السباع مثل سباع أرضكم وبلادكم لان جلودها غلاظ فلا تعمل فيها الحراب ولا السهام ونحن أرما الخلق بالسهام والحراب وعلى كل حال نحن قوم صيادين وما لنا شغل إلا ملاقاة السباع مسافات ونعلم أن هؤلاء ليس لنا عليهم قدرة فقال الأمير عبد الوهاب دعوا عنكم المحاورة فقد قربت منا ونحن نصيدها ونلقاها عنكم بأنفسنا إن شاء الله تعالى فعند ذلك رمت البطارقة اليهم ثلاث حراب أمضى من القضاء وأحد من البلاء فجعلوا القوم يتمطون تستريح أيديهم من النكال والكتاف (قال الراوى) ثم ظهرت السباع إلى السباع فلما نظرت الصيادين اليهم رجفت قوائمهم وقد طلبوا المغار الذى لهم ولم يسمعوا كلام شومدرس لما نظروا السباع قد أقبلت وهى فى قدر الجواميس فقال شومدرس وحق المسيح فى عمرى ما رأيت قط مثل هذه الأسود ولكن الحقوا بنا القوم فان الرأى معهم ثم انهم نزلوا فى المغار وشومدرس سد بابها بالأحجار وقد أقبلت تلك السباع ولهم هدير يطرش الاسماع وكانوا اثنى عشر سبع كل واحد منهم فى قدر الثور العظيم وهذه صفة سباع ذلك الاقليم وقد أهلكهم الجوع

والعطش ونظروا بنى آدم فأتوا اليهم وحملوا عليهم فعند ذلك زلف اليهم الأمير عبد الوهاب وأولاده ومن معه من أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب ووقف البطال وغلمانه وولده بعيد عنهم لأنهم ماهم من أهل هذه الطبقة وأنتم تعلمون شجاعة هؤلاء الأبطال فى كل وقت وساعة وهم من أرباب القوة والشجاعة وأن الأمير عبد الوهاب فيه كفاية لا سيما ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وأبو الهزاهز وبرد بن الأزهر وسعيد بن الفرج ومن يجرى مجراهم من هؤلاء الأبطال وهم ليوث الحرب فى جميع الأحوال وقد التقوا السباع بقلوب قوية ولم تكن إلا ساعة حتى ضرب الأمير سبع وقد تقدم اليه وحمل عليه فضربه بالحربة فى كتفه الأيمن طلعت من جانبه الأيسر فانقلب أسرع من لمح البصر وكذلك فعل ظالم وسيف الحنيفية وما كانت إلا ساعة حتى أفنوا تلك السباع وتركوهم ممددين فى وسط البقاع لأن أحدهم كان يرشق الأسد بالحربة فلا تخطى من بين عينيه أو جنبيه وقد قضى عليه وقد وقعوا السباع إلى الأرض صرعا وأخذوا منهم الأرواح وعادوا أقوى من أسود البطاح هذا والبطارقة ينظروا من خلال الأحجار إلى تلك الفعال وقد انذهلوا وحاروا من ذلك الحال وقد طارت قلوب البطارقة فزعا وازدادوا خوفا وجزعا (قال الراوى) ثم أن البطارقة خرجوا بعد ذلك وأن البطال أقبل على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وقال لهم اعلموا أن هذه سلامة لم تكن لكم فى حساب وقد خلصنا مسبب الأسباب فاشكروا على ذلك رب الأرباب الذى نجانا من هؤلاء الكلاب فقالت الأمراء من بنى كلاب وحق الملك الوهاب لقد قلت ياأبو محمد الصواب ونحن الساعة نرجع إلى هؤلاء البطارقة الكلاب ونشكهم بهذه الحراب فى الصدور والاجنات ونقتل أيضا شومدرس المرتاب ونرجع من حيث أتينا ونتوكل على الملك الوهاب الذى إذا دعى أجاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب قال لهم ليس هذا بصواب ولا فعلت أنا ذلك أبدا ولا أحلف بالله ورسوله كاذبا وأختار الدنيا على العقبى وأكذب بمن هدانى إلى الإيمان وعرفنى شرائع الاسلام فقال البطال دع عنك هـذا الهذيان فنحن ما نوافقك على هذا أبدا هذا وشومدرس صاح بهم وكان شيطان ياويلكم نقضتم الايمان ورجعتم إلى الغدر والبهتان ياويلكم كيف لكم سبيل إلى الحياة فى هذا الوادى والفلاة والمدينة منا قريبة فننفذ إلى الملك يرسل لنا العساكر ونأخذكم أخذا بالكف ولو تبعناكم إلى آخر الدنيا ونأخذكم فى الطريق لأنكم أنتم هالكين بلا تعويق وأنا ما كنت أعرف من أميركم إلا الصدق فى الكلام وقول الحق ولا سيما إذا حلف بنبيه المحتشم الذى أمته خير الأمم صلى الله عليه وسلم فقال الأمير

لأصحابه صدق لأن هذه الأرض ما نعرف فيها طريق وإن وصلنا إلى ساحل البحر أخذنا العدو بلا تعويق وإن رجعنا هلكنا وعدمنا السعادة والتوفيق فقال ظالم يا أبتاه أنا أول من يتبعك فقال بارك الله فيك يا بنى ثم أن الامير صاح فى ولده ضيغم وقشعم وسيف الحنيفية فأرموا الحراب وكذلك جميع الأصحاب الآخر وقد سلموا أنفسهم إلى القضاء والقدر والبطارقة قد حاروا مما عاينوا وعجبوا وقالوا لشومدرس هذا الشيخ الأسود يعنى الأمير عبد الوهاب ما نظنه إلا بطل من الأبطال وفارس من الفرسان وقد رأيناه قتل ثلاثة من السباع وله قلب أقوى من الحجر وهذا الشاب الاسمر قتل أسدين أسرع من طبق العين فقال لهم شومدرس ياويلكم مالكم معقول ولا ذهن محصول أما وصفت لكم هذا الشيخ من ساعته وأخبرتكم بقوته وشجاعته اعلموا أن هذا وحده إذا ركب جواده وملك عدة جلاده وأراد أن يملك القسطنطونية لملكها وحده بلا رفاق ولا فرسان ولا يبالى بالرجال وله أم تضرب بها الأمثال وما على وجه الأرض أفرس من هذا الرجل وأمه فقالوا له البطارقة ياراهب أما قولك مافى الدنيا مثله فملكنا غيضروس يريد مثل هذا الرجل قبيله وتكون بين يديه قليلة وأما قولك مافى النساء مثل أمه فهذا محال كلام بطال لأن بنت الملك افتونا أوفى مما ذكرت عن أم هذا الأسود وعلى شرط أن قد وصل الينا فى هذه الايام امرأة ما رأينا قط مثلها فى الشجاعة والبراعة لان الملك غيضروس نزل الميدان ومعه جملة فوارس من جبابرة الفرسان وأمرنا أن نخرج إلى وادى السباع كما جرت له العادة فخرجنا وسرنا فوجدنا فى رأس وادى العفريت شخصين وقد هلكت خيولهما من عدم الماء وشدة العطش والظمأ وهم على آخر نفس لا يدرون أهم فى أرض أم فى السماء وهم لا يعقلون على أنفسهم فاطعمناهم وأسقيناهم فقويت نفوسهم وردت اليهم أرواحهم بعد الضعف ثم أحضرناهم إلى بين يدى الملك غيضروس فسألهم عن حالهم فوجد المرأة مسلمة والرجل رومى واسمه بحرون وأنه قد هرب وهى طالبة له إلى أن وقفا فى بر العفريت وقد هلكت خيولها (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأميرة ذات الهمة لما طلبت بحرون وساقت خلفه وقد استغرقوا فى الوادى فقال بحرون يا ستاه أرفقى بى فوالله لقد هلكت أنا وأنتى وان خلصنى الله من هذه النوبة وبرد كبدى بشربة من الماء وكان قد أدركه الظمأ فأنا أسلم على يديكى ان شاء رب السماء فقالت الأمير يا بنى اعلم أن الفرج قريب وأنا أسأل الله تعالى أن يكون لك فى دين الاسلام نصيب وأنا أقول ان الماء لم يبق عنا بعيد فى هذا الفلا وهذا الوادى لم يخلو من الماء فاطلب بنا الفضا فلما

سمع بحرون سار هو وإياها ولم يزالوا كذلك إلى أن اشتد عليهم الحر وأوهج البر فوقعوا كما ذكرنا وقد قطعوا أكثر الأرض وماتت خيولها من العطش والظمأ وقد أقبلت إليهم البطارقة بالخيول وحملوهم إلى عند الملك غيضروس فلما مثلوا بين يديه وعرف بحرون فرح به لأن أخباره قد وصلت إليه وسأل الملك عن الأميرة فقال له بحرون اعلم أيها الملك ان هذه الأميرة ليس يخفى أمرها هذه التى قد وصلت إلى جميع الروم شرها هذه التى قد أخربت بلاد الروم وهدمت المعالم والرسوم هذه فاطمة بنت مظلوم هذه ذات الهمة صاحبة الثغور الأميرة التى كل ملك منها مقهور التى ما يزال جيشها منصور (قال الزاوى) فلما سمع الملك غيضروس وصف الأميرة من بحرون تغير لونه واضطرب كونه وقال وحق المسيح لقد سمعت هذا عنها من زمان وكنت مقصدى أراها عيان وأرى ولدها عبد الوهاب فانى سمعت بشجاعة بنى كلاب وهم عندى أقل وأحقر من ذلك الشأن ولولا أخاف من المعيرة عند الشجعان كنت قبضت بيدى على رأسها خلصته من بين كتفيها وأقضى فى هذه الساعة عليها فقال له الملك بحرون أيها الملك هذا كلام من لم يبلى بها فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فقال الملك غيضروس ان لى بنتا يقال لها افتونا تريد مثل هذه المرأة ألف فى اللقاء ولا تتعب ولا تشتى وأنا كنت معول على الخروج إلى بلاد الاسلام وأريك ما أصنع بولدها عبد الوهاب وفى قلبى أيضا النار من العيار المحتال أبو محمد البطال لأن كل قليل يصل لى فعله وما كنت معول على الغزو إلا من أجله فقال بحرون لا يغرك أمر هذه المرأة لأننا ما أخذونا أصحابك إلا ونحن قد أشرفنا على الهلاك ولكن دعها مدة عشرة أيام واعطيها آلة حرب وقد عادت اليها قوتها واعطيها جواد سابق ورمح خارج وسيف ماحق ودع تخرج إليها ابنتك وكل من فى مدينتك وعلى الضمان ان ما يأتى آخر الشهر ومنهم انسان (قال الزاوى) فلما سمع الملك ذلك من بحرون غضب غضبا شديدا وقد عول على قتله فقال بحرون أيها الملك لا تعجل على واعان هذه المرأة قد لاقت معى فى هذه الطريق أمر عظيم من الجوع والعطش وقد أشرفنا على الهلاك فان كنت ما تصدق قولى فى شجاعتها وعظم شدتها فامهل عليها عشرة أيام إلى أن تستريح وتشبع من الطعام وانظر ما تفعل فى الحرب والصدام فقال الملك قد أمهلتها شهر تمام وتكون فى غاية الاكرام ثم ان الملك أمر بها إلى مقصورة فى داره وكانت الأميرة صوامة قوامة بالنهار إلى أن انحلها السهر وكانت تقوم بما عليها من الفرض سفرا وحضر ثم أن بحرون بعد ذلك أتى إليها فوجدها قد تغيرت حالتها فسأل عنها من الخدام ما سبب مرضها فقالوا له انها بالنهار صائمة وبالليل قائمة فتقدم اليها بحرون وقال

لها يا ذات الهمة إلى متى تفعلى بنفسك هذه الفعال والملك فى آخر الشهر يريد يختبرك فى القتال مع ابنته وفرسانه وأبطال مدينته فقالت له الأميرة ويلك يا بحرون أنت رجل مجنون أنا ما أفعل ذلك إلا شكراً لله تعالى الملك المعبود الذى سقانى بعد الظمأ وهدانى بعد العمى وأخرجنى من العدم الى الوجود وسوف ترى من ألطاف الله تعالى ما لا يكون فى حساب وأنا متكلة على مسبب الأسباب (قال الراوى) ثم ان الأميرة لم تزل على تلك الحالة فى العبادة إلى أن تورمت قدماها مدة ليالى وأيام ولما كان بعد الشهر خطرت الأميرة على قلب ابنة الملك الملكة أفتونا فقالت وحق المسيح انى أريد أشرف عليها لأنه قد كثر وصفها بالشجاعة والبراعة وأنظر ما قد وصفوا من شجاعتها وأبصر حسن صورتها (قال الراوى) وكان قد وصل لافتونا خبر الأميرة وقالوا لها أنها قد وصلت الينا مسلمة ومعها الملك بحرون وهم عند الملك غيضروس أبوكى فى أعظم ما يكون وأن بحرون قد كابر الملك من أجل هذه المسلمة وقال له أنها أشجع أهل زمانها فقال الملك ابنتى تظهر عليها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وأن بحرون لم يقبل ذلك وبلغها أن أبوها وبحرون قد تكابروا عليها فقالت الملكة افتونا وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح لقد حط الملك قدرى مع هذه الأسيرة والأسير وقد جعلنى فى محل التقصير وحق المسيح لو كان أبى أذن لى فى الخروج إلى القسطنطونية وإلى سائر أقاليم النصرانية لآخذ له سائر البلاد وأهلك جميع العباد قهرا والسلام ولكن أريد الساعة أنظر إلى هذه المرأة وأجرب شجاعتها وأبصر براعتها ثم انها سألت عنها فقالوا لها أنها أيتها الملكة منعكفة على عبادة ربها ولكنك تمضى اليها على سبيل الزيارة (قال الراوى) ثم أن الملكة أفتونا ركبت فى مائة من جوارها كانهم الاقمار وهى بينهم كانها شمس النهار بخدود كانهم جلنار وبياض ساطع يأخذ بالابصار بعيون غنجة وثنايا مفلجة وخصر نحيل وردف ثقيل وهى فتنة للعالمين فسبحان من خلقها من ماء مهين وسارت وهى كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية أو قضيب بان أو غزال عطشان ولم تزل إلى أن دخلت على الأميرة ذات الهمة فوجدتها مستقبلة القبلة فى طاعة الملك الخبير وهى فى بكاء وخشوع وزفير وقد بقيت مثل الخيال ولها قلب مثل الجبال وهى حاملة هموم كثيرة غير يسيرة أحدها غربتها ووحدتها والثانى الشوق إلى ولدها والثالث شوقها إلى وطنها وأيضا شوقها إلى الجهاد فى طاعة رب العباد وانها ما تدرى ما جرى على المسلمين بعدها وأيضا انها أسيرة فى بلاد الأعداء وقد بعد بينها وبين أهلها المد (قال الراوى) ودخلت عليها أفتونا وراتها فى المحراب واقفة وهى تقرأ فى سورة الأحزاب إلى أن وصلت إلى قوله تعالى

يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وكانت الأميرة ذات الهمة تقرأ القرآن بخشوع وحزن وخضوع وبكاء وجريان دموع فلما رأتها أفتونا على هـذه الحالة وقعت هيبتها فى قلبها من طريق الدين وحسن اليقين لا غير ولكنها قالت وحق المسيح لقد وصف بحرون غير مليح فما هـذه معاطف تدل على شجاعة ولا قوة ولكنها على العبادة قانعه وأن أفتونا نظرت إلى الأميرة فى عين التواضع وأقامت مكانها تبصرها وتنظرها الى أن تفرغ من صلاتها فلم تشتغل الأميرة بذلك بل طولت فى صلاتها كعاتها (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة إذا دخلت إلى الصلاة لو اشتهر على رأسها ألف سيف يريدون قتلها لم تنحرف عن صلاتها ومحرابها ولا قطعتها وكذلك كان ولدها عبد الوهاب أيضا على هـذه الصفة حتى انهم كانوا فى بلاد الإسلام اذا دخلوا فى الصلاة لم يشتغلوا بغيرها ولو كانت السيوف على رؤسهم مسلولة وكذلك اذا دخلوا فى الغزاه الى بلاد الروم وقد اصطفت الصفوف وجردت السيوف وزحفت تطلب بعضها بعض وحضرت الصلاة لا يتأخر عنها ساعة واحدة ولا يتخلفوا الا انهم يترجلون عن الخيل ويقضون ما عليهم من الفرض ولو حملت عليهم الكفار بأسرها لم يبطلوا صلاتهم (قال الراوى) وبلغنى انهم كانوا فى ثقل الحديد وهم أسارى لا يبطلون صلاتهم ويقضون ما فرض الله عليهم ويصلون أيضا الورد ويتبعون آثار الصالحين ويتبعون ما قال الله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال الله تعالى أن ناشئة الليل هى أشـــد وطأ وأقوم قيلا يعنى عبادة الليل أشد عبادة وكانوا القوم على هذه الصفة يتطوعون ويسجدون طول الليل ويركعون حتى ينالوا فى الآخرة ما يشتهون فهؤلاء القوم الذين قال الله فى حقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون وقال أيضا ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون (قال الراوى) ولما أن رأت الملكة أفتونا الى ذلك الحال من الأميرة ذات الهمة قالت لبعض جوارها ويلك امضى اليها وسلمى عليها ونادى اليها بالرفق والسكون وقولى لها أجيبى ابنة الملك أفتونا تريد أن تتحدث معكى فى أمر يكون فان أذنتى لها بذلك والا هى ما تقطع عليكى عبادتكى فمضت الجارية الى الأميرة كما أمرتها ابنة الملك وقالت لها ذلك الخطاب فلما سمعت الأميرة من الجارية ذلك الخطاب أو جزت فى صلاتها ثم جلست للدعاء وكانت فى جملة ما دعت به من الدعاء المليح وقالت اللهم انى أسألك يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات يا غافر الزلات يا عالم بما مضى وما هوآت يا عالم باختلاف اللغات وما أنزل فى كتابك العزيز من محكم الآيات وبالاسم الذى رفعت

به السموات وسطحت الأرضين المدحيات وارسيت الجبال الراسيات ويامن حكم على خلقه بالفنا والممات ويامن يكشف الشدائد والكربات يامن يجيب الداعى إذ دعاه وتضرع اليه بالدعوات يامن لا تشتبه عليه اللغات ولا سائر الألسن المختلفات اللهم انى أسألك أن تتجاوزعن ذنوبى وعن السيآت اللهم إنك عن أهلى ابعدتنى وعن وطنى شردتنى وفى ولدى أفجعتنى وفى هذه البلاد الواسعة أوقعتنى وبعد هذا يامولاى تراك قبلتنى أو طردتنى (قال الراوى) ثم أن الأميرة بعد هذا الكلام بكت بكاء الخائف الوجل النادم على ما فعل وقالت بعد ذلك اللهم لك الحمد على كل حال ياذا الجلال والاكرام والجود والانعام والافضال (قال الراوى) هذا كله وافتونا تسمع ذلك قالت وحق المسيح لقد رق قلبى على هذه المسلمة ثم أن افتونا نادت بالأميرة يامسلمة اقبلى إلى حتى اكلمك فرد كلمة فعندها أقبلت الأميرة اليها وقالت لها ماحالك فقالت الجوار اجيبى ابنة الملك افتونا وأبوها صاحب هذا الاقليم وهذا البلد فانها قد أتت لزيارتك وقد وصل اليها خبر شجاعتك وقوتك وبراعتك وقد اشتهيت انها تقاتلك فقالت الأميرة ذات الهمة بعد أن تقدمت إلى أن قربت من الملكة افتونا وقالت لها اعلمى أيتها الملكة أن الفروسية والشجاعة والقوة والبراعة هى وهبة من الله وأصلها القناعة وما نصل اليها نحن إلا بمعونة الله ورحمته فلله الحمد على ما وهبنا من نعمته وفضلنا على كثير من خليقته فسبحان من له المواهب على العالمين لأن فضله ومنته على جميع المخلوقات من أهل السموات وأهل الأرضين ولقد قصرت الألسن عن وصف جزيل نعمته وعجزت الافكاروالقلوب عن ادراك بعد صفته وأمره بين الكاف والنون انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون لاراد لقضائه ولا دافع لما حكم ولا غالب لأمره تعالى عن الحد والعدد وتنزه عن الصاحبة والولد ليس له حد ولاند ولا معاند ولا ضد ولا شريك ولا معين ولا صاحبة ولا قرين ولا مشير ولا نظير ولا وزير بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا إله إلا هو ولا معبود سواه وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى جميع المخلوقين من الأبيض والأسود والأحمر والعبد والحر والغنى والفقير له فى خلقه تدبير واليه المرجع والمصير فقالت الملكة افتونا وقد أعجبها كلامها وحارت من حسن لفظها ونظامها بأى شيء تعودتى القتال والحرب والنزال فقالت الأميرة ذات الهمة اعلمى ياهذا أن الرمح للعرب والقنطارية للافرنج والسيف للفرسان والطبر للاكراد والعمد للديلم واللكام للفرس واللت للعجم وأعرف سائر قتال الامم فضحكت افتونا وقطعت عليها كلامها وقالت لها ياهذه أخاف أن كلامك

من طريق الدعاوى لأن باب الدعوى مفتوح فقالت لها الأميرة ذات الهمة ياملكة أننى سألتينى فأجبتك ولولا سؤالك لى لما تكلمت معكى بهذا الكلام والمقال وانما الدعوى تكون من شخص يقول مقال بلا سؤال ويتكلم كلام بغير فعال وقد قيل فى الامثال عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وقد اشتهيت منكى أيتها الملكة أن تخبرينى قبل الميعاد المعلوم بيننا على أننى ان ظفرت بكى جدت عليكى بروحك وانكى تطلقينى وتسيرينى إلى مكان آمن فيه على نفسى لأنى ما أنا أسيرتكم ولا أخذت أسيرة إلا بالجوع والعطش وان كان يبعد عن قومكى أن يصلوا إلى أو يقدر على وإنما أسرت بقضاء وقدر (قال الراوى) فلما سمعت افتونا كلامها غضبت غضبا شديدا حتى ظهر الغضب على وجهها لأنها كانت افرس أهل زمانها وهى معودة على الصراع وقوة الذراع وكذلك سائر جوارها مصارعين ومن كان معها من بنات البطارقة وكانت تضرب بهم الامثال وكانوا يقهروا الابطال فى حومة الميدان وقت المجال عند ذلك قالت افتونا الجارية من جوارها يقال لها حومة الميدان وقت المجال عند ذلك قالت افتونا لجارية من جوارها يقال لها نشط مريم وياك دونك واياها اخلعى أفكاكها وعجلى تلافها وهلاكها فقد استحقت ذلك وما وقعت فى الاسر إلا وهى أشر الخلق فعند ذلك وثبت الجارية نشط مريم وكانت مدله بنفسها لما فيها من القوة والشجاعة ثم أن الجارية تقدمت إلى الاميرة ذات الهمة وقد لطمتها لطمة على وجهها طيرت الشرر من عينها وقالت لها فى عقيب اللطمة يا كابة المسلمين وأخس من دخل الينا من بلاد الموحدين تكلمين الملكة افتونا بهذا الكلام وتقابليها بمثل هــذا النظام ثم أن الجارية قبضت على عنق الاميرة ذات الهمة تريد أن تدق عنقها وتسد حلقها فعند ذلك مددت الاميرة يدها وأرمت روحها عليها وكانت تلك اليد طالت فامسكت أبدان الابطال فى معترك الجولان وياطال ما قبضت بها أعناق الرجال قبضت على يد الجارية مع زندها وجعلت يدها الاخرى على خناقها وهمزت عليها فصاحت الجارية صيحة خيل للناظرين ان سقف ذلك البيت قد سقط إلى يوم العرض فعندها تبادر اليها الجوار فوجدوا نشط مريم قدفارقت روحها جسدها وشجاعتها وقوتها ما نفعتها فعندها صلبت افتونا على وجهها وقالت وحق المسيح ان هذا جيد ومليح فعندها وثبت أختها وهجمت على الاميرة ذات الهمة تريد تأخذ بثار أختها فعندها قبضت الاميرة على عضدها وضربت بها الارض هشمت عظامها فضحكت افتونا وقالت وحق المسيح هــذا الكام مليح (قال الزاوى) ثم قام إلى الاميرة جارية أخرى ففكت رقبتها فقالت اليها جارية رابعة فقضت عليها شدتها ثم قامت الخامسة ففتلتها ولم تزل الاميرة تقتل واحدة

بعد واحدة حتى أهلكت منهم عشرين جارية عشرة يعالجون الموت وعشرة فات فيهم الفوت هذا والملكة أفتونا قد اندهلت مما أبصرت وحارت مما نظرت فعندها قام اليها جارية من جوارها وقالت لها والله يا ملكة وحق المسيح ما هـذا مليح لان هذه قتلت من جوارك عشرين جارية وجرت عليهم هـذه الأمور الجارية وقد كسرت منهم العظام وأسقتهم كاس الحمام وانتى تقولى مليح مليح وقد يطالبكى بذنبهم المسيح ولكن بقت نوبتك وما لها غيركى نخذى لهم منها بالثأر واكشفى عنا العار (قال الراوى) وكانت افتونا كثيرة الخداع فى المعاركة والصراع قوية الباع ء الزراع فعند ذلك وثبت إلى الأميرة ذات الهمة وقصدتها مهاجمة وهى غير مكترثة بها وقد نظرت الأميرة إلى حسنها وجمالها وظرفها وكمالها وقدها واعتدالها فعجبت من ذلك وقالت فى نفسها سبحان من خلقها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين (قال الراوى) وكان على افتونا فى ذلك الوقت غلالة قسطنطيني ملكى مدثر وسراويل حرير أخضر بكايس ذهب أحمر معصبة بعصابة من الجوهر ثم إنها هجمت على الأميرة ذات الهمـة هجمة الأسد القسور حتى تورى باقى جوارها علو همتها وقوتها وشجاعتها فأخذت الأميرة منها حذرها ومالت على الأميرة كل الميل وكانت صاحبة قوة عظيمة وحيل فتماسكا وتعاركا وتجاوبا وتماحكا وأخذا فى الهزل والجد والأخذ والرد (قال الراوى) ولقـــد سمعت من الأميرة ذات الهمة فى جامع المنصور فى بغداد قالت والله يا نجد ما رأيت بعد صراع ميمونة امرأة مثل افتونا وربما تزيد عليها فى القوة والشجاعة ولم تزال الأميرة مع افتونا فى عراك وشباك طول ليلتيا إلى الصباح وقد أدركت الأميرة صلاة الصبح ولم تقدر واحدة منهن على الأخرى فعند ذلك قالت الأميرة ذات الهمة اعلمى أيتها الملـكة أن على فى هذه الساعة صلاة وهى صلاة الصبح فاشتهى أن تمكنيني حتى أقضى صلاتى فقالت لها افتونا دونك وما أردتى وأنا أيضاً لى زيارة فى الكنيسة وصلاة الراهب دمليسا ثم إن افتونا افترقت من الأميرة ذات الهمة وتمت خارجة وقد قالت لجوارها وحق المسيح إن قطفت منـكم واحدة سرى وما جرى لى مع هذه المسلمة فى هذه الليلة المظلمة وأعلمت الملك بهذا الحال لأسقيتكم كاس الوبال وأقرب منكم الآجال لأن أبى جبار حاد المزاج وربما عجل فى قتلها قبل البراز وأنا أشتهى أن ألتقى أنا وإياها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وحق المسيح إنى ما رأيت من فحول الرجال مثل ما رأيت فى وقت النزال ولو وقفت معها ساعة واحدة لكانت أخرجت الاذية إلى وخرجت روحى من بين جنبي وإن كانت فى ميدان الحرب كذلك فليس لها فى الدنيا نظير ثم أمرت الجوار بدفن من مات والبـاقى أظهرت

أنهن مرضا موجعات هذا والأميرة ذات الهمة صلت صلاة الفجر وهى متعجبة من صراع افتونا وقوتها وقالت فى نفسها سبحان من يعطى القوة لمن يشاء وتبارك الله العظيم الذى صور هذه الجارية فى ظلمات الأحشاء وأنا أرجو من الله تعالى خلاصى من هذه البلاد بسبب من الأسباب وآخذ هذه الجارية معى لولدى عبد الوهاب ولعله يتسلى بها عن ميمونة الكافرة الملعونة وهذه أحسن وأعقل وأقوى وأفضل (قال الراوى) ثم إن افتونا أرسلت إلى الذى يتعاهد الأميرة بالطعام والشراب وقالت له يا هذا أريدك تنقص من طعامها وشرابها لأن الضعف أولى بها فقال السمع والطاعة وصار يجيب لها دون إفطارها من الطعام أربعة أيام هذا والأميرة ذات الهمة تتناول ذلك وقد حست بالشربة وكانت تتقوت بالقليل من الزاد ما تسد به رمق الفؤاد فى ملطيه وفى سائر البلاد وقوتها تزداد بأمر خالق العباد وأقامت الأميرة على ذلك مدة عشرة أيام وأتت إليها افتونا وهى كأنها بدر التمام وقالت لها يا مسلمة هل لك فى الصراع معى على سبيل الملاعبة والادمان فقد قرب وقت نزالنا إلى الميدان لطلب الطعن والضراب ونتضارب بالنضال فتشهد لنا الفرسان بالزيادة والنقصان فقالت لها الأميرة سمعاً وطاعة فدونك والصراع من هذه الساعة هذا وقد تحققت افتونا أن الأميرة ذات الهمة قد ضعفت عن ما كانت وأن قوتها نقصت وهانت وعرفت الأميرة ذلك وأنها قد ضعفت من العبادة وصيام النهار وقيام الليل كما الرسم والعادة فعند ذلك رفعت الأميرة طرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى كيف أضعف وأنت معتمدى أم كيف أخذل وأنت خليفتى على ولدى أم كيف أخاف وأنت آخذ بيدى ثم إنها دنت من افتونا وتعاركا وتشابكا وأخذا فى الصراع وقوه الباع والزراع ولم يزالا كذلك إلى وقت الظهر فكانا فى القوة سوى ولم تقدر أحدهما على الأخرى بعد ما جرى ثم افترقا وقد عظمت الأميرة فى عين افتونا ثم قالت للأميرة ذات الهمة يا مسلمة بحق دينك ونبيك هل تعرفى فى بلاد الإسلام من يكون أعظم منك فى الشدة والقوة التى أنت فيها فقالت لا إلا أن يكون ولدى عبد الوهاب فانه فى هذه المنزلة ولا سيما فى الطعان والضراب فلما أن سمعت أفتونا من الأميرة هذا الخطاب قالت لها صدقتى وأنا أيضا ما أعرف من هو فى قوتى إلا أن يكون الملك العظيم المقدار لانه يزيد عنى بكل درهم قنطار وهو قليل أن يكون مثله فى سائر الأمصار وحق المسيح ياهذه أن الذى رأيتيه منى فى هذا الصراع هو صنعتى فى المبارزة وأنا على ظهر الحصان فقالت لها الأميرة ذات الهمة فأنا أحمد الله على هذا الاتفاق لانى ما رأيت مثلك فى سائر الآفاق لافى بلاد الروم ولا فى العراق لكن استعنت عليكى بالواحد الخلاق وقامت أفتونا من

عند الأميرة ذات الهمة وقد علمت بأن قلة الطعام لم تنقص لها قوة بل قوتها من عند الله وهى صاحبة مروءة وبعد ساعة أنفذت أفتونا إلى الأميرة ذات الهمة طعام وشراب من طعامها الخاص الذى لاهل الاختصاص وفاكهة وحلوى وقالت لها طيبي قلبكى واشرحى خاطركى ولبكى فان الملك غيضورس كان نوى انه يقتلك ويبنى عليكى بيعه ويوقف عليها صنيعه والآن فأنا أمكنه من ذلك ولكن لابد لى بعد ذلك من المبارزة على الاختبار وتتفرج علينا الفرسان فى الميدان فقالت الأميرة وبالله المستعان على ما تصفون وما شاء فهو يكون (قال الراوى) وإن الأميرة ذات الهمة بعد ذلك تذكرت ولدها عبد الوهاب فزاد بها المصاب فأنشدت تقول :

نسيم الصبا إن زرت أرض أحبتى ... فخصهم عنى بألف سلام
وقل لهم انى رهين صبابة ... وإن غرامى فوق كل غرام
وانى ليرضينى طروق خيالكم ... لو إن جفونى متعت بمنام
ولست أبالى بالعذاب وباللظا ... إذا كان فى تلك الديار مقامى
سلام عليكم طال شوقى اليكم ... سلام محب زائد بغرام

(قال الراوى) ثم مضت الأيام وفرغ الميعاد وبقى فى الشهر فرد يوم وأصبحوا الناس يهرعون إلى الميدان من كل ناحية ومكان ورفعت الصلبان واصطفت الاقران ونصب للملك غيضورس سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وكان بين يديه حصان أشهب بمركب ذهب وسيف مشطب ورمح مكعب وكانت الملكة أفتونا قد أخرجت للأميرة ذات الهمة من خزائن السلاح عدة كاملة فلبست الأميرة درع الاكمام مليح الهندام جيد اللحام كيس النظام وصارم مصقول يأخذ لمعانه بالعقول وبيضة من الحديد الصينى وأخذت حسام ماضى الشفار قاطع للأعمار يأخذ لمعانه بالأبصار الموت فى مضاربه والمنية فى جوانبه ثم ان الأميرة ذات الهمة أشرفت على اصطبل الخيل ونظرت إلى جواد أسود مثل سواد الليل من أكرم الخيل مليح محجل برأس كانه المرجل مدور الكفل مليح المقل وقد قدمت لها أفتونا عدة الجلاد لتنظر إلى الأميرة فى شد الخيل وتعلم ما فيها من القوة والحيل فعند ذلك تقدمت الأميرة ذات الهمة إلى الجواد وحطت العدة على ظهره وشدته إلى أن لعبت قوائمه على وجه الأرض فهزت أفتونا رأسها لما رأت إلى شد الأميرة الجواد وعلمت إنها ذات حيل شديد وقد ركبت الأميرة ذلك الجواد وهى كاملة العدة زائدة النجدة وظهرت أيضا أفتونا وخرجت إلى الميدان بعده تعجز عن وصفها الصفات والعدة كلها مغموسة فى الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وهى مثل القمر إذا بدر

فى ليلة أربعة عشر وتحتها جواد أحمر مليح المنظر ما ملك مثله كسرى ولا قيصر هذا وقد ازدحمت عليهم الفرسان فى متسع الميدان بعد ما رفعوا الصلبان وتقدموا حتى ينظروا ما يجرى لهذان الفرسان (قال الراوى) هذا وبحرون يشتهى أن يكون الظفر والنصر للأميرة ذات الهمة حتى يظهر صدق قوله عند الملك الغيضورس وإنه ما هرب إلا من شىء عظيم هذا والأميرة ذات الهمة قد قاربت جوانب الميدان فرأت فى جوانبه أوفى من مائة ألف عنان الكل يطلبون أخذ روحها من الجسمان وقد تذكرت الأميرة وحدتها وغربتها وفراق أحبتها فرمقت بطرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى انى عجزت فأنت تنصرنى وتعيننى وتنجدنى وإن كنت فى قلة فأنت كثرتى وإن كنت ضعيفة فأنت قوتى ثم إنها بعد ذلك أنشدت تقول :

تباعد عن عينى الرقاد مع الكحل * وفى كبد نار الفراق على الأهل
حللت بأرض فى بـــلاد بعيدة * لهـا معشرا يبغون كلهم قتلى
وما أخذونى فى الهياج أسيرة * ولكنهم فى الحراب قد أخذوا مثلى
لاجل الذى بحرون لا كان اسمه * فقد طال فى كفر وشرك بلا أصل
رضا بلباس الكفر منـــه مذلة * وعاندنى يوم الهيـــاج على مهل
وقد ظن انى قد ملكت قياده * فأطلق رأس الأدهم الطيب الأصل
وخلف فى حال المجـــال ولم أزل * أتابعه مثـل العقاب على وجل
وسرنا بقايا يومنا ثم ليلنـا * وقد ضاقت الأقطار والطرق والسهل
وتحتى جواد رائق اللون شاهق * له شرف فى الخيل من أكرم النسل
فبتنا وأصبحنا بواد غشمشم * عميق بعيد الجانبين من المحل
وأقبل نحوى ابن ابنى يقول لى * هلكت فلا تبغين يا جدتى قتـلى
وبى عطش قد هدى حيلى مراسه * واحشاى من نار اللظا أبدا تغلى
أدر نظرى فى قفرة الواد شربة * أبل بها كبدى من عطش الرهلى
وبادر ما تم ان كان أوفلا * وقد غاب رشدى عن أصيحابى وأهلى
فسرنا بوادى الجن لا كان واديا * فمات حصانى واعتمدت على رجلى
ومات حصان الخصم حتى رأيته * بذل الحفا فى معرك الوعر والسهل
وزاد علينـــا الحر حتى رأيتنـا * على الأرض صرعا لا نفيق من الشعل
وغبنا عن الدنيـا كما غاب ميتـا * من الأرض من بعد المسرة والوصل
فلما أيسنا من بقايا نفوسنا * أتتنـا خيول الكفر حاملة النبل

سقونا وساقونا إلى غير أرضنا * وعاد جميع القوم يستوعدوا قتلى
وأقعدنى غيضورس الملك عنده * ليعلم أن ليس يقوى على مثلى
وجاءت سحيرا بنته كى تزورنى * ورامت صراعى قبل موعدهم قتلى
وقالت لا تراب لها بديعة * وقد أفضلتهم بالملاحة والدل
ألا فاصرعوها وياكن فاننى * أروم لأنظر فعلها بكم قبلى
فلما رأت فعلى بهن تقدمت * إلى وهى أمضى من الضيغم الفحل
وقد بلغ الميقات ثم أبا حتى * حصان ورمح حسن الشكل
وسرت أروم الطعن فى حومة الوغا * وأرجو من الرحمن نصرى على الكل
وأرجع إلى نحو الأسود الماجد الذى * يحن اليه القلب فى أضيق السهل
وأشفى من الأوطان قلبى فانه * يؤمل بعد البعد يجتمع الشملى

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة ذات الهمة من شعرها فاضت عبرتها وغزرت دمعتها وذكرت الأوطان فتجددت عليها الأحزان (قال الراوى) والغريب غزير الدمعة على كل حال ولو كان ملك الأرض فى طولها والعرض وقد صاح الملك فى ابنته افتونا وقبل رأسها وبين عينيها وقال لها يا بنية وحق المسيح ائن انتى أخذتى الأميرة فى حومة الميدان أسيرة لاجردن معكى العساكر إلى بلاد الاسلام ويكون الفتوح باسمك من دون ملوك الروم مدى الأيام (قال الراوى) ولم يكن للملك غيضروس غير افتونا وولد وكانت عنده أعز من كل أحد وكان محبا لها لما يرى من فعلها وحسنها وجمالها ثم ان الملك نادى بالرهبان والقسوس فداروا بها من كل جانب ومكان وقال لهم اتلوا عليها الانجيل وعوذوها بتعويذ يوشع وحزقيل وهى تزهوا بجمالها وتعجب بحسنها وترنو بعيون نرجسية وحواجب كالقسى محنية وظفائر شعر مرخية ووجنات كشقائق النعمان وثنايا عزاب تشفى الظمآن برد الرضاب وجبين كالمصباح كما قال الشاعر ابن فلاح حيث يقول :

جارتنى أجارها * الحسن من كل جانب
فهى بين النسا * كالبدر بين الكواكب

(قال الراوى) فهى فتنة الانام لم يوجد مثلها ولا مثل حسنها فى بلاد الروم ولا فى بلاد الإسلام زائدة الكمال مليحة الدلال لها ثغر أنقى من اللآلىء وعيون أحسن من عيون الغزال ووجه كأنه دائرة الهلال وقد صنعها الصانع الذى أتقن بصنعه سائر الاعمال فهى كما قال فيها الشاعر مفرج ابن هلال

يا من سلب مني الفؤاد ومضى ✿ بالله من اتخـذت غيرى عوضا
الدهر لهجرانك بالعبد قضى ✿ الشامت والحسود نالوا الغرضا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وأن الملك غيضروس قال لها يا بنية الساعة كما طاب قلبى عليكى وقد وصلت بركة هؤلاء القسوس اليكى فخذى حذرك من هذه المسلمة التى يقال لها ذات الهمة ولا تهملى أمرها فيصل اليكى شرها فقد حدثنى الملك بحرون عنها بأمور عجيبة وأحوال غريبة وقد صدقه بطريق من بطارقتى وكنت أرسلته إلى بلاد المسلمين فى حاجتى وصدقه أيضا رسول قد وصل من عند الملك أرمانوس يسألنى عن بحرون لان أرمانوس تزوج بأمه وإسمها ميمونة وهى من الموصوفات بالشجاعة واستخبرنى أيضا أرمانوس عن هذه الامراء وذكر لى أن اسمها ذات الهمة وان بلاد الإسلام قد انزعجت لفقدها وبلغنى أنها ما عدمت لوحدها بل قال الرسول ان قد عدم أيضا من بلاد المسلمين اللص المحتال أبو محمد البطال المصور عندنا فى الكنائس ومعه ولد هذه المرأة عبد الوهاب ومعه أيضا جماعة من الاصحاب وكنت أريد أن يرمى المسيح الجميع فى يدى حتى كنت أعذبهم وأبلغ غاية مقصدى فان قهرتى يا بنية هـذه المرأة فى الميـدان افتخرتى على سائر الفرسان والأبطال والشجعان ويكون قدعجزت عنكى الروم والمسلمين وتكونى قهرتيهم أجمعين فقالت أفتونا ياأبى وحق المسيح هذه المسلمة أوفى مما يصفوا عنها ولقد أعجبنى ما رأيت منها (قال) ثم ان أفتونا لوت رأس جوادها فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف فحملت عليها هذلك الأميرة ذات الهمة وهى معممة ملثمة وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت والقلوب من فعلهم قد ارتجفت والأرض من ركض خيلهم تخسفت ولم يزالا كذلك الى نصف النهارولم تزد واحدة منهما على صاحبتها وزن ذرة ولما رأت الأميرة إلى ذلك اعتمدت على ضرب الصفاح لأنها أقرب لقبض الأرواح هذا وقدغضبت أفتونا ثم حنقت على الأميرة ذات الهمةوأرمتروحها اليها مثل المجنونة فوجدت الوصول اليها بعيد والأمر صعب شديد وطال عليها النهار ولمع البتار واحمرت الأحداق وتطاولت الأعناق وقامت الحرب علىساق وكانت القسوس والرهبان يتضرعون الى المسيح ان ينصر أفتونا على الأميرة ذات الهمة هذا وقد جالت الأميرة عليها ثم انها صاحت فيها وقرعت رأسها بالسيف صفحا وقالت فى عقيب الضربة خذيها ياأفتونا فقالت وحق المسيح لو أردت بطتها وكنت أريد أستبقيكى لقلة حالك وقوة ضعفك (قال) فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك غضبت وقد همهمت وزمجرت واليها تحدرت وأرادت الاميرة ذات الهمة أن تعرفها أن ضربتها لايردها الحديد ولا الزرد

فضربت درقتها وكانت من حديد فوقعت الضربة قطعت ثلثيها وقالت خذها يا أفتونا ولو أردت الضربة موضع المقبض لفعلت فلما نظرت أفتونا إلى ذلك اصفر لونها وتغير وجهها وقالت فى نفسها وحق المسيح ماسلمت من الموت إلا باربع أصابع ثم انها لوت رأس جوادها وهى تنادى وتقول ياأبتاه قد انقطع أملى منها ولو اقترت على لأعدمتنى الحياه فان كان فيك لها فدونك وإياها فأنت أحق منى بالذكر طول الزمان فلا تحسبها من جملة النسوان فوحق المسيح ماهى الا من جبابرة الشجعان وان أنت وصلت اليهـــا فتكون من أقوياء الفرسان وفريد العصر والأوان فلما سمع الملك غيضروس كلام ابنته عمل معه الغضب وقام وقعد وأرغى وأزبد وقال وحق المسيح ان وقعت يدى عليها هلكت من وقتها وساعتها وأنا ماأريد قتلها وإنى أحمد المسيح الذى ماعجلنى عليها ولا وصلت منكى الأذية اليها ومامثل هذه تستاهل من يقتلها وأما أنا فأريد أتزوج بها وها أنا الساعه خارج اليها وما أنا أعظم من الملك أرمانوس وقد أخذ مسلمة وتزوج بها وها أنا الساعة خارج اليها آخذها فى الحرب اقتناص وآخذ لكى منها بالقصاص ثم انى أتزوج بها وأبلغ قلبى ماأشتهى وأسلم اليها ملكى ثم إن الملك صاح بجواده وأفتونا تقول له خذ حذرك منها ولاتهمل أمرها فيصل اليك شرها ولا تشغل قلبك بالزواج وانظر مابين يديك ودع عنك اللجاج فضحك الملك من مقالها وقال لها أنتى على كل حال قلبك مثل قلوب النسوان ثم انه ساق جواده إلى بين الصفين وقد اشتهر بين الفريقين وكان فى يده عامود وزنه أوفى من قنطار وكان لو ضرب به جمل ما تار فلعب جواده من تحته وهملج وضرب بحافره الارض فغضب الملك وترجل عنه ولكمه فقصف أضلاعه وقطع نخاعه وكان فعل بالجواد تلك الفعال حتى يعظم فى عين الاميرة ذات الهمة وتخاف منه الابطال لانه كان قد وقع للاميرة فى قلبه محبة عظيمة وان لما رأت الاميرة إلى فعال الملك غيضروس علمت أنه شيطان لايرام وبطل همام فأخذت منه حذرها لما رأته يلج فى نظرها ثم إن الاميرة رمقت إلى السماء بطرفها وقالت يامولاى انت تعلم انى امرأة ضعيفة غريبة وحيدة وكل هؤلاء الكفار يريدون قتلى وكلهم يجحدون توحيدك وينكرون أنهم عبيدك وأنامنفردة بتوحيدك صابرة على نصرة دينك وتمجيدك (قال الراوى) هذا وقد حمل الملك عليها وحملت أيضا عليه الاميرة ذات الهمة وقد أخذا فى القتال والحرب والنزال وصارت الاميرة تراوغه مراوغة الاسود ولها قلب أقوى من الصخر الجلمود وقد صمم بالطعنة عليها حتى كادت أن تصل اليها فعند ذلك ضربت الرمح بتاع الملك بذباب السيف أبرته كما يبرى البارى قلمه ثم ان الملك غيضروس أرمى الرمح من يده

وقبض على سيفه وقام فى ركابيه وضرب عنق جواد الأميرة فوثبت عنه الأميرة إلى الأرض وقد هجمت على جواد الملك ثم انها ضربته على قوائمه فقطعتها وقد انكسر قلبها لقتل جوادها (قال الراوى) هذا وقد طمع فيها اللعين غيضورس وأرمى سيفه وكذلك الأميرة ثم تقابضا وتعاركا وترافعا وأخذا فى الهزل والجد والطرد والكد وقد خرج من الأميرة الحد ثم انها أرمت روحها على الملك وقبضت على أزياقه وأرادت أن تقلعه من الأرض وإذا به مثل العامود الرصاص ولم تجد لها معه خلاص فعاركته وفاركته وصادمته ولم يزالا فى عراك وصدام والتزام حتى جرى العرق واشتد القلق وكادت روح كل منهم أن تزهق وقد صلبت الروم على وجوهها لما رأت من الأميرة تلك الشجاعة وقد غضب الملك غيضورس لما طال به المطال مع الأميرة وخاف من الغلبة أن ينحط قدره وماكان فيه من علو المرتبة فأخرج يده ولطم الأميرة على وجهها لطمة كادت أن تفارق الدنيا وقد أخذتها النخوة العربية فعند ذلك رفعت الأميرة كف طال ما قهرت به الأبطال وذلت به الرجال فى مقام الحرب والمجال وهو معود بفعل الخيرات وقد لطمته بكفها على رأسه لطمة عربية كلابية كادت أن تطحن عنقه بالكلية فوقع إلى الأرض وغاب عن الدنيا (قال الراوى) فعنـــدها صاحت الروم من كل جانب واندفقت عليها خمسة مواكب فيها ألف راكب فعندها صاحت الملكة افتونا بهم وردتهم عنها وأخذت الاميرة اليها بعد ما رفعت الملك إلى قصره وقد بقى يومه كله مغشى عليه لا يدرى هو فى أرض أو فى سماء (قال الراوى) وعظمت الاميرة فى أعين الروم لانهم كانوا يقولون أن ملكهم غيضورس أوحد أهل زمانه فى الفروسية والشجاعة وأن الملك لما أن أفاق من غشوته سأل عن الاميرة فقيل له أيها الملك انها فى القيود الثقال والسلاسل والاغلال وهى على غاية من النكال فقال ومن فعل بها هذا الفعال ومن قال لكم اعملوا بها هذه الاعمال وانها وحق المسيح ما تستاهل أن تهان ومثل هذه قليل فى النسوان على بها فأحضروا الاميرة بين يديه فأمر أن يخلع عليها وأن يحسن اليها وقال لها ياهذه قد عولت أن أعطيك ملك الروم وأدعكى تحكمى فى سائر المعالم والرسوم وأحكمكى فى خزائنى وأموالى وفى جميع ما أملك من فصوص وجواهر على انكى تخلى دين الاسلام وتدخلى فى دينى وأتزوج بكى والسلام وافهمى ما قلت لكى من الكلام فلما سمعت الاميرة ذلك أحمر وجهها وقالت ويلك ياكلب الروم ومن غضب عليه الحى القيوم كيف أفارق الدين القويم الذى ربيت عليه وأتبع هذا الدين الذميم فدع عنك المقال وهذا المطال فانا مالى نية فى الزواج والاتصال ومالى رغبة إلا فى عبادة الكبير المتعال الذى جاد علينا بدين

الاسلام وعرفنا الحلال من الحرام (قال الراوى) فلما سمع الملك من الاميرة ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال خذوا هذه وقيدوها وإلى المطمورة ردوها إلى أن ابصر بأى سبب أقتلها فقالت الاميرة قد رضيت بذلك فزد فى عذابى بزيادة لانى أحب الشهادة لعلى أفوز بالسعادة (قال الراوى) هذا والملك قد استعذب كلامها وقال لقومه ما أقتلها إلا بالجوع والعطش ويلكم دعوها فى المطمورة ولا تطعموها ولا تسقوها حتى تموت كمدا ولا يدرى بها أحد وقد وضعوا الاميرة فى المطمورة وهى بذلك فرحانة إلا انها زائدة الشوق إلى ولدها كثير وفى قلبها من فراقة نار السعير (قال الراوى) هذا ما جرى من حديث الاميرة ذات الهمة (وأما ما كان) من حديث شومدرس وعبد الوهاب والبطال وبقية الاصحاب وقد ذكرنا أن البطال قال للامير نحن نحمى أنفسنا أيها الامير ونرجع من حيث جئنا ونجد فى المسير والانهلاك عند هؤلاء القوم المدامير فقال الامير عبد الوهاب بل أسلم روحى ونفسى للمقادير وكذلك أولادى لاجل انى حلفت لهم باللطيف الخبير ثم أن الامير قال للبطال اعلم باأخى أن هذه البلاد بلادهم وهى بلاد مخيفة وتتبعنا البطارقة بكل سيف وطارقه والكثرة تغلب الشجاعة ونكون قد قتلنا أنفسنا بأيدينا وما معنا عده ونعود نقع فى الاسر والشدة (قال الراوى) فبينما الامير مع أبو محمد البطال فى الكلام وإذا بأشباح قد ظهرت وانكشفت عن ألف وخمسمائة فارس بالعدد الكاملة والسيوف الفاصلة وقد أتوا الآخرين فى طلب صيد السباع من قبل الملك المطاع (قال الراوى) وكان الملك غيضورس قد أرسل هؤلاء لاجل صيد السباع لانه ماكان يأكل إلا لحم السباع كما ذكرنا حتى تنتقل قوتها اليه وله رجال بالنوبة لصيد السباع لا غير كل نوبة ألف وخمسمائة فارس بطريق ولما جاءت نوبة هؤلاء دخلوا فى السلاح وما منهم الا كل بطل فتاك ولما أشرفوا على البطارقة والامراء سألوا عن القصة فأخبروهم الصيادين الذين مع الامراء بما تم وجرى وما جرى لهم معهم وكيف أفنوا السباع ومددوهم فى القاع فقالوا لبعضهم البعض نحن هنا ثلاثة آلاف فنهجم عليهم ونأخذهم قبضا بالكف وما ندخل على الملك بفرحة أعظم من هذا الأمر (قال الراوى) ثم اصطفو البطارقة وأولاد العمالقة وكل واحد معه سيف وطارقة وكانوا الأمراء ما معهم عدة وقد قلت قوتهم من الجوع والعطش وذهل عقل كل واحد منهم واندهش وهم أيضا من أجل الايمان ما خلا الأمير يقاتلون فعند ذلك استسلموا القوم لقضاء الله وقدره وردهم شومدرس على ماكانوا عليه من الشد والاعتقال وأعاد شومدرس على القادمين حديث عبد الوهاب وكذلك أبو محمد البطال

ثم عرفهم بنفسه انه راهب القسطنطينية وحكيم الملة المسيحية وانه حكيم الزمان ومعروف فى كل مكان فعرفوا مكانه ورفعوا قدره وعظموه وعملوا على راحته وخدموه وكانوا الأمراء قد أرموا من السباع مقدار عشرين سبع وهم كفؤا الملك فى تلك الأيام فعادوا القوم إلى ساحل البحر وقد نزلوا فى المركب الذى أتوا فيه ورفعوا الأمراء الى المركب وحلوا القلع وساروا الى أن وصلوا الى ساحل مدينة كرجانة ولما نظرت القوم إلى سرعة عودة المركب أنكروا ذلك وضجوا بصياحهم وقدكثر زعاقهم وعياطهم وقد لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح وقد بلغ الخبر إلى غيضورس وكان قاعد على سرير ملكه وهو من الذهب الأحمر مرصع بأنواع الدر والجواهر بقوائم من الفضة البيضاء وقد أرهج المكان منه وكان الملك قاعد متمكر غارق فى بحر العشق ولم يجد مصطبر فلما سمع ذلك الصياح سأل عن ذلك الخبر فقال له ياملك ان المركب والصيادين قد عادوا على الأثر وماهى عادتهم بل كانوا يغيبون شهراً أو أكثر فاشتغل قلب الملك لذلك واندعر (قال الراوى) وبعد ساعة حضروا بين يديه بعد ماقبلوا الأرض وسلموا عليه فقال لهم الملك ياويلكم ما بالكم وما الذى دهاكم وأراكم قد عدتم وأتيتم كلكم جميع فقالوا أيها الملك أبشر أيها الملك بالفرح والسرور فقد سهل المسيح علينا وعليك الأمور وقد جئنا اليك بعشرين سبع كبار ما كنا نقدر أن نصطادهم ولا كل من فى هذه الديار وقد جئناك بأقوام كل فارس منهم يعد بألف من الشجعان فقال الملك من يكونوا هؤلاء من الأنام فقالوا البطارقه أيها الملك هم الذين كنت تريد تخرج اليهم الى بلاد الاسلام وفيهم الرجل المحتال الذى يقال له البطال الذى مصور عندنا فى الكنائس ويخاف منه كل ملك وحارس ومعه أيضا غلمانه وولده والذى يقال له الراهب شومدرس بترك الروم فلما سمع الملك بذكر شومدرس فرح به الفرح الشديد وقال لقد حلت البركة على بلدى وأهلى من عهد مازارنى هذا البترك العظيم ثم ان الملك غيضروس نادى ان يخرج كل من فى المدينه ولايبقى راهب ولاجاتليق ولاقسيس ولامطران ولا يبقى أحد من الناس إلا ويخرج الى لقاء الراهب شومدرس فعند ذلك خرجوا جميع القسوس والرهبان ولم يبق أحد فى الكنائس والمدينة إلا وخرج إلى ملتقى الراهب شومدرس فى أحسن زى من الزينة الحسنة الى أن وصلوا به إلى المدينة والبطارقة والرهبان يمشون بين يديه وقد تلقاه الملك وهو راكب فى جماعة من العسكر ولما رآه الملك ترجل وقد ترجلت سائر الأمم وهم أكثر من مائة ألف وقد أشار الملك إلى الراهب بالسلام ففرح الراهب بذلك ورد عليه السلام ودنا منه أيضا بترك كرجانة والقسوس والرهبان حواليه وقد نصب لشومدرس سرير على هيئة المنبر فطلع عليه

وجعل يعظ الناس عليه وقد تزاحمت الخلائق من حواليه وجعل الملعون يحرضهم على حفظ الانجيل والاشراك بالملك الجليل تعالى ربنا عن جحود المنافقين وكفر المارقين علوا كبيرا (قال الراوى) ثم ان الملعون شومدرس قال فى آخر كلامه اعلموا انى ماوصلت اليكم إلا بعد ما هدمت أركان الاسلام وأخذت أبطال الاسلام فى هذا المقام فيالها من محنة نزلت عليهم من المسيح ما أعظمها ومن مصيبة على المسلمين ما أيشمها والرأى فى ذلك ضرب رقابهم وخراب ديارهم وتشفوا منهم قلوب البطارقة وتكونوا لأعمارهم ماحقة ثم ان الملعون شومدرس قرأ شيئا من الانجيل وفسره وبين مافيه من الحرام والحلال وصار يقول قال المسيح قالت مريم قال شمعون الراهب فأذهل الملك والبطارقة وقد أخذ شومدرس الدعاء من كل مكان وقالوا هذا الراهب معدوم فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم ان الملعون شومدرس أقبل على الملك غيضروس وقال أيها الملك أأمر البطارقة أن يطلعوهم من المراكب ويضربوهم بالقواضب ويلطموهم على الوجوه حتى ينالوا من المسيح ما يرتجوه فلما سمع الملك كلامه أمر البطارقة أن يمتثلوا قول الراهب شومدرس (ياسادة) فما قولكم فى أعداء الدين وقد حرضهم عليهم مثل هذا اللعين وقال لهم من لطم واحد من هؤلاء الكلاب كان له الأجر والثواب ويدخل الجنة بغير حساب فما صعدوا الأمراء من المراكب حتى أخذهم اللطم من كل جانب وقد أيقنوا بالمعاطب فقال البطال لعبد الوهاب ذوق الساعة هذا العذاب فقد عجل الله لك الثواب لما وفيت بالعهد فلا فرج الله عنك ما أكبر مروءتك وما أعمى بصيرتك فما تم هذا كله علينا إلا من بركتك فلم يجيبه الأمير بكلمة واحدة وأسلم سريرته إلى الله تعالى (قال الراوى) هذا والملك قد نزل فى ساحة الفضاء وقد ضربت له خيمة على أربعة أعمدة وفيها صورة الملك غيضروس وصورة البطال والبطال فى صورة قس وقد سرق قنديل الكنيسة وقتل راهب وهو ملقى بين يديه والسكين فى يد البطال وقد فعل تلك الفعال هذا والبطال ينظروه وقد خافوا منه وهم يلعنوه ويستعيذوا من شره (قال الراوى) فعند ذلك التفت الملك إلى شومدرس وقال له من هذا فقال له هذا عبد الوهاب وهذا ولده ظالم وهذا سيف الجنيفية وهذا قشعم وهذا ضيغم وهذا سعيد بن الفرج وهذا فلان وهذا فلان إلى أن وقعت عين الملك على البطال فقال لشومدرس من هذا القصير اللطيف الخلقه فقال شومدرس هذا البلاء النازل هذا الموت العاجل هذا البلاء الكامل هذا مفتت الكبود الذى تذل من حيله ومكره الاسود هذا الثعبان الاغبر هذا الموت الأحمر هذا الذى فى جميع الكنائس مصور هذا صاحب القول المحال هذا

أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع الملك من شومدرس هذا المقال أخذته الدهشة والانذهال وصلب على وجهه وقد صلبت البطارقه الجميع على وجوهها فقال الملك انى أرى عليه زى البطارقة مثل بطارقة القسطنطينية فقال بهذا الزى دخل إلى بلاد الروم ليخلص ذات الهمة وهى أم هـذا الاسود فقال الملك يا أبونا عندى امرأة أسيرة وهى اسمها ذات الهمة وقدكان من أمرها كذا وكذا ووجدوها البطارقه فى رأس وادى الفعزيت هى والملك بحزون وأخبرك يا أبونا ان قلبى تعلق بحبها فقال شومدرس أيها الملك إن هذه المرأة كانت متعلقه بولدها هـذا الاسود أن يخلصها والآن إن فعلت الذى أقوله لك نلت المراد ومسرة الفؤاد فقال الملك ومن يقدر يا أبونا يخالفك فيما تقول من سائر العباد لانك البركة النازلة وأمرك فينا نافذ فقال الراهب شومدرس الرأى عندى ياملك إنك إذا كان يوم الاحد ندخل إلى البيعه ومعنا خواص المملكه ونقتل هؤلاء العشره ونرمى برؤسهم إلى المطموره التى فيها ذات الهمة وتعرفها بذلك وتقول لها هؤلاء الذين كنتى تؤملين بهم الخلاص وقد وقعوا فى ضيقة الاقفاص وقد هلكوا الجميع فان كنتى تطاوعى الملك ويتزوج بكى وتكونى بأمركى ونهيكى وما يتغير عليكى شيئا وإن أبيتى ذلك أسقاكى الملك كاس المهالك ويقطع من لحمك فى كل يوم قطعه ثم يطعمكى إياها إلى أن تموتى وتشربى كاس الوفاه فانها إذا رأت ذلك انقطع أملها واياسها من ابنها وأهلها وأجابتك إلى ما تريد (قال الراوى) فلما سمع الملك قال له صدقت يا أبونا فلا أعد منى المسيح مشورتك ولا أخلانى المسيح من طلعتك فقد شملتنا بركتك (قال الراوى) ثم إن الملك أمر بالاسارى إلى المطموره التى فيها ذات الهمة وهى فى دار الملك غيضورس (قال نجد) لقد حدثتنى الأميرة ذات الهمة وأنا وإياها جالسين فى دكة القصر فى ملطيه بحضرة مبارك بن اسماعيل الكلابى وكامل بن جعفر الكلابى وفياض بن ناهض العامرى قالت لى والله يانجد وحرمة البيت الحرام وزمزم والمقام وأقسم بالله قسما صادقا يانجد ما ورد على قلبى غصة أعظم من نظرى إلى الأمراء وهم نازلين فى المطموره وقد كنت أؤمل بهم الخلاص من الوبال وقد نزلوا إلى الكل فى الأسر والاذلال وفى أرجلهم القيود والاغلال وهم فى أسو حال وكان أول من نزل إلى البطال وهو فى غاية من الغيظ من الأمير عبد الوهاب وقد علم إنه بغية الملك من دون الابطال وإن أول من يقتل هو ولما نظرته الأميرة عرفته فقالت يا أبومحمد وقعت ولا شك إن وقوعك ومجيئك إلى هذه البلد بسبب خلاصى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولقد خاطرت بنفسك بدخولك إلى هذا الاقليم ياليتك تركتنى إلى أن يقضى الله ماهو قاض لكن كيف خلفت الامير

عبد الوهاب فقال أقول انهم ضربوا رقبته وأعدموه مهجته ويستاهل ذلك حتى أوفى بذمته وقد أهلك روحه وأهلك رفقته فقالت وكيف ذلك يا أبو محمد هو وصل معك إلى ههنا فقال نعم ومابقى فى ملطيه أحد لا أسود ولا أبيض كلنا جئنا اليكى نؤانسكى فى هذه المطموره ونسلم عليكى فهم فى الكلام وإذا بظالم قد نزل وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم وهارون العلوى ومذبحون وأبو الهزاهز ولؤلؤ فعند ذلك قالت الاميرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وبعد ذلك نزل الامير عبد الوهاب ولدها فزادت حسرتها وزادت نارها التهاب وقالت ويلكم حدثونى بهذه القصة من أولها إلى آخرها وكيف قد تخلصوا وكيف رجع الامير عبد الوهاب سلم نفسه والذين معه من الاصحاب ثم حكى لها البطال وقال لها البطال وابنك من دينه ما يحلف قط ويكذب فلا فرج الله عنه فقالت الاميرة نعم ما فعل ولعمرى لقد أفلح وأجمل ولوكان سمع منك وطاعكم ورجعتم إلى ملطيه لهلكتم وما كنتم إلى الديار وصلتم وكان الخبر يصل إلى الملك غيضورس فيطلبكم بالرجال ويرسل خلفكم الابطال ويأخذكم على كل حال وبعد هذا أن الوفا بالعهد أصوب والموت فهو مقدر على العباد وما للعبد منه مهرب ولقد أحسن من قال :

نسير إلى الآجال فى كل ساعة ✡ وأيامنا تطوى وهن مراحل
فلم أر مثل الموت حقا فانه ✡ إذا ما تخطته الأمانى باطل
تزود من الدنيا بزاد من التقا ✡ فعمرك أياما وهن قلائل
وكن وافيا بالعهد ماعشت فى الورى ✡ سيسعد من قد كان للحق قائل

(قال الراوى) فلما سمع البطال من الأمير هذا الكلام اغتاظ لما رأى الاميرة قد أعجبها رأى ولدها وقال لها صدقتى ياذات الهمة فانه تعليمك لانكى امرأة خيرة دينه صالحة مسلمة أوفو أنتم بالعهود ونحن نبقى من أجلكم فى القيود ونلطم لطم اليهود فضحك الأمير عبد الوهاب من وسط الغيظ وقال للبطال أنت معذور ولكن ما يقدر أحدا يرد المقدور ويحدث من بعد الأمور أمور فكن لله يا أبو محمد صابر شكور فقال البطال أدينى صابر على فعلك حتى تسكننى القبور فضحكت الأميرة ذات الهمة على ما هى عليه من الضر والعيش المر (قال الراوى) وبعد ذلك أقبل الأمير عبد الوهاب على الأميرة ذات الهمة وسألها عن حالها فأخبرته بكل ماجرى لها والأمير يبكى من مقالها وما تم عليها من أحوالها فقالت له لا تبكى يا بنى فان عندك شغل شاغل ولقد نسيت كلما أنا فيه لما رأيتكم فلا كانت هذه النوبة ما أصعبها ولا كانت هذه الطريق فما أتعبها وباتوا القوم يتشاكون ويتحدثون ويتباكون إلى أن أصبح الله بالصباح وهم فى بكاء فى نواح

هذا وقد نزل إليهم البطريق الموكل بهم ومعه قليل من الطعام والماء فأخذوا ذلك منه إلا أنهم يترامقوا به من الجوع وعلى ما هم فيه من الهم والقطوع وبعد ذلك نزل إليهم الراهب شومدرس ومعه خمسة وعشرين من البطارقة وقد أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها يا ذات الهمة قد علا قدرك وشأنك وعلا مكانك ويلكى يطلبكى مثل هذا الملك غيضورس تكونى له زوجة وتأبى على شرط أنه ما يحب فيكى إلا لأجل شجاعتك وقونك وبراعتك وقد أراد أن يسلم إليك خزائن الملك بأسرها ويحكمك فى تدبير مملكته برها وبحرها كما فعل الملك أرمانوس بميمونة بنت الدمدمان والرأى عندى أن لا تخالفيه فى هذا الشأن وتصيرى حاكمة فى سائر البلدان وان تتنصرى فى الظاهر وتخفى دينكى فى الباطن لأن الملك قد حلف بالمسيح انكى ان لم تفعلى ذلك ضرب رقبتك ورقبة ابنك ورقاب من معه من الأصحاب وأسقاهم كأس العذاب يوم الأحد فى بيعة الرخام ويسير بعد ذلك إلى بلاد الاسلام فلم يخلى فيها لا شيخ ولا غلام فاسمعى ما أقوله لكى من الكلام وانى ان فعلتى ذلك تنجيهم من الهلكة وشرب كأس الحمام ويفيض عليهم من نعمته ويساويهم لاجلكى بنفسه فى مملكته (قال الراوى) فقالت له الأميرة ذات الهمة ويلك يا كلب الرهبان ويا عابد الصلبان وقرين الشيطان الويل لك من الرحمن يا ويلك كيف تأمرنى أن أكفر بالملك الديان العظيم الشأن الذى خلق السموات من دخان والبحار من نيران وخلق الانسان وعلمه البيان الذى لا يشغله شأن عن شأن المنزه عن الأولاد والنسوان الذى صورك ورباك فى ظلمات الاحشاء ودبرك كما يشاء وجعلك تنطق بقطعة من اللحم وتسمع بقطعة من العظم وتبصر بقطعة من الشحم المتعالى عن الاضداد وعلى باب كرمه تسجد العباد الذى جعل لابن آدم قلبا وفؤاد وذلت له رقاب الأكاسرة وخضعت لعظمته الفراعنة والجبابرة وهو ملك الدنيا والآخرة تعالى وتنزه عن القريب والنسيب والصاحبة والقرين وقول الزور والتكذيب لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب (قال الراوى) ثم أن الأميرة قالت يا ويلكم عذبونى بما شئتم من التعذيب فقد صح لى حبيب وعلى رقيب وهو منى قريب ولدعائى مجيب وان أنتم قتلتم الولد ففى طاعة الفرد الصمد ولا سبيل لمخلوق على رد قضاء القادر الخالق وهو المعطى وهو الرازق (قال الراوى) فلما سمع شومدوس من الأميرة هذا الكلام صاح بالبطارقة وقال لهم دونكم وهؤلاء الزنادقة اضربوهم ضرب شديد حتى يطيعوا الملك على ما يريد فمن تنصر منهم قبلناه ومن أبى قتلناه فكان أول من قدم للضرب كان الأمير عبد الوهاب فضربوه إلى أن غاب عن الصواب

وبعده ظالم ضربوه. وكذلك سيف الحنيفية وبعده ضيغم وقشعم ولم يزالوا يعاقبوهم واحد بعد واحد إلى أن أتت نوبة البطال ومدوه وضربوه ضرب ما تحمله الجبال وهو يشتم الأمير عبد الوهاب ويقول له لا فرج الله عنك من دون الأصحاب فما علينا أضر منك حتى تربح الأجر والثواب هذا والأمير ساكت ما يرد عليه جواب (قال الراوى) هذا والبطال يقول للاميرة اسمعى ما يقوله لكى الراهب شومدرس وان كنت ما أنا راضى عنه إلا أنه إذا كان السبب فى زواجكى للملك غيضورس فهو سبب نجاتنا من هذا العذاب ولا يعاقبنا كل يوم أنا وأنتى وولدكى وجميع من معكى من الاصحاب وقد رضينا أن نكون ههنا بلا ضرب ولا عقوبة وتكونى انتى على دينك والراهب حفظه الله يقول للملك لا يغصبك على دينك ولا على نفسك فقالت ذات الهمة وقد علمت أنه ما قال هذا الكلام إلا من غيظه وضربه ويلك يا أبو محمد ان كنت ما تطلب الفرج إلا من هذا الوجه فلا فرج الله عنك ولا كان ذلك أبدا ولا سقيت شراب الردا فقال البطال لو أراد الله بنا خيرا أو فرج عنا ما كنا صحبنا ولا رافقناكم ولكن هذا الملك ما يدرى شيء ولو قبل منى كنت أشير عليه بشيء يهتدى به إلى مطلوبه ومراده منكى وكنت أدبره بأمر ما تهتدى اليه العقول ولا يدركه المحصول (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك أمسك عن عقوبته وعلم أنه قادر على ما قال بمعرفته وصعد شومدرس إلى الملك وأخبره بذلك وقال أيها الملك سمعت عن هذه الاميرة فى بداية أمرها لما تزوج بها الحارث ابن عمها أبو عبد الوهاب لانه ما دخل عليها واختلى بها ولا وصل اليها إلا بحيلة حتى أنه قدر عليها ثم أنه أعاد عليه القصة وما قال البطال وقال شومدرس أيها الملك لا تقول إلا نحن أخليناك معها فى بيت ودخلت عليك تقدر عليها أو تصل اليها فقال الملك لا وحق المسبح إلا أن يكون بارادتها وإلا مالى طاقة بها فقال سمعت من هذا الشيطان أبو محمد البطال يقول لو أن الملك يستشيرنى لاشرت عليه بما يصل اليكى ويقدر عليكى وانتى راغمة الانف ولعمرى يا ملك انه شيطان الأرض فى الطول والعرض وهو يعرف صفاتها فأمر البطارقة الساعة أن يحضروه إلى بين يديك حتى يشير عليك بما يراه فان كان فى ذلك صواب فعلناه وان كان غير ذلك أهملناه فقال الملك غيضورس من شدة شوقه إلى الاميرة على بهذا البطال فى هذه الساعة فسارت البطارقة إلى المطمورة ونزلوا اليها وقالوا له الملك يدعوك اليه حتى أنه يستشيرك فى أمر هذه المرأة ذات الهمة فسمعت الاميرة ذلك فأقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت قل لهذا الشيطان يكف شره ولا شره ولا يتكلم مع الملك فى أمر من

الامور بسببي ويكون سبب هلاكنا فى آخر الاعمار ونكفر بالملك الغفار لانه شيطان من الاشرار وهو يريد أن يعملها فى نكاية وكانني شكوت اليه العزوبية فقال البطال وقد سمع من ذات الهمة هذا المقال سوف ترى ياعجوز السوء ما يكون من الحال فقد حذرت ابنك وما سمع مني مقال (قال الزاوى) ثم انه صعد طالب الملك غيضروس وفى طلوع البطال جعل يميز باب المطموره وكيف الصعود منها والنزول اليها إلا أنه لما حضر قدام الملك ومثل بين يديه فقال له الملك هات ما عندك يا بطال يا كثير الاحتيال حتى أعمل برأيك وأخلصك مما أنت فيه وأجعلك مدبر مملكتي وحاكم دولتي فقال البطال أيها الملك ما لها إلا فرد شيء واحد وقد بلغت منها غاية المراد وذلك انى أعمل لها دواء يقال له باليون إذا قدرت أن تطعمها منه وزن درهم فى شيء من الطعام وقد ذهبت قوتها التى معها فى هذه الأيام وتصير مثل بعض النسوان ويغلبها لسانها حتى إذا أرادت أن تقول لا إله إلا الله تقول عيسى ومريم ثم ينزل بعض النسوان التى عندك ترفعها اليك ولا تقدر تمنعك عن نفسها وإن لم يكن لهذا القول صحة اقتلني أشر قتلة وأنت أيها الملك إذا فعلت هذا بها أنا أقدر بعد ذلك أن أسقيها شيء يعود اليها حيلها وقوتها كما كانت أول مرة وتعود هى تأمرك بضرب رقاب المأسورين وربما قتلتهم بكفها وبعد ذلك تفتح لك الاقطار وسائر الامصار والاقاليم الذين للبر والبحار لان لها رأى وشجاعة وتدبير وبراعة فقال الملك ما أريد آخذبها إلا بلد القسطنطونية واقيم بها بالكلية وبعد هذا وحق المسيح والبيعة والمذبح ائن تم هذا الأمر والقول لاعطينك التقدمة فى سائر البطارقة فقال البطال اعلم أيها الملك انى قد ضجرت من صحبة هؤلاء القوم وكل يوم اقع معهم فى مصيبة بعد مصيبه ما يرضون لى بذلك وقد رضيت أنا وولدى مذبحون أن نكون على دينكم ولقد كانت لى صحبة مع هؤلاء القوم وقد انقضت فى هذا اليوم وأنا أريد أوافق ولدى مذبحون على هذا الدين حتى انني لا أفارقه مدى الأيام والسنين ولقد قال لى يا أبتاه أنا من يوم اسلمت وأنا فى العذاب والهوان وبحرون مكرم معظم محترم فى كل مكان فقال شومدرس صدق أيها الملك وما كان بحرون ومذبحون إلا رفاقا ما بينهم خلف وبحرون على دينه ومذبحون قريب العهد وربما يكون كذلك ويعود فى دين النصرانية وأنا أحلف لك ياملك وحق المسيح إن تنصر البطال لاكونن أنا واياه سوى فى سائر الأحوال وأكون تحت يده وأمره ويبلغ الملك كلما يريد ونعيش عيش سعيد فقال أبو محمد وقد أخرج من خلف أذنه حوائج وأخرج من تحت أذنه الأخرى حوائج وأدخل يده من تحت ثيابه فأخرج قصبة من نحاس وأخرج منها حوائج ثم إنه نبش بسكين

فأخرج فص أزرق مثل لون الفير وزج هـــذا والملك وشومدرس والبطارقة قد حاروا من فعله ثم أنه أدعا بقزبنة ولطخ وجهها بحوائج وأرماها فى الماء وأخذها وكتب عليها أحرف مقطعة وعزم عليها وأوهم أنه يقرأ عليها شيئاً من الأسماء ثم قال إذا وديتم الطعام فاجعلوا هذه فى جملة الذى تودوه ثم امرهم أن يودوه إلى مكانه وقال لا تضعوا فى رجلى قيد واذكروا ما اشرت به عليكم ولا تعملوا هذا العمل إلا يوم الأحد واتركوا هذه القزينة بين يديها وكلوا من غيرها واقتطع لكل واحد منهما لقمة وأطعمه إياها إلى أن أصل اليها فما هى إلا أن اتصل إلى فيها وتحصل بطنها وتأكل منها وقد بلغت ما تريد منها (قال الراوى) فرجعوا البطارقة وشومدرس قد عول على قتل أبو محمد البطال بعد أن يقضى للملك شغله ويبلغه غرضه بعد أن يوالسه ويقتلة برضا الملك أم لا وقد نزل أبو محمد إلى المطمورة وصعدوا البطارقة وأبو محمد يطعمهم فقالت الأميرة ذات الهمة ماذا عولت أن تفعل يا قليل العقل لانك تريد تهلكنى لان الكياد يحملك على ذلك وأنا أعلم أن فيك قلة دين وأنك تفعل كل شىء مكروه سيما وقد وقعت فى هذه النوبة من أجلنا فقال الامير أبو محمد البطال قد جرى من الأمر ماهو بسبب كذا وكذا وأعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها وكشف لها عن باطنها وظاهرها وقال لها قولى عيسى ومريم واظهرى أنكى قد عدمتى عقلك وإياكى أن تنطق بشىء غير ذلك فهذا شىء ماعليكى فيه ضرر إذا قلتيه لانكى لا تعتقدى اعتقاد النصرانية وإنما تذكرى أسماء مذكورة وفى القرآن مسطورة وإذا نزلوا اليكى جوار الملك فاظهرين لهم الوهن والضعف فها أنا عرفت فتح الباب الذى للمطمورة وقد عرفت أيضا طريق القصر وما يخفى على إن شاء الله تعالى وعرفت خزانة السلاح وان ملكنا سلاحنا فنحن نملك مفاتيح البلد والقصر ويكون ما يريده الله فما بقى لنا إلا الله والموت بسيوفنا وسيوف الاعداء (قال الراوى) فقالت الاميرة ذات الهمة رضى الله تعالى عنها وهذا الملعون غيضروس يظن أنه ينال منى إذا خلا بى غرض أو يقدر على والله العظيم إن مد يده إلى ليكونن سبب خنقه وبانه وأرمال عياله فقال الامير أبو محمد ادفعيه عنكى بالتى هى أحسن إلى أن يذهب النهار ويقبل الليل بالاعتكار وافعلى ذلك الوقت ما ترين فيه الصلاح فقالت الاميرة سوف افعل جهدى وان زاد الامر بطشت به ويفعل الله ما يشاء (قال الراوى) هـــذا وأبو محمد رجع إلى باب المطمورة وصاح ففتح له الباب وطلع إلى الملك غيضروس والبطارقة وقال قد فعلت ما ضمنت للملك ووفيت ولكن دعها إلى أن يمضى النهار ويدخل الليل ويتحكم فيها الطعام ويتم الامر ثم ارفعها والجوار من حولها واسمع قولها وانظر فعلها (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك

الكلام انطلا عليه لان العاشق على عيناه غشاوة تغشى بصره فما صدق أن ينصرف النهار وينقضى ويأتى الليل فلما أدلهم الدجا انفذ إلى شومدرس واحضره اليه من الدار التى كان قد أفردها له فى قصره وكان فيها خزانة المال فقال الملك أيها الشيخ الصالح إن الرجل الحكيم قد فعل بصاحبتهم ما أمرنا به وقد كنت أنا من قبل ذلك وقبل أن يقدم عذبتها بأنواع العذاب وعاقبتها بأنواع العقاب وابليتها بالجوع والعطش والخوف والقل والقيد والغل وأنواع الذل وما كانت تزداد إلا اعتراض ونفور وأريدك تزوجنى بها فقال له الراهب شومدرس وقد تغير لونه وأصفر وجهه أيها الملك انى أخاف أن تكون عليك امرأة ميشومة واخاف من حيل هذا الشيطان أبو محمد البطال فلا يحملك الهوى على البلاء فقال يا هذا أنا فى قصرى وبلادى ورجالى وأنا فى وسط هذا البلد وبحرون محدق بنا من حوالينا والدروب ووادى العفريت وفى طريق بلاد الانجار البحر المالح والحلو محدق بنا كما يرى وعندنا عالم عظيم بعدد التراب وقطر السحاب فما جهد القوم على أن أصحابهم فى القيود والأغلال وهم فى المطمورة إلى أن تظهر صحة قوله ثم صاح بالبطارقة خذوه والى عند أهله أوصلوه اليهم وخذوا القيود وشدوه وكونوا مستيقظين له حتى إذا طلب الطعام والشراب فاطعموه واسقوه حتى لا نضيع الحرم كما أمرنا المسيح والشيخ الصالح فلما سمع أبو محمد الكلام قال فى نفسه لا أوهبك الله عافيه ياشومدرس فلقد فسدت القضية (قال الراوى) وأخذت البطارقة أبو محمد ورجعوا به إلى المطمورة ليقيدوه فعلم أبو محمد انه لايقدر على خلاص نفسه ويكون قد أوقع الأميرة فى البلاء فحمل من ذلك هما عظيما فلما انزلوه الى عند اصحابه وقيدوه وأرادوا أن يكتفوه بحبل ابريسم لو كتفوا به جمل لما قدر أن يتخلص منه ولا يخلص نفسه منه يوما فقال لهم أبو محمد البطال إعلموا أن هذا الأمر الذى قد عملته ما يتم إلا أن تكون يدى مطلوقة لانى أريد انجزها بأناملى واخط على الأرض اسما وإلا أن ربطتم يدى بطل السحر الذى قد سحرتها به وما آمن على الملك منها أن تقبض عليه وتقلع رأسه من بين كتفيه ومعلوم اننى فى القيد الثقيل وأصحابى كذلك ومانحن عفاريت نغوص فى الأرض ولا لنا أجنحة نطير بها فى الهواء وإلى أين نهرب وإلى أى مكان نطلب ونحن فى هذه البلاد والاقاليم البعيدة وبين أيدينا هذه المهالك الشديدة (قال الراوى) فلما أن سمعوا ذلك حلوا يديه وخلوها مطلوقة ونظروا إلى الأميرة ذات الهمة وهى تتمايل وتقول عيسى ومريم وهى كانها عادمة عقلها فصلبوا على وجوههم وقالوا لبعضهم البعض وحق المسح ان لم نحسن إلى هذا الشيطان ليأخذ عقولنا ويخلينا فضيحة عند الروم فقال واحد منهم ما بنا إلا أن يخلينا

نصير معيره ولكن هذا قد سحر مسلمة حتى جعلها تقول عيسى ومريم وهو يقدر يسحرنا حتى نقول محمد رسول الله ويضرب الملك رقابنا فقالوا لبعضهم صدقتم وحق المسيح إن الملك ما يدرى كيف هو هاهنا ففكوا قيده واطبقوا عليه باب المطمورة طبقا جدا حتى ينال بذلك الراحة إذا أراد أن ينام ويمد رجليه فيرتاح فعند ذلك تركوه من غير قيد ولا كتاف فلما أن رأى أبو محمد منهم ذلك أراد أن يعمل عليهم الحيلة فقال لهم أراكم تفزعون من الملك وكانكم عنده من غير منزلة فقالوا له نعم فقال لهم أنا فى غد أعمل لكم عملا تحظون به عنده وتكونوا من أعظم خواصه ويسلم اليكم جميع أموره نظير ما فعلتم معى هـــذا الحال وتكونوا عنده أحظى خواصه فلما سمعوا ذلك دنوا اليه وقبلوا يديه ورجليه فبينما هم معه فى الكلاله وإذا بجوار الملك قد أقبلوا ومعهم الشموع فى أنوار الذهب والفضة وقد نزلوا وكذلك البطارقة لما نزلوا بأبو محمد كان معهم شمعة كبيرة لان الملك أعطاها لهم لان الليل والنهار فى ذلك الموضع سواء وتقدم من الجوار التى للملك نحو الأميرة ذات الهمة جماعة ففكوا القيد من رجليها وسحبوها فقامت معهم وصعدت البطارقة وجعلوا الشمعة عند الأمير أبو محمد البطال تشعل وقد أطبقوا عليه الطابق وعليه قفل من حديد وحلقة ولم يذهبوا بالأميرة ذات الهمة إلى الملك بل حملوها إلى منزل أفتونا وهى بقول عيسى ومريم وثبت اليها وقبضت عليها فتضعضعت الأميرة فى يدها فصلبت أفتونا على وجهها وقالت وحق المسيح ما هــذا اللص إلا شيطان سلب المرأة عقلها ودينها وهذا أن بقى معنا فى القصر فعل معنا كما فعل بهــا وما أسكت أنا عنه الا بمقدار ما يبلغ أبى غرضه من هذه المرأة ويرد اليها عقلها وحيلها ويبغض اليها دينها حتى تكون على ديننا وإذا فعل ذلك ضربت عنقه وأراحت الناس منه (قال الراوى) ثم انها أدعت بأفخر ثياب عندها وألبستها للاميرة ذات الهمة وكانت الأميرة من الجمال بموضع عظيم وكلما زادت صلاتها زاد جمالها وهذا تصديق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بالليل حسن وجه بالنهار وكانت تامة الطول جافية الخلقه فلما أن لبست الثياب زادت محاسنها وجمالها فلما رأتها أفتونا قالت يحق لابى أن يهوى مثلها لانها ذات جمال وكمال فلايلام على محبتها وان تضرم نار هواه لاجلها ثم أخذتها بعد اصلاح شأنها وسارت معها هى وجوارها إلى الملك وعنده شومدرس الكذاب وثلثمائة بطريق وبحرون بن عبد الوهاب قد نصب له كرسى من الفضة البيضاء وهو جالس يحدث الملك بأفعال الأميرة ذات الهمة وأمورها المعظمة وكلما سمع الملك منه ذلك زاد غرامه وكثر هيامه إلى أن دخلت عليه ونصبت الكراسى فى كل جانب وحضر البترك والقسوس ومعهم كل

مطران وراهب فقال الملك وقد نظر إلى الأميرة ذات الهمة فى تلك الحلى والحلل وهى بذلك الزى والرونق ونور وجهها قد أشرق فقال وحق المسيح إن هـذا وجه مليح وحسن صبيح ونظر الملك بحرون إلى الملكة أفتونا وملاحتها وقد أعطيت من الجمال الزائد وهى كانها الغصن المائل فقال للملك وهو بها ولهان وبحبها حيران أيها الملك اعلم اننى كنت فى بلاد الروم عند الملك أمانوس منعم ولى الهيبة والمملكة والناموس وكنت بالمنزلة الرفيعة والهيبة المنيعة وإنه كان يقول لى أنت الملك المحكم المعظم والحاكم على مملكة الروم وجميع الأمم واعلم أيها الملك اننى أنا كنت السبب فى اتصال الأميرة وقد أعطاك المسيح مناك وبلغك سؤالك وهواك وكان ذلك على يدى وقد أتيت اليك فى هذه الديار والبلاد وقطعت القفار والوهاد وأريد أن تزوجنى بالملكة أفتونا فانها وحق المسيح سلبت عقلى وصرت بها مفتونا وانى لهائم بها من يوم رأيتها وأنا ولهان ولا آكل من أجلها طعام ولا التذ بمنام على اننى أحمل لك ما شئت من الأموال وبعد ذلك تكون قد بلغتنى الآمال وأنا لابد ما أعمل الحيلة على الملك أرمانوس وأسلم القسطنطونية اليك وأعيش أنا وأنت وهى تحت يدك ولا أبخل بروحى عليك فلما سمع الملك الغيضروس ذلك من كلامه رفع رأسه إلى ابنته أفتونا وقد احمر وجهها وغضبت غضبا شـديدا لانها ترى نفسها بالمحل العظيم وقد خطبها الملوك الكبار فما فعلت ذلك وردت الجميع خائبين هذا وأن الملك قال لها يا بنيه اعلمى أن بحرون رفيع القدر عالى الذكر وقد أوعدنا إنه يعمل الحيلة على أرمانوس ويقتله ويسلم اليـنـا القسطنطونية محـل ملكه وعزه وهو من الشجاعة بمكان كبير وقد عرف ذلك كل مقدم وأمير ولو لم يكن كذلك لما قدر يبارز هذه الأميرة المعظمة واللبوة المصممة التى تضرب بها الأمثال ومنها تفزع صناديد الرجال والأبطال وبقى معها ثلاثة أيام ولم تقدر عليـه ولا وصلت اليه وفى مثله يرغب ويطلب لأنه يا بنية يعز ويخشى ويرغب وأنا ما رغبت فى هذه المرأة دون بنات الروم إلا لما عاينت من شجاعتها وكذلك الملك ارمانوس ما أخذ أم الملك بحرون إلا لأجل قوتها وشدتها وشجاعتها على أنها سوداء اللون إلا أن الشجاعة لها عليها عيون (قال الراوى) فلما سمع شومدرس ذلك كلام الملك وأنه قد عزم على أن يزوج ابنته لبحرون عظم عليه وكبر لديه وداخله الحسد وتفتت كبده من الكمد وقال أيها الملك أنه لا سبيل لهذا أن يتزوج افتونا المملكة الكريمة والسيدة العظيمة التى هى حسرة الملوك وكل غنى وصعلوك وكيف يكون ذلك موافق وبحرون ما هو رومى صادق بل هو من هذا الأسود الزنيم عبد الوهاب وأمه ميمونة

نسل الكلاب وحديثه ما يخفى عن أحد من الأنام ولا من أرباب الألباب وهذا عليك عار وذل وشنار عند الملوك والثانية أنه صعلوك بلا بلاد ولا مال ولا له حال من الأحوال وانما الملك ارمانوس أخذ أمه ليقضى منها وطره ثم يقع به منها الضجر وهو على كل حال غلام عندك ينتظر انعامك ورفدك ولكن دعها الساعة حتى يهدى روعها واقتل هؤلاء الذين عندنا وأنتم أفراحنا ويكمل سعدنا ثم أسير إلى أرمانوس الذى هو بالاقبال والسعد محروس ونصف له ابنتك وما هى عليه من الحسن والجمال والبهاء والكمال وأتركه يعمل اسطول فيه ألف مركب فى البحر ويملأها بالهدايا والتحف والخلع والأموال والغلمان وألف جارية من بنات العرب المأسورات ويكثر لها أيها الملك من الأموال ويعطيها ألف بلد من بلاد الروم وألف مدينة من بلاد الاسلام إذا نحن فتحناها وإذا صارت ابنتك فى بلد القسطنطونية واحتوت على الأموال كانت الملوك لها عبيد وبناتهم لها جوار ويعلوا أمرك فى سائر البلاد وينفذ حكمك فى سائر البلاد وينفذ حكمك فى سائر العباد وتطيعك الأمراء والاجناد فلما سمع ذلك الملك منى كلامه قالت البطارقة لعمرى لقد نطق بالصواب وأتى بالأمر الذى لا يعاب وتكون مراكبنا تدخل إلى القسطنطونية من غير خراج ويرعى جانبنا من أجله من غير احتياج وكانت الجارية واقفة تسمع كلامهم وكانت قد سمعت بالملك ارمانوس وحسنه وجماله فهامت فيه على السماع شوقا إلى وصاله والاجتماع فقال شومدرس اعلم أن قد قيل فى الامثال هذه الأبيات وغاية قالت لا ترابها * باقوم ما أعجب هذا الضمير

هل يعشق الانسان من لم يرى * فقلت والدمع من عينى غزير
ان لم تكن فى ناظرى مثلث * فانها قد مثلت لى الضمير

(قال الراوى) ولما سمعت كلام شومدرس وقع فى قلبها وقوع الشفاء على المريض وقالت وحق المسيح لقد قال لى المسيح ذلك فى المنام ولقد أورانى الملك ارمانوس من دون الأنام لأنى رأيت المسيح فى نومى وهو يقول لى ما لكى زوج إلا الملك ارمانوس وأما هذا الراهب فقد آوى اليه المسيح وقال لهذا الراهب على عهود ومواثيق فالويل لمن يخالفه فقال الملك لعمرى أنه أشار بالصواب وأتى بفصل الخطاب وما يكون ارمانوس إلا فى خدمتنا إذا نحن ضربنا رقاب هؤلاء الاسارى وارسلنا برؤسهم اليه فى مركب من مراكبنا ومعها هدية حسنة ويكون معها الراهب شومدرس فهو يدبر أمرنا كما يحب ويختار ثم أقبل على من بين يديه من البطارقة وأمرهم أن يتفرقوا فلم يبق منهم أحد وقال لبحرون قم موضعك فمن أردت من بنات البطارقة زوجناك بها وإلى ان أردت الرحيل إلى

القسطنطونية أوصلناك فشكره بحرون وانصرف وقد عملت معه الحمية العربية وطارت الدمعة من عينيه نخوة وحمية ووقعت الحلاوة من الممنوع وقام بفؤاد موجوع وكان أفرد له الملك دار بجنب الدار التى فيها شومدرس فسار اليها بحرون ثم أنه طلب الرقاد فلم يقدر عليه وحدثته نفسه أن يدخل على الراهب شومدرس ويأخذ روحه من بين جنبيه يعلم به ما مصيبتى كلها إلا منه وهو الذى أفسد حالى مع الملك ثم أفكر فى نفسه أنه إذا قتله وقال الملك وأنه ما دهى إلا منه تخشى على نفسه وقال مالى إلا أن أفتح هذه المطمورة التى فيها الأسارى وسائر الاصحاب وأفك عنهم قيودهم والاغلال من الرقاد وأفتح لهم خزانة السلاح ونقتل الراهب شومدس والملك وأفتح لهم باب الميناالتى فى القصر ونأخذ منها من الاموال ماشئنا ونملك الجارية افتونا ونخلص إلى بلاد الاسلام وألحق بأبى وقومى فلقد فعلت ما فيه العار والذل والشنار وان أقمت عند أمى فهو الذل العظيم والخطب الجسيم (ياساده) وعمل الهوى معه لما يريده الله تعالى من اصلاح حالهم ويكون سببا لنجاتهم فوثب إلى المطمورة التى فيها الأمراء وعول على فتحها فوجدها مفتوحة وعندها شخص يلوح (يا سادة) وكان هذا الشخص الأمير أبو محمد البطال وذلك أنه لما صعدت البطارقة وثب لوقته وساعته وبرد قيود الأمراء وفكها فقاموا على أقدامهم فروحوا بخلاصهم ودنا من الباب الذى للمطمورة وبرد الحلقة وجذب القفل فانفتح الباب باذن مسبب الأسباب ومن أذا دعى اجاب لأن يديه كانت مفاتيح للابواب ثم أنه قصد إلى موضع الملك فوجد القوم فى محاورة ومشاورة من أجل كلام الملك بحرون وشومدرس يقول زوجوها للملك أرمانوس وقد أنصرف بحرون بذلك الانصراف ومضت افتونا إلى دارها ومضى شومدرس إلى داره ولم يبق إلا الملك وجواره والاميرة ذات الهمة وقد هانت فى عينه لما رآها على ما هى عليه وقد ضعفت عنده ثم نظر إلى الجوار وقال لهن أذهبوا إلى مقاصيركن فمضين إلى ما أمرهن ثم أنه مد يده إلى الأميرة وأدخلها تحت ثيابها فامتنعت (قال نجد) ولقد سألت الأميرة على سبيل المزاح والمجون وقلت لها بالله عليكى كيف كان حالكى لما مد يده اليكى فقالت والله ما كان على قلبى هم ولا داخلنى فزع ولا جزع ولقد كنت معولة على أننى أوثب عليه والبطارقة كلهم قيام واخطف سيفه من بين يديه وأضرب القوم بالصارم وأجزمنهم المعاصم الا إننى خفت من عتب الأمير أبو محمد البطال وولدى عبد الوهاب أن يكونا قد عملا عملا وأفسده عليهما وإلا كنت مليه بكل من فى القصر واحمى روحى من الجميع ولا أخلى منهم رفيع ولا وضيع إلا أننى آملت صعود الأمراء الجميع ويملؤا القصر سريع فصبرت

إلى أن تفرقوا البطارقة وبعدها أصرف الجوار ومد يده إلى وأراد أن يعبث بى وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر فخر ربيعة ومضر (يا سادة) وأن الملك غيضورس لما مد يده اليهـــا وأمتنعت أخذته عزة النفس ووثب إلى سيفه وانتضاه من غمده وقال لها وحق المسيح لئن خالفتينى فى أمرى لاعلونكى بهذا السيف قال فسكتت الأميرة فطرح من يده السيف وهو يظن أنها قد أجابته إلى ما قد أراد وأنها لا تعود إلى العناد ثم أنه دنى منها فوثبت الأميرة وثبة الأسد إذا عاين فريسته وقبضت على حلقه وعصرت عليه وقد ذكرنا أنها كانت قد أوهنت رقبته فى وقت المبارزة فلما قبضت على حلقه منعته من الصياح ثم همزت عليه بقوتها وحيلها وخنقته حتى برزت عينيه وخرجت روحه من بين جنبيه ثم أرمته إلى الأرض وقد أطفأت الشموع وأخذت السيف فى يدها وقد أنقلبت عيناها فى أم رأسها ثم قالت واشوقاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن هذا العمل يدركه الأجل فى طاعة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا بد لى الليلة أن أروى حسامى من دم هؤلاء اللئام الذين يكفرون بالملك العلام ثم أنها خرجت وطلبت نحو المطمورة فلقيها شخص قائم عليها ومن ورائه رجال حاملين السلاح وآلة الحرب والكفاح وهم اليها قاصدين والأمير عبد الوهاب يقول يا أبو محمد أطلب بنا موضع الامير فقال له لا تستعجل أيها الأمير سوف يأتيك ما فى الضمير فأنا أعلم أنها إذا رأت مالا يعجبها طحنت رقبته وأعدمته مهجته وأخذت سيفه ودرقته قال فضحكت الأميرة من كلامه وقالت له ما أنت إلا شيطان فى صورة إنسان وعارف بهذه الأعمال ثم أنها قالت لهم طيبوا نفوسكم وقروا أعينكم فقد من الله علينا بالخلاص وأما غيضورس فانه لم يبق له مناص من يد القناص وقد عجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فهم من الكلام وإذا بشيخ إلى المطمورة مبادر فقال أبو محمد أوطوا إلى الأرض لا يكون هذا الشيخ شومدرس وقد عول أن ينزل الينا فنظر اليه البطال ودنا منه وإذا به بحرون فقال بحرون فقال نعم يا عم فقال إلى أين وما الذى تريد ومالى أراك وحيد فريد فقال يا عم قد عزمت على خلاص أبى وأخوتى وأشفى من قتل الملك وشومدرس على وآخذ أفتونا فانها شهوتى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام ولده بحرون أخذه من شدة الفرح الجنون ودنا منه وعانقه وضمه إلى صدره وقبل بين عينيه وكذلك أخوته مامنهم إلا من رمى روحه عليه وسلم عليه باقى الأمراء فرحوا به وأعلموه أن الأميرة قتلت الملك غيضورس ففرح بهذا الاتفاق ثم أتى بهم إلى خزانة

السلاح ففتح لهم البطال الباب ودخلت الامراء وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ولبسوا الدروع والزرديات واعتدوا بالسيوف فقال لهم بحرون قبل كل شيء هذا شومدرس دونكم وإياه خذوه ثم قيدوه قبل أن يسمع الصياح ويهرب ويخلص من أيدينا فقالوا صدقت ثم دنوا من الباب فقلعوه ودخلوا عليه فرأوه نائم على سرير فجلس أبو محمد البطال على صدره ومكن الخنجر من نحره وقال أقعد يا شيخ الضلاله ففتح شومدرس عينيه فرأى أبو محمد البطال على صدره فانتقض وضوءه وقال يا شيطان ما الذى تريد منى قال أقطع لحيتك وأصفع فمتك وأحملك إلى بلاد الإسلام وأصلبك مع عقبة القرنان فقال شومدرس لا صح لك بدن يا كشحان فعند ذلك قيده وضربه حتى أشرف على الموت وشومدرس يقول لا تقتلنى حتى أكون لخلاص أصحابك سبب وآخذ لكم من الملك الأمان وأسيركم إلى بلادكم فأنا كنت السبب فى خلاصكم من عقبة فى دير الرهبان وقد تركته فى المطمورة ولم يعلم به إنسان فقالوا إيش علينا من عقبة الآن ثم كتفوه وخرجوا به بعد ما حملوه وقالوا أى من وجدتوه اقتلوه وأغلقوا الباب والا ان فتحت الباب دخل إلينا عالم عظيم مثل التراب وقطر السحاب ثم إنهم قصدوا الباب فوجدوا البطارقة نيام كأنهم الهوام فمكنوا منهم الحسام فما تاروا إلا ورؤسهم قد تناثرت عن المناكب وبقى الدم ساكب ثم إن القوم أعلنوا بكلمة التوحيد وكبروا باسم الملك المجيد وصلوا على البشير النذير صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) وسمعت البطارقة الصياح والأصوات فخرجوا من مراقدهم لا يعلمون ما هذه الحالات فلما صاروا فى وسط الحصن أخذتهم الصوارم وكان فى الحصن ثلاثمائة بطريق فعلموا أن الأسارى خلصوا فعند ذلك تبادروا إلى العدد فلبسوها وهم يظنون أن الملك سالم ولم يعلموا أنه قد نزل به الموت ورحل إلى جهنم وبئس القرار هذا وقد عملت القواضب من كل جانب وسمعت الملكة أفتونا الصياح فخرجت فى أكمل عدة وهى للحرب معتدة وقالت وحق المسيح إن العروس قتلت أبى وسقته كاس البوار وخلته ملقى فى عرصة بالدار وما هى إلا أن صارت فى وسط الحصن حتى رأت المرهفات تعمل والحصن من التكبير قد تزلزل والتهليل من سائر الجنبات باسم رب الأرض والسموات فعند ذلك حملت فى أوساطهم ونادت أنا الملكة أفتونا فلما سمعت الروم نداها قرت قلوبهم وأيقنوا أنهم قد نالوا مطلوبهم وداخلهم الطمع فى الأمير عبدالوهاب وأصحابه لأجل قلتهم ونزلت نسوان الروم بالمشاعل والشموع وأضرمت النيران وصار الليل مثل النهار وعمل البتار وعرفت الأبرار من الفجار ولم يزل الصارم قاصم الأعمار

إلى أن ذهب الليل وطلع نجم سهيل وقد طحنت البطارقة عن بكرة أبيها وأخذت الأميرة ذات الهمة الملكة أفتونا أسيرة ووكلت بها بحرون هذا والنسوان قد خرجوا على الأبواب وصعدن على الأصوار والأبراج والأبدان ونادوا يا عباد الأصنام والصلبان فسمع النداء أهل البلد فلم يبق منهم أحد إلا وللحصن قصد فوجدوا الأبواب مغلقة فقالوا للنسوان ما الذى دهاكم ومن بشرة رماكم فأعادوا عليهم القصة من أولها إلى آخرها فعمدوا أهل البلد ونصبوا عليهم عشرة أبراج خشب (قال الراوى) يا سادة إن الافرنج ما أخرجوا قتال الأبراج إلا من عهد كرجانة فطلعوا البطارقة على الأبراج وعليهم الحديد وهم غارقين فى الزرد النضيد فقال الأمير عبد الوهاب لأصحابه الآن قاتلوا وموتوا كرام ولا تموتوا لئام فهذا يوم الرضا من الله تعالى فقالوا أيها الأمير إذا لم نقاتل فما الذى نعمل وما ثم غير الصبر والقتال فى طاعة الملك المتعال والصبر على القضاء وأخذه بالقبول والرضا فشكرهم الأمير على مقالهم واستحسن أعمالهم ثم رفع رأسه إلى السماء وقال إلهى وسيدى إن القوم قد أيقنوا أن ما لهم ملجأ ولا منجا إلا إليك وقد عولوا فى جميع أمورهم عليك وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وما منهم إلا من له أولاد صغار وقد أصبح غريباً فى هذه الديار التى هى بلاد الكفار اللهم أنزل عليهم نصرك وأيدهم بتأييدك وفضلك واخذل الكافرين ومكن منهم سيوف المؤمنين الموحدين ثم أقبل عليهم الأمير عبد الوهاب وقال قد أيقنت أننا مأخوذين لا محالة فانفردوا إلى الأبراج وكل واحد يقاتل على برج لعلنا ان ندفع غائلتهم عنا ونبعدهم منا فقالت الأمراء يا أبو محمد أنزل الساعة أنت وغلمانك إلى أفتونا وقل لها تدلك على خزانة النفط فان أنكرت هددها بالقتل فان بحرون قد تركناه عندها موكل بها كيما يحفظها من نسوان الحصن لا يقصدون الأبواب فيفتحوها فنزل الأمير أبو محمد فوجد بحرون والجارية فى عتاب وجواب وهو يقول لها إنى قلت ذلك لأنى حياء منه وكان فى نفسى غير هذا ثم أشارت إلى النسوان أن افتحوا الباب وأعلمتهم أن المفاتيح فى المكان الفلانى فمضين النسوان يتغادون إلى فتح الباب وقد علمت أفتونا ما فى قلب بحرون من الغش والالتهاب فأرادت أن تشغله عنهم وجعلت تكلمه بألطف كلام وقصدها أن تلهيه عنهم بذلك الخطاب حتى يفتح الباب وكلما أراد أن يلتفت إلى الباب رفعت كفيها ومعاصمها وهى كأنها أعمدة الرخام فغاب عقل بحرون عن الصواب ونسى فى تلك الساعة الكفر والإيمان ولما يريده الملك المتعال وأقبل فى تلك الساعة الأمير أبو محمد البطال والا كانوا الأبطال قد هلكوا وملكوا فهجم عليهم الامير أبو محمد وضرب تلك النسوان بالسيف وأنزل عليهم الحيف ووجد المفاتيح مع

إحداهن فقتلها وأخذ المفاتيح منها واطمأن من جانب الباب وزال عن قلبه الالتهاب ثم أقبل على بحرون وقال له كأنك يابحرون تريد تلعت برقابنا فى هذه الديار والأطلال فقال بحرون إيش الخبر ياعم فأعاد البطال عليه القصة وما تم وقال اليك عن هذه الملعونة الكافرة المفتونة فلى عندها كلام وحديث وأريد أذيقها الموت المهين (قال الراوى) ثم صاح الأمير أبو محمد فيها وقال لها ياعاهرة ومن بدين الاسلام جاحدة دعى عنكى هذه الخديعة الباردة ودليني على خزانة النفط التى لأبوكى وإلا وحق البيت العتيق أخذت مابين عينيك لأن قولى جد ثم ضربها بالسيف صفحا وكفحا فقالت النفط فى الخزانة وقد أرسل الملك بعضه مع أصحابه فى المراكب لما عزم على الرواح وهذه الخزانة فيها نفط آخر وكان عند أبى مدخره وماكان أحد يأخذه ولايريده فأراد أبو محمد يضربها بالسيف ضربة أخرى فصاح بحرون وقال ويلك ياأبا محمد لاتفعل ودع الجارية من يدك وماأمهلوا (ياساده) وصبرت المسلمين صبر الكرام طول النهار ونصرهم الملك الجبار على الكافرين الأشرار فلما رأت الروم ماقد بليوا به من المسلمين على قتلهم وكيف قتلوا خلقاً كثيرا من جماعتهم نصبوا منجنيقا لطيفاً يرمى بحجر لطيف حتى يصل اليهم ليكشفهم لأن المكان عالى جدا وجعلوا يرمون بالأحجار فيهشمون التراس ويوهنون الناس وجاء فى الأمير طارق حجر فخسف ترسه وصدره ولم يقدر على القيام وجاءت ضربة أخرى إلى الأمير ضيغم فأرمته على وجهه وأشرف منها على فناء عمره ونظرت الأميرة ذات الهمة إلى ماقد نزل بأصحابها من ذلك الأمر الجسيم فقالت لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبلت على الأمير عبد الوهاب وقالت له يابنى اعلم أن القوم يقاتلون على غير بصيرة وأخاف على من بقى منا من الهلاك وهذا المنجنيق لو كان أكبر مما هو لما وصل الحجر الينا من أجل ارتفاع هذا الصور وإنما هو لصغره لايخطى حجره ولوكفانا الله مؤنة هذا المنجنيق إلى الليل وكنا نعول على الهرب ان كان لنا سبيل إلى البحر ولو أدركنا الركوب فى بعض الشخاتير فقال الأمير عبد الوهاب أما أنا لو كان معى قوس وسهم لكنت أهلكت صاحب هذا المنجنيق لعل الله يكفينا شره ولا يكون معهم مثله فقالت الأميرة وأنا لو كان معى مقلاع لقدرت بمعونة الله تعالى عليه وأهلكه ويخلصنا منه بمنه وكرمه فقال الأمير أبو محمد أنا آتيكم بكل ما تطلبون ثم أتى ومعه قوس جيد وسهم جلنجية ومقلاع طويل مظفر صنعة الروم لأن لؤلؤ غلام البطال كان رآه فى وسط بعض البطارقة القتلى فأخذه ومعه ثلاث أحجار صغار وان الأمير عبد الوهاب أوتر القوس ورمى بالسهم فأخطأ وخانه الوهم ورفع السهم الثانى ووضعه فى كبد القوس وأراد أن يرسله

من غير تعب وإذا بالمنجنيق قد انقلب ووقع إلى الأرض من مكانه وإذا بالأميرة قد كبرت والتفت الأمير اليها فرآها متبسمة وهى لربها شاكرة وممجدة فقال لها ما الذى فعلتى قالت الذى ترى يا بنى وضعت إحدى هذه الثلاثة أحجار ورميت فكان أسبق من سهمك وما أظن الا وقعت فى عظم أذنه فأخرجت روحه وأعدمته صبوحه فقال لها لله درك فقد أشفيتى الغليل وأرضيتى الملك الجليل (قال الراوى) هذا والروم قد عظم عليهم قتله اذ لم يكن عندهم مثله إلاولدا له فما هو إلاأن صعد مكانه حتى ضربه الأميرعبدالوهاب بسهم ما أخطأه وأنفذه من نقرة قفاه وألحقه بأبيه ثم أفقده أهله وذويه (يا سادة) إن الروم أدامت قتالها وحربها ونزالها ومقلعونا يعمل النقب إلى آخر النهار حتى انكشف الموضع للأبصار وكان الموضع المنقوب سهل المأخذ الى ان انسدل الظلام واحصيت مواضع الأقدام وقد بقى بينهم وبين الدخول إلى الحصن عشرة أذرع (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما الأمير عبد الوهاب انه لما انفصل عن القتال جلس طلبا للراحة وافتقد الذى أصيبوا فى يومه فوجدهم على مابهم من الشدة والألم لأن معهم صبر أهل الإيمان آخذين ما آتاهم بالقبول والرضوان (قال الراوى) ثم ان الأميرة ذات الهمة أقبلت على بحرون وقالت له قد وصل الينا ضر الجوع والعطش فأتنا بشىء من الطعام لندفع به ألم الدهش فنزل بحرون إلى موضع يعرف أن فيه الطعام والشراب فأتاهم بجميع ما طلبوا ووضعه بين أيديهم فطلبوا أبو محمد البطال فلم يجدوه فقالت الأميرة لولدها أين أبو محمد فقال من وقت أن انفصل القتال أخذ ابنه مذبحون ونزل إلى الحصن وما أظن ذلك إلا من الفزع فقالت على به ولأوصيه بما يعمل ونسأل بواب الحسن ان كان له باب فى هذا القصر إلى الميناء (ياسادة) وأن بحرون نزل فلم يجد أبو محمد فعاد وقال والله طفت القصر فما وجدت له خبر فقالت الأميرة لا يكون قد وجد لنفسه فرصة فهرب وأخذ ولده وتركنا وما أظنه يفعل ذلك وإنما نؤمل من الله الفرج من أى وجه كان (قال الراوى) وكان أبو محمد لما انسدل الظلام قد نزل من الصور وأخذ ولده مذبحون وقال له يا بنى اعلم أننا قد أشرفنا على التلف وقد ترى ما قد نزل بنا ووقعنا فيه وكم جهد ما نصبر فقال مذبحون وما عسى أن نفعل من الامر وما الذى عليه تقدر فقال لا بد للملك فى داره من موضع يتفرج فيه على البحر ولا بد أن اسأل عن ذلك ثم أنه دخل إن دار غيضورس على أنه يجده قد أفاق ليسأله عن ذلك فوجده قد مات والقضاء فات ووجد عنده امرأة كبيرة تبكى وتندب عليه وهى لا تفارقه فلما دخل عليها رفع أبو محمد عليها السيف فباست الارض وقالت يامسلم لا تفعل فما

قتلى نخره ولا منى مضره ودعنى أن أدلك على أموال الملك وأنا زوجته فقال لها أين باب البحر الذى عندكم فى هذا القصر فقالت ههنا فى الدار وأنا أريكم اياه لتعمل على قدر ما تراه (قال الراوى) ففرح أبو محمد غاية الفرح واتسع صدره وابسرح ثم انها قامت بضوء بين يديه وهو شاهر سيفه عليها ثم دخلت به إلى دار أخرى فى جانب دار الملك ونزل أيضا من وسط الدار هم فى سلم حجر سبعين درجة إلى أسفله ففزع أبو محمد على نفسه وقال لها ويحك إلى أين تذهبين فقالت إلى الموضع الذى تطلبه وها أنا قد طلبت أن أوصلك اليه وها أنت وصلت اليه فنظر أبو محمد فى ضوء الشمعة وإذا بباب حديد قد دهقته الدهقان بمسامير ومن الذهب الأحمر وعليه قفل من الفضة البيضة فقال لها وأين المفتاح فمدت يدها إلى طاقة فوق الباب وأخرجت بمفتاحه وإذا هو لطيف بسلسلة فضة ففتحت فخرج أبو محمد وانظر وإذا على الباب صخرة عظيمة والموج يتلاطم عليها إلا أن البحر هادىء والهواء ساكن نقال لها ما بى انظر ههنا مراكب فقالت له المراكب خلف الثلاث أبراج وذلك عن يمين القصر وهى الميناء الكبيرة وكان الملك إذا أراد أن يركب فى البحر يقصد الفرجة تأتى له المراكب إلى هذه الصخرة ويركب منها (قال الراوى) فقال أبو محمد والمراكب الساعة هناك فى الموضع الذى ذكرتى فقالت لعمرى ما تبرح المراكب هناك وفيها الزاد والماء والعزب من خوف مراكب العدو لأن الملك كان قد وقع بينه وبين ملك الملافطة حرب عظيم وهم أصحاب البحر وما لهم قتال إلا فى المراكب وكان الملك غيضورس محتفظا منه (قال الراوى) فقال الأمير أبو محمد لولده مذبحون هذا والله الذى كنا نريد ولكن كيف الوصول اليها من الماء فقال مذبحون أنا أقول لك ما تفعل وهو اننى أرمى روحى الساعة إلى البحر لأننى خبير بالعوم وان أنا رأيت المراكب فأنا أصعد إلى بعضهم وآخذ أخرى وأتى بها اليك فقال أبو محمد ما هذا فعل رجل واحد ولا يمكننا أيضا قتل هذه المرأة فان الله تعالى يقول هل جزاء الاحسان إلا الاحسان قد أحسنت الينا فأنا أربطها إلى جانب هذا الباب وأكتف يديها فان نحن سلمنا أطلقناها (قال الراوى) ثم أن الامير أبو محمد أرمى ثيابه وبقى بتبان وفعل مذبحون كذلك ثم كتف امرأة الملك وشدها وربطها فى الباب فقالت له على ماذا عولتم فقالوا نرمى أرواحنا إلى البحر ونطلب المراكب وانما شددناكى هنا حتى يخفى أمرنا وان نحن سلمنا وحق دينى أطلقناكى ولا ينالكى منا مكروه فقالت وحق المسيح انى أخاف عليكم من هذا البحر العظيم المهالك على انكم ما تعرفون هذا المكان ولا هذا البحر وما كنت جالسة عند الملك غيضورس باكية عليه إلا لحالتين أحدهما كيف زال ملكه ورعاية لحرمة

الصحبة وتفكرت أيضا فى حمايتكم بدينكم وخلاصكم من ضيق ما كنتم فيه من الضرب والحبس والعذاب ثم أن ربكم لطف بكم وظفركم بعدوكم وملككم القصر ومكانه وقتلتم رجاله وأعوانه وما هذه إلا عناية بكم من عند ربكم وقد علمتم لابد مما تأخذون ابنتى معكم إن أنتم سلمتم ومالى عنها صبر وإن أنتم فعلتم ذلك تخذونى معكم لأن افتونا إن مالت إلى دينكم فأنا أوافقها على ذلك (قال الراوى) وأن البطال لما سمع ذلك من كلامها وما نطقت به من نظامها فقال لها سوف نعاملكى بخير إن شاء الله تعالى فقالت إن كان ولابد لكم أن ترموا أنفسكم إلى البحر فلجوا فيه ولا تطلبون القرب من الصور لأجل ما حوله من الصخور ثم أن أبو محمد أرمى نفسه إلى البحر وهو يقول توكلت على الله تعالى وفعل مذبحون كذلك (قال الراوى) وطلبوا أن يأخذوا بجانب الصور حتى يخالفوا قول العجوز فوقعوا فى حجارة وصخور وكادوا أن يهلكوا منها فعلموا صحة قول العجوز فطلبوا البحر ثم عادوا راجعين وطلبوا الابراج فما كانت إلا ساعة حتى وقعوا فى وسط المراكب وهم لا يصدقون بالنجاة فلما رأو المراكب فرحوا غاية الفرح وعلقوا بمركب كبير وتسلقوا حتى صاروا فيه ديار ولا نافخ نار وكذلك المراكب كلها وهى مرسيه فى المينا فقال أبو محمد لولده على ماذا عولت فقال الرأى اليك فقال الرأى عندى أن نقطع هذا الحبل وندخل بالمركب ونعود به إلى المكان الذى كنا فيه ويكون ذلك سببا لنجدتنا ونجاة الموحدين وقد عولت أيضا انى انزل إلى البلد وأنظر ما قد عولوا عليه الروم ثم أرمى روحه وقد أخذ من المركب كناره أفرنجيه ليركبها وهى كانت للبلاح ولم يزل إلى أن صعد إلى المينا وصار على الشط واختلط مع الروم فوجدهم فى هرج ومرح من أمراء المسلمين وهم يتغاوشون فى خبرهم وما هم عليه إلى أن قال قائل منهم وكم جهد ما يصبرون والليلة يهجم عليهم مقلعونا من النقب هو والرجال ولا يشعرون إلا والحصن قد امتلأ عليهم من البطارقة وأخذتهم سيوف العمالقه فلما سمع أبو محمد هذه المقالة تحير من هذه الحالة وقال المتكلم يا أخى بقى لهم ينقبون عليهم ليلة أخرى فقال قد ذكر مقلعونا انهم نصف الليل يخرجون عليهم من وسط الحصن وهانحن منتظرين صدق الكلام وهاقد جاءت النوبه الينا وقد وصل الينا قوم ينقبون وقوم يخرجون التراب وله يرمون فوقف أبو محمد إلى أن صار فى جملتهم ودخل معهم النقب ووصل إلى مقلعونا فقال له أبو محمد أوهبك المسيح العافية عجل قبل أن يطلع الصباح حتى نبكى المسلمين بالانتزاح فكم قد بقى فقال قد بقى ثلاثة أدرع وتخرج من دار البطريق سقريانوس (قال الراوى) وإن أبو محمد حمل من التراب فى حجره شيء قليل وخرج فى آخر الناس

وسار إلى الميناء وطرح نفسه فى البحر إلى أن صعد إلى المركب فوجد ولده مذبحون فى مكانه وقد قلق لغيبته فقال إيش الخبر فقال اطلب بنا أصحابنا قبل أن يملك الحصن عليهم فقد تم من الأمر كذا وكذا وأعاد عليه جميع ما عملوا (قال الراوى) فعندها قطعوا حبل المركب وعملوا بالمقاديف ولم يزالوا سائرين إلى أن دخــلا البحر وطلبا مكانهما وهو البرج الرابع وكانا قد تركا تلك الشمعة على حالها عند باب السرداب ليستدلا بهـا على الموضع حتى لا يضيعان فيفوت الغرض فعدلا اليهـا حتى إذا نزلا منها طرح أبو محمد نفسه فى البحر وسبح إلى نحوا الباب والحبل مشدود فى وسطه إلى أن وصل إلى الصخرة وصعد عليها وربط المركب وطلع القصر وخلف مذبحون فى المركب (قال الراوى) ولم يخطى الأمير عبد الوهاب وأصحابه فوجدهم فى ذكرهم فقال يا أمير أنت غافل عن ما يراد بكم منذ فارقتكم وانتم فى الحرب وانى فعلت كذا وكذا وأخبره بجميع ما فعل وحدثه بحديث النقب وقال له قم الآن فقد جاءكم الفرج من الله تعالى (يا سادة) فباس الأمير الأرض وسجد شكرا لله تعالى وقال والله ما كنت فى هذا البلد إلا أيست من روحى فقال أبو محمد إن لله ألطافا خفية وقد سطر فى الكتاب ما لم يكن فى الحساب (قال الراوى) فعندها نهض الأمير عبد الوهاب وجماعة الأصحاب ولم يكن لهم هم إلا موضع النقب فقال أبو محمد الساعة يطلعون الينا الرجال من وسط هذه الدار فليقف منكم ههنا اثنين وأى موضع خرج النقب قفوا عليه فى بابه وأى من خرج منهم تأخذون رأسه وتخمدون أنفاسه إلى أن نأتى اليكم فقال الأمير ونحن إيش نعمل وإلى أين نمضى فقال تسيرون معى لترون العجب (قال الراوى) ثم سار الأمير أبو محمد وذات الهمة وسيف الحنيفية والأمير ظالم وأبو الهزاهز وتركوا بقية الأمراء ينتظرون ظهور النقب وساروا هؤلاء إلى أن نزل بهم أبو محمد فى الدرج ووصلوا إلى الباب فقال الأمير وقد شاهد البحر والشمعة والمرأة مكتوفة مربوطة إلى الباب فقال الأمـــير عبد الوهاب ما أبو محمد إلا عفريت من العفاريت والا كان يعرف هـذا المكان ولابد أن يكون حديثنا سمعوه الناس يعجبون ويتحدثون به على قوارع الطرق (قال الراوى) يا سادة ثم إن الأمير عبد الوهاب قال يا أبا محمد هات حدثنا إيش تعمل وإيش تريد من الحيل فقال أبو محمد يا أمير ها أنت ترى هـذا البحر ارموا بأرواحكم اليه بالكلية وأصبحوا من ههنا إلى ملطيه فقالوا بارك الله فيك وما قصرت فى هذه المشورة التى بهـا أشرت (قال الراوى) فضحك أبو محمد من هذا المقال وقال إن لم يكن فيكم ما تسبحون فاسحبوا هـذا الحبل فقال الأمير انا لها وقد علم إنه قد سرق بعض المراكب فسجد لرب

المشارق والمغارب وتعلقوا بالحبل وسحبوا المركب اليه والصقوه بالصخرة وزالت الآلام والفكرة وصعد الأمير ينظر إلى المركب وإذا هو موسوق بالزاد والماء والعدد وآلة الحرب والزرد فسجد شكراً لله تعالى وقال للامير أبو محمد على ماذا عولت فقال يامولاى هذه المركب بين يديك وهذه المرأة زوجة الملك غيضورس ولاشك انها رغبك فى الاسلام لانى قد بان لى منها ذلك ثم عاد عليه حديثها من أوله إلى آخره ففرح بذلك وأمر الاميرة أن تحملها ففعلت ذلك الحال وخلصتها من الاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك قال أبو محمد اعلم أيها الامير أن قلبى مشغول وهو مستطير ولا آمن على على أصحابنا أن يدهموهم من النقب أصحاب البلد ويصعب الامر عليهم ويشتد فقال الامير عبد الوهاب ما عندك من الرأى فى هذه الاسباب قال نأخذ الساعة من المال مهما أردنا ونأخذ الجارية أفتونا واقتل الواهب المفتون شومدرس ثم نخرج إلى البحر ونرفع جميع أصحابنا ونقلع فى هذا البحر العباب ونسير باقى الليل فما يصبح الصباح إلا ونحن قد نجينا من أليم العذاب (قال الراوى) فقالت الأميرة ذات الهمة لا والله يا أبا محمد مانحب أن نفعل نحن هذا ويكون قد سهل الله لنا ما لم يكن فى الحساب ويبوح لنا الجهاد فى طاعة رب العباد ولا كان ذلك أبدا ولو لم يبق السيف منا أحدا ولكن هذا المركب ههنا مربوط والناس فى شغل ونصعد نحن ونقف فى وسط الحصن ونرفع أصحابنا المجروحين إلى المركب ثم أننا نقاتل من باب النقب إلى الصباح وإذا رجعوا عن النقب خاسرين ورجعنا نحن رابحين ويكون قد قتلت منهم الأبطال وهلكت الاقيال يكون ذلك وهنا لهم وكسره ونقلع ونحن فى المركب ولا تأخذنا فتره ولا يقدر أحدا يسير خلفنا ولا يتبعنا فان لحقونا والعياذ بالله فبالله المستعان وعليه التكلان (قال الراوى) لما سمع الأمير أبو محمد ذلك الكلام قال هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب وما فى الأمر إلا غير هذه الإشارة والعمل على حسن هذه العباره ثم أن القوم صعدوا وامرأة غيضورس معهم إلى أن صاروا فى وسط الحصن ورفعوا أصحابهم المجرحين إلى المركب عند مذبحون ابن البطال وتمت أمورهم والأحوال ثم أنهم عادوا إلى الحصن وقد طلع النقب المقدم ذكره وكان بحرون ومن معه قيام هناك فأدركوهم الأمراء وقال الأمير أبو محمد لايتكلم منكم أحد وكل من طلع أنزلوه حتى يصير عندكم قائم واضربوه بالسيوف القوائم فلا يحس الواحد برأسه إلا وقد طار وحل به البوار ولا يعلمون القوم حتى يهلك منهم خلق كثير ويحل بهم الويل والتعثير فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (يا سادة) وأول من طلع من النقب البطريق مقلعونا حتى ضربه طاعونا وصعد بعده آخر من البطارقة الكبار وإذا برأسه قد طار

(قال الراوى) وجعلوا القوم يطلعون واحد بعد واحد والسيف يعمل فى الأعناق والسواعد إلى أن قتل منهم أربعمائة بطريق كل واحد منهم مثل الفاتيق فأنكروا الباقين الخبر وقال بعضهم لبعض وقد صار وقت السحر ويلكم ما نرى أحدا يصعد إلا وكانه يقتل ولا يسمع له خبر ولا نقف له على أثر فقال لهم بطريق يقال له مؤنس وكان كاتب الملك غيضورس يا ويلكم أن القوم يخافون من المسلمين لأنهم عاينوا منهم الهول المهول وما يطير العقول فما يقدرون أن يهجمون عليهم حتى يمتلىء الحصن بالرجال ويوقعون بهم النكال فقالوا وحق المسيح لمونس صدقت أصعد أنت الساعة وانظر أصحابنا فان كانوا كما ذكرت فارجع إلينا حتى تطيب قلوبنا وأن انقطع خبرك علمنا أن المسلمين قد فطنوا بنا وقد عمل السيف فى أصحابنا فقال مونس لقد صدقتم وبالحق نطقتم ها أنا الساعة صاعد اليهم وأعود بالخبر هذا وأبو محمد يسمع من رأس النقب الكلام ويفهم ما دار بينهم من عظيم المرام فقال الأمير إذا طلع هذا الشيطان فاقبضوا عليه ولا تقتلوه حتى أقول لكم ماتصنعون وأى شيء تفعلون فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) وان مونس طلع من باب النقب فلم يشعر إلا وسيف الحنيفية قد قبض على حلقه وعصره عصره طلعت عينيه باذره ثم نفس له فنظر إلى الدار وهى تسيل دماء والقتلى مطرحين فى جنباتها يمين وشمال وقد سحبوهم وجعلوهم أكراس أكراس فطار عقل مونس وكادت أن تخمد منه الأنفاس ونادى يطلب الأمان فنادى أبو محمد لا أمان لك حتى تنظر من النقب وتقول لأصحابك أصعدوا الينا فما كان الأمر كما ذكرتم بل هو بخلاف ذلك وهنا إلا الخير والسلامه فقال مونس ايما خبر اهنا أصفه والله ما أبصرت خيراأيشم من هذا ولقد عصرت ياهذا حلقى عصرةما تخرج قط أضراسى ولقد حسبت أننى قد خمدت أنفاسى ووالله ان الناس غافلين عن هذا الخير فان طمعه لا يفارقنى عمرى ولا أنساه طول دهرى ولكن لابد ما أقول لهم اصعدوا ولا تقعدوا ولكن بحق المسيح كل من صعد اليكم أعصروا على حلقه حتى يذوق طعم الموت ويحل سباحته الفوت وحق المسيح لا يفلح من عاداكم وها أنا أدعوا القوم اليكم وما بقى لى وجه للرجوع اليهم وليس لى إلا صحبتكم والمسير معكم فان سلمتم سلمت وان عطبتم عطبت ولى أسوة بكم على كل حال على أننى بعد ذلك أقول ما تقولون أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلما سمعوا ذلك فرحوا باسلامه وصافحوه وعانقوه وإذا به يفهم بالعربى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان مونس كاتب عند الملك وكان يتكلم بكل لسان

ويكتب بسبعة أقلام وقد قرأ كثيراً من الكتب وعرف المذاهب وكان يحدث نفسه بالإسلام فلما كان فى هذه الليلة أسلم وتقدم إلى باب النقب وقال اصعدوا فقد ملكتم الحصن ورقاب المأسورين لأنهم على الأبراج وبعضهم على الأبواب فقال واحد منهم ويلك مالى أرى كلامك ضعيف وقد طلعت من عندنا ونغمتك مثل الجرس فعدت إلينا وكلامك أخرس فقال يا ويلكم أنا أتكلم قليل حتى لا تسمع المسلمين أصواتنا فينفسد الحال علينا وإن أصحابنا كلهم ما يقدرون ينطقون حتى تصعد أصحابنا الجميع وتصعد أهل البلد إلى عندنا وكلما طلع واحد منكم اختفى على الصور فى موضع (قال الراوى) فقال المتكلم صدقت وكان يقال له لوقا جزاك المسيح خيراً يا مونس ثم إنه صعد فقال مونس للأمير سيف الحنيفية يا أخى بحق محمد إذا طلع هذا اعصر قفاه حتى تطلع عيناه وتبط حدقتيه فقد رابنى كلامه وأغاظنى حديثه فضحك سيف الحنيفية من كلامه وقال سمعاً وطاعة ثم إنه أمهل لوقا حتى صار قائماً على قدميه وقبض على حلقه وعصره حتى ذهبت روحه ووقع إلى الأرض فحركه مونس فوجده قد مات فقال أنا على الخبر كثير وها أنتم عدتكم فى أيديكم ما تحتاجون أن تحملوا سلاح ولا آلة حرب ولا كفاح ولم يزل كلما طلع واحداً رمى رأسه إلى أن طلع بطريقاً عظيم الجثة فاستعجل الأمير ظالم عليهم بالضربة فطير رأسه إلى الحصن ونزلت جثته إلى النقب فلما نظروا أصحابه إليه علموا أن كل من طلع إلى الحصن كان هالك وسقى شراب المهالك فوقع فيهم الصياح ورجعوا يدقون بعضهم بعضاً ونزل بعض الأمراء خلفه وصاحوا فيهم فمات منهم من الزحمة مثل الذى هلك فى الحصن لأن المكان ضيق وهو بعيد وملآن من الرجال ووصل الخبر إلى البلد بأن لم يبق فى النقب أحد (قال الراوى) فأيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ووقع بينهم البكاء والنواح على أهاليهم الملاح وقالوا ما الذى كان من مقلعونا فقالوا هو أول من طلع فقطفوا المسلمين روحه وروح من كان معه فقالوا وحق المسيح ما بقى لنا فيهم حيلة إلا الحصار على طول المدى ونضيق عليهم الأقطار على طول الأيام ونرميهم بالذل والصغار (قال الراوى) وأما أبو محمد البطال فانه قال للأمراء اعلموا أن هذا النقب ما بقى أحد منهم يقربه ولا يدخل إليه إلا بعد شهور ثم أقبل على بحرون وقال له أيها الأمير ارفع أفتونا إلى المركب فقال سمعاً وطاعة ثم دخل إليها وهى مقيدة مكتفة فى بعض البيوت (قال الراوى) وكان بحرون يفتقدها بالطعام والشراب ويقول لها يعز على أن تموتين على هذه الحالة ولا تسلمين ثم إنه حملها إلى المركب وحمل اللعين شرمدرس إلى عندها

﴿تم الجزء الخامس والأربعون ويليه الجزء السادس والأربعون﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(يا سادة يا كرام) ونظر شومدرس إلى القتلى فى طريقه وهم مطروحين على الأرض مجندلين والدم على الأرض يموج مثل البحر الرهوج وقد حدى الحادى بالبطارقة من البروج فقال وحق المسيح ما قصرت أنا مع أهل هذه المدينة فقد حملت إليهم هدية حسنة خربت بها بيوتهم وضربت رقابهم ثم أقبل على زوجة الملك غيضروس وقال لها كيف كان الحال فأخبرته بما كان من أمرهم فتنفس الصعداء حسرة وكمداً ثم إن أبو محمد قال لأصحابه احملوا من مال غيضروس ما ينفعنا ولا يثقلنا ففعلوا ذلك ثم أنهم فتحوا الخزائن ووجدوا فيها من الأموال والثياب والجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فنقلوا منها كفايتهم وقال أبو محمد ايش بقى يفيد قعودنا فقال الأمير عبد الوهاب هذا بعقلك تقوله والله لو خرجنا الساعة وعلموا بنا أهل الحصن لجهدوا المراكب ولحقونا من كل جانب وأنزلوا بنا الذل والمعاطب ولكن نكون على ما نحن عليه إلى أن يذهب النهار ويقبل الليل بالاعتكار فحينئذ نتوجه إلى السفر ونتوكل على اللطيف الخبير ونخرج إلى البحر واللجج ونرفع القلوع ولا يبقى حراج ونقذف ونرفع الشراع ولا نغتر ونطلب الهرب فى البحر والاتساع وما دام هذا المركب هاهنا ما يعلم به أهل الحصن ويظنون أن ما يتم هذا الأمر ولا يكون ثم إن الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب صعدوا على الصور وهللوا وكبروا ونادوا يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية قد نصرنا الله عليكم وهلك أكثركم وعادت حيلتكم عليكم ونادى مونس

ويلكم من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا مونس كاتب الملك غيضروس وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وسلم وأعرفكم أن القوم أصبحوا تعاباً مما قتلوا من أصحابكم وإلا فقد كانوا معولين على فتح الباب ويخرجون إليكم ويذيقوكم العذاب ويكون يومكم أيشم من ليلة أصحابكم وأشد انتحاب فصاح بطريق منهم ويلك يا مونس لقد عدمت عقلك وسلبت دينك وطردك المسيح عن بابه ودينه وسلبك من حسن يقينه بعد ما كنا نعرف منك العقل والفضل فقال مونس يا ويلك لقد عصرت رقبتك مثل ما عصرت رقبتي حتى صارت مثل الطبل ما كان هذا كلامك يا ندل (قال الراوى) وإن الروم لم تقاتلهم فى ذلك اليوم أجمع بل اجتمع بعضهم إلى بعض وقالوا ما فى الأمر إلا أننا نصير حتى يخرجوا هؤلاء الشياطين إلى هذا العالم العظيم ونذيقهم العذاب الأليم فقال بعضهم من هذه الفعال فعالهم وهذه الأعمال أعمالهم فانهم يقدروا أن يخرجوا إلينا ويقتلون منا وإذا رأوا الغلبة عادوا إلى الحصن فخذوا حذركم منهم فقال بعضهم إذا كان هذا فعلهم فاحفروا بالقرب من باب الحصن حفاير فلا بد لهم إذا خرجوا أن يقع أحدهم فى الحفيرة فيكون عوضاً عمن قتل منا فقالوا نعم الرأى ما رأيتم وما به أشرتم وتكلمتم ولكن اصبروا إلى الليل ثم خذوا فى ذلك (قال الراوى) وأما الأمير أبو محمد فانه صاح فى الأمراء وقال دونكم والرحيل واعتمدوا على الملك الجليل ثم إنهم نزلوا إلى المركب وأم أفتونا معهم وقطعوا الحبل وقدفوا بالمقاديف ولججوا فى البحر وقد طاب لهم الهوى باذن من على العرش استوى فقال لهم الأمير أبو محمد هذا الهوى يقلع بكم إلى بلاد الملافطة وقد أخبرتنى امرأة الملك أنه كان بينهم وبين ملك الملافطة وقع عظيم وقتال جسيم وان علموا بنا فى أرضهم خرجوا إلينا وأخذونا لامحالة فدبروا فى هذا الأمر ودعوا عنكم الإطالة لأنهم كلهم أصحاب مراكب ونخاف ان نقع معهم فى اشراك المعاطب ولكن على الله المتكل وان يكتب علينا السلامة ويدفع عنا شر الندامة فقالوا ايش عولت أن تعمل فقال اذا وصلنا ان شاء الله إلى الجزيرة دبرت لكم شيئا تعملوه يكون سببا لخلاصكم (قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب فهل يكون لنا إذا وصلنا إلى هذه الجزيرة موضعا نقلع منها اليه قال نعم نقلع منها إلى جزيرة أريس وبعدها إلى السويدية ولكن أقل ماتبقون فى البحر أربعين يوما إذا أعان الله تعالى بالسلامة ثم ساروا القوم على كف الرحمن فما أصبح الصباح إلى وقد قطعوا فى البحر مسافة بعيدة فى أمان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أهل كرجانة فانهم حفروا الحفائر وستروا عليهم الستائر وجعلوا ينتظرون الأمراء أن يخرجوا

اليهم فلما طلع النهار وقد نظروا نسوان القصر وكانوا قد اختفين فى البيوت من فزعهن من الأمراء فلم تقدر واحدة منهن أن تخرج فلما نظروا الدنيا خالية منهم فخرجت إحداهن فما رأت أحدا فصاحت بباقى النسوان فخرجوا القوم وصاحوا على أهل البلد يا معاشر النصرانية اعلموا أن المسلمين قد نزلوا فى مركب وساروا فى البحر والباب مغلوق علينا على حاله وما نعلم أين المفاتيح فانصبوا السلالم على الأسوار واطلعوا الينا ففرحوا أهل البلد بما سمعوا وقالوا للنساء إلى أين مضوا فقالوا لهم إنهم قد نزلوا فى مركب من باب المينا فقالوا لهم فما أخذوا معهم قالوا أخذوا أفتونا بنت الملك وأمها والراهب شومدرس راهب النصرانية وقد عولوا أن يسقوه شراب المنية فقالت الروم لاصبح المسيح طلعته بخير ولا بكرامة فما كانت طلعته عليه إلى ميشومة غير مباركة ثم انهم أخرجوا السلالم وألصقوها إلى الأصوار فقال واحد منهم اصبروا لايتم عليكم مثل ماتم على أصحابكم من الوزير مونس فى النقب فانه أهلك كل من فى النقب فيكون عليكم يوم مذموم وتقعون فى الهموم والغموم عندها تخلوا القوم عن الطلوع وهموا بالرجوع وقالوا لبعضهم البعض انزلوا إلى المراكب وافتقدوهم فى المراكب التى لنا فمضوا إلى المراكب فوجدوا قد فقد منهم مركب خفيف لطيف فرجعوا ووصلوا إلى عند باب النقب فوجدوا الدنيا منهم خالية وقد فعلوا القوم فى القوم الفضايح والبطارقة مطرحة مثل الذبايح فكسروا الأقفال وفتحوا الباب ودخلوا أهل البلد ووقع الصراخ والصياح والنحيب واجتمع رأيهم كلهم على أخذ التار وكشف العار وانتخت النصارى لأخذ تارها وكشف عارها وقالوا نحن نعلم أن هذا الهوى يعطلهم عن المسير إلى بلادهم ونهاية ما يكون من الأمر ان يوصلهم الى يلاد الملافطة ولابد ما نسير وراءهم وإذا وصلنا إلى الملافطة أعلمناهم أن الملك غيضروس هلك ولابقى لنا غيركم وأن أفتونا التى أراد الملك نسطوناس أن يتزوج بها ولم يرضى أبوها بذلك فهى معهم مأسورة وفى ثياب الذل مقهورة فعندها يأخذوهم ويقتلوهم أشر قتله ويشفوا منهم غليل صدورنا ولايمضوا ويتركونا حيارى فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) ثم ان أهل كرجانة صعدوا فى المراكب بعد أن أكثروا فيها من الماء والزاد ورفعوا القلوع وجدوا فى المسير وقد فاتهم مركب المسلمين بشىء كثير لأن مركبهم كان أسرع وأخف من مراكب النصارى وأسرع جريان على وجه الماء (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء وأما ما جرى للمسلمين فان مركبهم لازال مقلع فى الأرض سبعة أيام إلى أن وصل إلى بحر يسمى بحر الدروب وهو بحر الملافطة فعندها قال لهم مونس البطريق قد بقى بينكم وبين البلد ساعة واحدة وان طلعته

الشمس رأيتم البلد وان نحن دخلنا فى البحر الكبير صوب جزيرة اريس فان مراكب الملافطة كلها تلحقنا وهم قوم لايقع لهم عدد ولايحصى لهم مدد فقالوا وإيش يكون العمل وان لحقونا كنا طعاما لسيوفهم وربما أحرقوا مركبنا بالنار فقال مؤنس عندى رأى يكون فيه إن شاء الله الخلاص والعبور إلى نحواريس ولا ينكر علينا أحد وبعد ما ننفذ عنهم نكون قد أمنا على نفوسنا ونقلع فى البحر وتخفينا أمواجه فيخفى عليهم أمرنا (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قالوا دبر ما تريد فيه صلاح حالنا وحالك وأنت أخبر بأحوال بلادك فقال لهم اعلموا أن الملك نسطرونا ما وقع بينه وبين الملك غيضورس إلا من أجل ابنته افتونا لأنه طالب منـــه أن يزوجها له فابى أن يفعل ذلك إلى أن تولد بينهما الحرب وقاتل بعضهما بعض وها أنا الساعة أكتب كتابا إلى ملك الملافطة على لسان غيضروس بأنه يزوجه أفتونا ويعتذر اليه مماكان منه على طول الشهور والأعوام وأن يصبر عليه شهراً واحدا إلى أن يحملها اليه هى وكلما تملك من ذهب وفضة إكراما للمسيح وما قد فعل فى حقه من الفعل المليح وانه قد أرسلنى إلى الصاغة التى بأريس حتى أصوغ لها الآنية لأجل الدخول ويسيرها اليك ويقر بذلك عينيك (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك الكلام وفهم الذى أداه مؤنس من المرام قال لله درك لقد دبرت تدبير الرجال الذين لهم عادة بهذه الأحوال (قال الراوى) ولما أن طلعت الشمس ونظرت أهل مراكب الملافطة إلى مركب الأمراء تسارعوا اليه وسألوهم عن حالهم فاخبرهم مؤنس بالخبر وما قد دبر (قال الراوى) فعادوا إلى الملك يبشرونه وقد أرسل معه كتاب كتبه بشرح هذا الحال إلى الملك نسطرونا ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ونزل بنفسه فى مركب كبير يقال له العيروس وأخرج معه الزاد والضيافات والأطعمة والحلاوات وسائر أنواع المأكول وقال تنزلون عندى يومكم هذا حتى أزين من أجلكم البلد وبكرمكم كل أحد وآمر البطارقة أن تخلع عليكم وأبشرهم بالصلح بينى وبين الملك غيضروس وأن المسيح قد أحقن دم النصرانية (ياسادة) فقال مؤنس مالى إلى هذا من سبيل ولا أقدر أن أخالف الملك لأنك تعلم أن هذا رجل صارم وقد أجل لنا أجل ولا نقدر نخالفه ولا نبطى لحظة واحدة لأنه قال له المسيح فى نومه أعلم أن نسطرونا ركن من أركان النصرانية وهو ناصر الملة المسيحية وقد تعلق قلبه بابنتك فاسرع بها اليه ولم يقدر أن يخالف أمره وهو على عجله من ذلك فبكا نسطرونا من الفرح وقال لقد علم المسيح ما كتب أجد من محبة الملكة افتونا فنظر إلىَّ نظر المحبة والرحمة ولا بد أن اتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له مؤنس فان كنت قد عزمت فارسل ذلك

معنا فقال الملك وأين المال الذى معكم فوثب أبو محمد وأخرج عشرة آلاف دينار من المال الذى اخذوه من كرجانة من مال الملك غيضروس فلما نظر الملك ذلك فطنه حقا ثم أنه دعا ببعض الحراقات وأمر بعض خدمه بالنزول فيها وأرسله إلى خزائن أمواله وأمره بأن يأتيه بما ذكر وقال لى اسوة بالملك غيضروس (قال الراوى) فلم تكن إلا ساعة حتى وصل الخادم بالمال وسلمه إلى البطال وودعهم الملك وساروا على ما هم عليه يومهم وليلتهم (ياسادة) هذا ماكان من هؤلاء وأما ما كان من أهل مراكب كرجانة فانهم ساروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة الملافطة وكان عند الصباح فى اليوم الثانى من بعد مسير المسلمين أتت مراكب كرجانه فى خمسين مركب ومعهم السيوف المسلولة وقد رفعوا أصواتهم بالبكاة والنحيب والصراخ ثم انهم نزلوا إلى المدينة فأنكر ذلك لأنهم قد أتوا بخلاف مافى قلبه وقد طار عقله لبه وأصحابه فداروا بمراكبهم من كل جانب وقالوا لهم ما خبركم اشرحوا لنا أمركم وما الذى دهاكم ومن بشره رماكم لا يكون المسيح غضب عليكم بحيث ما عجلتم بافتونا إلى الملك نسطرونا فقالوا لهم يا ويلكم أفيقوا من سكرتكم وأنتبهوا من رقدتكم فان الأمر عظيم والخطب جسيم وأن الملك الغيضروس قد مات وفات منه الأمر وقد عصرت رقبته حتى خرجت روحه من بين جنبيه وقد أخذت امرأته وأبنته ونهبت خزائنه وقتلت بطارقته وذلت دولته وسلبت نعمته (قال الراوى) فلما سمعت البطارقة ذلك من قولهم هالهم ذلك الكلام واستعظموه وقالوا لهم دونكم المسير إلى الملك وبحالكم أعلموه ألصقت المراكب إلى الساحل ونزلوا على بكرة أبيهم فلما صاروا حول الملك علا بكاءهم ونحيبهم وحثوا التراب على رؤسهم هذا وأهل البلد يبكون رحمة لهم ولا يعلمون ما الذى أصابهم فلما مثلوا بين يديه ووقعت عينه عليهم سألهم عن حالهم فأعادوا عليه قصتهم كما قالوا فى الأول فلما سمع الملك نسطرونا ذلك من مقالهم تعجب من ذلك وتهول وأنقلبت عيناه فى أم رأسه وقرش على أضراسه حتى خشيت منه جميع جلاسيه وقال يا ويلكم من فعل بكم هذه الفعال وعمل بكم هذه الأعمال فقالوا أيها الملك المسلمين الذين هم لله موحدين ولنبيه بالرسالة مقرين ثم أعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وشرحوا له باطنها وظاهرها فلما سمع الملك ذلك من كلامهم قامت عليه القيامة وقال ياويلكم قد عدمتم طريق السلامة واعتراكم الهم والغم والندامة ياويلكم هذا جرى بعد ما كتبتم الكتاب إلى بأن الملك رأى المسيح فى نومه بأن يزوجنى بابنته افتونا وقد أرسلتم الينا وأعلمتونا فقالوا أيها الملك ما نعلم شيئاً مما تقول ولا محصول فقال أمس جاءنى مؤنس كاتب الملك وأعطانى هذا الكتاب

وقال أن الملك غيضروس يريد أن يزوجنى بابنته فقالوا أيها الملك انتبه من رقدتك وفق من سكرتك فان الذين فعلوا بنا هذه الفعال وعملوا بنا هــذه الأعمال وقالوا لك هذه الأقوال هم الذين قتلوا الرجال وأبادوا الأبطال وقتلوا الملك المفضال وأن افتونا معهم فى القيود والاغلال فقال ياويلكم أن مؤنس هو الذى كان يكلمنى وكنت أنا واثق بقوله فقالوا نعم أيها الملك وهو قد صار إلى دينهم ومن أجله هلك خلق كثير فى النقب (قال الراوى فقال الملك قد أخذ منى عشرة آلاف دينار صدقة وأخذتنى عليهم الشفقة فقالوا أيها الملك صدقة عن نفسك وأهل بلدك الذى ما تعرضوا لك ولا لأهلك وإلا كانوا فعلوا مثل ما فعلوا بنا هؤلاء المسلمين وتركونا على أهلنا ومن قتل منا متحسرين وانهم أبطال المسلمين ومن ظفروا به أهلكوه وفيهم المصيبة العظمى أبو محمد البطال واللص المحتال التى تضرب به الامثال وينتقل من حال إلى حال فقال نسطرونا لولا أن يكون فيهم أبو محمد البطال العيار المحتال ما أخذ منى عشرة آلاف دينار فما الذى ترون من الرأى فقالوا أيها الملك ما أتينا اليك إلا لتكشف هذه الشدة عنا وتعيننا على طلبتنا ونحن قد طلبنا نجدتك خلف هؤلاء بمعونتك ونأخذ نارنا منهم بعلو همتك لتكون لنا عليهم معين وقد عجزنا عن طلب مرادنا وقد خربت ديارنا وبلادنا (قال الراوى) فقال نسطرونا طيبوا قلوبكم وقروا عيونكم فانا أكتب إلى الملك يوحنا صاحب جزيرة اريس وآمره أن يلتقيهم فى مراكب جزيرته ويأخذهم ببطارقته لانه داخل تحت طاعتى وما يخالف مراسلتى وكان أيضا محبا لافتونا وكان بها مفتونا وكان قد خطبها من أبيها فرده كما ردنى وابعده كما ابعدنى ولكن ما هو مما يختار نفسه دونى وإذا سمع بما جرى عليها أخذها من هولاء الشياطين وتركهم عنده مقيدين إلى حين تصلوا أنتم ويسلمهم اليكم ثم تعودوا بما تريدون وتبلغون منهم ما تختارون (قال) ثم أقبل على أهل كرجانه وقال لهم كيف رأيتم قولى فقالوا له هذا رأى سديد وأمر حميد إذا صح ما عنه محيد (قال) فغضب الملك وقال لهم ويلكم لقد وقعت هيبة هؤلاء القوم فى قلوبكم حتى كانكم قد عظمتم أمرهم وهو غير عظيم وهذا ما هو مليح منكم فقالوا أيها الملك نحن نقول لك ما علمنا وما شاهدنا وما نظرنا وما عاينا وأنت تتكلم بما لا ترى ولا احطت به علما ولا خبرا وإيش الضاحك مثل الباكى ولا الصابر مثل الشاكى وما فى الامر إلا أن ترسل إلى يوحنا صاحب اريس وتعرفه شرهم وإنه لا يأخذهم إلا بالحيله وتقول له يخرج اليهم ويقول لهم قد وصل إلى كتاب الملك نسطرونا يوصينى عليكم وإن أخدمكم بروحى وباصحابى وأن وجدتم الذى تطلبوه عندى وإلا أخذته لكم من الجزائر ومراكبى بين

أيديكم ورجالى رجالكم فاذا أتوا اليه وظنوه حقا وأمنا فى الشده والتصقوا المراكب بعضها إلى بعض قبض عليهم قبضا باليد فقال الملك هذا هوالصواب والامر الذى لايعاب ثم إنه كتب الى الملك يوحنا لما قد عول عليه وكان بين جزيرة اريس وجزيرة نسطرونا ستة وإنه أرسل الكتاب إلى يوحنا على جناح الطائر فما بات الخبر إلا عنده فلما سمع بقصة غيضورس قامت عليه القيامة وكانت أخبار هـذا الملك يوحنا تصل إلى الملك نسطرونا وأيضا تصل أخبار الملك نسطرونا إلى الملك يوحنا وكان هذا قد خطب الجارية أفتونا من أبيها فامتنع أن يزوجها له (قال) فلما سمع انها مع الأمراء فى المراكب باس الأرض شكراً لله تعالى وقال إن المسيح ما فعل هكذا إلا من أجلى ولا جل ما منعنى غيضورس وردنى من زواج ابنته وأنا آخذ الجارية أفتونا واصطفيها لنفسى واحظى بها دون غيرى ولا أسمع كلام نسطرونا ولا غـيره وأما المسلمين فانى أرسلهم إلى الملك أرمانوس إلى القسطنطونية ليرى فيهم رأيه ويدبر فيهم أمره واحظى أنا بذلك الوجه المليح وابقى عند الملك أرمانوس بذلك العين إلى الأبد ما قام قائم وقعد (قال الراوى) وبعد ذلك أعرض مراكبه وكانت مائة وعشرين مركب كبار للحرب وخمسين صغار برسم كشف الأخبار فقال لأصحابه إذا وصلت المركب التى فيها المسلمين اضربوا بوقاتكم وارقصوا فى مراكبكم واظهروا لهم الفرح وابعدوا عنكم الترح ويتقدم اليهم منكم مركب ويعلمهم إن الملك نسطرونا قد أرسل الينا بمراعاتكم وأن نكون فى خدمتكم وقال إن معكم الأموال التى تتصدقوا بها على فقراء البلد وأنتم الذين كنتم السبب فى ذلك وإن كل فقير قد أجهد نفسه بالدعاء لكم بالسلامة إلى أن تصلون وتقدمون وقد تقدم أمر الملك أن يجمع ما عنده من الصياغ الذين فى الصاغة وأن عازكم صناع فهو يرسل إلى الجزائر ويأتيكم بصناع أخر فلما سمعوا ذلك من الملك قالوا فاذا أتنوا الينا وركنوا علينا ووصلوا معنا إلى الميناء قال لا تهملوا أمرهم فهم الذين فتحوا القسطنطونية وقتلوا جميع ملوك النصرانيه وهؤلاء حماة بلاد الإسلام ولكن إذا حصلوا بينكم ارموا الكلاليب فى جانب مركبهم واقلبوه عليهم ولا يكون لكم همه إلا الجارية افتونا ارفعوها اليكم ومن طلب منهم النجاه وتعلق ببعض المراكب فارفعوه وكتفوه فقالوا سمعا وطاعة (قال الراوى) ومامضى على ذلك ثلاثة أيام حتى لاح الشراع كانه جناح نسر والمسلمين ما عندهم خبر بما جرى فى علم الغيب والمدبر يدبر والقلم يكتب ما يكون فى اللوح المحفوظ (يا ساده) فلما لاح للامراء المراكب والبلد قال الأمير أبو محمد لمونس هذه جزيرة اريس فقال نعم وما لنا عنها محيص ولا لنا منها سبيل إلى التخليص إلا أن بقى

شى واحد وهو انكم تتقدموا إلى المينا وتقولون إن الملك غيضورس قد أرسلنا اليكم وإلى بلاد الانجار لقضاء حوائج وله معنا أموال نريد نتصدق بها على فقراء هذه الجزيرة ونأخذ منكم زادنا فقال أبو محمد ما فى هذا الأمر غير هذا ونخرج اليهم الأكياس المال التى من عند نسطرونا وتقلع ان شاء الله تعالى وبعد ما ندخل فى بحر الانجار ويخرج لنا هواء السويدة نطلبها من بلاد الله تعالى فقالت الأميرة نسأل الله تعالى أن يسهل ذلك ولم يزل مركبهم يتقرب من الجزيرة إلى أن لاحت لهم الميناء وعليها المراكب من كل جانب والبطارقة فى أيديهم القواضب وهم فى رقص وفرح وغناء ومرح وبوقاتهم تنعر وطبولهم تضرب هذا وقد خرج من جملتهم مركب واحد وهم اليهم قاصد والى نحوهم وارد فلما نظر أبو محمد الى ذلك قال لهم والله العظيم لقد أنكرت ذلك فهل لهم يا مؤنس بهذا عادة فقال مؤنس لا والله ما أعهد هذا عنهم ولعل يكون عندهم اليوم فرح وقد خرجوا ينشرحوا فى يومهم هذا فى البحر على ظهور المراكب (يا سادة) فلما وصل المركب اليهم وأشار بالسلام عليهم فرد بعضهم على بعض سلامهم ونادوا أهل اريس هذا يوم مبارك سعيد ثم انهم أعادوا على الأمراء جميع ما ذكر لهم الملك يوحنا وما كتب اليهم الملك نسطرونا من أمرهم ففرح مونس وقال لأجل هذا فرحهم فابشروا فان الله تعالى قد أحسن لكم الخلاص عاجلا فقال الأمير أبو محمد والله إنى خائف ان تكون هذه حيلة منهم علينا لأننى لا آمن أن تكون قد أتت خلفنا المراكب من مدينة كرجانة ووصلوا إلى نسطروفا وأعلموه بالخبر على جلية الحال وان الذى جئنا فيه كله محال وعلموا أن مركبنا فاتهم ومالنا عبور إلا على هؤلاء وقد أرسل يعلمهم بقصتنا وقد دبر النوبة علينا فقال ان الله يكفينا شرهم وقد أوصاهم أن يلبسوا علينا الأمر حتى يأخذونا قبضا باليد فقالت الأميرة ذات الهمة والله لقد نظرت موضع النظر وهذا نظر مشكل وقد وزنت الأمر بميزان عقلك فقال مونس ما أظن هذا ولو أرادوا ذلك لكانوا قادرين على أخذنا ويحاصرونا حتى يبلغوا منا المراد على أننى أقول أن الملك نسطرونا من فرحه لما قد سمع منا قد فعل هذه الفعال حتى يعلمنا إنه مسموع القول فى كل مكان (قال الراوى) ووصلت المراكب كله وأحدقت بمركب الأمراء يسلمون عليهم حيلة منهم فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال أقسم بالله إن كان الأمر إلا كما ذكر أبو محمد البطال ولو قبلنا منه لما كنا لا صقناهم بل كنا نبذل المجهود ونتوكل على المعبود ونجاهد أشد جهاد ونتوكل على رب العباد فان نصرنا فهو الذى يريد وإن كانت الأخرى فما يبقى أحدا منا إلا يموت شهيد ثم طلب الأمير أن يخرج بالمركب على المراكب

فلم يقدر على ذلك ونظر الأمير أبو محمد أن البطارفة قد أحدقت بهم من كل جانب فقال والله العظيم انني كنت أحذر والكل قد حلقوا الكلاليب إلى مركبنا ثم قال للامراء اعلموا أنكم مأخوذين لا محالة وما تقدروا على قتال ولا نزال لأنهم الساعة يقلبون المركب أسرع من البرق البارق أو الأجل الطارق ونهلك كلنا ولا يسلم منا أحد لاأبيض ولا أسود إلا من يرفعه من البحر وقد كنت أسمع بحديث هـذه المدينة وأن البحارة التى فيها يقلبون المراكب الكبار على أننا إن تخلفنا عنهم أخذونا أسارى فهؤلاء المرضى من الجراح كانوا يهلكون ولو علمت أن المركب ما ينقلب لكنت أمرتكم بالقتال وكنا نؤمل من الله تعالى النصر فى وقت المجال وما فى الأمر إننا نظهر لهم الجلادة والفرح لأن الحيلة قد تمت وننزل معهم إلى الشط ونحن قابضين على قوائم سيوفنا فهنا الك نرمى أرواحنا عليهم فان رزقنا الله النصر نكن قد نجينا بأرواحنا ونكون قد تخلصنا من هذه العوالم وهى من عوائده الجميلة وتفضلة واحسانه الينا وإن كانت الأخرى فتكون قدمتنا بعد ماقتل كل واحدمنا مائةونكون قد فتكنا بالحدين ومضينا مستشهدين (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك علم أن كلامه حقاوصدقا وقال البطريق مونس صدق الأمير أبو محمد البطال فيما قال من انقلاب المراكب وما يقدر أحد من الملوك يقاتلهم فى البحر من هذا المعنى (قال) وبعد ذلك أظهروا لأهل اريس الفرح وقالوا نقيم عندكم ثلاثة أيام ونمضى إلى بلاد الانجاز فلما سمعوا أهل مدينة اريس هذا الكلام انطلى عليهم وعملت الحيلة فيهم وقالوا ماعندهم وحق المسيح خبر مما دبرنا عليهم ولا شك أنهم قد أعوذهم الزاد وأن قصدهم ينزلون على وجه الأرض ونحن نأخذهم قبضا باليد وساروا القوم كلهم إلى أن ألصقوا على البرومدت الاسقالات وكان أول من نزل إلى الأرض الأميرة ذات الهمة ومعها حسامها وتابعها الأمير عبد الوهاب ومن بعده الأمير ظالم والأمير سيف الحنيفينة وبقية الرجال والأمراء الأبطال وصعد من بعدهم أبو محمـد البطال وقد أوهبوا نفوسهم لله تعالى وأيقنوا به ما بقى لهم من هذه الأرض مفر ولا حذر من قدر (ياسادة) وأحدق بهم من البطارقة عالم عظيم ومعهم السيوف الرقاق والرماح الرشاق فناداهم أبو محمد البطال ويلكم ما بالكم بنا محدقين كانكم علينـا محمقين ان كان مرادكم منا سوء فدونكم وما تريدون فان من دوننا ضرب يطير الهام عن الأجسام ويهشم العظام والملك غيضورس ما هو ممن يطمع فى أخذ ماله ولا فى قتل رجاله وهلاك أبطاله وان كان قصدكم ان تحدقون بنا حتى نصل إلى الملك بوحنا فها نحن اليه سائرين وعليه معولين واليه قادمين فقالت البطارقة وقد سمعوا

ذلك الكلام ما تم إلا الخير والسلامة وقد أمرنا الملك باحضاركم إلى بين يديه لينظر اليكم وتسلموا عليه فقال الأمير أبو محمد ها نحن سائرين بين أيديكم ونظروا الروم إلى الأمراء وعيونهم تلعب فى رؤسهم وعبرتهم قد خنقتهم والزبد على أشداقهم مثل القطن المندوف وقد أخذتهم الحمية فى دين الإسلام فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد ما أنا حزين إلا على هذه المدينة التى ليس فيها من يوحد الله ولا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأمير أبو محمد دعنا الساعة من أشفاقك عليها وأنظر ما نحن فيه من الخطر العظيم وأعلم أنى ما قلت ذلك الكلام إلا من باب الاستدراج حتى أنهم يوصلونا إلى الملك ونصير فى القصر ونبذل السيف فى كل من فيه ولعل الله تعالى أن يملكنا إياه فيكون سببا لنجاتنا وأنهم أرادوا بنا كيدا رده الله فى نحورهم وأول من نقتل الملك يوحنا فقال الأمير عبد الوهاب أحسنت يا أبا محمد وفقك الله للصواب ورزقك الله جزيل الثواب فهذا هو الرأى السديد والفعل الحميد (قال الراوى) ثم أن القوم ساروا إلى أن وصلوا إلى باب القصر فنظروا إلى مكان حصين ودهاليز مشتبكة بالبطارقة من كل جانب وفى أيديهم القواضب ودخلوا القوم والأمراء بين أيديهم إلى أن دخلوا إلى القصر وقد تقدم من البطارقة عشرين بطريق إلى الملك وقالوا قد أخذناهم كلهم من غير قتال ولا حرب ولا نزال فنظر الملك ان ذلك حقا وقولهم صدقا فقال ياويلكم أتونى بهم وهم معكم أسارى وفى القيود حيارى فقالوا هاهم يامولانا ما يقدرون أن يمنعون عن أنفسهم ولا يدفعون وقد أحدقنا بهم كما يحدق البياض بسواد الحق فقال الملك لقد أوصلنى المسيح لشىء ما وصل اليه أحد من الملوك فدعوهم بين يدى وأتونى بالملكة أفتونا أبنة الملك غيضورس والراهب شومدرس الذى هو بركه المسيح فى بلاده وعباده فما وصلتم أنتم إلى هذا الأمر إلا ببركته وعظيم وسيلته (قال الراوى) فبينما هم والملك معهم فى الكلام وإذا بالأمراء قد داروا به مثل سباع الآجام وهم كانهم الأسود الضوارع وقد قبضوا على قوائم السيوف ويحرون من أسفه على الجارية افتونا قد بغض الحياه وأشتاق إلى الوفاه وأنقلبت عيناه فى أم رأسه وسيف الحنيفية قد طمع فى الخلاص لأنه صار فى وسط الحصن وهو يقول ما هذا الانتظار وما الذى ترجون من هذا الاشرار أضربوا أنتم هذا الجيش بالصارم البتار وعودوا بعد ذلك إلى الحصار إلى أن يفرج الله تعالى العزيز الجبار مدبر الليل والنهار (قال الراوى) فلما نظر الملك يوحنا إلى ذلك وهو جالس على السرير والأمراء قد قبضوا على قوائم سيوفهم أصفر لونه واضطرب كونه لأن أخبارهم كانت ترد عليه ليل

ونهار ولم يكن فى ملوك الروم كلها أقطع منه قلبا ولا أدبر منه إذا ثار حربا وضربا إلا أن مكانه حصين ومراكبه كثير وأهل بلدته عالم عظيم وكان يطيع لملك القسطنطونية الملك أرمانوس وكان ملتهيا بالأكل والشرب ولا يخطر قط قتال ولا حرب ولانزال على باله فلما ان رآهم على ذلك الحال مع ما سمع من صفتهم انخلع قلبه فى تلك الساعة ولم يكن له على نظرتهم استطاعه إلا أنه نادى برفيع من صوته على بطارقته ياويلكم ما بالكم وهؤلاء القوم وما الذى حملكم على أخراجهم من مراكبهم ومن الذى أمركم بحملهم إلى ياويلكم أرفعوهم إلى مركبهم وزودوهم بكل ما يحتاجون اليه من زاد وغيره فلا تمنعوهم وعن مرادهم فلا تقطعوهم ولا تحاولوا بينهم وبين أسبابهم فانهم مؤجلون إلى أيام معدوده ولا يقدرون على التخلف من أجلها ولا القعود عنها وهكذا أخبر نسطرونا فى كتابه (قال الراوى) فعند ذلك صاح به أبو محمد البطال وقال يا ابن الاندال وقطاعه الكلاب ما بقى غير تقطيع أقدامك ونهب أموالك وما أتينا إليك إلا لنأخذ رأسك من بين كتفيك ثم أنه كبر ثم صاح الأمير عبد الوهاب وبحرون وصاح الأمير ظالم وزفر وزعق سيف الحنيفية وهدر وصاحت الأميرة ذات الهمة صياح من لم يكن فى قلبه هيبة لمن كفر وفى يدها صارم ذكر فلما نظر الملك يوحنا إلى ذلك الخطر والأمر المنكر نخرى فى ثيابه ووثب من على سريره وقد ملأ البول سراويله وقال ياويلكم من هذا كنت أحذركم دونكم واياهم اذبحوهم ذبح البقر ولا تبقوا منهم بشر فحملت عليهم الرجال ودارت بهم ذات اليمين وذات الشمال وأشاروا اليهم بالصوارم الصقال وجردوها لطلب نهب أرواح الأبطال وهدرت سباع الآجال ودارت رحات القتال وارتجت الأرض بالزلزال وصادمت الأقيال تصادمت الجبال وهرب الملك وهو حاول خراه فى السروال لما أشتغل القوم بعضهم ببعض وكان هروب الملك لباب القصر يريد الخروج فوجد الباب قد غلقه بعض العلوج فقال ويلك ولم فعلت هذه الفعال وغلقت الباب وهؤلاء أذاقونا أليم العذاب فقال وحق المسيح ما غلقت الباب إلا حتى توقعهم فى العذاب والهلكه ولا يكون لهم من هذا المكان مخلص ولا يجدوا لهم إلى بلادهم طريق سالكه وقد تمت عليهم الحيله وبليوا بليلة طويله ووحق المسيح ما نعلم المفاتيح فى أى المواضع فأيقن الملك بالعذاب الواقع وبقى مثل الوالهة الثكلا أو الحبة على المقلا هذا والسيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد خرجوا بعض البطارقة منهزمين طالبين الباب فوجدوه مغلوق وبالاقفال موثوق فقال لهم يوحنا إيش الخبر فقالوا وما عسى أن نقول لك وأنت كنت وصفت لنا صفاتهم إلا اننا نحن ما صدقنا حتى تم علينا هذه الكائنة من هؤلاء الشياطين افتح لنا الباب حتى نخرج ولا تدخل فقد بلينا بما لا طاقة لنا به وان

وقعنا هلكنا كلنا فقال يا ويحكم وأنا والله أطلب من قلبكم الخروج فلم أقدر فجعلوا يضربون الاقفال بالسيوف فبينما هم كذلك وإذا ببطريق قد خرج اليهم وقال ياقون إن المفاتيح فى الموضع الفلانى فأخذوا المفاتيح وفتحوا الباب وخرج الملك وصاح فى الناس ويلكم ادخلوا الحصن وادركوا أصحابكم فقد هلكوا أجمعين على يدهؤلاء المسلمين (قال) فعند ذلك هجم أهل البلد يطلبونه وقد خرج من كان عندهم وهم هاربين بين أيديهم وقد تبعوهم الأمراء حتى وصلوا إلى الباب الذى للقصر وقد بطحوا على الباب عالم عظيم فلما وصلوا إلى باب القصر قال الأمير أبو محمد للامير عبد الوهاب أيها الأمير ادرك أنت وأصحابك وان قدرتم على غلقه اغلقوه فان العالم كثير لا يحصى ولا لنا طاقة بهذا العالم الكثير وتكل سواعدنا من المضارب فعزم الأمير على ذلك من غلق الباب وعلم أن ذلك هو الصواب وهم على مثل ذلك وأهل البلد يحولون بينهم وبين الباب وهم قد علموا ما فى نفوسهم فقاتلوا قتالا شديد ما عليه من مزيد وقطعت العلاصم وعملت الصوارم وعظمت العظائم إلى أن دفعوا الأمراء إلى ورائهم فكثرت الرجال عليهم فعند ذلك خشيت الأميرة ذات الهمة على الأمير عبد الوهاب وأصحابه وحسبت ذلك من طريق الاخبار فعدلت إلى الباب فنادت باصحابه يا ويلكم ابروا الرؤس بالبتار وحلوا بمن يأتيكم من الكفار البوار واصبروا صبر الأبرار فى طاعة الملك الجبار وإلا وأنتم هالكون لا محاله ودعوا عنكم الاطاله فعندها كبر الأمير عبد الوهاب وكبرت الأميرة فأجابوا المسلمين نداهما بالتهليل والتكبير والثناء على اللطيف الخبير والصلاة على البشير النذير وجعلوا يوحدون الله فى موضع ما سمع قط فيه التوحيد من غيرهم فأجابهم القصر من أربع جنباته وجاوبتهم أرض تلك الديار فى توحيد الملك الجبار هذا والأمراء قد ضربوا القوم بالسيوف وسقوهم شراب الحتوف إلى أن أخرجوهم من الباب صاغرين وعلى أعقابهم منهزمين ووقفوا على الباب وأرادوا غلق الباب فحملوا عليهم أهل البلد نوبة أخرى وهم أكثر من ألف بطريق بالعدد الكامله والسيوف الفاصله هذا والأميرة قد حميت فى مجالها ومقالها واشتهرت بشعرها وكلامها من نثرها ونظامها وجعلت تقول :

ألا مخبرا عنى خيار عشيرتى ... بأنا نصرنا الدين فى البر والبحر
وكنا كامثال السباع جوائما ... بكرجانة بعد المذلة والأسر
وفزنا بنصر الله حتى لقد جرت ... دما القوم عند النقب زاد على النهر
وسرنا وقد حزنا من المال نعمة ... من الله ما نوفى بها غاية الشكر
وقد سهل الله المهيمن مركبا ... تراه كمر الريح فى نحوها يسرى

إلى بحر نسطاروس ثم تحرقت ... قلوب صحابى من مراكب ذى الكفر
وزدناهم عنا بحيلة مونس ... وتاجرنا خير الخداع مع المكر
نعم وأخذنا المال منه بحيلة ... وسرنا بسير الخيل فى غاية البشر
إلى أن وصلنا بحر أريس بكرة ... وقد طلع الاصطول من بلد الكفر
ولم نرى فيهم حيلة غير اننا ... نزلنا وسرنا واقفين على البر
وسرنا إلى كلب النصارى وعندهم ... لحاقا فأدركناه فى ساحة القصر
فوالله لازالت سيوفى مبيدة ... رقابهم حتى أوسد فى القبر
وأنصر دين الله ثم نبيه ... محمد خير الخلق الطاهر الطهر

(قال الراوى) ثم صاحت الأميرة صيحة منكرة وضربت الروم بالسيف إلى أن أبعدت البطارقة عن الباب وقد وقع القتال والذهاب ثم انهم غلقوا الباب فى وجوههم بعد ما حيروا منهم الألباب وصاروا فى حصن حصين ونصر الله الموحدين على الملحدين وأيقن الملك يوحنا بذهاب ملكه وحلول هلكه غير أنه فرحان بسلامة نفسه وقال لأهل البلد لا تدعوا فى البحر مركب إلا وتطلعوه إلى البر حتى لا يعلمون المسلمين على أخذ هذا المركب الذى لهم ويرفعون اليها الاموال ويقلعون فى الليل من باب البحر الذى فى القصر فرفعت المراكب وفى جملتها مركب الامراء وأخرجوا شومدرس من المركب وخلصوه من القيد والكتاف وأخذوا الامراء المجرحين وهم طارق وضيغم ومذبحون وكان مذبحون قد جاءته ضربة قبل نزوله إلى المركب كاد أن يقضى عليه (قال الراوى) هذا وقد وجدوا الراحة من ألم الجراح وما جرى عليهم من حجارة المنجنيق وقد زالوا لهم والضيق إلا أنهم لا يقدرون على قتال ولا حرب ولا نزال فقال الملك لشومدرس من هؤلاء المجرحين الذين هم على الأرض مطروحين فقال هؤلاء أيشم من الذين فى القصر بطبقات هذا ضيغم بن عبد الوهاب ما فيهم أيشم منه وهذا مذبحون بن البطال قصف المسيح عمره فهو مخرب البلاد وميتم الاطفال وهذا طارق الحجازى وهو من أبطال المسلمين وأقيال الموحدين والرأى عندى أنك تنادى بهم وتقول لهم اخرجوا من قصرى على اننى أعطيكم مركبكم وأصحابكم الثلاثة وأحلف لكم أربعين يمينا على أننى لا أغدر بكم ولا أطلبكم بسوء غير أنكم ترحلون كما تختارون وتريدون ولا آخذكم من الاموال التى معكم ولا درهم وآخذ الجارية افتونا وصاحبنا شومدرس فما نخليه لكم يغضب علينا المسيح وتتلف أرواحنا ولا تتحدث الملوك عنا باننا أخذنا جارية من بنات الملوك ثم أعطيناها لهم وإن أنتم أبيتم ذلك وحق المسيح أضرب رقاب هؤلاء الذين

عندى من صحابكم ومعلوم أنكم ما تقدرون تنزلون من أماكنهم ولو أنتم عشرين سنة مالكم من هذا الحصن مخرخ ولا سبيل لكم إلى الفرج فقال الملك أحسب انى قلت لهم ذلك فأجيبهم اليه وتمضى معهم هذه الاموال فقال شومدرس دع هذا القول انما أقول لك ذلك حتى يخرجوا من باب الحصن وبعد ذلك نغدر بهم نحن وأهل البلد لانهم خلق كثير فكم جهد هؤلاء يقاتلون ويناصلون (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام شومدرس قال لقد صدقت ولكنهم فى مكان يمنع عنهم وعندهم الزاد والماء وكلما يريدون شىء يكفيهم سنة كاملة وعشرة وما فى مكان يمنع عنهم وعندهم الزاد والماء وكلما يريدون شىء يكفيهم سنة كاملة وعشرة وما فى القضر لاحد فيه مطمع ولا حيلة لنقب ينقب فقال شومدرس أيها الملك اياك أن تذكر شيأ من النقوب فما أبلى أصحابنا ورجالنا الاشؤم النقب المنقوب وعندها أمر الملك بطريق من البطارقة أن ينادى بهم بما أشار به عليه شومدرس الملعون ففعل ذلك وكانوا الأمراء قد تارت عليهم النسوان بالسلاح من كل مكان وطلبوا قتالهم من كل جانب مثل السلاهب فقالت الأميرة هؤلاء النسوة ما يمكننا قتالهم لأننا مامنهيين عن يتل النسوان والرهان فقال الأمير أبو محمد أمرنا بذلك بشرط انهم لا يقاتلونا وأما إذا قابلونا الرهبان والنسوان بالحرب حل دماؤهم وهكذا سألت الأئمة من علماء بغداد فافتونى بهذا الجواب فقالت الأميرة الحمد لله على دين الاسلام (قال الراوى) ثم انهم بعدذلك صاجوا النسوان وبذلوا فيهم السيوف وانهزموا إلى البيوت وهن مولولات وإلى المخابىء والسراديب داخلات (ياسادة) ثم أن الأمير صعد إلى البراجين اللذين على الباب الذى للقصر وصعدت الأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال وبقية الامراء أسفل الحصن خوفا من النسوان لما قد رأوا منهن من الشدة والمدافعة فلما وقف الامير على البرج سمع النداء قال لهم الامير ما بالكم فقالوا اله بالله تأخذوا امركبكم وكل ما كان فيه وجميع أصحابكم ثم أعادوا عليه ما جرى من الكلام ثم حملوا الامير ضيغم ومذبحون وطارق وأشاروا اليهم بالسيوف فقال الأمير عبد الوهاب للامير أبو محمد إيش تقول فى هذه القصة فقال هذا كله من يير شومدرس ولو فعلنا ذلك وأجبناهم إلى ما طلبوا لكانوا يغدرون بنا إلا أننا إذاخرجنا حملوا علنا ولو حلفوا لنا ألف يمين غدروا بنا ولكن الباري عز وجل قد أخبرنا عن الكفار انهم لا يرعون ذمة ولا يحفظون حرمه فقال الامير عبد الوهاب فكيف يكون العمل وهم معولين على قتل ولدى ضيغم وولدك مذبحون وطارق الحجازى فقال الامير أبو محمد اصبر على قليل حتى أقول لك ما يكون ثم أنه نزل إلى الحصن وقال للامير

سيف الحنيفية يا أمير جزد حسامك واتبعنى فجرد سيفه وتبعه إلى أن لقى بعض النساء فسألها عن بيت الملك يوحنا فدلته عليه فدخل الامير أبو محمد البطال على امرأة فيه وقال لها انى تعلمى أن يوحنا من خارج القصر وأنتم الساعة فى قبضتنا وملكنا وانى أريد زوجة الملك يوحنا وأولاده فأشارت له إلى دار صغيرة وقالت هم فى هـــذه الدار وأشارت إلى ستر مسبل على باب كبير فدخل أبو محمد إلى الدار فوجد جماعة من النسوان وبينهن جارية كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية وبين يديها ثلاثة أولاد وهم يبكون وهى تقول لهم بالرومى لا تفزعون فان أباكم سالم وعساكره كثيرة وهؤلاء المسلمين قليل (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك قال والله هذه زوجة يوحنا وهؤلاء اولاده لامحاله ثم أنه قبض على الثلاثة أولاد والجارية وقال لها قومى فقامت هى والأولاد وهم يبكون وكانوا بيض الوجوه سود الشعور ثم أنه صعدبهم إلى الابراج فقال الأمير عبد الوهاب ما هؤلاء يا أبا محمد فقال أولاد الملك يوحنا وزوجته وبالله لو أن هؤلاء أولادى وزوجتى لكنت فديتهما بما أملك لاسيما هؤلاء الأولاد الذين هم مثل البدور ثم أنه أشرف على الملك يوحنا وأوراه أولاده وهم يبكون وقال له يا عدو الله أقسم بمن مزج البحرين وأنار القمرين ونصر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يوم حنين أن سال من أصحابنا نقطة دم لابد لى أن أرميك بروس هؤلاء الثلاثة وهذه الجارية وان أكرمتهم فنحن نفعل بهم كذلك (قال الراوى) فلما سمع النداء ونظر إلى أولاده وزوجته وقد تغيرت ألوانهم وشقت أحوالهم نادى وقال يا مسلم بحق المسيح لا تفعل فما يبدو منا إلى أصحابك سوء ولا يكونوا عندنا إلا مكرمين ما دمتم فى هذا الحصن الحصين إلى أن نبصر ما يكون منا ومنكم فقال الأمير أبو محمد وهؤلاء الذين هم عندنا كذلك ونحملهم إلى دارهم التى كانوا فيها ويكونون محترمين فقال لهم الملك فهل لكم أن تأخذون افتونا والراهب وتخرجون شومدرس والمال ومركبكم وتقلعون من عندنا وحق المسيح ما نتعرض لكم بحال من الأحوال فقال أبو محمد للملك نحن ما نثق بايمانكم لأنكم تحلفون وتكذبون (قال) فلما سمع الملك منه ذلك قال فكيف الوصول لما تثقون به فقال الامير أبو محمد المركب الذى لنا وكلما كان فيه يعود اليه وتسيرون به إلى جانب المينا من باب البحر ثم ننزل نحن فيه وتكون مراكبكم على البر على حالها وتحلف لنا بعد ذلك بما أريد على أنى أستحلفك أن لاتغدر بنا ولا تأمر أحدا يغدر بنا فقال سمعاً وطاعة (قال) وكان ذلك الذى حمل يوحنا على هذا الكلام محبة زوجته وأولاده لأن زوجته كان لها وجه مثل ضوء الصباح إذا طلع أو البدر إذا بزغ وكان محبا لهاوثقابها

وما للروم حديث الا فى حسنها وجمالها (قال) فلما أجاب الملك الى هذا أيقن أبو محمد أنه ظفر به واذا بالبحر قد أمتلأ بالمراكب والقلوع مثل الطيور أو مثل أجنحة النسور وهم معلقين من سائر الأماكن والجهات وكانت هذه المراكب الواصلة مراكب الملك نسطرونا ومراكب الملك غيضورس خلفها (قال الراوى) فلما نظر الملك يوحنا الى ذلك قوى قلبه ونفسه وما كانت الا ساعة حتى وصلت المراكب والأسطول وألصق الى البلد ومشوا الى البلد يوحنا ففرح بهم الفرح الشديد الذين ما عليه من مزيد وقال لهم لقد جرى على من هؤلاء المسلمين أمر عظيم وأعادعليهم القصة من أولها الى آخرها فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقالوا له كيف تركت هؤلاء يدخلون الى الحصن وأنتم تعلمون أن ما فى الدنيا قياسهم ولا فيكم قوة لهم فقال الملك كلما جرى على من أصحابى لأنهم هم الذين ساقوهم الى أن توسطوا المكان وسيوفهم معهم وأيديهم على مقابضهم ثم أنهم بعد ذلك أعتمدوا على ضرب الرقاب وقتلوا الرجال والاقران ولولا انى هربت كنت هلكت كما هلك الملك غيضورس (قال) فلما سمع القوم ذلك الكلام قالوا له فازحف اليهم السلالم ونصعد نقاتلهم وننصب اليهم من كل جانب فقال الملك وحق المسيح لقد كانت هيبتهم فى قلوبنا والساعة قد ذهبت بوصولكم إلينا وما قد ذكرتموه لنا وما كانت إلا ساعة حتى وصلت مراكب غيضورس وأرست مراكبهم ونزلت منها الرجال ووقفوا حول الحصن والقصر فنظر الأمراء إلى ذلك فعظم ذلك عليهم وقالوا ما يمكن أن يكون فى الأرض أكثر طلبا منا هذا وان الروم قد قالوا أن هؤلاء الشياطين فرسان العرب فى طولها والعرض وقد أخربوا البلاد وأهلكوا العباد هذا واللعين شومدرس قد قويت نفسه وقال وحق المسيح لو لم تصلوا إلينا لكان هذا الملك يوحنا سلمنى للمسلمين والآن فانكم الساعة فى عدد التراب فدونكم واياهم فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم قطعوا الأخشاب وعملوا السلالم وزحفت الرجال من كل جانب ومكان فقال الأمير عبد الوهاب انالله وانا إليه راجعون فقال الأمير أبو محمد ما حالك أيها الأمير فقال ما ترى قد زحفوا إلينا وربما تفرقوا على الأبراج وملكوا علينا القصر فقال أبو محمد الساعة ترى العجب ثم انه أخذ الملك بحرون وسيف الحنيفية ونزل فما نزلوا فى الحصن إلا وأتوا إلى زوجة البطريق وأخرجوها من منزلها ورفعوهم على الأصوار ثم نادوا يا كلاب النصرانيه وأخس من غمس فى ماء المعمودية ان ألصقتم إلينا برج أو سلم أرمينا كم برؤس هؤلاء القوم (قال الرواى) فلما سمعوا البطارقة الذين بيوتهم فى الحصن عن البطال هذا المقال قالوا وحق المسيح ما هذا صواب ولا نفعل نحن

هذا الأمر أبدا وما فى الأمر إلا أن ندبر الصلح بيننا وبينهم على كل حال ويأخذون مركبهم وأموالهم وأصحابهم الثلاثة ويأخذوا الراهب شومدرس وافنونا لا غير ونحقن دماء الروم وإلا خربت الاطلال والرسوم فقالوا أصحاب الملك نسطرونا نحن ما نفعل هذا الفعال ولا لاجل نساءكم أنتم تخلوهم سالمين بل نأخذ منهم بالتار ونكشف العار ولابد لنا من قتالهم على كل حال فدعوا عنكم القيل والقال هذا وشومدرس يحرضهم على يوحنا بمقاله وفعاله ويقول لهم ما أنتم فسوف تنالون من المسيح الثواب العظيم لاسيما أن أخذتم هؤلاء الشياطين وأرحتم منهم الروم أجمعين (قال) ولم يزل بعضهم يقول نعم وبعضهم يقول لا حتى ارتفعت منهم الأصوات وعلت الضجات ووقع بينهم الخلف والزعاق وقامت الدنيا على ساق وقد شهرت السيوف الرقاق والرماح والرشاق ومالت البطارقة من أصحاب يوحنا على بطارقة نسطرونا وبطارقة غيضورس وكانوا أهل كرجانه قد قدموا عليهم بطريق كانه الفتيق يقال له قسطه بن صصطاليق وكان بطلا لا كالابطال ورجلالا كالرجال والروم تضرب به الأمثال (قال الراوى) فحمل بعضهم على بعض حتى امتلات من قتالهم الأرض فقوم يقاتلون من أجل نسوانهم وقوم يقاتلون من حمقهم على المسلمين فيالها من ساعة كشف الموت وفيها قناعه ولقد عملت فيها عصوارم فى الجماجم وقامت القيامة بين كل قاعد ونائم وقد امتلات الأرض بالعوالم وهم بين معطوب وعاطب ومغتوم وغانم ومهزوم وهازم وارتجت الأرض فى الطول والعرض (قال) ورأت أفتونا تلك العظائم وقد ازدحمت العوالم فخافت أفتونا من تلك المصائب على نفسها وأخذت حسام وحملت طالبه الملك يوحنا تطلب قتلة لأنها قدغضبت من فعله هذا وشومدرس قد أخذ من البطارقة عشرين بطريق وقال لهم أدلكم الساعة على فتح الحصن وخلاص أولادكم ونساءكم فقالوا وكيف ذلك ياأبونا فقال لهم ضيغم ولد الأمير عبدالوهاب ومعه مذبحون ولد البطال الكذاب فهذا الأمير الآخر الذى يقال له طارق الحجازى وهو مريض من شدة حجارة المنجنيق وهم على تلك الصفة مطروحين ما يستطيعون حركة مما جرى عليهم من هذا الجميع وكان الملك يوحنا قد عزم على قتلهم برأيى فأرادوا يقتلوى زوجته وأولاده فلأجل ذلك استبقاهم فدونكم أنتم وإياهم (قال الراوى) فلما سمعت البطارقة من شومدرس هذا الكلام صلبوا على وجوهم وقالوا لقد صدقت ياأبونا وإذا نحن قتلناهم فقد أخذنا بعض تارنا منهم ثم انهم قالوا وحق المسيح هذا الرأى يكسر قلوب المسلمين فعندها سار شومدرس ومعه العشرين بطريق إلى أن اوصلهم إلى عند ضيغم فرآه وهو جاثم على ركبتيه يشهد تلك القصة

بعينيه وكان الامير ضيغم يقول لاصحابه لكم البشارة فان الله تعالى قد أرمى كيد الفجار فى نحورهم والساعة يفنوا بعضهم بعضا ويبقوا صرعى على وجه الارض (قال) فبينما ضيغم مع اصحابه فى الخطاب إذ حانت منه التفاتة فنظر إلى شومدرس ومن خلفه عشرين بطريق وفى أيديهم القواضب فعلم ضيغم أن القوم ماهم قاصدين إلا اليه واصحابه فقال لاصحابه هذا شومدرس قد اقبل الينا وهو يريد قتلنا فلما سمعوا ذلك قالوا كيف العمل وقد سلمنا نفوسنا إلى الله تعالى يفعل بنا ما يشاء ويحكم ما يريد ونحن كنا هالكين وانما الله تعالى قد اعاد علينا العافية بلطفه وكرمه وما فينا من يدافع عن نفسه فقال ضيغم والله ما أموت هكذا وما أسلم روحى حتى آخذ بثارى فانى بحمد الله قد وجدت الراحة ومد ضيغم نظره فوجد اسقاله بالقرب منه وقد كانت فى بعض المراكب فمشى اليها وأخذها بيده وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وقرش على أضراسه وعملت نخوة العرب فى أساسه (قال الراوى) فلما نظر الملعون شومدرس إلى ذلك ضحك ضحك وقال قد خشى ابن الأسود على روحه ولاشك انه لما رآكم قد حسب حسابكم فلا تخافون منه فانه قد داخله الفزع والخوف والرعدة وإنما يظهر لكم الجلادة من أسفه على الحياة وشفقته على نفسه من الوفاة فدونكم وإياه فهو أخس من أباه (قال الراوى) فلما سمعوا البطارقة كلام شومدرس هجم واحد منهم على ضيغم يقال له دوفاس ورفع السيف فى يده ليضربه فلقيه ضيغم بعزم معود لهذه المقامات والأمور وقد رفع الأمير ضيغم الاستقالة بما أعطاه الله تعالى من القوة والحيل وضرب البطريق بها فوقعت الضربة على رأسه نخسفت منه الضلوع مع المعاطس ونثرت الاسنان والمضارس فصاح واحد من البطارقة أواه أواه لو أن مثل هذه الضربة لشومدرس لكان قد انهدم أساسه وعدمت أنفاسه ثم قال له ويلك يامن قد ظهر كذبه وعيبه هذه ضربة من كان يأكل على جنبه فلا ستر المسيح عليك ما أقتلك للرجال وأهلكك للابطال والاقيال بالكذب والمحال فكيف لو كانت ضربته وهو يأكل وهو قاعد فما أكذبك من بين الرهبان وكل من يسمع منك فهو حيران تعبان ومن يقعد عند الملوك فى المجالس ويتبركوا به فى الصوامع والكنائس يكذب على كل قاعد وجالس (قال الراوى) والبطريق مع شومدرس فى الكلام وإذا بضيغم قد هجم على آخر هجمة الأسد الضرغام وضربه بالاسقالة على صدره كسر فقارات ظهره وطحن العظام ثم ضرب آخر هشم وجهه وأسقاه كاس الحمام وضرب آخر على كتفيه كان سببا لحتفه فلما رأى باقى البطارقة ذلك ولوا منهزمين وعلى أعقابهم راجعين (قال) هذا كله يجرى والأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال يشاهدوا من ضيغم تلك الفعال وقتله للرجال فباس الأمير الأرض شكرا لله تعالى وقال يا أبو محمد

أريد منك أن تمضى إلى ذلك البرج وخذ معك هذا الترس والسيف وارميهم إلى ضيغم فما آمن عليه من هذا الملعون شومدرس أن يرجع إليه برجال كثيرة وولدى على كل حال مجروح وهو جسد بلا روح فقال البطال لقد كنت معولا على هذه الفعال (ياسادة) ثم أن أبو محمد البطال أخذ السيف والترس وتقدم إلى البرج الذى مقابل ضيغم وصاح به أحسنت يا ضيغم لله درك فلقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل بفعلك الجميل فخذ هذا السيف الصقيل والترس النبيل ثم حذفهما إليه ففرح ضيغم بذلك وصاح أبو محمد بولده مذبحون وقال له يا ولدى كيف أنت فقال يا أبى أنا صالح الحال بفضل الله ذو العظمة والجلال وانى ما أقدر أن أدفع القتل عن نفسى أو أمانع فقال له البطال أحسنته ياولدى فى هــــذا المقال فاننا ما فينا لحرب ولا قتال ثم أن البطال صاح بضيغم وقال يا ولدى قاتل عن رفقاك وكن شبيه أباك فقال له ضيغم أنظر العجب منى ومن هؤلاء الكلاب وإن لم أشفى قلبى منهم ما أنا ولد عبد الوهاب (قال الراوى) ثم أن أبو محمد صاح بطارق الحجازى يا طارق كيف أنت يا فارس المغارب والمشارق فقال قد حقت الحقائق فوالله انى كنت على غاية الضعف حتى رأيت قتال الأمير ضيغم فشد قلبى للحرب ولقد ورد على قلبى من ذلك سرور عظيم ولقد زادت روحى حيل ونشاط وقوة وانبساط وصار قلبى مثل الجبال فارمى لى مارميت لضيغم فانى والله ما أقدر أحمل الاسقالة التى حملها ولا أطيق شيلها فعند ذلك رمى له البطال سيف وطارقة فأخذهما وعاد إلى مكانه ولم يعلم أحد من الروم بشأنه (قال الراوى) هذا والسيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل وقد قتلوا بعضهم بعضا وقد بقى أكثرهم ملقى على وجه الأرض ولم يزلوا كذلك حتى أظلم الظلام وافترق الجمعان وقد قتل من الطائفتين زهاء عن ألفين وعادت كل طائفة إلى مكانها وأضرمت نيرانهـــا ونظر شومدرس إلى ذلك الحال فقال فى نفسه أنا الذى أوقعت بينهم الحرب والقتال ومالى إلا الصلح بينهم وأطفىء هـذه الفتنة وإلا وقع فى طوائف الروم المحنة وما تدور هذه الدائرة إلا على ويكون هذا مراد الأعداء ويفنوا هؤلاء الطوائف بعضهم بعضا وتخلو منهم هـــذه الأرض وأقع أنا فى أيدى المسلمين ويقطعون قفايا بالطول والعرض (قال الراوى) فعند ذلك تقدم إليهم شومدرس وعتب عليهم غاية العتب وقال لهم قال السيد المسيح قالت السيدة مريم قال مرحنا قال شمعون قال مركوركيس ولا يزال الملعون على هذا الحال وهو يقول لهم هذا المقال إلى أن أوقع بينهم الصلح وقد حلفوا إنهم لا يتعرضون لبعضهم البعض بقتال ولا يباشروا بحرب ولا نزال إلى أن يأتى الملك نسطورونا ويفصل هذا الحال (قال) فعند ذلك قال البطريق

قسطه للملك يوحنا أريد منك أن ترسل إلى الملكة أفتونا على حاجة بها وتقول لها انى ما فعلت هذا إلا من أجلها ونحن ما نقعد عن نصرتك فقال يوحنا إن أفتونا ما أسلمها إلا لمن يكفينا شر هؤلاء المسلمين الذين ملكوا حصنى وعندهم زوجتى وأولادى أجمعين وانكم إذا أخذتم أفتونا أخذتم روحى وأموت من وقتى وساعتى (قال الراوى) فلما سمع قسطه هذا الكلام علم أن هذا ما يفعله يوحنا ولو شرب كاس الفنا وانه إن شاققه وقع السيف بينهم وانه لما إيس قسطه من يوحنا أرسل الملك نسطرونا يعرفه بذلك ويقول له أيها الملك إن أردت الجارية أفتونا فسر إليها بنفسك فان المسلمين قد ملكوا حصن يوحنا وتحصنوا فيه وعندهم ما يحتاجون إليه من زاد وغيره ونحن من حولهم ما نقدر على قتالهم بسبب أولاد البطارقة وأهلهم وجميع أهل الملك يوحنا فى القصر مع زوجته وأولاده وهم عند المسلمين مثل الاسارى وقد جرى بيننا من الحرب ما لانهاية له وقتلوا الرجال وأبادوا الابطال ولا تسأل عن هذا الحال فقد أفنوا من الروم والاقيال (قال الراوى) هذا وشومدرس ماله دأب إلا انه يحرض الروم على قتال الأمير ضيغم فلم يجبه يوحنا إلى ذلك وأقام الروم على ماهم عليه أربعة أيام لايجرى بينهم قتال ولاحرب ولا نزال (ياساة) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمراء فان الأميرعبدالوهاب اقبل على البطال وقال له والله ان قلبى مشـــغول على الأمراء المجروحين الذين مع الروم وانى أخاف أن يكونوا أرســلوا إلى ملك الملافطه يأتى إلى هاهنا فى عالم عظيم ويغلبوا على يوحنا وربما قتلوا الاسارى بغير أمر يوحنا وعلى رغمـــه ووالله إن كل واحد من هؤلاء الثلاثة أحب إلى من كل من فى بلاد الروم فقال البطال والله العظيم هذا الذى خطر ببالى خطر ببالك مثله سواء بسواء وحسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب ورأيت من الرأى أن أنزل الليلة أنا وغلامى لؤلؤ ويانس ولعلى أن أقدر اسرقهم وتكونوا أنتم على البرج الثانى ونأتى واحد بعد واحد فاذا فعلنا ذلك وحصلوا عندكم ربما أقمنا فى جملة الروم حتى ننظر مايكون فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب ونحن نؤمل من الله تعالى تمام هذا الأمر إن شاء الله تعالى وأقام البطال إلى الليل وقد عول على النزول وقد تظاهر بزى أهل المدينة وكذلك غلامه لؤلؤ ويانس وشدوا الحبال فى أوساطهم ونزلوا وساروا حتى أختلطوا بالروم فوجدوهم يتحدثوا بما قد وجدوا من القتال والحرب والنزال وما قد نالهم من التعب والملال والملك يوحنا يقول لقسطه لو أعطيت افتونا لك لقتلوا المسلمين زوجتى وأولادى ولولا افتونا كانت معهم فى المركب ماأمرت قومى أحدقوا بالمركب وأن يقلبوها فى وسط البحر بالكلاليب واستوى

عندنا فى ذلك البعيد والقريب وما كان جرى علينا شىء من التعذيب فقال قسطه ما لأحد مفر من القضاء والقدر وهذا كله ما يدوم إلا بمقدار ما يأتى إلينا الملك نسطرونا ومن معه من بلاد الروم وقد انكشفت عنا هذه الشدة وسائر الهموم ويحصل لنا النصر ويخلص حريم الملك يوحنا ويزول عن قلبه الغموم ويشتفى قلبك أيها الملك بقتل هؤلاء المسلمين فقال يوحنا من وسط قلبه آمين يا مسيح آمين ونأخذ منهم بالتار وينكشف عنا العار فكم قتلوا من أهل دين النصرانية وأفنوا من عباد المسيح وما وصل اليهم أحد بنائل ولا بلغ عدوهم منهم بطائل (قال الراوى) فلما سمع شومدرس منهم هذا المقال زادت نيرانه اشتعال وقال أنتم فى وادى وأنا فى وادى وقد ظن فؤادى فى هؤلاء القوم وأنا متفكر فيما أنتم فيه متفكرون فقالوا يا أبونا نحن متفكرين فيما قد وقعنا فيه من هذا الأمر المغتر وأنت فى أى الأمور تتذكر فقال وحق المسيح أنا أتفكر فى أمر هذا اللص المحتال أبو محمد البطال وأنا خائف أن ينزل من الصور فى الحبال ويتوصل إلى سرقة المأسورين الذين عندنا فقال يوحنا هذا وجه ما للبطال اليه سبيل لأن الموضع صعب المرتقى عالى البنا تقصر دونه الحبال وتعجز عن نزوله الرجال فقال له شومدرس دع عنك هذا المقال فانت مغرور على كل حال فانى أعرف من هؤلاء القوم مالا يعرفه أحد غيرى لأنهم خربوا جميع الأقاليم وتسلقوا إلى الحصون بلا سلالم فقال يوحنا وقد غضب من قوله وحنق عليه أريد من السيد المسيح أن ينزلون هذه الليلة ولا يقعون إلا بك حتى يلطمون قمتك وينتفون لحيتك فما كانت أيشم طلعتك وما برحت ديارنا عامرة حتى رأينا عورتك (قال الراوى) فضحك اللعين شومدرس الضحكة الباردة وقال أيها الملك عفى عنك المسيح فما أنت إلا تقول الصحيح ومعلوم إنك معذور لأنك فى حرج عظيم من القوم وقد ملكوا حصنك سرير ملكك وأولادك وزوجتك وعشيرتك فلا تأس فى حقى ولا تأخذنى فى صحيفتك (قال) فندم يوحنا كل الندم كيف قابل شومدرس بهذا الكلام الذى هو أمر من العلقم وقال له لا تأخذ على أيها الشيخ الصالح بما تكلمت فى حقك من القبائح فقال شومدرس أيها الملك ما عليك فى ذلك ملام وأريدك أن تسلمهم لى والسلام وتخلى لى ولهم بعض هذه الدور حتى أتولى حفظهم وكونهم عندى وما يقدر البطال يجسر أن يتقرب اليهم وعندهم أحفظ مما هم عندك وفى هذا طيبة لقلبى وقلبك وان أقاموا على ما هم عليه فى هذا الموضع ها هنا يخشى عليهم من العدا لأنهم يشاهدون أصحابهم فلا نأمن منهم فقال قسطه لعمرى لقد أتى الراهب برأى صائب وكلام لا يعيبه عائب فقال اللعين شومدرس وحق المسيح

ما أبتغى بذلك إلا الثواب ولا حفظهم مثل حفظ الأهل والأحباب (يا سادة) ثم أن الملعون شومدرس أمر جماعة من البطارقة بحفظهم فقال له قد رأيتم مافعل ضيغم بالأسقالة وأنه قد ملك سيف وترس (قال) فلما سمع البطال هذا الكلام سار مع جملة البطارقة إلى ضيغم فوجده مرمى على وجهه وقد زاد به ألمه وضره وذلك أنه لما ضرب فى وجه البطارقة بالاسقالة ودافع عن نفسه بلا محالة فانفتق عليه الجرح الذى كان قد أندمل وعاد من الوهم إلى ما كان عليه لأجل ما فعل وهذا من مروءته وقد أشرف على التلف فحزن عليه أبو محمد وقام ومشى البطال إلى صوب طارق وهو كأنه الباشق فقد قام قائما على قدميه وظن طارق أن البطال إو بطريق وقد أتى يريد قتلهم فصاح به البطال أمسك يدك يا طارق فما أنا لك مشاقق ولا عدو منافق وقد أتاك الفرج من العزيز الخالق (قال) فلما سمع صوت البطال فقال يا أبو محمد فقال نعم كيف أنت يا أخى قال فى لطف ربى فقال له ابشر فانه جرى ما هو كذا وكذا وهم لابد أن يأتون اليكم فى هذه الساعة ليأخذوكم فلا يمانع أحد منكم عن نفسه ولكن الرأى أن تسلموا نفوسكم فانا أقول أنى أتولى سوقكم والذى حثهم على هذا شومدرس حتى يشتفى من عقوبتكم وأنه وجد فرصة قتلكم ولعل الله تعالى يكون قد عجل حتفه وأن يجمعنا وإياه فى دار واحدة ويفعل الله مايشاء فقال الأمير ضيغم والله ما بقى لى قوة انى أنقلب من جنب إلى جنب فضلا آن أمانع عن نفسى فقال له مذبحون مالنا إلا ماقال أبى فهم فى الكلام وإذا بالمشاعل قد أقبلت والبطارقة قد وصلت فقلق الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وقالوا لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله لاشك أن الروم قد علموا مكان البطال ومابقى فى الأمر إلا اننا نخرج اليهم ونمانع عن نفوسنا وأصحابنا وإلا هلكنا عن آخرنا فقالت الأميرة لعبد الوهاب يابنى اصبر حتى ترى ما يكون وإلا يجىء الأمر بخلاف ذلك وتقع فى بحر المهالك (قال الراوى) ولما وصلوا البطارقة إلى القوم وجدوا ضيغم مكبوبا على وجهه وصاحباه من حوله قعود فصاحوا بهم أهل الكفر والجحود ياويلكم سلموا الينا نفوسكم وإلا ضربناكم بالسيوف وسقيناكم كاس الحتوف وسيروا حتى نحملكم إلى مكان تكونوا فيه آمنين محفوظين حتى ننظر مايكون فقال لهم مذبحون هانحن بين أيديكم افعلوا بنا ماشئتم فوالله العظيم إن شالت منا نقطة دم فهى بروح كل من فى القصر وبعد ذلك ماتكونوا آمنين على نفوسكم فقال شومدرس نحن على الصلح معولين وندبر أمركم حتى تعودوا إلى أهاليكم سالمين (قال) ثم ان البطارقة دنو منهم بأمر شومدرس وقال خذوهم وكان أول من قبض على مذبحون البطال وقد آلمه فعله وأوجعه مسكه فقال له ياويلك

لاتكون أحمق قليل العقل فلما سمع أبو محمد من مذبحون ذلك المقال ضحك وقبض لؤلؤ على ضيغم وقبض يانس على طارق وجعلوا يسيرون بهم والبطارقة من حولهم إلى أن دخلوا إلى دار عظيمة شاهقة البناء واسعة الفناء ودخل إلى تلك الدار عشرين من البطارقة وفى جملتهم البطال وغلامه لؤلؤ ويانس وشومدرس معهم فعند ذلك أمر شومدرس أن يشدوا الثلاثة ويقيدوا فأتوا بثلاثة قيود فعند ذلك تقدم البطال ووضع القيود فى أرجلهم (ياسادة) وكان البطال قد سلخ بعض البطارقة من دقنه وكانت دقن كبيرة بعوارض طوال كبار وأخرج له شوارب غطوا فمه وخرج فى صورة لو رآه ولده لم يعرفه فأول ماقيد مذبحون وجعل يقعقع الحديد بعضه فى بعض ويلطمه على وجهه ويقول له ياسرجيل يارتين يعنى ياملعون ياخنزير أنت قتلت ولدى وأخى ولوكان الآمر لى قطعت فى هذه الساعة رأسك وأخمدت أنفاسك ودع يجرى مايجرى (قال الراوى) فأعجب شومدرس ذلك الكلام وقال له أحسنت ياعبد المسيح أن من لطم مسلم لطمه له فى الجنة كل نعمة وأن من ضرب مسلم ضربة له فى الجنة أعلى رتبه (ياسادة) فلماسمع البطال من شومدرس ذلك المقال صار يبكى ويدمع عينه ولم يزل البطال حتى قيد الثلاثة فقال له الملعون شومدرس هذا فعل جميل ولأجل هذا تنال فى الجنة أعلا المنازل وتشرب من عين السلسبيل ثم قال شومدرس له أنت حفظهم ياعبد المسيح وكن رجلا مليح ثم ان شومدرس أمر تلك البطارقة أن يخرجون من الدار وقال لايبقى ههنا أحد إلا هذا العزيز والبطريق الحريز (يا سادة) وقد أخرجت البطارقة وفى جملتهم لؤلؤ ويانس ولم يبق الا البطال فأقبل عليه شومدرس وقال له يابنى ما إسمك قال اسمى تنكيدا فقال له بارك فيك المسيح ياتنكيدا ثم جعل شومدرس يقرأ له شيئا من الانجيل وما أخبر المسيح وما قال شمعون والحواريون وتنكيدا يبكى بكاء شدايدا ويقول لشومدرس وحق المسيح وحق الصليب والصلبوت لو قلت لى أقتل الملك الذى ربانى لفعلت ولو قلت لى موت لكنت أموت لأنى أعلم أنك من علماء الدين لايجب أحدا يخالفهم فى هذا الحين وانك لاتشير إلا بالمصلحة للروم أجمعين فقال له شومدرس وقد نفذ فيه حكم رب العالمين اعلم يا بنى اننى رأيت السيد المسيح فى النوم وقد أمرنى بقتل هؤلاء اللئام فأشرت على الملك يوحنا بذلك فما فعل لأنه ماحضر قط فى موضع حرب ولا نزال وماهو ملتهى إلا بمعاشرة النسوان فأنا أسئل المسيح أن لايؤاخذنى بذلك الشأن فقال البطال وقد أغلق لسانه وتكلم بلغات الروم المغلقه يا أبونا إذا كنت أنت معول على ذلك فأنا مساعدك عليه وان أردت كان فى هذه الساعة فقال شومدرس اما فى هذه الساعة فلا يمكن ذلك إلا انه إذا

وصل الملك نسطرونا واشتغل الناس بعضهم ببعض أنا أفعل ذلك وتكون أنت فى هذا الثواب مشارك لأنى سمعت عن مريحنا المعمدان انه قال من ساعد أخيه على قتل مسلم أعطيته خمس فدادين فى الجنة فجعل البطال يحرك رأسه ويقول السمع والطاعة أيها الراهب الذى عمت بركته المشارق والمغارب ولكن يامولاى أنا أمضى إلى موضعى إلى أن يأتى الملك نسطروانا وأعود اليه فقال له شومدرس يا تنكيدا ياولدى بقى شىء واحد فيكن لى فيه معين ومساعد فقال له البطال وما هو ياأبونا فقال اعلم ياولدى ان هذا الاسود ابن عبد الوهاب وهذا الاشقر ابن البطال أريد أشتفى منهم فى هذه الساعة بالضرب الشديد العظيم وأعذبهم العذاب الأليم كما فعلوا بى فى حصن كرجانه وقد ضعفت قونى من ذلك وأريد منك المعاونة ولا تعلم يوحنا وهذا يكون فى عنقك أمانة فعندها قال له البطال على كلما تريد وأنا بين يديك أطوع من العبيد ولكن أصبر على قليل إلى أن آتى باخوتى يساعدونى على ذلك وأقضى حاجتك وحاجتى وانى معى ثلاث سياط ويكون كل واحد منا لواحد منهم وتسمع ذلك الوقت صياح وعياط فتبسم اللعين شومدرس من كلام البطال وأعجبه ذلك المقال وخرج أبو محمد فى الحال فوجد لؤلؤ ويانس على الباب واقفين وهم خائفين على البطال من شومدرس الكذاب لئلا يعرفه لسبب من الأسباب وسمعوا ما جرى بينهم من الخطاب وهم يتعجبون من ذلك غاية العجب ويقولون مافى الدنيا مثل مولانا البطال فهم فى الكلام والبطال ينادى لؤلؤ فقال نعم يامولاى والله لقد كنت خائف عليك من هذا الملعون لئلا يعرفك ويسقيك كاس المنون لأنه عقبه الثانى فى الخبث والمكر واللؤم فقال البطال اسكت يالؤلؤ إذا نزل القضاء عمى البصر ومع ذلك فانى غيرت كلامى وأغلقت نظامى حتى لوسمعتنى أنت لانكرتنى ولو وقفت قدامك ماعرفتنى نخلى عنك الكلام وأمضى من ههنا إلى العسكر وافتقد حالهم فقال سمعا وطاعه ثم ان لؤلؤ غاب ساعة وعاد فقال البطال إش عندك من الأخبار قال يامولاى ان القوم نيام كلهم كأنهم الموتى (قال) فعند ذلك دخل البطال ولؤلؤ ويانس وشومدرس فى انتظارهم فلما دخل البطال قال له شومدرس مرحبا بك يا تنكيدا جئت باخوتك قال نعم فقال أين هم قال خارج الباب قال دعهم يدخلون يعاونوننا على ضرب هؤلاء الكلاب فعند ذلك أمر البطال غلمانه بالدخول فدخل لؤلؤ ويانس أسرع من البرق الخاطف وقبض البطال على حلق شومدرس قوام ولا سمع منه لاحديث ولا كلام وقبض يانس على دقنه ولكمه لؤلؤ ورفسه إلى أن غيب ذهنه ووقع إلى الأرض مغشى عليه ثم وثب اليه البطال وكتفه وقال له يا ملعون نحن نهرب منك وأنت تابعنا كان لك عندنا ديون ثم ان اللعين شومدرس أفاق من تلك الأهوال وهو متشكك فى أمر البطال فقال له

ياويحك أنت اللص البطال قال نعم أنا البطال مجدد عليك العذاب والوبال أنا معدن الخبث والمحال ثم انه وضع الاكره فى فمه وشد يده إلى رجليه شدا وثيقا بعد أن مزق جلده بالضرب تمزيقا ودنا من ضيغم ومذبحون وطارق وفك قيودهم وخرجوا من الدار وأسبل عليهم ستره الملك الستار (قال الراوى) فلما صاروا خارج الباب سبق البطال شومدرس إلى الموضع الذى نزل منه فشد شومدرس بالحبل من تحت ابطيه والأمراء قيام فى انتظاره ثم حرك الحبل فرفعوه وهم يظنوه واحد من أصحابهم وإذا به الكلب القسيس أشبه الخلق بابليس فأخذته الاكف من كل جانب ولطموه إلى أن أشبعوه وقالت الأميرة لله درك يا بطال فقليل مثلك فى الرجال فضحك الأمير من هذا المقال وقال ما أشجعه فى الاحتيال ثم أنزلوا الحبل ثانى طريق فتقدم طارق وقد شد الحبل فى وسطه ورفعوه إلى أن صار عندهم وفعلوا بمذبحون كذلك وأما ضيغم فانه قال مالى إلى الصعود من سبيل ودع يصنع الله مايشاء وهو الملك الجليل وان البطال صعد فى الحبل وترك لؤلؤ ويانس عند ضيغم (قال الراوى) فلما رأى الأمير عبد الوهاب أبو محمد ولم يرى ضيغم قال فأين ولدى ياأبو محمد فانى ماأراه فى جملة الرجال فأعاد عليه الجال ثم قال أنظر ياعبد الوهاب وأخذ البطال عصى وحبال وجعل يشد بعضها إلى بعض إلى أن صارت مثل السلم وطرح فى أسفلها أوتاد حديد مما يلى الأرض ودلاها فلما نزلت تحققها لؤلؤ وعرف معناها فضرب الأوتاد فى الأرض وقال لضيغم يا مولاى اصعد وأنا خلفك أعينك على الصعود فصعد ضيغم كما أمره وطلع خلفه يحاديه إلى أن وصل إلى عند أبيه فقبض الأمير عبد الوهاب على يديه وجذبه صار عنده وقال جزاك الله خيرا ياأبا محمد فأنت العده والعمدة لكل شده بعون الله تعالى (قال الراوى) فعند ذلك قال الأمير أبو محمد للامير عبدالوهاب أخى أنى أريد النزول إلى الروم مرة ثانية فانهم نيام وهم على غير حذر منى وما يامعهم خبر من سرقتى فقال الامير ياأخى ارفق بنفسك ولا تلقيها فى أمر حتى تعرف الخروج منه فقال البطال توكلت على الملك المتعال ونزل البطال ولؤلؤ وأراد بحرون أن ينزل معهم فقال له الامير عبدالوهاب إلى أين يابنى فقال أنزل معهم فلعل الله تعالى أن يظفرنى بافتونا لأن نسطرونا يريه بسيرها فى بعض المراكب ويكون ذلك سبب هلاكى لامحالة فقال له الامير عبدالوهاب يا بنى دع عنك هذا الذى تؤمله وتقوله وأعلم أننا فى شدة عظيمة وطول روحك وكاسر لأننا فى بلاد الغربه وقلة الناصر وقتال وحصار وبعد من الأهل والدار ولولا أن الله تعالى من علينا بهذا الحصن الذى أحمينا فيه نفوسنا لكانوا الروم قد مكنوا منا البتار وكم لنا فى بلاد الروم مثل هذه من وقعة وأخبارها سائرة وكم فى بلاد الروم أيضا مثل

هذه الجارية فان نحن سلمنا كان لك مثل هذه الجارية أفتونا ألف جارية وإن هلكنا فقد جاءنا مالم يكن فى الحساب فقال بحرون يا أبت دع عنك هذا العدل فلا بد لى من النزول مع البطال ثم أن بحرون خالف أبوه ونزل مع البطال لما فى قلبه من الهوى والبلبال ونزل البطال وبحرون ومشيوا إلى أن وصلوا إلى الروم وقد ملؤا ساحل البحر مقدار فرسخ فتقدم البطال إلى الملك يوحنا فعرفه وقد نصب له سرير من العرعر مصفح بصفائح الذهب الأحمر وإلى جانبه البطريق قسطه والغلمان حوله محدقين بهم وهم نيام فتقدم البطال بينهما وعرفهما ثم طفى الشمعة التى عند رأس يوحنا وجثم البطال على صدر قسطه وحط الخنجر على نحره وهمز عليه خلى رأسه فى نحيه وجثته فى ناحية وجعل رأس قسطه عند رأس يوحنا فى الفراش وترك الخنجر على بلعومه ونزل على السرير وخرج إلى لؤلؤ وبحرون فقال له بحرون ماذا صنعت فقال له كذا وكذا وهذا الفعال يحوج يوحنا أن يعطينا كل مركب أردناه على انه لابد ما نضرب المراكب كلها بالنار حتى نأمن الطلب ونسلم من باب المينا فاذا فعل يوحنا ذلك ما نأخذ له من قصره ما يساوى درهم فرد فقال له بحرون ياعماه فكيف تصنع بالملكة افتونا فقال البطال نشرط عليه أخذها (قال الراوى) وبعد ذلك ردوا من عند الروم وهم فرحين وطاب قلب بحرون بما سمع من كلام البطال فهم راجعين إذ سمع البطال فى هدوء ذلك الليل صوت حنين وبكاء أنين يدل على أنه من قلب حزين فتبع الصوت فانتهى إلى خيمة لطيفه وهى على جانب البحر منصوبه وفيها شمعة وفيها جارية كأنها طلعة القمر وهى جانب البحر منصوبه وفيها شمعة تقد وفيها جارية كأنها طلعة القمر وهى جالسة تبكى وعندها عجوز (يا سادة) وكانت هذه الجارية افتونا وأمها وهى تقول لها يا بنتى قلى من بكاكى فقد آلم قلبي شكواكى فقالت لها افتونا وكيف لا أبكى وقد قتـــل أبى وقد عدمت عزى ومنصبى فقالت لها أمها يا بنية لولا أن القوم معهم الحق لما نصرهم الله على كثرة هذه الخلق وهم ناس قليل وأعطاهم الله هذا العطاء الجزيل فقالت لها افتونا لعنكى المسيح قد غلب شركى على خيركى وما كان سبب نجاة المسلمين من القصر غيركى ولولا أنى أخاف من المسيح ويقال عنى أن فلانه قتلت أمها لكنت سارعت الساعة إلى خنقكى ولكن قد أمرنى المسيح بطاعتكى فسكتت أمها عن ذلك والبطال واقف وبحرون يقول له أدخل بنا والبطال يقول له أصبر يا بنى ولا تعجل فانا لو دخلنا اليهما ما كان لنا قدره بهؤلاء ولا طاقة لك بحربهما وان كان لنا بهما طاقة وقدرنا عليها صاحت برفيع صوتها فتثور الينا الرجال من كل مكان ويعظم الأمر والشأن ونقع فى

الحيرة والحرمان فاصبر معنا ساعة ترى العجب ويجعل الله لكل شى سببا ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقال بحرون دعنى يا عماه أدخل اليها وأرمى روحى عليها فى المكان ودع يكون ما كان فقال البطال لا والله يا بحرون لا أمكنك من هذا أبدا هذا أبدا ولا أدعك تفعل فعلا لا يكون فيه الصواب ويفضى ذلك إلى ضرب الرقاب ولكن أصبر ساعة ولا بد لها من تناول الطعام وإذا أكلت الطعام طلبت الماء على كل حال وأبنجها فيه فصبر بحرون ساعة والبطال ينظر اليها ساعة ثم أنها أعتنقت سيفها وعملته فى حجرها وقالت المسيح يمكننى من هذا الشيطان بحرون الذى يطلب أن أكون له زوجة حتى أضرب رقبته بهذا السيف وأحيف عليه كل الحيف (قال الراوى) وبينماهم فى الكلام وإذا بها قد تناولت سفرة طويلة كان فيها دجاج محمر ولحم ضأن مسمن وجعلت تأكل إلى أن أكتفت وعلم أبو محمد أن لابد لها من الماء البارد الزلال وكان الماء خارج الخيمة فأتى البطال إلى الماء ووضع فيه قطعة بنج عتيق وأختفا هو وبحرون فى جانب الخيمة وجعلا يرمقانها ولما ان أكتفت من الطعام طلبت الماء وشربت كفايتها (قال الراوى) فلما أن شربت ونزل الماء فى جوفها أنقلبت فنامت فلما أن غاب عليها النوم فكانها لها سنه ميته فلما ان رأتها أمها على تلك الحالة وثبت إلى السيف وسلته من غمده وقبضت عليـــه بكل ما تريد وقالت والله لا قتلنها والبطال يسمع كلامها وهى تقول والله لأقتلنها وأتقرب بدمها إلى الله تعالى وأرجو بذلك ثواب الآخرة لأن هذه قبيحة فاجرة مشركة بالله تعالى وأنا امرأة مسلمة مقره لله تعالى بالوحدانية ولمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وهى جاهلة فى ضلاله وأنا أريد قتلها وألتجىء إلى هؤلاء المسلمين فلى أسوة بهم ولا حياة لى بعدهم وأرجو من الله تعالى السلامة (قال الراوى) فلما سمع البطال كلامها تحقق اسلامها وعلم أنها قد عزمت على قتل ابنتهـا حمية منهـا لدين الاسلام ورغبة فى دن محمـــد عليه أفضل الصلاة والســـلام فعندها هجم عليهـا البطال وقال لهـا على مهلكى أيتها الحرة فنظرت إلى أبو محمد فرأته بتلك الشوارب وكبر اللحية فلم تعرفه وظنت أنه من جملة البطارقة فأرادت أن تهوى اليه بالسيف فقال لها ياهذه أمسكى عنى الحسام الفصال فأنا أبو محمد البطال ثم دخل بعده بحرون كأنه الواله المجنون وقد عرفت أم أفتونا بحرون وبقيت فى شىء من البطال فقالت ياأبا محمد فى أى وقت نبتت لك هـذه اللحية العظيمة وصرت بهذه الصورة الذميمة (ياساده) فضحك البطال من هذا المقال ثم أتى إلى افتونا وشدها كتاف وربط منها الأطراف وقال لبحرون احمل اليوم من يحملك غدا فهى من خيار الأجناس وأنت أولى بحمله من جميع الناس فقال بحرون صدقت والله ياعماه أنا لها

وما بهذا من بأس ثم دنا منها وحملها وقد ذكرنا مافيه من القوة وشدة المراس وقد قامت أمها معهم إلى أن وصلوا إلى الصور وشدوا افتونا فى الحبال وفى الحال نشلوها وأمها من بعدها ويجرون فى أثرها وسعد لؤلؤ ويانس والبطال وقد فرح الأمير عبد الوهاب بهذه الفعال (قال الراوى) فلما أصبح الصباح كان أول من انتبه من النوم الملك يوحنا فوجد عند رأسه رأس بلا جثة وعلى رأسه خنجر أمضى من القضا وتلك الرأس عنده فى الفراش فلما رأى ذلك ذهل عقله وطاش وأخذته الرعدة والارتعاش وصاح صيحة بملء رأسه فوثبت البطارقة من حوله وقالوا مابالك أيها الملك فرمى اليهما الرأس والخنجر فعرفوها أنها رأس قسطه وقد شرب الموت الأحمر فصاحت البطارقة وقالوا وحق المسيح مافعل هذا عامدا إلا الملك يوحنا حتى لايبقى لنا رأس تشتال وجردوا البطارقة السيوف وكذلك فعلت بطارقة يوحنا والتقت الطائفتين وزعق فيهم غراب البين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل من الغلس إلى الضحى وقد قتل منهم ألف وستمائة بطريق من الطائفتين وانهزمت الملاقطة من أصحاب يوحنا إلى مراكبهم وطلبت من يوحنا الأمان فآمنهم ثم منعهم من الاقلاع وقال لهم وحق الانجيل الصحيح والمذبح والذبيح ومريم القديسة والراهب لوقا خادم الكنيسة ما عندى من أمر قسطه خبر فائتونى بالراهب شومدرس حتى يقف على هذه المصيبة (قال الراوى) فمضوا وعادوا وهم يصيحون بالويل والثبور وقالوا ان شومدرس والأسارى قد فقدوا وما لنا بهم علم من حين رقدوا (قال) فهم فى الكلام والصباح قد علا من فوق القصر ياويلكم أنا أبو محمد البطال وأنا الذى فعلت هذه الفعال وإنما تركت يوحنا حتى يعلم أننى أبقيت عليه ولا يخالفنى وأنا الليلة قد عزمت كيف أقطع رأسه واخمد أنفاسه (قال الراوى) راوى سيرة المجاهدين وأبطال الموحدين رضوان الله عليهم أجمعين فلما سمع يوحنا هذا القول من أبو محمد البطال داخله الفزع والجزع والزمع من البطال فقال ياأبا محمد قل ما تريد فنحن لك أطوع من العبيد فقال أريد مركبنا كما كان أولا وفيه أمتعتنا ومالنا ومايتقص حبه وتزيد اليه كل شىء وترجع اليه بالأموال وما كان فيه من آلة الحرب والقتال وتأتونا به إلى باب البحر إلى المينا وننزل فيه وقد بلغنا المنى ونحن نقسم لكم بربنا وما نعتقده من ديننا لانأخذ من هذا القصر الذى نحن فيه شىء يسوى درهم واحد فقال يوحنا السمع والطاعة وأنا أجيبكم فى هذه الساعة إلى ما طلبتم ثم قال بحق دينكم أين شومدرس فقال البطال عندى محبوس يستاهل الضرب والبؤس ثم قال البطال وعندنا أيضا افتونا أخذناها هى وأمها فقال يوحنا لأصحابه وحق المسيح لقد

أحسن الينا أبا محمد الشيطان والا كان أخذنا فى حبال الذل والهوان وان لم يقتلنا وإلا يردينا من العذاب ألوان فصلبت البطارقة على وجهها وقالوا ياملك مافى الأمر إلا أننا نجيب القوم إلى ما يريدون فقال الملك انزلوا مركبهم إلى البحر ففعلوا ذلك وأنزلوا فيه كل ماكان فيه من المال والثياب والزاد والمال وجميع العدد والزرد وصاح يوحنا ياأبامحمد يابطال اعلم أننا أنزلنا لكم مركبكم وأموالكم وكلما تحتاجون اليه من سائر الألوان وما بقى إلا الايمان ونحن نحاف لكم وتحلفوا لنا ان لا يؤخذ لى من حصنى مال ولا نوال ولانساء ولا أطفال فقال البطال سمعا وطاعه (قال الراوى) ثم ان القوم قد عزموا على الايمان وإذا بالصياح والزعاق قد ملأ الآفاق فى البحر وقد امتلأ بالمراكب والصياح من كل جانب وهم بعدد النجوم وقطر الغيوم فلما رأى ذلك الملك يوحنا أقبل على قومه وقال لهم ماتريدون فى هذا الأمر المشكل وكيف يكون العمل ونحن قد وقعنا بين بحرين زاخرين وحجرين دامغين هؤلاء الذين قد ملكوا حصننا وأغصبونا على حريمنا والثانى هؤلاء الملافطه الذين قد أقبلوا إلينا وأصحابهم قد أوصلوا الاسيه إلينا وقد علمتم ما جرى بيننا وفى هذه الساعة يصل نسطرونا وهو رجل جبار وليث مغوار وفارس كرار وهو من جبابرة الأرض والساعة يظن اننا قتلنا صاحبه قسطه وما قتله إلا البطال وهذا أمر ما كان باختيارنا فقالوا بطارقته وكيف العمل أيها الملك فقال الملك يوحنا الرأى عندى أن تصبروا إلى أن يقدموا هؤلاء القوم علينا ويصلون إلينا ونقول لهم على ما جرى فان قبلوا عذرنا غدرنا بهم ونرجع عن مصالحتهم واننا نتفق عليهم ونتعاون على هؤلاء الموحدين ونقاتلهم وهم فى الحصن ودع يجرى ما يجرى على أهلى وأولادى وان لم يقبلوا عذرنا أسندنا ظهورنا للحصن وقاتلناهم وأنا أعلم ان المسلمين ما يقعدوا عنا وقد سمعت بحمية عبد الوهاب أمير بنى كلاب ومن معه من الأصحاب (قال الراوى) وصبروا حتى وصلت المراكب الكبار وفيها الخيل العتاق فأخرجوها إلى الساحل وقد امتلأت الأرض بصهيلها وأقلبت الآفاق وضاقت الدنيا على أهلها (قال) وكانت هذه الجزيرة اريس مثل البرج المشيد وصور حصنها أقوى من الحديد لانه بنى من الصخر الأسود الاصم وأذيبت به الرصاص وهى فى وسط البحر والبحر متصل من الجانب الواحد مسيرة يوم وليله ثم ينقطع من الجانبين فى ميدانها مدد العين (يا سادة) وان الملك نسطرونا لما ألصق المراكب للبر وطلعوا كما ذكرنا نادى الملك يوحنا وقال أريد منك أفتونا وأمها يكونوا عندى فى أجل مكان فقال يوحنا وحق المسيح ان حديثها عجيب وأمرها غريب والسبب فى ذلك انها كانت هى وأمها عندى والبطريق قسطه فى حصنى نائم فلم أشعر إلا ورأسه

عندى فى الفراش والخنجر الذى قتل به عند رأسي وان أفتونا أخذت مع الاسارى والراهب شومدرس أيضا ولولا أجلى كان فيه تأخير وإلا كنت قد هلكت وأنا أقسم بالمسيح ان ذلك ما كان باختيارى وان أصحابك نسبوا قتل قسطه إلى وتجبروا على وقتلوا جماعة من رجالى وفرسانى وأبطالى وزوجتى وأولادى أيضا مأسورين عند المسلمين وان قومى أرادوا قتلي ووقع بيننا السيف وحافوا علينا كل الحيف ولم أقدر على منعهم من حيث حميت الاكباد وظهرت الاحقاد وأنت فما يخفى عليك هـذا الأمر والدليل على ذلك أخذ المأسورين الذين كانوا عندى وأخذوا أيضا الراهب شومدرس فقال نسطرونا ياه وأخذوا الراهب وشومدرس قال يوحنا نعم وقد اشتغل وحق المسيح قلبى لاجله لانه وصل إلى بـــلادنا وما تهنينا به فقال نسطرونا ولم منعت البطارقه عن القتال والحرب والنزال فى أول يوم قاتلوهم المسلمين فقال يوحنا كان فينا لهم ولا لقتالهم فان أردت أن تجرب قتالهم فدونك وإياهم قاتلهم اليوم حتى تعلم إننا ما قلنا ذلك إلا من وجه الاشفاق لامن طريق الغيظ والنفاق (قال الراوى) فلما سمع نسطرونا ذلك قال كنا نسمع بحديث البطال وأعماله فى سائر الاطلال ولولا خوفى من المسيح لضربت رقبتك فى كل حال ويلك وكم هم يكونوا أعداءك فقال يوحنا ماهم غير ثلاثة عشر رجلا وامرأة وقد فعلوا بنا هـذه الفعال وهم أيها الملك الذين قتلوا غيضورس وأسقوه كاس الوبال ونهبوا كرجانه وأخذوا منها الأموال فخذ الحذر ودع عنك المحال فان الرجل عفاريت والمرأة شيطانه وهى التى قتلت ملك كرجانه فعند ذلك ضحك نسطرونا من قوله وقال له لقد سلب عقلك وقل خيرك وزاد جهلك وحق المسيح انى أرى عار عظيم أن يبرزوا إلى الرفيع منهم والوضيع وأنا قادر على أخذ نفوسهم فقال يوحنا وحق المسيح ما هـذا عار وما هو إلا علو وافتخار وأنت تعلم ان ما كان حسره توفيل والملك لاوون ومنويل وعرمانوس وميخائيل وسائر ملوك الروم واليونان إلا هؤلاء الفرسان لاسيما ومعهم الخبيث الشيطان الذى يخاف منه شمعون ومريحنا المعمدان وقد ساقهم المسيح إلينا وأرمى سخطهم علينا وأنت تهون قدرهم وتستصغر شأنهم فقال نسطرونا فأنا أدعوهم إلى البراز فقال له يوحنا أيها الملك ان أنت ظفرت بهم فى مقام المجال فذلك كرامة لك واجلال ولا يبقى فى بـــلاد الروم من يذكر بالشجاعة سواك فى سائر الاطلال وان كنت أنا مالى جساره على الحرب والقتال فلى بصيرة بأرباب الطعن والنزال فاسأل المسيح أن ينصرك وعسى تنال منهم غاية الآمال وتقتل الجميع وتخرب منهم الآجال فان أنت فرجت عنا هذه الكربه فكلنا نصير تحت أمرك ونهيك وتطيعك النســـاء

منا والرجال (قال الراوى) فلما سمع نسطرونا كلام يوحنا رق له لحاله وقال له طب نفسا وقر عينا فلا يكون إلا ما تريد ولابد أن أقودهم بين يديك مثل العبيد وقد عولت اننى فى غداة غد أدعوهم إلى البراز فان أجابوا فأنا أكفيك شرهم ولو كانوا أضعافهم وان هم أبو ذلك فقد وصل معى أقوام يتسلقون فى الاصوار مثل تسليق الفار فقال يوحنا هــذا هو الرأى السديد الذى ينفى العار والذل والشنار لاننى أخبرك أيها الملك أن مع هؤلاء القوم رجل ينزل الينا بالليل ويحملنا أربعين أربعين ولو أراد قتلنا كان يقتلنا الستين والسبعين ومانحن عنده بسيمة العالمين فقال الملك ويلك ومن هو ذلك فقال المصور عندنا فى الكنائس الممثل فى المجالس الذى تفزع منه الملوك فى قصورها والبطارقة فى دورها الخبيث المحتال المقتدر على الجد والمحال أبو محمد البطال فقال نسطرونا سوف ترى ما أصنع به فوحق المسيح لأقتلنه أشر قتله ولأمثلن به أقبح مثله فقال يوحنا صدقت أيها الملك بعد أن تقتل أربعة من هؤلاء القوم فقال نسطرونا من هم الأربعة قال ذات الهمة وعبد الوهاب وسيف الحنيفية وظالم فهم الذين أفنوا الروم ومايبقوا الباقين إلا طعام السيوف الهندية (قال) ولم يزل الملك فى غيظه إلى أن انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال سوف ترون ما أصنع بهذه العصابة الإسلامية فقال يوحنا اركب أيها الملك جوادك وازحف اليهم بأجنادك ونادى بهم إلى القتال والطعن والنزال فلابد لهم من إحدى الأمرين امايخرجوا فيكونوا قد ألقوا نفوسهم إلى الهلاك وسوء الارتباك وان امتنعوا ذلك ففى القتال تنال أربك منهم فقال نسطرونا لقد قلت الصواب ولابد لهم من هذه الأسباب فان خرجوا والا نقبنا عليهم وأوصلنا الأذية اليهم (قال الراوى) وكان هذا الملك يسمى بنسطرونا ونسطرويا ثم انه أمر رجاله إلى الزحف إلى باب الحصن فزحفوا كانهم الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر وهم بالعدة الكاملة والآلة الشاملة ثم صاحوا صيحة تخيل للأمير أن الزرقاء الخضراء انقلبت على الغبراء ونظروا الأمراء إلى ذلك العالم العظيم الذى قد زحف اليهم فقال الأمير عبد الوهاب ان تراخينا اليهم حتى يصلوا إلى الجدار قلعوا منا الآثار وأبلونا بالدمار فقالوا الأمراء صدقت (قال الراوى) وماهم إلا أن أشرفوا على الروم حتى صاح بهم نسطرونا وخرج بنفسه مدلا بالشجاعة والقوة والبراعة وصاح صوتا مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف ويلكم قد حبستم نفوسكم خلف هذا الجدار مثل النسوان والجوار وما هذا الذى كنا نسمع عنكم وأنتم المذكورين فى سائر بلاد الروم أجمعين وما نراكم إلادون ذلك الوصف بشىء كثير لما نرى فيكم من الذل والتقصير فان كان هذا خوفا من الجمع فلاعليكم عتب ولاملام

وذلك إن الانسان لايقدر يحمل نفسه مالاطاقة له به الا أن يكون جاهلا بأمره وها أنا الملك نسطرونا صاحب هذا الجمع وقائد هذا الجيش وأنا أدعوكم للطعان والضراب فان كنتم كاقيل فيكم فافتحوا الباب وليخرج إلى أفرسكم من يعد من الأقران وألتقى أناوإياه فى ساحة الميدان فان هو قهرنى يكون سبب الصلح بينى وبينكم وترجعون إلى بلادكم وان أنا قهرته يخرج إلى غيره على ما كان عليه صاحبه حتى أطاعنه فان أجبتم إلى هذا المقال فهو فعل الكرام وان أبيتم ذلك فمعى رجال وأى رجال لو أمرتهم أن يرموا حجارة هذا الحصن إلى البحر لفعلوا ذلك (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك فرح وقال للأميره ذات الهمة والله لقد جاءنا الساعة أمر جيد ما نخافه إن شاء الله تعالى والقضاء موكل بتلافه وان هلك نسطرونا مايقام للروم رأس ولامن يصل لهم من الناس ويتبدد رأيهم ويعتريهم البأس ثم قال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر على هذا المثاب فافتحوا الباب ويخرج اليهم منا واحد بعد واحد مقدار خمس أو ست ويبقوا الباقين واقفين على الباب يحفظوا باب الحصن من كل جانب وفى أيديهم القواضب حتى لا يكون علينا من هؤلاء الكواذب ساعة يفتح الباب يهجمون كردوس واحد وتحل بنا المصائب فقالت الأميرة ذات الهمة أرجو من مالك الممالك ان يكون الأمير بخلاف ذلك (قال الراوى) ونزل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وسائر الأمراء وقصدت الأميرة الى زوجه الملك يوحنا وسألها عن خزانة السلاح فقالت هى ههنا ثم فتحت لها الباب فرأت الأميرة من السلاح ما أذهل عقلها لان جميع مافى الخزانة مطلى بالذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر فأخذت الأميرة ما أعجبها من السلاح وآلة الحرب والكفاح وقالت زوجة الملك يوحنا للأميرة ذات الهمة وحق المسيح اننى أعجبنى صبركم وكنت أشتهى أن يقع الصلح بيننا وبينكم حتى تمضون إلى بلادكم وتكونوا لنا أصدقاء وتهدوا لنا الهدايا ولابد أن يحوجنا الدهر اليكم وتحتاجون الينا ويكون فضلكم علينا (قال) فأعجب الأميرة عدة لم يكن للمعتصم مثلها ولبس أيضا الأمير عبد الوهاب وسائر الأمراء وكان قصد بحرون ان يقاتل ويورى أفتونا شجاعته وقوته وبراعته وكانوا كلهم رجاله (قال الراوى) ثم فتحوا باب اصطبل يوحنا وأخرجوا منها خيول مثل السلاهب لا يوجد مثلهم فى المشارق والمغارب وهم كانهم العرائس معلوفين يزهوا مثل الطواوس فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى تلك الخيول قال للبطال يا أبا محمد من كان يعلق على هؤلاء الخيول فى هذه الأيام فقال خادمك البطال لأنى ما كان لى شغل إلا علف هذه الخيل وأفتقدهم بالنهار والليل

فقال الأمير عبد الوهاب ياأبا محمد جزاك الله كل خير عنا وعن المسلمين فلم لاأعلمتنى قبل أن أراها فقال البطال لو كنت أعلمتك بهذا الأمر قبل الحاجة اليه ما كنت الساعة قد فرحت هذا الفرح ولا كان زال عنك الهم والترح وأنا أشتهى أن يدخل على قلبك اليوم الفرح وعلى قلوب هذه المجاهدين لكى أنال الثواب من رب العالمين فتعجب الأمير عبد الوهاب من همة الأمير أبو محمد البطال ثم أن الامير أخرج الخيول وأخذ منها مايحتاجون اليه هو وأصحابه ولم يكن فى الكل مثل الحصان الذى قد أخذته الاميرة ذات الهمه اللبوة المصممة لأنها كانت أخبر الناس بصفات الخيل وأخذت جواد أبلق كبير الحدق له غرة كالهلال إذا أشرق ونواظر كالليل إذا غسق وسهيله مثل الرعد إذا خفق وهو فى مشيه أسرع من البرق إذا برق وأعجل من الماء إذا اندفق راكبه كأنه على ظهر السحاب له من الاسد وثبنة ومن الغزال لفتته ومن الماء اندفاقه ومن الثعلب زوغته واستباقه (قال الراوى) فلما ركبت الأميرة على ذلك الجواد وخرجت خرج من بعدها الأمير الأسود الأجل الأمجد والشجاع الأسود الأسد الكاسر والبحر الزاخر الذى من المريخ حسامه ومن المشترى سنانه ومن الفلك أقدامه ومن الشهاب الثاقب انهجامه ومن البحر كرمه ومن الغيث نعمه الليث المهاب والأسد الوثاب سيد بنى كلاب الأمير عبد الوهاب وخرج من بعده الأمير ظالم وهو كانه الأسد الغاشم وخرج من بعده بحرون ووقف الباقون فى الباب يحفظونه من الروم الكلاب وقال الأمير لأصحابه الذين وقفوا على الباب ان جالت الروم بيننا وبينكم فاغلقوا الباب من دوننا وبالله المستعان على عدونا (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الأميرة ذات الهمة كانها اللبوه المصممه وقربت من الملك نسطرونا وصاحت به وأشارت إليه وهجمت عليه فلما نظر الملك يوحنا إلى الأميرة وعليها تلك العدة المثمنه وهى على ذلك الجواد وفى كفها تلك القنطاريه ومتقلده بذلك السيف المجلى علم انها عدته فقال للملك نسطرونا دونك وهذا الفارس ولا تهابه فقد أغاظنى اعجابه وانفراده من دون أصحابه ولا شك ان يديه من هذه القنطاريه قد خدرت وصورته منك اندعرت (قال الراوى) وكان قصد يوحنا ضرب رقبة نسطرونا فان هى قلبه منه حزارات واحقاد وكان خائف أن يأخذ مراكبه التى فى البحر ويسيرها إلى بلاده وكان لا يعرض لنسطور ياقتال ولا حرب إلا ويطلب من يوحنا الخراج والأموال والخيام والاثقال (يا سادة) فلما سمع نسطوريا كلام يوحنا صاح صيحة عظيمة وقال يا ويلكم دونكم وهذا الفارس فقالت الأميرة ياكلاب الروم دونكم والقتال فارس لفارس أو عشرة لفارس أو مائه لفارس فقال نسطرونا لاصحابه بل أنا أبرز إلى الجميع وحدى فقال

له يوحنا وحق المسيح ان هذه فى الفروسية لا ترام وما قصدت أيها الملك بهذا الكلام إلا حتى تلقى الهيبة فى قلوبهم فان قدرت أن تبادرهم بالحمله فافعل فان البدرة لمن بدر والاسم لمن قهر وأنا أؤمل من المسيح أن ينصرك عليهم حتى تفوز بالذكر الجميل والثناء الجزيل (قال) فحمل صدر نسطرونا وتقدم برمحه وحمل على الأمير ةذات الهمة والأمير عبد الوهاب وأشار اليهما أن احملا كلا كما حتى أقاتلكما جميعا فقالت الأميرة ذات الهمة للأمير عبد الوهاب والله لا يقاتلهم أحد غيرى ثم ان الأميرة صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وقد أنشدت وجعلت تقول :

سيعلم هذا الجمع انى ملية ... بحربك وحدى يا خبيث العناصر
وانى سأردى شلوك اليوم ثاويا ... بحد سنان أو بضرب البواتر
وبالله ما صيرت نفسى جليدة ... على الحرب اعجابا بفعل العساكر
ولا زعمت نفسى بمال جمعته ... ولا افتخرت يوما بفعل المغادر
ولكن طلبت الله لارب غيره ... فباعدت كونى فى حدود الحداور
وصرت عن الاسلام أحمى بصارمى ... وأطعن فى صدر الهزبر المبادر
وأروى سنانى من دما كل ملحد ... وأغمد سيفى فى دما كل كافر
ولست أبالى إن أموت لاننى ... أؤمل قتلى من فعال الأكابر
وما العمر إلا مستعار لانه ... خيال أتانا طارق شبه زائر
فجد وابتغى الجنات منه فانها ... مكاسب آمال وجمع ذخائر
وصلى على المبعوث من آل هاشم ... وعنصره والله خير العناصر
فانى به أرجو الاله يجود لى ... ويرحمنى عند انضجاع المقابر
ويغفر لى والمسلمين جميعهم ... ويختم بخير فهو لى خير ناصر
فيامن علا فوق العلا دائما أنا ... سألتك يامن قد علمت سرائرى
تصلى عل خير الأنام محمد ... وترحم آبائى وجمع عشائرى
على المصطفى صلى الاله تكرما ... وشرفه ياحبذا خير حاضر
كذا الآل والأصحاب ماهبت الصبا ... ومالاح برق فى دجى وهو عاكر
وما ناح قمرى وما فاح من شذا ... له أوج بالمسك والند عاطر

(قال الراوى) ثم صاحت بعد ذلك الأميره ذات الهمة على نسطرونا فخيل له أن السماء انطبقت على الأرض وحملت عليه وحمل عليها أيضا وأخذا فى الحرب والقتال والطعن والنزال وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعنا (قال الراوى) وكان الملك

نسطوريا من الشجاعة بمكان عظيم ومحل جسيم وكانت لهما ساعة يشيب من هولها الطفل الفطيم ويخاف من هولها الشيطان الرجيم وكان الواقعة لاغبار فيها ولم تحجب فعال الفارسين عن أعين الأقران وهما فى وسط الميدان وقد تعجب منهما الشجعان فما رأت العيون أمضى من صارم أم الأسود الفارس الأمجد والصارم المهند الاان نسطوريا رأى منها ما أهاله وما غير أحواله وتم الأمر على ذلك الحال وهى تفعل تلك الفعال حتى خنق نسطوريا غاية الخنق وحمل عليها وأطبق وطعنها طعنة صادقة فانقلبت الأميرة صارت حزاما للجواد فمضت تلك الطعنة خايبة غير صايبة وعادت الأميرة الى ظهر الجواد وحملت على نسطوريا حملة منكرة وقرعت بالرمح رأسه ولو أرادت قتلة كانت قتلته ولكن عفت عنه لماطعنته وإنما أرادت أن تلقى الهيبة فى قلوب أصحابه وعلم الملك نسطورونا أنها أبقت عليه فعند ذلك جرد حسامه وحمل عليها باهتمامه فرمت الأميرة القنطارية عن يدها وهجمت عليه وقد انتضت سيفها واختلاف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الأميرة ذات الهمة فوقعت الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه فانقلب وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فصاح يوحنا فى عقيب الضربة وقال خذها ياقرنان فانت تلومنى على قتال هؤلاء الشجعان (قال الراوى) وكبرت الأميرة ذات الهمة وكبر الأمير عبد الوهاب وسائر الأمراء والأصحاب وحملت فرسان الملافطة بأسرهم فاستقبلتهم الأمراء مثل ظالم ومثل سيف الحنيفية وهارون العلوى وراشد بن ضمره وبحرون (قال الراوى) فنظرت الملافطة إلى هذه الشرذمة اليسيره وقد حملت عليهم فطمعوا فيهم ودارت بينهم طاحون الحرب وعمل كل صارم عضب وقوى الطعن والضرب (قال) وهمهم الأمير عبد الوهاب وأرما الروم على التراب وحمل الأمير ظالم كانه الأسد الهاجم وقد أخذته النخوة العربية وزعق فيهم بحرون وهو مثل المجنون حتى تراه أفتونا وتعجب من قتاله وما كانت إلا ساعة حتى فرقوا الروم يمين وشمال وهججوهم طالبين المراكب الطوال وبعضهم أرمى رمحه فى لجج البحار وأخذوا منهم أكثر من أربعمائة أسير وانهزموا الباقون بالذل والتقصير (قال الراوى) فلما رأت الملافطه من قتل منهم ومن أسر من الفرسان ومن عدم من الشجعان صاحوا للملك يوحنا انجدنا فقال لا وحق المسيح لا كان ذلك أبدا وما بينى وبينكم معاملة وأما هؤلاء المسلمين فما بينى وبينهم إلا المسالمة والخير ثم أن يوحنا أقبل على قومه وقال لهم يا ويلكم كم أخذوا لكم الملافطه مراكب وكم أبلوكم بالذل والتقصير وكم نهبوا أموالكم مع من نهب فخذوا بثاركم واكشفوا عاركم (قال) فلما سمعوا قومه كلامه تذكروا الحقد القديم وحملوا على الملافطة حملة الحنق وما منهم إلا من صاح وزعق

وحمل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فلم يقف من الملاقطة أحد وطلعوا المراكب وقد غرق منهم عالم عظيم أكثر مما قتل ولم يسلم منهم إلا من سبق إلى مركبه وكتب فى القدم نجاته من عطبه ورفعوا القلوع ولججوا فى البحار وطلبوا صوب الديار وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وما سلموا إلا بعدم المراكب جزيرة اريس لانها كلها على البر فهذا كان سبب نجاتهم لكن لما انهزموا الملافطه خافوا أموالهم وأثقالهم ورحالهم (قال الراوى) وبعد ذلك عادت الأمراء طالبين الحصن فترجل لهم يوحنا وقبل الأرض بين أيديهم ومشا فمنعه الأمير عبد الوهاب ذلك وأمره بالركوب وقال له طب نفسا وقر عينا فما ينالك منا إلا الخير ولكن المرجو مركبنا فى البحله وضيفوا اليه مركب آخر ففعلوا ذلك وان الأمير رفع إلى المركب ضيغم وشومدرس وأفتونا وأمها وكانت أفتونا لما رأت وتحققت أن امها اسلمت ورأت بحرون وقد هواها فمال قلبها إلى الإسلام وتوحيد الملك العلام فقالت وكيف أقول حتى اصير مسلمة قال قولى أشهد إن لا إله إلا الله وأشهدى أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنطقت بالشهادتين فزوجوها لبحرون ودخل عليها وقضى اربه منها فلما كان عند الصباح قال الأمير للملك يوحنا ياملك قد فعلنا فى حقك فعل ما فعله واحد وهذه الغنيمة غنمناها من الملافطة وهي مبلغ عظيم فما كان فيها من ذهب وفضة فهو لنا وما كان فيها من عده وخيل وقماش فهو لكم فقال يوحنا لاوحق المسيح ما نتعرض لكم بشىء من ذلك ولا بدرهم واحد بل خذوا مهما قدرتم عليه ومهما عجزتم عنه أنا أعطيكم ثمنه (قال) ورفع الأمير إلى المركب الثانى مال جزيل وأوثقها وثق عظيم والباقى أخذ ثمنه من الملك يوحنا عشرين ألف دينا وطلع الأمير وأصحابه المركب ونزل البطال ولؤلؤ ومذبحون فى مركب المال وأقلعوا وساروا سير الاطمئنان وقد فرج الله عنهم تلك الشدائد التى كانوا يقولوا انهم ما يخلصوا منها أبدا وهم فى وسط بلاد الأعداء وطاب لهم الهوى وسكن لهم البحر باذن اللطيف الخبير وطلبوا بر السويدية ولم يزالوا فى المسير فى هواء لطيف لم يشاهدوا مثله ولا أرق منه ولا أطيب إلى أن لاح لهم بر السويدية فكبروا الأمراء وشكروا الله تعالى وكان مدة سيرهم خمسة وثلاثين يوما (قال الراوى) ولما لاحت قلوعهم لأهل السويدية ضربت البوقات وخرجت المراكب لكشف الخبر من أجل هذه وقد أظهروا السلاح وجردوا الصفاح فقال البطال ان صدق حذرى فالصلح قد انفسخ بين ملك الروم وبين المعتصم والدليل على ذلك خروج أهل السويدية الينا فانهم خرجوا خروج من يريد الحرب والطعن والضرب وهم يظنونا مراكب قد أرمانا الهوى لغير

اختيارنا فقالت الأميرة صدقت يا أبو محمد فهذا الأمر لا يخلو من حالين أن يكون المعتصم لما فقدنا قد سار طالب بنا أرمانوس وذكر أرمانوس انه ماعنده مناخبر فخرج إليه فى عساكر المسلمين أن يكون ملك الروم قد طمع فى الموحدين بعد غيبتنا وغزا الخليفة فى عسكر المشركين لاسيما إن كان عقبة سالم وحرض أرمانوس على ذلك بخبثه ومكره فقال شومدرس أما عقبة فقد كفيتم شره لانى وضعته فى مطموره تحت الأرض كما ذكرت لكم وما يعلم به أحد ولاشك انه مات وبقيت عظامه رفات فقال الأمير عبد الوهاب والله ما كان هذا مرادى وما كان نيتى إلا أن اصلبه على باب الذهب ولكن إذا صح هذا الأمر والسبب رحت إلى الدير ودخلت المطموره وأخذت رأسه علقتها على باب الذهب حتى انى أبلغ ما أريد ولكن حتى أعرف ما قد جرى (قال الراوى) ولم تزل مراكب السويدية تسير إلى أن توسطوا البحر ثم دفعوا جملة ودنوا من مراكب الأمراء ونادوا بالروميه ياويلكم سلموا بلاكان ولاصار والا قطعناكم بكل صارم بتار وكان المنادى الأمير جوال بن مزاحم الطرابلسى (قال الراوى) وكان هذا جوال قد سخط عليه الخليفة وأخذ منه مال كثير ونوال وأمر بقتله فى الحال فشفع فيه الأمير عبد الوهاب واستوهبه من الخليفة واصطنعه لما كان الأمير يسمع عن كرمه وعن شجاعته وقوته وبراعته (قال الراوى) ولقد سألت عن جوال فقيل لى أنه ماروى فى زمانه أكرم منه وانه ما كان يرد سائلا قط وكان شجاعا فى الحرب فارسا فى الطعن والضرب وقد ذكر عنه انه فى بعض الأيام بارز بطريقا من البطارقة فى الثغور وهو من كبار البطارقة وكان البطريق قد أشرف من الأمير جوال على الموت فنداه يامسلم ان فرسى قد عيا وأسألك أن تمهلنى حتى أغير جوادى وأعود فقال جوال دونك وما تريد فرجع البطريق وأخذ سيفا وترسا وفرسا غيره ورجع اليه وتضاربا حتى انقطع سيف البطريق فقال له يامسلم أسألك أن تعطينى سيفك هذا لأنى أراه قويا على وقع المضارب أو تمهلنى حتى أعود وآتى بسيف غير هذا فقال جوال خذ سيفى اليك ثم أرما سيفه اليه وقاتله بسيف الركاب ولم يزالا يتجاولان حتى وقعت الجوادين من تحتهما فى وسط الميدان وخدرت المناكب من شدة المضارب ثم ركبا على غير تلك الخيول وجالا عرضا وطول إلى أن تعبت الخيول ولم يقدرا أن يرفعا أيديهما من الأرض من شدة الركض فقال له البطريق يامسلم هل لك أن تترجل وأتصارع أنا واياك على الأرض فقال جوال نعم فترجلا الاثنين عن الجوادين ودخلا فى بعضهما بعض وأخذا فى الانبرام والبعد والالتزام وتعاركا على وجه تلك الأرض عراك من لم يعلم لمن ذلك فرض حتى أن أضجره جوال وأتعبته الأوصال وصرخ فيه جوال صرخة الأسد الريبال وقد أدعره

وأرعبه وحيره وشاله على يديه وجلد به الأرض واستوى سريعا جاثما على صدره ووضع الخنجر على نحره فقال له البطريق يامسلم ان لى والدة كبيرة وأخت صغيرة فكل واحدة منهما تشتهى أن ترانى وهما باكيتان من أجل غيبتى فكيف إذا سمعتا بقتلى وصرعتى وتعجيل منيتى فبحق دينك لاتفجعهما فى فان أردت المال فعلى المال واسمع منى هذا المقال فقال له جوال وقد قام عن صدره خذ الطريق اليهما وادخلى عليهما فقد وهبتك روحك ومالك فتعجب البطريق من فعاله وعلم ان مافى زمانه مثله وقال يامسلم وحق المسيح وحق دينى مافعل هذا مع الروم أحد غيرك وهذه رحمة منك لنا وشفقة منك علينا فقال جوال إنى والله لم أفعل ما فعلته معك على وجه الاشفاق والكذب لا خير فيه ولكن عودت نفسى عادة أن لاأرد سائلا قط كاذبا أوصادقا وقد تعودت بهذا فطما ورضيعا فقال له البطريق وحق المسيح انى قد أحببت صحبتك وان أكون عبدك وفى خدمتك وأمدد يدك فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد الله على أنى أمضى إلى بلاد الروم وآخذ أمى وأختى وأقصد اليك ففى أى البلاد تكون فقال فى ترابلس الشام (قال الراوى) وبعد ذلك رجع البطريق ودخل إلى عسكر الروم وقد أخفى دين الاسلام ولم يثبت دون أن دخل إلى بلاد الروم وأخذ أمه وأخته وعول على انطاكية وسار منها إلى ترابلس وكان كلما مر بقرية أو بلد يقول أنا عتيق فلان فيكرم لأجله فى كل مكان ويزودوه ويحملوه إلى أن وصل إلى جوال ففعل فى حقه ما يعجز الناقل عن وصفه وأحاطته وأسلمت أمه وأخته وقال له البطريق فى بعض الأيام يامولاى ما أرى انى أكافئك على ما فعلت معى من الفعال فقال له جوال قد تفضلت على غاية الافضال بدخولك فى الاسلام أنت وأمك وأختك وهذا هو الاكرام (ياسادة) وكان اسلامه ببركة جوال وكان من الدين بمكان عظيم وهو يمشى على الصراط المستقيم (قال الراوى) ولا بد ما نشرح كيف كان سبب غضب الخليفة على جوال حتى يستلذ المستمع بهذا الكلام ولا يبقى على المحدث عتب ولا ملام وذلك أن انسان اتى الخليفة وكان شاعر البيبا فامتدحه بأبيات فخلع عليه الخليفة وأعطاه وأرضاه وقصد الشاعر إلى الأمير جوال لأجل ماسمع عنه من الكرم والافضال فوصل اليه ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه وذكر له أنه كان قصد الخليفة وأنعم عليه فقال له جوال كم أعطاك الخليفة من الخلع والأموال فقال له كذا وذكر له شىء كثير بسلوى خمسمائة دينار ثم أن الشاعر أنشد

أتيت ابغى الفتى جوال امدحه * مع غبطة وسرور ليس افقده

أنت الكريم عـلى الدنيا بأجمعها * أنت الذى لم تزل للخير تقصده
ومن أحق بمدح من فتى كرما * قد عودت بالعطايا والندا يده
والله للخير والاحسان وفقه * لكل خير ومعروف ليرشده
مولى سما فى العلا فوق السماء وقد * علا على الفلك الأعلى وفرقده
والله يجزى الفتى خيرا بنعمته * وفى مسرة دنياه يمدده
مولاى جوال عش وأبق لفقرفتى * فلا برحت لذا المسكين ترفده
لا زلت فى نعم لا زلت فى كرم * لكل شخص رزى فى الحال تسعده
لا زلت فى هذه الدنيا تعيش لنا * ما لاح فى الشفق البادى توقده

(قال الراوى) فلما سمع جوال من الشاعر هذا المقال أعطاه ما يساوى ألف دينار فبلغ ذلك الفعل الخليفة فقال ما فعل فى مقابلة فعلنا إلا حتى يقال عنه أنه أكرم منا ثم أمر بالقبض عليه والحوطة على جميع أمواله ونواله وسائر أحواله وأن يحمل إلى بغداد وكان لما يريد الله من سلامته أن الأمير عبد الوهاب كان فى بغداد فسأل الخليفة فيه فخلصه وأكرمه الأمير غاية الاكرام وخلع عليه وأوصل له جميع ماله وأرفده الأمير من عنده بشىء زيادة عن حاله وكان مع الأمير مدة مقامه فى بغداذ ولما عزم الأمير على السفر قال له اين تريد من البلاد قال له يا مولاى أريد ترابلس الشام لأن مقامى بها وأهلى فيها وقد انجزعوا لما قد جرى على فودعه الأمير وسيره إلى ترابلس الشام (قال الراوى) وكان فيها رجل يتعرض لجوال ويبغضه لأجل كرمه وشجاعته وحسده أيضا على حالته وهو الذى كان رافع فيه الخليفة حتى أخذ ماله وسلم من القتل وكان ذلك الرجل يقال له مانع بن ضابط الخير فكان ابخل أهل زمانه وقدشاع عنه البخل فى سائر البلاد وهو الذى قال فيه الشاعر حيث يقول

أيا مانعا للخير فى كل حالة * ومن هو منسوب إلى الشح والبخل
فلو كان جمع المال ينفع أهله * لصرف ضيق الصدر يوما من الشغل
واصرف عن قارون يوما لعله * نجا من قضاء الله والخسف والذل
فلله من قد قال اسمك مانعا * فوافق اسم قد نجل عن الفعل
واسم أبيك الآن ضابط أنه * سيضبط كل الخير من عدم العقل

(قال الراوى) فلما علم مانع بعودة جوال إلى طرابلس عظم عليه وكبر لديه وسأل عن السبب الموجب بخلاصه فقيل له الأمير عبد الوهاب قد شفع فيه لم يقدر أن يتكلم فى شأنه بكلمة واحدة وعلم أن الأمير عبد الوهاب قد شفع فيه فلم يقدر أن يتكلم فى شأنه بكلمة واحدة

وعلم أن شفيعه لا يخالف ولا يناوش فسكت مانع على غيظ منه وكان يتوقع قتله ولم يزال كذلك إلى أن انتشرت الأخبار فى سائر الأقطار أن الأمير عبدالوهاب وجميع الأمراء قد ضاعوا فى بلاد الروم وقدمضت عليهم الأيام والشهور وعاد أمرهم مشهور وجلس الخليفة فى العزا مدة سبعة أيام وكان سبب ذلك عقبة الملعون وسوف نذكر فى موضعه إن شاء الله تعالى (قال) ولما وصل الخبر إلى طرابلس جلس الوالى الذى كان فيها للعزا وأن مانع البخيل لما علم ذلك فرح وأيقن أن ركن جوال قد انهدم ولم يزل يبذل المال للوالى وغيره من أرباب الدولة إلى أن أخرجه من البلد بأهلة وجميع دوابه وأولاده وعائلته فوصل جوال إلى السويدية وأقام بها عند أصدقائه ومعارفه ولما ظهرت مراكب الأمراء خرج جوال مع من خرج الرجال (قال الراوى) فلما صاح جوال عرفه الأمير عبد الوهاب وقال ان كان الأمير جوال فى قيد الحياة فهو هذا لامحاله ونادى الأمير برفيع من صوته يا جوال الناس يقاتلون أحبابهم ويحاربون أصحابهم ويشاققون أخوانهم (قال الراوى) فلما سمع الأمير جوال والناس ذلك المقال أرتفع الصياح فى سائرالبطاح وصاح الأمير جوال ما أبركه من صباح هنونى ياقومى فقد زادت بى الأفراح ثم أرمى نفسه إلى صوب الأمير فصار معه فى المركب ولما حقق معرفته غشى عليه فبكى الأمير عبد الوهاب وصارت الناس تنادى وتقول يا سيوف الإسلام أكشف الغمة عن الامام فلو رأيتم إلى النساء الأرامل والأولاد أيتام والحراير قد سبوا والأبطال قد نكبوا والفرسان قد هلكوا والمشايخ قد ملكوا فالعجل العجل من الخوف على وجل وقد تحقق الناس أنكم هلكتم ومتم ودسرتم (قال الراوى) ورجعت مراكب السويدية بالفرح والإستبشار إلى البلد فانكروا ذلك ولم يبق صغير ولا كبير إلا ووقع فيهم النفير ووصلت إليهم الأخبار من أهلهم وضجت النسوان وأستغاثت الكهول والشبان ووصل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ونزل الوالى راجل وطرح روحه عليهم يقبل أيديهم ورفع الأمير عبد الوهاب ذلك المال والرجال والاثقال إلى البلد ونزل فى دار الأمارة وسأل عن الأحوال فقيل له يا امير إن الأمر عظيم والخطب جسيم وذلك كله لغيبتكم فقال الأمير فكيف القصة وأيش الخبر وكيف أخبار ماطية فقالوا له قد خربت ملطية فقال وكيف ذلك قال كل يوم تأتى الروم ومعهم ميمونه فتغار على لادنا وتنهب أموالنا وتقتل أولادنا وما انقطعت عنا إلا من يوم وصل الملعون أرمانوس إلى لقاء المعتصم ووصل إلى ملطية فتغير وجه الأمير لما سمع هذا الكلام المنكر وقال لصاحب الخبر إياك ثم إياك أن تطلع بأخبارنا أحدا فتعلم الخليفة بنا حتى ندركهم على

غفله ونتلقاهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأميرة لما جرى عليها ما جرى من الضيعان هى وبحرون وكذلك الأمراء وشومدرس الملعون كيف أخذهم وفعل بعقبة تلك الفعال ونزول فى المطمورة على أسوإ حال كما ذكرنا وان عقبه أقام من بعد رواح شومدرس بيوم وليله وقد نظر إلى نفسه فى تلك المطموره ونظر إلى حاله وهو فى أسوإ حالة فايس من الحياة وأيقن بالوفاة (قال الراوى) فبينما عقبه فى المطمورة وإذا بحس رجال معه فى المطمورة وكل واحد ينادى رفيقه فعرفهم عقبه وقال هؤلاء من بنى سليم ورب الكعبة (قال) ونظروه الآخرين فلم يعرفوه وقالوا له من أنت وايش قعودك هاهنا ومن الذى جابك إلى هذا المكان فقال لهم وقد أيقن بالسلامة من العطب أنا القاضى عقبه بن مصعب فلما سمعوا ذلك من كلامه عرفوه فعندها رموا أرواحهم عليه وبكوا على تلك الحالة التى هو فيها وقالوا له يا قاضى من فعل بك هذه الفعال فقال يا أولادى اللص المحتال أبو محمد البطال وعبد الوهاب وجماعة من الرجال وقد كانوا أتهمونى بذات الهمة فحلفت لهم بالله العظيم والنبي الكريم أن ما عندى منها خبر فلا يصدقونى وأخذونى وفى هذا المكان طرحونى حتى إذا بلغ حديثى الناس فقالوا فى بلاد الروم وجدناه فى حلية راهب أو شماس حتى يشهدوا على بذلك عند الخليفة وهو على كل حال خليفة الله فى أرضه وهو من نسل العباس والغالب عليه حدة المزاج لأنه شاب ولا ينكشف له ما ينكشف لآبائه من محال هؤلاء القوم وقلة دينهم ولى معهم وقفه بين يدى رب العالمين يوم تشخص فيه الأبصار وتحضر الجنة والنار يوم القارعة يوم الآزفة يومئذ يصدر الناس أشتاتا يوم يعض الظالم على يديه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا يوم تسير الجبال سيراً يوم الفزع والأهوال يوم يبقى على القدم ألف قدم من النساء والرجال ولا يعرف هذا من هذا من شدة الهول والزلزال فذلك اليوم آخذ حقى من عبد الوهاب وامه البطال فان هذا الجهاد الذى يجاهدوه ليس هو خالص الملك المتعال بل هو ريا ونفاق ولأجل جمع المال وأخذ الجوار الحسان من بنات الروم الغوال فلما سمع القوم من عقبة هذا الوعظ والمقال حلوا كتافه فى ساعة الحال وهم باكيين عليه فقال لهم من أين طريقكم هذه فقالوا من بلاد الإسلام ودخلنا من الروم نكسب شيئاً من الحطام وقد وقع بنا النفير وخرج خلفنا من الروم خلق كثير وإنما هو بنا إلى هذا الموضع نكفى شرهم ويخفى أمرنا فصادفناك وقد أشرفت على الهلاك فقال لهم أبشرون فأنا إن قمت من مرضى أعطيتكم من المال ما يغنيكم ويكون هذا بما فعلتموه معى

من هذا الحال ولكن انزعوا ثيابكم جميعها وألبسوا غيرهم من زى بلاد الإسلام لأنكم الساعة فى زى بلاد للروم وأخرجوا إذا أنقطع عنكم الطاب من هذه البلاد وأقصدوا بلاد الإسلام ودار السلام بغداد ثم قال لهم ما معكم من خبر الأمير عبد الوهاب فقالوا لك البشارة لأنه قد عدم وكذا أمه والبطال (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا المقال قال أقسم بالله انى ماأشتهى أن يموت أحدا منهم حتى آخذ بحقى منهم لأنهم مافعلوا فى حق جميل ولكنهم فى حل من ذلك وأنا أعلم أن الله تعالى يأخذ لى حق منهم فقالوا دعنا الساعة من هذا وقل لنا مانصنع إذا دخلنا بغداد فقال تمضون إلى عاملى فى بغداد ثم اقرؤه سلامى واعطوه ذمامى رخاتمى فانه يعطى لكل واحد منكم ألف دينار من زكاة مالى الذى يجمعها عنده ولم أر قط من هو أحق بها منكم مع أنكم قد فعلتم فى حق كل جميل على أننى هالك لا محالة فدعونى فى هذا الموضع ولا تغلقوا على باب المطمورة على شرط أنى ما أريد منكم ما أخذتم من المال الا أن تلقوا حديثى فى بغداد وتعلموا جميع الناس بحالى وسائر العباد وقولوا لهم يدعوا على من ظلم عقبة فى كل صلاة فاذا فعلتم ذلك اقصدوا مولانا أمير المؤمنين الخليفة وقولوا معنا نصيحة يا ابن عم خاتم النبيين فلا بد له أن يحضركم بين يديه فاعلموه بما رأيتم من حديثى وانى أشرفت على الموت وماكان لى حاجة اليه الا أن أقول له أنت فى حل منى إكراما لآبائك الطاهرين وماسلف للرشيد على من الجميل وإنى قد جعلت الخليفة فى أوسع الحل وأنا أعلم أننى لو بقى فى روحى رمق سرت معكم ولكن قرب الأجل وبطل العمل فوا أسفا على مافرطت فى جنب الله وانى ميت لامحالة وهاروحى تنسل من جسدى ولا تقولوا الا انكم قد غمضتمونى بأيديكم وانكم ما برحتم من عندى حتى مت فقالوا سمعا وطاعة ثم قال لهم اللعين وان رأيتم أن تقولوا أن النفير وقع بكم إلى المطمورة ونزلنا فرأينا ميت فعرفناه وسألتنا الروم عنه فقلنا لهم هذا عقبة قد مات فجعلوا الروم يبصقون عليه وانهم أخذوكم وحملونى أيضا معكم الى أن وصلوا إلى مدينة القسطنطونية وقالوا هذا راهب المسلمين الأبرار وأحرقونى بالنار وقولوا هذا الكلام وربما يحدث حادث وما أريد هذا إلا حتى يزول الشك باليقين وتزول الريبة من قلوب المسلمين لان فى قلوب الناس من كلام البطال وعبد الوهاب وذات الهمة وبنى كلاب الشك من أجلى ولو كان لى من يبرىء ساحتى عندهم ماصدق أحدا قولهم من العالمين لأننى قاضى من قضاة المسلمين وبالله أقسم ما أريد إلا الزوال من قلوب المسلمين وأن يزول الشك باليقين حتى أخلصهم من الآثام والخطايا مدا الأيام حتى لا يخسرون دنياهم وأخراهم من أجلى وأكون أنا السبب فى ذلك وادخلوا على السيدة زبيدة وبلغوها سلامى

وقولوا لها انه عند خروج روحه كان يقول واشوقاه إلى السيدة زبيدة ليت كيف حالها وأنا راحل من الدنيا وحملت همها وسألت ربى أن يجمع لها بين خيرى الدنيا والآخرة وعلى شرط من يوم فعلوا فى حق ما فعلوا ما دعوت عليهم دعوة قط كل ذلك شفقة منى على ولدى البطال وعبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن فى أيديهم من الرجال وهم على كل حال المجاهدين الأبطال فى طاعة الملك المتعال (قال الراوى) فلما سمعوا القوم من عقبة هذا المقال قالوا له سوف نفعل ذلك كله على كل حال ولكن والله يا قاضى يعز علينا كيف تموت وتعدمك الدنيا ويموت العلم من بعدك ثم ان عقبة ودعهم وقد علا الصفار فى وجهه وتغير لونه واضطرب كونه وعرق جبينه وأرادوا أن يودعوه ويطلعوا فأشار اليهم أن ديرونى للقبلة رلاتتركونى هكذا فاداروه القوم إلى القبلة وقد ثقل جسمه ومد يديه ورجليه وتغرغرت عينيه ثم صاح الملعون بصوت ضعيف هون على خروج روحى يالطيف مرحبا بالرسول الوارد من عند الملك الواحد ثم انقطع كلامه ولم يتكلم بعدها وبطلت حركته واهتمامه فلما أن رأوا القوم ذلك بكوا ولطموا وقالوا والله العظيم مات لامحالة ولا شك ولا ريب ثم انهم لعنوا الأمراء وقالوا إن الله لايغفر لهم أبدا ولو عملوا مهما عملوا فى الروم الأعداء فما فعلوا فى حق هذا الشيخ خير وإن الله لايضيع أجر المحسنين (قال الراوى) وما ساروا القوم حتى أيسوا منه فهو مثل الخشبة اليابسة وقد ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرحلو القوم فى ظلام الليل حتى يسترهم من أعين الروم وساروا طالبين العراق كماأوصاهم عقبة شيخ النفاق ولميزالوا يقطعون الأرض فى الطول والعرض إلى أن دخلوا ملطيه وداروا فى أزقتها كما قد أمرهم عقبة ونادوا فى أزقتها اننا هزبنا من الروم لما وجدناهم ومعهم عقبه وقد عزموا على حريقه وهو قد عدم سعده وتوفيقه (قال الراوى) فلما سمعوا بنى سليم نداهم أخذهم البكاء والنحيب وقالوا والله لو صفا عيشنا ما عشنا بعد امامنا وقال الأمير عمرو بن عبيد الله أكتبوا بهذا كتاب إلى الخليفة حتى يعلم أن القوم كانوا معتدين على القاضى عقبة وما زالوا عليه حتى أرموه فى هذه النكبة وأنا فما أكاتب الخليفة إلا عن حقيقة وقد بانت لنا الطريقة ولا بد لى أن أرسل الجواسيس إلى القسطنطونية ويأتونى بالخبر على صحته فان كان الأمر صحيح فأنا أنزل بروحى إلى بغداد ويكون ذلك سببا لنفى بنى كلاب من الثغور ولا يبقى فى ملطية منهم صغير ولا كبير ولا فقير ولا أمير ونستريح منهم (قال الراوى) وإن القوم لما أتوا بالخبر إلى ملطية ساروا طالبين إلى بغداد فقصدوا قبل كل شىء إلى دار عامل عقبه فوجدوه وسلموا

عليه وخدموه وسلموا اليه الخاتم فلما رآه عرفه وسلم اليهم المال فى الوقت والساعة وخرجوا من دار العامل وجعلوا يبكون فى أزقة بغداد وفى أسواقها وينتحبون ويقولون ماأوصاهم عقبه اللعين فنظر الناس إلى ما قد نزل بالقوم من البكاء والنحيب والعويل فانقسمت أهل بغداد قسمين القسم الأول مع عقبه والقسم الثانى فى حماية الأمير عبد الوهاب فوقع البكاء والانتحاب وكثر الخصام والضراب بين الطوائف من الأعداء والأحباب وبلغ المعتصم ذلك الحال فقال هاتو الى هؤلاء الرجال الذين أكثروا القيل والقال فحملوهم اليه فسألهم عن ذلك وكيف كان سبب الفتنة فاقروا على العرب المسلمين وأتوا بهم إلى بين يدى الخليفة مضروبين مكتفين وكانوا الذين فعلوا بهم هذه الفعال محبين للأمير عبد الوهاب والبطال وقد ضربوهم ضرب ماتحمله الجبال ولما حملوهم إلى بين يديه ووردوا عليه أعادوا عليه ماأخبروا به العامة من المقال واظهروا الجلد حتى ان الخليفة ما يكلم منهم أحد فقال لهم المعتصم تكذبون بل أنتم جواسيس وقوم مناحيس وأمر بضربهم فضربوهم حتى غابوا عن الدنيا ونزلت لحومهم عن أكتافهم وما زاغوا عن قولهم الأول وبلغ الخبر إلى السيدة زبيدة فخرجت من قصرها وهجمت على المعتصم بنفسها ثم قالت له ما هذه الفعال وما الذى أزعجك إلى هذا الحال فقال لها وما السبب الذى أخرجكى إلى من مكانكى فقالت أخرجنى ظلمك لهؤلاء القوم الغرباء وما تفزع من الله أن يأتيك قوم من عند رجل شيخ عالم من علماء المسلمين برسالة ومقال وتفعل بهم هذه الفعال وأن الرجل من دينه قد جعلك فى حل من دمه وهو رباك وأقرأك القرآن وهو فقيهك ثم أشمت به الأعداء أول وآخر وظاهر وباطن ونفيته عن وطنه وأبعدته عن سكنه وأمرت الاعداء حتى أخذوه وضربوه وفى بلاد الروم أبعدوه حتى مات وعلوا به أهل الكفر وعباد الصليب والزنار فأخذوه وأحرقوه بالنار حتى لا يكون له قبر بزار ويكون ذلك على المسلمين عار ثم أنها أوصلت البكاء والنواح وكثر من حولها الزعاق والصياح فلما رأى المعتصم ذلك بكا وندم على مافعل ثم أنه أطلق القوم بعد ماخلع عليهم وأكرمهم غاية الاكرام وأعطاهم مال جزيل ورضى عنهم (قال الراوى) ياساده ثم ان السيدة زبيدة أخذت القوم إلى دارها وسألتهم عن حال عقبه فحدثوها بما قال فى شأنها فصارت تبكى حتى أبكت خدمها وجوارها هذا والقوم يصفوا للست زبيده حال عقبه فقالت ياليته قد مات فى بغداد حتى كنت أدفنه فى هذه التربة (قال الراوى)وكان إلى جانب المقصورة تربه قد غرم عليها الرشيد مال عظيم وهى التى دفن الرشيد فيها والأمين وحمل المأمون اليها فدفن بها (قال الراوى) ثم ان السيدة زبيدة صرفت العرب الذين

أتوا بخبر عقبه بعدما صحت لهم تلك النصبه وقد أوهبتهم شيء من المال والخيل الجياد وقالت لهم ان أحببتم المقام فى بغداد فانا ما أمنع عنكم الافتقاد لأنكم رجال أجواد فقالوا لها يامولاتنا ما طيب لنا إلا وطننا فجهزتهم وساروا مجدين إلى ملطيه فقال بعضهم ماهى غاليه عقوبتنا بهذه الأموال فقالوا والله صدقت فى هذا المقال فقال شيخ منهم يقال له محارب بن هلال هـذا الضرب جزاء الكذب وكيف قلنا أحرقوه بالنار وما أحرقوه ولكن اصبروا حتى ينكشف لنا الخبر فان الحريق ماهو صحيح ولا له أثر ويطلبنا المعتصم فى السهل والجبل ويعمل ذلك الوقت بالعقوبة أو فى عمل نخلوا ملطيه وامضوا الى بلاد الله الواسعة وابصروا لنا مكان نكون فيه مقيمين إلى أن يأتينا اليقين فساروا القوم يقطعون الأرض فى الطول والعرض إلى أن أبعدوا عن العراق وأوسعوا فى الآفاق (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المعتصم فانه لما جرى ما جرى طير الطيور إلى الأمير عمرو بن عبيد الله يسأله عن أخبار البطال والأمير عبد الوهاب والأمراء من بنى كلاب ان كان قد ظهر لهم خبر فى بلاد الروم وكان عند المعتصم لفقدهم أمر عظيم وحرم على نفسه اللذات والنعيم وهو على غاية القلق إلا أنه معول على الدخول إلى بلاد الروم فى تلك السنة لأجل الأمراء ولما سمع حديث عقبه تعلقت آماله بكشف أخبار الأمير وأصحابه وبردت نفسه وطمع فيهم وأرسل يستخبر عنهم وقال فى نفسه إذا كشفت عن أخبار عقبه فهو يطالعنى بما يكون من الأخبار فانى على غاية من القلق عليهم وظهور الآثار (قال الراوى) ولو كان المعتصم يحقق هذا الخبر من حديث عقبه كان قد فعل فى غيبة الأمراء لبنى كلاب كل عجيبه إلا أنه مشكك فى أمر عقبه وما علم النصبه ثم يرجع على نفسه بالملامة ويقول لو أن الأمر صحيح وهو على دين المسيح لم يلتفت الينا عند موته وماهذا إلا رجل له دين عظيم واعتقاده اعتقاد جسيم ولو كان عند الروم كاذ كرعنه ما كانوا أحرقوه على أنهم يكرهوا علماء المسلمين فكيف هذا دون الناس أجمعين وبقى الخليفة تارة يصدق وتارة يكذب (قال الراوى) فهذا ما كان من المعتصم وأما ما كان من عقبة اللعين فانه لما علم أن بنى سليم ساروا عنه وثب كانه شيطان وخرج سريع من المكان وسار إلى أن أصبح الصباح وإذا هو قد وصل إلى بعض القرى فدخل اليها وعرف أهلها بنفسه فاكرموه غاية الاكرام وأكثروا له من الشراب والطعام ثم كتب كتابا إلى أرمانوس يقول فيه الذى نعلم به الملك بانى قد عولت على أن أعمل حيلة ليتم بها ما أريد ويكون لك فيها الحظ الأوفر واعلم أن حالى قد انكشف عند الخليفة وصح الخبر وأريد أن أعمل مكيدة حتى أعمى قلبه ثم أعمى منه البصر ويتم لى ولكم أمر إلا بما وقع فى قلبي وما ظهر لى وأريد أن

أدبر حيلة تبرى ساحتى عند الخليفة وأقول بعد ذلك ما يسرك من الخبر وسوف أصل اليك فى تابوت وأظهر على أننى ميت فيه فاشهرنى فى البلد حتى يعرفنى كل أحد ثم تأمر بى أن أحرق وبجمع الحطب وتوقده وتأمر باحراقى وإذا ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار تخرج بعض الأسارى من المسلمين وتفعل به ما أقول لك فلى فى ذلك تدبير لأنه ربما يكون عندكم جاسوس لا تعلمون به بعد أن تلفوا الأسير فى حصير وتلقوه فى النار وتكونوا قد أخيتمونى فى بعض الجهات فلا بد أن تصل هذه الأخبار إلى المعتصم فيقيم على المآتم ويحزنون على المسلمون إذا شاهدوا عذابى بغير الحق عنده وأبقى أعز من غلامه وعبده وبعد ذلك أدخل على الخليفة من غير فزع ولا خيفة وأقول له إن الله تعالى قد بعثنى رحمة للعباد ثم بعد ذلك أدلكم على أخذ البلاد وهلاك العباد وأملككم مدينة بغداد. (قال الراوى) وأن الملعون لما فرغ من كتب الكتاب أرسله مع بطريق من أهل تلك القرية وقد أوعده بالخير والأموال فسار يقطع البرارى والقفار ويسير الليل والنهار إلى أن وصل إلى مدينة القسطنطونية وأوصل الكتاب إلى الملك أرمانوس ففكه وقراه وعرف باطنه ومعناه وأقرى الرسول وأعطاه وأقام الملك أرمانوس ينتظر قدوم عقبة إلى أن وصل إلى القسطنطونية بعد سبعة أيام فأخذه الملك وعمله فى تابوت كما أمره عقبة ولطخ وجهه بالزعفران وبقى عبره لكل انسان هذا والملعون قد أخفى نفسه وقطع حسه حتى ظن الملك أنه قد مات على الحقيقة فاشتهر بين الملأ والمنادى ينادى هذا عقبة قسيس المسلمين وقد بعث الملك وفتشه من قبور المسلمين (قال) ونظر دارس ومارس إلى ذلك فظن أنه حقا وأن الكلام صدقا ولم يشكوا فيه وبات الملك ولما أصبح أخرج مسلما من دار البلاط ولفه فى حصير وأخفى عقبة الخنزير وحط ذلك الأسير فى وسط أسواق البلد وقد أضرمت النيران وأحرقوا ذلك المسلم ووصل خبره إلى ملطيه وعرفوا أهلها تلك القضية فبكى الأمير عمروا بن عبيد الله وطالع الخليفة بذلك فلما وصل الخبر إلى المعتصم حزن وقال أنا لله وأنا اليه راجعون أستغفر الله مما قلناه فى حق هذ المسلم المسكين من سوء المقال ولقد كانوا يلبسوا علينا أمره حتى كنت أتحقق كفره بالكبير المتعال (قال الراوى) ثم أن الخليفة قعد لعقبة فى العزاء ثلاثة أيام وجاءت اليه السيدة زبيدة وقالت له يا مولانا ما الذى صح عندك من أخبار عقبة وهل صح موته أم لا فقال لها أيتها السيده أن الموت محتوم على العباد وبهذا حكم الملك الجواد ولا بد لى أن أكتب إلى الأمير عمرو بن عبيد الله حتى يخرج بنى كلاب من الثغور وقد علم الله قبح سيرة القوم الفجار فسلط عليه الكفار ولكن من حفر لأخيه بئرا أوقعه الله فيها قريبا والذى

اعلمكى به عقبة قد مات وأن الروم أخذوه وحرقوه وبقيت عظامه رفات (قال الراوى) فبينما المعتصم كذلك إذ دخل عليه البراج بكتاب من ملطية فأخذه وقراه وعرف معناه وإذا هو من عند بنى سليم وأميرهم عمرو بن عبيد الله وهو يقول يا أمير المؤمنين أن بنى كلاب قد ضيقت على الثغور وأن بنى سليم قد سأمت من أذيتهم ووقعت الفتن بينهم من أجل ما فعلوا والقاضى عقبة المرحوم ونحن نخاف من فتنة تجرى بين القوم فى ملطيه فتهلك الطائفتين بالكلية عند ذلك كتب المعتصم يقول هذا ماهو صواب وقد أمرت باخراج بنى كلاب من الثغور ولا يبقى فيها كلابى مذكور ثم أخذ الكتاب على جناح الطائر فما بات إلا فى ملطيه ولما أتى به البراج إلى الأمير عمرو بن عبيد الله فرح به وقراه وعرف معناه ثم أمر المنادى ينادى من قبل الخليفة بأنه قد أمر باخراج بنى كلاب من ملطيه وأن لا يبقى فيها أحد بالكلية (قال الراوى) فلما سمعوا بنى كلاب المنادى تجهزوا وأخذوا أموالهم ونساؤهم وأولادهم وامتثلوا مرسوم الخليفة ولم يركنوا إلى الذل فرحلوا بنى كلاب وقد خلت منهم الربوع والاطلال وأصبح الثغر لفقدهم بجموع وأظلمت لرحيلهم الديار وضجت لعويلهم الدور والاصوار ودامت عليهم الفكر والهموم وقد تذكروا فاطمة بنت مظلوم والأمير وعبد الوهاب وسائر الأمراء من بنى كلاب وكيف شمتت بهم الحساد وعرفوا المبغضين والاضداد وحزنت الأصدقاء الأجواد وخلت الديار من أربابها والقصور من أصحابها ورموا بسهم العين وزعق عليها غراب البين ورحلوا من الأوطان وقد أصابتهم الهموم والأحزان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك أرمانوس فانه أحضر عقبة وعظمه وبجله وأكرمه وأخذ فى الحديث معه وعقبة يحدثه بكلما يجرى عليه وقال أيها الملك أظن أن المسيح ما طول فى عمرى إلا حتى أخرب ديار المسلمين وأهدم ركن دين الاسلام ولا سيما إن عاونتنى على ذلك ميمونه فارسة الزمان ومقابلة الشجعان وعمدة سائر القسوس والرهبان فلقد استوهبتها من المسيح ويكفاها دعاء الشيخ النجيح (قال) وكان مدح عقبة لميمونه لعلمه أن الملك يحبها وأراد بذلك جبر قلبهـا فقال له الملك أرمانوس أيها الشيخ النجيح قل ما تريد عنها حتى أبلغك المراد منها وأشفى قلبك من الأعداء وكل المبغضين وجميع الحساد (قال الراوى) ثم بعد ذلك قدم له الطعام من لحم الخنزير فأكلوا حتى أكتفوا من ذلك الطعام وقدموا لهم الغلمان آنية المدام فجعلوا الثلاثة يأكلون ويشربون بالكاس والجام إلى أن سكروا من خمر الدنان وجعل يحدثهم بحديث الواله السكران مما جرى لملوك الزمان كسرى أنوشروان ولم يزل الملعون كذلك

إلى أن أخذ بقلب الملك أرمانوس ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح نزل عقبة إلى البلد وقد أفاق من السكر وقصد إلى قوم له جواسيس فى البلد وقد كانوا فى فى بلاد الإسلام وقد قدموا عليه وحدثوه بما جرى من المعتصم وكيف قالوا عنه زورو محال وان عقبه رجل صالح وميزانه بالحسنات راجح وحدثوه بحديث عمرو بن عبيد الله وكيف أخرج بنى كلاب من ملطية وأعادوا عليه جميع ما جرى من القصة ففرح عقبة بذلك وعاد من وقته وساعته إلى الملك أرمانوس وهو فرحان غير عبوس بما سمع من الأخبار وما جرى فى تلك الديار ثم قال أيها الملك أريد الساعة الخروج إلى بلاد الاسلام وأضع فيهم الحسام وأكتب إلى سائر الأقاليم السارح منها والمقيم فعند ذلك كتب أرمانوس من وقته وساعته الكتب وأنفذها إلى سبعة عشرة أقليم يأمرهم بالتجهيز للقتال والقدوم على الملك ففعلوا ذلك وسيرت الكتب على أجنحة الطيور فلم يتخلف أحد من الروم وقد أعتراهم الفرح والسرور بفقد الأمير عبد الوهاب وذات الهمة والبطال وبقية الأمراء وكان أرمانوس قد أعلمهم بذلك فى الكتب وما تأخر أحد من الملوك كل ذلك لعظم هيبته فى قلوبهم والثانى لعدم الأمير عبد الوهاب ورفقته فقالوا ملوك الروم الان قد دخلت بلاد الإسلام من حماتها وأذيقت كاس مماتها (قال الراوى) وقد بلغنى أن قوما من العرب من بنى غزيه وبحتر كانوا فى تلك الأيام يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وليس عندهم من الإسلام لا كثير ولا قليل وقد بلغهم أن يحيي صاحب الشام لما سمع بخبرهم جيش نحوهم الجيوش فلما سمعوا ذلك خافوا وصار كل أحد منهم مدهوش ثم هربوا ولم يكن لهم غير الدخول إلى بلاد الروم فدخلوا وقصدوا أرمانوس يطلبون منه الاقطاع فى البلاد والرسوم ثم يطلق لهم الديوان بشىء معلوم (قال) وكانوا القوم أثنى عشر ألف عنان فقال لهم الملك ارمانوس لا أعطيكم الديوان حتى تدخلوا فى دينى وتصيروا عندى فى أعز مكان وتبقوا مكان عرب حرب بن شيبان (قال الراوى) وكان ذلك برأى عقبة القرنان وقد أشار عليهم بذلك الشأن وقال للملك رغبهم بالمال لأن العرب طماعه على كل حال ففعل الملك تلك الفعال وغرهم الشيطان بالمحال لما رأوا الخلع وتلك الأموال وأغراهم أبليس حتى ردوا بعد الحق إلى الضلال ثم مالوا إلى الدنيا الساحره ونسيوا نصيبهم من الاخرة وقد كفروا بجبار الجبابرة وأقطعهم الملك مكان العرب المتنصرة مع عرب حرب بن شيبان وانضافوا إلى الملكة ميمونة وصارت تغير بهم على البلدان وتأخذ الأموال من بلاد المسلمين ويهلكوا الناس (قال) وكانوا القوم امراء ما منهم الا كل فارس همام منهم موهوب بن وافد ورافع بن

ناهض وعروة بن واثق وعلوان ابن سابق وبشر بن مرزوق وطلحة بن حزام وسيف بن همام وكان زعيمهم وأمامهم وأميرهم الفضل بن عكه الأسدى وكان أشجع أهل زمانه والمؤيد على أقرانه (قال الراوى) وأجتمعت الروم من سائر الأقاليم ولم يتخلف إلا رضيع أو فطيم أو شيخ عديم وقد أنفق عليهم أرمانوس الأموال وقواهم بالعدد الثقال ثم أن الملك صلى فى كنيسة سوفيه وأنفصل بعد صلاته طالب الغزاة وقد أخذ معه البيعه صليب من الذهب وزنه عشرين رطل (قال) وكان ذلك الصليب لايخرجوه إلا لأمر عظيم أو حال جسيم وكانوا الروم يقولون أنهم ورثوه من أيام قيلوس جد الاسكندر وكان قد صنع له قصبه من الفضة يحملونه عليها وكان يحمل هذا الصليب فارسين أحدهما عن اليمين وآخر عن الشمال وخرج الملك أرمانوس وقد ضربت البوقات ودقت الكؤسات وتقدمت أولاد الروميات وركب الملك فى مواكب حشمته وكتائب سلطنته (قال) وكان فى الميمنة ميمونه بنت الملك الدمدمان ومن حولها عساكر متنصرة العربان (قال الراوى) وكانوا جواسيس المسلمين لمارأوا ذلك ساروا إلى أن وصلوا إلى الثغور وذخلوا على الأمير عمرو بن عبيد الله وأعلموه بمسير الكفار اليه فلماسمع الأمراء ذلك من بنى سليم اليه وقال لهم اعلموا ان الكفار قد ساروا اليكم قاصدين وإلى بلادكم طالبين وقد أصبح الخليفة عليكم متكل وعلى شجاعتكم معول فكونوا أحسن من صبر على القتال والنزال واصرفوا هممكم إلى لقاء الأبطال وقاتلوا قتال من يذهب عن العيال حتى لايقول القائل ان ماكان ماسك الثغور إلا عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الأنجاب واعلموا أن القوم قد أصبحوا عنكم نازحين وعن ملطية مبعدين فلا تشمتوا بنا الحساد والمبغضين وكونوا يدا واحدة على الأعداء والمشركين وجاهدوا فى الكفار تسلموا من عذاب النار (قال) فلما سمعوا بنى سليم من الأمير هذا الخطاب قالوا ياأمير لاتقول إنما كان يحمى الثغور إلابنى كلاب وماهم عندنا إلا أخس من الكلاب وماكان يحمى الثغور إلا سيوفنا ونحن الذى كنا نحمى حزيمهم ونذب عن أموالهم على كل حال وسوف ترى رجال وأى رجال ونحن أيها الأمير نقاتل ونحمى الثغور وما دام الجدار من وراء ظهورنا وان صعب الأمر علينا قاتلنا من وراء الأصوار ونحمى المخدرات من الكفار (قال الراوى) فلما سمع الأمير عمرو خطابهم وما ردوه من جوابهم علم انهم ماينفعون بنافعة فتذكر مواقف عبدالوهاب والأمراء من بنى كلاب والسودان الأنجاب فأنشد عند ذلك وجعل يقول هذه الأبيات .

الا من لضرب السمهريات والوغا … اذا فقدت يوم الحروب الأكارم
عنوت بقولي للكرام الذين هم … ذوى الفخر والتاييد يوم التصادم
تراس لقبر الهاشمي محمد … اذا أشهروا يوم القتال الصوارم
فذلهمة لو تحضر البؤس بيننا … شفينا نفوسا من قتال الضراغم
ومن حولنا أبطال عامر كلهم … وحام من السودان أسد قشاعم
وأولاد ذاك الماجد القيل انهم … ليوث الوغا أهل العطا والمكارم
تركنا بنو الأعمام يبكون حسرة … على أهلهم من بعد حل العمائم

(قال) ثم إن الأمير عمرو بن عبيد الله اتفق رأيه على القتال والحرب والنزال وكتب إلى الخليفة ليعلمه أن ملك الروم قاصد إلى بلاد الاسلام فلا تغفل عنا ياأمير المؤمنين والسلام فلما وصلت الأخبار إلى المعتصم عزم على لقاء الكفار والجهاد فى طاعة الملك الجبار (قال) وكان المعتصم خفيف جوال وكان له رغبة فى لقاء الأبطال (قال الراوى) وكيف لايكون ذلك وقد ورث الشجاعة والاقدام لأنه من نسل هشام (يا سادة) ثم ان المعتصم كتب إلى سائر الأقاليم والآفاق بتقدم العساكر ثم أحضر وزراه وهم محمد بن عبد الملك والفضل بن مروان وأمرهم أن يكتبوا الكتب إلا جميع الأقطار بالاعذار والانذار والابراق وأن لايتخلف أحدا عن المسير إلى العراق فمن أبطأ علمنا أنه من أهل النفاق لأنه ترك طاعة امامه والمسير تحت أعلامه (قال) فعند ذلك كتبت الكتب الى سائر النواحي والأطلال وسارت الرسل بالكتب من العراق إلى ما فى النهروان من بلادالعجم وبلادالديلم وإلى الأكراد والنازلين فى وسط البرارى والوهاد واطمعوهم فى بلاد الروم وأن يأخذوا الغنايم بعد خراب الديار والرسوم فعند ذلك انغردت الجيوش من سائر البلدان وأتت الأبطال من كل مكان وانقادت العساكر إلى العراق ملء الآفاق وترادفت الجيوش حتى نفرت من كثرتها الوحوش ومازالت العساكر إلى أن امتلأت بهم الأماكن الفساح وضاقت بهم الروابى والبطاح ووصلت أيضا عساكر واسط والبصرة وديلمان الى كرمان وعساكر لايعلم عدتها إلا الله تعالى الملك الديان الحنان المنان (قال الراوى) فلما نظر الخليفه إلى تلك العساكر فرح فرحا عظيما ثم أمر بعرضهم حتى يعلم عددهم فوجدهم جريدة القوم من الترك والعجم والأكراد والديلم والتركمان سبعمائة ألف عنان غير عسكر الشام وديار مصر والموصل ثم انه فتح خزائن المال وفرقها على الرجال وبرز الخليفة إلى الجانب الغربى حتى تكاملت العساكر تسعمائة ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس بالرماح الطوال والسيوف الصقال والبيض العادية

والدروع الداوودية والخيل العربية (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من الأمير عمرو بن عبيد الله فانه بعث الحريم كله إلى آمد خوفا من السبى وشماتة كل حاسد ولم يبق فى ملطية إلا الرجال جرايد وهم على الخيل فوايد (ياسادة) فهذا ماكان من هؤلاء وأما كان من الروم فانهم ساروا فى جميعهم الغزير والعدد الكثير وقد تقدمت قدامهم الغلمان والصلبان فلما رأى عقبة ذلك فرح واستبشر وقال فى هذه النوبة أخرب ديار المسلمين وأهلكهم أجمعين وأترك ديارهم خراب بغيبة ذات الهمة وعبد الوهاب (قال الراوى) وكان الملعون أخفى نفسه حتى لا يعرفه أحد من أهل دين الحنيفية ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطية ودار.ا بأبراجها العلية وأصوارها المبنية فنظر أرمانوس إلى تلك الديار فرأى اقليم عامر وضياع عامرة فيها رياض وأشجار وأزهار وأنهار وأطيار تسبح الملك القهار والبلد من شدة التحصين ما يلحقه الطير الطائر فعند ذلك قدم كتائبه ومواكبه وضربت خيامه ومضاربه ثم أمر بتقديم المدبجة فى المقدمة بالثياب المدبجة المرهجة ومن بعدهم القياصرة والهراقه وغيرهم من الأجناس المتقابلة (ياسادة) وكان ارمانوس قال لعقبه أيها الشيخ النجيح قد بلغنى أن هذه المدينة لم يبق فيها إلا بنى عمك من بنى سليم وقد استبقيتهم لأجلك فدعهم يخرجون من البلد سالمين واترك أنا فيها واحد من ملوك الروم لأنه بلد حصين وموضع أمين وما أريد أن يطرل مكثى عليه لأنى ما بغيتى إلا العراق ولا بد لى ما أملك سائر الآفاق فقال عقبه ياملك دع عنى قولك فى بنى عمى وغيرهم من الامم وافصل بالسيف كل مسلم لقيته من العرب والعجم فلا رحم المسيح صداهم ولا بل ثراهم فاقتل أنت المسلمين عن بكرة أبيهم فان قلبى لا يرحم مسلم أبيض كان أو اسود وأنت أعرف بذلك من كل أحد وكم ياملك من جامع قد أخربت وكم من مسجد قد هدمت وكم من طفل ذبحت وكم من حريم فتكت وكم من صبى وغلام أهلكت وكم من شجاع قتلت وكم من جموع شتت وكم من كبد مسلم فتت وكم من صدقة للرهبان أعطيت ولابد لى أن أدق الناقوس بالنهار وأخرب البلاد وأهلك العباد وأملك بغداد واجعلها كرسى مملكة الروم وأترك عيش المعتصم عيش مذموم لان ما فى قلبى قط رحمة للمسلم فعند ذلك أقبل عليه الملك وقال له ماالذى تريد أن أعمل فقل لى كيف أعمل فقال له عقبه الرأى عندى ان تقدم مائة الف رامى يرمون عن قوس واحد لا يتركون أحدا يشرف عليكم ثم تنصبون السلالم وتطلع فيها الرجال وقد ملكتم البلد على كل حال واهلكتم النساء وذبحتم الاطفال ويكون لك الثواب من المسيح ويصير لك فى الجنة موضع فسيح لانى سمعت عن شمعون الصفا عن سكرر كبس عن مرقص عن حنا انه قال

من قتل مسلم أو قاتل المسلمين أعطيته فى الجنة خمسين فدانا من الاجر (قال الراوى) فلما سمع ارمانوس كلام عقبة فرح وقال يامولاى أنت عبد المسيح حقا وقولك صدقا وإذا مت عدمت البركة من الارض ثم ان الملك أدعى باصفانوس بن مقلاعوس ملك الارمن وقال له أريدك تزحف إلى ملطيه بسهام رجالك وتريني اقدامك وأفعالك وحربك ونزالك فعندها لبس عدته وغاص فى لامته وأخذ قوسه وكنانته وصـــاح فى الارمن فارتعدت أجسادها من هيبته وركب الآخر من وقته وساعته وزحف إلى ما أمر به (قال) فلما نظرت بنى سليم إلى كثرة تلك الخلائق وقد سلبوا بصياحهم المغارب والمشارق ونظروا إلى تلك العدد وتزايد المدد فلقوا أبواب البلد وما فيهم الامن خاف وارتعد وتصايحت منهم المشايخ والشباب وذكروا فى ذلك الوقت الامير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب ونادى الامير عمرو بن عبيد الله يا آل سليم هذا يوم تكشف الضيم فقالوا ياأمير ومن يقدر يخرج إلى هذا العسكر الكثير والجيش الغزير ولكننا نقاتل من خلف الاصوار ونصبر على الحصار ونبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود فقال الامير عمرو أما والله لو كان هاهنا ألف فارس من بنى كلاب كانوا وقفوا فى صدور هؤلاء الكلاب وأرموا بهم المصائب وفرقوهم فى التراب هذا والارمن قد زحفت وبالسهام رشقت وكان عقبه بينهم يحثهم على القتال ويقول للأرمن بلسانهم دونكم وإياهم ولا ترحموا منهم شيخ ولا امرأة بل اسقوهم الجميع كاس الوفاه فعند ذلك دارت الارمن بالاصوار من كل جانب من اليمين ومن اليسار وارموهم بالسهام عن قوس واحد وهم مائة ألف فخيل لهم أنها غمامة سوداء وقد حل بهم الرداء (قال الرواى) وعظم المصاب وحارت من بنى سليم الألباب وهلكوا من رمى النشاب وقلة الرجال بقتال كبير عظيم هذا وعقبه كأنه شيطان رجيم قد قصص لحيته وصغر عينيه وعمل على أكتافه شعر زور وألقى على جبينه عصابة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر ولبس قباء ديباج أحمر ومسح أسود من صوف السمك ومن فوقه عقاره من الحرير الأخضر وهو راكب على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر بغره تزهر اصلب الدعايم قوى الشكايم ثم بقى الملعون كأنه من بعض ملوك المغابيط وقد أقبل إلى خيمة الملك ارمانوس فلما نظره حسبه من بعض الملوك فصار باهت اليه والملعون واقف وهو ساكت ساعة ثم تبسم وعرف الملك بروحه فتعجب منه وسائر الملوك وقالوا لقد رحمنا المسيح بهذا الشيخ النجيح (قال الراوى) فقال عقبه بمثل هذا الزى ادخل العراق ولا يعرفنى أحد من الأصدقاء ولا من الرفاق وأسير إلى عنــــد المعتصم رسول وأعمل على خراب مملكته ودولته ثم ان الملعون ركب من وقته وساعته وأخذ

معه ملك الارمن وأخذ الأبطال بين يديه وأمرهم ان لا يرموا شيء فامتثلوا أمره وتقدم إلى تحت الصور وقد أشرفت عليه بني سليم لعل أن يكون لهم من ذلك الضيق فرج ومخرج فنادى عقبة بلسان المغلبيط ياقوم أعلموا أن أبى صليبا أوصانى قبل أن يموت وقال لى يا بنى إذا خرج الملك أرمانوس إلى بلاد الإسلام فاسأله أن يترك قتالهم وقد فعلت ما أمرنى أبى وما أوصانى به وأنا صبى وقد سألت الملك فيكم بشرط أن تخلوا البـــلد ولا يبقى فيه منكم أحد وأخرجوا أموالكم وحريمكم وسلاحكم وسلموا المدينة إلى الملك وقد كفيتم كل هم عظيم (قال الراوى) وكان الأمير عمرو بن عبيد الله يحفظ بلسان الروم ولا يفهم بلسان المغلبيط ولما نظر إلى عقبة قال سبحان الله ولا إله إلا الله سبحان الخالق المصور لو ان هذا البطريق طويل اللحية وليس على رأسه وأكتافه هذا الشعر لقلت أنه عقبة بن مصعب بلا ريب ولا محال ثم قال عمرو للترجمان ما الذى يقول هذا الشيطان قال يا مولاى يقول كذا وكذا فقال الأمير عمر وقل له يا كلب الروم ويامن غضب عليه الحى القيوم والله لا نسلم اليكم من البلد حجرا أبكما ولو شربنا كؤس الردى والساعة تقدم علينا عساكر الموحدين وأبطال المسلمين ويردوكم عن البلد خاسرين وإلى بلادكم راجعين (قال الراوى) فلما سمع عقبه ذلك وبنى سليم يعطعطون عليه ويلعنون والديه ثم أن الأمير عمرو بن عبيد الله كتب كتابا إلى الخليفة يستنجده بالقدوم عليه والورود اليه فأتاه الجواب بعد أيام قلائل أنى اليك واصل وبينما بنى سليم ينظرون الفرج وإذا هم بأربعة من الخياله قد أقبلوا من نحو الفرات وهم يلوحون بأسيافهم فبهتوا بنى سليم إلى ذلك وإذا هم بغبرة قد طلعت وعجاجة قد أرتفعت وقد أظلم لها الجوى والنواح وضاقت بها الأماكن الفساح ثم أنكشف بعد ساعة وأنجلت لها عن خيل تتدفق مثل السيل وهم فى لون الظلام وعليهم الزرد النضيد والأعمدة الحديدة بأيديهم ولمعان الخود قد برق عليهم والصلبان باهرة والجيوش نافرة والعيون اليهم ناظرة والقلوب من رؤيتهم طائرة (قال الراوى) وكانت هذه الغبره غبرة ميمونة اللعينه وسودانها فانها كانت فارقت الملك أرمانوس من مرج الرياض وأخذت معها طائفة من العرب المنتصرة وهم الذين كانوا أتوا الملك من وادى موسى وكانت ميمونة تحب أرمانوس فأخذت رجالها ووصلت إلى أرض حصن زياد وإذا هى بحريم بنى سليم الذين كانوا سيروهم إلى آمد فمالت عليهم وآخذتهم أخذا باليد واسرت من معهم من الرجال ثم غارت على شمشاط وبانوا وأعمالها وأرض أرمن وأطلالها وأحتوت على مائة ألف أسير ما بين أمرأة وشاب وشيخ كبير ورجعت مع سودانها والعرب المنتصرة المنزله

فى ديوانها وقد أرسلت خمسة آلاف يغيرون على الأرض طرسوس وخرشنة فوجدوا هنالك من عساكر المسلمين مائة ألف وقد تجمعوا من بلاد الهكاريه وغيرها وهم طالبين المعتصم فصبروا عليهم إلى الليل وكبسوا المسلمين على غفلة منهم فقتلوا وأسروا ووحاشوا الغنائم وذبحوا الرجال ذبح البهائم وعادوا طالبين ميمونة فوجدوها فى الطريق وقد إغارت على بلاد المسلمين ومعها الأولاد والحريم وحولهم كل شيطان رجيم ولما وصلت الملكة ميمونة لى الملك أرمانوس ترجلت لها سائر الملوك والبطارقة والخواص أعظاما لها وكان أرمانوس أمرهم بذلك فلما أقبلت ميمونة على الملك قبل رأسها ثم أعرضت عليه الأموال والاسارى من النساء والرجال وقالت أيها الملك هذا عوض المال الذى أنفقته على عسكرك وحق نعمتك لابد لى أن أملكك البلاد وأذل لك رقاب العباد فقال لها أرمانوس وحق المسيح لقد أفلحتى فى طريقكى ولقد كان فيما فعلتيه الصواب واتيتى بالأمر الذى لا يعاب (قال) وتقدم اللعين عقبة إلى الملعونه هيمونة وقال لها أيتها الملكة دونكى الآن وهذا البلد فلعلها تفتح على يديكى لأن المسيح ناظر اليكى وأنوار الطاعة قد ظهرت عليكى ومريم الزكية تعينكى على كل قضية وتعطيكى الثواب على ما تفعلى فى الملة الحنيفية (قال) وان بنى سليم لما نظرت إلى حربهم وأثقالهم مع الروم وكان عليهم صباح ميشوم وقد أرتفع منهم البكاء والعويل وأيقنوا بالذل الطويل وجردوا كل حسام صقيل وقالوا لبعضهم بعض والله لئن لم نجد فى القتال والحرب والنزال وإلا ملكونا لامحال هذا وقد تقدمت ميمونة وسودانها ومن أنضاف اليهـــا من منتصرة عربانها وعبيدها واقرانها وامرت أن يرمى الصور بالعرادات والمناجيق فتقدمت السودان نحو الصور وقد تقدمت الارمن بالسهام فعند ذلك أستقبلتهم بنى سليم ووقع القتال وعظم الزلزال وحامت عليهم طيور الاجال وكثر القيل والقال وصار النقاب ينقب ويعمل الصخور من المناجيق إلى ملطية تنزل وعظم الشر وقرب الأجل هذا والأمير عمرو بن عبيد الله ويقول يابنى عمى قاتلوا فى مرضات الله عز وجل ولا يلحقكم كسل ولا فشل وعمل السيف أوفى عمل (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا بالصور قد تزلزل وأهتز لكثرة الزحف وأنهدم وقد أيقنوا بنى سليم بالهلاك والعدم هذا وقد زحفت الملعونة ميمونه برجالها وقد أنذهلت بنى سليم من أعمالها وملكت الأمير عمرو بن عبيد الله أسير وقادته ذليل حقير وكذلك محمد بن ابان السلمى وفهد بن جابر وحمدان بن عامر وحسان بنى غانم وعمل فى ملطية الصارم البتار وملكت ملطية نهار جهار (قال الراوى) فشكرها الملعون أرمانوس وضم الاسلاب اليها وبعث الكل معها إلى مدينة القسطنطونية

فسارت الملعونة ميمونة بهم إلى أن دخلت إلى البلد وجعلت الأموال فى الخزائن ورجعت على أثرها طالبة الملك أرمانوس إلى أن وصلت إلى الدروب فالتقاها رسول الملك أرمانوس بعلمها انه قد نزل على امدفتمت قاصده آمد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما جرى ههنا من الكلام (وأما ماكان) من أمر الخليفة الامام فانه احتفل بكثرة الأمم من الترك والأكراد والديلم والعجم ولم يزل سائر على عجل وقد سد بكثرة عساكره السهل والجبل فقال لوزيره أنا قد خطر لى رأى على أننى أسير من هذه الأرض على أرض سجستان ونختلط بعساكر الروم ويكون من الله ما أراد (قال الراوى) وسار المعتصم بالله من العراق إلى شمشاط فى ذلك الجيش الغزير وبين يديه مائة ألف سائرة فى المقدمة من الأبطال والشجعان والاقيال (قال) وكان المعتصم بالله كسرى زمانه واسكندر أوانه وقيصر عصره وزمانه وكان على رأسه ألوية الحمد وبين يديه مواكب العز والسعد وكان فارس الاقطار وبطل غشمشم تحير فيه الأفكار هذا وقد تزلزلت الأرض من جميع الآفاق من حين خرج المعتصم بالله من أرض العراق وقد ارتعبت القلوب وانقادت بين يديه الجنود وعلى رأسه الرايات والاعلام والبنود (قال الراوى) لهذا الكلام فهذا ما جرى ههنا وأما الملعونة ميمونة فانها كانت قالت للمعون أرمانوس أنا أريد المسير أيضا بعسكرى إلى سجستان ونكسب عسكر المعتصم بالله فى الليل ونتزل به الذل والهوان والويل فقال لها الملعون أرمانوس اعلمى أن الدوقس الكبير مع الدمشتق على ميا فارقين فامضى اليه واستشيريه فى أمر المسلمين واسمعى من رأيه فانه دمار على الموحدين فعلمته الملعونة ميمونة أن الملك أرمانوس يشير على الدوقس الكبير يعنى الملعون عقبة الخنزير فسارت أيضا فى أصحابها إلى أن أشرفت على تل الطين الذى فى ذلك المكان ونزلت فى أصحابها هنا لك (قال) وكان نزولها عند طلوع سهيل وقد مضى من الليل الثلثين وكان عقبة قد سمى روحه بالدوقس ملقيطا بن جرجيس وكان عقبة قد ضيق على أهل ميا فارقين وقاتلهم القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد فلما نزلت الملعونة ميمونة هنا لك أرسلت خلف عقبة فى السر فأتى اليها وقبل يديها فقالت له ياعماه اعلم أن الملك قد بعثنى اليك وقد اتفق رأيى على أنى أسير مع عسكر المتنصرة وأطوى الأرض إلى أن أصل إلى عسكر المعتصم ونختلط بهم أيضا فى الليل ونهجم عليهم وندوسهم بالخيل فقال لها عقبة ياملكة ما هذا صواب بل نحن نملك ذيل الخيل ونقصد طريق ارزن وأبعث أربعة من النجابة إلى ميا فارقين يبشر وابان الخليفة بعث لهم نجدة وابعثى إلى من عسكرك ثلاثة آلاف يكونوا أبطال حتى أقول لك أن الملوك قد بعثت لهم نجدة فاذا كان ليلة غدا فأقدمى بعسكرك فانه

نحن إذا رأينا غبارك نرحل من البلد فتدخل انتى بمن معك إلى المدينة لأنهم يظنوا أنها نجدة أتت اليهم من عند الخليفة كما ذكرنا وتتسلمين البلد بمافيها (قال) فاستصوبت الملعونة ميمونة رأيه وبعثت معه فى ساعة الحال ثلاثة آلاف فارس من كل ليث عابس وقد سارت من ذيل الجبل وطلبت طريق ميا فارقين فلما أن نظروا إلى ذلك أيقنوا بخراب الديار (قال) ولما أشرف الضياء من كميت الغياهب وأقبل الملعون عقبة مع ضوء النهار فى ثلاثة آلاف فارس فنظروا أهل ميا فارقين إلى ذلك فعند ذلك ركبت العساكر مع الدمشتق يعنى الملعون عقبة وقد أقبل الملعون عقبة على أهل البلد وأشار اليهم فسكتوا وقد ازدحموا على الاصوار حتى يسمعوا ما يقول رأس الفجار ومن غضب عليه الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال الملعون عقبة لأهل البلد ياقوم اعلموا أن الملك قد بعث لنا نجده وفى غداة غد يصل لنا عسكر آخر وقد مضى الملك يلتقى خليفتكم المعتصم وما بقى لكم ناصر فسلموا الينا البلد واستسلموا تنجوا من النكد وإلا وحق المسيح تندموا ولا يبقى منكم أحد

(قال الراوى) ياساده يا كرام فقالوا المسلمين لعقبه والله ياعدو الله لاسلمنا اليك البلد أبدا ولو شربنا كاس الردى وستعلمون من منا يندم وعن قليل تأتيكم فرسان الترك والعجم والعرب والديلم (قال) فعندها رجع الملعون عقبه إلى الروم وأشار اليهم أن ازحفوا إلى البلد فزحفت الأبطال وقاتلت الرجال وقد ارتفع الصياح من جميع النواح وعلا ضجيج النسوان من كل جانب ومكان وقد أيقنوا بالعطب ولم يبقى لهم إلى النجاة من سبب ولم يزالوا كذلك إلى أن توسطت الشمس فى قبة الفلك وعطشت الاكباد وأشتد الظمأ وقد تلهفت القلوب على شربة من بارد الماء (قال) فبينما هم كذلك إذ أقبلت الاربعة النجابة وهم للمدينة قاصدين إلى أن صاروا تحت ميا فاوقين فلما نظروهم المسلمين ارتفع ضجيجهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير وصاحوا ياعدو الله هاقد جاءنا النصر من عند الله وجاءتكم جنود الرحمن يا أهل الكفر والطغيان (قال الراوى) إلى هذا الكلام وكانت هذه النجابة الحيلة التى دبرها عقبة مع الملعونة ميمونة الكلبة هذا والروم يتطاولوا اليهم بالاحداق وقد مدوا الاعناق وإذا بالنجابة قد قربت وإلى نحو الصور قصدت إلى أن وصلوا إلى الحصن فصاح عقبه على الروم ياويلكم دونكم وإياهم فأسرعت الخياله اليهم فرموهم المسلمين بالأحجار والصخور الكبار إلى أن أحموا النجابة وفتحوا لهم باب البلد وأتوا بهم إلى المتولى ومن حوله مشايخ البلد فسألوهم عن الخليفة فقالوا لهم قدقرب

من البلاد وقد أرسل اليكم مروان بن عجلان وعيينة بن عجيف السلمى فى عشرة آلاف فارس وقد انضافت اليهم كثير من السودان سودان الأمير عبد الوهاب الذين كانوا تشتتوا فى البلاد (قال الراوى) وكانوا أعنوا بذلك عن سودان الملعونه ميمونه وقد فارقناهم من عند دارنا وأنفذنا نبشركم بقدومهم وفى ليلة غداة غد يكونوا عندكم ويقدمون عليكم فلما سمعوا القوم ذلك الكلام طمعوا فى الفرج وضمنوا النجابة الخلع والذهب وزال عنهم الهم والفزع والجزع ولم يكن عندهم خبر من الأمر المقدر وماحكم به عالم البشر

﴿ تم الجزء السادس والأربعون ويليه الجزء السابع والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب حروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) هذا وقد أمر عقبه للروم ان يظهروا الخوف والفزع والجزع وان يشيلوا خيامهم ويقلعوا رماحهم هذا وجميع المسلمين يعطعطون عليهم فلما ولى النهار وأقبل اليوم الثانى أصبحوا الروم قاتلوا أهل ميا فارقين إلى الليل فلما كان عند الصباح وإذا بصوت الكؤسات من صوب الشرق تحقق والبوقات تنعق والرايات قد أشرقت والاصوات قد ارتفعت هذا وأهل البلد يدعون للخليفة وقد زال عنهم الفزع والخليفة وقد ضجت البوقات والشمع والمشاعل فى أيدى العلماء وهم أمام منتصرة العربان وأبطال السودان وعلى المقدمة الملعونه ميمونه بنت الملك الدمدمان وقد كثر الصراخ من جميع النواح وقد طمعوا أهل ميا فارقين بنيل المراد ومسرة الفؤاد وما علموا بما قد جرى عليهم من قضاء رب العباد هذا وقد ركب الملعون عقبه فى ساعة الحال هو والدمشتق وأظهروا أنهم هاربين وإلى النجاة طالبين والعطعطة قد أخذتهم من أهل ميا فارقين من كل جانب ومكان وقدملات العساكر جميع الصحصحان وتقدمت الملعونة ميمونه والاعلام السود على رأسها وكانت قد أخذت هذه الاعلام من ملطيه (قال) فلما نظروهم أهل البلد لم يشكون فى هذه القضية ولا داخلهم ريب بالكليه وقالوا ما أسرع ما أتى الفرج من عالم الغيب والشهادة أدام الله تعالى على الخليفة أيام السعادة ونزلوا فى الحال وفتحوا الباب وقدامها الشمشاط المتنصر وابن عمه سبع الفلاة وغانم بن نبهان وكانوا هؤلاء من الشجعان ولما توسطوا البلد وقربوا من الجامع زعقوا عن صوت واحد أذهل المسامع وصاحوا بكلمة كفرهم وقد علا صهل كل جواد أدهم وجرد كل بطل سيفه وهمهم وقد قطعت النواصم واللمم وقلقت الجماجم والقمم وصارت العظام رمم وجار السيف لما حكم وصارت الموالى خدم وزالت

عن أهل ميافارقين النعم وقد سطوا عليهم الأشرار وأيقنوا المسلمين بالدمار وأخذت ذوات الخدور الأحرار وسبيت البنات الأبكار ونفذت أحكام الملك الجبار وتمكنت الأشرار من الأخيار وحكمت الكفار فى الأبرار وطلبت أهل المدينة الباب وقد ضاقت الأمور والاسباب وأكثر أهل المدينة خرجوا من عظم مازاد بهم من العذاب وطامت بعضهم ارزن وشمشاط ومنهم من رمى روحه من أعلا الصور وما أصبح الله تعالى بالصباح إلا والملعونة ميمونه قد ملكت المدينة ثم جمعت الأسارى والبنات والنساء المخدرات وأخربت المساجد والجوامع ثم انها تركت فى البلاد مرهف بن فاقد المتنصر ومعه ألف فارس ورجعت ورجعت إلى آمد ودخلت إلى الملك أرمانوس وسلمت جميع الاسلاب والمال اليه ثم ان الملعونة ميمونه قد أخذت جيشها وطلبت السويديه ووصل الخبر إلى المعتصم بالله بماجرى على أهل ميافارقين فحزن على المسلمين ورحل الى شمشاط ووصل إلى الموز (قال الراوى) وان عقبة ادعا بالشمشاط وبنى عمه وقال للملعونة ميمونه الرأى عندى أن نرسل هذا الرجل وبنى عمه إلى الخليفة ويخبروه انهم قد وصلوا من بلاد الحجاز ليجاهدوا بين يديه فى سبيل الله تعالى فأرسلتهم الملعونة ميمونه فساروا كما أمرهم اللعين عقبة وقد علمهم الخديعة والمحال فساروا إلى أن أشرفوا على جيش السلطان ولما أن أرادوا الوفود اليه أرسلوا رجالا منهم إلى عند الخليفة يعرفوه انهم جاؤا من الحجاز يرومون الجهاد فى سبيل الله تعالى وهم عشرة آلاف فارس (قال الراوى) ولما قدمت الرجال أدخلوهم على الخليفة فى ساعة الحال فلما دخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وأخبروه بمن قدم عليه فرح الخليفة بذلك وأمر ان يخلع عليهم وقال المعتصم بالله اللهم أعز الإسلام وصحبه وأخذل أهل الشرك وحزبه (قال الراوى) ولما خلع عليهم سألهم فقال كبيرهم يا أمير المؤمنين نحن قوم من أرض الحجاز وقد قطعنا اليك المفاز من بلاد القحط والجوع والذل والقطوع نريد المعاش ونطلب الانتعاش وقد سمعت أن الروم قد خرجت إلى بلاد الاسلام فأقبلنا نجاهد بين يديك أيها الامام ابن الامام فأنعم علينا بالقبول والرضى وقد قطعنا اليك متسع القضا فعندها تبسم الخليفة وفرح واستبشر وقال أين أصحابكم فقالوا يامولانا بالقرب من عسكرك المنصور وجيشك المحذور (قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك قال امضوا اليهم وأتوا بهم فركبوا وأتوا إلى قومهم وقالوا لهم ابشروا بنصر المسيح وقول الشيخ النجيح فعند ذلك وردوا القوم الملعونة ميمونة قد لحقت بهم وهى متنكرة بينهم (قال) وأن الشمشاط المتنصرة تقدم ومعه عروة بن واثق ورافع بن سابق وبشر بن مرزوق وجابر بن معتوق وخدلجه بن همام وما زالوا سائرين إلى أن

وصلوا إلى سرادق الملك الأعظم خليفة الله فى أرضه فترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه وتقدموا له ودعوا له بالدوام ولا عدائه بالانتقام فخلع عليهم الخليفة المعتصم الامام وعقد لهم رايات سود مكتوب عليها بالبياض لا إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وبينما الناس كذلك وإذا بالأخبار قد وصلت أن الملك أرمانوس قد نزل من عقبة القائم وهو البكم قادم (قال) ولما وصل الخبر إلى المعتصم بالله قدم عزمه إلى اللقاء وحل من يومه وقد فرق العدد على ألف فارس من العرب المتنصرة واختص منهم الأمراء والمقدمين بأحسن اللباس وأفاض عليهم مافى خزانته من الأموال وتقدم أيضا كل أمير بعسكره وكل قائد بجيشه وقربت الجنائب وازدحمت الكتائب وترادفت المواكب وضاق القضاء وتسارعت الفرسان وتقدمت الشجعان وهممت الاقران وتكاثرت الأقيال وساروا المسلمين يريدون مع الكفرة الجال بمفرج الزعفران وهم فى أحسن زى يكون بسائر الألوان من ثياب الزرد والسيوف المرهفة والجيوش المصففة والاتراك واقفه والديلم بالحراب والاتراس راجفة والعرب قد تقدمت رماحها المداد بأسنه لامعة وأشهروا السيوف القاطعة والدرق المانعة وترادفت الخيالة وتقدمت الرجالة ونشرت الرايات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وهجمت الصافنات واشتهرت أرباب العزمات وقرؤا القراء القرآن من حول موكب الخليفة وقد جللته الهيبة والوقار والسطوة المنيعة ودارت به الهاشميين وبنى العباس والعلويين وبردة النبى صلى الله عليه وسلم على كتف المعتصم بالله وفى يده القضيب الممشوق (قال الراوى) فلما رأت العرب المتنصرة إلى ذلك ارتعدت فرائصهم وغرغرت أيضا عيونهم ونطقوا بالشهادة وكانت جملة السعادة لأنهم قريبين بعهد الاسلام فنادوا الجميع عن لسان واحد بين يدى الامام ابن الامام بكلام طلق فتح لنا الباب الملك العلام الذى أجرى الاقلام وأبرم الأحكام وحلل الحلال وحرم الحرام ومالوا بأجمعهم إلى أميرهم الشمشاط وقالوا له يا أمير أعلم أن الله تعالى ما أراد بيننا إلا خيرا إذ رجعنا إلى الاسلام ديننا وإلى قول نبينا وإلى رجل يصبر على ذلك وقد سمعنا كلام الملك الخلاق وقد حقت الحقائق ونظرنا الى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتف الامام (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام علم أن قلوب قومه قد مالت إلى دين الاسلام وحنت جوارجهم إلى القرآن نخاف أن يسلموا إلى الخليفة وفى وسط المعمعة يقتلوه فقال يابنى اعلموا أن الخليفة قد علم أننا أكلنا لحم الخنزير وشربنا الخمر فو الله لئن وقعتم بين يديه لا يرجع يبقى عليكم ويرجع يقول لكم ما أتيتم ألا تنصبوا عليه حيلة وتنكبوه نكبة ولا ندرى

لمن تكون الغلبة إن كانت للملك أرمانوس وملك البلاد فانكم ما تخلصون منه وإن كانت للسلمين قدرنا أن نقاتل وللعدو نناصل ونرجع إلى باب الخالق ونستغفر من ذنوبنا البوائق ولم يزل اللعين إلى أن ردهم عن ما عزموا عليه ثم أن اللعين التقى بالملكة ميمونة اللعينة وأعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها والحيلة التى دبرها عليهم فشكرته على ذلك (قال الراوى) ياسادة وأشرفت العساكر على العساكر وأظلمت الدنيا من الغبائر ووقعت العين على العين ونزلت الطائفتين وضربت خيام المتنصرة وسرادقات الترك والديلم فلما ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وقدأضرمت النيران وتحارست الفريقان وضجت الحراس من كل جانب ومكان (قال الراوى) فعند ذلك أخذت ميمونة خادمها وخرجت إلى ظاهر الجيش وأخفت أمرها وكتمت سرها وسارت من عسكر الخليفة طالبه عسكر أرمانوس إلى أن دخلت عليهم فلما رآها قام لها على قدميه وقبلها بين عينيها وبجل قدرها وسألها عن رجوعها وسبب ذلك فحدثته بما كان من العرب المتنصرة وبما فعل الشمشاط معهم حتى ردهم بالحيلة (قال الراوى) وباتت عندهم طول الليل فأنساها ذلك محبة عبد الوهاب ولدها بحرون ولما ولى الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه ركبت العساكر وتقدمت الدساكر وازدحمت العشائر ورجفت القلوب والخواطر واشتهرت البواتر واصطفت الصفوف وزادحمت الألوف فكان أول من برزإلى الميدان فارس من المغلبيط لايصطلى له بنار ولا يعدى له على جار وما حمل فى كبسه الاكسرها ولا عساكر إلا هزمها ولا كان يحمله جواد من ثقل جثته إلا أن يكون من الخيل الجياد ولا يثبت أحد اقدامه لأجل قوته وشدة براعته وكان أسمه ملغويص بن الغالوغص وكان قد هوى جارية من بنات الملوك وهى من بنات عمه ورآها فى يوم عيد الصليب وهى فى كنيسة لهم فهو بها وسأل عنها فقيل له هذه يقال لها مانوسه بنت الاكريس فمضى إلى أبيها وأهدى له هدية وخطب منه الجارية فقال له أبوها يا بنى ومن لها كفؤسواك أو اكرم من أباك غير أنى أريد فخر الا بنتى تفتخر به على سائر بنات الروم فقال له الغلام وما الذى تريد لها من الفخر والصداق والمهر فقال له أريد منك أربع غلمان من أمراء المسلمين تأخذهم أسارى وتأتى بهم اليها حتى يكونوا خدامها فى الكنيسة ويدقوا بين يديهم الناقوس وعشر جوار من بناتهم يكونوا برسم خدامتها فأجابه الغلام إلى ذلك (قال الراوى) فبينما هو فى الحديث وأبيها إذ أقبلت رسل الملك أرمانوس برسالة إلى الملك المليبط فسار والغلام معه إلى أن وصل إلى الملك أرمانوس فلما كان ذلك اليوم خرج هذا الغلام إلى مقام الصدام

وراد القتال لكى يفوز بما شرط عليه أبو الجارية ويوفى بعهده فينجز وعده ولما خرج إلى الميدان تطالت إلى فروسيته الشجعان وتحيرت من هجمته الفرسان وهابته الأقران وذلك أنه خرج فى ذلك اليوم وعليه لامة حرب كلها مذهبة كأنها غمست فى ذهب أحمر وعلى رأسه بيضة يونانية تخطف البصر وتحته وحصان بتخافيف حديد أحمر وبين عينيه غرة تزهر فلما وقف بين الصفين وأشتهر بين الفريقين ورمقته فى الميدان كل عين وكان الملعون قد تجبر وعلى سائر الطوائف تكبر ونادى برفيع من صوته معاشر المسلمين هلموا الحمام والموت الذؤام وقتال الليث القمقام والبطل الضرغام (قال) فوقفت الناس عن برازه لما سمعوا منه هذا الكلام ولم يخرج أحد إلى محاربته فلما رأى أن المسلمين تأخروا عن برازه طمع وأخذه الطمع وطلع الزبد على شدقيه وحمل على الميمنة وأراد منها فارسين وعاد إلى الميسرة فقتل أثنين وطلب القلب أسرع من لمح العين فلم ينل مراده ولا مسرة فؤاده لأن القلب كان فيه جبابرة الترك والديلم فرجع إلى الميدان وهو كانه الليث الغضبان فبينما هو كذلك إذ خرج اليـــه غلام من عساكر الإسلام لا نبات بعارضيه غيران الشجاعة تلوح من بين عينيه والفروسية تشهد له لا عليه وعليه ثوب خام قصير الاكام وثيـــابه رثه وعمامته خلقه ورمح مصعب مشدود مشقوق المعصب وسيف من غير خلق للحمائل إلا أن تحته جواد من الخيل الأصائل كأنه السيل السائل جليل نبيل بطرف كحيل وعنق طويل مليح النحاجيل أبيض الغرة ليس له مثيل لكونه أحلى من المنى وألذ من الثمر الجنى له هيل أطرب من الفنا مشيه جريان وجريه طيران يضيف فى خطوته الميدان مسلسل الجنان وهو لناظره فنان كما قال فيه الشاعر حسان هذه الأبيات .

حواد يريك البرق من دون جريه إذا طارفى الهيجا بغير جناح
له غرة مثل الهلال منـــيرة تلوح إذا أبصرتها مصباح
فراكبه فوق الثرية قاعد إذا ما بدا من فوقه بفلاح

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما صار ذلك الغلام فى الميدان أبصرته سائر الفرسان فصاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف ثم همزه بكعبه فنشر الجواد جناح جريه ومد أنامل جريه وسعيه وقد أنطوت له الأرض طيا والفارس فوق ظهره مستويا وقد عجبت منه سائر البشر والعرب والعجم فعرك الجواد عراك القدم الادم إلى أن قرب منه البطريق فمال إلى صوبه على التحقيق وقال له دونك يا ابن اللئام فقد منتك نفسك بالأباطيل وسبحت همتك إلى بحر الضلال والتضليل

فدونك والقتال والحرب والنزال فعند ذلك مال اليه البطريق وطلبه مثل نار الحريق وقد أخذ فى الكر والفر والاخذ والرد والهزل والجد والقرب والبعد والقتال والجهاد وقد تطاولت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق هذا وملك الروم ناظر إلى صوب المعمعة وكذلك المعتصم وكل منهما على صاحبه حائر وقد شخصت من الطائفتين النواظر لما رأوامنها من ضرب السيوف البواتر وقد هدت الأصوات والفارسان قد أخذا فى الطراد وأرخى كل واحد منهما عنان جواده وأجتهد فى قتاله وطراده وأخذ شرقا وغربا وخيلهما تجرى ركضا وجنبا وكلما فتح أحدهما باب للحرب سده الاخر بآخر الطعن والضرب فتـــارة يكتفيان وتارة يفترقان وتارة يأخذان ميمنة وتارة يأخذان ميسرة وقد أنعقد عليهما الغبار وتارة يتواخذان بالشكائم فى الميدان وتارة يختفيان والغبرة قد عقدت عليهما من تحت حوافر خيلهما وغابا عن أعين الناظرين وكل طائفة تدعوا بالنصر لصاحبها وهم حائرين فبينما الناس ينظرون إلى الغبار ولم يدرون ماكان من الفارسان فى مقام الظهار وإذا بالغبار قد امتحق لما مزقه الريح فتخلق وظهر ما قد خفى وإذا بذلك الشاب البدوى الخلق الاطمار قدصاح فى البطريق صياح الأسد المغوار والليث الكرار وصاح على خصمه وزعق وقد سل سيفه فلمع وبرق وقال له خذ هذه الضربة ياابن الأندال اللئام وأنا ابن على المرتضى وفاطمة الزهرا ثم ضربه بالسيف على عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه وقال فى عقب الضربة الله أكبر الله أكبر فعجل الله بروح البطريق إلى النار وبئس القرار ثم أن الغلام حمـــل بعد ذلك على جيش الكفار حملة الأسد الهدار وقصد موكب البطارقة فساقهم قدامه سوق الغنم إذا حجم فيهم الليث المغوار (قال الراوى) يا سادة فعند ذلك تواتروا فرسان الروم وحملوا عليه فأقبل البدوى يلتقطهم بطرف سنانه ويجندلهم فى وسط ميدانه ويجود فيهم ضربه وطعانه ويزعق فيهم بفصاحة لسانه ويقول هذه الأبيات

ألادونـكم والحرب فى حومة الوغا ... لاقتل منـكم كل قرم موافيا
فلست وبيت الله أقصر عنـكم ... ولو أنـكم عد النجوم كما هيا
أنا فارس الهيجاء فى الحرب ضيغم ... وجدى على المرتضى ذو المعاليا
فدونـكم والحرب انى صميدع ... أخلى حماة الحرب هلـكات واميا
وانصر دين الهاشمى محمد ... نبى الهدى من فرع طاهر زاكيا
وترضى امام العصر بالضرب والقنا ... ولاقطعن فى الأعدا بسمر العواليا
أنا ابن حماة الدين من آل حيدر ... شريف عظيم القدر والجد عاليا

وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى ماسار فى الليل حاديا
كذا الآل والأصحاب ماهبت الصبا وما قد أتى لله مضطر داعيا
وما ضحكت زهر وما سحب بكت وما ميل الأغصان ريح الشماليا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزل ذلك الغلام يناصل الكفار ويضرب فيهم بالبتار إلى أن حير بقتاله كل فارس شرار وذهلت منه الأبصار وحارت منه الأفكار فقتل من الكفار مائة وأربعين فارس وأقبل الليل بالاعتكار وأرخى ظلامه على سائر الأقطار هذا والغلام العلوى قد بلغ من مراده ما أراد ونال بقتاله أحسن منازل الأبرار والتقوه المسلمون وبالسلامة هنوه ومشوا بين يديه حتى أوصلوه إلى المعتصم فترجل الغلام وقبل الأرض مرارا فهناه الخليفة بالسلامة وأثنى على شجاعته وأقدامه وقال له ياغلام ما اسمك ومن تكون فانى رأيت اليوم من قتالك ما أذهل العيون فقال له الغلام ياإمام العصر والأوان أنا من قوم كرام غير أنى قد عضنى الزمان بانياب النوائب وأنا من سادات أطايب ومن نسل على بن أبى طالب ثم أن الغلام أشار إلى الخليفة وجعل ينشد ويقول

أمام الورى والله لست بكاذب وانى من نسل الكرام الأطايب
أنا ابن على الطهر من آل غالب وجدى النبى المصطفى ذا المناقب
واسمى أنا عبد العزيز وانني أذل العدا بالمرهفات القواضب
وتعرفنى الأبطال فى كل موكب بأنى لا ارتاع يوم التجارب
وأنت إمام العصر لازلت سالما يدور بك التوفيق من كل جانب

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع المعتصم من الغلام ذلك النثر والنظام قال لقد أنسبت يا هذا الخبر أمام ومن تشهد به وبفضله الخواص والعوام وفعلت ما يشبهك من الاكرام ثم أن الخليفة زاد فى الأكرام له والانعام وأوصل بره اليه وقدمه على العرب كلها كبيرها وصغيرها ثم أعطاه الخيم والمضارب والخيل والجنائب (يا سادة) ولابد ما نشرح قصة هذا الغلام ووصوله إلى الخليفة فى هذه الأيام لأن هذا الغلام يقال له عبد العزيز العلوى بن الفضل بن عبد الله بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وكان صغير السن جميل الحسب من أفخر بيوت العرب وأى فخر أكبر وأعظم من نسل محمد صلى الله عليه وسلم وكان الفضل والد هذا الغلام أكرم أهل زمانه وأكثرهم مالا ونوالا وخيولا وجمالا وكان أشجع الرجال وأفرس الأبطال وما قصده قط أحد ورده ولا أمله مؤمل وخيب أمله وكان يغير على أموال العرب العربا ويأخذ أموالهم غصبا وكان لهذا الغلام ثلاث أخوات بنات أبكار كأنهن الأقمار فكان عبد العزيز

أصغر أولاده لأنه رزقه فى آخر عمره فتعلم الفروسية وبلغ من زمانه غاية الامنيــة وصار له من الشجاعه بفعله المنزلة العليــة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان أباه أجتمعت عليه أهل الرغول من أعداه ومن كان قد قتل أباه وولده وأخاه وطالبوه بالتار وتجمعوا عليه من سائر الاقطار وكبسوا عليه فى ظلام الاعتكار فقتلوه ونهبوا أمواله وخيله وجماله وكان هذا عبد العزيز صغير ولما كبر تعلم الفروسيه وصار يغزو بكرة وعشيه فانتخب جماعة من فرسان العرب واجتمعوا فى طلب التار وكشف العار من هذا عبد العزيز العلوى وكانوا مقدار ألف فارس كرار وليث مغوار فقصدوا حلة عبد العزيز العلوى فى كشف العار وأغاروا على ما تبقى من المال والجمال والمهاره فركب عبد العزيز جواده واستقبلهم بقلب قوى وجنان جرى ومال عليهم كل الميل وقتل منهم كل فحل وقيل وانصب عليهم كانه الليث الهادر أو الأسد الكاسر أو النمر الحاذر ثم ضرب فى أعراضهم بالحسام ونزل عليهم نزول الأسد الضرغام أو العقاب إذا حام وقد أهزمهم بطعن رماحه وأرعبهم بصياحه وجندلهم بضرب سفاحه فلله دره من فارس بين الفرسان لأنه قاتل ألف فارس وحده وأذاقهم الذل والهوان وقهرهم فى القيعان وصار يصيح عليهم بقوة جنان ويقول ياويلكم ياأوباش العربان أنا عبد العزيز العلوى نسل فارس معد بن عدنان وقاتل العرب الجاهليــة فى ذلك الزمان وأنا فلابد لى أن أفنيكم بحسامى وأسوقكم سوق الغنم إذ الأسد فيهم هجم ثم ان عبد العزيز أنشد يقول :

قدوتكم نحو الليث وبادروا ... وفى حربكم لا تبصروا الحمامى
أنا بن على ابن عم محمد ... أصول عليكم فى الوغى بحسامى
ولو أنكم سبعين ألف مدرع ... حملت عليكم والصفوف أمامى
سأردى حسامى عند معركة الوغا ... وأشفى غليلى قبل شرب حمامى
أنا ابن حماة الدين من آل غالب ... محمد جدى وهو خير امام
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وانى سأفنيكم بطعن يقد الهام

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزل عبد العزيز يضرب بالسيف فى أعداه إلى أن خلص الغنيمة من القوم وعادوا طالبين الفراغ وأوسعوا فى البرارى والقفار وأخذ خيلهم وسلبهم وعادوا خائبين وقد انتشر ذكره وعلا فخره إلا أنه من كرم نفسه لم يترك له مال ولا أبقى له حال بل تكرم بالذوق والجمال والخيل والبغال والعبيد والأموال حتى إذا لم يبقى معه شىء يقتات به ولا ماياكل هو والبنات فضاق صدره وعيل صبره وكان قد سمع ببلاد الثغور والأمير عبد الوهاب وحسن عشيرته فى سائر الأحوال

والأمور وجودة فروسيته وقوته وشجاعته فودع أمه واخوته وسار طالب العراق إلى أن وصل إلى بغداد فوجد الخليفة قد خرج إلى الغزاه على بلاد الروم فصار فى صحبته ولم يسمع لعبد الوهاب خبر فسار ولم يعلم أحدا بنفسه ولا سمع حديثه من أحد من البشر إلى أن التقت العساكر بالعساكر وخرج وقتل البطريق وكان مثل الفتيق وعبد العزيز كان رقيق رشيق وقد قتل الفرسان وأفنى الشجعان وكان من أمره ما كان وقد حضر قدام الخليفة وأحسن اليه كل الاحسان وبات ليلته وهو فرح مسرور مزيد محبور فلما كان من الغد ركبت العساكر وتصففت الدساكر ونشرت الاعلام وتقدم كل بطل همام وفارس مقدام وحامت على القوم عقبان الحمام وقد أدوت الأرض من أصوات الكؤسات ونعير البوقات وكثرت الضجات وكان أول من فتح باب الحرب عبد العزيز العلوى ثم حمل على عساكر المشركين وزعزع جيش الكافرين وحده فلما نظر الخليفة اليه أعجبه فعاله وحربه ونزاله فقال فى نفسه ان الله تعالى قد أخلف علينا عوض الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وأبطال بنى كلاب ثم ان الخليفة تنفس صعدا وأظهر صبرا وجلدا وزرقت عيناه بالدموع تأسفا على الأمير عبد الوهاب وأمه وزاد به فى تلك الساعة همه وغمه (قال الراوى) ياساده ياكرام فبينما المعتصم فى فكرته وإذا بجيوش المشركين قد ماجت شمال ويمين وخرج منها فارس مكين كأنه جبل أو قلة من القلل ما بان منه غير آماق البصر وتداور الآماق فتأملته الناس وقد أعجبهم ما عليه من الباس وإذا بها الملعونه ميمونه وعليها تنور الذهب وقد أشرق مع نور الشمس والتهب وقد قصدت نحو عبد العزيز العلوى ونادت بأعلا صوتها ياغلام دونك وضرب الحسام وطعن السنان فى المقام فقد جاءك الاجل وخاب منك الأمل (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عبد العزيز قولها حمل عليها فى الحال وصدمها صدمة تهد الجبال وراوغها مراوغة الثعاب وأراها من قتاله العجب فرأت ميمونه من شجاعته وفروسيته مالا رأته من العجم ولا من العرب ثم لعب على جواده وتقلب وشرع سنانه نحوها وطلب ولعب برمحه وذكر أباه وجده وانتسب وحمل عليها حملة الاسد الأغلب وقد عبس وقطب وأشار إلى ميمونه يقول هذه الأبيات

أنا ابن على فى الحروب صميدع * أجندل أبطال الصليب وأقتل
وما النصر إلا من إله معظم * يذل رقاب الكافرين ويخذل
ونحن أولوا الحرب الأصيل لذا الوغا * وموقفنا فى حربكم ليس يجهل
فدونكى ياسوداء ليث صميدع * يصول ويحمى جانبيه ويقبل

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغ عبد العزيز من شعره حمل على ميمونة حملة الأسد إذا خرج من الغابات وتلقته ميمونة بقلب أقوى من الجبال الراسيات واصطدما فى الميدان ونزع كل واحد منهما سنان رمحه من على خشبه وقد نظرت أعين الفريقين اليهما وهما فى أخذ ورد وهزل وجد وقرب وابعاد وحرب وجهاد وتقاربا وتباعدا وتحاربا وتطاردا ولم يزالا فى حرب يشيب الوليد ويذيب الجلاميد وأخذا فى الميمنة حتى قيل قد عدما ورجعا إلى الميسرة حتى قيل قدقدما وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم يسمع منهما إلا الهمير من صدورهما والشخير من ركابهما وغابا فى الأوائد وصبروا على الشدائد وكل منهما يصيح على خصمة ويريد أن يبين شجاعته لقومه هذا والأعين اليهما ناظرة شاخصة وعقبان الأجال على رؤسهما راقصة ولم يزالا فى طعن يهد وضرب يقد الى أن كلت الساعدان ووقعت الجوادان واستمر كذلك الى أن درج النهار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا على سلامه وقصد كل واحد منهما عسكره وخيامه وقد أقبل المسلمون يهنون عبد العزيز بخلاصه من هذه الملعونة الكلبة ميمونه ومازال إلى أن وصل الى الخليفة فترجل وباس الأرض فقال له الخليفة ياأمير اياك أن تصغر نفسك عندما وقفت لك هذه المرأة فى الميدان وثبتت فى محل الضرب والطعان فوالله يا أمير انها تفوق على سائر الفرسان وتقهر الشجعان وقوتها عند الأبطال المعروفين وشجاعتها موصوفة واعلم ان مافى زماننا هذا أفرس منها إلا أن يكون الأمير عبد الوهاب وأمه رحمه الله عليهما فقال له عبد العزيز يامولاى وحق دولتك الشاملة ونعمتك المكمله مارأيت فى عمرى أفرس من هذه الملعونة على ظاهر الخيل ولا أشد منها قوة وحيل وانى أرجو من الله تعالى أن تخرج الى فى غداة غد لعل ان بارزتها ينبرى أجلها على يدى ويكون قد انتهى (قال الراوى) ياسادة فهذا ماكان من عبد العزيز (وأما ماكان) من الملعونة ميمونه فانها لما عادت الى الملك ترجل اليها إعظاما لقدرها وترجلت له أيضا فقال لها الملك أيتها الملكة ماقصرت اليوم فى القتال ولقد وزناكما فى طابق الجولان بميزان العدل فوجدنا كما سوى فى الحرب أكفاء فقالت له ميمونه ياملك وحق نعمتك لقط رأيت فرسان العصر وأبطال الدهر فما رأيت أفرس من هذا الغلام ولاأثبت منه فى مقام الصدام وغدا آخذه بسعادتك أسير وأقودة بين الأنام عفير (ياسادة) وما تقول ميمونة للملك هذا الكلام الا حتى لاتنقص منزلتها عند الملك (قال الراوى) ياسادة وباتت الناس فى تلك الليله وهم متحيرين من الفارسين من عبد العزيز وميمونة اللعينة ومماجرى بينهما من القتال والحرب والنزال فلما ولى الظلام وأقبل الابتسام ركبت الأمم من العرب والعجم وقد وقفت

قدام المعتصم وأخذت الرجال مصافها وقد ملأت الفضاء وإذا قد خرج من الكفار ثابت في سرجه كانه القضا عند الامضا وعليه ثوب ذهب وهو لمن ينظره عجب صاحبه آمن من البؤس ومواقع الحتوت وعلى رأسه بيضة شديدة البياض واللعان ثابت الأركان وفي يده عود نبت في أرض عدنان يصلح للحرب والطعان وعلى رأس تلك القناة سنان كانه لسان ثعبان ومن تحته جواد مليح الصفات سريع الحركات لايقلق عند اللقاء ولا ينبهر عند الملتقى لايقوم عنده النعيم ولا الشقا وصار ذلك الفارس في الميدان ويبين شجاعته وبراعته لانه لعب فوق جواده الى أن حير العباد وبعد ذلك طلب البراز وسأل الانجاز فبرز له فارس من العرب قتله والثاني جندله وثالث أهواه ورابع أعدمه الحياه وخامس عجل له الوفاه وسادس تركه عبرة لمن يراه فعند ذلك وقفت عنه فرسان الموحدين وبقيت نحوه شاخصين فلما نظر فارس الروم إلى توقيف المسلمين عنه وخوفهم منه فكشف المغفر عن وجهه في وسط الميدان وإذا بها ميمونة الكلبة الملعونة بنت الدمدمان فلما رآها عبد العزيز لم يجد له صبرا دون ان خرج اليها وناداها ويلك ياملعونة دونك والقتال والحرب والنزال ثم حمل عليها عبد العزيز حملة الأسد الغضبان وجالا طويلا واعتركا ميلا وأخذا في الهزل والجد والأخذ والرد وقتالهم بعزم أمضى من حوادث الأيام والليالي والأعوام وقد رأت من عبد العزيز بطلا لا كالأبطال ورجلا لا يقاس بالرجال وارتفع القسطل وحمى الهوجل وقد فاجأتهم بوقاحتها وضربته ضربة واصله فلما نظر عبد العزيز إلى الضربة وهي واصلة اليه ألقى نفسه عن الجواد أسرع من البرق ووقعت ضربة ميمونة على عنق الجواد فبرته كما يبرى البارى القلم وأطبقت ميمونة على عبد العزيز وهو راجل فعندها صاح المعتصم على القبائل وقال أدركوا صاحبكم فعند ذلك حملت المسلمين وعساكر الموحدين وجاوبتها الملحدين وحملوا من كل مكان وقد تزلزلت بهم مرج الزعفران وعمل السيف والسنان وطلع الغبار إلى العنان وتقصفت الرماح من الطعان وتثلم كل عضب يمان وتجندلت الفرسان وتنكست الأقران وضاق بهم واسع المكان وطارت الرؤس من الأبدان وثبت الشجاع وولى الجبان ولم يعرف الأخ أخاه في الميدان وعمل السيف القرضاب وبطل حكم العتاب وقاتلت فرسان الديلم وثبتت الروم الكلاب وأذاقوهم أليم العذاب فلله در الترك وما فعلت في ذلك اليوم من ضرب النشاب وأما العجم فانهم أفنوا في الحرب الكفار الكلاب ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه فرجعت كل طائفة إلى

مكانها وقد أزفت الآزقة بعلو شأنها (يا سادة) وطلبوا عبد العزيز فى تلك الساعة فلم يجدوه فصعب ذلك على الخليفة وعلى جميع الاسلام واعتراهم الخوف والغرام ومما جرى على قلب المعتصم ادعى بأرباب دولته وكبراء مملكته وقال لهم يا قوم اطلبوا الى القتلى فعند ذلك أوقدوا المشاعل وطافوا فى المعمعة فارس وراجل فلم يجدوه فعادوا إلى الخليفة وأعلموه فقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبد العزيز العلوى فانه لما بقى راجل وحملت العساكر والقبائل والتقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فجعل يقاتل راجل وكان قتاله راجل أحسن من قتاله فارس ولم يزل كذلك إلى أن كشف الروم عنه فوجد رجل من أصحاب الشعشاط يقال له الأعرج بن عوف وكان تحته جواد أصيل ليس له فى زمانه مثيل فضربه عبد العزيز ضربة واصلة كانت لرأسه عن بدنه فاصلة ولما وقع على الأرض قتيل ركب عبد العزيز على ظهر الجواد الذى لا يوجد مثله فى سائر البلاد وكان الغبار فى ذلك الوقت مقالبا والحمام من الفرسان متدانيا فقاتل قتالا شديدا إلى أن حامت حتوف الحمام بواديا فهملت عينين عبـــد العزيز على الاسلام بواكيا وأقبل صارخا مناديا وعن الاسلام محاميا فهجم جيش المشركين بضرب الحسام وطعن العوال وصار يقاتل قتالا شافيا وينشد ويقول

أنا ابن السراة أنا ابن الكماة * أنا ابن الامام مبيد الطغاة
أنا ذو المفاخر عبد العزيز * أبيد العداة برمحى وذاتى
سأحمل فى عسكر الكافرين * وأفنى الرؤس بضرب مواتى
ولست أخاف من المارقين * ولو أنهم فى عديد النبات
فمن كان فى شك فى ذا المقال * فيبرز إلى الحرب مثلى ويأتى
وصل إلهى على المصطفى * كذا الآل والصحب نعم الحماة

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولم يزل عبد العزيز يقاتل القوم فى ذلك اليوم إلى أن أثخن بالجراح ومل من ضرب الصفاح والحرب والكفاح وجرى دمه على ثيابه وساح وما زال كذلك إلى أن جن الليل وأرخى على الأقطار طنبا وذيل فقصد إلى قرية تعرف بقرية مرقونا ونزل فى مرج من مروجها وربط جواده فى شجرة هناك وجعل يفتش على حشيشة كان يعرفها لأجل تدمل الجراح وكانت العرب تستعملها لنفعها وفعلها وجعل يقلعها من الأرض ويلفها على جراحه ثم شد الجراح وركب يطلب العسكر وما وصل إلى عسكر المسلمين إلا فى النصف الأخير من الليل وقد خفت من نزف الدماء وقل منه القوى

والخيل ولما وصل إلى عسكر المسلمين ورأوه تصايحوا أجمعين واستبشروا بسلامته الموحدين ثم ان عبد العزيز قصد إلى سرادق أمير المؤمنين فوقف على الباب ومضى بعض الخدام وشاور الخليفة فأذن له فى الدخول فدخل عبد العزيز وهم أن يقبل الأرض فمنعه من ذلك الخليفة وقال له أنت من السلالة الشريفة وأصحاب المرتبة المنيفة ثم ان المعتصم أدنى مرتبته وإلى جانبه أجلسه وسأله عن حاله وما الذى جرى له فحدثه بما جرى عليه وما وصل اليه فهناه الخليفة بالسلامة وأحضر اليه الجرايحى فافتقد جراحه وإذا هى سالمة فطرح عليه المراهم فسكن ما به من ألم الجراح وحصل له راحة واستراح وبات الناس إلى الصباح فعند ذلك ركبت الكتائب وازدحمت العشائر وعات على الخيول ركابها وحملت بأصحابها واشتعلت نار الحرب وزاد اشتعالها والتحم الجمعان وتصادم الفريقان وعمل السنان وشابت الأقران وبكت الحبائب على أحبابها والخيول على ركابها وعمل قوسها ونشابها وحام نسرها وعقابها وعمل فى المسلمين الحسام وقتل منهم كل فارس صمصام وبطل ضرغام وأشرف عسكر المسلمين عل الانهزام لولا هجوم عساكر الظلام فافترقت الاخصام عن الأخصام وقد عدم من الطائفتين خلق كثير وجم غفير وكان الأكثر من المسلمين والربح للروم الملاعين وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وعزمت الطوائب على الحرب والكفاح وإذا قد أشرفت غبرة سوداء قد خيم غيرتها على الأقطار واسود منها ضوء النهار فتطاولت اليها العسكران بالأعناق وإذا بالغبار قد أنكشف عن عسكر جرار كأنه البحر الزخار وقد علت صلبانه وقسقست قساقسته وكان ذلك العسكر من ميا فارقين قد حضر لأن ميمونه تركت فيها مرهف بن واقد وعقبة بن مصعب الجاحد وكانوا فى جماعة من العرب المتنصره ولما بلغ الخبر إلى عقبة بهذا المصاف الذى بين الروم والمسلمين بمرج الزعفران ترك مرهف على ميافارقين وسار فى أربعة آلاف وهو على زيه وتنكره والملعون لا يعرفه أحد من الناس وان المعتصم لما رأى ذلك العسكر قال أنا الله وإنا اليه راجعون ولعل الله تعالى يجعل لنا من ذلك فرجا ومخرجا ولقد كنا نكون فى أصعب الأوقات فيأتينا الفرج من عسكر الأمير عبد الوهاب ولا سيما ومعه تلك السادة الانجاد مثل أبو الهزاهز وسملق وميمون الجماس وظالم وسيف الحنيفية والحجازى وبردبن الأزهر وهارون العلوى وهم كانهم الأسود ولم يكن لهم مثيل فى زمانهم فلقد كان وقت مسعود ويااليت كان الزمان يعود هذا وقد علم المعتصم بالذى ورد من الكفرة فتنفس صعدا وأن عند ذلك كمدا (قال الراوى) ولما ورد الملعون عقبه على أرمانوس بذلك الجيش سلم عليه وقال له أيها الشيخ

النجيح كيف تركت ميافارقين وأتيت فقال عقبة أيها الملك تركت فيهم مرهف فى خمسة آلاف فارس من العرب المنتصرة وجئت إلى نصرتك ففرح الملك بقوله (ياسادة يا كرام) ولما اصطفت الصفوف خرج عقبة بن مصعب وما زال حتى قرب من عسكر الخليفة وكان قصد الملعون بذلك أن يورى وجهه المعتصم وأرباب الدوله فلما قرب من العسكر نادى بالرومى المغلق يا معاشر المسلمين أن الملك أرمانوس قد بعثنى اليكم رسول يقول لكم أن أردتم الصلح فلكم من الفلاه إلى بلاد خراسان وسلموا الملك من انطاكية إلى بلاد الشام إلى طرسوس إلى بلاد الثغور وقد أخبرتكم بالأمور وان أبيتم ذلك فالقتال والحرب والنزال فهو مقيم على هذا الحال مستقيم (قال الراوى) الراوى) ولما نظر المعتصم إلى ذلك قال لأرباب دولته ألا ترون هذا اللعين وهو أشبه الناس بالقاضى عقبه وما أظن إلا أن الأمير عبد الوهاب رحمه الله كان إذا نظر الى هذا الشيطان هو وأبو محمد البطال فى بلاد الروم يحسبوه عقبة لأنه يشبهه فلا آخذهم الله بما كانوا يقولون فى حق ذلك الرجل الصالح (يا سادة) فالمعتصم فى هذا الكلام وإذا قد فقد من عسكر المسلمين سعد بن مسعد الهمذانى وقرب من عقبة وقال له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لسوف تندمون إذا رأيتم ملوككم هالكة وتنهب أموالكم وتقتل رجالكم ويبان الغالب من المغلوب وتحملوا مثل ماكنتم تحملون من المال مرتين ثم رجع سعد الى مكانه ورجع أيضا عقبة إلى الملك أرمانوس وأعلمه بما قاله من الكلام المنحوس وما أجابه سعد فضحك الملك من كلامه وعقبه مع الملك فى الكلام وإذا قدبر زملك من ملوك الافرنج فحمل إلى أن قرب من عسكر المسلمين وحمل عليهم فشوش أبطالهم وقتل بعض رجالهم وعاد إلى مكانه وإذا بموكب الروم قد تشوش وتزعزع من كل جانب واضطرب جميع المواكب وخرج منه زهاء من ألف فارس بطريق من المذبحة وهى قد ترجلت وللأرض قبلت وخرجوا جميعهم أمام فارس شاك فى سلاحه ولامته ساطعه وكان ذلك الفارس الملك ارمانوس ولما توسط الميدان أشار إلى أصحابه بالرجوع وتقدم إلى أن قرب من عسكر المعتصم ونادى المنادى يامعاشر المسلمين أن الملك ارمانوس قد خرج بنفسه فداء لأهل دولته بشخصه وقد طلب مبارزة خليفتكم فلما سمع المعتصم ذلك بادر إلى الخروج اليه وصمم بالحملة عليه فتعلقت به أرباب دولته من الهاشميين وقالوا يا أمير المؤمنين بأرواحنا نفديك وبأنفسنا نقيك فدع أحدنا يخرج اليه وإلى هذا الكافر الجاحد الذى عليه لعنه الملك القادر فقال الخليفة ماكنت بالذى أدعى إلى الحرب

وأتأخر عن ذلك ونحن من أهل بيت من حبهم القتال وعاداتهم النزال لأهل الكفر والضلال والواجب على أن أذب عن المسلمين بالنفس والمال فان أنا قتلت فالخلافة من بعدى لولدى الواثق بالله وأنتم الواجب عليكم أن تقاتلوا عن دينكم وعن حريمكم وهذه وصيتى عليكم ثم أن الخليفة ترجل ولبس مايدفع الأذى والوجل وقد ركب على جواد أغر محجل وخرج إلى الحرب والعمل ولم يرتاع من قصر الأجل ثم أن المعتصم حمل على عدو الله من غير تطويل واختصر فى المقال والقيل واستقبله عدو الله وتلاقيا وتحاميا وتهاجما وتصادما وجرى بينهما حرب يشيب فيه الشباب وتجالدا جلادا يعجز عنه أسود الغاب ثم تباعدا وتقاربا وتلاقيا وتعاركا وتشابكا وأخذا فى الطراد والكد فكانا كبحرين التطما أو جبلين تصادما وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ساعة من النهار هذا والأعين اليهما ناظرة والقلوب نحوهما طائره وقد صبر عدو الله صبر الجبابرة والمعتصم قد استعاذ بالله رب الدنيا والآخرة وقد ظهر عليه ومد يده اليه وأنوار بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشرق من حواليه هذا وعدو الله ارمانوس قد تبلبل خاطره وزلت سرائره والمعتصم فى الاقدام بخلافه وارمانوس قد أيقن بهلاكه وتلافه (ياساده) ولما نظرت ميمونه الملعونه إلى ذلك خرج العقل من رأسها وصارت مجنونة وخافت على ارمانوس من المعتصم وحملت على الامام وعولت ان تسقيه كاس الحمام ولما نظر إلى ذلك الأمير عبد العزيز العلوى خرج اليها قاصدا وعليها مصمما وقال لها يالعينه دونك والقتال والحرب والنزال فقد وافاك الاجل وانقطع منك الأمل ياويلك أنا ابن النبأ العظيم والصراط المستقيم أنا ابن فاطمة الزهراء وسأجعلك عبرة لمن يرى ثم انه أنشد يقول

فدونك منى فى الصباح صميدع ☆ يطول على أعدائه ويصول
غلام يحادى عن شريعة أحمد ☆ نبى الهدى للعالمين رسول
وأنصر دين الهاشمى لأننى ☆ همام هذير للعداة قتول
وأقهر أرمانوس والجيش كله ☆ وانى قوال لذاك فعول
وأضربك بالسيف ضربة ضيغم ☆ بسيف له مما يقد فلول

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم حمل عليها حملة منكرة وقد التقته ميمونه اللعينة صارخة وكل منهما قد احترز من صاحبه وبطل طعنه ومضاربه وكذلك المعتصم مع ارمانوس فى قتال يهد وضرب يقد وما زالوا كذلك إلى أن كلت الخيل من طرادها وتثلمت الصوارم من ضرابها إلا أن الملعونه ميمونه زعقت على عبد العزيز صرخة

وكادت تسقيه من الموت كأس منونة ثم ألصقت ركابها بركابه وضربته بسيفها فلما علم عبد العزيز أن الضربة واصلة إلى رأسه فاصلة ألقى درقته على رأسه فلما رأته ميمونه قد استتر بالدرقة ألقت نفسها عليه وقد تركت علاقة سيفها فى زندها ومدت يدها إلى درعه وجذبته جذبة الأسد فوقع كفها لما يريد الله الواحد الأحد على الجرح وكان جرح شديد صعب المداواة فوجد عند ذلك عبد العزيز ألم عظيم وغاب عن دنياه وضعفت قوته وعدمت شجاعته وانكسرت همته فأخذته أسير (قال الراى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام وأما المعتصم فانه طلب أرمانوس بشدة عزيمته وقوة همته فلما رآه خاف من حروبه بين يديه فأدركه وقد صمم عليه وداخله الغضب وتداركه الصخب وكان تحت أرمانوس جواد لا يوجد مثله فى سائر البلاد فلكزه بالمهامين فخرج من تحته مثل الطير الطائر أو الريح الغائر وفات المعتصم فحمل الخليفة على عسكر الروم وأظهر فيهم العجائب وزعزع المواكب وطحطح الكتائب وضرب فيهم ضرب صائب وقتل منهم أوفى من عشرين بطريق كلهم للملك أقارب ودعس فى البطارقة وأنزل بهم كل بائقة فلما نظرت المسلمين إلى فعل المعتصم حملت سائر الأمم من العرب والعجم وحملوا أجمعين واستقبلتهم المشركين وعملت الصوارم فى الجماجم وماجت العوالم وعادت ما بين مهموم ومغموم ومنهوب وسالم وكانت ساعة تؤرخ فى الملاحم لما جرى فيها من الحرب والقتال والخيول جالت والدماء سالت والرجال مالت والفرسان صالت والأرض من الركد انخسفت والأفئدة ارتجفت ورياح المنايا عصفت وقناديل الحيـــاة انطفت والمواكب اختلفت والدماء من الأجساد وكفت والعيون انطرفت والشجعان قاتلت ووقفت والزنود من الضرب كلت والرجال ملت والمنية بالناس حلت والدنيا أظلمت والاقيال تصادمت فما كنت ترى فى ذلك اليوم الأجواد غائر وفارس حائر ورأس طائر وقد انكشفت السرائر وعميت البصائر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفة إلى خيامها والمعتصم قد قصد إلى سرادقه وقد كاد الحنق أن يخنقه من وجهين أحدهما هروب أرمانوس منه والآخر أسر الأمير عبد العزيز وقال والله ما نالنى من الفرح بسلامتى مثل ما نالنى من الهم والغم على هذا الغلام الغريب عبد العزيز والله لئن ذهب من رأسه شعره لأجعلن بلاد الروم دكا وأترك كل من فيها هلكا (قال الراوى) ياسادة فبينما الخليفة بهذا الكلام وإذا قد دخل عليه جماعة من الخدام وقالوا يا مولانا أن أربعة من الفقراء واقفين على الباب وهم يستأذنون عليك ويريدون الحضور إلى بين

يديك فلما سمع المعتصم ذلك قال على بهم فما كان غير ساعة حتى دخلوا على الخليفة من غير فزع ولا خيفه وقبلوا الأرض بين يديه ودعوا له وسلموا عليه فقال لهم الخليفة من أنتم ومن أين أقبلتم فقالوا له يا أمير المؤمنين نحن قوم مسلمين ومن عباد الله الصالحين فدنس من الدنيا دنس ومقامنا بيت المقدس ولنا فيه مدة من الزمان ونحن أربعة أخوة ولنا شيخ كبير أسمه عبد الله بن أدريس وأصلنا من خراسان وكان والدنا عابد زاهد راكع ساجد قائم صائم لم تأخذه فى الله لومة لائم فلقيوه قوم من البطارقه وكان أبونا يخل بعينه اليمين لكن له طلعة أنور من الشمس وأثنى فلما نظروه الروم تقدموا اليه وقالوا له أنت القاضى عقبة فقال لهم يا قوم ما أنا ذلك الرجل فقالوا له بل أنت هو ثم أنهم مسكوه ومالوا عليه وضربوه ضربا وجيعا وأتوا به إلى دير هناك وألقوه فى سرداب ثم أنهم طالعوه بخبره إلى الملك أرمانوس وأقام أبونا فى ذلك المكان لا يأكل ولا يشرب حتى أشرف على العطب وفى تلك الأيام دخل إلى ذلك المكان قوم من العرب ممن يطلبون المكسب فلم يجدوا فى ذلك المكان لا أسود ولا أبيض ثم هداهم الله تعالى إلى ذلك السرادب وأبونا فيه يقاسى أنواع العذاب فسمعوا أنينه فنزلوا اليه ولما عاينوه قالوا له أنت ابن عمنا القاضى عقبة بن مصعب السلمى يا مولانا وكان أبونا قد أيس من الحياه وأيقن بالوفاه فلم يدرى ما يقولون بل شخص اليهم وقد عولوا على الإنصراف ففتح عينيه بانحراف وقال لهم يا قوم من أى العرب أنتم فقالوا يا قاضى نحن من بنى سليم من ملطية فهل لك أن تأتى معنا وتوصى بوصية إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله فقال لهم يا قوم بل اقروه منى السلام وبشروه عنى بالعز على الدوام وكان ذلك يا أمير المؤمنين من أبينا لأجل دينه واسلامه لأن طاعة الإمام فرض على كل من فى الأرض ثم خرجوا القوم من عنده وهو على آخر نفس فما خرجوا عنه تلك العرب بمقدار يوم الا والبطارقه الذين تركوه هناك جاؤا إليه وأخذوه وكان قد مضى فى طلب والدنا فوجدهم قد ساروا به إلى القسطنطونية وقالوا هـذا قاضى المسلمين فى ملطية ثم حرقوه يا أمير المؤمنين وكان ما أراده رب العالمين فواحسرتاه على طول الأيام والسنين (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن القوم بكوا من قلب حزين وقالوا كان ذلك فى الكتاب مسطوراً وخرج يا أمير المؤمنين من بلاد الروم وهو الذى أخبرنا بذلك فتيقنا أنه هلك فبكينا عليه وقلنا لا إله إلا الله بأى شىء أستحق أبونا ذلك ولكن الحمد لله الذى أحرقه بنار الدنيا ولا أحرقه بنار الآخره فبينما نحن مقيمين يا أمير المؤمنين ببيت المقدس إذ أقبل علينا شيخ أعور من عينه اليمين يشبه أبينا فسألنا عن حاله وقلنا له من أنت ومن تكون

فقال لنا أنا أعرف بالقاضى عقبة بن مصعب وكنت مأسور مع قوم اعدائى فقلنا يا فتى ومن هم أعداءك الذى منهم نجاك ربك فقال رجل يقال له البطال ومعه جماعة من الرجال يقال لهم عبد الوهاب وذات الهمة وظالم وضيغم وسيف الحنيفيه ونحن الجميع من ملطيه وهم ما يبرحوا كل سنة يعملوا معى كل قبيح وقد ألزمنى من لا آخذه الله بذنوبى أن أكتب كتابا إلى المعتصم بأمر لا أقدر فى ديوانى أن أفعله ولا يحل لى أن أعمله فضربت إلى أن أشرفت منهم على الموت والتلف فكتبت كتابا بالذى أرادوا وقد خلصنى الله من أيديهم وجئت إلى ههنا لاتهنأ بالعبادة ولو سنة واحدة فقلنا له يا شيخ بالله عليك ادع الله لنا وادع الله عليهم فقال والله أنى ما أستحل أن أدعو على كافر جاحد فكيف أدعو على مسلم مجاهد وأقام عندنا أيام وإذا قد أشرفت علينا عشرة من الرجال فأقبلوا اليه وسلموا عليه وقالوا له ألست أنت القاضى عقبة الذى كنت فى الدير وأوصلنا إلى أمير المؤمنين وإلى السيدة زبيـــدة بخبرك فقال لهم يا قوم وإيش أصنع أنا فى بلاد الروم والاديره فقالوا والله لقد ضربنا الخليفة بسبب من رأيناه فى الدير وما وجدنا من جهته خير وهو أشبه الناس بك وضربنا على ذلك حتى أشرفنا على الهلاك ولولا السيدة زبيدة لكنا هلكنا وصرنا شهره بين الناس وكنا نفرنا بعدلأجل خلاصه من المعتصم أن تزور هذا المكان وأنت وهذا الا وان فقال لهم ياقوم ماأعرف ماتقولون وأقبل يحاججهم فقال لهم أخى ياقوم أن الذى رأيتموه فى ذلك الدير هو أبى وهو أشبه الناس بالشيخ الصالح هذا وقد أحرقوه الروم وقد مضى إلى رحمة الله تعالى ونحن يا أمير المؤمنين قد أتينا إلى الجهاد وتركنا ذلك الشيخ فى بيت المقدس وكان قدعاهد نا بعهد الله تعالى اننا إذا وصلنا إلى جنابك وطلنا بركابك نقريك عنه السلام ونخبرك بما يدعوه لك وللسيدة زبيدة فى ذلك المقام وترضيه عن الخلفاء الراشدين من آبائك الكرام ولما قدمنا لزمنا ما عهدنا عليـه ذلك الشيخ وتبليغ ما أوصانا به اليك من الكلام وقد أدينا الأمانه وبلغنـا الرسالة (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام فلما سمع المعتصم قال لارباب دولته ألا ترون إلى هذا العجب يكون رجل عابد راكع ساجد على صفة عقبة يقتل ويحرق ثم يأتون قوم يحلفون ان الذى رؤه هو القاضى عقبة فوحق آبائى الطاهرين ان كان هذا البطريق الذى اسمه شمعون بن بولص الا أشد الناس بالقاضى عقبة لا شك فيـه ولا ريب فان هذا الزاهد الذى قد أحرق سعيد فى الدنيا والآخرة فأريد أن أرحل النجابه إلى بيت المقدس يأتون به فانه بركة مصبوبة ورحمة فى الأرض منصوبة (قال الراوى) يا سادة ثم ان المعتصم أعطى الزهاد ذهبا كثيرا فقالوا يا أمير المؤمنين ما نرضى هذه الدنانير لغلمانك فكيف

نرضى لأنفسنا ثم دفعوها للخزائن فقال المعتصم هذه صفة المؤمنين وزهاد المسلمين ثم خرجوا من عنده والناس منهم متعجبين (قال الراوى) وكانوا هؤلاء الزهاد الأربعة من العرب المتنصرة وان الملعون عقبة لقنهم ذلك الكلام وأعلمهم وأوصاهم ومن المال الكثير أعطاهم حتى يعملوا ما علمهم ولما خرجوا من عند المعتصم قصدوا إلى عسكر الروم ثم دخلوا على عقبة وحدثوه بما قالوا فتبسم ضاحكا من تلك القصة وقال وحق المسيح وكل راهب وقسيس ان هذه حيلة ما يقدر عليها إبليس فقال له بعض الحاضرين يا شيخ ان كنت ما أنت ابليس فأنت أخوه فى قوله وفعله وضحك عقبة وكشر على أنيابه كأنها أنياب خنزير أو أنياب كلاب ثم ادعى فى الحال برجل من العرب المتنصرة يقال له فضاح الرجال وقال له أريد منك الساعة تركب جوادك وتسير إلى عسكر المسلمين فاذا كان فى غداة غد وخرجت أنا إلى الميدان فاخرج إلى وبادرنى من قبل أن يخرج إلى أحدا من المسلمين فاذا خرجت إلى فلا بد لى بما أتجاول أنا وأنت إلى أن يحجب الغبار عن النظار فعند ذلك أخلع السنان من القناه واطعنى وأنا أرمى بروحى وأظهر أنى شربت كأس الوفاة ويحملونى البطارقة إلى خيمة الملك أرمانوس فلى فى ذلك أرب حتى يبلغ المسلمين أن شمعون بن بولص قتله (قال) ففعل المتنصر ذلك وامتثل جميع ما أمر به اللعين ثم ان عقبه أقبل على أرمانوس وقال له أيها الملك إذا طعننى هذا ووقعت إلى الأرض فأمر البطارقة أن يمشون ويبكون ويشيعون ان شمعون بن بولص قد مات فلى فى ذلك تدبير فقال له الملك سمعا وطاعة (قال) ولما كان من الغد لبس المتنصر آلة السلاح وعدة الحرب والكفاح وصار إلى عند المسلمين واختلط بالموحدين (قال الراوى) يا سادة فهذا ما كان من الملعون عقبة وتدبيره (وأما ما كان) من الملعونه ميمونة فانها أحضرت عبد العزيز فى سرادق أرمانوس بحضرة جماعة من الملوك فلما رآها الملك صلب على وجهه وقال وحق المسيح والدين الصحيح ما أظن فى عسكر المسلمين أفرس من هذا الغلام ولقد أعانكى المسيح على هذا الفارس الهمام ثم أقبل الملك على عقبة وقال له أيها الشيخ اعرض على هذا الغلام التنصر حتى نغمره بالأنعام فان قبل وفعل أعطيته الأموال وقدمته على الرجال فعند ذلك التفت الملعون عقبه إلى عبد العزيز وقال له من أين أنت ومن أين ديارك ومن يقال لك فقال له عبد العزيز ياغلام ياهذا أنا غلام علوى أتيت من الحجاز فى طلب الجهاد فى طاعة رب العباد لعلى أن أفوز منه بالرضى يوم التناد وما قدمت إلى هذه البلاد إلا لأجل الأمير المهاب والأسد الوثاب الأمير عبد الوهاب لأكون بين يديه من جملة الأصحاب لأننى غدر بى الزمان بعدد المال الواسع والعز الشاسع ولما رأيته قد فقد وقد خلت من شخصه الأوطان

وغدر به زمانه وفقدوه أصحابه وخلانه عدت إلى نصرة السلطان التى طاعته فرض على كل انسان وقد حاربت محاربة الاقران إلى أن جرى على ما جرى وكان ما كان وأنا راضى بما قضاه الملك الديان لأننى من أهل بيت لم يزالوا على القضاء صابرين ولربهم ذاكراين (قال الراوى) فلما سمع عقبة كلامه قال له فما الذى صنع معك الخليفة قال أكرمنى غاية الاكرام وقدمنى على ثلاثة آلاف من الفرسان وهم أبطال الاسلام فقال عقبه ياغلام فهل لك فى الدخول فى الدين الصحيح وهو دين المسيح ليكرمك الملك غاية الاكرام وتنجو من النار يوم القيامة وتطلب طريق السلامة ثم يقدمك الملك على عساكره وجميع دساكره وترجع سيفا لدين النصرانية وعمدة لبنى ماء المعمودية وتأخذ من الملك الاقطاع ويحكمك على خزائنه وسائر البقاع وتصير حاكم البلاد والقلاع والحصون والضياع وتبقى ملك عظيم وسيد كريم وقائد حليم (قال الراوى) فلما سمع عبد العزيز من الملعون عقبه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام واختطت لونه وتغير كونه وقال ويلك ياشيخ الملاعين ويامن طرد عن باب رب العالمين فكيف أحيد عن الطريق الواضح والميزان الراجح وجدى محمد المصطفى وأبى على المرتضى الفارس الانزع والليث الصميدع قالع الباب هازم الأحزاب والكفار ها أنا ورقة من شجرته وغصن من ثمرته فتبالكم ولمن تعبدون من دون الله يامشركين ياويلكم أما تعلمون أن المسلمين لهم جنات الفردوس نزلا فكيف تأمرنى أن أتخذ بين الاسلام بدلا ياويلك أما علمت أن الشفاعة لجدى والحوض بيد أبى ياويحك أكون من ذلك العنصر وتأمرنى بعد ذلك أن أكفر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عقبة من الغلام عبد العزيز هذا انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال للملك أقتل هذا الغلام فانه لم يرجع عن دين الاسلام ولا يرتد عن دينه ولا يرجع عن يقينه ولئن تخلص من أيديكم هذا الشاب أذاقكم من كفه وسيفه كاس العذاب وكان سبب هلاككم والذهاب ويأخذ موضع عبد الوهاب والرأى عندى أن تقتلوه وبأسيافكم تقطعوه (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك أشار إلى البطارقة وقال لهم قطعوا هذا الغلام بأسيافكم فعندها صاح عقبة بعبد العزيز وقال له ويلك الآن حقت الحقائق وذهبت العوائق والساعة تقطع منك العلائق فدونك والتنصر لتنجوا من المهالك وترجع لرقاب الروم مالك فقال له عبد العزيز يالعين تخوفنى بذلك وأنا ما كفرت فى نعمائه أكفر به فى حال بلائه وحسن عطائه وقد وجدنى على البلاء صابر ولا أكون يوم القيامة خاسر إذا نادى المنادى بأهل الموقف هذا يوم توفون أعمالكم وقال تعالى

ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا لأن الله تعالى خلق المسلم والكافر والبر والفاجر واعلم ياهذا أن الله تعالى خلق الأشياء وعددها وحصرها وحددها فاذا تأملت ببصيرتك وحققت الأشياء بمعرفتك رأيت جميع ما خلق الله راجع لشيئين فاما ضدين وأما ندين فخلق العرش والكرسى ندين واللوح والقلم عدلين والشمس والقمر نيرين والسماء والأرض عاليين والموت والحياة ضدين والدنيا والآخرة دارين والجنة والنار خلودين والمسابقة والملاحقة قسمين والبر والبحر طريقين وخلق الله ابن آدم من اثنين الماء والطين فاذا تأملت ببصرك إلى كل فرد من الأفراد وكل واحد من الأجساد وجدته فى الحقيقة اثنين وهو قوله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فخلق ابن آدم ينظر بعينين ويسمع بأذنين ويتكلم بشفتين ويشم بمنخرين ويبطش بيدين ويسعى برجلين ويقوم على قدمين ويقعد بركبتين ويستريح بمخرجين وينضجع على جنبين ثم ركب فيه من كل شىء اثنين فيه الطاعة والمعصية والخوف والرجاء والحب والبغض والخير والشر والعسر واليسر والغضب والرضى والضحك والبكا والنوم واليقظة والعجلة والطمأنينة والجوع والشبع والغنا والفقر والصحة والمرض والنفع والضرر والشك واليقين والصلاح والفساد فاذا ثبت ذلك فى عقلك علمت أن جميع ما خلق الله تعالى ينقسم إلى قسمين فجميع صفاتك مقرونة باثنين فثبت على الحقيقه أن ليس واحد إلا الله تعالى فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا كانت هذه صفات الخالق فكيف يتخذ معه شريك أيها الشيخ الضال التايه فى طريق المحال الكلب اللعين (قال الراوى) يا ساده فلما سمع عقبة من عبـــد العزيز هذا الكلام أنقلبت عيناه فى أم رأسه وقال للبطارقة ويلكم قطعوه وبالسيوف بضعوه فعند ذلك أخذته السيوف من كل جانب وعبد العزيز صابر على ضرب الكفرة الكواذب إلى أن أثخنوه بالجراح ووقعت فيه أربعة عشر ضربة غير قواتل لما يريده الله تعالى من حياته فهو يدبر الحركه والسكون ويقول للشىء كن فيكون فعند ذلك قال الملعون عقبة أقطعوا لسانه الذى تكلم به هذا الكلام ووجلت منه القلوب وزرفت منه الدموع من العيون (قال الراوى) فعنـــد ذلك قال الحاجب مارس لأخيه دارس والله لأمكنا هذا الملعون من قطع لسانه وهو ينسب إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين نفدية بالمال والبنين ثم تقدم مارس قدام الملك وباس الأرض وقال أيها الملك ليس هذا بصواب وأن الرأى الصائب ترك هذا الكلام الذى تفعله فى حق هذا الغلام إلى أن يصبح الصباح فان عاش

أخرجناه إلى بين الصفين وأشهرناه بين الفريقين ونضرب عنقه بين الطائفتين وقد نظرته كل عين ونغيظ بذلك المسلمين وخليفة الموحدين فلما سمع الملك ذلك أستصوب رأيه وقال خذه اليك يا مارس فما فى دولتى أنصح منك وأحتفظ به أيضا فأنا أعلم انه ما يقدر على الهروب منك ولو طار فى الفضا فعند ذلك أخذه مارس وأتى به إلى خيمته وكانت منعزلة عن الخيام كل ذلك حرصا منه لنفع الإسلام ثم أن مارس أفتقد جراحات عبد العزيز وسائر جسده وإذا بالجراحات كلها سالمة لم يقطع له عرقا ولا عصبا باذن الله تعالى فخيط جراحاته وحطوا فيها المراهم والدواء فلما فعلوا ذلك وجد الراحة فى نفسه وسقوه الماء والشراب وأطعموه اللباب ففتح عبد العزيز عينيه وقال يا قوم من أنتما اللذان من الله تعالى على بكما فان كنتما كافرين فقد سخركما لى رب العالمين حتى يصح ما تألم من جسدى فى هذا الحين وان كنتما مؤمنين فمرحبا بكما وهنيأ لكما بهذا الدين ولعل الله تعالى يجعلكما سببا لجمع شملى بعجوز الحجاز وتلك الهضاب فانها كانت تحسب لى هذا الحساب وتخاف على من مثل هذا المصاب لأننى كنت بقيت من بقايا الاحباب والآن فقد خفى عليها أمرى فاندرس ذكرى وان أنتما قدرتما ان تبلغاها سلامى وتعلماها بمقامى وكيف كان بالكافرين كلامى واننى قد شربت كاس حمامى فهى إذا سمعت ذلك يغلبها البكاء والنواح وتعلن بالصياح ثم ان عبد العزيز بعد ذلك أنشد يقول

ألا أيها الشجعان بالله بلغا … سلامى إلى اطلال مكة والحجر
فلقيتما ما عشتما كل نعمة … وعز واقبال يدوم إلى الحشر
ولاضاع عند الله ما تصنعانه … فقد خف عنى ما وجدت من الضر
بصنعكما لاقيت خيرا وراحة … لذلك فعل الخير بين الورى يجرى
ومالى وبيت الله موتى وانما … تركت عجوزا فى المهامه والقفر
ضعيفة حيل ليس فيها جلادة … على نائبات الحادثات التى تطرى
معودة سكنى القفار مقيمة … على الشيخ والقيصوم والبغت والزهر
مع الطير والغزلان والوعل بعده … مع البقر الوحش المقيمات فى البر
وكنت لها ركنا لبعد رجالها … وأكرمها جهدى وان مسنى فقرى
وأطعمها من صيد كفى أرانبا … من الوحش واليربوع والظبى اذتسرى
وأحمى حماها لم تضام ولم أزل … لها واقفا فى موقف الخير والشر
ولى عندها أخت على حنونة … لأنى رجاها فى الشدائد والدهر
تقول وقد حان الفراق فان لنا … بحسن رجوع قادم منه بالبشر

إذا سافر الانسان عن أرض أهله فاما رجوعا أو هلاكا مع الدهر
ألا بلغاها من سلامى تحية وقولا غريبا مات فى بلد الكفر
طريحا جريحا بالسيوف مبضعا على نصرة الاسلام والطاهر الطهر
ألا ياحمام الايك هيا تحملى رسالة من قد لا يفيق من السكر
حمامات نجد اسمعا قول مغرم طريح جريح وهو فى ذلة الاسر
وان سألت عنى العجوز نخبرى بحالى وما لاقيت من غير الدهر
حمامات نجد طال شوقى وحسرتى وان دموعى كالسرايب والقطر
جمامات نجد بلغى قول شايع غريب بعيد الدار فى بلد وعر
حمامات نجد ان أتينى خيامنا فقولى رأيت الدهرعسرا على يسر
حمامات نجد بلغى الاخت اننى قتلت بحد المرهفات مع البتر
وقولى لها عبد العزيز تركته له علة بين الجوارح والصدر
حمائم نجد غردى عند موطنى وقولى غريب قد يحن إلى الذكر
لهمن غداد العمر عشر وسبعة وواحدة عند الحساب بلا نكر
وفى خده خال محته مدامع على فقد أوطان وكسر بلا جبر
مضى زائرا يبغى أميرا مجاهدا له طود عز فى المكارم والذكر
ألا فاوقفيانى بارك الله فيكما ألا واكتبا هذا الغريب على القبر
وفيه ثوى عبد العزيز محسرا على عمره إذ لم يبالغ فى العمر
له إتصال بالنبى محمد ومن خص بالمعراج فى ليلة الاسر
ألا ياحمامات الحطيم وزمزم الا فاخبرى أمى ودلى على قبرى
عسى تسمح الأيام منها بزورة لقبر غريب لا يزار من النكر

(قال الراوى) ياساده ياكرام وكان مارس ودارس يعرفان بلغات العرب فلما سمعا هذه الأبيات بكيا بكاء شديدا وقالا له طب نفسا وقر عينا ثم أنهما أعلماه بما هما عليه وانهما مسلمين وهم عيون للاسلام فى عسكر المشركين وانهما عونا لهم على القوم الكافرين ففرح بذلك ثم قالا له الساعة نعمل على خلاصك ولو قتلنا بسببك ثم أنهما أعطوه جواد من عتاه الخيل وكان الوقت نصف الليل فقال لهما عبد العزيز أريد منكما سيف قاطع ودرع مانع فان ظهر بى حرس الكفار جاهدت فيهم وأسقيتهم شراب البوار فعجبا من جلادته وفروسيته وشجاعته وصبره على الشدائد وانه فارس ماجد فأعطوه ما طلب وناولاه لامة حرب تشرق بالذهب ثم سار عبد العزيز بعد ماودعاه والله تعالى بعين

عنايته بحرسه ويرعاه وسار فى الظلام السابل وقد أسبل الله عليه ستره الشامل وما زال عبد العزيز إلى أن وصل إلى عسكر المسلمين وكتائب الموحدين وقصد إلى سرادق الخليفة بغير جزع ولا خيفة فلما رأوه الحراس سألوه عن حاله فأعلمهم بمكانه وقال أنا عبد العزيز العلوى فهنوه بالسلامة وأعلموه الخاص والعام ووقعت البشائر واستأذنوا أمير المؤمنين عليه فأذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وقبل الأرض فأكرمه المعتصم وأدناه وفرح بسلامته غاية الفرح وخلع عليه وأزال مابه من الترح وخرج من عند الخليفة وسار إلى سرادقه وقد وقعت البشائر فى عسكر الاسلام وبات الناس إلى أن ولى الظلام وأقبل النهار بالابتسام فبادر الناس إلى لبس السلاح للحرب والكفاح وكذلك الكفار وقد ركب المعتصم ودارت به الخدام وكان أرمانوس قدصعب عليه وكبر لديه خلاص عبد العزيز الا انه لم يتخلف عن الركوب وركبت الملوك ولم يتخلف لاغنى ولا صعلوك فبينما الناس كذلك وإذا ببطارقة الروم قد ترجلت قدام ملك من ملوكهم وكان شيخ أسود وهو عقبة اللعين ولما أن الملعون توسط الميدان وأشهر نفسه بين الفريقين أشار إلى البطارقة فرجعوا عنه ثم نادى برفيع من صوته يامعاشر المسلمين من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أناشمعون بن بولص فلايبرز لى إلافارس واحد وبطل ماجد حتى أضرب رأسه بهذا الحسام وأسقيه شراب الحمام (قال الزاوى) ياسادة فلما رآه عبد العزيز قال والله هذا الملعون الذى حرض على قتلى وفعل بى بين يدى الملك مافعل ولابد لى من الخروج اليه ثم هم أن يخرج اليه وإذا بالمتنصر قد صاح اليه وبرز يريد الحرب والنزال وقال ويلك ياملعون ومابلغ من قدرك حتى يبرز اليك عبد العزيز ثم حمل على عقبة وحمل عقبة عليه ولم يزالا فى قتال ونزال وأخذ ورد وكر وفر الى أن علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وقد قلع المتنصرمن الرمح السنان وخفيا عن الفريقان واحتجبا عن العسكران فعند ذلك قام المتنصر فى ركابه وطعن عقبة فى صدره ألقاه من على الجواد فعند ذلك حملت ميمونة وأصحابها وأخذوه عن المصاب وعادوا بعقبة الى عسكر الروم وأتوا به إلى أرمانوس ودارب به الرهبان والقسوس وصاروا يتصايحون ويعلنون بالبكاء والنحيب ويقولون واذل النصارى بعدك ياشمعون بن بولص وكان عقبة قد أمرهم بذلك من الليل وتصارخت أيضا البطارقة وضجت العمالقة وبطلوا القتال فى ذلك اليوم. وعند الليل قال الملك لعقبة ماقصدت بهذه الفعال فقال حتى أدبر ماتراه وأنا قد وريت المسلمين شخصى ويروا بعد ذلك مصرعى ويعلمون أن الصياح بسبب شمعون بن بولص (قال الزاوى) ثم ان الروم عملوا لعقبه تابوت وأتوا الزهبان

والقسوس وصاروا يتصايحون ويعلنون بالبكاء والنحيب وكذلك البطارقة والغلمان وجميع عساكر أهل الكفر والطغيان وصلوا على التابوت صلاة الناسوت وقد أشاعوا انهم يحملونه معهم إلى القسطنطونية وباتوا المسلمين وهم يلعنون عقبة على تلك القضية ويقولوا لارحم الله صداه ولابل ثراه وأكثر من فرح به عبد العزيز العلوى وكان قد برىء من جراحه وقوى وان ميمونه طلبت دارس وأخيه مارس فحضروا إلى بين يدى الملك فقال لهما ياحجاب كيف فرطتما فى أمر الأمير عبد العزيز فقالا أيها الملك انه هرب من خيمتنا وأخذ لنا جواد لم يوجد مثله ولم نعلم هل هرب أو سرقوه لصوص المسلمين وهذا عجب العجب فصلب الملك على وجهه وقال زنهار من هؤلاء الأشرار لأننا نأسرهم بالنهار ويهربون فى ظلام الاعتكار والشكر للمسيح الذى لم يتعرضوا لكما ولم ظفروا بواحد منكما فلو ظفروا بكما أو بأحدكما عدمنا طلعته ومشورته ثم صرفهما وبات الناس تلك الليلة ولما كان من الغد ركبت العساكر والمواكب وزحفت الكتايب إلى الكتايب وحملت الطائفتان والتقا العسكران ووقع بينهم الضرب والطعان وعملت السيوف فى مقاتل الفرسان وطلع الغبار إلى العنان ووقع القتال وعظم النزال ورميت النبال وتواقعت الرجال وزالت الأوحال وجرى الدم وسال وبطل القيل والقال وقصفت أسنة الرماح الطوال وتواقعت الأبطال يمين وشمال وكثرت الأهوال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفه إلى مقامها ولولا أدركهم الليل مع الاقدار لكانوا المسلمين ولوا الادبار وركنوا الى الفرار (قال الراوى) فلما نزل المعتصم فى سرادقه جمع أرباب دولته ورؤس مملكته وقال لهم قد رأيت لكم من الرأى ان كل واحد منكم يضرم النار على باب خيمته ونرجل فى ليلتنا هذه ونطلب الموصل فقام الأمير عبد العزيز وقبل الأرض وقال والله يا أمير المؤمنين ان أنت فعلت هذه الفعال عوقبت على هلاك المسلمين ويطمعوا فينا الكافرين واعلم ان النصر من عند رب العالمين فاصبروا إلى غداة غد فلعل الله تعالى أن ينزل علينا صبره وقد قال بعضهم وأجاد حيث يقول

إذا النائبات بلغت النهى ✡ وكادت لهن تذوب المهج
وزاد البلاء وقل العزاء ✡ فعند التناهى يكون الفرج

(قال الراوى) فأجاب الخليفة إلى مقالة عبد العزيز فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وهم الناس بالقتال وإذا بغبار قد ثار وعلا حتى سد بكثرته الأقطار وسد لحى وأعدم الضوء فتطاولت الناس اليه بالاعناق وشخصوا نحوه بالأحداق وإذا بالغبار

قد أنكشف عن رايات خافقة ودروع بيض بارقه (قال) وكان هذا عسكر الافرنج وملكهم كيلون بن قالوص وقد أقبل فى مائه ألف وكان هذا الملعون أفرس أهل زمانه وأشجع أقرانه وقد ألتقاه أرمانوس بنفسه وأنزله بازاء سرادقه ولما خلا فى السرادق مع أرمانوس قال كيلون لارمانوس قد بلغنى أن ملك المسلمين فى مقابلتكم ومعهم هذا العسكر وأنتم أضعافهم وما تقدرون على أنهزامهم وهذا عليكم عار وشنار ووحق دينى والزنار لايقف فى مقابلتهم غدا غيرى فقالت ميمونه وحق المسيح ماماسك عسكر المسلمين إلا هذا الغلام الذى اسمه عبد العزيز العلوى ولو عدم لما يبقوا الموحدين اما منا طرفة عين (قال الراوى) فلما سمع كيلون كلام ميمونة زعق زعقة كاد أن يطير عقلها وقال من هذه الحجامة حتى تتكلم مع الملوك فى مثل هذا المقام حتى أضرب رأسها بهذا الحسام فاقبل عليه مارس لأنه كان كبير القدر عند الروم وقال له أيها الملك هذه زوجة الملك أرمانوس وهى تسمى بالملكة ميمونة وهى من الشجاعة بمكان عظيم فقال كيلون وحق المسيح ما فيكم فارس مذكور ولا بطل مشهور ولقد داخلكم الرعب من هذا الغلام المحقور وكيف قد وقف فى جوههم مثل الأسد الكسور وأنا قد سمعت بشجاعة هذه الملكة ميمونة وما أرى من ذلك شىء ثم أن الملك كيلون وثب مغضبا وانصرف إلى سرادقه وكان الملعون يقول أنه ما مثله فى الروم وبات الناس يتفكرون فى أمورهم وان ميمونه قد داخلها الغيظ ثم أنها خرجت من عند أرمانوس وادعت بغلام لها يقال لهسعد وقالت له هل لك أن تأخذ منى هذا الكتاب وتوصله إلى عسكر المسلمين فقال السمع والطاعة على رأسى وعينى ولوحان حينى فعند ذلك كتبت ميمونة فى الوقت والساعه كتاب إلى عبد العزيز العلوى تقول فيه أيها الأمير والسيد الخطير أعلمك أنه قدحصل ملك من ملوك الافرنج وجرت بيننا وبينه مشاجرة ووصفت له اثنان جناتك وصولتك على أقرانك فزجرنى ونهرنى وذكر وقال أنا غدا أصطلى الحرب بنفسى وأدعو هذا إلى قتالى وحربى ونزالى وقد ضمن للملك أنه يقتلك ولا تسل عما جرى من أجلك فابصر كيف يكون الامر والسلام (قال الراوى) وما كان فى فعال ميمونة هذه الفعال إلا حتى ما تنكسر شوكتها وحركتها عند الملك ارمانوس ويسقط قدرها عند الابطال وتورى الملك ان ماتم أشجع من عبد العزيز أحدا أبدا (قال الراوى) فمضى العبد بالكتاب الى أن وصل إلى عسكر المسلمين فقبضوا عليه الحراس وقالوا له من أنت قال أنا رسول إلى عبد العزيز فأوصلوه إلى خيمته فلما رآه سلم عليه ثم ناوله الكتاب فقرأه وفهم معناه فقال ان الله يعيننى عليه ويوصلنى اليه (قال الراوى) فلما كان من الغد ركبت الطوائف واصطفت

الصفوف وازدحمت الألوف وترادفت الوقوف وازدحمت الخيل وهموا بالحملة ولم يبق لأحد منهم مهله وإذا بفارس قد برز من الروم وهو راكب على جواد أصفر عالى مضمر كأنه البرق إذا برق أو السهم إذا مرق قوى القوائم سالم الدعائم وعلى الراكب درع مدفون الزرد فى ثوب قسطنطونى منضد ومن فوقه ملعب خزاينى قصير الأكام مليح الهندام وعلى رأسه خوذه من البولاد وهو فى عدة كاملة فلما صار بين الصفين نادى بأعلا صوته يامعاشر العرب اعلموا أن أجلكم قد اقترب فمن عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا كيلون بن قالوس ملك الأفرنج وقد سمعت بفارسكم الموصوف والبطل المعروف الفارس القوى عبد العزيز العلوى وقد اشتهيت أن يخرج إلى مبارزتى بين هذه العساكر حتى يعلم الجمعان أننى عليه قادر (قال الراوى) فلم يتم هذا الكلام حتى خرج اليه الأمير عبد العزيز الهمام وهو مدرع بدرع زرد كله ذهب وعلى رأسه ترك زرد كانه عيون الجرد وبيده رمح طويل وعلى رأسه سنان كانه لسان ثعبان وهو متقلد بسيف بتار قاطع للأعمار وقد أوقدت فوقه الصواعق نار ثم خرج وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وأخذ فى الكر والفر والاقبال والأدبار وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار فحارت منهما الأفكار وما زالا كذلك حتى كلت الساعدين ووقعت الجوادين وعظمت الأوابد وصبرا على الشدائد ثم أن الأمير عبد العزيز صاح بعزيمته صيحة الليث الهجوم وضربه ضربة الأسد الكلوم فشرب فيها كاس المنون (قال) فضجت من تلك الضربة المسلمين والروم لأنها وقعت على عاتقه الايمن طلع السيف يلمع من جانبه الأيسر هذا وقد همت الافرنج أن تحمل وكذلك الروم الملاعين تهيؤا إلى لقاء المسلمين وإذا بغبرة قد طلعت وإلى نحو المسلمين قصدت ثم أنكشفت وبأن من تحتها خمسة آلاف فارس كانهم الليوث العوابس يقدمهم فارسهم أمير كانه أسد العرين (قال الراوى) وكان هذا الجيش لمؤتم الأشبال صاحب الرقه واسمه أسد بن جابر ولما وصل ترجل للامام الخليفة وقال يا مولانا قد وصلت إلى الشام الأخبار فى هذه الأيام أنك هزمت العدو وما أراكم إلا بعد فى المصاف فابشر يا أمير المؤمنين فان معى خمسة آلاف يريدوا من الروم مائة ألف ولعل الله تعالى أن ينصرنا على الأعداء فقال الخليفة قد بدالى رأى أريد أن أفعله وهو أنى أسير الثقل والخيام مع خمسة آلاف فارس وما نبقى نقاتل العدو إلا بالفرس والنجيب فان نصرنا فلله الحمد وان كانت الأخرى فنكون خفاف وننجو بأنفسنا بلا خلاف ثم أمر الخليفة بالاثقال أن تحمل على الجمال وجميع الخيام والأموال ولم يبق فى عسكر الخليفة

غير الفرس والنجيب هذا وملك الروم قد أمر لسائر الطوائف أن تحمل على عسكر المسلمين فحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وقد تزلزلت الآفاق وقامت الدنيا على ساق وتجاذبوا بالأطواق وكثر الصياح والزعاق وظهر الشجاع المقدم وذبحت الرجال ذبح الغنم وقاتلت الترك والعجم وجذبت الخيل شكمها وتقطعت من شدة الجرى حزمها وتقهقرت حتى عملت الصوارم فى نواصيها وقد تزلزلت الأرض بنواحيها ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى ولوا المسلمين الأدبار ولم يقفوا إلى أن وصلوا إلى الموصل ولم يفقد من الجيش إلا عبد العزيز ومؤثم الأشبال وكان السبب فى غيبتهما أنه لما ولت العساكر منهزمين والمعتصم فى المقدمة وجيوشه متحطمة وامتلأت بالروم سائر الطرقات فى طلب المنهزمين فلما رأى عبد العزيز ذلك أندهل غاية الاندهال وقال لمؤثم الأشبال اعلم يا ولدى اننا ان سرنا فى أثر أمير المؤمنين أخذنا بلا محاله ولكن أنا أدلك على طريق نسلكه ويكون لنا فيه الفرج إن شاء الله تعالى ثم ان مؤثم الأشبال سار فى أربعة آلاف ومعه عبد العزيز وأخذ على طريق قبلى عمود وميل على دارا ومنها إلى الجمه وصعد إلى جبل كرسا ونزل منها إلى قلعة السلق وأخذ على العين الكبرى وخرجوا من هناك طالبين الموصل ولما وصلوا وقعت البشائر فى العسكر ووصل الخبر إلى المعتصم فأمر باحضار عبد العزيز ومؤثم الأشبال فلما حضرا بين يديه هناهما بالسلامة وأعلمهما ما سبب غيبتهما فأخبراه بذلك (قال الراوى) وأمر الخليفة أن ينادى فى الموصل على أن أمير المؤمنين ضيفكم إلى أن يتقدموا إليه الاقامات من العراق فما بقى فى الموصل صغير ولا كبير إلا وحمل إلى الخليفة على قدر مقدرته وكان العسكر قد نزل من باب الميدان إلى الدير الأعلى إلى الوسطة إلى نحو مقاطع الحصن إلى وادى رومان وجاءت الاقامات من كل جانب ومكان حتى من المكاريه وبلد الجزيرة ومن سنجار الى الخابور والرقة وأعمالها ومن خرت برت وأطلالها وجاءت أيضا عساكر الأكراد فى طلب الجهاد فوصلت العساكر من العراق ومن سائر الآفاق وبقيت الخلق ثلاثة أيام متواردة على مثل ذلك (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الروم فانهم لما انهزم الخليفة من مرج الزعفران سار أرمانوس فى أثر عساكر الاسلام إلى أن وصل إلى دار أومنشا فنزل هناك وقد رأى صورا دار أومنشا فلم يقدر عليها وكانت دارا يومئذ لم يخرب صورها ولا تغيرت أمورها لأن صورها كان حصين وبناؤها مكين وكان بنى صورها والمدينة أخو الاسكندر وسماها باسمه وما أخرب صورها إلا ابن الشمشكى الذى

نزل على آمد فى أيام المعتصم وحاصرها (قال) وأما المعتصم فانه قام على الموصل وأما أرمانوس فانه نزل على دارا وقد نزل فى خندق حولها فأعجبه ذلك ورأى صورة على باب البلد فقال ما هذه الصورة فقالوا أيها الملك لا علم لنا ولكن اسأل بعض الأسارى الذين معنا قد يما يعرفون هذه الصورة وهى على صورة ابن آدم فعند ذلك سأل الملك بعض أسارى المسلمين عن ذلك فقال أيها الملك هذه الصورة كل من أخذته اللوقه ينظر إليها فيرجع كما كان فى الوقت والساعة وقد عملت لأجل هذا الشأن فنظر الملك إلى صفة حية على الباب فسأل عن ذلك فقالوا أيها الملك كل حية بالمدينة أو حولها مسيرة نصف يوم فانها لم تؤذى شيئا (قال الراوى) فلما سمع أرمانوس هذه الصفات تعجب من تلك الطلسمات وعلم أنه ان قاتل أهل البلد لا يقدر عليها فترك حشمه ورحل طالب نصيبين فوجدها محصنة بالرجال والعدد الثقال وكان المعتصم قد ترك عليها أبو الفضل ابن سهل المأمونى فى خمسة آلاف فارس فنزل عليها الملك أرمانوس مما يلى باب الروم ثم رحل عنها وقال هذه بين أيدينا إذا أخذت الموصل وبغداد وأعود بعد ذلك إليها وسار إلى برقعيد ونهب ما كان فيها وانحرف إلى المنقوب وبيت ابراهيم ورحل الى بيت الرصد وكان للمعتصم فيه دباشة فلما رأوا قدوم الروم بعثوا إلى الخليفة وأعلموه بذلك وقالوا يا أمير المؤمنين قد نزل ملك الروم من بيت الرصد إلى الروبعية فلحقها خراب ورحل إلى التميمة إلى وادى عطشان يطبق إلى دير ميخائيل إلى المعمدى وقد امتلأت تلك الأرض بالعساكر والجنود والدساكر (قال) فانزعج المسلمون لقدومهم واضطرب الجيش وداخل المعتصم الخوف والفزع والجزع فقال عبد العزيز ياأمير المؤمنين قد أخبرنى قوم أسارى انهزموا من عسكر الروم انه فى كل يوم يصل من بلاد الروم خلق كثير مثل الجراد المنتشر فقال المعتصم نحن نتوكل على رب الأرباب ثم أمر الخليفة أن يأخذوا الناس الأهبة للقتال فقال عبدالعزيز ماذا عولت ياأمير المؤمنين فقال على القتال من وراء الاسوار ونصبر على قتال الكفار إلى أن يأتينا الفرج (قال الراوى) فبينما الخليفة كذلك إذ وصل اليه نجاب يعلمه ان ملك خراسان ذو النجدتين اسماعيل بن هزامرد يصل اليه بعد خمسة أيام فى مائه ألف همام وانهم إلى أمير المؤمنين طالبين فقال المعتصم حاشا لله أن يترك دين نبيه من غير أنصار والصواب أن نخرج إلى ظاهر البلد ونقاتل من كفر بالله وجحد وفى ذلك صلاح من جهتين أحدهما أننا نرهب أعداءنا ويقول قائلهم لولم يكونوا فى قوة كثيرة لما خرجوا الينا والثانية إذا وصلت الينا نجدة تسمع أننا على باب البلد نزول فللقوى عزائمهم ويأتوا من كل جانب ومكان وإذا سمعوا أننا محصورين لم يأمنوا أن يصلوا الينا وعول المعتصم

أن يخرج إلى ظاهر البلد يطمن كل أحد وجمع الناس من سائر النواحى وخرجوا معه بالعدد الكاملة والأسلحة الشاملة ولم يكن يومئذ أحسن من شاب الموصل (قال الراوى) فهذا ماكان من المسلمين وأما ماكان من عقبه اللعين فانه لما رحل من دارا أخذ معه أربعة من المتنصرة وهم فى زى الصوفية والفقراء وهم الذين كانوا يشهدوا عند المعتصم بما شهدوا ولم يزل الملعون سائر إلى أن وصل جزيرة عمرو بن قادم وقصد نحو قصر هناك ليلا وكان فى مسجد تزوره الصالحين وكانت الدجله تجرى من تحته وكان الملعون قد أقام فيه مرارا عديدة ثم بات تلك الليلة إلى أن أصبح ودخل إلى الجزائر ثم قصد إلى صاحبها وهو عمرو بن قادم وكان بينهما معرفة من قديم الزمان فلما رآه عمرو قام له قائما على قدميه ورحب به وسلم عليه وقال له ياقاضى أين كانت هذه الغيبة فقال ياهذا كنت مقيما فى الأماكن الشريفة المشهورة والمساجد المعمورة ولى منذ سمعت بهؤلاء الأقوام وما سمعت ماقال فى حقهم صاحب الفهم والنظام حيث يقول

القوم إذا ما الليل جن بهم ☆ قاموا من الفرش لا يعدون عبادا
ويركبون مطايا لا مثيل لهم ☆ ويسمعون منادى الحق قد نادى
والأرض تبكى عليهم حين تفقدهم ☆ كأنهم جعلوا للأرض أوتادا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير من عقبه هذا الكلام وثب يصافح هذه الأقوام هذا وقد شاع ذكرهم فى الجزيرة فأقبلوا الناس يصافحونهم ويتبركون بثيابهم ويأخذون ترابهم من تحت أقدامهم وأقاموا كذلك فى الجزيرة إلى أن بلغ الخبر إلى اللعين عقبه ان ارمانوس قد نزل على الموصل فعزم على الانحدار اليه فقال عمرو ابن قادم أيها الصالح أقم هاهنا لترجع علينا بركاتك وبركات هؤلاء الصالحين فقال أيها الأمير ما يمكننى المقام وانى أريد زورق انحدر فيه أنا وهؤلاء إلى الموصل فقال عمرو وما قصدك أيها الرجل الصالح فقال قصدى أن أشاهد المعتصم فقال الأمير اعلم ياهذا ان خيل الروم والعرب المنتصرة تخطف الناس من جميع المواضع وأنا عليك وعلى من معك خائف فقال عقبه يابنى اعلم لو أننى مشيت أنا وهؤلاء الصالحين لو وضع الواحد منا قدمة فى الجزيرة والأخرى بالموصل ولكن نخشى أن تختبل قلوب أقوام يصبون الينا ويعتقدون فينا كما اعتقدوا فى غيرنا وقال الأمير سيروا بنا فى البر وهو خير لكم فابى عقبه ثم ان صاحب الجزيرة أنزلهم فى زورق ومعهم ملاحين وانحدروا إلى أن وصلوا إلى المضيقه فانخرق الزورق ودخل فيه الماء فلما أحس عقبه بالغرق قال للملاحين ياويلكم اطلبوا بنا الساحل وإلا غرقنا فقالوا ياقاضى ألم تقل ان هؤلاء من أوتاد الأرض وانهم لا يغرقون وعلى الماء يمشون فقال لهم

عقبه ياويلكم ادخلوا بنا الساحل ودعونا الساعة من المحاققة فى هذه الغفلة فقال بعض الملاحين أنا وأصحابى نسبح ونعرف نعوم فاذا زاد الأمر علينا نزعنا أطمارنا وألقينا روحنا فى الماء وتوكلنا على الحى القيوم فقال عقبه لأصحابه ماتعرفون تسبحون فقالوا لا وحق المسيح والمذبح والذبيح فقال لهم فى بطون السمك تحشرون وفى هذا البحر تغرقون فقالوا هذا كله ببركتك أيها الشيخ الصالح ومن جعلنا من أوتاد الأرض ونحن قلوبنا أقوى من الصخر مانموت إلا غرقا فى البحر هذا وقد زاد الأمر وعيل الصبر وقويت الرياح وكثر الصياح فقال عقبه للملاح وقد صاح به صيحة الفزع ياويلكم هلكنالامحاله فاعدلوا بنا إلى الساحل وإلا غرقنا عاجل (قال) فضحك الملاحين وقالوا ماثم إلا الخير إذا غرقت دخلت الجنة وتكون شهيد والآن البر منا بعيد ثم قذفوا الملاحين وطلبوا البر مسرعين ومازالوا إلى أن وصلوا إلى البر ورفعوا الزورق إلى الساحل وسدوه وكان عقبه قد أيقن بالغرق وأنزلوا الزورق إلى الماء وساروا ذلك اليوم والثانى والثالث كانوا فى الموصل ونزلوا إلى الساحل ودخلوا إلى المدينة ووقعت الضجة بقدوم عقبه ووصل الخبر إلى المعتصم ففرح وأمر بحضوره فحضر بين يديه ورحب به وسلم عليه فعند ذلك باس عقبة الأرض ثانى طريق وقال أدام الله بقاك دوام الفرقدين وأبقاك بقاء النيرين مادامت الأفلاك وسبحت الأملاك فعند ذلك تبسم الخليفة وهناه بالسلامة فقال له عقبة ياأمير المؤمنين كنت ببيت المقدس سنتين كاملتين فأول سنة كنت بمكة حرسها الله تعالى واعتمرت أمير المؤمنين لك عمرة وهاهى فى التاريخ (قال الراوى) ثم ان الملعون أخرج عمرة بخطوط أهل مكة وشهادتهم فلما نظر المعتصم إلى ذلك قال عفا الله عن عبدالوهاب وأبو محمد البطال والأمراء المجاهدين من بنى كلاب فقال له يا قاضى منذ غبت عنا فما سمعنا لهم خبر فقال اللعين عقبة كتب الله سلامتهم ولا أعدمنا طلعتهم فلقد كانوا مبيدين المواكب ومطحطحين الكتائب ولو كانوا حاضرين لطال على كلاب الروم أن يصلوا إلى هذا المكان ولكن سوف أدعو على الروم لعل الله أن ينصر المسلمين عليهم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلام عقبة خلع عليه الثياب الذين كانوا عليه وألقى على رأسه عمامته وأعطاه والزهاد خيمه ثم قال له ياقاضى ان الأمير عبد الوهاب قد ذهب وقد أخلف الله علينا أمثاله من العرب وهو شاب علوى يقال له الأمير عبد العزيز فقال له ياأمير المؤمنين ومن هذا الفتى فقال غلام من السلالة الطاهرة والغره الزاهرة وبعد يا قاضى فما رأيت أثبت منه عند معترك القتال ولاأصبر منه عند ملاقاة الرجال يزعزع المواكب ويفنى الكتائب فقال عقبة والله يامولانا لقد شوقتنى اليه بأوصافك الشريفة ومانطقت به من المناقب

المنيفة ولقد اشتهيت أن أفوز بالنظر اليه (قال الراوى) فعند ذلك أمر المعتصم باحضار الأمير عبد العزيز فلما أحضروه ورآه عقبة وثب له قائما وأقبل عليه مسلما وقال له أهلا أهلا وسهلا بمن أثنا عليه أمير المؤمنين وكيف لا يكون ذلك كذلك وأنت من بيت علا فخره وانتشر ذكره بيت العلم والشجاعه ومعدن الكرم والبراعة فلما رأى عبد العزيز العلوى إلى عقبه اللعين ارتعبت فرائصه وقال له يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الشيخ الا بالذى كان فى عسكر الروم واستحل دم مثلى وكان عقبة لما دخل الجزيرة دخل الحمام وحلق شعره الذى كان قد رباه وقصص دقنه ونكر أمره فقال الخليفة لعبد العزيز أنت تقول عن شمعون بن بولص وذلك مات وبقيت عظامه رفات (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك صار يقرأ القرآن ويفسره باوجه حتى أذهل عبد العزيز وأزال الشك من قلبه وأنساه مافعل به ثم ان عبد العزيز قام الى عقبة وصافحه وتبسم فى وجهه وقال اجعلنى فى حل مما قلته فى حقك فقال له يابنى غفر الله لنا ولك فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من أرمانوس فانه زحف الى الموصل بعساكره ورجاله وجميع أبطاله وقد تدكدكت الأرض من الحوافر وماجت العساكر ونادى المنادى فى الموصل ياخيل الله اركبى وبالجنة أبشرى فعندها ركبت الفرسان للمجال وخرجوا للحرب والنزال واستقبلوا المسلمين جيش الضلال بقلوب أقوى من الجبال وركب المعتصم ونشرت على رأسه الأعلام وتبادر كل فارس همام وأسد ضرغام وارتفعت الأصوات وقرأت القراء من جميع الجهات (قال الراوى) فبينما الناس عازمين على اللقاء وإذا بغبار قد ثار حتى سد الآفاق وبلغ إلى العنان وقد شخصت اليه أعين الناظرين وتطاولت اليه الموحدين وطائفة الكافرين وإذا به من نحو أرض العراق وقد أقبلت الخيل تسابق إلى الميدان سباق وكان هذا الجيش القادم جيش خراسان وقد أقبلوا بالخيول الأعوجية عليها على القتال (قال الراوى) فلما رأوهم المسلمين وهم على هذه الصفة والقضية رفعوا أصواتهم بذكر رب البرية فلما أشرفت الكتائب العجمية والمواكب الحنيفية وعاينوا الخليفة بازاء الكفار نادى فيهم الأمير اسماعيل وقال يا أحباب الله اعلموا أن الحملة لمن حمل فاحملوا على الطغاة الأشرار فى طاعة الملك الجبار وكان المقدم على الجيش محمود بن خشتر بن ملك العجم وكان فارس محتشم فلما سمعوا قومه ذلك عملوا على الأعداء ووصلوا إلى جيش الكفار واستقبلهم قبائل الروم وكان يومهم يوم مذموم وحقت الحقائق ولمعت الطوارق وعاقهم عن الخلاص عائق وأظلمت المغارب والمشارق وأيقنت المسلمين بالخروج من الدنيا ثم طلبوا منها الخلاص واختلط القوم العوام بالخواص ولم يزالوا كذلك الى أن ولى

النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونزلت الطوائف وأمن قلب كل خائف ولما استقر المعتصم في سرادقه أقبل محمود يسعى إلى الخليفة وقبل الأرض بين يديه فرحب به وشكره على فعاله ونزلت الجيوش وكل واحد من هول القتال مدهوش وتولى حرس القوم الأمير عبد العزيز برجاله التي ضمها اليه المعتصم فبينما هم كذلك وإذا بصوت جيش فوقف عبد العزيز يسمع وإذا بقوم يقرؤن القرآن فتزعزعت جوارحه فترك أصحابه وبقي وحده وزاد عليه التواجد وإذا هو بأربع رجال يقرؤن القرآن بأطيب صوت وأفصح لسان وعليهم المرقعات المضيئة وهم في صفة الصوفية فوقف عبد العزيز إلى أن فرغوا وسلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا مرحبا بك يا فتى العرب أتعرف لنا فتى اسمه عبد العزيز فقال ما الذي تريدون به قالوا نحن قوم من أصحاب رجل قطب الأقطاب الذي بركته بين الناس ظاهره وهو حامد الخراساني الذي ما له في زمانه ثاني سيد الأولياء ورأس الأصفياء قد دخل إلى هذه الدجلة وهو يصلي معنا كما له بالعادة لأنه من رجال السعادة وقال لنا الساعة يشرف عليكم فتى يقال له عبد العزيز فان أتاكم فائتوني به لابشره ببشارة رأيتها له في النوم (قال الراوي) فلما سمع عبد العزيز ذلك قال لهم سيروا بنا فساروا وهو معهم إلى شاطىء الدجلة فوجد الشيخ القطب جالس تارة يسبح وتارة يقدس فقالوا لعبد العزيز أدن منه وسلم عليه فدنا منه وجعل يقبل يديه ورجليه فبينما هو كذلك وإذا بالخيل قد أشرفت عليهم وهم أوفى من خمسين فارس مثل الليوث العوابس فانكبوا عليه وأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير وساروا به إلى عسكر الروم وأوقفوه بين يدي الملك وكان عقبه هو الذي عمل عليه هذه الحيلة لما في قلبه منه فلما رآه الملك قال له يا هذا أتظن أن المسيح غافلا عنك ولكن أقسم بدير القداس وكل زاهب وشماس لأجعلنك مثلا بين الناس (قال الراوي) يا سادة يا كرام فلما سمع عبد العزيز ذلك قال الله أكبر الله أكبر ولعنة الله على من كذب وكفر وطغى وتجبر فلما سمع الملك كلامه صلب على وجهه وأمر بضرب رقبته فقالت ميمونة أيها الملك ان أنت قتلته استراح والرأى عندي أن تبعثه إلى مدينة القسطنطينية فاذا رجعت أشهره وقابله على فعله فقال لها الملك لقد أصبتي في هذه القضية ثم أمر بالقيد وألقى في رجليه وجعله في صندوق وأضاف اليه من الأسارى المسلمين شيء كثير وسلم الجميع إلى بطريق من بطارقته اسمه بطلوس وأضاف اليه ألف فارس من بلاد الروم وارتحل بهم الملعون من وقته وساعته طالب القسطنطونية وهو في همة قوية (يا سادة يا كرام) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أصبح الصباح طلب عبد العزيز فلم يجده فسأل عنه فقال

له بعض رجاله يا أمير المؤمنين نحن البارحة على الحرس إذ سمعنا انسان يقرأ القرآن على ساحل الدجلة فمضى اليه عبد العزيز ليتلذذ بذكر الله وغاب عنا الى الآن وما ندرى ما فعل به الزمان فلما سمع المعتصم ذلك الكلام قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله أن نفسى تحدثنى ان الروم عملوا عليه وأخذوه أسير وأنا أعلم أنهم مايبقوه (قال) وأقام القتال بين الطائفتين خمسة وعشرون يوما وكان قصـــد المعتصم بالمطاوله ليتكامل جيش الاسلام ويتلاحق به العساكر من مصر والشام ثم يصدم ملك الروم صدمة واحدة يدع الدنيا منه خامدة وتكون تلك الوقعة إما له وإما عليه (ياساده) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من البطريق الذى سار بعبد العزيز والاسارى معه ومعه ألف فارس فانه سار لمـــا ان قطع رأس العين وأخذ بطريقه على حران وأرض السويديه ونزلوا فى قرب حصن المبلط وأخرجوا عبد العزيز من الصندوق وأطعموه شىء يمسك به رمقه وناموا فجعل يعالج قيده إلى أن فتحه ووثب كالأسد وخطف سيف من بعض النيام وانعزل عن جيش الكفار فما كان غير قليل حتى وقعت الضجة وقاموا من النوم حيارى وهم متعجبين من قوة قلبه وجنانه وجسارته فركبت الروم فى طلبه ولم يكن عبد العزيز بعد عن القوم غير فرسخ حتى لحقوه وصاحوا عليه ومدوا رماحهم اليه فعاد عليهم عودة الأسد وله قلب أقوى من الجلمد ودعس فيهم دعس الأسـد الهجام ورأوا منه ليثا الابرام وبطلا عند الصدام ثم دافع عن نفسه راجلا ولم يزل لهم مقاتلا إلى أن تخضبت الأرض بالنجيع وصنع بهم أقبح صنيع فلما عاين البطلوس مقدم القوم ذلك الأمر ترجل عن جواده وزحف إلى عبد العزيز وكان من ورائه رابية عالية شامخة ليس لها تسليق ولا يقدر عليها أحد بطريق فالتجأ اليها عبد العزيز العلوى واستعان بالله الشديد القوى ولم يزل للقوم محاربا ولهم بالحسام ضاربا إلى أن ولى الليل وأقبل النهار والأمير عبد العزيز قد رفع قصته وشكواه إلى الملك الجبار الذى يعلم سره ونجواه ولم يزل يقاتل إلى وسط النهار وقد فرغ منه الاصطبار وكان قد قتل من الروم أو فى من مائة فارس (قال الراوى) ياساده فبينما هو كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وأظلم منه النهار وصار يلوح من تحته لمعان أسنة الرماح وبيض الصفاح فوقفوا القوم عن الحرب وإذا بغبار الخيل قد كثرت وبوادر الفرسان قد تبادرت والمقدم عليهم فارس قوى العزيمة ماعرف قط هزيمه وهى أم الليث الوثاب وفارس بنى كلاب الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهى كأنها اللبوة هذا والجنائب أمامها وبنى كلاب قدامها وهى فى وسطهم وهى تنشد وتقول

ألا فاحملوا نحو الكلاب الكواذب ... وردوا سيوفا من دماء المواكب
وذبوا عن الحق المعظم فى الورى ... وارضوا إله الخلق معطى المواهب
فمن كان منكم يبتغى عتق رقبة ... من النار فى يوم الجزا والمآرب
فيحمل هذا اليوم حملة ضيغم ... ويرضى رسولا للورى غير كاذب
أنا الحية الرقطاء واللبوة التى ... تكد وتحمى بالسيوف القواضب
وذلهمة اسمى إذا افتخر القنا ... أكر وأحمى رفقتى وأقاربى
وأرضى إله الخلق رب محمد ... فما زال ربى عدتى فى النوائب

(قال الراوى) وكان السبب فى قدوم الأميرة ذات الهمة ان مواكب الأمير لما نزلت إلى السويدية أقاموا ينتظرون أخبار ملطية وكل يوم يصل اليهم خبر الكفار انهم قد دخلوا إلى بلاد الاسلام وكان الأمير فى حين نزوله كاتب بلاد اليمن وأهل صنعاء وعدن ان تأتى اليه العساكر إلى أن وصلوا اليه وسلموا عليه فلما اجتمعوا حواليه سار بهم من السويدية بهمة قوية وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى شاطىء الفرات ونزلوا بقلعة لخم وعبروا الجسر وساروا من هناك إلى أن أشرفوا على حران فوصلت اليهم الاخبار ان أرمانوس كسر عسكر المعتصم ودخل إلى بلاد الاسلام فى طلبه وقد أنفذ أسارى كثيره وأموال غزيرة مع بطريق يقال له بطلموس (قال الراوى) ياسادة وهو على كل حال واصل إلى السويدية فى هذين اليومين (قال) فلما سمعت الأميرة ذلك قالت لولدها عبد الوهاب يا بنى لاصبر لى على أسارى المسلمين ولابد أن أخلصهم من أيدى المشركين قال الأمير إذا عزمتى على ذلك فخذى معكى ألف فارس وسيرى خلف الروم وصبحيهم صباح ميشوم ودعينى أسير وأطلب بلخ إلى الرقة وأطلب الموصل على غير جاده لأن الطرقات عليها الروم والمتنصرة وأصحاب الاقامات فاقصدى إلى الهجوم على عسكر الروم على غفلة منهم (قال الراوى) يا سادة فعند ذلك ركبت الأميرة فى ألف فارس كانهم الليوث العوابس من صناديد الرجال وسراة الأبطال ولم يتبعها من الثقل إلا ما خف حمله وكثر ثمنه وأكثرن من الزاد والماء فاتفق وصولها إلى عبد العزيز العلوى وهو مع القوم وقد دارت به الرجال وهو على آخر تفس من شدة القتال فلما نظرت اليه الأميرة وهو على ذلك الحال والروم محدقين به من كل مكان وهو لهم يجادل وقد قتل رجال وجندل أبطال وهو راجل غير فارس وقد ترك حوله من القتلى خلق كثير وهو يضرب فيهم ضربا بالصفاح وقد أخذ منهم الأرواح فلما رأت الأميرة الى ذلك دنت من بعض أسارى المسلمين والروم عنه مشتغلين وقالت له من هذا الرجل المجادل الذى قاتل هذا

الجمع ونهب منهم الطرف والسمع فقال لها وقد أيقن بالفرج لأنه كان يعرف الأميره مفرجة الكروب هذا غلام علوى يقال له عبد العزيز بن الفضل الحجازى ولولاه كانوا الروم ملكوا بغداد وأفنوا العباد (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذات الهمة لم تمالك عقلها دون أن حملت على الروم حملة الأسد الهجوم ونادت يا كلاب النصرانية زولوا عن رجل من السلالة النبوية والعترة المحمدية فقد جاءتكم فاطمه العامريه (قال) فلما نظروها الروم وعرفوها انحلت منهم العزائم وارتخت أيديهم من قبض الشكائم وعرفها البطلوس فأيقن بالعكوس وقال لأصحابه وحق الرهبان والقسوس لئن تأخر واحد منكم عن القتال لأقتلنه وأسقيه كاس الوبال فدونكم أنتم وإياها فقد آن وقت فناها فقالوا أيها الملك الكبير ان هذه العجوز أقل واحد وأذل وأصغر من أن تخاف منها بنى الأصفر فلما سمع البطريق كلام أصحابه عطس ونفخ فى معاطسه الشيطان وظن أنه يقهر الأميرة فى الميدان فقال لهم دونكم أنتم وفرسانها وأنا لهذه الشيطانة وحدى وسأبذل جهدى فعند ذلك حملت الزم على عبد العزيز وقصدهم عسكر الأميرة وأصحابها واشتهرت القواضب وحمل الجيش من كل جانب ونزلت على الروم المصائب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان بحرون مع جملة فرسان الأميرة والملكة أفتونا أيضا وقاتل فى ذلك اليوم بحرون قتالا حير الأوهام والظنون وأسق الروم من سيفه كاس المنون وساعدته الجارية أفتونا وأورته من قتالها فنون فلله درها وعلى الروم ما أمرها ولم تزل الروم كذلك حتى التقوا على التراب وخلت منهم الدواب فبينما هم كذلك وإذا بالخيل نافرة والقلوب من الفزع طائرة وإذا هم بفارس قد كبر وذكر سيد البشر صلى الله عليه وسلم وسمعته الأميرة ذات الهمة وهو ينشد ويقول

ألا يا بنى الكفار قد قرب الوعد ... وبان لنا من نرتجى ولنا المجد
سأفنيكم بالسيف مادمت راكبا ... ولو كنتم مثل التراب بلا عد
فدونكم حربى فانى بجمعكم ... وحق النبي الهاشمى هو القصد
فهل فيكم ذا نخوة وحمية ... يبارزنى حتى يطيب لنا الكد
تعودت خوض الليل حتى كأننى ... من الليل مخلوق وليس أرى جهد
وجبت قفار الأرض لم أخش مسلكا ... به وعر كلا ولا حجر صلد
لاقاتل الله الشجاع إذا غدا ... يروع من ألفين فارس إذ عدوا
سل الرمح عنى ويك ان كنت ساقيا ... له من دم الابطال ان عددها ورد

سل السيف عنى هل وضعت ذبابه | برأس أمير الا وأهلكه الغد
سل النجب عنى فى الهواجر أنها | لشدة عزمى خارقا للقا جلد
سل العربيات الجياد إذا غدت | وقد سهات منها المعتقة الجرد
وقولى به جرح وأسر وغربة | ومع ذا وهذا سالم مابه قد
عزيز حنين حامل الهم فيكمو | صبور شكور ما يقيده البعد
وشوقه إلى أوطانه شوق واله | بطول حنين لايقاس له حد
نسيم الصبا ردى رسالة غائب | إلى أهله من غير موطنه فرد
ألا فابشرى يا أم ثم تيقنى | يأتى بخير قد ألم بنا السعد
وكيف يهين الله عبدا مجاهدا | غريبا وحيدا والرسول له جد
لقد لطف الله الكريم بعبده | وخلصه من كل صعب به كد
وقالوا أجب قوما كراما تعبدوا | وهذا وبيت الله ماهم زهد
وصرت ذليلا فى الاسارى مقيدا | ولم أدر ان البؤس فى أثره سعد
وجاءت الينا بنت مظلوم نصرة | وانى لها ان عشت طول المداعبد
فأسألك يارنى بجاه محمد | تبلغها المأمول والسؤل والقصد
وترزقها جنات عدن تزخرفت | وتجعلها فى زمرة المصطفى تغد
وتغفر لنا والمسلمين بأسرهم | فما زلت جوادا ومعطى لك الحمد

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعت الأميرة مقالة الامير عبد العزيز شكرته على ذلك وقالت له لله درك ياابن الامام المرتضى فقال لها والله ياسيدتى ما جئت إلا لجنابكم الكريم وفضلكم العميم فقالت له أنت تقول هذا بفضك العلى ونسبك الوفى ثم أنها أقرنت عنانها بعنانه وسنانها بسنانه ثم حملا على الكفار وحمل أيضا بحرون ووافقتهم افتوناوقد علا صياحهم وضاقت من الروم أخلاقهم وما كانت إلا ساعة حتى قتل من الروم أكثرهم وبقى أيسرهم وولى أقلهم وساروا طالبين الملك ارمانوس وخلصوا المسلمين الاسارى وأخذوا أسلاب القتلى وسلاحهم وساروا طالبين العسكر (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه كان فى كل يوم ينمو ويزيد وطالعه بالسعد جديد ولما نظر ارمانوس إلى ذلك جمع بطارقته اليه ووبخهم على فعالهم وحربهم ونزالهم وقال لهم ياقوم ان البلد غير بلدنا ونحن كل يوم فى نقصان وأعداؤنا فى زيادة بلا خسران والرأى عندى ان نصدمهم صدمة صادقة فان نصرتم فهو المراد ومسرة الفؤاد وان أنتم انهزمتم طمعوا فيكم الاعادى فقالوا البطارقة بل نحمل أيها الملك بقلوب قوية وهمم عليه فلما

سمع الملك كلامهم قال الآن علمت أنكم تصدقون فى القتال بعد هذا المقال ثم قال فى غداة غد أرى قتالكم وحربكم ونزالكم وأنا أول من يحمل فاحملوا لحملتى فلما سمع قومه كلامه قالوا له أيها الملك سوف ترى ما نفعل ونقاتل كل واحد منا إلى أن يقتل ولما أصبح الصباح ركبت الروم والمسلمين وداروا بالخليفة شمال ويمين وكذلك الروم داروا حول أرمانوس وقال لهم احملوا ولا تهملوا للقوم (يا سادة) فحملت الروم وقد سلوا القواضب وحملت المواكب على المواكب والكتائب على الكتائب عندها التقوهم المسلمين من كل جانب وعمل الصارم اليمان وصالت الأقران على الأقران وثبت الشجاع وولى الجبان وظهروا عباد الصلبان على عصابة دين الرحمن وعلت أصوات القساقسة والرهبان ولقد قاتل فى ذلك اليوم ميتم الأشبال قتال تعجز عنه الأبطال الى أن طحطح الكتائب أهل الضلال ومع ذلك وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

أنا الليث يوم الحرب والأسد الذى ... أبيد طغاة الروم فى موقف الحرب
أجاهد عن دين الإله حمية ... وأنصر صدقا دين النبى بلا كذب
وأسق لئام الروم كاس منية ... بأسمر عسال وبالصارم القضب
ليشفع لى يوم القيامه أحمد ... نبى الهدى المخصوص بالفضل والقرب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان ميتم الأشبال جال فى الروم واستعان عليهم بالحى القيوم هذا والبطارقة قد قصدته من كل جانب ومكان وقد هاج فى الكفرة مثل الكرار وقد تكاثرت عليه الأقران فعندها طلب القلب وتقدم وهو مثل الأسد الضيغم وإذا بضربة طيرت يده الشمال فتبسم لذلك الحال ثم أنشد

لئن قطعت منى الشمال فاننى ... أقاتل دهرى باليمين وأفضل
أجاهد عن دين النبى محمد ... وأهزم عباد الصليب وأقتل
لعلى أنال الفوز فى الحشر آمنا ... وأعطى كتابى باليمين وأفضل
أجاهد عن بيت النبى بلا مرا ... وأطعن فى الكفار لو كنت أقتل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزل فى قتال وحرب ونزال الى أن حجبت الشمس وطلبت الغروب وقد ظهرت الكافرين على عساكر المسلمين ولولا ان الليل دهمهم لكان أرمانوس هزمهم وبات المعتصم مهموم مغموم ثم إن ميتم الاطفال عاد على أثره من المعمعة وقد آلمته يده وزاد عليه الألم ولما نزل فى خيمته كواها له بعض أصحابه وشدها له وبات الناس قلقانين وقد أيقنوا لهم فى صبحية هذه الليلة ينهزموا ولما ولى الليل وأقبل

النهار ركبت عساكر الكفار وأشهروا البواتر وازدحمت العشائر وحان بالقوم الحين وقد زعق فيهم غراب البين ومازال القتال يعمل إلى أن وقفت الشمس فى قبة الفلك وقد تحامت المشركين وصدمت الموحدين فولوا هاربين وللنجاة طالبين وقصدوا أبواب البلد وقد طلب كل جنس هواه وانهزم ميتم الأشبال وتبعه كل من تبعه من الرجال ولم تزل الكفرة إلى بيت السلاطين وإذا بغبرة قد تارت وفى الجو قد صارت وبعد ساعة خرج من تحتها خيول عربية وعلى ظهورها رجال إسلامية وأبطال كلابية ورجال عامريه وسودان فى حمية وهم يوحدون رب البرية وفوق رؤسهم رايات عباسيه وأعلام خليفتية ومقدمهم الأسد الوثاب وسيد بنى كلاب الأمير الأجل عبد الوهاب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبشروا المعتصم بقدوم بنى كلاب والأمير عبد الوهاب فلما علم ذلك أقبلت الدنيا عليه بعد ما كانت الخلافة خرجت من يديه الا ان الحال ما أعجب عقبة شيخ الضلال ودخل الموصل وقال ما أقع فى عين عبد الوهاب فى هذه النوبة إلا ويأخذ روحى بالكلية لأن الخليفة اليه محتاج ومتكل فى هذه النوبة عليه (قال الراوى) ياسادة وان الأمير عبد الوهاب فتحت له أبواب الموصل وركب المعتصم إلى لقاه وهو فرحان به غايه الفرح ولما وقعت عينه على الأمير هم أن يترجل اليه فسبقه الأمير عبد الوهاب وترجل له ووقف له وقبل الأرض بين يديه فانحنى له المعتصم وضم الأمير اليه معتنقا له وتباكيا من حلاوة اللقا كما قال بعضهم حيث يقول

هجم السرور على حتى انني من عظم ما قد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة تبكين فى فرح وفى أحزان

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان المعتصم هنأ الأمير بالسلامة وسأله عن أخباره فأخبره بجميع ماجرى له فى بلاد الروم وماتم عليه من الأمر المحتوم فتعجب الخليفة غايه العجب وتمثل يقول

إذا خانك الدهر فيما تروم وأراك بعد السرور الهموم
فاصبر على الدهر صبرا جميل فلا ذاك دام ولا ذا يدوم

(قال الراوى) ثم ان المعتصم أخبر الأمير عبد الوهاب بجميع ماجرى له وعليه فهذا جرى (وأما أرمانوس) فانه سأل عن القادمين فقيل له هذا عسكر الامير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب فتغيب لونه واضطرب كونه لما سمع هذا الخطاب فقالت ميمونة وحق المسيح ماكانت المسلمين إلا أشرفوا على التلف فطيب قلبك أيها الملك ولا تخف (قال) ياسادة ومن الغد ركبت الموحدين وكذلك الملحدين ثم أطبق

بعضهم على بعض وقد تزلزلت من ركض خيلهم الأرض وبطل حكم السهام واعتمدوا فى الضرب بالحسام وكثر الصدام وقل الكلام هذا والعقول قد حارت والأحكام قد جارت والارواح إلى ربها صارت والامير عبد الوهاب قد اصطلى نار الحرب بنفسه وافتخر على أبناء جنسه وكذلك السودان الأنجاب وبنى كلاب وسقوا الروم من الموت أمر شراب وصاروا يخترقون المعامع والمعارك ويضربون المشركين ضربا متدارك هذا وجميع الروم قد حملت بمواكبها ولم يتأخر سوى ملك اللان فانه لم يقاتل بالكلية فقال له أرمانوس أيها الملك لم لاتقاتل عن دين النصرانية فقال له أيها الملك ان هذا عبد الوهاب فارس عظيم وقد أسرنى عشر مرات وفى كل مرة يبيعنى نفسى بمائة ألف دينار ولم يبق معى وحق المسيح ولا قنشار فقال له أرمانوس أخرج وقاتل وإذا أسرك عبد الوهاب ماأحوجك إلى وزن المال فقال أيها الملك أنا ماأفعل هذا الحال وأنا أوفر عليك وزن المال فلما سمع الملك منه ذلك الكلام ضربه أطاح رأسه عن جسده ولم تزل الناس فى القتال والحرب والنزال الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادت كل طائفة إلى مكانها ولما استقر الخليفة فى سرادقه قال للأمير عبد الوهاب يا أمير ماقولك فى دخول البلد وحفظ الأموال والنساء والرجال فقال الأمير والله يامولاى ما أفعل ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا وان أردتم الدخول إلى البلد فافعلوا فأنا وعسكرى نكون مقابل الروم على ظاهر البلد ونعتمد على الفرد الصمد (قال الراوى) فهذا جرى وأما الملك أرمانوس فانه اجتمع بميمونة وقال لها وحق المسيح لولا قدوم المسلمين ماثبت المعتصم بين أيدينا ساعة واحدة فقالت ميمونة وحق المسيح غدا أخرج اليه وآتيكم به أسير الا انى أخاف من ذات الهمة غير أنى ما أرى لها أثر ولا لولدى بحرون خبر وبات الناس إلى الصباح وركبت الطوائف وكان أول من فتح باب الحرب الأمير عبد الوهاب ونادى بصوته يا كلاب الروم ويامن غضب عليهم الحى القيوم انه قد أتاكم الفارس الباهر والبطل القاهر والشجاع القادر والحجر الراصع والسيف اللامع هل من مبارز هذا يوم الهزاهز ثم ان الأمير حمل عليهم ووضع السيف فيهم وطلب الميمنه أقلبها ميسره والميسرة أقلبها ميمنة وقتل رجال وجندل أبطال وعاد إلى مقامه فلما نظرت إلى ذلك ميمونة حملت عليهوهى تقول جاءك الموت ياأسود بنى كلاب وصاحت فيه فصاح فيها أيضا وهم أن يحمل عليها فرآها وقد عنت بجوادها وقالت له أيها الأسود أراك قد زاد على الروم شرك وتطاول بك دهرك اليوم أريحك من الدنيا وأسقيك شراب الفنا غير انى أسألك ما فعل

الله بأمك فقال سالمة بحمد الله وبحرون ولدى فقال لها بكل عافية وقد آمن بالله ورسوله وصدق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت ذلك الخبر طار من عينيها الشرر وصاحت فى جوادها وعلم الأمير بذلك فحمل عليها واصطدما وكانا كبحرين التطما أو جبلين اصطدما وصاح كل واحد منهما صيحة دوت لها الأرض والسماء ثم علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ومازالا فى كر وفر وأخذ ورد الى أن تتلمت الصفاح وتكسرت الرماح وولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل الفارسين وقد تعجبت منهما الطائفتين وعادت ميمونة إلى أمارنوس وقالت له وحياة رأسك أيها الملك لو طال النهار على ساعة لكنت أخذته أخذا باليد فقال لها أنا عرفت ذلك، وأما الأمير عبد الوهاب فانه رجع وهو مغبون بمالقى من ميمونة من القتال وباتوا ولما أصبح الصباح وركبت العساكر وتقابلت الدساكر فكان أول من فتح باب الحرب الملعونة ميمونة وقد صاحت بالمسلمين فحمل عليها الأمير عبد الوهاب فلم تمهله الروم دون أن حملت ولاعنة خيلها أرسلت لأن الملك أمرهم بالحملة فحملوا وحملت أيضا عساكر المسلمين واختلط الناس بعضهم ببعض والأمير عبد الوهاب قد طلب موكب أرمانوس ودارت من حوله الرهبان والقسوس وقاتل المعتصم فى ذلك اليوم قتال حتى حير أولى الألباب وطارت منه الآجال وقد كلت منه السواعد وحارت منه الرجال وكثر عليه العدد وتزايد المدد وأشرف على الأخذ هذا والأمير عبد الوهاب غرق فى عسكر الروم الكلاب وبقيت ثيابه كأنها شقيقة ارجوان وقد بذل مضاربه فى أهل ملة الصلبان فهو كذلك يقاتل مثل أسد العرين وإذا بغبار قد طلع من ناحية نصيبين ثم انكشف الغبار بعد ساعة وبان للنظار وإذا فى مقدمة هذا العسكر الاميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم فزالت عن المسلمين الهموم ورجعوا إلى الخليفة وهم يبشرون وبعد ساعة وصلت الاميرة وعبد العزيز عن يمينها وبحرون عن شمالها ولما رأت الاميرة إلى القتال عمال ورأت الروم قد أحدقوا بالامير عبد الوهاب والخليفة المعتصم صاحت فى رجالها وخرقت عساكر الروم وفتكت فى العساكر وأرمت القمم الى أن وصلت إلى الامير والمعتصم وفرقت عنهم الرجال وخافت منها الابطال وصاحت فى طابق المجال أنا فاطمة بنت مظلوم العامرية المجاهده الكلابية (قال الراوى) ياسادة فلما سمعوا الروم كلامها تفرقوا فرقا وتبعتهم بالسيف قتلا ونهبا ولم يزالوا كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفة إلى مكانها واجتمع عبد العزيز بعبد الوهاب فرحب به غاية الترحاب وسار به إلى عند المعتصم ففرح الخليفة برؤيتهما وقال لعبد العزيز ما سبب غيبتك فأخبره بما جرى له وأنه

من عتقاء سيف الاميرة ذات الهمة ثم ان عبد العزيز قال للأمير عبد الوهاب أريد أيها الامير أن أكون من رجالك ومن بعض أبطالك فقال له الامير أنت السيد الخطير ونحن غلمان بين يديك لانك حسيب نسيب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من اللعين عقبة فانه اجتمع مع عامل الموصل وكان نصرانيا فقال له عقبة لابد ما أعمل على هلاك عبد العزيز فقال العامل لو أتيت به إلى لتحيلت على حبسه عندى لان فى بيتى سرداب يسع نصف عسكر المسلمين فقال عقبة لابد ما أعمل على عبد العزيز ونصف عسكر المسلمين وأرميهم عندك (ياسادة) وأما أرمانوس فان الروم لما اجتمعوا به شكوا اليه ما وجدوه من الامير عبد الوهاب وفرسان بنى كلاب فطيبت ميمونة قلوب الروم وأوعدتهم بمبارزة عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبات الناس إلى الصباح فقال المعتصم للأمير عبد الوهاب لو كانت عساكر بنى كلاب كلها حاضرة لهزمنا عسكر الروم وصبحناهم صباح ميشوم وإنى أريد أنفذ اليهم وآتى بهم من أرض الحجاز فقال افعل يامولاى ماتريد فأمر الخليفة من وقته وساعته أن يكتب الكتب وتسير الى مدينة بغداد ويرسلوها من بغداد الى بلد على أجنحة الطيور الى أن تصل أرض الحجاز ففعل الوزير ذلك وبعد أيام وصلت الكتب إلى مكة المشرفه والعلائم من ذات الهمة وعبد الوهاب إلى دار بنى كلاب وعامر ونمير وبنى الوحيد فعند ذلك صاح الخبرودار على الأربع حلل المذكوره فساروا إلى أن وصلوا إلى حصن القناصه من العساكر والعبيد والفرسان الصناد وتجمعوا أوفى من خمسين ألف مقاتل (قال الراوى) يا ساسة هذا جرى ههنا وأما الروم والمسلمون فانهم زحفوا إلى بعضهم بعضا وقد تزلزلت بهم الأرض وكان قدوصل إلى الملك أرمانوس ان الأميرة ذات الهمة قتلت بطلوس بطريقه ومن معه من الفرسان وخلصت عبد العزيز ومن معه من الأسارى وأخذت خزانة الملك ارمانوس وماكان معهم من الأموال التى غنموها من المسلمين وقد وصلت الأموال كلها مع الأميرة ذات الهمة فقامت على أرمانوس القيامه ورجع على نفسه بالملامه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وبعد ذلك فصل القتال بينهم عمال مدة عشرين يوم وفى اليوم الحادى والعشرين عند الصباح أشرفت على الناس غبرة من جهة أرض العراق فسارع اليها بعص المسلمين ورجعوا يخبروا المعتصم ان هذا القادم ميتم الأشبال أسد بن جابر الريبال وكان أكبر أغراضه أن يرى الأمير عبد الوهاب ولما سمع بقدومه رجع من الطريق وكان عمل له درقة يدخل يده فيها وهى اليد الشمال التى قطعت ولما نظر ميتم الأشبال الى مصاب المسلمين حمل هو وأصحابه وضرب فى أعراض الأبطال فأرمى الروم يمين وشمال وقد حملت الطوائف بعضها على بعض

ودام فيهم الركض وتقاربت الآجال وجندلت الأبطال وشاب من هول تلك الوقعه الرجال ورشقت الأتراك بالنبال وذلت الفرسان وكثرأنين المجروحين فى الميدان ودامت النفوس وتيقنت بالعكوس من هول وقع السيف والدبوس وماج النقع وتار وأظلم النهار وعمل البتار (قال الراوى) ياسادة ولم يزالوا كذلك إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار واجتمع ميتم الأشبال بالأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وسلم عليهما فشكرته الأميرة ذات الهمة وقالت والله ياأمير نحن كنا أحق بالسعى إلى خدمتك لأنك نصرت دين محمد صلى الله عليه وسلم وقد أخبرنا بك الخليفة فشكرها على قولها (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما ميمونه فانها قالت لارمانوس أيها الملك انى أريد أن أبارز القوم فى غداة غد لعلى أن أحظى بقتل الثلاثة اما عبد الوهاب واما ذات الهمة وإما ولدى بحرون فقال لها أرمانوس ويهون عليك قتل ولدك بحرون قالت نعم وقتله فى هواك يكون ويهون ولابد من قتله على كل حالى (قال الراوى) وأعجب ماجرى فى هذه السيرة أن بحرون أتى إلى الامير عبدالوهاب عند الصباح وقال له رأيت البارحة منام قال وماهو ياولدى قال رأيت كان أبواب السماء قد فتحت وكانى قد ارتفعت الى السماء ورأيت الملائكة فى العبادة فمنهم سجود لايرفعون ومنهم قيام لايركعون ولم أزل أخترق سماء بعد سماء إلى أن وصلت إلى السماء السابعة فاذا بقبة من الزمرد الأخضر ولها أربعة أبواب من الياقوت الاحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر وفى تلك القبة من الحور العين مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولما أشرفت عليهم نادونى أنت غدا عندنا فى ضيافتنا (قال) ثم بدت لى منهم جويرية لو أشرفت بوجهها على أهل الدنيا غنتهم عن الشمس فعانقتنى وقالت يابحرون أيما أحسن أنا أم أفتونا التى سلبت عقلك فقلت والله بل أنت أحسن منها ثم انتبهت (قال الراوى) هويت عبد العزيز العلوى وأصبح فؤادها بنار المحبة مكوى وقد شغفت به الشغف الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب منام بحرون قال له يابنى منام خير يكون ان شاء الله تعالى ولما اصطفت الصفوف وترتبت الالوف كانت ميمونه أول من فتحت باب الحرب وجالت فى الميدان ولبست درع مذهب وكان تحتها حجرة سلهب فهى كما قال فيها بعض واصفيها

وصفراء تزهو كلون الذهب * اذا ماجرت ليس تلقى تعب
اذا ماعلا فوقها فارس * وعاين تقريبها والخبب
يبيت بتكريت عند المسا * وعند الصباح يدانى حلب

(قال الراوى) ياسادة ثم أن ميمونة حملت إلى أن صارت بين الصفين واشتهرت بين الفريقين ونادت معاشر العرب من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا ميمونة بنت الملك الدمدمان مبيدة الاقران وسيدة الشجعان فلا يبرزلى إلا عبد الوهاب أو عبد العزيز وإلا ذات الهمة وإلا ولدى بحرون فعندها تقدم بحرون إلى الأمير وقال يا أبتاه دعنى أبرز إلى هذه الملعونة لعلى أروى الأرض من دماها فقال ياابنى إنى خائف عليك من المنام الذى رأيته فقال ياأبتاه إن كان الوقت قد قرب فمرحبا بلقاء الله تعالى فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام بحرون ضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال للأميرة ياأماه ودعى ولدى فهذا آخر العهد به ثم صاح بأولاده وقال تزودوا من أخاكم وودعوه فهو مفارقكم ثم ضمه الأمير إلى صدره ثانيا وكذلك فعل ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم ولم يبق غير افتونا فلم يودعها بحرون ولا أفكر فيها (قال الراوى) ياسادة فقال له الأمير ودع زوجتك افتونا فقال ياأبتاه لم يبق لى فيها إرادة بعد ما رأيت تلك الجارية التى بشرتنى بدار السعادة ثم أشار إلى أبيه وأخوته وقال استودعكم الله رب العالمين فتباكوا الناس وضجوا له بالدعاء وكان ذلك اليوم كانه يوم النشور ولم يبق أحد من المسلمين إلا وبكى على بحرون عند سماعهم ذلك المنام وكذلك المعتصم قال من عرف الله أطلعه على يوم لقاه وكانت الجنة مأواه هذا وبحرون قد أطلق جواده إلى الميدان وساوى ميمونة فى طابق الجولان فنادته ويلك يابحرون كنت تعذلنى وتقول ادخلى فى دين النصرانية وأنا لا أرخص لك فى ذلك ولا فى تلك القضيه فلما تنصرت أنا اتبعت أنت الملة المحمدية فقال لها يا ملعونه اتبعت دين ينجينى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فان كنتى قد جهلتى وأخطأتى فعودى إلى دين الاسلام واتبعى ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فصاحت به عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له ويلك لمثلى تقول هذا المقال وقد دخلت فى دين أحظانى بعناق أرمانوس الملك المفضال فلا تطيل معى القيل والقال ودونك والحرب والنزال ثم صاحت بجوادها فخرج من تحتها مثل البرق البارق أو السهم الراشق الخارق ثم أنها أطبقت على بحرون وأطبق عليها ولم يزالا فى حرب شديد وضرب عتيد وهزل وجد وأخذ ورد وكر وفر وقد علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وقدحت النار من سنابك الخيل ولم يزالا كذلك إلى أن علا النهار وعطش بحرون العطش الشديد فهو فى شدة العطش إذ كشف الله عن بصره فنظر إلى الحورية وفى يدها كاسا مملوءة ماء وهى تشير به إليه وتقول له الساعة تصل إلينا يابحرون (قال) فلما نظر بحرون إليها اشتاق إلى ذلك وقال أشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة من بحرون ذلك أطبقت عليه وضربته بسيفها فاستتر عن الضربة بالدرقة فصرخت ميمونة فى وجهه ثم وضعت يدها فى دور منطقته وجذبته إليها فاقتلعته من سرجه وجلدت به الأرض ثم انها وثبت صارت على صدره وأخرجت من وسطها خنجر أمضى من القضاء ووضعته على أوداجه وقد نزع الله الرحمة من قلبها ولم تخف من ربها وذبحت بحرون من الوريد إلى الوريد ووثبت من على صـدره وهى تقول فى هوى أرمانوس وهو رخيص بالاموال والنفوس (ياسـادة) ولما رأى الامير عبد الوهاب ذلك بكى بكاء شديد على ولده بحرون وكذلك اخوته والأميرة ذات الهمة جدته وأما ميمونة فانها وصلت إلى الملك أرمانوس فقام لها اجلالا لقدرها وشكرها على فعلها ثم انها غيرت لامة حربها وجوادها وعادت إلى الميدان وهى كانها الأسد الغضبان فلما رآها الامير عبد الوهاب لم يتمالك على نفسه دون أن قفز إليها بالجواد فخرج من تحته مثل البرق الخاطف أو الريح العاصف وحمل عليها حملة الاسد الهجوم وحملت أيضا عليه الملعونة فكانا كبحرين التطما أو جبلين اصطدما وأخذا فى الكر والفر والاخذ والرد والمصادمة والمعاركة وقد علاهما الغبار وغابا عن الابصار ولم يزالا فى ضرب يهد وطعن يقد حتى خدلت منهما السواعد وكلت المناكب واختلف بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة ميمونة فلما نظر عبدالوهاب الطعنة واصلة إلى صدره وعلم أنها إذا أصابته لا يردها درع ولا زرديه ويشرب شراب المنيه فعندها وثب عن الجواد وفى وثبته قام الجواد على يديه فوقعت الطعنه فى صدر الجواد مزقت من ظهره فعندها عاجلها عبد الوهاب بالطعنة فالتقتها بالدرقه وكانت طعنة صادقه فأخرقت الدرقة وخرق السنان الزرد الذى على وجهها فوقع السنان فى عينها اليمنى فاندق فيها الرمح إلى حد السنان من نخوة الملعونة مدت يدها وأخرجت السنان من عينها اليمنى وقد سالت على خدها وعادت الملعونة جارية إلى عسكر الروم وقد أصابها من عينها ألم عظيم وصعب على أرمانوس وقال لها وحق المسيح لقد كنتى تفتخرى علـى بعينكى التى لم يملك سواك وكنت أخاف من صدك وجفاك أن كنتى تقولى سلانى أرمانوس لكونى بفرد عين فهذا ظن معكوس وأنا ما أفرغ عنكى أبدا ما دمتى فى دار الدنيا (قال الراوى) فعندها طاب قلب ميمونة وقامت الاطباء يداوونها سبعة أيام وقد حزم أرمانوس الركوب لاجلها ولما كان اليوم الثامن ركبت الطوائف فكان أول من برز بين الصفين واشتهر بين الفريقين الامير عبد الوهاب وعليه يومئذ درع داوودى كانه عيون الجرد

وعلى رأسه بيضه عاديه وهو متقلد بصفيحة هندية ورمح طويل الكعوب طوله أربعة وعشرين أنبوب وتحته حصان عالى وقد خرج اليه بترك وكان اسمه نقولا فقال اعلم أيها المولى أن الملك أرمانوس يسلم عليك ويقول لك سلمه من الموصل إلى الشام ويكون لك من إربل إلى البياريج إلى تكريت إلى العراق ويقع بينك وبينه الاتفاق (قال الراوى) ياسادة فضحك الامير من قوله والخطاب وقال له امضى اليه وقل له السمع والطاعة ولما ولى من قدامه راجع طعنه الامير فى ظهره أطلع السنان يلمع من صدره ثم أن الامير طلب البراز فلم يبرز اليه أحد فحمل وحملت المسلمون وحمل أرمانوس أيضا بعساكر الكافرين وقدصعب عليه قتل البترك نقولا لانه كان أتى معه من الجزائر ودام بينهما القتال وعملت النصال ووقع النزال وبطل القيل والقال ووقفت الفرسان يمين وشمال وأرمت السودان الروم أفراد وأزواج وماجت العساكر مثل البحر الزاخر وحملت فتيانها وكانت جهنم والغبار دخانها ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وبات الناس تلك الليلة وكل واحد لروحه حارس ولما كان من الغد كان أول من فتح باب الحرب ميمونه وقالت لايبرز الى إلا قالع عينى فهم عبد العزيز بالخروج اليها فتعلقت به الاميره وقالت له أيها الامير والسيد الخطير دعنى وإياها فهم فى الكلام وإذا بسيف الحنيفيه أطلق لجواده العنان فلما رأته ميمونه صاحت فيه وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجرى بينهما حرب تشيب له الولدان فتارة يتقاربان وتارة يتباعدان وما زالا فى أخذ ورد وهزل وجد واقبال وادبار إلى أن ولى النهار ولما أقبل الليل وسيف الحنيفيه فى شدة جريانه إذ كبا به جواده فانقضت عليه ميمونة أخذته أسير وقادته ذليل حقير (قال الراوى) وكان قد أمسا المساء وباتت الأميره وفى قلبها من أسر سيف الحنيفية نار لاتطفى ولما أصبح الصباح عولت الأميرة على الضرب بالكفاح فسبقها ظالم وخرج كأنه الماء إذا أنحدر وتحته جواد أشقر مليح منسوب مثل الريح الهبوب وعليه زردية كثيرة العدد ضيقة الزرد وعلى رأسه بيضة عادية وقد شطب عليها عمامة ريحانية وهو متقلد بسيف طويل الحمائل الموت فيه علائم ودلائل لايضره النداء ولايركبه الصداء وهو يلمع مثل البرق البارق وهو لا عمار العدا ماحق وبيده رمح طويل مثقف مكتوب على سنانه بالفضة أقبل ولا تخف وعليه سنان محرف كأنه لسان حيه يلقلق يهز فى يد حامله وتقرعين الحامل بعمايله ولما نظرت ميمونة حملت عليه وحمل عليها ظالم وهو مثل العقاب الحايم أو الأسد الهاجم وتضاربا بالصوارم وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار وما زالا فى قتال وحرب ونزال إلى أن أحمرت الحدق وجرى بينهما العرق وتقطعت الدرق وكلما فتح أحدهما مضرب على صاحبه أبطله الآخر بحسن

خبرته وتجاربه ولم يزالا فى حرب أكيد وضرب عتيد إلى أن أمسا المساء وعادت ميمونة إلى عسكر المشركين وأقاموا إلى إن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فأول من برز إلى بين الصفين وأشتهر بين الفريقين ميمونة الملعونه ومن تحتها جواد أبلق سواده مثل الغسق وبياضه مثل الصبح إذا أشرق محجل الأربع محدق خطوته من المغرب إلى المشرق يخرج بصاحبه مثل الماء إذا أندفق لا يدركه النظران انطلق راكبه على أعدائه يجول ويزعق وعليها زردية كثيرة العدد ضيقة الزرد وتمنع من السيوف المواحق والاسنه الخوارق وعلى رأسها ترك بولاد لايوجد مثله فى سائر البلاد ولا فرح بمثله عنتر بن شداد فى يوم الحرب الجلاد لا تعمل فيه السيوف الهندية ولا الرماح الخطيه وقد تقلدت بصارم قد ضرب من صاعقه لا يمنع ضرباته لا ترس ولا طارقه من عهد العمالقة وبيدها قنطارية خلنجية صنعة بلاد أفرنجية (قال الراوى) ولما نظرتها الأميرة خافت أن يبرز اليها سواها ويمنعها من مناها فقزفت بجوادها إلى ميمونة ولما نظرت إلى الأميرة خافت منها على نفسها وعلمت أنها إن رجعت تنقص منزلتها عند الملك أرمانوس فما كان لها غير القتال والحرب والنزال وحملت على الأميرة وحملت الأميرة عليها وجالا طويلا واعتركا مليا ودام بينها الصدام والبعد والإلتزام والمصادمة والمهاجمة وكان أيضا على الأميرة لامة حرب حسنه وهى فيها متقنصة متلثمة تمنع عن السهام الثواقب والاسنة الكواعب وهى متقلدة بسيف أبتر ومعها رمح أسمر ومن تحتها جواد أشقر يسبق البرق إذا خطر وهو نزهة لمن نظر راكبه من طوارق الحدثان فى أمان (قال الراوى) ودام بينهما الصدام وتجريع الموت الزؤام وقد علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم يزالا فى حرب أكيد وقتال شديد إلى أن تثلمت السيفين وضجت الفريقين من قتال الاثنين (يا ساده) ثم أن ميمونه اخترطت سيف الركاب وضربت الاميره ضربة واصله تقد الرقاب وتهون الامور الصعاب فالتقت الاميرة الضربة بدرقة كانت معها من الحديد الصينى ومن فوقها جلد فيل غير مدموغ كانه بالسواد مبقوع والطبقة الثالثة من البولاد الذى لم يوجد ولا يشهر فاندق سيف ميمونه من حد النصل وانقطع من الاصل ولما نظرت ميمونه إلى ذلك انكبت على الاميرة ذات الهمة باليدين وتشابكا على الجوادين وتعاركا على ظهور الصوافن حتى حيرا النواظر ولم يرى فى زمانهما أحسن من صراعهما على ظهور الخيل وقد مسكت ميمونه للاميرة ذات الهمة فاقتلعتها من سرجها وظنت انها ملكتها وكان ذلك خديعة من الاميره حتى صارت معها وصلتها ولما رأت الاميره ذلك مسكتها وهزتها قلعتها من سرجها ومن ثقل ميمونه ألقت الاميره نفسها عليها

فوقعا كلاهما إلى الأرض ووقعت ميمونه قائمة وكذلك الاميرة ذات الهمة فتشابكا وتماركا وتصادما وتلازما ثم ان الاميرة مسكت يدها اليمين والأخرى على رقبتها وشالتها على رأسها فلما نظر أرمانوس إلى ذلك سار فى أبطاله وأقياله وصاح المعتصم أيضا فى فرسانه وأبطاله وجميع الناس واشتد البأس وطار النعاس وحمل بعضهم على بعض وكانت ساعة يالها من ساعه عدمت الخيل أقيالها ولقيت النفوس آجالها وطلبت الاميرة تخرج بميمونه من المعمعة فلم تقدر على ذلك وتزل تزاحم الخيل وهى كانها مجارى السيل فالقتها الاميرة من يدها وقالت والله يا ملعونه لئن تحركتى لاضربن رقبتك أطيرها عن بدنك وأجعل القبر مسكنك فلم تتحرك ميمونه (قال الراوى) هذا وقد تجارت على الاميرة ذات الهمة الخيل وأطبقت عليها مثل السيل فلم تجد إلى الخروج سبيل ولم تجد لها من القتال مشهل فبينما الناس كذلك وإذا بغبرة قد أقبلت من نحو العراق وقد سدت الآفاق ثم تجولت إلى الجو وقد عدم الضو (قال الراوى) وقد حسبت المسلمين انها نجدة للروم فتركوا القتال ووقفوا ينتظرون من القادمون وقد ظنت الاميرة ان الأرض قد تزلزلت من وقع سنابك الخيل وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن رايات صفر وحمر وخضر وسود ومن تحت الرايات رجال سود وفى أوائلهم الامير أبو محمد البطال والبطل أبو الهزاهز وإلى جانبه الامير قراقر وولده قرقود ودمدم والشيصبان وغيلم والمسخطون والمصطلم وميمون الجماس ومرادم والقعقاع والمناخ وقشعم وسابق الريح ومعربد وأبو سطيح وباغض الحياة وطالب الرقة وسكرة الموت والعربيد ونكرار الصنديد ومرزوق ومفلح ومسروق وصياح البوق ومقبل وحافظ رأسه وقراط مداسه وصفارة الريح وسحاب البلاء وثاير الشر وسبع الفلا وطالب الموت وأبا شكال وناطح الكبشين والدمدمان وملابط البغال وأبو راسين وأبا سآل وزنطح وقرموط وقرعوس وأبو دبوس وقامع الاعمار وأبو الوبال وأبو القرود ووجه التيوس ومدار الطاحون وأبو القرون وأخوهم سعدون (قال الراوى) ومن ورائهم مائة ألف من بنى كلاب مثل أسود الغاب ومعهم جماعة من عساكر المعتصم الذين كانوا انهزموا فلما نظرهم الامير كشف رأسه وخفف لباسه ونادى الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وحيانا بالظفر على غيظ من طغى وكفر فقال المعتصم أيها الامير ما الخبر فقال يا مولاى هذه عساكرى بسعادتك يا أمير المؤمنين قد أتت وأبطالى وأقيالى قد قدمت أما تنظر يامولاى إلى بيارق السودان الانجاب ورايات سادات بنى كلاب فلما سمع المعتصم ذلك طار عقله فرحا (ياساده) ومن شغل قلب الاميره وفرحها بالعساكر ونظرها اليهم أخذت ميمونه منها غفلة وانهزمت من بين يديها وطلبت

عسكر الروم وندمت الاميرة على تفريطها فيها ووصلت الملعونه إلى عسكر الروم ثم ركبت جوادها وطلبت المصاف ولما وصلت السودان نادوا بأصواتهم يال حام يال حام يالون الظلام وكذلك بنو كلاب وصاح الامير عبد الوهاب يا بنى كلاب يا أسود الغاب يا أصحاب المواقع العظام دونكم وأعداء الله الكفرة اللئام ومكنوا منهم الحسام وانصروا دين الاسلام (قال) وكان السبب فى قدوم بنى كلاب والسودان الانجاب الكتب التى انفذها الامير عبد الوهاب وكان صابر المرعشى قد انحدر إلى بغداد وأقام ينتظر قدومهم فلما رآهم وصلوا وهم على عجل من أمرهم لم يتبعهم غير الفرس والنجيب وتركوا اثقالهم واصلة خلفهم فلما رآهم صابر المرعشى صاح فيهم النفير النفير يا أمه البشير النذير بادروا إلى نصرة الامير فان عليه من الروم جم غفير وان المسلمين قد وقفو فى بحر عجاج متلاطم بالامواج (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه لم يقيموا ببغداد بل بادروا مسرعين إلى أن وصلوا ذلك الوقت والحين كما ذكرنا والمعمعة قائمة وقدعلا غبارها ونما قتارها فحملوا وكان على الكافرين يوم عبوس واتى للروم فيه النحوس هذا والامير عبد الوهاب قد حمل كانه ليث عبوس أو أسد شروس وقد فتك بالابطال ولم يزالوا فى قتال شديد وضرب أكيد إلى أن زالت عساكر الضيا وخيمت الظلما وانفصلت كل طائفة وعادت إلى مقامها وأما الملعونة ميمونة فانها قالت للملك أرمانوس أيها الملك والسيد الكريم إن ذات الهمة ما أخذتنى بقوة قتال بل أخذتنى بالصراع والاحتيال وأنا مالى خبرة بالصراع ولكن فى غداة غدا أخرج إليها وترى ما يكون منى ومنها وكيف ألقى روحى عليها وأظفرك بها فقال الملك يكفيكى ما لقيتى فى هذا اليوم فقالت أيها الملك هواك ملك قيادى وخيم فى صميم فؤادى ولاجل هذا ألقى الشدائد واذب عنك واكابد فشكرها الملك على قولها وجزاها خيرا (قال الراوى) وأما الأمير عبد الوهاب فانه لما أصبح الله بالصباح أتى إلى القناصة وعلوى وسلم عليهما وفرح بهما وبالسودان الأنجاب وبنى كلاب ثم أنه دخل إلى المعتصم وقال له يا أمير المؤمنين ارسل إلى الموصل واستدعى بثياب الخز الملون واخلع على مقدمين العرب والسودان واوعد الباقين بكل جميل (يا سادة) وكانت أسواقها مما يلى شرقى البلد من ناحية الدجلة إلى ناحية جامعها فأتوه بأزيد من ألف ثوب وفوط حمر ثم استدعى بوجوه بنى كلاب وأمراء السودان ومقدميهم وقد شدوا الأجراس فى حلوقهم والمرايا فى صدورهم والعصايب الحمر على وجوههم والطراطير على رؤسهم وهى تزهو بأنواع الدرع والخرز ثم أنهم تقدموا بين يدى أمير المؤمنين وقعدوا فى ثيابهم وحملقوا باحداقهم وتراقعوا حتى عقد عليهم سنان يطير الشعر من على الأجفان

ونادوا نحن بنو حام السودان الكرام وسوف نسقيهم من سيوفنا كأس الحمام ونأخذ منهم مافاتنا فى هذه الوقائع وننزل بهم الفجائع (قال الراوى) ولما كان من الغد ركب الأمير عبد الوهاب وركبت لركوبه السودان الأنجاب وقد لبس زيهم وأظهروا عددهم وصاحوا بأصوات فسمع صوتهم الرفيع والوضيع هذا وقد اصطفت الصفوف وازدحمت الألوف واشتهرت السيوف فقال الأمير لأصحابه يا بنى الأعمام مالى لا أرى البطال فهل فيكم من رآه فقال بعضهم من أمس رأيناه وهو يقاتل وما كنا نعلم بعد ذلك ما كان منه فقال الأمير عبد العزيز العلوى تعنون من ذلك القصير الاشقر الازرق العينين فقال الامير نعم هو ذاك فقال أنه قد ورد على وقال لى يا عبد العزيز قص على قصتك وكيف كان السبب فى أخذك فقصيت عليه قصتى وسألنى عن القاضى عقبه فقلت له عن ذلك الشيخ الصالح فقال نعم لعن الله من ذكرت فقلت له أتشتمه فقال أسكت ولا تتكلم فقال أنت معذور ولا شك أنه دخل إلى الموصل وأنت لا تعرفه فقلت ولا شك أنه دخل إلى الموصل وما رأيته منذ أيام فلما سمع كلامى خلانى وسار وما أعلم بعد ذلك ما كان منه (قال الراوى) وكان من أمر عقبه أنه دخل إلى الموصل كما ذكرنا وقصد دار عاملها وكان نصرانيا فقال له عقبه قد أتى البطال مع هؤلاء العساكر ولابد له أن يبحث على ويدخل الموصل بسببى ولابد لى أن أطرح العيون عليه فقال له العامل أنا وحق المسيح لو رأيته ما عرفته ثم أن اللعين قصد إلى باب الميدان وقد لبس فروه مقلوبه على رأسه قطعة عباءة وجلس أمام الباب فلما كان وقت العبور للخدام إلى الموصل لاجل الخلع دخل البطال وغلامه لؤلؤ فلما نظرهم عقبه عرفهم فسار خلفهم إلى أن وصلوا إلى مسجد فى أول السوق الذى للطعام مما يلى الميدان وكان المسجد الذى دخلوه مخلوق وتحته دكاكين يباع فيها الطعام فلما دخل البطال المسجد ألقى بعض غلمانه يشترى لهم شيأ يأكلوه فلما رأى عقبه ذلك عاد إلى عامل الموصل وأخبره بالحال (قال الراوى) يا سادة فبينما البطال وغلامه يأكلان وإذا قد دخل عليهم شيخ ووقف يصلى وطول فى صلاته فلما فرغ تقدم إليه لؤلؤ وقال له يا شيخ تقبل الله منك صلاتك ووقاك أمرك تعرف لنا فى هذا البلد شيخ عابد زاهد يقال له القاضى عقبه فقال الشيخ نعم أعرف هذه الصفة ورأيته بمسجد يقال له مسجد الخضر الذى فى آخر البلد وهو مقيم فيه يتعبد (قال) فلما سمع أبو محمد كلامه أنشد وجعل يتمثل ويقول

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ثم أنهم أقاموا إلى الليل وساروا طالبين مسجد الخضر فلما وصلوا إليه دخلوا وحصلوا فى وسط المسجد وإذا إلى جانبه اثنين وقائل يقول إلهى قد كبر سنى ورق عظمى ونحل جسمى ولا أعلم أنا

من المطرودين أو من المقبولين إلهى بعزتك فلا تفضحنى يوم جمع الخلائق لفصل القضاء آه من ذنوبى وثقل أوزارى آه من فضيحتى وهتك أستارى (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك صنت إلى صوب الصوت وإذا بضوء خفى داخل إلى بيت فى المسجد وفيه سراج وقنديل فنظر وإذا هو بشيخ مستند وراكس على ركبته وهو يتنفس تنفس الحزين ويقول إلهى لا تخزنى يوم الدين فتأمله البطال وإذا هو شيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال فلما رآه البطال قال أحسنت أصرت زاهد ثم تقدم إليه وقال له أمسيت يا هذا الوجه بما تستحقه من أيشم المساء وأحرمك الله لذيذ العشاء ما بقى ينفعك شمعون الذبيح ولا مزمارى المسيح يا قرنانى دنى أجلك وخاب أملك فقال عقبة يا بطال وحق المسيح وقعت أنت فى الاشراك المليح وفات أملك وحان مرتحلك (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع البطال ذلك جرد خنجراً معه أمضى من القضاء والقدر ودنا من عقبة وإذا بالصباح قد أخذه فالتفت لينظر وإذا بعشرة أشخاص قد خرجوا عليه من بعض تلك البيوت كأنهم النخيل الطوال وبأيديهم الصوارم الصقال ثم صاحوا فى البطال وقالوا له ويلك يا رأس المحتالين وقعت وأنت أخبث الطيور وما بقيت تظهر حتى ينفخ فى الصور أرمى الخنجر من يدك وإلا طرحنا رأسك عن بدنك (قال الراوى) فلما رأى البطال ذلك علم أنه أن ناصلهم خسر معهم وعطب فما كان له إلا أن ألقى الخنجر من يده فأكبوا عليه وعلى لؤلؤ وأخذوهما وساروا بهما تحت الليل وقد عدموا التوفيق وحل بهم الويل ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا بهما إلى دار العامل فقال العامل يا أبونا نقتله فقال لا وحق المسيح ما أقتله حتى آخذ عبد الوهاب وعبد العزيز وذات الهمة وربما أخذت المعتصم ثم أنهم أنزلوا لؤلؤ والبطال فى سرداب تحت الأرض بعد أن قيدوهم بالقيود الثقال ووضعوا فى أعناقهم السلاسل والأغلال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه جمع رجاله وأبطاله وسودانه وعباهم ميمنة وميسره وقلب وجناحين ثم قال لأبو الهزاهز وسملق أعلموا أننا ما كنا نكسر عساكر الروم إلا إذا كنا نحمل على صاحب العلم فنقتله وننكس العلم فينكسر العسكر ويتبدد المعشر وحققوا بنا الحملة على صاحب العلم الأكبر فلعل الله عز وجل يظفرنا به فما كانت تقوم للروم بعدها قائمة أبدا (قال) فلما سمعوا كلامه قالوا أيها الأمير نحن لك وبين يديك فبيناهم كذلك إذ أقبل الأمير عبد العزيز العلوى وقال أيها الأمير أراك قد جمعت الرجال والأصحاب وما ذلك إلا لسبب من الأسباب فوحق رب الأرباب لا بدلى أقف أن على ما أنتم عليه وأفعل كفعلكم فقالوا له أيها الأمير قد عولنا على أننا

نقصد صاحب العلم ونحل به البؤس والنقم فاذا مال العلم انهزمت سائر الأمم ولا يثبت بعدها للروم قدم فقال عبد العزيز أيها الأمير ولم كنت تريد تحرمنى من الثواب فى مثل هذه النوبة فقال يابنى أقسم بالله انى ما تركتك إلا لأنك ما تعلم قتال هؤلاء الملاعين أعداء الدين فقال أيها الأمير لابد أن أحمل كحملتكم وأن أكون فى جملتكم فقال له الأمير افعل ما بدالك (قال الراوى) ياسادة فبينماهم كذلك وقد عولوا على الحملة وإذا هم بميتم الأشبال جابر قد أقبل وقال أيها الأمير لم لا تعدونى من الفرسان وتجعلنى من بعض من معك من الاقران لاكون معكم واحمل كحملتكم وانى قد صفرت فى أعينكم حين قطعت يدى فوحق النبى العربى أنى أمسك الدرقة بشمالى وألقى الأبطال ولا أبالى فقال له الأمير شأنك وما تريدين فبينما هم كذلك وإذا بأمير المؤمنين المعتصم قد أقبل عليهم وسألهم عن ماهم فيه فأخبروه بما يريدوه وما الذى يصنعون فقال أيها الأمير لا تحرمونى الثواب ودعونى أكون فى حملتكم واحسبونى واحد منكم فقال له الأمير الله الله ياأمير المؤمنين لا تفعل فنحن بأنفسنا نفديك وبقلوبنا نقيك لأنك مالك رقاب المسلمين وخليفة رب العالمين وأننا نخاف والعياذ بالله أن يتم عليك أمرا من الامور فيكون فيه هلاك الاسلام جمعا سيما وهذا العدو قد استكلب على بلاد الاسلام والسعيد يامولانا من اكتفى بغيره وما وقوف هذا العسكر إلا بمشاهدتك حرس الله مدتك فقال المعتصم بالله إن كان قرب الوقت ودنا الاجل فلا راد لحكمه ولا معقب لامره ولا مفر من قضائه وها أنا أترك رجل فى مكانى وأترك الاعلام على رأسه واحمل فى جملتكم فقال له الامير يامولاى نحن بحكمك اصنع ما شئت (قال) ثم انهم اعتدوا لذلك الامر خمسين فارس تضرب بهم الامثال (قال الراوى) ياسادة وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة أن الملعونة ميمونة تحدثت مع الملك أرمانوس والملوك وقالت لهم ودبرت لهم كما دبروا المسلمون لانها قالت أيها الملك لما كنت مع المسلمين كنا نقصد صاحب العلم وننكسه بعد قتل حامله وقد انهزمت العساكر وتفرقت الدساكر وقد عولت أن أحمل بنفسى وأضرب صاحب العلم فأقتله وربما ثنيت على المعتصم فلما سمع أرمانوس كلامها استصوب رأيها وقال وحق المسيح لقد صدقتى وبالحق نطقتى ما أخبرك بالحروب وما أكشفك للكروب وسأكون فى صحبتك ولا أختار نفسى دونك فضحكت له وقالت مثلك من يكون قرين للنسوان فقال جرجيس ملك الانجار وأنا فى محبتكم وقال جرجناس ملك الملافطه وأنا أيضا فى محبتكم وقال ملك البنادقة وأنا كذلك وقال ملك البرغل وأنا كذلك وملك المغلبيط وملك الزغاوره وملك الدوقس وملك الافرنج وجميع الملوك فلما تكاملت

السبعة عشر ملك مع أرمانوس أنضاف إليهما أربعمائة وثمانين بطريق من كل فارس وثيق كأنه شعلة حريق ما فيهم إلا كل فارس زنديق (قال الراوى) وحملت الطوائف وقد أضمرت كل طائفة للأخرى ما أضمرت لكن كان الأمير عبد الوهاب أسبق لصاحب العلم فأحل به النقم لأنه طعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره ونظرت الروم إلى ذلك فهمت بالهزيمه وإذا بعلم آخر من المسلمين قد أنقسم فقال الأمير لعن الله ميمونه فهـــذا من جملة لعنتها وحيلتها هذا والملك أرمانوس وميمونه والملوك الذين ذكرناهم وصلوا إلى حامل علم المعتصم فطعنته ميمونه فألقته تحت حصانه وعطفت على الذى كان قائم مقام المعتصم فأخذته أسير وهمت عساكر المسلمين أن تشده فنظر الأمير إلى ذلك فخرج من المعمعة وقصـــد إلى عسكر المسلمين ومعه الأمراء المذكورين فاعترضته ميمونة وارمانوس والبطارقة فأطبقوا عليهم وكانوا المسلمين كما ذكرنا خمسين فارس والمشركين خمسمائة فأطبقت ميمونة على الأمير ومعها عشرة بطارقة كانهم الجبال من عظم خلقتهم لأنها كانت قد أنتخبتهم وكذلك أرمانوس حمل على المعتصم ومعه عشرة وحمل على كل واحد من المسلمين عشرة من الكافرين (قال الراوى) يا ساده يا كرام وأنعقد على رؤسهم الغبار حتى رأيت الدنيا قد أظلمت والأقطار قد خيمت ورماح الموت قد عصفت والأعادى من الأعادى قد أشتفت والدماء من الأجساد قد نزفت والصناديد فى المجال شغفت هنالك جرت المقادير وعمى بصر البصير ودخل الغبـــار فى المناخير ووقع فى الموصل النفير وابتهلوا بالدعاء إلى اللطيف الخبير وقالوا هذه النوبة إذا أصيبت المسلمين أخذونا الروم الملاعين وعدمنا النساء والأطفال هذا والرجال صاروا يتضاربون بالدرق فيسمع لها دوى كدوى الرعد إذا خفق (قال الراوى) وفى تلك الساعة خرجت الأميرة ذات الهمة من المعمعة ومعها ملك المغلبيط أسير بعد قتل العشرة بطارقة الذين كانوا معه وأما ميمونة فلم يبق من أصحابها غيرها فجعلت تجادل الأمير عبـــد الوهاب وهو يقول الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر فلما نظروا الناس إلى ذلك تصايحوا بالمعتصم يا منصور وإذا بالمعتصم خارج من وسط العجاج ومعه أرمانوس أسير وقد حل به الويل والتعتير بعد قتل أصحابه العشره وكذلك فعلوا باقى أمراء المسلمين وخلصوا من خصومهم أجمعين وأما ميمونة فانها خافت على نفسها وانخذلت بقبض أرمانوس فتأخرت إلى ورائها وكان تحتها جواد سابق فصاحت فيه ولكزته بالمهامز فخرج من تحتها كريح الهبوب وغاصت فى تلك الأمم وجدت فى الهزيمة ونادت يا معاشر النصرانية اطلبوا ميافارقين فاندقت الروم منهزمين وطلبوهم المسلمين

وقد ملكوا خيامهم وأموالهم وبلغ الخبر إلى عقبة فانشقت مرارته وقال ما أظن إلا أن المسيح يفزع من هؤلاء القوم وما قلت أن هذه الأمم تجتمع وترجع تنكسر وقد تحيرت فى هذا الدين وأنا أشهد أن المسيح يفزع من هؤلاء المسلمين ثم خرج وأتى إلى الدجله وأنحدر إلى بغداد فلم تشعر به السيدة زبيـــده إلا وهو قد دخل عليها فلما رأته وثبت له قائمة فسلم عليها وحدثها بحديثه من أوله إلى آخره فقالت له يا قاضى أسمعنا شيئاً من كتاب الله عز وجل (قال) يا سادة وكان اللعين له حنجرة طيبة وكان أعلم أهل زمانه ما ناظره أحدا من العلما إلا عكسه ولا فقيه إلا فلسه وشوسه وكانت الخلفاء وزبيده لهم الظاهر منه والله سبحانه وتعالى متوالى السرائر لأنهم يرونه رجل زاهد عابد دين يسلب عقول سائر الأشياء تارة بالعلم وتارة بالزهد وتارة بقراءة القرآن وكانوا لا يسمعون أنه كافر إلا من عبد الاهاب والبطال وذات الهمة وبنى كلاب ممن يعرف خبثه ولعنته وإذا جاء الغير يشهد عليه يكون قد خرج من بلد الروم وأسلم فيقولون هنا من تعلم الأمراء (ياسادة) وأن عقبة وضع سبابته فى أذنيه وقرأ قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاة منشورا (قال الراوى) فبكت زبيدة وكانت رقيقة القلب سريعة الدمعة يأخذها من كلام الله تعالى الخشوع والتذلل والخضوع وكانت تقول أناما أرى إلا رجل صالح قارىء كتاب الله تعالى وما أشهد على هذا بشىء وسريرته مع الله تعالى ولا أخض مع الخائضين (قال الراوى) فهذا جرى من عقبة (وأما ما كان) من ميمونة الكافرة اللعينة فانها لما أنهزمت وتبعتها العسكر وجدت فى السير وجعلت لاتلبث فى منزل أكثر من أن تأكل الدواب ويأكلون الزاد ثم ترحل ولم تزل كذلك حتى وصلت إلى ميافارقين فلم تدخلها ثم جدت فى السير حتى وصلت إلى ملطية فنزلت بها ثم أنفذت سدت الدروب حتى لايكون لأحد عليها عبور وحصنت ملطية ورفعت على أصوارها الفرادات والمنجنيقات وتمكنت من تحصينها وبعد أيام وصلت عساكر المعتصم والأمير عبد الوهاب فى أوائل الناس ونظرت ميمونة إلى غبار العسكر وسمعت دق الكؤسات ونعير البوقات فخرجت وأخرجت الروم معها وصدمت المسلمين فلم تنل ماأرادت ولم تقدر تقف بين يدى المسلمين ساعة واحدة غير أنها انهزمت ودخلت إلى داخل البلد ونزلت المسلمين على باب ملطية وقدموا أرمانوس وجعل المعتصم يدور رقبته برجليه ثم هم بقتله فقال الأمير عبد الوهاب يامولانا أحقن دماء مائة ألف مسلم ممن تعرف وممن لاتعرف بعدد التراب مابين صبى وامرأة وشيخ وشاب من ملطيه وغيرها وهم بالقسطنطونية فأمسك المعتصم عن قتله فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار حتى ملأ

الأقطار ثم انكشف عن مائة ألف من الروم والمقدم عليهم ملك البنجاك وكان اسمه جرجناس بن جرجيس وكان يطلب الملكة وتطمع نفسه فيها فلما سمع بكسر عساكر أرمانوس وأسرة سار إلى ملطيه ففتحت له أبواب البلد وأرسل إلى عند ميمونه يقول لها اعلمى أيتها الملكة ان أرمانوس قد أخذ العالم وغيرهم وأهرق دماءهم والمسيح لا يرضى بهم وأنا أعلم أنه مابقى له خلاص من أيدى المسلمين فى هذه النوبة وما خرجت من بلدى الا أنى أرجوا التزوج بكى وأكون عوضا عن أرمانوس ولقد عجبت أن ذلك يفلح وسائر الروم تعرف صولتى وعظم سطوتى (قال الراوى) ياسادة ثم دخل الرسول إلى ملطية وحضر بين يدى الملعونة ميمونه وأعاد عليها مقالة الملك جرجناس فاحمرت آماقها وقال الرسول فى آخر كلامه الملك يقول لكى أنا أخرج وقومى معى ولا أريد أحدا منكى يساعدنى ولا يعاونى لأنكم قد غضب عليكم المسيح ونزع البركة منكم لأنكم أقوام بعدد وماكان فيكم من يخلص نفسه بشجاعته وسوف تعلمون لمن يصلح الملك لى أو للداك أرمانوس ولكن إذا أنا قهرت هذا العدد وملكت البلاد وأسرت العباد فلى مع الملكة ميمونه حديث آخر لأن أخبارها وصلت الينا بكل جميل ولا فعل أحد من العرب المتنصرة مثل ماقد فعلت وهى التى مسكت العساكر وإلا كانت هلكت فلما وصل هذا الكلام مع الرسول الى ميمومة عظم عليها وكبر لديها وكبود السودان غلاظ شداد فقالت ميمونه ومن هو هذا الكلب حتى يستنقص بسائر الروم وبالملك أرمانوس فقال لها الرسول اعلمى أيها الملكة انه من الشجاعة بمكان عظيم فلا يبلغه إلا الخبر فمالكى بعد أرمانوس غيره وأما أنا ان أعلمته بما قلتى فهو يكون سبب قتلكى لامحاله (قال) فلما سمعت ميمونه ذلك لم ترد عليه بجواب دون أن جردت حسامها وضربته أطاحت رأسه عن بدنه وقالت ماكان لهذا الكلب جواب غير هذا وحق المسيح لولا أخاف من البترك يقول أهلكتى النصرانية وأشمتى بهم الملة الحنيفية لكنت تركت السنان يروى من صدر هذا الشيطان جرجناس بن جرجيس الذين تكلم بهذا الكلام ثم انها رجعت الى البلد وغلقت الأبواب فوجدت الروم الذى معها بتلك الراحة العظيمة من قتال الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب وبنى كلاب

﴿ تم الجزء السابع والأربعون ويليه الجزء الثامن والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب حروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

علي بن موسى المقاني وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد الشمشاطي
وصابر المرعشي ونجد بن هشام العامري

الجزء الثامن والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الأمير بقى متحير من خروج ميمونه من البلد وقتلها للرسول وعودتها وغلق الأبواب فلم يعلم ما سبب الموجب فى ذلك ثم ان جرجناس لما علم أن رسوله قد قتل قامت عليه القيامة وقال وحق المسيح لما أفرغ من المسلمين مالى شغل إلا هذه الحجامة السوداء ثم ضرب خيامه والسرادقات وكان الملعون ورجاله ليس لارمانوس مثله ولامثل خيولهم وكانهم ماكان لهم شغل فى بلدهم طول النهار والليل إلا اللعب على ظهور الخيل ولايعطى ديوانه الالكل فارس شديد وبطل صنديد ثم أرسل الى الامير عبد الوهاب يقول له ياهذا ان هذا يوم قتال لاننى متعوب والقتال يكون فى غداة غد على اننى ماكنت أريد منكم حاجة وان أنتم قضيتموها لى وحق المسيح عفوت عنكم وحاجتى أن هذه ميمونة الحجامة قتلت رسولى وقد فعلت ما فعلت وقد عولت على الزحف اليها وألقى الفرادات والمناجيق عليها وأقاتلها وبمن معها الى أن أخرجها وأقتلها على الباب وبعد ذلك لى معكم تدبير يجرى لى فيه الصلح بينى وبينكم وهو أنكم تسلموا لى أرمانوس وتردوا على النهب والغنائم والأموال التى أخذتم وأرجع إلى بلاد الروم وكلنا سلما بلا حرب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك دخل على المعتصم وأخبره بما قال الرسول فقال ياأمير هذا الذى أرسله رجل أحمق فعلى ماذا عولت أنت عليه أيها الأمير قال أركب غدا إلى حربه وقتاله ولاأسمع مقاله وآخذ البلد وكل من فيه ولو أقمنا ههنا سنة واحدة فلابد لنا من أخذهم ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال المعتصم للأمير عبد الوهاب أنا أشير عليك بشىء

وفيه الصواب وذلك انك تجيب جرجناس إلى ما طلب حتى تخرج هذه الملعونة ويجرى بينهم القتال فمن قتل منهم كان فتحا لنا ويكون الهوان بهم من أنفسهم ونحن من ذلك فى أمان وأما ما ذكرت من قتال جرجناس فما هذا ببعيد عنك إن كانت النصرة له على ميمونة فهو يطمع فيك ولا بد له منك بعد أن يقتل منهم خلق كثير ويكونوا المسلمين فى راحة فقال الامير وبهذا كنت أريد أن أشير عليك فكنت السابق إلى المكارم فشكره المعتصم على قوله (قال الراوى) فأرسل الامير عبد الوهاب اليه كتاب يقول فيه (أما بعد) أيها المعجب بنفسه المدل بقوته أما قولك تعفو عنا فالعفو لصاحب العفو الذى ليس له ولد ولا كفؤا أحد وأما قولك نخلى بينك وبين ميمونة وعساكرها فدونك واياها ونحن ما علينا منها وأما قولك الصلح فنحن قوم ما نصالح الكفار ولا نهاون الاشرار إلا أن يحملون الينا الجزية والاموال والهدايا كما مرت به العادة وأما قومك عن المأسورين اللذين لنا فى مدينة القسطنطونية أضعاف فلى عاده أن أخلص من القسطنطونية أضعاف ذلك والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى وآثر الآخرة على الاولى (قال) فلما ورد كتاب الامير عبد الوهاب إلى جرجناس عظم عليه خطابه ولم يظهر ذلك بل خلع على الرسول الذى للأمير وكان الملعون جرجناس مكار غدار فصبر إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وجمع وجوه قومه وقال لهم اعلموا انى كنت معول على رأى وأرسلت إلى المسلمون وقلت لهم خلوا بينى وبين ميمونة على ما فعلت برسولى لعلى أصلبها على باب ملطية ولا بد لى من ذلك وقد جاءنى رسول هذا الاسود عبد الوهاب بجواب منه لانه مافى عليه من فزع وقد عولت على أنى الليلة افرغ من الكل وذلك انى افرق عساكرى من أربع جوانبهم واكبس عسكر المسلمين فما يبقى منهم بقية ولا يقوم لهم بعدها قائمة فقلوا أيها الملك هذا الرأى الصواب أصوب من الاول ثم أن جرجناس أرسل إلى كل مقدم فى عسكره وأمره أن يدعو أصحابه ويعلمهم أن الكبسة تكون فى نصف الليل فتقدم كل واحد إلى أصحابه بما قال الملك وأقاموا إلى أن أتى الليل ثم ركبوا (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة ياكرام وكان الملعون جرجناس له ابن عم يقال له عبد الصليب وكان شجاعا مناعا حسن الوجه مليح الشباب غير أنه فقير الحال لا مال له وكان أبوه قد خلف له مال كثير فأخذه هذا الملعون جرجناس ولم يقدر عبد الصليب أن يتكلم فى ذلك وكان جرجناس له زوجة يقال لها نور العين وهى كأنها القمر الزاهر وكانت تحب لهذا عبد الصليب وتهواه وقد شغفت به وبحسنه وجماله وقده واعتداله وكانت تقول له وحق المسيح أن أكبر شهوتى

أن يموت هذا الملعون جرجناس حتى أتزوج بك وأسلم اليك هذه الأموال لتفرقها على الرجال وقد قدموك عليهم وتصير أنت الملك فيقول لها وكيف لى بذلك وكانوا يتعرقبون له العرضيات فلما ان خرج فى هذه النوبة كان عبد الصليب فى خدمته ظاهر ويريد قتله باطن ويريد ذلك لأجل زوجته نور العين وهذا غلام حسن الصورة شجاعا مناعا كريم فى نفسه وجرجناس رجل مجنون شيطان ملعون اقبح الخلق وجها وابخلهم كفا إلا أنه بطل لا يصطلى له بنار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وإنما سقنا حديث عبد الصليب ليظهر لكل حديث سبب ليعلم بذلك من ينقل أخبار هـــذه الوقعة وكيف كانت نجاة المجاهدين لأنهم كانوا على غفله منهم ومن أمرهم وقد تقدم الملعون يفعل لهم ما قدمنا ذكره (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب وأن البطريق عبد الصليب أقبل على غلامه وكان اسمه صليب وقال له اعلم أن فى قلبي من جرجناس ما تعلم لأنه أخذ أموالى وجميع ما خلفه لى أبى وتركنى فقير لا مال لى وقد عولت على قتله وخلاصى منه ولعمرى ما أنا من رجاله لأنه جبار مجنون ولكن أريد أرسلك الساعة إلى المسلمين وأنا أخرج معك إلى عساكر المسلمين إلى أن تصل إلى الأمير عبد الوهاب وتعلمه بالكبسة التى قد دبرت عليه وعلى عسكره عند نصف الليل ليكون منها على حذر فاذا وقع الملعون فى أوساطهم فما أقول أنه ينجو منهم فان هو هلك فعلت بعده ما أريد فقال يامولاى وكيف يسعنى هذا فى دين المسيح فقال له عبد الصليب دعنى الساعة من دين المسيح فان القسوس الذين لنا يأكلون أموالنا فاذا فعلت أنت ما أمرتك به فوحق المسيح أوهبتك جاريتى مريم فلما سمع صليبا ذلك طاش عقله فرحا ونسى الجنة والنار لما فى قلبه من لهيب النار لهذه الجارية وكان مجتهدا فى خدمة عبد الصليب لأجلها لكى ينال مراده منها فلما سمع ذلك قال يامولاى وحق المسيح ما قلت لك ذلك إلا حتى أسمع ما تقول والرأى عندى أن نمضى أنا وإياك إلى عبد الوهاب ونعلمهم بذلك الخطاب ونقاتل معهم إلى الصباح فقال هذا هو الرأى أخرج بنا من ساعتنا هذه (ياسادة) ثم أنه خرج هو وغلامه من ساعتهم وكان ذلك أول الليل ثم قصدوا إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فلما أحس به الحرس قبضوا عليهم وقالوا من أنتم فقالوا نحن قوم من الروم قد أتينا رسل إلى أميركم عبد الوهاب (قال) فساروا بهم إلى الأمير عبد الوهاب فلما وصلوا إلى بين يديه سلموا عليه فأجلسهم الأمير وسألهم عن حالهم فقصوا عليه القصة فلما سمع الأمير ذلك باس الأرض شكر الله وجزاهم خيرا وقال لهما علىَّ اكرامكما فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن كان لأجل فقر فسوف أعطيكم من المال ما يحول بينكم وبين هذا الفقر وهو انى أعطيكم جميع أموال هذا الملعون

جرجناس فهو يكفيكم باقى فى زمانكم وإن كان لكم من قد ظلكم شفيت غليلكم منه فقالوا كل هذه الأوصاف ما نريد منها شىء حتى يبان لك صدق قولنا وسوف نقاتل معك (قال الراوى) ياسادة فعندها نهض الأمير عبد الوهاب فى الحال ودخل على أمير المؤمنين وأخبره بما جرى فقال ما هذا من مخلوق وإنما ذلك عناية بنا من الله سبحانه وتعالى فلله المنة على جميع عباده ولولم يطلعنا على هذا الأمر كنا هلكنا عن بكرة أبينا ولكن من الله علينا بجميل ستره فما الذى تصنع أيها الأمير والسيد الخطير فقال يامولانا سوف ترى ما يكون من مسرتك إن شاء الله تعالى ثم أن الأمير عبد الوهاب أحضر جميع أمراء عسكره من بنى كلاب والسودان الانجاب وقال لهم كل واحد منكم يأخذ رجاله ويخرج من العسكر ثم اخلوا خيامكم ولا تتركوا فيها ما يسوى درهم واحد واجعلوا النيران تضرم من حولها على حالتها فان الروم عولوا على كبسنا نصف الليل وقد تفرقوا فى مواضع كذا وكذا من أربع جنباتكم فأكمنوا أنتم من ورائهم فاذا حملوا وصاروا فى الخيام التى لكم فاطبقوا عليهم من كل جانب ومكان فقالوا السمع والطاعة وتقدم الأمير إلى باقى عسكره والخليفة أمرهم بالركوب وخرجوا إلى خلف ملطيه وكانوا هنا لك مقيمين وقال لهم إذا سمعتم الصياح لا يكون لكم شغل إلا أن تخرجوا من وراء العسكر إلى خيام هذا الملعون ودأهموهم واهجموا عليهم واضربوهم بالسيوف وأسقوهم شراب الحتوف فما فيهم من يعقل على نفسه وانظروا من تريدون تقدمه عليكم برأيكم فقالوا أيها الأمير قدم علينا عبد العزيز العلوى فقال الأمير نعم ما رأيتم ثم قال لعبد العزيز أنت المقدم عليهم فقال يامولاى ما أتيت إليك إلا وأنا أعد نفسى من بعض رجالك وخدمك فشكره على ذلك وقال له الأمير بل أنا أعرف خادمك لأجل شرفك ولأجل تلك العجوز والدتك فقال عبد العزيز طب نفسا وقر عينا أيها الأمير فانى وذمة العرب يطيب قلبى أن أمضى إلى هذا الجمع وأصبح فى أوساطهم وإذا بادرونى أشبعتهم طعنا وضربا فقال له الأمير ولهذا يريدك عساكر العراق (قال) فتبسم عبد العزيز وخرج فى هذه الطائفة وبقى الأمير عبد الوهاب فى عشرين ألف أسود من كل بطل أنجد وعليهم صدور الزرد النضيد وهم بين المضارب والخيام فقالوا أيها الأمير نراك تركت سائر من معك من الطوائف إلى سائر الجهات ونحن ما أمرتنا بشىء فما السبب الموجب لذلك فقال لأنى ساويتكم بروحى وأن المعتصم فى سرادقه ونحن من حوله فتكونوا على حذر ثم البدوا فى الخيام لأنكم فى لون الظلام فما تحس بكم الروم إلا وقد وثبتم اليهم وأنتم تروهم وهم لا يروكم فقالت السودان لوكان لنا لباس اسود مثل ألواننا استترنا عنهم فقال الأمير ومن أين لنا الساعة بذلك

ثم قالوا نقسم قسما لا لقيناهم إلا عرايا ثم انهم خلعوا ما كان عليهم حتى بقوا عرايا وأجسادهم كالليل الدامس ثم لبدوا فى الظلام والسيوف والاتراس جوانبهم ورؤسهم تبرق فى الليل كانها المرايا وبأيديهم صوارم حداد كالمنايا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما رأى عبد الصليب إلى ذلك قال لغلامه صليبا نحن فى عسكرنا فرد واحد مجنون وهو جرجناس ونخاف منه وهؤلاء كلهم مجانين يسبوا عقلنا وعقل من يشاهدهم لا سيما إذا تاروا عليهم هؤلاء السودان الذين ما على أبدانهم شىء وهم فى الليل يرون الانسان وهو لا يراهم حتى يتعلقوا به ويقتلوه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من ميمونة فانها أقبلت على عسكرها وقالت لهم أنتم تعلمون أن هذا جرجناس رجل مجنون وما جاء ههنا إلا طمعا فى المملكة وقد ظن الملعون أن أرمانوس قد فقدوا إلا ما كان يتكلم بهذا الكلام الذى جاءنا به الرسول ومن دون ذلك ضربا يقد الهام ويبرى العظام فقالوا لها أيتها الملكة هذا رجل مجنون لو طلب أن يستعمله الملك على ضياعه ما استعمله ومع هذا فان ملكنا سالم وقد جرى عليه ما جرى على سائر الملوك وسوف ينفصل هذا الأمر بيننا وبين المسلمين أما أن تكون لهم علينا أو تكون لنا عليهم فان كانت النصرة لهم نشترى أنفسنا بالأموال الكثيرة كما شرينا الملوك من قبله فقالت ميمونة وحق المسيح إذا لم أنصر عليهم وعاقتنى العوائق ماأزن فى أرمانوس درهم واحد لأننى قد أسرت عن المسلمين خلق كثير وها هم عندى فى القسطنطونية فان رضيوا بالفداء فاديته وأن أبوا فليفعلوا ما أرادوا فقالوا لها فان قتلوه فقالت ما يفعلوا أبدا وأن قتلوه لما أجبتهم إلى مرادهم وأقوم أنا مقامه وأروم مرامه فهل أنتم بى رضون فقالوا لها وحق المسيح ما يصلح للملك غيرك لأن لك الرأى السديد والشجاعة التى ما عليها مزيد ولكن الملك يريد أن يكون له أصل فى الروم فان فعل البترك ذلك فماغينا أحدا يخالفه فقالت لهم فان فعل البترك ذلك وإلا فأنا أريكم ما أفعل به (ياسادة) قال وكان البترك عندهم فى ملطيه مقيما فقال ما هو كثير نقدم اليها هذه الشيطانة وإن لم أقدمها تقتلنى فى هذه الليلة حيث قد جعلوا الأمر إلى ثم أنه قام اليها وقال أن الملك قد رضى بك زوجه ومن كانت زوجة الملك فهى أولى أن تملك الروم وما يخالفك أحد ولعل المسيح يحسن خلاص الملك فقالت أنا الليلة قد عولت على أمر أريد أن أفعله فقالوا لها وما ذلك قالت نحن فى ملطيه فى عالم عظيم وهؤلاء قد أيسوا منى وقد أيقنوا انى محصورة مكسورة وهم فى غداة غد عولوا على لقاء بعضهم بعضا وأنا فما أريد أن يكون أمرنا لغيرنا ولا سيما إذا كان الظفر لهذا الكلب جرجناس فهو يفزع من أعدائه ويعود علينا والرأى عندى أن نبدؤه بما أقول لكم فقالوا

لها نحن لك وبين يديك ولا نخالفك بشيء فقالت معلوم انكم محصورين فى هذا البلد وما هو لكم ولا بد لكم من القتال والحرب والنزال حتى تخلصوا نفوسكم وتأخذوهم وتكونوا طعاما للسيف والرأى عندى أن تكونوا قوما كراما عند المسيح وعند الناس وقد عولت ان أقسمكم قسمين وأفتح باب البلد وأخرج والكل منى على غفلة وأهجم على العسكرين وهؤلاء السودان ربما يكون معهم النار والنفط يضربون الخيام بين العسكرين وأنتم تضربون فاذا فعلتم ذلك كان سببا لهلاكهم فقالوا أيتها الملكة ها نحن بين يديك فعندها جمعت الملوك وكانوا ستة عشر ملك وقسمت ثمانية من الملوك مع طوائفهم لعسكر الأمير عبد الوهاب ومعهم ألفى أسود بصدور الزرد ومعهم قوارير النفط (ياسادة) وأستقر هذا الأمر على سائر العساكر كلها (قال الراوى) فوالله ما رأيت فى هذه السيرة كلها أعجب من هذه الوقعة ولا سمعت بمثل هذا الاتفاق العجيب لأن كل طائفة ظنيت أنها تكسر الأخرى وما عندهم خبر من بعضهم بعضا (قال الراوى) ولما تنصف الليل فتح باب البلد وخرجت الروم ومعهم السودان كما ذكرنا هذا وميمونة قد تركت مكانها فى البلد ملك المغلبيط الذى قتل عبد العزيز أباه وقالت له إذا غلق الباب فلا تفتح لأحد فقال سمعا وطاعة ولما حصلت ميمونة وعساكرها ظاهر البلد كان جرجناس قد ركب فى تلك الساعة فى مائتين ألف فارس وبقى بعض عسكره وسار طالب عسكر الأمير عبد الوهاب وقد فرق أصحابه أربع جهات العسكر كما ذكرنا هذا وأصحاب عبد الوهاب ينتظرون الصوت ليلحقوا الناس والأمير عبد العزيز فى عسكر العراق وهو معول على الكبسه فصاح فى الناس دونكم والحمله وافتحوا باب الحرب (قال الراوى) وكان أول من حمل جرجناس ودق ناقوسه وعد على خيام الأمير عبد الوهاب ودخل الخيام فوجدها خاوية على عروشها فانكر ذلك وأيقن أنها حيلة وعادوا يطلبون الرجعة فبادرتهم السودان وهم ينادوا يال حام وصاحوا عن صوت واحد رعبوا القلوب وضربوهم بالمرهفات وأرموا الروم يمين وشمال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ولم تكن الا ساعة واحدة حتى قتل خلق كثير وصاح بعضهم ببعض أخرجوا وإلا هلكنا فما هم إلا وقد هموا بالخروج وأبطال بنى كلاب قد خرجوا عليهم من سائر الجهات وضربوهم بالمرهفات وطعنوهم بالسمهريات وسقوهم شراب الآفات (قال الراوى) وأعتكرت عليهم حنادس الظلام وكذلك الأمير عبد العزيز العلوى أنطبق على عساكر جرجناس أطباق الغمام وضرب الناس بالحسام فى حنادس الظلام وفاق الهام وهشم العظام (قال) وان

ميمونه لما سمعت ذلك قالت أن الذى أردت أن أفعله سبقنى اليه الأمير عبد الوهاب لكن أكبسوا مضارب الاسلام ونترك هؤلاء فمن قتل من الفريقين كان لنا فتح لأن هؤلاء على الملك وهؤلاء أعداء الدين ثم أطبقت على عبد العزيز وقالت أنا ميمونة وحمل باقى عسكرها أيضا على عسكر الأمير من خلف بنى كلاب فيالها من ليلة ما كان أطولها وللنفوس ما كان أقتلها عرقبت فيها الخيل وطال الليلى وعم الويل وجرت الدما مثل السيل ووقعت الرجال من سروجها وخدرت الأيدى من كثرة مضاربها ولم تعرف الفرسان أحبابها من أعدائها (قال الراوى) أما عبد العزيز فانه صاح بقومه يا ويلكم أن ميمونةقد خرجت من ملطية وقد كبت عدونا جرجناس فاضربوهم بالسيوف وأكثروا من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعرفوا بعضكم بعض فرفعوا الناس أصواتهم بقول لا إله إلا الله وهى كلمة الإخلاص ولم يزل السيف يعمل إلى أن جاء الصباح وطلع نجم سهيل كالمصباح وقد التقا عبد العزيز وميمونة وتصادما وعرف كل واحد منهما صاحبه وطمعت فيه أن تظفر به وتعاركا وتماحكا إلى أن طلع الفجر وقد أصبحت الرجال مثل السكارى فأما الأمير عبد الوهاب وطائفته فانهم لم تركوا من أصحاب جرجناس إلا القليل ولولا جرجناس فيهم لملكوا وأما الأمير عبد العزيز وأصحابه فانهم قتلوا من أصحاب جرجناس عشرة آلاف وكانت عساكر العراق وبنى كلاب قد أدركتهم ميمونة فتخلوا عن الروم عند سماع ذكرها لأنها قد صار لها فى القلوب هيبة ولما وقعت العين على العين وقع القتال إلى السحر وداموا كذلك إلى الظهر ووقع بينهم الانفصال وعادت كل طائفة إلى مقامها (قال الراوى) ولم يكن فى الطوائف أجسر من طائف جرجناس لأن الله محق جمعهم وأحرقت ميمونة خيامهم ولما أنهزموا ساروا إلى خلف الجبل الأجرد وعادت ميمونة إلى ملطية وقد قتل من أصحابها خلق كثير وعاد عبد العزيز إلى الأمير عبد الوهاب فوجد الأرض قد فرشت بالقتلا وبعض مضارب الأمير حرقت فلما نظر عبد العزيز إلى الأمير هناه بالسلامة ووجد مع أصحابه غنائم كثيرة من أصحاب جرجناس ثم سأله عن ليلته فقال لو كفانا الله تعالى ميمونة الملعونه فانها أحرقت أكثر مضارب جرجناس وبعض مضاربنا ولولاها مانجا من القوم مخبر (قال الراوى) وفرحت الناس بهذا الظفر العظيم هذا والملعون جرجناس مقيما فى سفح الجبل الأجرد وقد كان فى مائتين ألف فارس فأصبح فى دون المائة ألف فلما نظر ماحل بعسكره نادى وقال ياقوم مادهمنا إلا ميمونه فقالوا له أصحابه دعنا من ميمونه وانظر إلى مافعلوا المسلمون بنا وكيف جاؤنا من خلف الخيام وأطبقوا علينا فى الظلام وكان جرجناس ليس له بذلك علم فقال وحق المسيح لابد لى من غداة غد أن آخذ

التار (قال الراوى) وأما ميمونة فانها وصلت إلى البلد وقتل من أصحابها خلق كثير وبات الناس الى غد وكان أول من فتح باب الحرب جرجناس وزحف الى المسلمين بعسكره ونظر الأمير عبد الوهاب الى فعله ففعل مثله ومعه بنى كلاب والسودان الأنجاب وهمت الناس بالحملة واذا بجرجناس قد خرج على جواد أصفر وعليه عدة كاملة وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من بنى كلاب قتله والثانى جندله والثالث أعدمه الحياه ورابع أرداه وخامس أهواه ولم يزل يقتل فارس بعد فارس حتى قتل من القوم عشرة فوارس فعند ذلك حمل الأمير عبد الوهاب على جواد سابق وبيده سيف ماحق وكر على جرجناس وكذلك حمل جرجناس عليه وفتحا فى الأرض ميدانا فلما نظرته العيون أحسن من قتال الأمير عبد الوهاب وهو يلعب بالرمح كما يلعب الكاتب بالقلم هذا والأمير عبد الوهاب يتعجب من حسن شمائله وصار يدعو له (قال الراوى) وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة الأمير عبد الوهاب فوقع السنان فى صدر جرجناس خرج من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما نظرت الروم إلى ملكها قتل حملت وحملت بنو كلاب وعملوا فيهم عمل النار فى الحطب اليابس وأوصلوا اليهم الطعن والضرب فما كانت إلا ساعة حتى ولوا هاربين وللنجاة طالبين فساقتهم السودان وملكوا عليهم الطريق فلم يجدوا بد من القتال ولم تكن إلا ساعة حتى عملت السيوف فى الأعناق وقام الحرب على قدم وساق وتضاربوا بالسيوف فى الأعناق وبليوا الروم بما لا يطاق وانهزموا إلى باب ملطية وهم ينادون بميمونه أن تفتح لهم الباب فعند ذلك أمرت بفتح الباب وخرجت فى عسكرها فوقفت الناس عنهم وعمل الحرب بينهم طول النهار وطلبتها الأميرة فى المعمعة فلم تلتقى بها إلى أن أقبل الظلام ودخلت البلد وشكوا لها أصحابها مالاقوا من القتال (قال) وباتوا تلك الليلة وعند الصباح جلس المعتصم واستدعا بالأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير ان قلبى على بلاد العراق وقد اشتقت إلى البلاد وقد ضجرت وضجر الناس وأريد أرسل لميمونة فى طلب الصلح على أنها تسلم الينا ملطية وسائر المأسورين الذين فى القسطنطونية وأسلم اليها أرمانوس على أنه يحمل الينا المال فى كل سنة على ماجرت به العادة فقال سمعا وطاعة يامولانا وأنا كنت معول على ذلك أحدها خلاص الأمير عمرو ومن معه والثانى عودة بلدنا وعمارته والثالث لطلب الراحة وأيضا نكشف خبر البطال وقد كان الأمير عبد العزيز ذكر أنه تلك الليلة تحدث معه فى الحيلة التى تمت عليه ولم يراه بعد ذلك وهو يدل على سلامته من الوقعه فقال المعتصم وأنا الآخر مشتغل القلب عليه ولابد من الكشف عن خبره إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب أرسل إلى ميمونة الأمير

جوال بن مزاحم ومعه ثلاثة من بنى كلاب بكتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فان العاقل من نظر فى الأمور برأى صائب وأفكر فى العواقب واعلى ان الزمان كل يوم يأتى بالعجائب وان كل محصور مقهور وقد رأيت مافعل الله بتلك العساكر وكيف هلك أكثرهم واندرس أيسرهم بسيوف المجاهدين ورماح الموحدين جزاء لكفرهم ولتركهم التوحيد وعدلهم الجحد المبين ومع هذا فانى قد أرسلت إلى مدينة آمد آخذ كل منجنيق فيها وأحضر النقابين ونأخذكم كلكم ولايسلم أحدا منكم وقد طلب مولانا أمير المؤمنين الانصراف إلى بغداد لانه قبل ذلك كان عزم على ضرب رقبة الملك أرمانوس فلم أمكنه وقد أشرت عليه بشيء واحد وذلك انى تركته لأجل الأسارى الذين فى القسطنطونية وضمنت له الأموال والرجال والنسوان والاطفال فانظرى ماعندكى من الجواب وماالذى تشيرى به من الخطاب وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام (قال الراوى) ثم أدعى بالملك أرمانوس وجرد سيفه وأراد أن يضرب رقبته فباس الأرض وقال ياأمير والله ماهى عادتك أدام الله ناصرك فقال له الأمير أنت تعرف أنى عبد مأمور لأن الامام المعتصم قدعول على الانصراف إلى بغداد بعد قتلك وبهذا أمرنى فقال أرمانوس أيها الأمير والسيد الخطير وماعساك أن تنال بذلك من قتلى لكن اضمن له عنى كلما يريد فقال الأمير يريد المال والمأسورين الذين عندك فقال سمعا وطاعة فقال اكتب فى هذه الساعة بخط يدك إلى ميمونة وعرفها ما استقر عليك من المال واطلاق المأسورين من النساء والرجال وأن تخرج من البلد ونفسح لها نحن الطريق ولا نتعرض لها بحال من الأحوال ونتركها تمضى هى وعسكرها سالمين إلى القسطنطونية وتطلق لنا القوم وترسلهم مكرمين مبجلين فاذا فعلت ذلك أطلقتك أنت من الاسر وفعلت معك ما تحب فباس أرمانوس الأرض ثم كتب بيده إلى ميمونة كتاب يدل على ما يهواه وغاية حسرتها أن تراه وتتمنا لقاه يقول فيه (أما بعد) فلو نظرتى أيها الملكة إلى حالى وقد أكلت القيود قدمى لبكيتى على حالى وبعد هذا فان القوم معولين على قتلى الآن تعملى على خلاصى ولولا أن الأمير عبد الوهاب سأل الخليفة فى وإلا كان قتلنى لأنه اصطنعنى اصطناعة الاخيار وأنه فعل بى من المروءة ما يليق بمثله فاذا قرأتى كتابى يكون ما رسم به الامير جوابى ولا تخالفينى فى خطابى فانى قد قلت فى نفسى أحمل لهم ما جرت به العادة من المال فى كل عام وهى مائة بدره فاحمليها اليهم سرعة فى عاجل الحال واطلاق كل مأسور فى بلاد الروم والسلام فلما فرغ الكتاب سلمه إلى بطريق كان مأسور عندهم يقال له بدرون وقال امضى إلى ميمونة سرعة بهذا الكتاب وتأتينى عاجلا بالجواب فأخذ البطريق الكتاب وسار إلى ميمونة ولما مثل بين يديها أعطاها

كتاب أرمانوس ومعه كتاب الامير عبدالوهاب ولما قرأتهما عظم عليها وكبر لديها وقالت لبدرون ولجوال أنا أقسم بالمسيح لولا شاع عنى الفعل القبيح بأن يقال ما وصل اليها رسول إلا قتلته لالحقتكما برسول جرجناس ثم قبضت عل بدرون وقالت لجوال عد اليهم وقل أما البلد فانكم لم تروها بعد هذه المرة فى أيديكم أبدا لان ما على وجه الارض أضر منه على الروم وأنا فما أجد بوصفها أطيب لسكنتى منه وبلاد الروم واسعة وفيها ألف وعشرون كلهم يطلبون الملك مثل أرمانوس وأما الاسارى فأنا أخبر الناس بهم منهم الامير عمرو بن عبيد الله ومحمد بن أبان السلمى والعويل بن بكار وكل واحد منهم يسوى عشرة مثل أرمانوس على قولهم ومعهم مائة ألف فاوس من أصحابهم وحق المسيح لا صالحتهم إلا على غير هذا العام لانى لابد لى أن آخذ بثار من هلك من النصرانية والملة المسيحية وأجمع كل من فى بلاد الروم وسائر الاقاليم والجزائر وأسير اليهم بهم ولا أعود عنهم حتى أقلع شأفتهم وآخذ أموالهم ورجالهم وأسبى حريمهم وأما أرمانوس فدونكم وإياه اقطعوا رقبته واسقوه كؤوس منيته فله أسوة بأهله وأقاربه وما هو عندى بأعز من بحرون ولدى وحشاشة كبدى وقد هانت على قلبى طلعته وقطعت بالسيف لامته وموته عندكم أحب إلىّ بمن أكون عنده تحت التقصير بعد ما ذهبت فى طاعته عينى وفى هواه بقيت عوره وهو ما يرى منى نظر الجميل وهذا الذنب لا وجب والغدر أصوب وأنا ما أريد من حياتى إلا الجهاد فى طاعة المسيح وكسب الثواب وقطع أعمار الرجال وخراب البلاد وهلاك العباد وإن أردتم أن تجيبونى إلى ما قتلته لكم وإلا فاصنعوا ما بدالكم والسلام بعد ذلك من عند ميمونه وسودانها ومن أصبح من أعوانها (قال الراوى) ونظر جوال بن مزاحم إلى شيطانه ما تنخدع بكلام وعلم أنه إذا خاطبها أو راددها قتلته لا محالة ثم أنها عرت جوال وأصحابه من ثيابهم وقالت لأصحابها أخرجوهم فما نأخذ هؤلاء بحرمة غيرهم لأنهم رسل وقد بلغوا ما حملوا من الرسالة فقال لها يا ملكه هل رأيتى ما فعل فى حق الرسل مثل ما فعلتى أننى فى حقنا نحن نعرف أن الرسل ينخلع عليهم ولا يأخذوا أثوابهم فقالت لهم وقد تبسمت اعلموا أننى قد رأيت هذا من الصواب. لأنكم قد غنمتم عسكر جرجسان وأخذتم أمواله وهو شىء كثير ونحن قوم محتاجين إلى ثيابكم وخيولكم وقد أرضيت الروم بأخذ ذلك منكم احترازا لدمائكم واعرفوا قدر ما عملت معكم فقال جوال ها نحن شاكرين ناشرين جميلك علينا واحسانك الينا افتحى لنا الباب واغنمى فينا الثواب فأخرجتهم من باب البلد حفاة عراة مشاة وهم لا يصدقون بالنجاة وهم يدعون عليها ويقولون لقد هتكتنا هتك الله سترها وأشغل سرها حتى تريد

أن نشكرها لا كتب الله عليها سلامة ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى عسكر المسلمين وأنفذوا من أتاهم بثياب فلبسوها ودخلوا على الأمير عبد الوهاب فلما رآهم على تلك الحالة قال ما هذا الحال فاخبروه بما جرى عليهم وبما قاسوه بما ردت عليهم ميمونه من الجواب (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك قامت عليه القيامة وكذلك الأميرة ذات الهمة وساروا القوم إلى سرادق المعتصم وعرفوه بالحال فقال يا أمـــير مافى الأمر إلا أنك تأتى بالعدة والمنجنيقات والعساكر وطريق خراسان قد انفتحت ويسهل الله على العساكر خروجها ولا بد لى عن فتح البلد وأضرب رقبة هذا الملعون أرمانوس وأدخل إلى القسطنطونية ولا أزال عندها حتى أفتحها وأخلص كل من فيها من الموحدين وأقيم أقوام من أمة محمد المختار ويكون فيها ذكر الواحد القهار آناء الليل وأطراف النهار عند ذلك أرسل الأمير إلى آمد كما ذكرنا ولم يمض على ذلك إلا أيام قلائل حتى أتت المناجيق والفرادات وغيرها فلما أقبلوا كانوا محدقين بالبلد عشرة أيام بلا قتال ولا نزال وفى اليوم الحادى عشر وصلت الجمال وعليها الأخشاب لعمل الابراج وزحفوا فى اليوم الثانى عشر ونصبوا المناجيق والفرادات من الآلات فلما نظرت ميمونة إلى ذلك أنقطع قلبها وقلوب الروم أجمع وقالت لها سودانها أيتها الملكة ان القوم عولوا على نهب البلد وهدمها ولا يبقوا لنا أحد فاجيبوهم إلى ما طلبوا وقد سمعتى كتاب الملك أرمانوس أنه راضى بذلك لما هو فيه من البلاء العظيم والخطب الجسيم فقالت أسكتوا فوحق المسيح ما فيهم من يقدر يرمى الينا بحجر ولا فيهم من يتقدم فدعوا كثرة الكلام فيما لا تعرفوه فقالوا لها نحن قد شاهدنا ما أحضروا من الآلة والعدة (قال الراوى) وصعدت ميمونه على برج الباب ونادت برفيع صوتها يا معاشر المسلمين قولوا لأميركم وقائد جيوشكم عبد الوهاب يكلمنى فأنا ميمونة ولو يرسل إلى رسول فلما سمعوا الناس ذلك أعلموا الأمير بأمرها فقال لعل الله تعالى يكون التى فى قلبها الاجابة الى ما طلبنا لما شاهدت من فعلنا ولعل أجد فى خلاص المأسورين لأن فيهم نسوان أيسوا من الفرج لطول الأيام والثانى لأجل البطال فان فى قلبي من أجله نار لاتطفى ولهيب لايخفى وأخاف أن يكون قد دخل إلى الموصل فى طلب عقبه وأنا أعلم أن فيه كثير الاحتيال وما يفرط فى نفسه وأقسم بالله ماهو إلا قد عمل على البطال وأخذه من مأمنه ويلغ منه ما أراده وقد جعله فى مطموره تحت الأرض حتى ينقطع خبره وما قدرت أقول للمعتصم شيئاً من ذلك لئلا يقول جاءت الساعة الاهوية وقويت الأقوال الفاسدة وقد صح عندى أن هذا الرجل برىء مما يقولوا عنه فما يسمع فيه كلام ثم أنه قال للأمير جوال أمضى اليها وأبصر ماتريد

وما قصدها فان كانت أجابت إلى الصلح فالحمد لله على ذلك وان كان شيء غير ذلك فعرفنا به ونعمل على هلاكها (قال الراوى) فلما سمع جوال ذلك منه قال يا أمير أعطنى ثيابك وفرسك حتى إذا راحت يروحوا عليك (قال) فضحك الأمير وقال ما أظنها فى هذه النوبه تتعرض لك أبدا لأنها قد داخلها الرعب والفزع ولا تقدر أن تؤذيك فقال له جوال دع عنك هذا الكلام فان عندهم عالم عظيم عراة ما اليهم كسوة ولا بد لهم من الثياب هذا ان هى تجملت معنا ولم تحلق فى هذه النوبة لحاناً فقال الأمير عبد الوهاب بعد أن ضحك من هذا الخطاب أنا أروح اليها وأدنو من الباب وأسمع كلامها ولأجل الضرورات تباح المحذورات ثم سار الأمير حتى وقف تحت البرج الذى على الباب فوجد ميمونه مطله وغلمانها حولها قيام بالعدة الكاملة والآلات الشاملة فناداها الأمير عبد الوهاب ما الذى تريدينه يا هذه فقالت من المخاطب فقـــال أنا الذى أردتى خطابه أنا عبدالوهاب فقالت له يا أسود أراك قد أرعدت وأبرقت وزحفت بالفرادات والمنجنيقات كانك لأخذ البلد قد تحققت وما تعلم أن دون ما أردت ضربا يقطع الهام ويهشم العظام ويقطع الجماجم ويشوش العمائم وأنا ما غلقت باب ملطية فزعا ولا خفية منكم مع أنى أقسم بالمسيح والدين الصحيح وجميع الايمان الذى علمنى إياها الجاتليق وبترك دير يوشع وهو أعلم الروم بالايمان وحق الصلبوت والصلبان والذبيح والقربان والشماس والمطران والجاتليق والمعمدان وبرتوما وسمعان وإلا تركت الانجيل وآمنت بالقرآن وهدمت بيعة نجران وقلت أن كلما فيها من الصور صور شيطان لأن رمى اليوم أحدا منكم بحجر أو بحرب أو بنزال لا تركت مائة ألف صبى وامرأة وبنت من الأسارى الذين عندنا فى القسطنطونية ولم أترك منهم أحد إلا أقطع رؤسهم وأزين بها الابراج ولا أرحم منهم كبير ولا صغير ولاعبد ولا أمير وأخبرهم أن الملك أرمانوس قد قتل وألزم البترك أن يكتب بخطه هذا ويأمرهم بما ذكرت ومع وصول الخبر ينقطع منهم الأثر وإن أمتنع البترك قطعت رأسه وهدمت أساسه فان خالفتمونى وأتيتم إلى قتالى فعلت ماقلت والسلام (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب تغير لونه وأضطرب كونه وعاد إلى مكانه سكران من غير من مدام وأمر الناس أن يمسكوا عن القتال ثم دخل على المعتصم وأخبره بما جرى من أمر هذه الملعونة وقال له يا أمير المؤمنين أنا أعلم أنها تفعل ذلك وأخاف على مائة ألف روح من المسلمين تذهب منا فى ساعة واحدة لأنى أعلم أنها ما

تفكر فى عاقبة أمر فلما سمع المعتصم ذلك تحير فى أمره وقال ما الرأى أيها الأمير فقد طال مقامنا ههنا فقال عبد الوهاب ليس لنا يامولاى للقتال من سبيل على هذا الوجه وان كانت الأميرة تعرف شىء من هذا الأمر فتخبرنا به فأنا قد استدت فى وجهى طريق الوصول اليها فقالت الأميرة أبشر بما يسرك إذ رددت الأمر إلى فأنا أقسم بالله انى أسلم اليك البلد فى عشرة أيام وكل من فيه وتشتفى من هذه المرتدة فان قتلتها أعظم من فتح القسطنطونية (قال الراوى) ياسادة فلما سمع المعتصم ذلك الكلام من الأميرة فرح فرحا شديدا وقال لله درك أيتها الأميرة فلم ترى إلا مفرجة الكروب فعجلى بارك الله فيكى فان فى قلبى من هذه الشيطانه نار لاتطفى فقال الأمير ياليت هذا كان فى العشرة الأيام الماضيه فقالت الأميرة ماخطر ببالى الا فى هذه الساعة لما جرى ماجرى وكنت نسيت هذا الأمر على طول الأيام والشهور والأعوام الى ان تزاحم الفكر على قلبى وانفرج الى هذه الساعة وبه آخذ البلد ان شاء الله تعالى ونبلغ المنى ثم انفض المجلس وعاد الأمير إلى خيمته وأمر أصحابه أن يبطلوا المناجيق والفرادات وأرسل إلى ميمونة يقول لها قد أبطلنا القتال ونلزمك بطول الحصار إلى أن يقع لك الملال أو ينصرنا الله عليكى فى عاجل الحال ونظفر بمن معكى من الأندال فقالت افعلوا ما بدالكم ثم انها قالت للروم الذين معها كيف رأيتم فعلى معكم فقالوا لها وحق المسيح ماللنصرانية مثلكى ولا فى بلاد الروم شكلكى فهذا ماكان من الملعونة ميمونه (وأما ماكان) من الأميرة ذات الهمة فانها صبرت إلى الليل ثم أتت خيمة ولدها عبد الوهاب وكان الأمير تلك الساعة متفكر فى قول الأميرة وما تريد أن تفعل وقد ضمنت للمعتصم ما ضمنت من فتح البلد وخاف عليها أن تعجز فى القضية ولاتوفى بقولها فتكون عند الخليفة فى عين النقص فلما رأته الأميرة علمت مافى نفسه ثم قالت له ياولدى لعلك متفكر فيما وعدتك به فقال لها هو ذلك أيتها الاميرة فقالت له يا ولدى أما ترى الى هذه القريه التى فى مقابلة برج الباب فقال لها نعم فقالت له كنت يوما عند الامير عبيد الله رحمه الله تعالى وجاء ذكر البلاد وما فيها وما أخذت المقدمين وتحدثنا مع عبيد الله ساعة ثم جرى ذكر هذه القرية صلدا فقال انها أعمر البلاد وأتقنهم من زمان هرقل الاكبر وكان هرقل يخرج من ملطية إلى كنيسة صلدين من غير أن يعلم به أحد وكان لها ذكر عظيم فى بلاد الروم ويقصدوها الاروام بالنذور مسيرة سنة من الجزائر وكان الملك يخرج إلى تلك الكنيسة من سرداب مصنوع فى داره بالليل ان شاء أو بالنهار ثم يعود إلى داره وقت ما شاء فقلت للامير عبيد الله وأين داره قال هى دارى هذه ثم أخرج كتاب عتيق وقال هذا

الـكتاب الذى وصل مع الملـكة ملطيه بنت قسطنطين وبددت ملطية وعمارتها وقد رأيت الموضع من دارى وهو دائر مبلط وقال لى ياأميره يكون هذا الامر عندكى مكتوم فربما سمع بهذا ملك الروم فقال الاميرعبدالوهاب يا أماه إن كانهذا الامر صحيح كما ذكرتى أخذنا البلد ولا ينفلت منه أحد فقوى بنا اليه عند ذلك أخذت معها مائة من من السودان وصارت إلى صلدا ودخلت بيعتها ثم جاءت إلى موضع على هيئة الصومعة ثم أمرت السودان أن يحفروا إلى جانبها فحفروا فى الارض مقدار قامتين فانـكشف لهم سرداب مغطى فقلعوا الغطاء فبان لهم درج معقود فسارت فيه إلى آخره فعلمت انها تحت دار الامير عمرو بن عبيد الله على التقدير فرجعت وهى فرحانة مستبشرة وقالت أصبنا فى هذه الليلة خيرا وسهل الله تعالى الامر وفى ليلة غد ان شاء الله تعالى نأخذ البلد ثم انها دخلت على أمير المؤمنين وأخبرته بذلك فسر سرورا عظيما ولما كانت الليلة الثانية أمر الأمير عبد الوهاب السودان وبنو كلاب أن يأخذوا السلاح ثم انتخبت الاميرة مائتان أمير أولهم عبدالعزيز العلوى وآخرهم عبدالوهاب وفيهم ظالم وسيف الحنيفية وضيغم وقشعم والامير جوال وميتم الاشبال وهارون العلوى وراشد بن ضمره وأبو الهزاهر وسملق وقراقد وغيرهم من الامراء المشهورين وكل أمير منهم معه جماعة وسارت إلى صلدا ودخلوا إلى تلك الـكنيسة ونزلوا فى السرداب وتموا سائرين الى تحت دار الأمير عمرو بن عبيد الله ثم صعدت الأميرة فى درج وهى تقول استعملوا السكوت ولايتكلم منكم أحد فلما صاروا فى آخر الدرج وجدوا بلاطه مركبة عريضة فعالجوها السودان إلى أن أقلعوها وصعدوا فوجدوا الدار خالية من سكانها وأبوابها مغلقة وكانت الملعونة ميمونة وقد نزلت فى دار الأمير عبد الوهاب تقيل فيها وإذا كان الليل تصعد مع الناس إلى الصور وقد انفردت بنفسها إلى برج الباب حذرا منها على نفسها ان يتم عليها أمر من ظاهر البلد ولم تعلم ما فى الغيب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم تزل الأميرة واقفة والرجال تصعد طائفة بعد طائفة إلى نصف الليل وقد صاروا فى ملطية عشرون ألف من بنى كلاب ورفعوا الأصوات فعلت بهم الروم وكثر من المسلمين التكبير والصلاة والسـلام على البشير النذير وقد تباهت الأطلال اعجابا بأصحابها وانزعجت المنازل بسماع أصوات أحبابها وكذلك الرجال لما رأت اماكنها هاجت كما تهيج الجمال وقاتلت قتال ما مثله قتال وقطعت من الروم الأوصال ووقع بهم الانخذال وساءت منهم الأحوال (قال الراوى) يا سادة فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من ميمونة فانها لما نظرت إلى ذلك قامت عليها القيامة وعادت على نفسها بالملامة ولم

تدرى من أين دخل عليها هذا الدخيل فنزلت هى وسودانها وقالت لهم ويلكم عجلوا وافتحوا الباب فقد فقدوا الأحباب حتى أقول لكم ما نعمل وأشير عليكم ما نفعل فقد جاءنا مالم يكن فى الحساب ثم دفعت المفاتيح إليهم ونظرت إلى البلد والسيف يعمل فى جوانبها وقد طلبوا الروم الهرب فلم يجدوا الهم إلى ذلك من سبيل ولم يكن لهم غير القتال مقبل وإذا استقتل الانسان قاتل واتقى الناس منهم أمر عظيم وتكاثرت الرجال وتصادمت الأبطال وعملت الخناجر فى المحاجر وقلعت العيون وشققت البطون هذا وميمونة قد انفردت بسودانها وفى ظن الروم أنها معهم فى القتال وقد اشتغل كل قوم بما يليهم وبليوا الروم بما لا طاقة لهم به وأما ميمونة فانها لما فتحت الباب قالت لأصحابها وسودانها اركبوا خيولكم مسرجه وغير مسرجه واطلبوا لأنفسكم النجاة فما نحن نظن أننا نفلح بعد هذا اليوم فبعضهم ركبوا خيولهم وبعضهم ركبوا خيول الروم على قدر ما اتفق لهم وطلبوا الباب وكانت الأميرة فى تلك الساعة قد عولت أنها تبقى على الباب فما تمكنت من ذلك لأنهم فى عالم عظيم فلما صارت ميمونة ظاهر البلد قالت وحق المسيح ما أخذ المسلمون البلد إلا من موضع يعرفوه ولا شك أن لهم منافذ من تحت الأرض وما تركوا القتال تلك الأيام إلا لأجل ذلك وانى أقول لكم أن حماة عسكرهم فى هذه الساعة فى البلد وما بقى مع خليفتهم أحد ممن يصلح لقتال ولا لمباشرة نزال وأنا اعلم أن أرمانوس ما هوا الآن إلا فى خيمة الخليفة أو فى خيمة الأمير عبد الوهاب وأنا لابد لى من هذين الخيمتين فاعدلوا بنا اليهم فقالوا السودان رأيكى أعلا وشأنكى أسنى ونحن عبيدك مهما أمرتينا به امتثلناه (قال الراوى) ياسادة وكان المعتصم لما سمع صياح المشركين فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وأيقن ببلوغ ما يريد وزحف فى مائة غلام من غلمانه يسمع الاصوات فهو كذلك إذا وقعت ميمونه مع الاتفاق ومعها أربعة آلاف أسود فلما نظرت إلى المعتصم انكبت عليه وقتلت كل من كان حواليه وأخذته أسيروقالت لاصحابها سيروا بنا فما غلبت هذه الليلة بما جرى وبما وصل الينا من أخذ الخليفة ثم انها سلمت المعتصم إلى أسود يقال له هياج وضمت اليه ثلاثة آلاف وقالت له اطلب القسطنطونية فانى سائره من وراءك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أرسلت إلى عسكر الخليفة واحد من سودانها وأمرته أن ينادى فى عسكر المسلمين ويلكم ادركوا الخليفة فقد أخذته ميمونة أسيروسارت به إلى مدينة القسطنطونية (قال الراوى) ياسادة فلما وصل رسول ميمونة ونادى بذلك النداء وركبت الخيل ولم يبق أحد إلا وسار وقالوا أين سلكوا به فقال إلى هذا الطريق وأتى إلى طريق وعره تمضى إلى بلاد الروم فلما نظرت ميمونة إلى

ذلك تركتهم إلى أن أبعدوا وهجمت على الخيمة فوجدت أرمانوس فى أسوأ حال وهو فى خيمة الامير عبد الوهاب فكسرت قيده وقالت له انظر إلى فعل السودان ان كنت تحسن تفعل مثله ثم سارت حتى لحقت بعبيدها وقد بلغت مرادها ومالم يكن فى حسابها وانهزمت الروم من ملطيه والسيف يعمل فيهم إلى الصباح والباب قد فتح وانهزموا فلما سكتت الاصوات وهدت الزعقات خرجت الناس من ملطيه وقد غنموا من الروم مالا يقع عليه أحصاء وأسروا اثنى عشر ملك وتسعة عشر ألف بطريق والبطريق الكبير والبترك الكبير (قال الراوى) ياسادة فلما نظرت الأميرة إلى عسكر الخليفة فوجدت الديار منهم بلاقع والخيام خالية فأول ما رأت عبد الصليب ابن عم الملك جرجناس (قال) فسألته عن الحال وقد انذهلت فقال لها أن المعتصم عند سماع الصياح طلب صوب الباب من فرحته بالنوبة فلقته ميمونة مواجهة فأخذته أسير وقتلت كل من كان معه ووقع الصوت وثارت الناس إلى خلاص الخليفة فما هم إلا أن بعد واختلفا حتى هجمت فى الخيام سودانها فأخذت ما قدرت عليه من خيل وعدد وخلصت أرمانوس وقتلت من تخلف من العسكر (قال الراوى) ياسادة فلما سمعت الأميرة حارت وكاد قلبها أن ينفطر وعلم الناس كلهم بذلك وعظم على الأمير عبد الوهاب ذلك وقال للاميرة بالله عليكى ياأميرة الساعة نركب ويأخذ كل واحدمنا فرس والجنيب ولو تبعناهم إلى باب القسطنطونية ثم تجردت الأميرة فى فرسانها لان المنهزمين من الروم بين يديها كثير ولما أن وقفوا على مفرق الطريق التى سلكت فيها ميمونة لما يريده الله من سلامة الناس ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرض (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعونة ميمونة فانها سارت طول ليلتها إلى الصباح فلما لاح عليها الفجر سألوها أصحابها فى أخذ الراحـــة فقالت لهم لا وحق المسيح ما أنزل فى يومى هذا لاننا مطلوبين ثم سارت إلى الليل وعدلت عن الطريق ونزلت وقد هلكوا أصحابها من التعب وشدة السير ثم أن ميمونة أحضرت أرمانوس وقالت له كيف أنت فقال بخير مادام المسيح يحفظكى ثم أقبلت على المعتصم وقالت له أسألك عن شيء فاصدقنى فيه فهو يكون سبب نجاتك وإذا لم تصدقنى فأنت تدرى ما تلقى من سيفى هذا فقال لها عن ماذا تسألينى فقالت له من أين دخلوا المسلمين إلى ملطية قال لها أنتى تعلمى أننى ما أنا من أهل ملطيه ولا ربيت فيها وهم أهل البلد ولاشك أنهم عرفوا ذلك ووصلوا إلى الدخول إلى البلد فقالت له صدقت كيف رأيت فعلى فقال فعل حازم وللموت أسباب ولكل أجل كتاب فقالت له دعنى من هذا فان المسيح خلص أرمانوس فمن يخلصك أنت فقال لها يخلصنى رب المسيح (قال

الراوى) يا ساده وبعد ذلك باتت الناس إلى آخر الليل ثم عولت على الرحيل فى وقت السحر وقد تلاحقت بها من المنهزمين خلق كثير وأصبح الناس تعارفوا ببعضهم بعضا وفرحوا بسلامة أنفسهم فلما صاروا وقت الظهر تكاملت الروم به وهم نحو التسعين ألف من المنهزمين وتقدم عليهم أرمانوس وهى تحجبه وتقول له ما تشغل قلبك بمن فى ملطية من الملوك وغيرهم وأنا أسرتهم ومن قتل فما لنا فيه حيله وساروا طول النهار إلى الليل ونزلوا لما تنصف الليل ورحلوا وسارت ميمونة إلى الصباح فألتقوا بها الذين سلكوا الطريق الاخرى باصحاب المعتصم وهم ترك وديلم وعرب وعجم وكانوا قد سلكوا فى الوعر وقاسوا شدة عظيمة إلا أن الطريق كانت أقرب اليهم مع أنهم جدوا فى مسيرهم فلقوا ميمونة إلى مرج البحار وكانوا فى عسكر قليل فلما نظرت ميمونة إلى قلتهم طمعت فيهم وحملت عليهم وقاتلتهم إلى وقت الظهر وقد عولت المنهزمين على الهزيمة وإذا برايات الأميرة ذات الهمة قد طلعت وسيوف أصحابها قد لمعت والدروع قد تشعشعت والأعلام قد أرتفعت فلما نظرت ميمونة إلى ذلك وعاينت عبد الوهاب وأمه فقالت لأصحابها وحق المسيح ما على قلبي أهون من عبد الوهاب وأمه وأولاده ولا أخاف إلا من عبد العزيز العلوى ولقد ندمت على تخليته كيف ما أخذت رأسه لما كان فى يدى أسير ثم أقبلت على أرمانوس فوجدته قد أصفر لونه واضطرب كونه فقالت أيها الملك ما وراءك وأى فزع اعتراك وما الذى دهاك فقال لها أننى تعلمى إيش الذى دهانى فى الأول وكنا فى عالم عظيم ونحن الآن فى قله وما لنا طاقة بهم فقالت ميمونة هون على قلبك فأنت فى بلد الروم وعندى رأى من قبل أن تخالطون المسلمين فقال وما هو فقالت خذ معك ثلاثة بطارقة وأنت الرابع وخذوا معكم خليفة المسلمين وان منعوكم من المسير إلى القسطنطونية فانزلوا فى دير مطرون الراهب وإذا سهل المسيح وسرت إلى البلد فجهز العساكر فقال سمعا وطاعة فتجهز من تلك الساعة وهو لايصدق بالنجاة حتى لا يحضر الوقعة وأخذ الثلاثة بطارقة والمعتصم وشدوه على بغل ثم خرج الملك أرمانوس من العسكر ومعه البطارقة وجد فى سيره وهو لايصدق بالنجاه حتى لا يحضر الوقعه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ميمونة الملعونة فانها قالت لمن معها من الروم قد طاب الموت فدونكم وهؤلاء الأندال فانكم أكثر منهم عدد وأغذ رمدد وقد حصلتم فى أرضكم والملك أرمانوس ما يقعد عن نصرتكم وأنتم تعلمون أن أكثر الروم قد عادوا إلى بلادهم من الكثرة الأولى وماوصلوا هنا إلى ميارفاقين ولولا إنى أمسكت أكثر الروم لمضوا ولا سيما العرب المنتصره كلهم قد دخلوا إلى القسطنطونية (قال الراوى) يا سادة

فلما سمعوا الروم كلامها قالوا لها ما أخوفنا أيتها الملكة من انقطاع النجدة ونحن فى هذه الأرض فربما تغافل عنا أرمانوس فتمحى منا الرسوم ويكون عيشنا مذموم فلما سمعت منهم ذلك عظم عليها هذه الأمور وكبر لديها وقالت لهم أن المسلمين قد أدركوكم ومالكم إلى الهزيمة ناصر فان أنتم قاتلتم أنا بكم المسيح ورضى عنكم وأرتفع عند الملك قدركم وعلا فى سائر البلاد ذكركم وإن عزمتم على الهرب فما تظفروا من النجاة بطائل ويعايروكم الروم فى سائر المحافل (قال الراوى) يا سادة فلما سمعوا الروم ذاك الخطاب قالوا هانحن صابرين على ضرب الرقاب وقالت لهم الأمر أقرب من ذلك وسوف أكبس جيشهم وألقاهم وحدى دونكم وها أنا أبادرهم فى هذه الساعة فامالى واما على هذا وقد وصلت الرجال وما عند الأميرة خبر بما جرى بل رأت المأسورين على وجه الأرض مشدودين فظنت ان أمير المؤمنين معهم وفى جملتهم فقالت الأميرة الآن طاب قلبي وهدى روعى ثم أنها حملت وأجابها الأمير عبد الوهاب وضيغم وظالم وجوال وميتم الأشبال وعملت الصوارم فى الأبدان ونشرت الأصابع من أنف الانسان وتراشقوا بالسهام سهام الافات والاحزان وطارت عليهم النسور والعقبان يرموا كل الأحداق الشجعان وصارت القوله أبدان بلا رؤس ورؤس بلا أبدان وأشعلت الحرب نيران وضاقت أنفاس الروم من كثرة القتال والجولان وعظمت الأهوال واشتد القتال ولقيت الناس الأهوال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ثلاث ساعات من النهار والروم كلما جادى الى زيادة فرسان حتى صاروا فى مائتين ألف عنان وعمل الصارم إلى الليل وقد هلك من القوم عالم عظيم وخلق جسيم وطلبوا الهرب فخافت الأميره أن يأخذوا المعتصم معهم عند هروبهم فأخذت معها جماعة من بنى كلاب مقدار ألف فارس وخرقت الروم حتى صارت من الجانب الآخر والتفتت خلف ظهورهم وملكت باب الشعب عليهم وبقيت ميمونة فى وسط المسلمين والاميرة من وراء ظهرها والامير عبد الوهاب ومن معه بين يديها فلما رأت الروم الى ذلك انقطعت قلوبهم وعلموا أن ما لهم إلى النجاة سبيل فأيقنوا بالعطب وقد أمسى عليهم المساء وباتوا على ذلك الحال وقد طاب قلب الامير عبد الوهاب لكون ان الاميره من خلفهم ملكت باب الشعب وكان ذلك من الاميرة خوفا ان يهرب ارمانوس ويأخذ المعتصم معه فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك ارمانوس فانه سار طول نهاره أجمع وقد طرأ عليه الخوف والفزع وما وجد له قلب يحمل المعتصم معه فخرج لى دير مطرون فدخل اليه والراهب يظنه من بعض البطارقة الذين انهزموا فقال له

الراهب يهنيك أيها البطريق السلامة فقال له أرمانوس هل وصل اليك خبر الكسرة فقال مطرون نعم لان المنهزمين عبر على منهم حلق كثير على أننى قد حسبت هذا الحساب وعلمت أن الملك أرمانوس أبدا ما يفلح ولا يتقدم يوما على عسكر فينجح ولو كان عاقل لما خرج من باب القسطنطونية بل كان وزن المال وخلى عنه الهذيان حتى يستقيم له الحال لان المسلمين شياطين خلفكم وأنا هنا على باب البطريق وقد شاهدت المسيح أننى لا أخرج لا فى شده ولا فى راحه وأوصيت إذا أتامت يدفنونى فى الدير فان لى فى عبادة المسيح أربعين سنة ما جرى على قط أمر من الامور وانى أعرف أن أرمانوس قليل البركة وقد أنحس الروم وأذلهم بالكلية فياليته قتل فى هذه النوبة فقال له أرمانوس وقد اشتد غضبه ولا سيما من البطارقه الذين معه وأشار اليهم أن يعلموا الراهب بأن الذى يكلمه هو أرمانوس فقالوا له يا أبونا كيف استدللت على الملك ارمانوس انه لايفلح فقال للذى يخاطبه ماأنت الاحجار ياشيخ لان علامة صدقى انه خرج من القسطنطونية فى ألفين الف وما يرجع ان يسلم الافى ثلاثة بطارقة (قال الراوى) ياساده فلما سمع ارمانوس ذلك كادت مرارته ان تنفطر وهم ان يقتل الراهب ثم أقبل على أصحابه وقال لولا خوفى من المسيح لكنت الساعة قتلته لكن ما الذى تبين له منى حتى انه يسبنى الى هذا كله فقالت البطارقة ياراهب هذا الذى قلته فى حق الملك ارمانوس رأيته فى الملاحم فنعرف ذلك يقينا أو قلته من تلقاء نفسك فقال الراهب لاوحق المسيح مايحتاج الى أخبار ملحمه وانما استدلك عليه بهذه الكسرة الصحيحة وبعدها هذا فان قرائن أفعاله تدل على ماأقول فيه لانه ترك بنات الروم من الملوك والبطارقه وتزوج بسوداء وقد كانت مسلمة وهى لاخير فيها لأنها ما حفظت دينها فكيف تحفظ دين النصرانية ومع هذا فانها قتلت ولدها وحشاشة كبدها وذلك من سوء فعلها وهى فى لون القطران وسوداها ولونها يدل على خسران وخذلان فقالوا له البطارقة أعلم يا راهب أنه لولا ميمونة فى هذه النوبة ما كان نجا من الروم أحد فلا تعتب على الملك فما كان أخذه لها الاةعم الرأى فقال نعم لاجرى لأن المسيح لما رأى أعتمادكم عليها أذلكم بعد قوتكم حتى يزيدكم طغيانا بها ومحبة فيها وقد خابت فراستى فى ارمانوس وهو صبى صغير ولولا أنا ههنا لكان يلعب فى الدين مع غلمانه وكنت أراه قليل الهمة مهين النفس خسيس الطبع دون أولاد الملوك كلها فعلمت أنه لايفلح أبدا وأنه يكون طول عمره منحوس فلما سمع أرمانوس ذلك ضحك فى شدة الغيظ وقد تغيرت

نفسه عنده وقال وحق المسيح ما دخلت هذا الدير قط إلا إن كان فى هذه الساعة وأنا ما ربيت إلا داخل الجزيرة القصوى وأنه لكاذب على حتى يصحح خاطره بأنى ما أفلح وحق السيدة مريم لقد صغرت نفسى عندى وما جرى على فى عمرى مثل ما جرى على اليوم من هذا القرنان ولا بد ما أعرفه بروحى وأوقعه على هذا الفعل القبيح وإن نصرنى المسيح لا بد ما أصلبه على باب الدير وأتركه عبرة للرهبان حتى لا يعود أحدا منهم يتجارى بلسانه على ملوك الزمان ولا يتركون عبادتهم ويشتغلون بالهزيان ثم أنه كشف وجهه وقال يامطرون أنا الملك أرمانوس ووحق المسيح ما دخلت هذا الدير قط إلا فى هذه الساعة فما تستحى من كذبك فلما نظر مطرون إلى الملك أرمانوس عرفه فأيقن عند ذلك بالعطب وسوء المنقلب وقال نعم دخلت إلى هذا الدير من أربعمائة سنة وأنا صبى وأنت شيخ أبيض الذقن والرأس وجعل يخلط فى كلامه حتى ضحك أرمانوس والبطارقة من قوله وقالوا مسكين قد خرف وعدم عقله فلا تعتب عليه فقال أرمانوس قد بان عذره ثم قالوا له هل عندك فى الدير موضع نحط فيه هذا الأسير فقال نعم ومن هو هذا قالوا له خليفة المسلمين وانى سائر إلى القسطنطونية أجمع الناس وأرد المنهزمين لأنى قد تركت بقية عسكرى مع ميمونة وقد دهمتها المسلمين فقال الراهب عندى فى الدير ناووس يسع عشرين روح وهو تحت الأرض عند ذلك أخذوا المعتصم وأنزلوه فيه وقالوا له نوصيك بطعامه وشرابه فقالوا سمعا وطاعة ثم أن الملك وأصحابه نزلوا مع المعتصم ينظروا إلى الموضع الذى فيه لا يكون له مسلك أو منفذ يهرب منه وهل هو حصين أم لا وقد قال أرمانوس ان تم على ميمونة أمر من الأمور وأسرتها المسلمين كان المعتصم فداؤها ونزلوا كلهم مع المعتصم فلما صاروا بأسفل السرداب ليروه كما ذكرنا فتفكر مطرون الراهب فى نفسه وقال يوصينى أن أحتفظ بهذا الأسير وأنا أعلم أن أرمانوس قد علم خلطى معه فى الكلام وهو مما لا ينطلى عليه محال وحق المسيح ما هو إلا أن يصل إلى القسطنطونية حتى يرسل خلفى ويضرب رقبتى ويسلخ جلدى وما فى الأمراء إلا أننى أطبق عليه الطابق مع الذى معه فيبقوا فى هذه الناووس إلى يوم القيامة ولا سمعت الناس ولا رأت وأخلص أنا من الهم والغم والخوف والفزع لا سيما إذا خلصت ميمونة ووصلت إلى القسطنطونية فهى تصلبنى ولو كنت البترك ومالى بهذا كله من حاجة ثم أطبق عليهم الطابق أجمعين وقال قد رأيت من الرأى أن تكونوا ههنا كلكم عند صاحبكم تحفظوه وتطعموه وتسقوه فانى أنا شيخ كبير وما أقدر على مباشرته فقال الملك أحسنت ياشيخ النحس ويلك افتح لنا فاننا منهزمين ونحن على عجل من أمرنا حتى نجهز العساكر لنلتقى بها المسلمين فقال له الراهب قد

أراحك المسيح من هذا التعب كله وأذهب عنك الهم والغم فقال له الملك ويلك افتح لنا يا ملعون فوحق المسيح ان خرجت طلبتك وضربت منك الرأس فقال له الراهب مطرون لا كلام حتى تخرج يانحس الأنحاس فوحق المسيح لأخرجت منه إلى يوم القيامة (قال الراوى) ياساده فما مربى فى هذه السيرة العجيبة أعجب من هـــذه النوبة وإن القوم كلهم أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك ولا بقى لهم من الضيق فكاك وأما المعتصم فانه أيس من نفسه وقال ياليتهم أوصلونى إلى المدينة ولا طرحونى فى هذا المكان ولا أورونى وجه هذا القرنان وكانوا لما نزلوا فى السرداب أطلقوا أيدى المعتصم وحلوكتافه ليكون فيه مطلقا لأن ذلك الناووس كان نقرا فى صخرة عظيمة مثل الجبل العظيم (قال الراوى) ولما نزلوا أيضا ما كان معهم عدة لأنهم لم يحسبوا هذا الحساب ولا علموا ما فى عنوان هذا الكتاب فلما أيسوا من أرواحهم أخذوا يتعللون بالمعتصم ويسبوا المسلمين حتى يتكلم فيشتفوا من ضربه يخرجون ما قد جرى عليهم من الراهب مطرون فى وقته وكان المعتصم قوى والقلب عبل الذراعين قوى الساعدين لو وضع يده على بعير لمنعه أن يقوم من مكانه وأنه جثى على ركبته وجعل يصف لهم فضـــل المسلمين وأن المسيح عبد الله ونبيه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وجعل يذكر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعوا ذلك منه غضبوا وتواثبوا اليه وقد أمرهم أرمانوس بذلك فأول واحد تقدم اليه لكمه فى وجهه كسر أنفه وعجل حتفه ودنا من الآخر ورفسه برجله كسر أضلاعه عندها وثب أرمانوس والبطريق الذى معه وهو كانه الفتيق فلما رأى المعتصم إلى ذلك قام وضرب البطريق على بطنه فارق الدنيا فلما رأى أرمانوس إلى ذلك علم أنه هالك لا محاله فجعل ينادى الأمان الأمان يامولانا السلطان فقال المعتصم الساعة يا كشحان يصح الأمان ثم حل زناره من وسطه وكتفه به حتى برزت أوداجه ثم تركه وقال له سوف ترى ما أصنع بك وإن كانت الأخرى فأنا أقتلك قبل أن أموت (قال الراوى) ياسادة فجعل أرمانوس يتوسل به ويقول ياملك المسلمين ليتنى كنت عندكم فكنت أرجو الخلاص وهذا القرنان مطرون فيها الاسلخن جلده ما أدرى ما بينى وبينه وحق المسيح ان أنا خلصت من هذه النوبة التى وقعت فيها لاسلخن جلده وجلد كل راهب يكون منفرد فى ديرفاهم إلا آفة الزمان على الروم وعلى المسلمين فقال المعتصم ياويلك لا كلام حتى تخلص من هنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعونة ميمونة والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فانهم باتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وعلا الصياح وأن ميمونة صفت

أصحابها صفين ووقفت فى وسطهم وقالت لهم هذا هو يوم البزاز والنزال حتى يطول الأمر وتأتينا نجده فقالوا لها هذا هو الصواب عند ذلك خرج بطريق كانه الفتيق على جواد مثل الفيل عالى الصهيل مليح التحجيل كأنه فتنة لكل من نظر صافى الجوهر مليح المنظر وعلى الفارس درع مليح النظام قصير الاكام مانع من ضرب السهام وفوقه ثوب ديباج ملكى قسطنطونى لا تعمل فيها السيوف القاطعة وعلى رأسه بيضة عادية كأنهـا الفضة المجليه ومن فوقها قلنسوة حمرة لها شعر طويل فى لون الأرجوان ومعه صفيحة عريضة وترس مذهب ثم أن البطريق جال بين الصفين وصال بين الفريقين وطلب البراز وسأل الأنجاز فخرج إليه فارس من بنى كلاب فقتله وخرج اليه فارس من السودان له جند فعجب البطريق بنفسه فخرج اليه ميتم الاشبال الاقطع على جواد مثل الريح لايلحقه الغبار فى الفضاء الفسيح وبيده رمح اسمر وهو متقلد بسيف بولاد وعلى رأسه خوده من البولاد وتحته حصان وطىء الركاب كأنه سرحان وقفز إلى الميدان وموقف الضرب والطعان ثم أن ميتم الأشبال حمل البطريق وصال وجال وأنشد وقال هذه الأبيات :

ألا أيها البطريق دونك فارس ‏ يصول على الفرسان فى السهل والجبل
يروم أن يلقى شهيدا لربه ‏ ليظفر منه بالكرامة والفضل
لقد قطعت منى الشمال ولم اكن ‏ بذلك إلا راضيا شاكر الفضل
أنا ميتم الأشبال لاشك أننى ‏ صدوق وانى ميتم الشاب والكهل

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما نظرها البطريق وقد شد الترس على شماله علم أنه أقطع اليد فطمع فيه وحمل عليه ثم تضاربا ضربا تشيب له الذوائب عندها هجم عليه البطريق وألقى نفسه عليه فلما نظر ميتم الأشبال إلى ذلك قبض على أطواقه وكان له حيل شديدة تزيد على حيل الأسود وجعل يحرك بيده ثم يلوى إلى أن قرب من خناقه وضيق خلقه واستلبب أطواقه وقبض على خناقه فتمنى ذلك البطريق أنه يخلص منه فلم يقدر على ذلك وما زال يخنقه حتى غشى عليه وزفرت عينه ولم يخليه من يده إلى أن علم أنه قضى نحبه وخرجت روحه إلى النار وبئس القرار فخلا يده منه فخر ميتا إلى الأرض فلما نظرت الروم إلى ذلك صلبت على وجوهها ولم يعلموا كيف قتله ولم يزل ميتم الأشبال يقتل فارس بعد فارس حتى قتل عشره وكان الحادى عشر ميمونة وقد خرجت كانها مجنونه وهى تنشد وتقول هذه الأبيات

فكم فى الوغا قطعت كفا ومعصما ‏ وأنت الذى قد كان كفك من قطعى

ألفت قراع الرمح والسيف لم أزل أصول به إذ كان ذلك من طبعى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رآها ميتم الأشبال وعلم أنها هى التى قطعت يده حمل عليها يريد أن يأخذ بثار يده منها وإذا بفارس من المسلمين صاح وهو يقول أرجع ياميتم الأشبال ويكفاك مالقيت فنظر ميتم الأشبال إلى الفارس ليعلم من هو وإذا بها الأميرة ذات الهمة وهى تقول له أرجع أقسمت عليك لايخرج اليها غيرى فلما سمع ميتم الاشبال كلام الأميرة علم أنها ما قالت له ذلك إلا خوفا عليه من ميمونه لأنها تعلم أنها فى طبقة من الشجاعة أو فى من طبقته فرجع ميتم الأشبال ولم يقع له على فعل الأميرة على غرض لأنه كان وهب نفسه لله وطمع فى الشهادة وأراد النقله من دار الفناء إلى دار البقاء فلما نظرت ميمونة إلى الأميرة وقد خرجت وبرزت اليها وجالت بينها وبين خصمها فلم تكترث بها دون أن قالت مرحبا بالأميرة اليوم كنت أنتظرك فدونك والجولان فى مقام الجلاد على الخيل الجياد فقد أتعبتى الأكباد وذابت منكى الأجساد فلما سمعت الأميرة منها هذا الكلا قالت لها لعنكى الله يابنت الحرام ثم حملت عليها وهى تنشد

أميمونة ويلكى اليوم فاعلمى بانى بعون الله فى الترب أرملكى
فلما تقادى اليوم خلفى أسيرة وأنا بحد السيف فى الحرب أقتلكى
رضيتى بدين الشرك تبغى معونة وانى بفضل الله ذا اليوم أهلككى
وسوف أحامى عن شريعة محمد نبى أتى بالحق من مالك الملك

(قال الراوى) يا سادة ياكرام ثم أنهما حملا على بعضهما بعض وقد أخذا ميمنة وميسرة حتى قيل أنهما قد عدما وأخذا فى الكر والفر والاخذ والرد وإذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن ثم أخذوا فى الدفع والشد إلى أن جازا عن الحد وقدحت حوافر الخيل النيران من الحجر الصلد ثم تعاركا بسيوفهما وكلما فتحت أحداهما للأخرى باباسدته عليها وما زالا كذلك إلا أن تقطعت الجحف هذا والطوائف قد أقلقهم طول الانتظار وإذا هما قد تطابقها وتضايقا وتعاركا وتلاصقا حتى أحتك الركاب بالركاب وتقابضا بأطواق الثياب وبطل عنهما حكم الطعان والضراب وجعلت تجتهد الأميرة بميمونة لتأخذها أسيرة فلم تقدر على ذلك وجذبتها الأميرة فشدتها ميمونة بقوتها فلم تقدر ذات الهمة أن تقلعها فلما رأت ذلك أخرجت رجلها من الركاب ورفصت جواد ميمونة فى وجهه فوقع على الأرض ومسكت الأميرة بأذياقها وجذبتها اليهــا وقد خرج الجواد من تحتها فعلقتها فى

كفها كما يعلق العصفور فى مخلاب العقاب الكسور ثم نادت الأميرة الله أكبر الله أكبر لحمل الأمير عبد الوهاب وحملت المسلمين ونظر الروم إلى ذلك لحملوا على الأميرة يريدون خلاص ميمونة والتحم الطعام والضراب وطلع الغبار والضباب وتقطعت الأسباب ودام القتال والنزال إلى تنصف النهار وولت الروم الادبار وركنوا إلى الفرار وعمل فيهم البتار ونصر الله المؤمنين الأبرار ببركة النبى المختار وفتكت المسلمين فى الروم وقتلت منهم عالم عظيم ولم يكن للامير عبد الوهاب دأب إلا المأسورين واختلط بهم وجعلت الأميرة والأمير يطوفون على المعتصم فلم يجدوه فعظم ذلك عليهم وكبر لديهم ثم أحضر ميمونة وقال لها ويلك يا شيطانه اخبرينى أين ارمانوس والمعتصم فقالت هم الآن فى القسطنطونيه فلما سمع الأمير منها ذلك كادت مرارته أن تنفطر وقال لها والله لقد عظم ذلك على حين أتانى فرح بأخذ هذه الملعونة فياما نقاسى من التعب والنصب على خلاص أمير المؤمنين بعد ما صار عندهم والثانى قد كنت عولت أن ظفرنى الله تعالى بهذه الملعونة قتلتها والآن أريد أستبقيها لخلاص أمير المؤمنين فقالت ميمونة أما قتلى فهو بعيد ولا تقدروا عليه لان أرواح كل من فى القسطنطونيه مرهونه على فقالت ذات الهمة يا ملعونه ان شعره من راس مسلم أحب الينا منكى ومن ساير ملوك النصرانيه ومن ملء الأرض ذهبا وفضه والآن دعونا من هذا الكلام وارحلوا بنا نحو دير مطرون ننزل عليه ونرسل من هناك إلى ارمانوس ونصالحه على أن يرسل ما عنده من أسارى المسلمين وأبطال الموحدين ونطلق من عندنا من الروم وهم عشرين ألف بطريق واثنى عشر ملك فان هو أبى ذلك صرت خلف العساكر وما يصعب علينا النزول على القسطنطونيه وما نبرح من عليها حتى نأخذه برقبته فقال الأمير عبد هاب هذا هو الصواب وكذلك قال الأمير عبد العزيز العلوى هذا وقد فرح الناس بأخذ ميمونه وقالوا اننا نشتهى ان نشفى قلوبنا من هذه الملعونة ثم انهم ساروا يريدون دير الراهب مطرون من بكرة النهار والثانى فوصلوا اليه وقت العصر ونزلت الأميرة بعسكرها هناك وان السودان دخلوا الدير وزعقوا بالراهب هات العدس والزيت والا قتلناك ففزع الراهب من السودان وقال حبا وكرامه ثم قال فى نفسه الساعة أخرج إلى صاحب العسكر وهو الأمير عبد الوهاب وآخذ منه الذمام والأمان وإلا قتلونى السودان فهو كذلك وإذا قد دخل عليه مذبحون وقال له أيها الراهب وقد اصفر لونه واضطرب كونه فى أى وقت عبروا عليك القوم فقال يا مولاى من يومين عبروا على ثم أن مذبحون دار بعينه فى الدير وإذا نحو بأربعة رؤس من الخيل فى جانب الدير مربوطه فقال يا راهت من أين لك هذه الخيل فقال

يا مولاى كانت مع الملك وأصحابه فتركوها عندى ورحلوا وقد أمرنى الملك بحفظها فخذوها أنتم أحق بها فسكت مذبحون وسار إلى أن دخل الليل وهجم على الدير وأتى إلى الراهب ووقع على صدره ووضع الخنجر على نحره وقال يا ملعون ما تركوا الخيل عندك إلا وقد تركوا عندك المأسورين فاعلمنى أين هما وإلا وحق دين الاسلام ذبحتك وألقيت رأسك وأخمدت أنفاسك وهدمت أساسك (قال الراوى) يا ساده فلما رأى الراهب البلاء قد أحاط به قال ترفق على يا مولاى قد بلغت مناك ونلت هواك على انك تعطينى الزمام وأنا أصدقك فى الكلام ولا تعجل على فأنا شيخ كبير وأنا الذى بما تريد خبير (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع مذبحون كلامه قام عن صدره وقد التزم دقنه ووضع الخنجر على نحره وقال العجل قبل أن يأتيك الأجل وترى الموت بساحتك قد نزل فقال يا مولاى ولى الأمان قال نعم ولك الأمان عندها مشى اللعين بين يديه وهو يتماوت عليه تارة يقوم وتارة يقعد عند ذلك اغتاظ مذبحون من فعله ورفعه وجلد به الأرض كاد أن يقضى عليه وقال يا ملعون لمثلى تخدع أو تمالق وابليس يتعلم منى الطرائق أو تعتقد أن يدخل على حيلة محتال وأنا ابن أبو محمد البطال رأس أرباب الحيل فدع عنك الدغل وسير معى على عجل وإلا وحق الامام البطل ذبحتك بخنجرى هذا فى وسط المفصل (قال الراوى) يا سادة عند ذلك قام الراهب وقد استدت فى وجهه أبواب الحيل وإذا به أتى به إلى ناووس متقون صنعة حكيم بمراقى ودرج وعليه طابق لا يكاد يعرف من بين الطوابق وقال لمذبحون يا مولاى دونك وشيل هذا الطابق والبلاطه بالقوة والنشاط فقد سقطت قوتى وطارت حيلتى فشالها مذبحون فبانت له المراقى والدرج فقال له الراهب ها أنت وصحبتك ومن تريد خلاصه نخاف مذبحون من ابرام حيله فجثى على ركبتيه ونظر فى السرداب قبل النزول لعل ان يسمع حس أو يرى أحد ومال بنفسه صوب السرداب فدنا إليه الراهب مطرون مثل المجنون ثم رفصه برجله وكان شديد الحيل وزوده بيديه فوقع هاويا إلى الدرج ولم يزل يتدحرج على الدرج حتى وقع على أرمانوس فكاد يدق عنقه وكان نائما فاستيقظ وقال له من أنت يا ويلك فقال أنا مذبحون بن البطال فمن أنت قال أنا أرمانوس ملك الروم وهذا المعتصم ملككم (قال الراوى) فلما سمع المعتصم كلامه عرفه وقال له مذبحون قال لبيك يا أمير المؤمنين وتقدم إليه وقبل الأرض بين يديه وسلم عليه وقال يا مولاى أنا قد أتيت فى طلب خلاصك وما كان بقى غير حضورك وخروجك من هذا المكان ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر وإذا أراد الله بأمر كان ثم حدثه بما جرى له مع الراهب مطرون فقال المعتصم إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظن أن

يكون لنا خلاص من ههنا أبدا ولا سيما وهذا القرنان قد وقع فى قلبه ان أرمانوس يريد هلاكه وقد قبح وبان نفاقه ولنا اليوم ثلاثة أيام لم نطعم بطعام ولاشراب وروايح هذه الموتى عندنا من غاية العذاب فقال مذبحون يا مولاى لا تقنط من رحمة الله ولا تيأس من الفرج سيما والمسلمون نزول هنا على هذا الدير وقد أجاد من قال هذه الأبيات

إذ النائبات بلغن النهى * وكادت لهن تدوب المهج
وزاد البلاء وقل العزا * فعند التناهى يكون الفرج

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما نزلت على دير الراهب مطرون خلت بولدها عبد الوهاب وقالت يا ولدى ما يسوى ما قد غنمنا من الأموال وسائر الرجال عدم أمير المؤمنين المعتصم وما قد جرى عليه فى هذه الكره من الأسر والهوان ولا بد لى أن أكتب كتاب إلى القسطنطونية واحذر أرمانوس فيه واسأله أن يرسل الينا المعتصم ويطلق سبيله وسبيل من عنده من المأسورين ونطلق ميمونة ومن عندنا من الأسارى لأن رجل مؤمن أحب إلينا من عشرة آلاف كافر فقال لها الأمير افعلى ما تشتهى فالرأى رأيكى والأمر أمركى ثم كتب الأمير عبد الوهاب كتاب يقول فيه بعد البسملة (أما بعد) فان الواجب عليك أن تدع اللجاج وتسارع إلى انفاذ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وابن عم خاتم النبيين وكل من هو عندك من المأسورين وتحقن الدماء ويقع الصلح بيننا على أن تحمل الينا الرسوم التى كنت تحملها فى كل عام فان أنت أبيت واكثرت اللجاج دهمتك برجال أنجاد اجلاد بسواعد شداد وسيوف حداد ورماح مداد ورجال قد استطابوا الجلاد وابتغوا الجهاد ويرون الموت مغنما والحياة مغرما لا يفوتهم ما طلبوا ولا ينجو منهم من هربوا وأنت تعرفهم ولا تنكرهم وهم السودان الأنجاب وبنى كلاب فالعزيز من أعزوه والذليل من أذلوه وقد عرفت حربهم وطنعهم والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى ودفعت الأميرة الكتاب إلى بعض الأمراء وقالت له أريدك أن تسرع فى السير وتجد فى التشمير إلى أن تصل إلى القسطنطونية وتوصل هذا الكتاب إلى الملك أرمانوس ثم كتبت كتاب إلى مارس ودارس وقالت للرسول قل لهم يعرفوك بأخبار المعتصم ثم أنها تذكرت فى هذا الوقت البطال وقالت أنه مدخر لمثل هذه النوائب الثقال لأنه كان يعرف فى مثل هذه الأشياء ما لا يعرفه غيره من غير قتال ولانزال وكذلك غلامه لؤلؤ فقال الأمير عبد الوهاب أقسم بالله يا أماه ان لى فى مذبحون ما ليس فى أبيه وهو على غاية من السداد وهو يمضى فى هذه الرسالة ثم نكتب معه كتاب الى مارس

ودارس حتى يعاونوه على خلاص أمير المؤمنين فقالت الأميرة صدقت يا بنى فعلى بمذبحون فطلبوه فلم يجدوه فقالت الملكة افتونا أنا رأيت مذبحون وقد خرج من العسكر نصف الليل لأنى ما نمت البارحة إلى الصباح لأجل فكر قد تولد فى قلبي وقد رأيته قصد هذا الدير ودخل اليه وما عاد خرج منه عند ذلك قصدت الأميرة الى الدير ومعها عشرة من السودان والأمير عبد الوهاب فوجدت الراهب إلا أنه لما رآها عرفها فقام اليها وسلم عليها وهم أن يقبل يديها فمنعته من ذلك وقالت له أيها الراهب صاحبنا الذى دخل اليك البارحة أين هو فقال ما رأيت أحد لأنى كنت مشغول فى خدمة من لايحول ولا يزول فقالت الأميرة دع عنك هذا الكلام الذى لايسمع واعلم أن نبينا صلى الله علية وسلم نهى عن قتل الرهبان فلا تفعل معنا أمرا يسقط به عندنا قدرك لاننا مايحل لنا قتلك إلا بأمر يوجب ذلك والاوحق الرب العظيم رب زمزم والحطيم لئن لم تصدقنى يا راهب لا عزلن رأسك بسيفى فى هذه الساعة وأضربنك ضربة تعرفها الروم على اختلاف أجناسها وبعد قتلك أقلب الدير أسفله أعلاه بهؤلاء السودان الذين تراهم حولى فلما سمع مطرون هذا الكلام من الأميره تحير فى أمره وعلم أنه ان لم يصدقها فى المقال قتلته فى الحال فقال لها يا أميره اعطنى زمامك قبل كل شىء وأنا أحدثك بكل عجب وأبلغك كل أرب ويذهب عنكى الهم والغم والعناء والتعب فقالت الأميره لعبد الوهاب اعطيه خاتم أمانك فرمى اليه الأمير الخاتم فابتدأ يحدثهم بحديث أرمانوس والمعتصم وما جرى له معهم الى أن انتهى الحديث الى آخره فقالت الأميرة ويلك وكم لهذا الحديث فقال هذا ثالث يوم فقالت أرجوا من الله أن يكون المعتصم سالم فقم وافتح ياقرنان فتح الله عليك باب الخذلان (قال الراوى) عند ذلك تبادرت اليه السودان وجعلوا يلطموه إلى أن أعموه وقالوا له ياملعون ان مات الخليفة فابشر بالذل والهوان فقال مطرون فى التعبير أن يكون قد مات حتى أقع أنافى النكال وتقطيع القفا والقذال وفتح لهم الطابق ونزلت الأميره وبعض السودان قد توكل بمطرون فلما نزلت وجدت الثلاثه فى الناووس فلما نظروا الى المعتصم وهو سالم وكذلك مذبحون وأرمانوس فرحوا بذلك فرحا عظيما وقالت له أبشر يا أمير المؤمنين بالفرج فبكا من الفرح وقد نسى ماكان فيه من الجوع والعطش والهم والترح عندما عاين المسلمين وقد خرجوا الى ظاهر المطمورة وقد تعلق مذبحون بدقن مطرون ولكمه لكمة مجنون وخنق مغبون فصاح الأمان من هذا الشيطان يا أمير الحقنى والا فأنت تطلبنى فلم تجدنى فصاحت به الأميرة وقالت لمذبحون أمسك عنك فاننا قد آمناه فتركه (قال الراوى) فوقع فى الدير الصياح ووصل الخبر إلى العسكر بأن الأميرة وجدت المعتصم فى الدير فخلصته

وأخذت أيضا ملك الروم أرمانوس فلم يدخل على قلوب الناس فرحة أعظم منها وهجمت الناس الى الدير وجعلوا يقبلوا يدى المعتصم ورجليه ويسلموا عليه ويبوس الأرض شكرا لله تعالى على سلامته وهم يدعون له ويشكرهم على ذلك (قال الراوى) فهذا ماجرى للخليفة وأما ماكان من أرمانوس فانه أقبل على المعتصم وكان قد أخذ يده فى الناووس لما نزل اليه مذبحون وأخبره على ماجرى بينهما فقال ياخليفة المسلمين اضمن لى عن نفسك واندر انك ان سلمت فى هذه النوبة وفرج الله عنك لاتسمع فى كلام الأعداء وتصالحنى على المال فانى أحمل اليك مهماشئت وأطلق كل من فى القسطنطونية من الأسارى وتطلق أنت من عندك وتصالح على ماشئت من السنين فلما فرج الله عنهم وطلعوا من ذلك السرداب قال أرمانوس ياخليفة المسلمين أريد وعدك فان مثلك إذا أوعد وفا فقال المعتصم سوف أفعل أيها الملك ان شاء الله تعالى وأقبل على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وعاد عليهما ماجرى وقال ما بقى غير الصلح والرجوع الى الأوطان فوالله ما ظننت أنى أخلص من هذا الموضع أبدا والآن فقد لطف الله بى وأتانا بالفرج من حيث لم نحتسب فقال الأمير عبد الوهاب ياأمير المؤمنين نحن نجيبك الى ذلك ولا نخالف ما أمرت به وأيضا نطلق أرمانوس بشرط أنه يحمل المال ويطلب كل من كان عنده فى القسطنطونية من بنى سليم ونساءهم وأتباعهم وما أخذ لهم من أموالهم ويحمل المال كاجرت العادة من الملوك المتقدمين فقال أرمانوس أنا أفعل ذلك على شرط أنكم تطلقون ميمونة فقال عبد الوهاب أما ميمونة فمالى إلى إطلاقها خلاص ولا سبيل ولا بد من قتلها فقال أرمانوس وحق المسيح لو قتلتمونى وقتلتم كل من عندكم ما سلمت اليكم من المسلمين شعرة مادامت الملكة ميمونة عندكم فافعلوا ماشئتم فقالت الاميرة يابنى هذه الملعونة لها وقت ورزق ولابد أن تستوفيه والله تعالى يبلغك منها وقت آخر وان الثانى فى القسطنطونية مائة ألف مسلم ومسلمة فى قبضة الروم فقال الامير عبد الوهاب مالى إلى ذلك من سبيل فلابد أن أحضرها فى هذه الساعة وأقطعها بالسيف قطعة قطعة بين يدى كلب الروم وانما الذى يحمله على الكلام كونها سالمة فاذا شربت كاس حمامها انقطع إياسه منها ولا تطول يده إلى مايطلب ويرجع يطلب الخلاص لنفسه وان هو نقض المصالحة قطعت رأسه وأخمدت أنفاسه وأخربت بلده وربحت المسلمين ماله وولده وأوثقت عسكره طعنا وضربا ونهبت أمواله وسبيت عياله (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع أرمانوس ذلك قال له أيها الأمير نحن ما نعتقد من دينك أن تفعل شيئا من ذلك فان أردت أن تفعله ذلك فابدأ بى فى الاول وهذا الراهب هو الذى كان سبب هذا البلاء فقال المعتصم نعم لعنه الله من بين الرهبان

فدونكم وإياه قطعوه وبسيوفكم بضعوه فقال مذبحون دونكم هذا القرنان اسقوه شراب الحتوف وخذوا جسده بأطراف السيوف فلقد أراد أن يهلكنا ولقد رأيت منه مالم أره من غيره لانه ماراعى الى أهل دينه ولا راقب الله تعالى فى المسلمين فقال المعتصم للسودان دونكم وهذا الملعون يا أهل الايمان (قال الراوى) وكان هذا الملعون مكار محتال غدار خبيثا ما يعتقد فى دين النصرانية ولا فى دين اليهود ولا فى دين المجوس ولا فى دين الحنيفية وكان لعنه الله يقول أن الأرض لا تفنى ولا حشر ولا نشور (قال الراوى) وكان هذا الملعون له فى الصومعة أربعين سنة وقد قتل خلق كثير من اليهود ومن النصارى ومن المسلمين وجميع المال الذى عنده من هذه الفعال وكان له مال لا يحصى له عدد وكان قرأ الكتب القديمة وأطلع على أشياء وأمور عجيبة فلما وقع فى هذه النوبة ونظر إلى القوم وإلى عبد الوهاب وقد أباح للسودان دمه وأمرهم بقتله فقال لهم امهلوا على حتى أقول لكم شيأ واحد وان أردتم قتلى بعد ذلك فافعلوا وأن لكم عندى بشارة عظيمة من جهتين الأول انى أسلم اليكم من المال ثقل ما تأخذوه من أرمانوس عشر مرات وأسلم إليكم رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو تحت الدير وحق من رفع السماء هو أعز اليكم من كل من على وجه الأرض وله عندى ثمانية عشر سنة ما فيها يوم ولا ساعة ألا وأضربه حتى أقول أنه قد هلك وهو يقول لى رب قادر يفرج عنى ما أنا فيه وأنا أقول له سوف تموت ها هنا كمدا ولم يعلم بموتك أحدا وأنتم لخلاصه سببا وقد صار عبرة لمن يراه وقد بلى جسده تحت الأرض من طول مكثه فيها ولم يطلع عليه شمسا ولا قمرا ومع ذلك ما رأيته قط ساخنا والآن قد اتضح الحق وزهق الباطل وأن ملتكم خير الملل ودينكم خير الأديان وحقيق أن يكون هذا الرجل أحظى الخلق عند ربه (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا من كلام الراهب اشتاق إلى مقاله وإلى نظر هذا الرجل المذكور (قال) وكان الأمير عبد الوهاب رحيم القلب غزير الدمعة دين ورع زاهد عابد له ورد فى الليل فقال ما أظن أن الله عز وجل أوقع أمام المسلمين وخليفة رب العالمين إلا سببا لخلاص هذا العبد الصالح وإزالة العذاب عنه وخلاصه من هذا الفاسق ثم انهم أقبلوا على الراهب وقالوا له وهبناك نفسك اكراما لهذا الرجل الذى ذكرت ومننا عليك بالمال الذى وصفت فاسرع به على عجل فانا على عجل من أمرنا فقال الراهب أنا ما أريد الحياة بعد هـــذا على رستاق الضلالة ولقد غاب رشدى فى هذه الساعة من قول هذا الرجل الذى عندى فى الأسر لأنى كنت كل يوم أعذبه العذاب الشديد وهو يقول لى رب قادر على خلاصى مما أنا فيه وأنا أقول له ربك

ومن الذى يخرج خبرك حتى تعمل على خلاصك والآن فقد أعلمتكم به أنا بروحى كما أراد الله عز وجل والسبب فى ذلك وقوع الخليفة وقدومكم إلى هذا الدير هو سبب لخلاصه وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عندى التوراة والانجيل والقرآن وسوف أخبركم عن هذه الكتب الثلاثة وعن معجزات القرآن فقالت الأميرة هذه عجائب وغرائب تكون لنا ذكرا إلى يوم القيامة أسرع يامطرون إلى خلاص هذا الرجل قبل كل حساب فهو الأهم وأعلمنا ثم أنه قصد إلى جانب بيت فى الدير والسودان قد توكلوا به ثم أنه فتح بابا ودخله إلى أن وصل فيه إلى موضع مبلط وفيه بلاطة حمرة عليها قفلين بسلاسل ففتح الأقفال ورفع البلاطة ونزل إلى ذلك السرداب وله عشرين درجة والسودان معه وإذا هم بموضع فيه ضوء وفيه رجل عليه مرقعة شعر وقد نحل جلده وكان الموضع الذى هو فيه حار فى الصيف بارد فى الشتاء فملأ بدنه شعره وعلاه الصفار وأذابه الغبار حتى بقى مثل البهار وشبهه مثل الخيال وهو ساجد يقول فى سجوده سبحان من أنعم على بالإيمان وشرفنى بدين الاسلام وسخر لى عدوى مطرون الراهب يحمل إلى ما آكل وأشرب سبحان من لطف بى صغيرا وأنعم على كبيرا وجعلنى تحت الأرض مطمورا وقدر على تقديرا وكان ذلك فى الكتاب مسطورا (قال الراوى) فناداه سملق ارفع رأسك أيها العبد الصالح والميزان الراجح فان الله تعالى قد فرج عنك فرفع رأسه وقال يا أخى ماذا تقول لأمرد لحكم الله ولا خروج من قضائه فمن أنت يرحمك الله فقال أنا سملق غلام الأمير عبد الوهاب الكلابى أمير ملطية وحامى الثغور العراقية والشامية فقال أنا ما أعرفه وقد أشغلنى عنه ما أنا أسير محبته عند ذلك حملوه وأخرجوه إلى وسط الدير فنظروا الناس إلى شيخ ضعيف الجسد ناحل البدن والنور يسطع من جبهته (قال الراوى) ولقد سألت عن هذا الرجل من عبد الله بن صالح الزاهد فأخبرنى أنه أخذ من قرية من قرى الشام يقال لها نجران وكان نشا أحسن منشأ وحفظ للقرآن وهو ابن ثمانية سنين وأم بالناس فى المحراب وهو ابن عشرين ومات والديه وهو ابن اثنى وعشرون وهتف به هاتف يقول له أيها العبد الصالح أن لله عبادا يوحدونه وفى انفرادهم يناجونه قد انفردوا وآنسوا بالوحده وكرهوا الصحبة ثم تعلقوا بمن فى السماء وكرهوا من فى الأرض (قال الراوى) ياساده ثم أنه طلب الحجاز وكان اسمه مطيع بن عابد النجرانى فهام على وجهه فى الأرض إلى أن وصل إلى بيت الله الحرام وأقام مجاورة مدة سنين وبعد ذلك ساح وطاف البر والبحر والجبل إلى أن أرمته المقادير إلى بلاد الروم فهو يدور فى جبالها

ويعبد الله فى سائر الأماكن ويطوف على الرهبان ويسمع منهم الحكمة وقد أعطاه الله الحكمة وكان يصبر على الطعام مدة أيام والشراب مدة أيام ويكفيه القليل من الزاد وقد أسلم على يديه جماعة من الرهبان وسار إلى الصوامع والبلاد إلى أن وصل بالقضاء والقدر إلى دير الراهب مطرون وتحدث معه فقال مطرون أناما أرجع إلى دين من الأديان ولا أصدق بالبعث ولا بالنشور فغضب منه مطيع ابن عابد فقال له الراهب عندى فى هذا الدير شابا يصدق صحة قولى ثم أخذه حتى يناظره فى الكلام (قال الراوى) يا ساده وكانت هذه حيلة وخديعة من الراهب مطرون حتى يوقع بهذا العابد فسار معه عابد وهو مطمئن القلب لما عاين من الرهبان الذى طاف عليهم ولم يؤذوه فى كل مكان ولم يزل سائر معه حتى أوقعه فى تلك المطمورة المتقدم ذكرها وأطبق عليه وجعل يفتقده فى كل ثلاثة أيام بقرص شعير وقليل من الماء ويقول له أخليك ههنا إلى أن ترجع نفسك من العباده وهذه الضلاله وتقول بقولى وتعتقد باعتقادى وهو أعتقاد الفلاسفه وهو يقول مالى إلى هذا من سبيل والذى أبلانى قادر على خلاصى لأنى مشغول بعبادة ربى ومالى أعتراض أن جعلنى فى المطامير أو على رؤس الجبال لأننى عبد وما للعبد أن يتعرض إلى مولاه ولا يشكو من بلاه وكان هذا الراهب يعاقبه على طول الزمان وكان لايزداد إلا شكرا على طول البلاء وصبر على القضاء فلما أراد الله عز وجل خلاصه جعل لكل شيء سبب حتى جرت هذه النوبه العظيمة وأخرجة الله مما كان فيه من الضيق والسجن والعذاب وكان ذلك على يد الأمير عبد الوهاب وكان إسلام مطرون نفاق وفزعا من الموت لأنه كان لايدين بدين إلا أنه خاف من ملك الروم وعلم أنه مابقى له بعد سب الملك فى بلاد الروم مقام وقال فى نفسه أن قعدت فى أرضه وبلاده فهو يقتلنى فأسلم خوفا من القتل وهو ماكان يختار مقامه فى هذا الدير الارغبة فى أخذ الأموال وقتل من أستفرد به من النساء والرجال (قال الراوى) ثم بعد ذلك قال الأمير عبد الوهاب وأين المال يامطرون فقال عندى أيها الأمير ثم فتح ثلاث خزائن ملآنة ذهب وفضة ولؤلؤ وجوهر وقطع زمرد وغير ذلك وأخذ التوراة والانجيل والقرآن ثم قال انى كنت أقرأ كل يوم فى واحد ثم رأيت وأفكرت فى أيهم أفضل فرأيت فى النوم هاتفا يقول لى ان أفضلهم الفرقان فخذ بما فيه لأن الإنجيل غيرته النصارى ونقصوا منه والتوراة أيضا بدلوها اليهود وأن القرآن هو الكتاب العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم أستيقظت بعد ذلك من نومى (قال الراوى) يا سادة وكان الملعون قد رأى هذا المنام على صحة وبانت له الحقائق غير أن الشيطان والشقاوة حالت

بينه وبين القبول والسعادة وقال فى نفسه هذا من بخارات الطعام فلذلك هو رفيق عقبه فى بلاد الروم والاسلام وله معه حديث عجيب وأمر مطرب غريب سنذكره إذا وصلنا اليه على النص والترتيب وذلك بعد ألف صلاة وألف سلام على النبى الحبيب (قال) يا سادة لأن هذا الراهب يصلب مع عقبة فى يوم واحد على باب الذهب (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الأميرة ذات الهمة قالت لسودانها هاتوا ميمونة فذهبوا ليأتوا بها فلم يجدوها ولا وجدوا لها خبر ولاوقعوا لها على أثر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنها لما أسرت أيقنت بالهلاك والعدم وعلمت أن عبد الوهاب لايبقيها فلما صاح الصائح بأن الخليفة وأرمانوس قد وجدوا فى دير مطرون زادا ياسها وأيقنت بالهلاك وجعلوا بنى كلاب يدخلون إلى الدير أفواجا أفواجا إلى المعتصم ويهنوه بالسلامة وكان عند ميمونة عشرين من عرب الحجاز الموكلين بها وهم قوما صعاليك لأنهم كانوا شاهدوا الوقائع فما وقع فى أيديهم شىء لأن الغنائم قد حبسوها حتى يقسموها بعد ظهور الخليفة ويخرجوا منها الخمس إلى بيت مال المسلمين ثم تقسم على الرجال وهؤلاء قوم صعاليك فقال بعضهم لبعض قد هلكنا من الفقر وهلكت خيولنا وطالت عيشنا وما كسبنا شىء والذى غنمناه قد أخذ منا فسمعت ميمونة ما يقولون فقالت لهم وكم يقنعكم حتى تعودوا إلى بلادكم فقالوا لها نحن عشرة يكفى كل واحد منا مائة دينار فقالت لهم فما قولكم فيمن يعطيكم كل واحد ألف دينار سوى ما يصل إلى كل واحد من الخلع فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا معلوم أنها ملكة فقالوا لها ومن يفعل معنا ذلك فقالت أنا وذمة العرب أن أوصلتمونى إلى القسطنطونية وخلصتمونى من الشداد أعطيتكم ما ضمنت لكم من المال والخلع فنظر بعضهم لبعض وقد وثقوا بقولها وكانوا وصدقوها لما حلفت للأمير عبد الوهاب أنه إذا وقع عندى أحدا من المسلمين أطلقه وفعلت ما قالت عليه وكان صدقها سبب نجاتها فأجابوها إلى ذلك ثم أنهم حلفوها فحلفت لهم ففكوا قيدها وقطعوا كتافها وأركبوها جوار الأمير عبد الوهاب وعدة كاملة وركبوا معها وساروا فكان كل من يراها لا يشك فيها إلا أنها من بعض السودان وساروا إلى الطريق الجادة وسارت فى طرقات تعرفها فهذا كان السبب لعدمها ولما وصل الخبر إلى الأمير بعدمها ركبت الخيل فى طلبها من كل جانب بطول ذلك النهار وعادوا فما لحقوها إلا الأمير عازب بن وهب فانه كان معه مائة فارس من بنى كلاب فلحقوها وأرادوا عن طريقها يعيقوها فعادت اليهم كانها الأسد الأدرع وغاصت فى وغاصت فى جمعهم ولعبت بأرواح الرجال فمزقت شملهم وقتلت منهم ستة رجال وكان

السابع عازب بن وهب وقد رجعف الباقين واعلموا الأمير بقتل عازب فبكى عليه لأنه كان شابا تقيا دينا مجاهدا فى سبيل الله وعلم أن خلاصها عرب الحجاز وأصبح الأمير مريض من الغيظ على عازب وفقد ميمونة الذى ما قتلها وبعد ذلك احضر أرمانوس وقال له هربت ميمونة فى هذه الليلة وقد بقيت انت فابصرما عندك من اطلاق المأسورين حتى أطلق ما عندى من الروم والا ضربت رقبتك ورقبة كل من عندى فقال أيها الأمير أما المال على أحمله وأطلق المأسورين وتكون الهدنة وللصلح ثلاث سنين فأجابه إلى ذلك واستحلفه وأطلقه وكان ذلك بحضرة المعتصم وسار من عندهم ملك الروم ودخل إلى القسطنطونية ورحل الأمير إلى ملطية فلما وصل أطلق من عنده من أسارى الروم وبقى عنده الراهب مطرون وهو عند المسلمين وأظهر الاسلام وهو فرحان وكان هذا مكر وخداع وكان طبيب وهو فى الطب أوحد زمانه وفى علم الطبائع لايرام فقال المعتصم هذا يكون عندنا فى بغداد ويشرف على الأطباء وأما العابد فانه لما دخل ملطية أقبلت الأميرة إلى زيارته وولدها فقال لها اعلموا انى وقت الظهر أفارق الدنيا فمن أراد الصلاة على فلا يغيب فقالت الأميرة وكيف علمت ذلك فقال لها من زهد فى الدنيا عرف قدومه إلى الملوك فلم يبرح الأمير وأمة إلى الظهر فصلى الظهر وجلس وإذا بوجهه أصفر فمال إلى ناحية القبلة وأشار إليهم مودعا ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم أنه فهق فهقة واحدة فارق الدنيا رحمة الله عليه وكان له يوما عظيما وصلوا عليه جماعة من المسلمين وأم بهم أمير المؤمنين ودفن بظاهر ملطية وقبره يزار ويعرف بقبر المأسور وأقاموا إلى أن رجع أرمانوس إلى القسطنطونية واجتمع بميمونة وهناها بالسلامة وجهز الأمير عمرو بن عبيد الله بعد طول مقامه فى القيد والاسر ومعه سائر بنى سليم ونساءهم وأولادهم ووزن المال بصحبتهم وارسل معهم رجال أوصلوهم إلى ملطية فلما رأى الأمير إلى ذلك أطلق البترك ومن كان عنده وسيرهم إلى بلادهم وأحضر الخليفة الأمير والأمراء وأحضر الغنائم والأموال وقسمها على المجاهدين والرجال بعد ما أخرج الخمس إلى بيت مال المسلمين واخرج الأمير عبد الوهاب قسم بنى سليم وأعطاهم مثل ما اعطى الحاضرين لانه علم ان أموالهم أخذت ورحالهم نهبت فشكروه على ذلك ثم ان المعتصم استحلفهم على الوفا فقال الأمير عبد الوهاب للامير عمرو بن عبيد الله انت أميرنا وقائد جيوشنا وامير سائر العرب فطب نفسا وقر عينا (فهذا جرى ههنا) وأما مذبحون بن البطال فانه تعلق بالأمير عبد الوهاب وقال انت تعلم ان ابى البطال له مده وهو مفقود وما سمعت عنه خبر ولا جلية اثر وما اعرفه فى هذه النوبه إلا من القاضى

عقبة وان توانيت عنه هلك وتطول عليه الأيام والصواب ان تقول لامير المؤمنين يسأل عنه ولا يغفل ولا يعطى اهمال وانا اقسم بالله العظيم ان تحققت هلاكه لا ذبحن ألف رجل أولهم عقبة وكل من تعصب له من بنى سليم ودع يجرى ما يجرى واهلك المعتصم واقلب الدول وأنا مذبحون وقد اعذر من انذر وانصف من حذر وبعد ذلك فانى ما أصالحكم ان تغافلتم عن أبى بعد طول الصحبه وما رعيتم له حق الخدمة والأخوه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الأمير ذلك قال يا مذبحون أما فقد أموالى وأولادى أهون علي من فقد أبيك وكيف ينبغى أن أسكت عنه وهو عينى الذى انظر بها ويدى الذى ابطش بها ولا أنا بالقاعد عنه ولا أكل أمره لاحد وسوف ترى ما يكون وها أنا سائر مع المعتصم إلى الموصل وابحث على الأمور وسوف أخذ عقبة ولو كان فى حجر زبيدة فقال مذبحون وأنا أكون معك وقد تقرر لهم وبينهم الأمر على ذلك (قال) يا سادة وأما عبد العزيز فانه وقع له من الغنائم أوفى قسم وزاده الخليفة زيادة على قسمه عشرة آلاف دينار وفعل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة كذلك ولم يبق أحد من بنى كلاب إلا وأوهبه وأعطاه وأصبحت الناس كلها أغنياء وسير المعتصم رجال إلى عبد العزيز العلوى من أشرف الناس حتى صار يركب فى عشرين ألف ففرح بذلك وطاب قلبه وانشرح صدره وكتب اسمه فى ديوان المجاهدين ثم انه قال للامير عبد الوهاب أيها الأمير انت تعلم ان الأوطان للقلوب محبوبه ومن الأنفس مطلوبه إلا أن المقام بينكم عز وشرف وفخر فى الدنيا والآخرة ورغبتى فى تلك لكن لا بد لى من المسير إلى أرض الحجاز والقدوم على الوالدة والأولاد والإخوان العزاز لأنه قد طال شوقى إليهم والوالدة سهرانة الليل وتبكى النهار وليس لها عنى صبر ولا إقدام ولا لهم ناصر ولا معين بعد الله سوايا فلا بد ما أسير إليهم وأجمع شملى بهم وأفيض عليهم من رزق الله وأحملهم من هناك إلى ملطيه ونقيم فى جوارك بالكلية فقال الأمير أقسم بالله يا عبد العزيز إننى ليس لى صبر على فراقك ولا تمضى وحدك إلى الحجاز لكن نمضى كلنا إلى بغداد مع المعتصم وأخليه يكتب الكتب إلى مكة وأن يجهزوا الحريم فى الهوادج ويوصلوهم إلى بغداد ونخرج كلنا إلى لقاهم فاذا حصلوا فى بغداد ويكونوا صحبتنا ونعود كلنا إلى ملطيه ونسأل الله تعالى أن يجمع شملنا بالبطال وإلا فما يصفو لنا عيش بعده أبدا ولا أزال منكدا لأنى كنت أؤمل من الله تعالى أن يجمع شملنا بالبطال وأن لا يفرق بيننا حتى نشتفى من عدونا عقبة وقد كملت المدرة فقال له عبد العزيز يا مولاى السمع والطاعة فانى لا أخالف لك قولا ولا فعلا ولا أعصى لك أمرا هذا

وقد قوى عزم الخليفة على المسير بعد ثلاثة أيام وعلمت أفتونا بذلك وأن عبد العزيز مفارقها فلم تجد صبرا ولا كان لها قدرة على فراقة فكثر غرامها وظهر سقامها وهامت وبقيت ليالى ما نامت وكانت مقيمة عند الأميرة ذات الهمة وقد عولت على أنها تزوجها لسيف الحنيفية (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما كان فى بعض الأيام فى ليلة من الليالى سمعت الأميرة بكاها فى هدوء الليل فأنكرت ذلك منها فدعتها إليها وقالت لها يا أفتونا اعلميني بأمرك وأطلعيني على حالك فقد انكرت أمرك فهذا البكاء حزنا منك على بحرون أم شوقا إلى أهلك ووطنك فقالت لها أيتها الأميرة أما بحرون فقد مضى إلى رحمة الله تعالى وأما وطنى فقد سلوت عن ذلك وطابت لى هذه البلاد ولكن أنا أشكو إليكى حالى ولوعة بلبالى وذلك إنى هالكة بمحبة عبد العزيز لأنه قد عول على الرحيل وليس لى على فراقه سبيل وقد طرحت روحى عليكى وأسألك أن تزوجيني به لأنى خالية من الرجال وهو أيضا خالى من النساء فتكلمى الليلة مع الأمير عبد الوهاب فى ذلك قبل رحيلة فضحكت الأميرة وقالت حبا وكرامة على أن أخاطبـــه فى ذلك وأنا أعلم أنه ما ينتفع به غيرك امرأة وما أقول أنه يخالفنى على أنك ما تصلحين إلا له ولا يصلح إلا لك فقالت أفتونا أيها الأميرة والسيدة الخطيرة إن أنتى فعلتى ذلك ربحتى الأجر والثواب فضحكت الأميرة وقالت هذه ما تعرف غير الكلام لا سيما والهوى يحملها على البلاء وإذا لم أعمل فى حقها وإلا جرى من أجلها تعب ونصب وإنى فى غداة غد آمر ولدى عبد الوهاب أن يتكلم مع الأمير عبد العزيز ولما كان من الغد أقبل الأمير عبد الوهاب فقالت له الأميرة أيها الأمير ما جئت إلا فى وقت الحاجة إليك لأن لى معك حديث فقال لها وما ذلك يا أماه فلا عدمت حديثك فقالت يا بنى اعلم أن ولدك بحرون قد قضى نحبه ولحق بربه والحمد لله الذى مات مسلما شهيدا ولم يمت كافرا ملحدا وهذه الجارية أفتونا فى موضع كبير من الحسن والجمال وقد انقضت عدتها وانتهت مدتها ولا يكن مثلها خالى هن الأزواج فقال لها والله يا أماه لقد صدقتى وما دخلت عليكى فى هذا الوقت إلا بسبب ذلك وأنه قد خطبها منى أجل ما فى ملطيه وأكبرهم قدرا وأكثرهم مالا وأغزرهم رجالا فقالت له الأميرة ومن هو ذلك وددت لو كان الخاطب عبد العزيز العلوى فقال لها هو الأمير عمرو بن عبيد الله السلمى وقد شغف بها وما أمكنه أن يكتم ذلك وقد طلبها من أمير المؤمنين فقال له الخليفة إن أمرها بيد عبد الوهاب لأنها زوجة ابنه وربما يكون له نية أن يزوجها إلى واحد من أولاده وإن كان ذلك فهو أحق بها وإن كان غير ذلك فهم يبادرون إلى قضاء حاجتك وأكون فى مؤنتك وقد قال لى عنها وقد أجبته إلى ذلك وقلت

له لو طلبها ولدى وحشاشة كبدى لبديتك عليه وكنت أنت أولى بها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الأميرة ذلك وثبت إلى عند أفتونا وقالت لها يا بنيه قد سمعتى مقالة الأمير عبد الوهاب وهذا الذى خطبك هو أمير العرب وسيد من ضرب فى البيداء طنب وهو المقدم علينا كلنا فقالت أفتونا أيتها الأميرة دعى عنى هذا الكلام فما تمشى العزمات إلا إلى موضع يهوى القلب ولو كان أمير العرب والعجم والترك والديلم والروم والخليفة بنفسه لما كان لى فيه رغبة إلا لمن وقع فى قلبى حبه وطلبت قربه وإن أنتم غصبتونى على غيره قتلت روحى وأنتم المطالبون بدمى وما أريد غير عبد العزيز العلوى فقولى للأمير عبد الوهاب يغلق عنى هذا الباب ولا يطيل الخطاب فما يهوى القلب غير الأحباب فلما سمعت الأميرة ذلك عادت إلى الأمير عبد الوهاب وأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها (قال) فلما سمع الأمير ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أقسم بالله قسما صادقا إن قلت للامير عمرو بن عبيد الله بما جرى فيقول هذا كله صنعة حتى يزوجها لأحد أولاده ولم يعلم أن قلبها مع عبد العزيز وهواها اليه فبينماهم فى الكلام وإذا بعبد العزيز قد دخل عليهم وسلم على الأمير والأميرة فقاما اليه وسلما عليه وأجلساه معهما فلما نظرت اليه الجارية افتونا وهو معها فى الدار جعلت تكرر نظرها اليه وكاد عقلها أن يطير وقصدت إلى موضع تنظر منه وقد كشفت عن فرق أدعج وخدمدرج وثغر مفلج وردف دابى مدحرج من تحت خصر مختصر كانه خصر زنبور والردف كانه برج خارج من صور وعيون تورث الوسواس والجنون فحانت من عبد العزيز التفاته فرآها ونظر اليها ووقعت عينه فى عينها فأطرق برأسه إلى الأرض مليا ولم يرفع رأسه بعد تلك النظرة وعول على الانصراف فقالت له الأميرة ذات الهمة أيها الأمير الأجل اعلم أن بحرون مضى إلى رحمة الله تعالى والآن أنت عندنا أعز منه وهذه زوجته افتونا بنت ملك من ملوك الروم وهى كما تعلم من الشجاعة والقوة والبراعة والحسن والجمال والبهاء والكمال وكثرة المال ونريد نزوجك بها حتى نفرح بك وبأولادك فقال عبد العزيز أيتها الأميرة قد قيل فى الأمثال إذا أردت أن نطاع اسأل ما تستطاع وأنا أيتها الأميرة مالى فى الزواج أرب لأنى مشغول عن ذلك بالجهاد والعبادة فقالت الأميرة والزواج أيضا من العبادة فقال عبد العزيز مالى إلى هذا سبيل إلى أن تأتى والدتى (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا كله يجرى وافتونا تسمع وترى فلما أن امتنع خرجت اليه وقد عدمت الصبر وقالت لا بد منك ياعبد العزيز وإلا قتلت روحى وتكون أنت المطالب بدمى أو أعود إلى دين النصرانية وتكون أنت سببا لكفرى بعد ايمانى ثم بكت بين يديه وباست رأس

الأمير عبد الوهاب ورأس الأميرة ذات الهمة فعلما أن هذا أمر عظيم جرى عليها من محبته وخجل عبد العزيز وجعل يقول العفو العفو وأما الأمير عبد الوهاب انبهت من ذلك وقال ما رأيت فى النساء من فعل هذا قال ولم تزل به الأميرة ذات الهمة إلى أن أجاب بشرط أنه لا يدخل عليها إلى أن تأتى أمه واخوته وخرج الأمير عبد العزيز من عندهم هذا والأمير عمرو منتظر قدوم الأمير عبد الوهاب اليه وهو بحضرة أمير المؤمنين فى دار الامارة الجديد وأعاد عليه ما قالت انتونا من الكلام وانها قالت لا أريد إلا عبد العزيز العلوى وأنه حدثها بما فى الأمير عمرو بن عبيد الله من الحشم والتقدمة والسلطنة فلم يعمل فى قلبها من ذلك شىء ولقد جرى لها مع عبد العزيز العلوى كذا وكذا وأنه امتنع منها ففعلت كيت وكيت وقد أجاب إلى ذلك بعد صعوبة (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الخليفة المعتصم ذلك قال إذا كان الأمر على ما ذكر فما ينتفع بها أحد غيره وأنا أشير على الأمير أن لا يتعرض لها فتخرق حشمته وما فعلت ذلك إلا ومعها منه هوى عظيم وهو يستاهل أن يحب ولو أنى أريد أن أجعله فى الثغور فى وجه العدو لما كان يكون مقامه إلا عندى ببغداد وقد جمله الله وجمع فيه الخصال الحسنة من العقل والشجاعة والعفة والصيانة والشرف (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله كلام أمير المؤمنين فى حق عبد العزيز سكت ولم يتكلم بحرف واحد وعلم أن عبد الوهاب والجماعة الكل يميلون اليه فانكسرت نفسه ولم يمكنه مخالفتهم لأنه عتيق أسيافهم وقريب العهد بالخلاص من الأسر فسكت على مضض وابن آدم حريص على ما منع منه (قال الراوى) فلما كان اليوم الثانى حضر الأمير عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة وسائر الأمراء فى المجلس والكل بحضرة الخليفة والقراء وغيرهم وحضر أيضا الأمير عبد العزيز ففرحت الناس بذلك وعقد الخليفة العقد بنفسه والأمير عمرو ابن عبيد الله حاضر وقد زاد به أسفه وكثر عليها تلهفه ولو كان أحدا غير عبد العزيز لما قدر على ذلك الأمر العظيم (قال الراوى) وفى اليوم الثالث استخلف الامير عبد الوهاب ميتم الأشبال على رجاله وسلم اليه خزائن أمواله وأقامت الاميرة فى بنى كلاب والسودان الانجاب وعمرت ملطية حتى كانها لم تخرب وقد قيل فى الامثال روح المنازل السكان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأراد الامير عمرو أن يسير بصحبته الخليفة فمنعه من ذلك وقال له أنت ضعيف البدن مما جرى عليك وكذلك بنى سليم وقد طرحت عنكم الخدمة فى هذه النوبة فدعوا له وشكروه على ذلك وقبل الارض بين يديه ورحل الخليفة والأمير عبد الوهاب بين يديه فى خمسة آلاف فارس من بنى كلاب والامير عبد العزيز العلوى وقد

وقد شرفه المعتصم ونشر الاعلام علـــى رأسه مثل ما فعل بالامراء وفرح الامير بذلك واعجبه همة الخليفة واهتمامه وأخذ الخليفة مطرون الراهب واختاره طبيبا لنفسه وجعله مشرفا على حكماء العراق وسارت جميع الناس ومذبحون بن البطال فى جملتهم متظاهر بالحداد وقال والله لا خلعت عنى هذا السواد حتى يظهر خبر أبو محمد البطال وما يكون قد سلم من بلاد الروم والجزائر ويؤخذ فى بلاد الاسلام فقال له الخليفة المعتصم أبشر يامذبحون اذ لم يكون هلك فى الوقعة وإلا فهو عائد اليك ان شاء الله تعالى واعلم انه عندنا كما هو عندك فى منزلة الوالد (قال الراوى) ياسادة وساروا القوم إلى أن وصلوا إلى الموصل فطلبه الخليفة وسأل عنه فلم يذكر أحد أنه رأى البطال لا فى ليل ولا فى نهار فقال المعتصم للامير عبد الوهاب أليس لو كان البطال دخل إلى الموصل ما كان يراه أحدا من أهلها فقال له يامولانا نحن قد سمعنا أن القاضى عقبة دخل إلى بغداد فسلمه إلى مذبحون حتى يريك كيف يظهر خبر أبوه البطال فقال الخليفة لوأصيب واحد منكم تحت الأراضين السابعة لما سلكتم إلى ذلك الشيخ المسكين ياقوم لقد صح عندى وعند كل مسلم وعند عبد العزيز ان الذى كنتم ترونه فى بلاد الروم ويأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر والعصير ويكفر بالملك القدير وقد تبين للناس ماهو عقبه وانه يشبهه ليقع هذا المسكين فى المصائب بسببه فقال عبد العزيز أما الشيخ الذى قتل فما بينه وبين هذا الرجل خلاف لأن القد القد واللحية اللحية والوجه الوجه فما ذاك اسمه شمعون بن بولص وقد قتل ومضى إلى لعنة الله (قال) فتعجب الأمير عبد الوهاب وقال لولده سيف الحنيفية قد أحرق هذا الملعون كبدى وحيرنى فى أمرى ولكن ما أدرى كيف انقدحت به هذه النوبة ولا كيف ظهر فى الروم واحد مثله وقتل حتى تبرأ ساحته عند المعتصم ومايسمع فيه قول أحد والصواب نعول على تركه الى أن يشاء الله بفضيحته فقال الأمير سيف الحنيفية أنا لا أترك هذا القرنان يعيش ولا أخرج إلا به ولو سفكت الدماء فيها واقتله وإلا ما أكون سيف الحنيفية ابن عبد الوهاب (قال الراوى) ولما رحلوا القوم وساروا إلى أن دخلوا إلى بغداد وقال المعتصم لابد من الجمع بينكم وبين الرجال وأسلمه اليكم وافعلوا مايليق بكم فقال مذبحون ياأمير المؤمنين إن ظهر أبى عنده فأنت تعلم أن كلما يقال عنه صحيح فقال له نعم رضينا بذلك يامذبحون (قال الراوى) واتفق الأمر على ذلك وزينت بغداد لقدوم أمير المؤمنين وفرحوا الناس بالأمير عبد الوهاب وانثروا على بنى كلاب النثار وكذلك الأمير عبد العزيز العلوى لان أخباره كانت وصلت اليهم ولم يبق أحدا من الأشراف إلا وقد خرج اليه وسلم عليه وأنزلوه فى الدار التى كان

الأمير عبد الوهاب ينزل فيها وأقام الأمير عبد الوهاب عند الخليفة وسأل عن القاضى عقبة لانه علم أنه كان ببغداد وانه لما سأل عنه فقيل هو عند السيدة زبيده وقد زاد فى عبادته عن ما كانوا الناس يعهدونه وهو لاينام الليل ولا يفطر بالنهار فقال المعتصم قد صح عندى حال هذا القاضى ولكن المسكين قد بلى بما لاطاقة له به من قوم ظلمه فالله تعالى يعينه عليهم (قال الراوى) وإن الأمير عبد الوهاب قال لمذبحون اعلم أن أمير المؤمنين لابد أن يحضر عقبة وهو رجل كثير اللجاج وأكبر مايقوله ويلزمه بأن يقول له احلف أن ماعندك منه خبر فقال مذبحون ماقصدى إلا أن يحلف حتى أنزل به النقم فأنا عرفت أين أبىهو وإنما أردت الكتمان وسكت عنه حتى أجعله سببا لهتك ستر هذا القرنان عند المعتصم وعند الناس وعند عبد العزيز ولا أفعل ذلك إلا بين يدى أمير المؤمنين وأنا أخرج بعد ذلك أبى من الموضع الذى هو فيه فقال الأمير عبد الوهاب وقد تعجب من قول مذبحون وعظم عليه صبره ها أنا الساعة أدخل على المعتصم وافعل ماشئت وأنا أكون معاونك فى هذه الأمور والمشكلات فطب نفسا وقر عينا وقد عجب منه كل العجب إلا انه بين المصدق والمكذب من كلام مذبحون (قال الراوى) وكان من حديث مذبحون إنه لما دخل الموصل مع الخليفة أقام بها ثلاثة أيام وكان البطال سأل عنه المعتصم كما ذكرنا فلم يعطه أحد عنه خبر ولاوقف له على أثر فعظم عليه وكبر لديه وبكا مذبحون وأيس من أبوه وصار يندبه ويبكيه واستحيا من الناس أن ينتحب فى بكائة فلم يشف له غليل وأراد أن يشفى غليله بالبكاء والنحيب فقعد بالجبانة بين قبرين وجعل يفكر فى أمر أبيه ويبكى عليه كيف دهى فبينما هو كذلك اذ حانت منه التفاته إلى ورائه وإذا هو بامرأة قد استترت بحائط تربة وهى تبكى بحرقة وتقول فى خلال بكائها إلهى وسيدى ومولاى حكمت على بالغربة فرضيت وقضيت على بالمملكة فصبرت على ماقضيت وملكتنى لرجل ظالم غاشم نصرانى كافر فما اعترضت عليك فى قضائك ولم أجد قدرة على دفع بلائك وأنت تعلم أنه قد طغى وفى ضربه لى قد تعدى ويطلب أنه يميلنى عن شريعتك وعن دين نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تطردنى عن بابك وعن رحمتك يامولاى فافعل ماشئت وان كان هذا رضاك فزدنى من بلاك (قال الراوى) فلما سمع مذبحون كلام تلك المرأة اقشعر بدنه ثم وثب اليها وسلم عليها وقال لها ياهذه والله لقد زدتينى حزنا على حزنى وشغلتينى عما كان بى من فراق أعز الناس على وأحظاهم لدى فاذكرى لى حديثك وقصى على قصتك وسبب بكائك حتى أذكر لك سبب بكائى وعلى ان شاء الله خلاصك وان لم أقدر على ذلك وزنت ثمنك ولو بالف دينار واعتقك

لوجه الله تعالى (قال الراوى) فلما سمعت كلامه أنست اليه وقالت له يا مولاى وأنت من أهل الموصل فقال لا والله بل أنا رجل غريب مقروح الفؤاد وكثير السهاد أستأنس إذا رأيت حزينا فقالت له يا مولاى أعلم أننى مملوكة لرجل نصرانى أكثر الناس مالا وأكفرهم بالله تعالى واقساهم قلبا وأنه يحملنى مالا أطيق لأجل اسلامى وأنى شكوت حالى إلى الناس وهو يضربنى وكل من عاتبه من المسلمين من أجلى أو خاصمه على فيعطيه أشياء كثيرة ويغالطه فيسكته ويصف له عنى قبيح فيأمره ذلك الرجل بضربى ولم أزل على هذا وقد صارلى عادة إلى أن جاء لنا فى إحدى الأيام شيخ لاقرب الله له دار فما هو إلا من الكفار فأقام عندنا فى الدار يومين وعرف قصتى فقال لمولاى ويلك وما الذى تنتظر بها فأما أن تتنصر والا فاقتل ما أقبل على وقال لى يا جارية أنى أعرف الشرائع كلها والأحكام به من النصرانية والاسلام وانى أشير عليكى انكى تتبعى دين مولاك فليس دين غيره فامتنعت من ذلك فضربنى ضر بالو وقع على الجبال ما تارت لكن الله تعالى حمله

وأعطانى الصبر على البلاء العظيم وطلبت منه المهلة فى ذلك فأمهلنى حتى يسأل روجته وبقيت بعد ذلك مفكرة فيماذا أصنع وإذا أنا بزوجة مولاى قد أقبلت عند الصباح على وهى نصرانية ثم قالت لى يا سعيده فقلت لها لبيك فقالت لى صحيح انك كنتى على سعيده كيف أقول حتى أصير مسلمة فقلت لها تقولين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فتشهدت وقالت مثل ما قلت لها واستبشرت وقالت اشهدى على وها أنا وأنت فى دين الله تعالى وانى برئت مما كان من سائر الأديان والكذب والبهتان إلا ما قاله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مقرة بنبوته تابعة لرسالته وأقر بواحدنية الله سبحانه وتعالى انه واحد لا شريك له وليس له والدولاولد وأعلمك أن السبب فى ذلك وهو انى كنت البارحة نائمة وانا مفكرة فى حسن صبرك فيما وقعتى فيه وأنتى حافظة لدينك إذ غلبتنى عينى بالنوم فرأيت فى نومى كاننى قد أشرفت على موضع لو وقعت فيه السموات والأرض لغابت وهو كانه يتأجج نار ثم نظرت إلى قعره وإذا فيه زوجى وذلك الشيخ معه وقائل يقول هذه بقعة الفجرة الكفره واستقبالهم إلى هذا الجحيم فتحيرت من ذلك فأخذ ذلك الشيخ المتكلم بيدى وأتى بى إلى موضع فيه أنواع النعيم وفيه قصور عالية شاهقة فى الهوى وجبال مسك وكافور وأنهار من لبن وعسل وماء ورد وفيها مراكب من الياقوت وهى تسير باقوام تزهو على الشمس والقمر نورهم ورأيتك يا سعيدة معهم فقلت يا سعيده فحال بيننا ذلك ذلك الشخص وقال لى نعم سعيده وقد وصلت إلى ما تريد بحسن صبرها فقلت له بالله

عليك إلا ما تركتنى أصحبها فقال لى والله لا صحبها إلا من هو مثلها ويعمل بعملها ويقول هو لها ثم فارقنى واستيقظت وأنا باكية وما أصدق اننى عائدة إلى الدنيا وها أنا قلت بمقالتك وقد صرت من أهل دينك فاكتمى على ذلك إلى أن يفرج الله عنى وعنك ما نحن فيه وأنا فلا بد ما أعمل على قتل هذا الملعون زوجى وهذا الشيخ اللعين الكذاب وأعيش أنا وأنت فى نعمة مع أولادى الصغار ففرحت وقلت لها بالله يامولاتى من الذى كان يحرضنى على الكفر بالله تعالى فقالت كان عقبة الملبس فى دينه الجاحد لربه الخائض فى غيه ثم انها حدثتنى عن خبرها وانه مع ذلك مسلم منافق وهو عند المسلمين بالمرتبة العاليه فهذا ما حصل وما أنت بحديثك فقال مذبحون وقد أيقن بالفرج على يديها لما تذكر عقبة اللعين اعلمى ان لى والد يقال له أبو محمد البطال طول عمره يجاهد فى سبيل الله وانه دخل الموصل من مده وانقطع خبره عنى فلم أدرى بعد ذلك ما كان ومالى عدو إلا عقبة الملعون الذى ذكرتيه وقد ألبست السواد كما ترى من أجله فقالت له يا فتى لك البشارة ان كان لك على خلاصه جساره وان كان خلفك رجال ينصروك فقد جمع الله شملك بأبوك فقال مذبحون وقد طار قلبه وكيف ذلك فقالت هذا الشخص الذى ذكرته عندنا فى الدير لكنه فى سرداب تحت الأرض وفى رجليه ثلاث قيود ويديه مربوطه إلى أوتاد حديد وهو فى الأرض اسفلى فى هذا الموضع وذكر لى ان هذا الشيخ الذى يقال له عقبة قد احتال عليه وأوقعه ومعه شخص آخر يقول لأبوك يا مولاى فقلت لابن مولاى من هذا فقال هو رجل يقال له أبو محمد البطال وهذا الذى معه غلامه واسمه لؤلؤ ولم أدرى ما شأنه ولما كان فى هذه الأيام رأيت مولاتى وقد خاطبت زوجها فى دين الاسلام فعظم عليه ولم يظهر لها ذلك بل قال لها إن كان قلبك قد مال إليه وقفتك عليه فقالت له نعم واننى قد أسلمت وآمنت بالله رب العالمين ورأيت حالك فى المنام وقد جازت عليك الأحكام لكفرك بالملك العلام فوثب اليها وضرب رأسها بالسيف وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عطف على فقلت له يامولاى أنا مالى فى هذا ذنب فقال نعم أنى كنتى السبب فى اسلامها ثم طلبنى فانهزمت منه إلى الباب وإذا برجال يطلبوه من حاشية الخليفة لأنه عامل البلد فلما رآهم أخفى السيف فمع غفلته انهزمت وهو مشتغل بهم وبما قد جاؤا فيه وخرجت أنا من فرط الخوف هاربة على وجهى طالبة النجاة من ربى ولا أعلم موضع ألتجىء إليه ولا من أعتمد عليه فساقتنى المقادير إلى هذا المكان كما ترى ولى ثلاثه أيام آوى فى الليل إلى الحرم وفى النهار ههنا فقال لها مذبحون الله أكبر أبشرى يا هذه فقد

فرج الله عنك وانى إن شاء الله تعالى زوجك فى الدنيا والآخرة وسوف أشفى قلبك من مولاك ومن ذلك الشيخ فانطلق بين يدى وأرنى الدار من بعيد فقامت تمشى بين يديه إلى أن قربت من الدار وأشارت إليها فعرفها ثم أخذ الجارية وخرج من الموصل وأتى إلى العسكر ودخل بها خيمته واتفق رحيل الخليفة إلى بغداد ومذبحون قد عول أن يجعل هذا سببا لهتك ستر عقبة وقد كان قال للجارية هل قتله فقالت ما يقدر يقتله لأن عقبة قد أوصاه بحفظه فكتم أمره حتى يتم له ما يريد من ذلك ورأى من الجارية سعيده شىء من العبادة ماقد زهده فى الدنيا وقال كم لله تعالى من عبيد صالحين من الرجال والنساء ثم حملها معه إلى بغداد وقد كساها وأكرمها ولم ينظر إليها ولاتحقق لها صورة (قال الراوى) وقد عدنا إلى سياق الحديث وذلك أنه لما جلس المعتصم فى دست الخلافة سأل عن عقبة فقيل له عند السيده زبيدة فدعاه إليه فحضر وحضر أهل العلم بأسرهم زيادة عن ألف من سادات النـاس من الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء والفقهاء والفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والكبراء وحضر الأمير عبد الوهاب والأمير عبد العزيز العلوى والراهب مطرون وقد لبس البياض وتعمم وجلس مع أصحاب الكلام (قال الراوى) يا سادة فأول من تكلم فى المجلس كان عقبة وطرح مسائل على العلماء فأجابوه فقال لقد أحسنتم لكن عندى زيادة تأويل ما لا تهتدون أنتم إليه ثم أنه تكلم فأذهل الحاضرين وأعجب السامعين وأخرس ألسنة المتكلمين والناطقين وبكى أكثر النـاس من حلاوة لفظه وبديع كلامه وبكى الأمير عبد الوهاب والأمير عبد الغزيز العلوى مما لحقه من السماع ومما ذكر من النار وسعيرها وشوق إلى الجنة ونعيمها وقال الأمير عبد الوهاب والله ما دخل مسامعى كلام أحسن من كلام هذا الملعون لولا أنه كان كافرا برب العالمين فسبحان من طمس على سريرته وطرده من باب رحمته وأحرمه من جنته وقال فى نفسه من كانت هذه المواعظ مواعظه كيف يدخل عليه الذلل حتى طرده عن بابه عز وجل (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم تكلم مطرون فى الأصول وعلم الطب والحكمة (قال الراوى) ولم يزل الملعون مطرون فى كلامه حتى أعجب الناس وتكلم مع الأطباء فأعجبهم وأعجب عقبة وسأل عنه فأخبروه بحاله وأخبروه أنه مسلم على مذهبه لأنه استنشق منه روائح الكفر والنفاق (قال الراوى) يا سادة وأهل البلاء يعرفون أهل البلاء وسأل عقبه عن حاله فغمزه وطلب بذلك مدحه بين الناس وقال له أرى لى حتى أرى لك فقال له مطرون لقد فاح المجلس بعظم نشرك وفضائل ذكرك فما لاحد يا قاضى مثلك لأنك عدة لنا على الكافرين وبستان هذا الدين

وجمال الموحدين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك وثب مذبحون وقال دعونا من النفاق والشرك والشقاق فنحن بأحوال بعضنا بعض عارفين وأنا أسأل من انعام الله ومولانا الخليفة أمير المؤمنين أن يسمع كلام خادمه المسكين فقد انقضى مجلس العلوم وحضرت الخصوم وأمير المؤمنين يعلم أن قلبي فيه من فقد والدى البطال كلام وهو خادم دولتك وغرس نعمتك وربا أباك فقمع الله من شتاك فما مثل البطال يترك سدى وتشتفى بالضرب منه العدا وان أهمل مولانا أمير المؤمنين أمره اندرس ذكره وما لاحد من الناس يكشف مظالمه غير أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين والذاب عن الموحدين المجاهدين وما من أحد من الناس إلا وله فى البطال راجية بالقول والعمل وفقده يحوجنى إلى خوض الاهوال وأقتل لفقده ألف ألف ولا أبال وأهلك الرجال ولا أدع أحدا يتهنى بالماء الزلال واحرم الناس النوم فى الاطلال ولا أتهم به أحد غير القاضى عقبة لانه رأس كل بلية ونكبة ولا أعدل إلى سواه ولا أطالب إلا إياه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع ذلك عقبة ضحك عاليا إلا أنه بادر وقال سبحان الله لو كان المؤمن صب فى حجر لقيض الله له شيطانا يؤذيه لانى أنا والله يا بنى مادخلت الموصل إلا وأنا خائف منكم وأتيت إلى بغداد وأنا أدعو لكم ليلا ونهار لانكم منى والى وما كان يفسد حالى معكم إلا ذلك البطريق الذى كان يشبهنى وتقولون أنه القاضى عقبة لأنه كما قيل لى عنه أنه كان يشبهنى وقال لى ولدى وكذلك وقال والله ظننتك اياه وقد رأوه المسلمين وقد قتل وأزال الله عنى ألسنة المشبهين وبرئت ساحتى بهعند أمير المؤمنين وبعد هذا ما أبالى ما كان منى وقد وهبت للأمير عبد الوهاب ما كان بينى وبينهم وكنت أدعو لهم فى السر والجهر ومولانا أمير المؤمنين يشهد لى بذلك فدع عنك الهوى ولولا سأل عنى أمير المؤمنين ما كنت إلا فى مكة إلى أن يدهمنى الموت ولا يجب على فى الشرع الشريف إلا اليمين وأنا أحلف لكم على المصحف الشريف أربعين يمين أننى ما أعلم خبره وان ظهر عندى يكون دمى لكم مباح وكلما يقال عنى صحيح وأكون كافراً كما تزعمون هذا وعقبة يعلم أن البطال ودموع فى مكان لايهتدى اليه أنس ولا جان وقال فى اسره أقسم قسما لا أعود اخرجه من هذا المكان أبدا ودعه يموت فيه كمدا وأن ظفرنى المسيح لابقيت منهم أحدا هذا حديثه فى نفسه وهو مطمئن القلب من هذا الوجه ولا يدرى أن الله إذا أراد أمر بلغه فقال مذبحون دع عنك هذا الاحتجاج فما يغنى عنك شيئا وأنا أعرف الناس بك فأنت رجل ههنا قاضى وأنك عندهم مسلم وأنت عندى وعند المجاهدين كما تعلم فلا تطيل الخطاب وحق راس أمير المؤمنين أخرجت بخنجرى أمعاك

ولو كنت فى حجر من رباك فما أنا ممن يندفع بدعواك وإنى أضربك فى أحشاك فقال المعتصم أنا أشهد يامذبحون أنه كان يبكى على فقدكم ويدعو لكم فقال مذبحون يامولاى أنت لك الظاهر والله المطلع على مافى السرائر فقال المعتصم يامذبحون وأيضا هذا الراهب يشهد أنه كان فى بيت المقدس يدعو لكم عليكم ولا يدعو وهو على غاية من العبادة وقد فنيت الأعمار وانتم فى الخصومة فاحسبوه أنه بينكم كافر وهو عندكم غير مسلم وقد بان لى كلما يقال عنه محال وزخاريف أقوال ولو كان الأمر على ماذكرتم لكان له فى بلاد الروم متسع وأنا أسال الأمير عبد الوهاب أن يهبه إلى والسيدة زبيدة ولجميع المسلمين فان ظهر عليه شىء مما تقولون فحينئذ نقابله على ذلك بما يستحقه (قال الراوى) يا سادة والناس مع سلطانهم فلم يبق أحد إلا ومدح عقبه وتكلم فى حقه بالخير وأثنوا عليه وقال المعتصم للأمير عبد الوهاب أنا أشهد ياأمير انك ماتقع فى الشدائد الا يخلصك هذا الرجل ثم يخلصك الله عز وجل ببركة الجهاد ثم ترجع الى ما كنت عليه فى الأول وقد تحيرت فى هذا الأمر بينكم من زمان آبائى واجدادى الخلفاء الراشدين (قال الراوى) يا سادة فعند ذلك وثب الراهب مطرون قائما على الأقدام وقال يا امير المؤمنين أنت تعلم انى كنت نصرانيا أعلم من فى الملة المسيحية وأنا مقيم فى ذلك الدير الذى أخذتمونى منه وما كان أحدا يقول أننى أفارق دينى ولا اهل ملتى إلى من الله على وعرفنى الاسلام وفتح على باب الايمان ولقد نزل علينا أمير المؤمنين الرشيد بالله قدس الله روحه ونور ضريحه فى الموضع الذى نزلتم أنتم على فيه حول الدير وكان قد رجع إلى بلاد الاسلام من بلاد العدو وأخذ الأموال والرجال وأنه لما نزل على الدير ودخل إلى هذا عقبه وعليه العمامة والطيلسان وخلا لى وقال لى يا راهب هل لك فى المناظرة قلت نعم وأنا مدل بنفسى فأنى أعلم أهل الأرض فى دين النصرانية من جميع الأنام وإن هذا الشيخ لما تكلمت معه قهرنى فى كذا وكذا وجه ولم أقدر أن أتكلم معه فلو كان لى سعادة كنت أسلمت على يديه ولكن كان لى بعد فى دين الضلال شقوه ومن ذلك اليوم انكسر قلبى عندى وبغضت دين النصرانية ولكن أكون معيرة عند الناس إن أنا خرجت من دينى ويسمعون عنى أن ذلك الشيخ غلبنى ولقد كان يتكلم معى ويبكى ويقول يا شيخ لو علمت حقيقة الاسلام لما رضيت لنفسك بالكفر والآثام ولم أجتمع به بعدها فلما كانت هذه السنة الذى خرج فيها الملك أرمانوس خزاه الله يريد بلاد الاسلام رأيت معه بطريق يقال له شمعون بن بولص كانه هذا القاضى عقبه بعينه وكنت مشتاق إلى رؤيته فاعتقدت أنه إياه وبقيت مشكك فيه حتى ناظرته وتكلمت معه فوجدته مثل الحمار ولا يعلم ولا يفهم فقلت سبحان الله الخالق

المصور الخلقة واحدة ولكن بينهما تفاوت فى المنطق والعلم فلما عادت المنهزمين سألت عنه فقيل لى أنه قتل وكان أشبه الناس بهذا القاضى عقبه وأنا أحلف بالله العظيم خالق الليل والنهار بأن هذا عقبة مسلم مافى الاسلام مثله ولا أرى شكله ولا مثل دينه وعمله وحسن يقينه إلا أن يكون فيه مالا أعرفه (قال الراوى) ياسادة وكان هذا الكلام لعقبة براءة عظيمة فالأحد مثلها فقال عبد العزيز العلوى وأنا لقد رأيت هذا القاضى عقبة وهو ينادى فى الحرب معاشر المسلمين أين من يغار على دين الاسلام أين من يشد بأمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام الحمية الحمية الدين الدين وهو يحرض الناس على القتال ويطلب نصرة دين الاسلام ومن يكن هذا الفعال فعاله مايكون كافر ولا محتال فاقتصر على هذا المقال والفعال فقال المعتصم معاشر المسلمين قد وعدنا مذبحون أنه يهتك ستر عقبة بين الخلق وتصدر عقبة بين الخلق وحلف أربعين يمين أنه مايعلم للبطال خبر ولاوقف له على أثر وأنه أشفق الناس عليه (قال) واقشعرت الأبدان من أيمانه ثم انه قرأ بعد ذلك ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ونادى يارب العزة ما أردت ذلك ولكن أحوجنى اليه مذبحون ثم بكى (قال الراوى) فعند ذلك تقدم اليه مذبحون وجمع بصقة كبيرة وبصق فى وجهه وقال له يالعين قد هتك الله سترك وأظهر كفرك ليظهر للامام صحة قولك ونفاقك ثم قال مذبحون يامولانا أريد عشرين شاهد يكونوا عدول تقبل أنت شهادتهم أنهم يشهدون بالحق وأريد مائة غلام من غلمان الدار وأنا أسيرمعهم إلى الموصل وكل من يتعصب لعقبة معى حتى يتضح لهم الحق وينظرون من أن يخرج أبى وعند من هو وآتيك بمن هو عنده وأضربه بين يديك حتى يحدثكم بجلية الحال والخبر وكيف كان اخذابى البطال وتعرفون الرجل من هوواقيم الشهادة عليه بانه شريك عقبه ومعامله (قال الراوى) يا سادة فلما سمع عقبة ذلك أصفر وجهه وأضطرب كونه وسكن حواسه وخمدت أنفاسه وأظهر اجلاده فقال المعتصم يا مذبحون دونك وما تريد فقد أمرنا الشهود بالسير معك ويعلموا صحة قولك ومعهم مائة من الترك من غلمان الدار غير العرب حتى يكون ذلك ابرياء لساحتك وما قصدنا الاخلاص أبيك البطال على كل حال وبيان الصدق من المحال فعند ذلك أخذ مذبحون الشهود والأتراك وعشرة من المتعصبين لعقبه وكانت السيدة زبيدة قد أمرتهم بالمسير هذا وعبد العزيز العلوى وعبد الوهاب قد بهتوا من فعال مذبحون ولا أحد منهم يعلم باطن هذه القصة (قال الراوى) يا سادة ياكرام هذا والمعتصم قد وكل بمذبحون الترك خوفا لا يهرب وقال ما أظن لهذا الكلام صحة ولا سبب ومافعل مذبحون هذا إلا وأراد الهرب وأختفت عند ذلك إلا هويه وإلا قاويل فقوم قالوا ان مذبحون خلط ونشب بين يدى أمير المؤمنين وأراد أن ينصر هواه وقوله إلى أن يصل

إلى الموصل ويهرب وبلغ زبيدة هذا الخبر فقالت كم يتهموا هذا المسكين الشيخ الضعيف والله لوصح عندنا ما يقولون فيه لأحرقناه ولكن الأمر بخلاف ذلك وأقاموا الناس ينتظرون ما يكون وبما تخبرهم الشهود (قال) يا سادة وأما مذبحون فانه جد فى سيره إلى ان وصل إلى الموصل (قال الراوى) يا سادة فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من النصرانى عامل عقبة فانه لما فقدت الجارية سعيدة عظم عليه وكبر لديه وصار يتوقعها وخاف أن يتم عليه حيله أو أمر من الأمور ويخرج حديث البطال إلى أحد ويظهر عنده فيقتل وتنهب أمواله تسبى عياله فأخرجه من ذلك السرداب ونقله إلى سرداب غيره ولكن هو فى الدار مابرح وما كان غير قليل حتى كبس عليه مذبحون وقال له ويلك أين البطال فقال النصرانى ومن هو البطال فقال مذبحون ياقرنان دع عنك المحال أما هو الذى أتى به عقبة اليك وهو عندك فى سرداب فى دارك وحديثك كله عندى وقتلك لزوجتك حين أسلمت فذهل عقل النصرانى وصار يحلف ويبكى فقال مذبحون يا ملعون أنا أعلم أنك ما تقر هكذا ثم أنه ضرب النصرانى حتى أشرف على الهلاك وكاد أن يفارق الدنيا فلما علم النصرانى انه إن لم يقر هلك فخبرهم بما جرى وأخرج البطال وغلامه وهو على غاية من الضرر والبؤس والعيش المنحوس فلما نظرت الشهود إلى ذلك عظم عليهم وكبر لديهم وبكوا على حال البطال وكتبوا الشهود المحاضر وكذلك أهل الموصل شهدوا أن عقبة معامله فى الأموال وأخرجوا زوجة النصرانى وهى مقتولة مدفونة فى مكان آخر فكشفوا عليها فوجدوا فيها ضرب بالسيوف وقد أقر أنه قتلها بسبب أسلامها فأخذوا الجميع وساروا إلى بغداد وكان يوم دخولهم يوم عظيم مشهود وأخبروا المعتصم بقدومهم وخلاص البطال وغلامه فقال المعتصم غدا يكون الموافقة والجلوس لهذه القصة والله لقد سرنى خلاص البطال وإنى كنت كثير الأشتياق اليه وسأل الأمير عبد الوهاب على ذلك من البطال فأخبره بالقصة فتعجب المعتصم وقال لمذبحون هؤلاء علمنا كيف كان سبب وقوعهما فأنت أين علمت بقتلة زوجة النصرانى فأعاد عليه قصة الجارية سعيده فبكى الأمير عبد الوهاب وقال كان وصولنا إلى الدير سبب لخلاص ذلك العبد الصالح وحبس أبو محمد سبب لتلك الجارية واسلامها وتوفيقها للطاعة وأين هى يا مذبحون قال تركتها عند قوم صالحين إلى ان تنكشف هذه النوبة وأتزوج بها بعد أن أطلبها من أمير المؤمنين ثم أحضرها بين يدى الأمير عبد الوهاب فرآها جارية جميلة الصورة وعليها آثار العباده فقال لها الأمير يا سعيده لكى البشرى فى الدنيا والآخرة (قال الراوى) لهذا الكلام يا سادة يا كرام ولما كان

فى اليوم الثانى جلس الخليفة وحضرت أرباب الدولة والاشراف وانعقد المجلس وحضر الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وعبد العزيز العلوى والنصرانى والبطال ولؤلؤ قيام الحالة التى أخرجوه بها من السجن وعليهم الجبب الصوف والاغلال فى أعناقهم وأرجلهم وأيديهم فلما نظر المعتصم والحاضرين إلى ذلك رقوالهم وبكوا على حالهم وقال الخليفة يا أبو محمد الحمد لله عــلى سلامتك فبحق من أفرج عنك ما كنت من الضيق إلا ما أخبرتنا بالحق فقال البطال بكلام ضعيف يامولانا وحق من تكلمت فسمع وان كتمت شيء فى نفسى علم وأنطق الألسن بعد بكمها والآذان بعد صممها وقدر الآجال وحتمها ويعلم مافى السرائر والضمائر وزين السماء بالنجوم ونظمها وأتقن الأمور وأحكمها وأجرى الرياح ونسيمها وأنشأ السحاب وبالماء أشحنها إن كان أوقعنى أنا وغلامى لؤلؤ فيما كنا فيه من العذاب والأمور الصعاب بعد الله إلا عقبة وسلمنا إلى ذلك الكلب النصرانى وإن لم تصدقنى يامولانا فاحضر الجارية حتى تحدثك بكلما جرى حتى تعلم أننا صادقين فوالله أنه متظاهر بذلك الزى حتى يزول عنه الشك بكلما جرى فى قلوب الناس فقال المعتصم الآن ياأبو محمد حلطت فى كلامك وحلفت عن شيء كنت غائب وهذا لا يجوز لأن شمعون بن بولص قتل بين الصفين والناس تنظره بالعين ولا كان عندك غير هذا الملعون فقال مذبحون للنصرانى ياويلك أنت بين يدى الخليفة وما بقى ينجيك غير الصدق فى المقال فقال النصرانى لما رأى عقبه ما أعرف ما تقولون وأنتم نقبتم دارى حتى تأخذون مالى ومال أمير المؤمنين منها وان أردتم أخذ أموالى نخذوها بغير هــذا الوجه فقال مذبحون يا كلب النصرانية تقول فى هذا الوقت هـذا الـكلام والشهود شهدوا باقرارك فقال أنت برطلتهم بالمال على وهم يريدون هلاكى ولا هلاك مسلم وأنا أشهدتهم على حتى أنتظر وجه الخليفة لأنه ينظر فى الـكلام والأحكام ويأكلنى السبع ولا يأكلنى الذئب فقالت الشهود ياأمير المؤمنين والله العظيم ما قال مذبحون إلا حقا فقال مذبحون وأنتم ما يلزمكم يمين فقال النصرانى اعلم يا أمير المؤمنين انى علمت انى ما ينجينى من القتل إلا إقرارى لهم ويــكون سببا لايصالى بين يديك فصعب على مذبحون فاستأذن أمير المؤمنين وصاح على الرجال ومد النصرانى وضربه ضربا وجعيا فقال له وحق المسيح أنا أحدث مولانا بالصحيح وسلامة روحى أكبر الفوائد فاطلقوه فحدث الامام بالقصة من أولها إلى آخرها فقال المعتصم ومن قبض على البطال قال عشرة من النصارى خرجوا عليه بالسيوف وأخذوه من مسجد خراب فتحير المعتصم والحاضرين من ذلك وصاروا يرمقو العقبة شذرا وقالوا المذبحون ومن أعلمك أنت بهذه الأمور

فقال الجارية سعيدة وأعاد حديثها إلى آخره فبكت الناس من سماع قصتها وطلبوا منه احضارها فقال سمعا وطاعة فأحضروها فأخبرتهم بما جرى لها من أول الكلام إلى آخره فكان كلامها أوجع القلوب فقال لها مذبحون من هواشر الناس عليكى قالت شيخ يسمى عقبة وهو نصرانى فقال لها المعتصم ياسعيدة ان فى مجلسنا شيوخ عدة فانظرى اليهم فأدارت عينها فى الناس فرأت عقبة بينهم فقالت ياأمير المؤمنين هذا الشيخ الأعور وحق من أرسى الجبال بقدرته ومد الأرض بعظمته فتغيرت ألوان الجميع ونظروا إلى عقبة نظر الشنيع (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع عقبه ذلك ضحك ضحكا عاليا حتى أرمى روحه إلى الأرض وقال والله ان هذا منكم عجيب وقد انفطرت منه مرارتى لكن الآخرة خير وأبقى وأنا هانت على روحى وقد زهدت فى الدنيا الساحرة وأنت تعلم ياأمير المؤمنين ان شهادة المؤمن على الكافر مقبولة وشهادة الكافر على المؤمن غير مقبولة ولعل يكون هذا النصرانى معلما على وانكاره فى الأول صناعه واقراره ثانيا حتى تقتلنى بسببه وأنا عالم من علماء المسلمين وأمام المتقين وهذه الجارية فى الرق وما أسلمت إلا من العقوبة كما تقول أو كانت مسلمة وحصل لها شىء وما نعلم أن تكون عشقت مذبحون ولقنها هذا كله (قال) ثم أن عقبة قلع طيلسانه وخرق لباسه فبان للناس من تحت الثياب جسد بالى وعلى بدنه مدرعة من الصوف والشعر وقال لهم دونكم وقتلى لعلى أجد الراحة فقد كرهت الحياة وأحببت الوفاة ثم جعل يبكى ويتشهق ويرعد ويقوم ويقعد ويضرب على الأرض ورفع رأسه إلى السماء وقال ياحليم لا يعجل يامن هو عليم بما فى قلوبنا عليم (قال الراوى) ياساده يا كرام فبكى الناس وبكى المعتصم وبكى عبد العزيز العلوى وانقلب المجلس بالبكاء والنحيب وقالوا والله ما يقبل قول هذا الجاحد الكافر على مثل هذا القاضى الأجل الزاهد العابد وقد تمكن الأمر منهما كما قال القاضى عقبه وضج الناس فلما رأى المعتصم ذلك أمر الناس بالسكوت وقال للقاضى عقبه سكن روعك يامسكين فما لنا منك إلا الظاهر وهو معنا مستقيم وأما الباطن لله عز وجل وما نسمع فيك قول قائل ولا عزل عازل إذ لم يثبت عليك شىء بالشرع فما نأخذك إلا بنظر العين ثم أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير الأجل الرفيع المحل أنت تعلم إن الشريعة لايقبل فيها غير الشهود العدول مع نظر العين سيما فى هذه الأشياء والآن فما بقى غير الصلح بين البطال وبين القاضى عقبة (قال الراوى) ثم أن المعتصم أمر الخدام فجاؤا بالخلع السنيه ثم أفرغ على البطال خلعة لايكاد أن يحملها الثقل ما عليها من الذهب وأفرغ على عقبة وعلى مطرون ثم خلع أيضا على مذبحون ثم أمر الناس كلهم بالقيام ووثب عقبة ووثب أيضا

المعتصم بنفسه قائما من أجل الصلح فلم يبق أحد إلا قام ثم فك عن البطال ولؤلؤ القيود وطرح عليهم الخلع السنيه بعد ما أمر المعتصم بضرب رقبة النصرانى فضربت باقراره لقتل زوجته واسلامها وأخذ مذبحون الجارية سعيده وكتب كتابه عليها ومشت اليهم الأشراف والسادات فلم وجدوا أبدا من الاجابة إلى الصلح وقدموا عقبة للبطال كيما يتعانقوا فلما عانقه عقبة قال له وقد طرح فمه فى إذنه وقد تعلق برقبته واوما أن يبوسه فقال له يا بطال كيف رأيت فعلى وعملى أليس رأيت كيف ابهتوا الناس بحيلى فقال له والله يا ملعون لابد أن تقع فى يدى واشتفى منك يا ملعون وتعلم من هو الخاسر والمغبون ثم افترقا بعد ذلك وراح كل واحـــد إلى منزله ومن الغد حضروا الأمراء والأمير عبد الوهاب والأميرة وأخذوا الاذن فى الانصراف وكان قد بقى لخروج الحج أيام فعندها قال المعتصم يا أمير عبد الوهاب تصدى فى هـذا العام تحج بالناس إلى بيت الله الحرام وتكون أمير الحج فقال سمعا وطاعة (يا سادة) ففرحت أهل بغداد لخروج الأمير عبـد الوهاب وخرج معه خلق كثير بعد ما أوصى لعبد العزيز من جهة أمه وأخوته بمن يأتى بهم ثم خرج الأمير عبد الوهاب فى تجمل زائد وعليه خلعة المعتصم وسائر أولاده صحبته وكذلك البطال وولده مذبحون ولا زلوا سائرين مجدين أياما وليالى إلى أن وقعوا فى أرض مدهشه قليلة العشب والكلا والماء والمرعى فقطعوها بتواتر المراحل بعد ما قاسوا منها شدة شديدة وخرجوا منها إلى أرض بيضاء كافورية نقيه فأعجب الأمير تلك الأرض فأمر الأمير عبد الوهاب الحاج بالنزول فى تلك الأرض والاقامة فيها ثلاثه أيام فلما كان اليوم الثانى خرج قشعم ولدا الأمير عبد الوهاب يتصيد فى تلك الأرض على بعض الخيل وساروا وقد عجبته تلك الأرض وقد تبع قطيع غزلان وأرانب واصطاد منها ما أعجبه وقد طاب له الصيد فلجج فى تلك البريه وأراد الرجوع وإذا به بعد عن عسكره ورأى بعيد قصر يلوح قد قام من التراب وتعلق بأكناف السحاب فوقف ينظر وإذا تحت ذلك القصر غوطة كانها غوطة دمشق وفيها من سائر الثمار وفى ذلك القصر منظرة وفيها روشن على أربعة أعمدة فهو واقف باهت إلى تلك الفرجه وإذا بباب المنظرة فتح وخرج منه عشر جوار كانهن الأقمار وبينهن جارية تتهادى كان جبينها دائرة القمر وهى تمايل بينهم كانها قضيب بان أو غزال عطشان فلمـا رآها الأمير قشعم لم يتمالك دون أن نظرها نظرة أعقبته النظرة ألف حسره فقال لهـا يا مليحة الوجه لمن يكون هـذا القصر وأنتى من تكونى فى هـذا الموضع فقالت له نحن من قوم أفخر العرب أجمعين وهم الذين قال فيهم بعض واصفيهم حيث يقول :

سمونا بأموالنا والحسب ٭ وما مثل نبهان عند العرب
ذوى الجود والفضل والمكرمات ٭ ومن يرتجون لعظم النوب
إذا قيل من أفرس العالمين ٭ أقول المفرج عند الكرب

لا سيما شجعان العرب وليوث الطعن والضرب فقال لها قشعم يا جارية لقد أطلق الوصف قد عرفت ان قومك طعان وأصحاب سيف وسنان فلا تطيلى الكلام فهل عندك شربة من الماء فقالت له الجارية ما أعظم همتك وأحسن جبهتك لولا شجة وجهك فقال لها يا قرة العين هذه من الجهاد فى طاعة رب العباد فقالت له من أى الناس أنت فقال من أعذبها شجره وأعلاها ثمره وأقومها عود وأصلبها عمود وأطيبها عنقود نحن دوحة الأعراب وسادات بنى كلاب الأماجيد للطعان والضراب يوم الحراب ونحن الذى قال فينا دريد بن الصمه الجشمى حيث يقول :

إذا فخروا الرجال بكل فخر ٭ فان لنا المناقب والفخار
قبائل عامر وبنى كلاب ٭ لهم أصل المفاخر والوقار
رجالا نارهم أبدا تلالى ٭ على شرف وأولهم جرار
قدورهم جبال راسيات ٭ جفانهم جواب لا تغار
ويوم عدوهم يوم عبوس ٭ إذا حملوا الصغار ورا الكبار
كرام فى منازلهم عظام ٭ أفاعى فى الحروب لهم شرار

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم قال لها ياصبيحة الوجه هل لكى أن تصلى من يصلكى فنحن لنا السلف والذوره والصلف فقالت يا فتى أين تكن ذو شرف فالينا يؤل الصلف والترف لأننا الملوك وفينا العفاف والكرم وطيب الأخلاق والشيم يا فتى قل لى بأى جنان طلبت وصالنا وبأى وجه واجهت ذوات الخدور وربات الستور سيا وأنك تدعى أنك ذو أصل أصيل وكرم وتبجيل فقال لها يا نزهة العين ومن هو فى شك من أصلك العظم ونخرك الصميم ولفظك الرخيم وطرفك الجسيم قد شوشتى خاطرى وأتعبتى ناظرى وأن دام هذا فأنا هالك لا محالة فلا تزيدى فى الاطالة فقالت له يا فتى لا تفوى لسانك بذكرى ولا تتصفر أمرى فلك فى غيرى مطمع وعساك بسواى تقنع فما أنا ممن تنشب فيه المخاليب ولا إلى طريق ولا نصيب وفى نظر الظامىء إلى الماء عطشة إذا كان ممنوع السبيل الوارد عن الموارد فاترك فيما ليس يحصل وخذ فيما يكون ولا تعجل يا فتى وعليك بتقوى الله فان التقوى تنجيك من الأهوال والشدائد وتديم من الله أفضل العوائد واحفظ لسانك فهو عقور والا أوقعك فى المحظور وأنت تنسب

نفسك أنك من أصل أصيل ونسب طويل وكيف طاوعك جنانك أن ترمق البنات العربيات أو تنظر إلى هذه الأبيات لكن يدل هذا على ان همتك دنيئة وأفعالك رديئة فامضى قبل حلول المنية ونزول الرزية (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال قشعم وقد تمزمر مزاقه وتشرشرت أخلاقه وتصدمت آماقه وقال لها ستعلمى ويلك كيف آخذك بحد الحسام وطول السنان ولو كان دونك مائة ألف عنان فقالت له الجارية ثكلتك أمك وعدموك أهلك والله ان من دون ذلك ليوث الهياج وأسود العجاج وأنى لك يا رديء الحسب وعديم النسب أن تحرك لسانك بمن ليس من أقرانك هذا وأنت تقول أنك ذو عقل وأدب وشرف وحسب وأصل صميم إليه تنسب فكيف تذكرنا وأنت فى ظل قصرنا وتجاورت بنا فقال قشعم حملنى على ذلك الحب وسلب منى العقل واللب فقالت له أمضى عنا ففى بنات عمك بمن هو أشكل بك وأقرب إليك وأحمق الخلق من يريد من لا يريده ويستنزل خطاب من لا يزيده فنظر إليها شزرا وأنشأ وجعل يقول

أنتى على بخيلة * بالوصل يا بنت
والحب حير مهجتى * فى كل جذر نبت
يا نظرة كان البلاء * بها وكيما فى قيادى
عاينت بدرا طالعا * من فوق قصر فيه وادى
فبقيت رهين صبابة * لا أستطيع طعام زادى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الجارية شعره غلقت أبواب المنظرة وولت فبكا قشعم فهو على ذلك وإذا هو بصلصلة لجام وسرير سرج وحزام ففتحت باب المنظرة ورأت وإذا بفارس كانه البدر إذا بدر حسن الغرة أسود الوفرة مشرق البهجة ما تركت الملاحة اليه حجة قدة يشبه الغصن رقيق الخصر واضح الجبين أقنى العرنين أزج الحاجبين أكحل العينين مورد الوجنتين معتدل القوام عذب الكلام مليح الابتسام عليه ثوب ديباج ملكى طرازه شبكة لؤلؤ يقف وقد أمسك باقيه على حمرة وجنتيه بعذار كما تنضم وزها وحمحم كانه روضة بستان وعلى جبينه عصابة جوهر مكللة ببنات الدرر فى وسطها درة يتيمة عجب وفى وسطه منطقة ذهب مكوكبة بياقوت أحمر وأصفر مكتوب عليها

هذا ابن نور أماله مشبه * يخجل منه البدر فى تمه

(قال الراوى) وقد أرخى ذوائبه على منكبيه ومن تحته جواد كميت أغر صفاته تسر سريع الممر شديد المفر لو سابق البرق تركه ومن قوائمه عمد لا يهو له سهل ولا وعز حوافره تقلق المدر وعليه سرج من صنعة اليونان ولجام قد أخذ من خزانة كسرى أنو

شروان قد رصع بالجمان وركابان ألواحه بلور منقوشة بالعز والحبور والغبطة والسرور وعليه مصور غزالة وباز مكسور والفارس قد اصطاد غزال وقد سمطه على كفل فرسه فنظرت الجارية إلى وجه يخجل الشمس بضياه ويحير القمر بحسنه وبهاه فاستقلت حسنها عند حسنه وسلبت لبها وعار خاطرها وتقسم فكرها وارتبك أمرها وجاش الشعر فى خاطرها فأنشأت تقول هذه الأبيات الحسان

حبا بالشمس والنجم والبدر ✡ ومن قامت الناس فى حبه عذرى
سقى الله أرض أنت فيها مخيم ✡ وسح عليها المزن من وابل القطر
فيا ليتنا نحظى بك فى الدجا ✡ ولا بك فيما بيننا فرقة تجرى

قال الراوى يا سـادة يا كرام فأعوض مذبحون عنها وظن ان خطابها القشعم لم يصل وقالت له أهـلا وسهلا بالأخ العزيز والصاحب الكبير والسـيد الخطير فقال له مذبحون يا مولاى ما الذى أوقفك ههنا فقال أوقفنى وهج السموم وادامة الديموم فقالت الجارية كذب فى الكلام وأشنع شىء عند العرب الكذب فرفع مذبحون رأسه ونظر فرأى درة الفوائد وظبية القناص فجعل يقول يا ساكنة القصر باعلائه اتنكرى القدر ولم تعلى فلو علمتى من تفانيه وابن من يرجى من العالم لكننى الآن تهابيه وتكرمى مثواه وتستعظمى أمره فقالت له الجارية بكلام عذب ولسان رطب يافتى لو كان أبوه عبد مناف وأخواله بنى عبد الدار الأشراف ما كان مثلك ولا شبيه شخصك وأشفع ما فيك حسنك فقال مذبحون أنا من بعض خدمه والواصف شميه وكرمه وإنه ليس له نظير وأمير كبير وسيد خطير وأبيه شامة العرب العربا بعدا وقربا أمير الثغور والحامى عن الحرمين الشريفين سيد الأعراب وأنجب الانجاب وسيد بنى كلاب الأمير الأجل عبد الوهاب فقالت له الجارية اعلم ان كن امرىء القيس فى الفصاحه أو حاتم الطائى فى الكرم والسماحه أو عنتر العبسى فى الشجاعة ما كان يشبهك ولا مثيلك فقال لها مذبحون اعلمى يا هذه انكى عن الزاد أشغلتينا بالخطأ ونحن جياع عطاش ونريد من يصلح لنا هذا الصيد لكن نريد الآن شربة من الماء فقالت حبا وكرامة الماء والزاد يا ابن الجياد (قال الراوى) يا سادة يا كرام وإذا بباب فتح وخرج منه عشر جوار كانهن الأقمار فى غاس الأثمار وقد ارخيت الشعور على وجوه كالبدور والجارية بينهن تتمادى فى مشيتها كانها قضيب بان أو غزال عطشان وتلك الجوار على أيديهم موائد الطعام وبيد الجارية كوز ماء بارد فشربت منه قليلا ثم ناولته لمذبحون وقالت له بالله عليك قسما إلا ما شربت منه قليلا ليمتزج ريقى بريقك وتذوق ما ذقته من هواك واعلم

يا فتى ان ما فى فؤادى سواك ولا أريد إلا إياك (قال الراوى) يا ساده فعندها وثب قشعم مغضبا ودنا إلى الطعام فأبى وقال لها أبيتى سيدا كريما وبطلا جسيما وطلبتى أخس العرب وأذل من ضرب فى البيداء طنب سأذكرك ان أنا ملكتك سبيه وأخذتك من أهلك بالغصبية غير مرضيه ولو خرجت نفوسا وطيرت رؤسا ولكن أبى الله تعالى أن تعشقين إلا مثلك وأن تطلبين إلا شكلك وبعد هذا فما سمعنا بأن عربيه ذات أصل أصيل ونسب جزيل تطلب غير المثل وتميل إلى الدون فقال مذبحون ويحك يا قشعم لم على باغض ولقدرى زارى وعلى بالكلام جارى وأى شىء بينى وبينك والله العظيم انك أنت وأبوك الأسود الزنيم عندى أقل واحقر فقال له قشعم اسكت يا ابن الزانيه متى كانت لك نفس أبيه أم همة عاليه وإنما السواد وجه أبيك البطال الذى ألحقك بالنسب وادخلك فى عداد العرب فقال له مذبحون لمثلى هذا يقال وأنا ابن البطال وحق من هدانى بعد الضلال وأوضح لى الحق بلا محال لولا حرمة أبيك لا فقدتك اهليك فقال له قشعم ويلك يا قليل الخير ما بقى عليك إلا مطاولتى وفى الهيجاء مناصلتى عليك بسرقة الخيل والكذب والزال فقال له مذبحون ويلك أقر لسانك وعدل ميزانك وإلا تركتك أحدوثة للعرب وسيرة لأهل الأدب فقال له قشعم وقد قام فى ركابيه وتمطا فى مداديه وبان الغضب عليه ويلك يا قرد العلوج طال لسانك على لما جعلناك منا والينا والآن دونك وماذكرت من حربى ثم حمل على مذبحون واطبق بالحملة عليه فعند ذلك صاحت الجارية يالئيم غير كريم ما هذا فعل عربى وحق أمى وأبى ومن يزيد همى ووصلى لئن بسطت يدك إليه بسوء لاحطن قدرك يا ويلك أيقاس النهار بالليل أو الثريا بنجم سهيل ثم جذبت يد مذبحون وأرادت تدخله إلى القصر فأبى مذبحون ذلك وقال أيسومنى هذا الكلب الزنيم وينسبنى إلى العجز والهرب فدخلت الجاوية إلى القصر ولم تطل دون أن أخرجت مدرعة مجليه متقلده بسيف متنكرة بجحفه وقالت لقشعم ويلك يا مهين تقاتل الأمير المظفر عند قصرى أو تريد أن تحط قدرى فوالله ان أبى ثابت لو فعل كفعلك لما سكت له فان أردت القتال فدونك لبوة شمطا وحية نقطا (قال الراوى) فلما أن نظر قشعم الجارية سار طالب أبيه الأمير عبد الوهاب إلى أن وصل إليه فلما رآه الأمير ولونه قد تغير واضطرب كونه قال له يابنى مالى أراك متغير اللون فقال له يا أبتى أدركنى فقد نظرت إلى جارية لم أر مثلها ولقد كنت توسطت أن أكون لها بعلا وتكون لى أهلا فعارضنى فيها مذبحون ولد البطال وخرج على بسوء المقال فان لم تلحقنى بوصالها وإلا فأنا هالك لا محالة من دون إطاله فان النيران فى كبدى وقد ضنى جسدى فقال له أبوه

يا بني امسك مامعك من هذا الكلام فى ساعتك هذه وقعت فى بحر الغرام فعند ذلك بكى قشعم بكاء شديدا وأنشأ وجعل يقول

أحمل قلبي كلما ليس يحمل * وحملني الحب ما ليس احمل
محال وحق الله من قال أنها هى النفس ما حملتها فتحمل
أجاذبها شوقا فتذعن عن طاعة وأسألها صبرا فتأبى وتبخل
عبرت على قصر لأبنة ثابت فعاينت منها بدرتم مكمل
لها جيدريم بعد مقلة شادن وبطن وعجزتم صدر مدلل
فزوجنيها يا أمير فانى أرى حبها فرض وقلبي معلل
فان لم أنلها مت شوقا وحسرة وتخطى بانى إذ أنا ليس أعقل

(قال الراوى) يا ساده ثم قال لأبيه أدركني بها يا أمير فقلبي اليها يطير وانجدنى بها فى الحال فقد قتلني البلبال (قال) فلما سمع الأمير كلامه قال له يابنى حدثنى بحديثك فقال له قد جرى من الأمر كذا وكذا وأعاد عليه حديث مذبحون وما جرى له مع الجارية ابنة ثابت (قال الراوى) يا سادة فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب كلام ولده قشعم جرد على مذبحون وقال يا أبو محمد أما ترى إلى ولدك كيف يتجرى على ولدى وأنا أقسم بذمة العرب لولا أن لك على حق الصحبة لقتلت مذبحون ثم قال على بثابت بن جرير فسارت الغلمان اليه وأتوا به هذا كله يجرى والبطال لم ينطق بحرف واحد ولم يتكلم (قال الراوى) فلما أن صار ثابت بين يدى الأمير عبد الوهاب قال له أهلا وسهلا ومرحبا بالأمير الأجل الرفيع المحل أجلس فجلس (قال) فوثب اليه البطال وقال الحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأشار إلى ثابت بن جرير وقال له ياثابت حزم الأمور يورى المحذور وتزويج الأكارم تيجان العمائم وما أنا كبير ولا ولدى فقير وقد أتيتك خاطب وفى كريمتك راغب فاحسن الظن فيمن أحسنه فيك ولا تخيب قاصديك فقال ثابت وقد انبهج بذلك ياسيدى وماحاجتك فقال خاطبا بالدرتك المكنونة راغبا فى جوهرتك المصونة لاتوج بها رأس ولدى مذبحون ليكون لها أهلا فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد لما علمت أن ولدى يطلبها وأنفذت خلف الرجل على نية أنى منه أخطبها تزاحمنى عليها فقال له البطال قد أثرناكم على أنفسنا بالعظائم وتحملنا معكم عظيم الجرائم وتركنا بلاد الروم لكم مغانم وما شأن ولدك وشان هذه الجارية أترى لو أنها بعض ذوات خدورك كنت تسمح بها لولدى فقال الأمير عبد الوهاب والله ياأبو محمد ما أحقر ذمتك وأنت عندى فى هذه الأمة بعد إمام الأئمة ولكن ياأخى أن رأيت

أن تؤثر بها قشعم فهو من أخلاقك الحميدة (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها غضب البطال وقال ياأمير فى محبتى اياك أغضبت بنى عمى وقاسمتك لحمى ودمى كى تقاسمنى لاسيما وقد نشأ لى هذا الولد وما مثله لأحد تزاحمونه على طلبته وبعد هذا وحق المقام والمشعر الحرام والحوض والكوثر والقبلة والمنبر وعلى الامام المطهر لاأمضيت أمرا حتى تختبروا الجارية على لسان أبوها ومن كان مرادها معه وصلنا حبله بحبلها وجمعنا شمله بها فقال الحاضرون انصف الأمير أبو محمد البطال فعند ذلك وثب ثابت وقال رضيت وسار من وقته وساعته وأقبل على ابنته وناداها يازهره فقالت لبيك ياأبتى فقال ما أخوفنى من شؤم غرتك ان تصيرى بين العرب محنه وتوقعين بينهم الفتنة فقالت ولم ذلك ياأبتاه أيعتريني ذلل أو زنا أو أنا ممن يركبه خنا فقال ياويلك بأى السيدين أزوجك وبأيهما أقرنك ولا أحوجك فقالت ياابت قد جعلت اليك أمرى وان كان ولا بد فزوجنى بالأشقر الظريف وابعد عنى الأسمر النحيف وأنا أقسم بذمة العرب لا يملكنى أحد منهما إلا من يأخذنى فى الميدان ويقهرنى فى حومة الاقران ولا أهوى إلى نقصان (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع أبوها كلامها عاد إلى الأمير وقال ياقوم لا بأس عليكم ان ابنتى قد آلت على نفسها وانفصل أمرها وأنصفت فى حكمها وقالت ما يملك ناصيتها إلا من يقهرها فى ميدان الحرب ومحال الطعن والضرب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع قشعم ذلك الكلام طاب قلبه وعلم أنه يقهرها وما يصل اليها مذبحون لأنه رجل محتال ما هو من رجال القتال والحرب والنزال فانعموا بذلك الحال ثم ركبوا جميعهم إلى ساحة الميدان ومحل الضرب والطعان وخرجت الجارية وعليها ثوبان من عمل اليمن وقناع قدصنع فى صنعاء وعدن وتعصبت بعصائب الفتن وقد أسبلت ذوائبها وأظهرت للفريقين نجائبها عند خطابها وقد أسفرت اللثام عن ثغر ذى ابتسام ولها نور وضاح أنور من المصباح ووجه كانه المصباح وقد لبست من فوق ثوبها درع مذهب بالفضة مكتب وبالبولاد مشطب وبيدها سيف يرهج ويتلهب وعلى رأسها بيضة من عمل مرهب وتحتها ذوائب مثل سواد الليل الدامس تذيب القلوب والفؤاد وبيدها رمح مكعب تذل به أبطال العرب وتحتها حجرة كانها سلهب لا يضيق بها مذهب ولا تعثر ولا تنكب ومالها نظير فى خيل العرب فهى كما قال فيها مرزوق بن أشعب حيث يقول

وصفراء تزهوا كلون الذهب * لها من خيول العرب منتسب
تفوت براكبها الطالبين على * حسن تقريبها والخبب

فان طلبت فى الفلام ترى ۞ وإن طلبت أدركت للطالب

(قال الراوى) ياسادة فلما إن نظرها قشعم ظهرت أشجانه وبدت أحزانه وهاج شيطانه وسكبت أجفانه ولم يجد صبرا عن خطابها فقال لها السلام على مالكة القلب والفؤاد وسالبة الرقاد ومن أنا فى هواها فى عناد وهى أجل المراد فأعرضت بوجهها عنه وقالت أيها الشاب المعجب بنفسه لا تطيل علىّ الخطاب فوحق ثابت بن جرير لأذيقنك حربا أمر من نار السعير ولاصبحنك بيوم نكير ثم حملت عليه وقومت سنانها إليه ثم أنها أنشأت وجعلت تقول

أعلم أننى اليوم جاريه ۞ أعرف من بين الورى بناجيه
لمذبحون اليوم نفسى هاويه ۞ هايمة فى عشقه وغاويه
من نال منه الوصل نال الواغيه ۞ لأنه أحسن أهل الباديه

(قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وقشعم قد طار عقله وحار لما رآها وأشغله هواها وحمل عليها فحملت عليه وهذا فارس شجاع وقد استهام وطلب القراع فاسفرت عن وجهها لثامه فتبلبل بلباله وتغيرت أحواله واسترخت يداه عن الرمح وسال لعابه وكان الحين أولى به وعلمت الجارية منه هذا فقومت سنانها إليه وأومت بالطعنة إليه وطعنته بعقب الرمح فى صدره وإذا به ملقى على ظهره (قال الراوى) فلما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال لثابت بن جرير والله ما فعل بولدى هذا إلا الهوى وتباريح الجوى فقال البطال صدقت أيها الأمير إلا ولدى يعمل على عناقها ويلمس ساقها ونادى يا مذبحون إن كنت تريد الوصال فافعل شىء يبان الأبطال ودونك والعروس ولو ذقت طعم البؤس ولا تشمت بك العدا وبمضى الأمر سدى (قال) فلما سمع مذبحون قول أبيه كشف عن ساعديه كأنها البلور وأسبل ذوائبه وهى كالأفاعى السود يذوب منها القلوب وله وجه كأنه البدر ليلة تمامه وأحداق كأحداق الظباء وعنق كعنق أبريق فضة وقوام يحاكى قضيب البان وأعكان كأعكان النسوان وهو فى عدة كاملة ولما إن صار معها فى الميدان أشار إليها برأس السنان وأنشد :

اسمعى ما قلته ياناجيه ۞ واقربى نحوى وكونى دانيه
سوف أسقيكى ودادا صافيا ۞ وبقربى تغنمين العافية

ثم حمل عليها فلما نظرت إليه قالت أهلا وسهلا بمن يفوق الهلال وعيون الغزال ويشبه ربات الحجال ابشر فقد بلغت الآمال فقال عبد الوهاب وكان قد سمع كلامها يا قوم أن الجارية قد اضطربت أعضاها وماج عشق مذبحون فى أحشاها ثم قالت ناجية لمذبحون

يا قرة العيون أمهل عليّ فقد طعنتني بغير سنان وجندلتني بغير حسام فاظهر صولتك وجد بحملتك فأنا مثل عصفورة فى يدك فانقض مذبحون عليها كالعقاب الكاسر وزعق عليها فاسترخت أعضاها وانحل قواها ومد يده إليها وجذبها إليه فأرمت روحها أسيرة فى يديه فتصايحوا الناس من كل مكان وقالوا للبطال لله درك فلقد أسرتها فقال البطال يا ولدى عوفيت وهنيت ومن الرزايا كفيت لكن والله ما أنت من رجالها وإنما الهوى أنى لها لتبلغ آمالها لأنها ما تزلت بين يديك وقد سلمت نفسها إليك إلا لأجل البوس والعناق وقد أحلوا الجارية على مذبحون ودخل عليها من ليلتها وعانقها وعانقته ولما كان بعد ثلاثة أيام رحلوا الحجاج يطلبون مكة والبيت الحرام وزمزم والمقام ولم يزالوا حتى وصلوا إلى عرفات وحجوا الناس وطافوا بالبيت على عاداتهم ورجعوا وعادوا طالبين العراق مع الجماعة ولم يزالوا إلى أن وصلوا إلى بغداد وخرجوا الناس إلى ملاقاة الأمير وقد تلقوه بالهناء والسرور ودخل الأمير على المعتصم وخدم وأشار إلى الأرض لاثم وعلى الإمام سلم فقام أمير المؤمنين ورد عليه السلام ودعا للأمير وكان حج الناس أطيب ما يكون من الرخاء والأمن ودخل الأمير عبد العزيز على المعتصم وسلم عليه وطلب منه ما وعده من مجىء أمه وأخوته فقال له المعتصم يا أمير عبد العزيز قد أنفذت النجابين وسيرت الرجال إلى سائر الأماكن وأوصيت بذلك الأمير عبد الوهاب فقال الأمير والله لقد طلبتهم فما وصلت إليهم وإلى الآن ما وقعت لهم على خبر عندها بكى عبد العزيز وسكت على مضض منه وعظم عليه وكبر لديه

﴿ تم الجزء الثامن والأربعون ويليه الجزء التاسع والأربعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب حروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن قهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع والأربعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم إن الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب استأذن المعتصم فى المسير إلى ملطيه وأما عبد العزيز فانه رجع إلى الخليفة وشكا حاله وفراق أمه واخوته وفى تلك الأيام قدمت النجابة يخبروا انهم طيبين فقال الخليفة طب نفسا وقر عينا أنا أرسل اليهم العماريات والهوادج وكلما يحتاجون إليه من الخيل والجمال وغير ذلك إلى أن يصلوا إلى ههنا وأنت مقيم عندنا فشكره على ذلك عبد العزيز ثم قبل الأرض بين يديه وانصرف (قال) ثم إن الخليفة استدعى بالأمير عوف بن شعبان المازنى وقال له كم معك من أصحابك قال نحو مائة وأربعون فارس فأخلع المعتصم عليه وأعطاه شىء من المال برسم النفقه وأعطاه جمال وعليها الهوادج باهلة الذهب وثياب الديباج وساروا القوم ومعهم مرسوم الخليفة إلى النواب فى كل مكان بالمراعاة وأخذوا الكتاب من عبد العزيز بخطه إلى أمه وأخوته بالسلام وفى آخره يقول هذه الأبيات .

إذا ضاق صدرى استعنت بخالقى ❊ فقادر على تيسير كل عسير
فما بين طبق الجفن ثم ارتفاعه ❊ فكاك أسير وانجبار كسير

(قال الراوى) يا سادة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من عقبة فانه نزل إلى داره بعد أن كان أيقن بهلاكه ودماره ثم انه أرسل خلف مطرون فأتى إليه وكان الخليفة قد أنزله فى دار طيبه وجعل له جراية مع المارستان ولما أن دخل على عقبة قام له وأكرمه ورفع مكانه وقربه وقال له يا مطرون لقد فعلت معى ما أنت له أهل فضحك الملعون مطرون وقال له أيها القاضى أنت صاحبى من قديم الزمان فقال له عقبة أنت أسلمت عن حقيق قال لا وحق المسيح ما هو إلا حيلة وأنت تعلم أننى لم أعتقد

شيئاً من الأديان فقال له عقبة ما الذى أزعجك من موضعك فأعاد عليه قصته مع أرمانوس وأنه أسلم فزعا من القتل فقال له عقبة كنت أقمت موضعك وأرسلت أعلمتنى حتى كنت أكاتب الملك أرمانوس يكون تحت أقدامك ولكن استعجالك لعله خير ونكون أنا وأنت فى هذه الديار كل من غاب ينوب عن صاحبه ونعمل على هلاك المسلمين بأصناف الحيل ولا نبق منهم باقية وتعود الدولة مسيحية وقد اشتهيت أن أعمل على عبد العزيز حيله أهلكه بها فقد قوى ظهر عبد الوهاب فقال له مطرون أيها الشيخ ان رأيك صواب لأنه بعد ما أطاع على أقوالك قال ومع ذلك فان عقبة ما أحسن اليه أحد إلا وأساء عليه هذا طبعه والثانى انى أبغضه وأريد أن أعمل على هلاكه وهلاك أمه وأخوته من قبل أن يصلوا إلى ههنا حتى لايجتمع شملهم أبدا ولا يبقى منهم أحدا ولا أبقى على المسيح ان أبقيت أنا عليهم فقال له مطرون ما أنت إلا ذخيرة النصرانية فافعل ما شئت وأنا الضامن لك هلاك عبد الوهاب والبطال فقبل يده (قال الراوى) يا سادة وكان الأمير أراد الأنصراف إلى ملطية فتعلق به عبد العزيز وقال له يا مولاى أشتهى من أنعامك أن تمهل على حتى تقدم والدتى وأخوتى وتطلبنى من الامام فأنا ما اشتهى ان أفارقك لأجل الجهاد فأجابه الأمير عبد الوهاب إلى ذلك فهذا ما كان منه (وأما أبو محمد البطال) فانه أختلى بالأمير عبد الوهاب وقال له أعلم أن مطرون فضحه الله تعالى قد دخل فى عيوننا وهو لايدين بدين ولا يعتقد فى اسلام ولا فى دين وأنه على دين عقبة وشومدرس وأرى الأمر كلما يزيد ولا بد من أخذهما وأجمعهما مع شومدرس واشتفى منهما فقال الأمير وكيف ذلك فقال سوف ترى فقال له الأمير أعلم يا أبو محمد إن كلما جرى عليهم ينتسب الينا ولا سيما ما جرى فى بغداد وكان يقول الخليفة أنا أصلحت بينهم وتنقض الايمان ولكن إذا خرجنا من بغداد افعل ما بدالك هذا جرى ها هنا (واما ما كان) من عقبة فانه صار يتفكر ما يعمل من الحيل على عبد العزيز وأخوته (قال) وكان فى أرض البصرة حصنا منيعا يقال له الحمام وكان قديما من عهد الأول وكان خراب فبناه رجل يسمى هرمس وكان مجوسيا يعبد النار وكان شجاعا مناعا ومعه أربعمائة رجل كأنهم السباع وقد قطع الطريق وخان السبيل واخذ القوافل وملك البلاد فاتصلت أخباره إلى الخليفة فأرسل ينهاه عن ذلك ويقول إن كانت هذه أفعالك لأجل القلة فعلى كلما تحتاج أنت ورجالك وتكون لنا عدة فلما وصل اليه كتاب الخليفة أجاب إلى ذلك وأكل ديوان السلطان خمس سنين فتذكره عقبة وقال ما يتم لى ما أريد الابهرمس فسير اليه عشرة آلاف دينار وغيره ودخل على المعتصم وقال له أشتهيت أن

ازور أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له الخليفة المعتصم أصبر حتى يرحلوا إلى ملطية وارجع سافر فقال له يا امير المؤمنين لا يمكننى ذلك لأننى رايت الأمام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى النوم وهو يتشوق إلى ويقول لى يا قاضى ما صرت تشتاق إلى زيارتى فقال له المعتصم أفعل ما بدالك فمن مثلك والامام على يدعوك إلى زيارته فما أمنعك ولكن قول متى تعود فقال له يا مولانا فى غداة غد أروح ثم أنه اوصى المعتصم بكتمان سره ثم انه اتى إلى منزله ودعا مطرون اليه فقال له يا راهب اجتهد أنت فى الأمور التى حدثتنى بها ولا تتأخر فأنا عزمت على ما قلت لك عليه فقال له مطرون اما أنا فما عليك منى فسير انت على بركة المسيح ولا تتأخر فقال له عقبة هذا الذى اريد منك ثم فارقه وعاد عقبه إلى منزله وخلى بولده وقال له يا بنى اعلم ان المسيح قد أعاننا بهذا الراهب مطرون وعسى ان يجعل المسيح هلاك الأسود على يديه فمهما طلب من الحوائج اعطيه مهما أراد فقال سمعا وطاعة يا أبتاه مرادى تخبرنى إلى أين تريد تذهب فقال يا بنى أعلم أننى ماضى فى شيء اما لنا واما علينا لأنى كلما رايت المسلمين وكيف ينصرهم المسيح علينا مرة بعد أخرى أموت كمدا ولم يعلم بى أحد وقد زاد بى البلاء من هذا الشيطان وهو عبد العزيز العلوى لأنه قد قطع قلبى من بغضته لكون أن له بمحمد قرابه والثانية لديانته وعفته وهو أشفق على الناس من كل أحد وفيه رحمة وأنا أشتهى من المسيح أن يعجل له بالنقمه والثالثة لمحبته لعبد الوهاب وطلبه للجهاد وقد تحدثت مع هرمس المجوسى بشيء وأنا اليه متوجه لأجل ما ينظر ما يكون منه لعله ينصرنى على هؤلاء القوم فما هو على المسيح بعزيز فقال له ولده يا بنى أما آن لك أن تدع هذه الكلفه فانى أخاف عليك فى بعض الأوقات أن تتلف فقال لولده اسكت محقك المسيح كيف يسعنى القعود ولى قلب لا يطاوعنى على فعل الخير وقد ألهمنى بوقوع الشر وسفك الدماء وخراب الدنيا فلعل المسيح أن يختم بخير ويشفينى من الأعداء فقال له ولده وحق المسيح ما بنا إلا أنك تقع فى مصيبه فما تخلص منها ونعيش بعدك أيتام فقال له يا بنى يكون هذا عندك إذا فقدتمونى وصح موتى عندكم فلا تقيموا فى بغداد ولا فى بلاد الاسلام ولكن اطلبوا القسطنطينية فان الروم يكرمونكم لأجلى وأما أنا فماضى إلى موضع قريب وأرجع اليك ثم أخذ معه غلامه أنوش وديبار وأخذ معه عشرة آلاف دينار وقال هذه قد صارت عشرين ألف دينار فى طاعة المسيح وسار يقطع الأرض وما عند البطال منه خبر إلى أن وصل إلى البصرة وعرج منها طالب حصن الحمام ونزل على هرمس المجوسى وعرفه هرمس فأكرمه غاية الاكرام وكان بينهما مكاتبات ومراسلات لأن عقبه كان إذا سمع برجل فيه شر ولعنة ومكر يجتهد أن يصادقه رجاء أن ينصره

أو يجعله له صديقا فأضافه هرمس ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع أخرج له عقبه خلعة سنية تساوى ألف دينار فلما ان رآها هرمس قال يامولاى من أين لك هذا المال كله فقال له عقبه من عندى وخالص مالى حملته اليك خدمة لك وصداقه وعندى أمثاله لحاجة عرضت لى اليك ولى ولك فيها منافع فقال له هرمس وما هى الحاجة اذكرهالى فعلى أن أقضيها لك ولو أن فيها تلاف مهجتى وهلاك روحى فقال له عقبه ياهرمس اعلم أننى كما يقال ويقولون عنى أعدائى بأننى نصرانى وذلك بأنى اختبرت جميع الأديان فما أعجبنى فيها الأدين النصرانية لأن لى فيها منافع ومسرة ومهما أردت من المال على أن الروم كلهم خلفى ومن تحت حكمى وهم فى عدد الرمال والحصى وأموالهم لى مباحه ولقد كان الملك أرمانوس قد قال لى أريد منك رجلا شجاعا صنديدا مناعا فكتبت اليه أقول ما أعرف بهذه الصفة إلا رجلا يقال له هرمس المجوسى وله عند الخليفة اقطاع مقدار عشرون قرية فى الديوان فكتب الى يقول له يأتى إلى وأنا أعطيه مدينة من مداين الروم كبيرة حولها ضياع بعدد أيام السنة وهى الروضة الكبرى وأقدمه على عسكرى وعلى من معه من رجاله فان أجاب فارسل اعلمنى حتى أرسل اليه مائة ألف دينار يستعين بها هو ومن معه على نفقة الطريق وها أنا قد أتيت فى هذا الأمر أخبرك به (قال الراوى) ياسادة ولما سمع هرمس كلام عقبه قبل يديه وقال له هذا قد عرفته وعولت عليه فما هذه الحاجة الذى قصدتنى فيها وقلت لى انها لى ولقومى جيده ونفعها عائد علينا فقال له عقبة صدقت ولكن قد بقى فى الأمر شىء واحد فقال هرمس وما هو فقال عقبه أريد منك أن تحضر قومك عشرة عشرة وتتحدث معهم فى هذا فمن أجاب كان منك ومن أبى عن ذلك فاهمله فقال سمعا وطاعة ثم أنه جعل يدعوهم ويتحدث معهم فمن أجاب أعطاه من الذهب والفضة على قدر منازلهم من الشجاعة والبراعة وهؤلاء قوم تعودوا على أكل الحرام وخوض الظلام ويعجبهم مقامهم على ماهم عليه فقالوا كلنا لا نخالف لك قولا ولا يتخلف منا أحدا لاصغيرا ولا كبيرا ولقد سمعنا أن العرب فى بلاد الروم بالأموال ومعها الدنانير والاقطاع الكثيرة وانهم قد تزوجوا ببنات الروم الذين هم مثل البدور أو الشموس الطوالع ولكن من الواجب فى ذلك المبادرة اليه فأشار إلى اللعين عقبه ففرحوا به وقبلوا يديه ورجليه وشكروه وأثنوا عليه وكانوا أربعمائة فارس (قال الراوى) فلما سمع عقبه أن القوم قد أجابوا كلهم وما صدقوا بهذا الحديث فقال لهم انى أريد أن تتحدثوا عند الملك أرمانوس وبين يدى الروم بما قد رأيتم منى ولكن أريد أن تعملون قبل ذلك شيأ تبيضوا وجوهكم

به عند الملك فى أول الخدمة فقال له هرمس وما هو فجعل الملعون عقبة يحدثه بحديث عبد العزيز العلوى وما فعل ببطارقة الروم وانهم عليه على جمر اللظى وذكر له حديث أخواته ووالدته وما معهم من الهوادج والأموال والجمال التى مع الأمير عوف وإن أنتم حملتم فى طلبهم وغنمتم ما معهم من الأموال والخيل والجمال والمهارى والأبكار فقال له هرمس طيب قلبك فلو أمرتنى أن أهجم بغداد وآخذ هذا الذى تعنيه عبد العزيز من داره لما عز ذلك على ولا يقدر أحد يخلصه من يدى ولو كان معه عسكر العراق فقال له عقبه ما أريد هذا كله بل أريد منك أن تعجل فى أخذ أمه وأخواته وأما أمر بغداد فانه أمر صعب لأن فى بغداد سباع كواسر وليوث غوائر فقال له هرمس عن من تعنى بقولك هذا فقال عن الأمير عبد الوهاب الذين قد أحرقوا الأكباد هو وقومه بنى كلاب الانجاب (قال) فضحك هرمس وقال وحق النار والنور والظل والحرور انى ما أخرج لعبد الوهاب غير عبدى عميق وكيف أخرج أنا اليه وأبارزه وسوف أوريك فيهم ما يشفى فؤادك وينكس اضدادك فقال له عقبة ما أريد إلا أن تأخذ لى أم عبد العزيز العلوى وأخواته قبل كل شىء وتقتلون الرجال الذين معه وتأخذون رؤسهم على أسنة الرماح وتطلبون بهم بلاد الروم وأعطيكم كتابى للملك ارمانوس وقد أزال عنكم النحوس فقال له هرمس زعيم المجوس ارجع إلى أى مكان تريد ولا تعرف حاجتك إلا منى ولا بد ما أقطع الروس وأخطف النفوس وانظر إلى من تنفذه من عندنا رسول يثق بالخبر إلى الملك إلى أن نقدم عليه نحن بالمقصود وأنا أدخل إلى البريه وأنزل من على جادتهم وطريقهم وأكون هناك مكمن إلى حين وصولهم فأخيب مأمولهم وأطبق عليهم اطباق الأجفان على المقل واخطف أرواحهم بروس الاسل وآخذ الهوادج والكل فقال عقبة هذا الذى أريد منك وما على الفضل من مزيد وإذا أخذت العرب الذين معهم أريد ان تطلق منهم واحد أو اثنين حتى يروحوا إلى بغداد ويخبروا بما أصاب أهل عبد العزيز حتى تنفطر مرارته ويكره المقام فى البلاد فقد صار له ذكر كبير وقد وقعت له هيبة فى بلاد الروم كبيرة فقال له هرمس أيها القاضى عندى رأى ولا بد لى أن أشاورك فيه فقال له عقبة قل ما بدالك فقال له إذا أخذت أم عبد العزيز وأخوته وقتلت من معهم من العربان وتركت من يمضى إليهم بالخبر فلا بد له أن ينهض من أجلهم وما تسعه الأرض وينهض عبد الوهاب معه فأنا اكمن لهم فى طريقهم فان كانوا خلق كثير فأنا امهل عليهم إلى الليل واكبسهم وان كانوا قدرنا فأنا أهجم عليهم وما اترك أحدا منهم يرجع إلى الديار فقال له عقبة اسمع منى وأنت عندى مثل الولد

وقد حنكتنى التجارب وادبتنى النوائب وعركتنى مع هؤلاء المصائب وعرفت منهم من لا يعرفه حاضر ولا غائب فاياك أن تلاطخ القوم بالنهار فان معهم رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما قد تعودوا ركوب الخيل وخوضات الليل فقال له هرمس وقد ظهر الغضب فى وجهه أيها القاضى عليك أنت بغير هـذا فقد ذكرت لك إن عبدى عميق ما أرضاه أن يبرز إلى عبد الوهاب ومعه مائة من عسكره ولو إنهم سباع البيداء وسوف ترى ما يسرك إذا قضيت حاجتك ودخلت إلى بلاد الروم فقال له عقبة إن كان هـذا صحيح فأنا أول من يدخل معكم إلى مدينة القسطنطونية حتى اشفى فؤادى من قتل الأعادى ولم يزل عقبة عنده إلى أن رحل هو وعبيده وكانوا كلهم بلا سائق يسوقهم ولا عائق يعوقهم يأكلون الحرام وكل يوم مقامهم بين التلال والرمال والآكام فى طلب الحطام ولا كان لهم أمان ولا ذمام وكانوا من أكثر الناس معصيه وفساد فأعقبتهم المعصية حاله يأتى ذكرها فيما بعد (ياسادة) وسار عقبة أيضا إلى أن وصل إلى الكوفه ودخل المشهد وأقام عند القيم ثلاثة أيام ثم دفع له مائة دينار وقال له أريد منك أن تكتب لى خطك انى أقمت عندك ثلاثة عشر يوما وكنت أدعو فيها لأمير المؤمنين المعتصم بالله ليلا ونهار لأن لى فى ذلك غرضا وقد أسر فى نفسه إنه يلبس بذلك ثم قال للقيم أنا من يتولى أهل البيت فكتب المشهدى خطه بذلك إلى الخليفة وسلمه له وفيه جميع ما قاله عقبة وإنما فعل هذا احترازا لئلا يجرى من هرمس المجوسى أمرا من الأمور فيلحقه عبد العزيز ويأخذه ويسأله عن حاله فيقول ما كان السبب فى هـذا إلا عقبة فيخرج عند ذلك التاريخ بمدة مقامه وخروجه من بغداد وعودته إليها حتى لا يصدق المعتصم فيه كلام أحد وسار عقبة إلى أن وصل إلى بغداد ودخل على المعتصم وسلم عليه فقربه وأدناه وسأله عن حاله فناوله الكتاب فقرأه المعتصم وقال له أيها القاضى ما يحتاج إلى شهود ونحن نعلم إنك ما تمضى إلى هـذه الأماكن الشريفة إلا وتدعو لنا فيها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان من الأمير عبد العزيز العلوى فانه بقى فى الانتظار كانه على مقالى النار يعد الأيام والساعات فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من الأمير عوف المازنى فانه سار فى مائة فارس من قومه كما ذكرنا إلى أن وصل إلى مكة المشرفه حرسها الله تعالى وسأل عن أهل عبد العزيز فقيل له انهم كانوا فى أقصى أرض الحجاز بسبب المراعى وقد قدموا وهم بظاهر مكة على مسيرة يوم واحد فسار اليهم مجد (قال) وكانت أم عبد العزيز قد انقطعت عنها أخباره وطالت مدته وزاد شوقها اليه حتى ان لحم بطنها قد لصق بعظم ظهرها فلما أن طالت السفره وهملت الصبره جعلت تبكى عليه الليل والنهار ويبكوا عليه

الأصحاب والعشائر ولبست السـواد وكذلك اخوته وقالوا والله ما كنا نعرف من أخينا هذا الجفاء وما هو إلا قد هلك وصاروا يبكون عليه مساء وصباح وأصبحوا ذات يوم وكان يوم الخميس وقد بكت أمه بصوت حنين وقلب حزين وأنشدت تقول :

اعبـد العزيز فراقك دهـانى ❊ وابكى جفونى بطول الزمان
وقد كنت يا ولدى لى محامى ❊ فصـبر جميل لما قد دهانى
اعبـد العزيز أنى سقامى ❊ لاجـل فراقك لما رزانى
لقد كان عيشى بعبد العزيز ❊ هنيأ مريئا إذا ما دعانى
حمام الأراك ألا فاخبرينى ❊ بحال الغريب الذى قدجفانى
فان كان حيا فعودى أعلمى ❊ ديارى لعلى أنال الأمانى
ويجتمع الشمل بعد الشتات ❊ وتذهب عنا خطوب الزمان
وإن كان أضحى برغمى قتيل ❊ جديل الأعادى فى الصحصحان
فلا تخبرينى بما قد جرى ❊ كفانى الذى بى قد كفانى
سأبكى شريفا عفيفا إذا ❊ رأى الكفر كانبها غير وانى
كريما حليما له همـه ❊ وخلق رضى وأمر وشان
سلام عليه سـلام يدوم ❊ وإن كان منى بعيد المكان

(قال الراوى) فما فرغت أم عبد العزيز من نظامها إلا والريات قد طلعت وقضبان الفضة قد لمعت والهوادج قد لاحت فبكت بناتها لما سمعت صهيل الخيل وحنين الإبل وحاديا مطربا هذا كله والرجال بالبشارة ينوحون وإلى نحو مضرب أم عبد العزيز يضجون وقد امتلأ بهم الفلا وقد استبشرت بنزولهم عليها فقامت العجوز وهى مستبشرة بالفرح وقد لاح الاستبشار على وجهها وقالت لبناتها ويلكن قد خاننى نظرى من كثرة البكاء فما صرت أنظر إلى شىء أبدا فانظرن إن كان أخوكن فى أوائل الخيل وبوادرها واستبركوا بنواصيها وإذا لم ترونه فلا تملوا عيونكم من الرجال ولا من الخيالة فان النظر إلى الفرسان بعد أخوكن حرام ولا شك أن هؤلاء القوم عابرين سبيل وهذا جمع متزايد والدليل على أنه أكبر شاهد وروده إلى الحلة وجميع الرجال بركوا الجمال وطرحوا الأحمال وتبادروا نحو باب الخبا جميع الأبطال وقالوا ههنا أم عبد العزيز فلما سمعت باسم الغائب وأشجاها صياح الطالب وأطرق آذانها سماع كلام المخاطب وهى تقول لبناتها ويلكن لا يكون بعض الأحلاف قد ورد علينا يريد الضيافة وهم يظنون أن عبد العزيز حاضر فارسلن عبدكن للراعى فقد بقى لنا عشرة من الغنم فقدموها إلى القوم كرامة لهن

ولعل الفرج أن يكون منهن قريب فان ربنا نعم الناصر والمجيب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فنظرت إحداهن وهى مبرقعة برداء أزيالها ولها وجه مثل دائره القمر وقالت يا ميمون انزل القوم واكرم مثواهم واسمع من سيدهم ما يقول وأدرك الرعاة قبل وصول المرعى ولا تترك معهن كبشا ولا جزعا والناقة الهمعاء البقعاء وأدفعهم إلى بين أيديهم وأقم عذرنا عنـــدهم وقل لهم هؤلاء نساء خالين من الأقارب والأناسب ولا يستطعن لأنفسهن ضرا ولا نفعا وقل لهم أن عبد العزيز ما حضر وأكرم الناس من اعتذر إليه فعذر (قال الراوى) يا سادة ياكرام فذهلت القوم من فصاحة الصغيرة ولما أن سمعوا كلامها وحسن نظامها نادوها أيها الكريمة الأصل والفرع والمنتسبة إلى صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم نحن قوم رسل من عند خليفة الزمان وعبد العزيز عندهم فى أرفع مكان مقدم على الأبطال والأقران وقد صار له القرى والبلدان وهذا كتابه إليكم وسلامه عليكم فعودوا إلى لبس الحلل واركبوا هذه الهوادج والكلل (قال) فلم تصبر أن يستتم كلامه بل عادت إلى أمها وقالت لها أخرجى فإن ابنكى قد أتى إليكى سالما ومن غير الزمان قد نجا (قال الراوى) ياسادة فلما سمعت العجوز خرجت من الخبا وعليها ثياب رثه وهى تجر أزيالها وقد زاد نشاطها وكثر انبساطها وقالت انعمتم صباحاً ونلتم أفراحا ولا زلتم فى المفاخر والعيش الزاهر فى كل عصر وأوان كلما غردت حمام الأراك على الأغصان وحن غريب إلى الأوطان أنارت والله بكم أرضنا وسعد حظنا وأينعت أغصاننا وذهبت أحزاننا ورويت كبودنا التى كانت عطشانة وإلى نظر ولدها ظمآنه ثم أخذت الكتاب ورفعته على وجهها ففاضت المدامع إلى أن بلت البراقع (قال الراوى) ياسادة فلما أن حطت الهوادج عن تلك الأحمال فرفعت الحجف عن عشر جوار مثل الأقمار برسم الخدمة تركيات وروميات ومولدات وعلى أيديهن الثياب الفاخرة والحلى والجواهر الزاهرة ثم قصدن الخبا ودخلن إلى العلويات الحرائر وحطين مامعهن بين أيديهن ووقفت الخدم بين أيديهن وجعلن يتحدثن بالأخبار التى يطرب سماعهن وقلن لهن أن مقام الأمير عبد العزيز فى ملطية وقد تركناهم الآن فى بغداد مع الأمير عبد الوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح الكلابى وقلن لهن معنا عشرة أكياس فيها عشرة آلاف دينار برسمكن فان كان لكم فى هذه الأرض من تريدون صلته فصلوه ومن له عليكن كرامة فأكرموه ومن أردتم حملانه فاحملوه فان ابن عمكن أمير المؤمنين المعتصم بالله أمر بذلك من غير أن يعلم الأمير عبد الوهاب وكل هـذا كرامة له فشكرته أم عبد العزيز ودعت للمعتصم وقالت والله إن هذا الحى وكل من فيه ضعفاء صعاليك وما فيه إلا من لا له

سارحة لا يجب فيها زكاة لأنها دون الخمس من الابل ودون الثلاثة من الخيل لأن هذه المده التى غاب فيها عبد العزيز وقع الفنا فى خيولهم ودوابهم وليس من المروءة أن نشبع وهم جياع وقد أجاد شاعر العرب حيث قال

كفى بك بخلا ان تبيت بشعبة　　وحولك أكباد تحن إلى الأكل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما نظر أهل الحى إلى هؤلاء العرب قد نزلوا عند مضرب أم عبد العزيز قال بعضهم لبعض ويلكم أن القادمين ههنا عند أم عبد العزيز هم على ضيافتنا وان كانوا قد نزلوا على أشراف أسياد أعلا حسبا فان ضيوفهم ضيوفنا وما نتخلى عنهم ولا نحقر شأن أم عبد العزيز لأن ذمامها هو الذمام واذكروا لها وقد دهمتكم الأعداء وسلبتكم من الرداء (قال) ياساده فلم يبقى أحد منهم إلا وعقر ولم تكن إلا ساعة حتى جاءت الجفان على أيدى الرجال فأكلوا حتى شبعوا وعند فراغهم من الأكل سألوهم عن سبب قدومهم فأخبروهم بما جرى فسروا بذلك وقالوا والله ما يهون علينا فراقكم وان كان ذلك سبب أرزاقكم فخرجت العجوز وادعت بالمال فسكب بين يديها عشرة آلاف دينار فذهل أهل الحى الصعاليك منهم والأغنياء ثم جعلت تعطى الرجال وترسل عبدها ميمون إلى النساء والأرامل والأيتام فما بقى أحدا إلا وأخذ من المال إلى أن فرقت الجميع ولم يبقى عندها ولا الدرهم الفرد فتعجبت العرب من كرم نفسها وأصبح أهل الحى أغنياء بعد ماكانوا فقراء ولقد ذكر بعضهم فى تاريخ الحجاز انهم اشتروا بذلك المال أغنام وجمال وجعل الله لهم فيها البركة وصاروا أكثر أهل الحجاز بنعمة (قال الراوى) ياساده وأقاموا الناس ثلاثه أيام وتجهزوا للرحيل فى اليوم الرابع وود عن البنات والنساء وبكيت الحبايب على فراق أحبابهن وركبن فى الهوادج والمحامل والعماريات على مطارح الأطلس المحشية بريش النعام وجروا معهم حوائج وزوامل فيها الكعك والخشتنانك وصاروا وقد حدت الحداة هذا وأم عبد العزيز تعد خطوات الجمال والمراحل والمنازل شوقا إلى ولدها وهى تقول

ألا حفظ الله الجمال لأنها　　تسير بنا نحو الحبيب المدانيا
سأصحبها يوم الرحيل كرامة　　كما صبرت فى طيها للفيافيا
فما برحت روحى بنيل عظيمة　　ولو خبرت بالخافقين كما هيا
وما رمت إلا نظرة بعد نظرة　　إلى وجه من أضحى حبيب فؤاديا
ترى نلتقى يوما وتدنو ديارنا　　إليه سريعا تبل يوم وكاتيا

(قال الراوى) ياساده ياكرام فأبكت العيون وأثارت الشجون وقلوا لها ابشرى

بالاجتماع قريب والوصول إلى الحبيب والأمير النجيب وساقوا الجمال مسرعين وهم بها محدقين وإلى نحو العراق طالبين إلى أن وصلوا إلى أرض الحجز دون الشقوق بمرحله وهم فرحين بقربهم من البلاد غافلين عما يريد رب العباد وما يعلمون بما فى الغيب المكنون وما به قد دارت الافلاك بمشيئة من يقل للشيء كن فيكون ثم دخلوا إلى أرض الشقوق عندها لاحت لهم الغربان تزعق عن يمين القوم فأقبلوا العرب أن يبشرون أم عبد العزيز بقرب ولدها فقالت لا والله إلا أنه تحذر فدبروا أموركم واحذروا عدوكم فانى خائفة عليكم لأنى خابرة بزجر الطائر وكلام السائر فاحفظوا أنفسكم عند الماء واطلبوا الملعونة من رب السماء فقال بعضهم هذه العجوز قد كبرت وأحوالها من شوقها إلى ولدها قد تغيرت فقال لهم أميرهم خذوا أهبتكم فقد قالت الحق لأنها والله من سلالة طيبة ولا شك انها بهذه الأشياء مجربة إلا أن معنا كتاب السلطان إلى سائر معربان بالمراعاة والضيافات والاحسان عند ملاقاتنا فى كل مكان فشدوا عزمكم وجدوا القوم جدا وكدا إلى أن وصلوا إلى الماء وأرادوا الراحة وقربوا من المسير والتعب والظمأ فنزلوا هناك وهم فرحين مستبشرين (قال الراوى) ياساده فما هم إلا أن نزلوا واستقر بهم المكان حتى علا عليهم الغبار من سائر الأقطار وسمعوا وقوع حوافر الخيل كانه دوى السيل وقد كشفت الرجال رؤسها واشتاقت إلى القتال نفوسها وقد أطلقوا إلا عنه وقوموا إلا سنة وفى أوائل الخيل هرمس وهو كانه الفتيق وكان عظيم الخلقة هائل المنظر كانه أسد قسور إذا ركب على عوالى الخيل يعد بأبطال وعبده عميق إلى جانبه وهو يضاهى مولاه فى القوة والشجاعة وكلما فعل شيأ عمل مثله وكذلك الأربعمائة عبد الذين معه ما فيهم واحد إلا وقطع الطريق وحده وأخذ القوافل بسيفه وصاح فيهم هرمس خذوهم فهم رزقكم قد ساقتهم النار اليكم من قبل أن يصلوا إلى العراق (قال الراوى) ياساده فلما نظر الأمير عوف زعق فى رجاله فتواثبوا إلى الخيل فركبوها وإلى سيوفهم امتشقوها وإلى الرماح اعتقلوها ودنوا من أم عبد العزيز وقالوا لها والله لقد صدقتى وما أخطأ زجرك وكنا أخذنا به لما نزلنا بهذه المنزلة وكنا أوسعنا فى البريه إلى منزلة غيرها بفاضل يوم وليلة ولكن كل مقدر كائن وعلينا أن نقول لكم لا تخافوا وتقوا بالله تعالى فما نتخلى عنكم حتى تذهب نفوسنا وتطير رؤسنا (قال الراوى) ياسادة ياكرم وأقبل الأمير عوف على أصحابه وقال لهم أن الله تعالى مدح القلة وأوعدها بالنصر على الكثرة فقال عز من قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم أن هؤلاء حريم علويات وعربيات طاهرات فما يحميهم

إلا كل كريم فقالوا له أيها الأمير الأجل الرفيع المحل والله ما فينا إلا من قال فى نفسه هذا وحسب هذا الحساب رغبة فى الثواب وخشية من العذاب فقال لهم ومع ذلك فها أنا أسير إليهم وأحذرهم وأنذرهم وأخوفهم من بأس الخليفة فان أجابوا فهو الذى نريد وقد حقن الله الدماء ودفع عنا وعنهم الأذى وإن لم يقبلوا ولم تعمل فيهم النصيحة فأنا إن شاء الله تعالى نوثقهم طعنا وضربا ولو كانوا بعدد الرمل والتراب فان سلمت يبيضت وجهى عند أمير المؤمنين وعند الأمير عبد الوهاب وعند الأمير عبد العزيز وإن هلكت فما يضيع عند الله تعالى لأنى حامى عن نسوة لهن اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لوى عنانه إلى الخيل المقبلة وقد صاح بحجرة كانت تحته من أسبق الخيل اسمها برقة وكان بكفلها تدوير وبحوافرها تحجيل وبيدة رمح طويل أربعة وعشرين أنبوبة جيد الكعوب وعليه سنان كأنه كوكب أو قبس على مرقب أو نار ذات لهب فلما دنا من الخيل أوقفها وصاح ويلكم ما نحن ممن يطمع فى من لنا ولا بدرهم واحد لأننا أبطال الحرب فى موقف الطعن والضرب تخافنا الأبطال وتهابنا الأقيال وما منا إلا كل ليث ريبال معود للطراد والنزال وأنا عوف المعروف وفى الأبطال موصوف وفى الحى أقوى الضيوف لا يذل جارنا ولا يهان جوارنا ولا تخرب ديارنا ولا نرضى لأنفسنا بالعار والذل والشنار ومعى من القوم مائة فارس قد خاضوا المعامع وشهدوا الوقائع وأعرفكم إننا رسل الخليفة المعتصم ويد الخلافة لا تطاولها يد فان أنتم تعرضتم لنا فما تسعكم الأرض ذات الطول والعرض ولا يجيركم من الخليفة مجير وما معنا مال ولا نوال ولا رجال وانه ما معنا فى هذه الهوادج غير نسوة عربيات شريفات حسيبات نسيبات لربهن طائعات وهن أخوات عبد العزيز العلوى (قال الراوى) يا سادة فلما سمع هرمس كلام عوف وكان فى أوائل أصحابه كما ذكرنا فناداه يا ابن اللخنا سلم ما فى يدك من الرواحل فانك عن الدنيا راحل فما فيك شك ونحن عارفون بك وبمراضعك وأما قولك عن العربيات فما القصد أحد غيرهم حتى نسلمهم إلى أعلاج الروم بعد أن نمحى منكم الرسوم (قال) فلما سمع الأمير عوف كلام هرمس أسودت الدنيا فى عينه وقال له يا ملعون ما ترهب الخليفة المعتصم وتعلم أن يد الخلافة لا تطاولها يد فانه ليس ينجيك من الخليفة أحد فقال هرمس للأمير عوف لا وحق النار والنور والظل والحرور وإن كنت ما تعرفنى أنا أعرفك بنفسى أنا عابد النار هرمس المجوسى وطول دهرى أقطع الطريق وأخون السبيل وأرغم آنف أهل العراق ولم أخف عسكر جرار ولا فارس كرار ولا سلطان قدامه أشرار وبعدها أنشد يقول هذه الأبيات

أيا عوف خلى الغانيات فانني نصحتك نصح المشفق المتوكد
حلفت بحق النار إذ لم أسوقهم إلى بلد الكفار فعل مسدد
وأعطيهم للروم من غير وخمة وأنصح أرمانوس إذ ذاك سيدى
وما فيكم من ينج منا بسيفه ولكنه يهوى بحد مهندى

(قال الراوى) يا سادة فلما سمع الأمير عوف ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه ورجع إلى قومه وقال لهم خذوا لأنفسكم الأهبة فهذا الذى تعرفونه ولا تنكرونه هذا هرمس المجوسى وقد ذكر أنه ما أتى إلا لهذه العلويات قاصد ولهم معاند فقالوا له وما عسى أن نفعل فوحق الله العظيم ورسوله الكريم لا نتخلى عن هذه النسوة وفينا عين تطرف فشكرهم على ذلك المقال وقد أدركه هرمس المجوسى فعطف عليه الأمير عوف وهو ينشد بهذه الأبيات الحسان

أهرمس قد أتاك حتفك عاجلا عزيز حكيم عالم السر والجهر
جواد رؤف قابل التوب حاكما بصير قدير كاشف الهم والضر
فكن راجعا عن حربنا ونزالنا وإلا وبالمختار والطاهر الطهر
أذقتك ضربا يترك القرن ثاويا ويضحى صريعا فوق مهمهة القفر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلم يتم الأمير عوف شعره حتى انطبقت عليهم الرجال وعملت الصواوم الثقال ولعبت الأسنة بأرواح الرجال وارتجت الأرض بالزلزال وأظلم الجو من كثرة الغبار ونفرت الوحوش من الأوكار وحكمت الشفار فى الأعمار وحمى عليهم النهار وكانت أرض مقفرة معطشة كثيرة البلاء والآفات قليلة العشب والنبات فعند ذلك حمل هرمس على الأمير عوف وطغى وتجبر وقال يا أخس البشر وأقل العرب ومن ضرب فى البيداء وتدوطنب وجامع الجلة والحطب وحق النار ذات اللهب لولا أننى أذرى إلى مثلك ولكن أقل من فى هؤلاء يأتينى برأسك من بين أهلك وناسك ثم نادى يا أبا مقلاع فقال لبيك قال له دونك وعوف أرغم أنفه ولوح قحفه وعجل حتفه فقال يامولاى أخرج إلى عوف وجميع أصحابه فقال لا بل له لوحده ولكن الباقون نصب عينه (قال الراوى) عند ذلك حمل أبو مقلاع على الأمير عوف فحمل الآخر عليه فما كان مثلهما الا كمثل كبشين تناطحا أو أسدين تكافحا وأخذا فى الكر والفر إلى أن قدحت حوافر الخيل النار من شدة الجولان ثم أختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة الأمير عوف فوقعت فى خاصرة أبو مقلاع فالقاه بها فى القاع فعظم ذلك على هرمس وكان هذا العبد له عنده منزلة عظيمة وكان يفضله على جماعة من العبيد

فلما أن رآه قتيلا بكى وقال يا عوف قتلت أبا مقلاع يا خسيس الطباع فقال نعم وأقتلك معه يا ابن اللخنا وتصير ملقى فى القاع مخضب من ذلك فغضب من ذلك وصاح يا سالم فأجابه عبد كأنه الفتيق فى تقاطيع الجمل هائل المنظر طوله قصبه وعرضه مصطبه فقال لبيك يا مولاى فقال له أخرج إلى هذا الذى قتل أبو مقلاع فخذ ثاره ولا ترتاع فقال له سمعاً وطاعة يا مولاى فلو كنت دعوت إليه غيرى لقتلت نفسى لأنى أولى بالمصيبة وما هو من رجالى ولكن الأيام تجور والزمان غرور وحمل سالم وجال على الأمير عوف فما فى الحاضرين الامن أيقن أن سالم هو الظافر لأنه مثل الجمل الهائج والزبد على شدقيه مثل القطن المندوف ففتحا فى الأرض ميدان وأجادا ضربا وطعان إلى أن صار وقت الضحى فاختلف بينهما طعنتان فسبقه عوف بالضربة فجاءت على فخذ سالم فقطعته إلى حد ظهر الجواد فأحس الجواد بالسيف فنفضة من على ظهره إلى الأرض فصاح هرمس ياويلك قتلت سالم قال نعم ولو كنت موضعه لقتلتك فغضب ودمدم وأشار إلى الشمس ساجدا وقال وحق هذه الحرارة الموقدة التى كأنها نار مرصده لأقتلنك أشر قتلة ثم نادى يا شيظم قال لبيك فقال له دونك وإياه فما للحديد إلا الحديد ثم أن شيظم حمل على الأمير عوف وهو يرتجز ويقول

سابكى على من قد مضى فى مهامه من القاع بعد الكر والفر والفخر
عنيت لمولاى الأمير وصحبه لأن له فخرا يفوق على الفخر
ومن دينه دينـــا صحيحا لأنه يشير إلى النار العظيمة والجمر
سأسلب عوفا روحه بمهند صقيلا يقد الهام يقدح كالشرر

(قال الراوى) ثم حمل شيظم على الأمير عوف فاستقبلة وتعاركا وتماسكا وتشابكا ولم يطل بينها القتال حتى ضربه عوف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فصاح هرمس بأصحابه ياويلكم قتل شيظم فقال له واحد منهم يقال له بشار وكان عارفا بعوف من قديم الزمان ياهرمس أراك تتعجب وتقول قتل فلان وقتل فلان لعمرى ولو كنا فى أمثالنا أربعين مرة لفرغ منا ولم يترك أحدا وأنا أعرف الناس به وهو الذى خوارج بلاد خراسان نظرت منه الأهوال وقدمه الرشيد على عساكره والأجناد فهد له البلاد وعمل الجسور والقنـــاطر ورجع سالم فانظر لنفسك وأن المعتصم لو لم يعلم أنه وحده يريد عسكر لما أرسله مع هؤلاء المائة فارس فان أردت قتله فاخرج اليه بنفسك أو يخرج اليه عبدك عميق فليس له مثله وإذا لم تريد ذلك فأطلقنا كلنا عليه وقد قتلنـاه فى ساعة واحدة بالصفاح ورفعناه على أسنة الرماح وليس الجد مثل المذاح (قال الراوى)

يا سادة يا كرام فلما أن سمع هرمس كلام بشار عظم عليه وكبر لديه ونظر إلى أصحابه كلهم نظرة الغضب قالوا على بشار وقالوا له أسكت ثكلتك أمك وعدموك قومك يا ويلك ومن هو سبع الآجام وربى على أكل الحرام وما خرج إلى عوف إلا الذى لاقدر لهم ولا شأن وأقل ما فينا يخرج اليه ويقطع رأسه من بين كتفيه فلما تكلموا مع بشار من كل جانب ضحك وقال أنا قلت لكم ذلك على سبيل أنى أنخيكم وإلا فأنا أعرف أن كل واحد منكم يريد من عوف جماعة فدونكم واياه واحد بعد واحد لا يركبنا العار ونصير معيره فى الأقطار لأن الانصاف مليح والجور قبيح ولولا أننى أخاف أن خرجت اليه تغتابونى وتقولوا أقعدنا عنه وخرج اليه حتى يكون الذكر له لما خرج اليه غيرى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فرضى عنه هرمس بذلك الكلام وأقل عنه العتب والملام ثم خرج اليه فارس رقيق رشيق كأنه شعلة حريق أو حجر منجنيق وفى يده ثلاث مزاريق لو ضرب باحدهم جنب فتيق لما كاد ان يطيق فشهد له أصحاب الأمير عوف بالشجاعة لأجل ما فيه من الرشاقه هذا وأم عبد العزيز وبناتها يبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء لعوف ان ينصره على أعدائه (قال) وكان اسم الفارس رشيق بن هطال وكان بطلا لا يطاق ولا يلتق صعب المراس ما ضرب قط بمزراقه أحد إلا وأهلكه سيدا كان أو راجلا فحاد إليه الأمير عوف وعطف عليه عطفة الأسد بهمة أخف من الهوى إذا سرى وكان الأمير عوف ابن سبعين سنة وهو صوام قوام وكان قد خطف المزاريق من الهوى لما حصل فى كفه هزه وزرقه به فوقع فى صدره كانه حجر منجنيق فطلع من فقارة ظهره على التحقيق فوقع إلى الأرض صريع يمج علقما ونجيع فكبروا أصحاب الأمير عوف فصاح به هرمس صيحة عظيمة نفرت منها الخيل فقال بشار لا بأس عليكم تقطعوه بأسيافكم فطيبوا قلوبكم ولا تتركوا العار يركبكم وليخرج إليه فارس خلافه فلولا السبب الذى قلت لكم عليه لخرجت عليه فخرج إليه فارس يقال له عاصف مثل الريح العاصف يقصر عنه وصف الواصف وحمل عليه فالتقاه عوف بقلب غير قلق ولم يطل المكث بينه وبين عوف دون أن ضربه ضربة من كف منطاق جاءت الضربة فيهما خفة مرقت من عنقه إلى تحت كتفه فمال إلى الأرض فصاح بشار لهرمس وقال يا مولاى قتل عاصف فأخرج إليه غيره ما دام إنه قد تخبل حتى يأخذ التار ويكشف عنا العار فان الشجاعة صبر ساعة فاغتاظ هرمس من كلامه وأراد أن يفتك به فخرج إليه فارس كانه البرج المشيد أو جبل من حديد وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى فى الحرب طاب لى العمل لا أرهب الموت ولا أخشى الوجل
اليوم يا عوف نراك مجندلا لطعنة صمصامة سمر الأسل
إن كنت ما تعرفنى وإلا فسل نخالد اسمى وأكنى بالجمل

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما فرغ من هذا المقال قال له دونك والقتال والحرب والنزال فحمل عليه عوف وتحاربا حربا شديدا يشيب من عظم هوله الطفل الوليد ويخضع له كل جبار عنيد ثم عطف عليه الأمير عوف وطعنه طعنة أسد ريبال فوقعت الطعنة فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره فقال هرمس يا ويلكم قتل خالد البطل الجالد الذى كنا نعده للشدائد ويا حسرتاه يا خالد الجمل فقال بشار لا بأس عليكم فما أقول إنه قد بقى فيه ما يدفع عن نفسه فدونكم والبراز إليه والساعة وتأخذوه فغضب هرمس وقال يا ويلكم اقتلوا هذا بشار القرنان فقد أفطر قلبى بالهذيان وما هو إلا يهزأ بنا وحق النيران وتصاعد الدخان ثم حمل على بشار بنفسه ليطعنه فقال يا مولاى بحق النار لا تفعل فأنا أخرج إليه وآخذ رأسه من بين كتفيه فقال له هرمس دونك وإياه فخرج بشار على جواد سابق له لون رائق فلما تقرب منه ناداه يا مولاى لعلك قد سمعت ما جرى على منه وما جئتك اضطرارا بل اختيارا ولى أسوة بك وقد استأمنت اليكم ثم قذف بجواده إلى الأمير عوف ونادى يا هرمس اليوم آخذ رأسك وأخمد أنفاسك كيف ترى ما خرج منكم إلى هذا أحد وسلم غيرى فما فيكم أشجع منى فمن أراد منكم السلامه فليعمل كعملى وليفعل كفعلى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع هرمس ذلك لم يجد اصطبارا دون أن خرج بنفسه كانه العقاب الكاسر والأسد الظافر فتعلق به عميق وقال له هيهات يا مولاى ان أمكنك من الخروج إلى من كرهت نفسك الخروج إليه فى أول مرة وأنا بين يديك وسوف آتى به إليك ثم خرج إليه عميق ونادى يا عوف دونك والقتال فلما سمع عوف ذلك رجع وودع أصحابه وأوصاهم بالحريم (قال) وكان عوف قد خالطه التعب مما لاقا من الأبطال الذين خرجوا إليه وظفر بهم (قال الراوى) يا سادة وصار عميق وقال يا عوف الرجال يختلفون فدونك والقتال والانصاف فاذا أخذت الراحة كانت المبارزة لك مباحة فقال الأمير عوف دونك والقتال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال) وكان هذا العبد عميق جبار وكان فى طبقة اللعين هرمس وكان الأمير عوف عاقلا مسددا فلما علم خصمه خشى العاقبة فرجع إلى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وقد برز إلى هذا العبد وهو أشجع وأفرس ممن خرج إلى وأن ما فيهم أحدا مثله وأنا أعرف الناس به وقد بذلت نفسى لله تعالى حتى

قتلت من تعلمون ولولا هرمس وهذا العبد لم يكن فى الكل من يقوم مقامى ولا يروم مرامى ثم نادى بولد له يسمى صباح وقال له يا بنى قال لبيك قال وصيتك بالحريم ولا تنظر إلى شبابك فتتخلى عن البنات الأبكار العلويات الأحرار ولا يأخذونهم عبدة النار فيغضب عليك الملك الجبار واعلم إنك إن مت شابا طائعا أحب اليك من أن تكون شيخا عاصيا فقال له صباح أيها الأمير أما ما ذكرت من تسليم الحريم فوالله العظيم لا أسلمهم وأنا أعقل على روحى وإذا غلبت بعد ذلك فلهم رب لا يتخلى عنهم فهو أن ينصرهم فلا خاذل لهم وما أقول انك قد وهبت هذا الفارس لى فروحى لروحك الفداء وأنت فقد تعبت من هؤلاء الأعداء فدعنى أنا أخرج اليه فهو منا قلبى وأنا أؤمل من العزيز المولى أن يظفرنى به وما قدر هذا العبد الملعون فقال له عوف يا بنى سلمك الله تعالى ورضى عنك هيهات أن أريحك أن تخرج اليه وما وصفته يا بنى خوفا منه ولكن على وجه التعريف لكم والله خليفتى عليكم (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم رجع إلى عميق وانطبق عليه وحمل كل واحد منهما على صاحبه حملة صادقة ودام بينهما القتال واشتد المجال وحجبت منهم الأفيال وطلع الغبار فحجبهم عن الأبصار فصار لا يسمع منهما إلا التهدير من صدورهما والشخير من فرسيهما وما زالا كذلك طول النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وناداهما الفريقان بالانفصال فرجعا عن القتال فأما الأمير عوف فالتقوه أصحابه بالدعاء والهناء وقالوا لله درك من شيخ أشفى الغليل وأرضى الملك الجليل فجزاك الله عن فعالك خيرا وقامت اليه العجوز العلوية وقالت ياابن الكرام جزاك الله انعاما واكراما فقد شفيت صدورنا من اللئام وسكنت بعزمك لوعات البنات الأيتام ونحن نسأل من بقدرته أسكن الظلام وأنزل الغيث من الغمام ووضع الأرواح فى الأجسام وهو الحى القيوم الذى لا ينام أن ينصرك ولا يخذلك ففرح بدعائها وتولى ولده الحرس واجتمع الفرسان مع الأمير عوف وسألوه عن خصمه فقال والله لقد لاقيت فرسان العرب والعجم والترك والديلم ومثل هذا الملعون عابد النار ما رأيت من حسن احترازه من الطعن والضرب وما فتحت بابا من أبواب الحرب الاسده إلى أن أذهلنى ذلك وما صدقت بالليل أن يقبل والظلام أن ينسدل كيما تنفصل لأننى والله كنت قد تعبت من غيره كما علمتم غاية التعب وبالله المستعان وانى صبرت اليوم على شدة الحرب الشديد الذى ما عليه من مزيد وأرجو من الله تعالى فى غداة غدا أن يبارزنى كما جرت العادة فاما أن أقبض فأفوز بالسعادة وأما أن أقتل العبد وهرمس وقد ذلوا الباقين بعدهما فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من العبد عميق فانه رجع إلى هرمس

وقد هلك من شدة التعب فهناه بالسلامة وقال له ياعميق ما قلت ان هـذا الرجل الشيخ فيه هذه الجلاده أبدا وما قلت أنه يثبت معك ساعة واحدة ولقد كنت أقول انك تلاقى عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب فقال له يامولاى اياك والاحتقار بالرجال فان ذلك من ضعف الرأى وسوء التدبير وأقسمت بذات الشواظ واللهب وأكالة الحطب والخشب ان كنت رأيت من هو أوفى من طبقة هذا الشيخ إلا أن يكون أنت ولقد لقيت عبد الوهاب أمير بنى كلاب وقد خرجن قاطعين الطريق مع حفاجه على الحجاج وكان معه جماعة من بنى كلاب ولم نعلم به وأنه حمل علينا فى قومه وأصحابه فقتل منا مقتلة عظيمة ووقع عبد الوهاب فى قسمى فقارعته بطول النهار إلى أن شخصت الأبصار فلما رأى ذلك منى فقال لى ما اسمك قلت عميق فقال هل لك أن تدع هذا الحرام وتعد إلى الله تعالى وأنا أعطيك من المال أوفى مرام فلما سمعت ذلك خفت أن يكون ذلك حيلة منه على حتى يفترسنى فلم أفعل وخدعته حتى خلصت منه وفى ذلك العام جئت اليك فعرفتنى مقصودى وأريتنى طريق معبودى ولم أرى فى زمانى ذلك إلى الآن أعظم من هذا الانسان ولعمرى لقد بان لى منه التقصير فى آخر النهار إلا أن الليل أدركه بسلامته وفى غداة غد يكون الانفصال وبلوغ الآمال فقال هرمس إن كان قد بان لك أنه أرجح منك فاعلمنى حتى أخرج اليه وأكفيك مؤنته (قال الراوى) ياسادة وقد بات الناس يتحدثون ويتفكرون فيما يجرى بين الفارسين وأقاموا إلى أن برق ضوء الصباح فقال أصحاب هرمس أيها الأمير لقد كان بشار نعم الناصح والمشير وأنه حذرنا من الموت فأقبلنا منه وقد قتل منا خلق كثير واليوم نحمل عليه وتسقيه شراب النكال والتعتير فقال لهم هرمس لا أقبل هذا ولا أسمعه منكم لأنكم عجزتم عن واحد قتل بعضكم وما قدرتم على أخذه إلا بالمكاثرة وليس هذا صواب ولكن إذا عجز عبدى عنه برزت أنا اليه ثم آخذه فى نفس واحد وأنتم لى بذلك أكبر شاهد ثم قال ياعميق على ماذا عولت قال على الخروج إلى خصمى حتى أشفيك منه فقال له دونك وما ذكرت فوثب عميق كأنه شعله حريق إلى أن صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى أين الشيخ المجالد وقاتل رفاقى فليخرج إلى ويقدم على فاما أن يلحقنى بأصحابى وأما أن أقتله اليوم وأريحه من اللوم فما استتم كلامه حتى خرج اليه الأمير عوف كأنه الأسد الضرغام فتلقى عميق كأنه نار الحريق وما زالوا فى كروفر وأخذ ورد وهزل وجد وأخذ ورد إلى أن تقصفت الرماح وتقاربا حتى التصقا واحتك الركاب بالركاب وبطل بينهما الضراب والطعان ولم يبق إلا المعاركة والمقابضة والامير عوف

شيخ كبير على كل حال فلم يزل به العبد إلى أن أضجره وجذبه من جلباب درعه ورفص جواده برجله فخرج من تحته وبقى الأمير عوف معلق فى يد عميق فعطف به راجعا إلى مولاه هرمس ففرح به واستبشر وقال أحسنت يا عميق (قال الراوى) يا سادة ونظر صباح ولد الأمير عوف إلى أبيه وهو فى يد عميق أسير فرمى عمامته ثم صاح وا أبتاه وحمل فحملت رجاله وقد عظم عليهم وكبر لديهم وحمل هرمس بجميع جنده وجال على الناس بعظم طعنة وضربة وعمل الهجير على السادات فأيقنوا بالممات وأمسى المساء وحندست الظلماء وقد قتل من أصحاب الأمير عوف عشرون رجلا وقتل من أصحاب هرمس مثلهم وكان هرمس قد فتك فى الأبطال وحاما عن عميق حتى خرج من حومه المجال بالأمير عوف ثم أوثقوه كتاف وأرادوا قتله فقال هرمس لا تفعلوا فاننا ما نتقرب إلى الملك أرمانوس إلا بهذا الذى قد شاهدتم فعاله وهو رجل مذكور عند الروم ثم صبروا إلى أن أصبح الصباح وقد خرج عميق إلى مقام الكفاح فهم صباح أن يخرج إليه فقال عبد يقال له تميم بالله يا مولاى إلا ماتركتنى أخرج إليه فقد اشتاقت نفسى إلى قتاله فقال صباح دونك وما طلبت فبرز تميم إلى عميق وخرج من أصحاب هرمس فارس فحمل عليه صباح فلما طال الحرب بين صباح وبين صاحب هرمس حتى قتله وخرج اليه آخر جند له ولم يزل كذلك إلى أن قتل من القوم سبع فوارس فأمسك عنه القوم ولم يخرج اليه أحد وأما الأمير تميم فانه قاتل عميق قتالا شديد إلى أن أختلف بينهما طعنتان فسبقه عميق بالطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره ونظر عميق إلى ما فعل صباح بأصحابه فحمل عليه فتلقاه صباح وأنطبقوا الأثنين وحان بينهما الحين إلى أن مالت الشمس إلى الغروب فصاح عميق يا صباح ما بال النساء مولولات صائحات وأصحابك ليسحبوهم الينا وهن يطلبن الأمان منا (قال الراوى) يا سادة فلما سمع صباح ذلك من عميق ذهل وحسب ان ذلك حقا وان أصحابه قد فعلوا ذلك خوفا من الموت فالتفت إلى القوم وهو مدهوش ينظر إلى ذلك فوثب اليه الملعون وطعنه فى جانبه الأيمن نفذ الرمح من الجانب الأيسر فبكيت النسوان وكذلك أصحابه الفرسان وقال كل واحد منهم وا أسفاه عليك يا صباح والله لقد خدعه عميق وعجل الله بروحه إلى الجنه ونظرت أم عبد العزيز إلى ذلك فأسبلت دمعتها وزادت حسرتها وقالت ليته كان أسر فقالوا لها الباقون أيتها الأميرة كلنا إلى هذا المصير مصيرنا ومالنا فى الحياة أرب وإن كانت المنية مر المزاق ولكن نحتمل ذلك فى طاعة الملك الخلاق ولا نصير معيرة عند أهل الآفاق (قال) وأظلم الليل عليهم فأمر هرمس عبيده ان يطوفوا بخيولهم طول الليل

حتى لا يهرب منهم هارب إلى أن برق ضياء الفجر هنا لك خرج من أصحاب هرمس فارس وكان اسمه الديال وهو معروف بين الفرسان فقال ياويلكم أيها الجاهلون بما قد نزل بهم هذا هرمس الذى تفزع منه الابطال وتستنجد به الاقيال وعبده عيق وقد عاينتم من فعالهم ما أبصرتم وما بقى لكم محامى فان كان لكم نية فى السلامة فسلموا نفوسكم تسلموا من الموت وإن أبيتم ذلك فكلا منكم هالك فما أنتم قائلون (قال) فأجابه فارس يقال له ماجد بن سعيد وقال له ويلك ان مقالك بئس المقال ولسنا ممن يسلم الحريم إلى الأنذال ولا نرغب فى الحياة الفانية (قال) فلما سمع الفارس كلامه حمل عليه وتطاعنا ساعة ثم أنه طعن ماجد فى صدره أطلع السنان من ظهره وخرج إليه آخر جندله حتى قتل من القوم اثنى عشر رجلا وبقى الثلاثون فأيقنوا بالهلاك والتدمير ودنا منهم عميق وقال ويلكم القوا مافى أيديكم من السلاح وأسنة الرماح قبل أن يحل الأمر من فارس الوقائع ويخطف أرواحكم من بين الاضالع فصاح به بشارهم يا عميق وها أنا معهم أنصحهم وأقول لهم لاتفعلوا واخوفهم من بأسكم لأنى أعرف من شجاعتكم ما يعرفه أحد وكان قصد بشار أن يصلح شأنه عندهم لأنه عاين من القوم أنهم مغلوبين (قال الراوى) فلما سمعت بنات الفضل العلوى ذلك أقبلت الكبيرة على أمها وقالت أعلمى أن القوم هلكوا من أجلنا وأن الباقون قد تخلوا عنا وما يلامون على ذلك لأن الموت غير لذيذ ومذاقه صعب شديد وأنا الذى لا أسلم روحى إلى الأعداء وأخاف من نكبات الرداء والمعيرة فى كل مكان أبدا فقالت لها أمها وما الذى تصنعين يا نسيبه وما الحيلة فى هذه المصيبة فقالت لها أركب بعض هذه الخيول الجياد وأعول على الجلاد حتى أشفى فؤادى من الأعادى فان نخوة عبد العزيز فى رأسى من يوم كنت أراه يركب الخيل ويتفرس عليها وكنت أفعل كفعله وأنا وأختى عارفين بالفروسيه ولا نسلم أنفسنا الكرام إلى هؤلاء اللئام ثم أقبلت على بعض الرجال وقالت له بلسان فصيح ياوجه العرب جزاك الله تعالى خيرا فلقد نلتم من الله الثواب وما بقى فيكم إلى هؤلاء القوم فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولكنى أحق من بكى لأنى كالوالهة الثكلى وأنا أخرج إلى هذا الملعون عميق قبل أن يهجم علينا ويصل الينا ولقد بلينا منه بمالا يطاق على أنى قد لاحت لى عليه المضارب وهو كثير الاحتراز فاعطونى جوادا وعدة جلاد وسوف يظهر لكم ان شاء الله تعالى عجزه (قال الراوى) ياساده فلما سمعت العرب كلامها قالوا لها يا كريمة النسب هذه خيولنا كلها بين يديكى ويعز علينا أن يصير هذا الأمر اليكى ثم انها مدت عينها إلى جواد كان بين يديها يسبق الأجل مليح الكفل

سريع إذا صهل يحجل الأربعة بغرة مثل الصباح فعادت اليه وأوثقت حزامه فعلقت قوائمه من الأرض حتى أخمدت أحداق الجواد من كثرة ما قاسى منها ولبست درع سابل الأكمام حسن النظام وعملت البيضة على رأسها وتحزمت من فوق الزرد وأخذت رمحا طويلا بكفها وأشارت إلى أختها وأمها وهى تقول

عليكم سلام الله مالاح كوكب ... وماحنت الأطيار يوما إلى الوكر
سلام الذى خافت من الضيم فانثنت ... تريد الأعادى بالمرهفات السمر
سأترك أجسام اللئام طريحة ... إلى الطير ملقاة إلى آخر الدهر
أحامى عن القوم الكرام وغيرة ... عن الأم والاخوان فهم ذوى القدر
فان بلغت روحى فلله درها ... لقد خلصت من أسرها فى يد الكفر
فقد جاء فى الأمثال بيتا معينا ... حفظناه مما قاله وهو ذو خبر
أموت بعز لا أموت بذلة ... وعند الكرام القتل أحلى من الأسر
وأرجو من الله الكريم وفضله ... يمن علينا بالنجاة وبالنصر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ونظر عميق إلى الجارية وقد خرجت من خباها وركبت جوادها وقصدت اليه فلما تقربت منه ناداها بصوت كانه الرعد القاصف وقال ياجارية أراكى قد خرجتى إلى وأنا أبارز النسوان وأترك الشجعان فقالت له الويل لك يا خسيس سوف ترى ما تفعل الجارية يا عدو الله يا مطرود عن باب الله يا ويلكم بارزتم الرب الرحيم وقطعتم الطريق على الحريم ثم أنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات .

سيأتى اليك الويل ياولد الزنا ... رويدك قد دارت عليك الدوائر
ستعلم انى حرة غير آنى ... إلى نسبة فى الناس تأوى المفاخر
إذا اعتركت خيلى وخيلك ساعة ... ستعلم منا من هو اليوم خاسر
أحامى عن نفسى من العار خيفة ... وخانى اخوات كرام حرائر

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عميق كلامها وما نطقت به من لسانها لم يلوى عليها بل انه التفت إلى خلفه ونادى ياعقال فقال لبيك يامولاى فقال دونك وهذا الفارس فانى أكره قتال النساء فلما سمع كلامه حمل على الأميرة النسيبه وهو يقول هذه الأبيات .

انى أنا عقال يوم الحرب ... لا أنثنى عند المقام الصعب
ما راعنى يوم الهياج الخطب ... ولا رهبت كل ليث ندب

وأترك القرن طريح الكرب أما بطعن الرمح أم بالعضب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعت نسيبه ذلك من كلامه لم تحفل به ولا التفتت إلى قوله دون أن حملت عليه فما فى الرجال إلا من ظن أنها عبد العزيز ثم أنها جالت مع عقال وما طال المكث بينهما حتى طعنته فى صدره أطلعت السنان من ظهره وصاحت بعميق وقالت له دونك وأخذ التار وكشف العار فلم يلوى عليها غير أنه قال اصبر أيها الفارس ثم صاح على أخو المقتول وقال له دونك وأخذ تار أخيك من هذه الجارية عند ذلك تقدم وعلى قتال الجارية عزم فتلقته وطال الخطب بينهما فما هى إلا أن طعنته ألقته على الأرض عندها نادى هرمس ويلك ياعميق لا تكون أحمق دونك واياها فهى أشجع منك الدرهم قنطار فاحمل عليها وخذ حذرك منها فلما سمع عميق كلامه حمل عليها وتطاعنا وتضاربا وتباعدا وتقاربا واختلف بينهما ضربتان فكان السابق بالأولى نسيبه العلوية فجاءت ضربتها على حبل عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فقال هرمس لقومه يخرج منكم عشرة فوجدوا لكلامه راحه. ثم خرج اليها عشرة من فرسانهم فما كانت إلا ساعة حتى لقطتهم بالرمح والحسام مثل ما يلتقط حب السمسم الحمام وطلبت البقية بالحملة فمنعهم هرمس من ذلك وحمل وهو معجب بنفسه على نسيبه العلوية فلما نظرت اليه وإلى شمائله وقد عرفت منه النجابة وأنه بطل لا يقاس بالأبطال وصاح بها أصحاب عوف أيتها الحره أنظرى ما بين يديكى نظر الله اليكى هذا الذى برز هو الشيطان هرمس فقالت ابشروا فو الله ما أسلم روحى ولى عين تطرف وأنا ما أخاف من تقلبات الزمان وطوارق الحدثان فنادت اليها أمها يابنيه ما الذى تصنعى فقالت لها سوف ترى العجب وكان الملعون قد خرج على جواد سابق يسبق القضاء المبرم لونه أدهم بغرة كالدرهم له صهيل إذا همهم وحمل على ميمنة القوم فقتل فارسا وطلب الميسرة فقتل آخر وكانوا القوم قد وقفوا ميمنة البنات وميسرتهم (قال) فلما رأت نسيبه إلى ذلك صاحت بجوادها فخرج كالبرق الخاطف أو الريح العاصف وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت ولم يبق مع العلوية لاسلاح ولا رمح ولا سيف وكان الملعون معه سيف عمل الهند قوى المسمار يصرم الأعمار فلما نظر إلى ذلك أصحاب العلويه قال بعضهم لبعض ياويلكم ما لنا الساعة من يذب عنا يدفع شر هؤلاء غير الله وهذه الحرة العربية العلوية النسيبة التى قد رأينا من قتالها كل عجيبة وجوادها قد تعب وعدتها ليست بطائلتها فنادوا بها حتى تأخذ ما أرادت من عدتنا وخيولنا فصغت اليهم وسمعت

مقالهم ورجعت اليهم وقالت لهم ما الخبر فقالوا لها أيتها السيدة غيرى جوادك وعدتك فقالت أما الجواد فأنى أراه كلما جال كانت قوائمه فى الأرض كالاوتاد وما على من الجلاد وأما السيف فقد تتلم فعجلوا إلى برمح وسيف فتبادرت الرجال اليها بما طلبت فأخذت العدة وحملت على الملعون هرمس فلما رأى ذلك حمل عليها فقالت له دونك يا عابد النار وياطريد الملك الجبار ويا رأس الكفرة الفجار وياعدو محمد المختار ويلك ياملعون كيف لك أن تقوم أمير المؤمنين على المرتضى زوج فاطمة الزهراء وهوالضارب بذى الفقار الذى هربت الجن من عجائبه وكبرت الاملاك عند مضاربه وأنا من سلالة أقاربه فدونك ياملعون والقتال وستعلم دائرة السوء على من تصير ولو بعد حين ثم أشارت تقول

أيا من خزاه الله أن يظهر الكفر ✲ ومن هو فى الاشرار أعلم بالشر
علونا بمولانا على لأننا ✲ من العلويات الشراف أولى الأمر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع اللعين هرمس ذلك من شعرها حمل عليها فتلقته بقلب ملىء من الايمان فكانوا كجبلين تصادما أو بحرين تلاطما ثم فتحا فى الأرض ميدان وأجاد ضربا وطعان وغاصا فى الأوابد وصبروا على الشدائد وسمع الناس من الملعون هرمس زمجرة مثل الرعد القاصف هذا وأم عبد العزيز مسكت ثدييها وهى تقول إلهى أنصر حريما ضعفاء ينتسبن إلى عبد المطلب بن عبد مناف ومالنا محامى غيرك وهذه أبنتى قد خرجت تحامى عن نفسها خيفة الفضيحة والعار وأن يهتك سترها الكفار وعبدة النار وقد بعدنا عن أوطاننا وفارقنا أحبابنا وماتت رجالنا ولم يبق إلا عبد العزيز وهو غريب فى البلاد ولم يعلم ما قد جرى علينا من الأعادى إلهى عز جلالك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ولا ناصر علىك أن هؤلاء الأشرار يهتكون منا الاستار ويأخذونا إلى بلاد الكفار فمالنا ملاذ ولا مستجار إلا أنت يا عزيز ياجبار (قال) يا سادة هذا والملعون هرمس قد صاح صيحة خيل لها أن السموات أنطبقت على الأرض وأن الملعون مسك الشريفة وجذبها من جلباب درعها اقتلعها من سرجها ورجع بها إلى أصحابه وقال أوثقوها كتاف فوحق النار والنور لأطرحن عليها فى بلاد الروم مالا تقله أرض ولا سماء حتى أعلمها أننى حلفت بالنار وبررت قسمى وكنت ذو اقتدار فأخذوها منه وشدوها بجانب الأمير عوف فلما نظر اليها بكا بكاء شديداً وقال ياليتنى قطعت بالحسام ولارأيت هذه المصائب العظام فقالت له يا عوف لقد فعلت فعل الكرام ولا يجب لأحد أن يتعرض على الملك

العلام فى قضائه والأحكام فهو القيوم الذى لاينام يظهرقدرته وينشر رحمته ونحن من أهل بيت أبتلوا فصبروا ولربهم شكروا وما للعبد ان يتعرض على مولاه فيما أبلاه بل يرجع إلى من يسمعه ويعلم سره ونجواه فنسأله أن يفرج عنا هذا البلاء كما يحب ويشاء فهذا ما كان منهما (وأما ما كان) من الملعون هرمس فانه صاح فى الرجال صيحة عظيمة فنفرت الخيل من شدتها وكان هرمس معروف بهذه الصيحة إذا سمعتها الجوامل تضع ثم أنه دنا من العرب وقال لهم يا ويلكم ارموا ما فى أيديكم وإلا هجمت عليكم هجمة الأسد لأشباله وأطحنكم طحن الحصيد وما أنا كمن خرج اليكم من العبيد عندها تبادرت الرجال ومالى صبر عليه وأن أنا قعدت نظر إلى الناس بعين النقص وشمتت بى الحساد لقلة ما بيدى وقد قالت الأوائل هذه الأبيات

حل خيامك عن أرض تهان بها ... وجانب الذل ان الذل يجتنب
وأرحل إذا كان فى الأوطان منقصة ... فالصندل الرطب فى أوطانه حطب

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال لها ياأماه أن المعتصم قد وعد هؤلاء القوم بأن ينعم عليهم ويعطى كل واحد منهم ما يغنيه من الذهب والفضة فقالت له أمه يا بنى أنت حسبت حساب المائة دينار ولم تعلم ما خطر من الأسفار والأقدار وطوارق الأسحار فغضب من قولها وصاح عليها وخرج مع القوم إلى هذا اليوم الذى تقدم ذكره (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأنه لما نظر إلى أم عبد العزيز فتذكر والدته وما قالت وما أشارت به اليه ولم يجد بد من الخروج ولم يبق من تلك الجماعة مثله فخرج فى أكمل أهبه وأحسن زى ثم حمل على هرمس يقول

أيها المغرور بالدمر جاهلا ... دع الجهل يامن قدغدا عادم الفكر
وخلى عن القوم الكرام فانهم ... لهم حرمة عند البرية كالجمر

سواك إلهى أنا راضية بما قضيت وحكمت مسلمة اليك فيما أمرت ان كان قد سبق فى وجعلوا يخرجون اليه واحد بعد واحد ولم يطل أحدا منهم مقامه حتى يأخذه أسير أو يتركه عفير حتى قتل منهم سبعة من الكرام وأخذ ثلاثة أسرى وكان الحادى عشر شاب حسن الثياب يقال له ثابت بن معروف غير أنه كان صعلوك لأنه كان كريما لا يبقى على شىء وكان له والدة بالعراق وأنه لما عول على المسير فى هذه الطريق بكت والدته وقالت له يا ولدى مالى سواك وأنت عينى التى أبصر بها فلا تمضى إلى هذه السفرة البعيدة فان الفرقة شديدة ولا أدرى ما يكون منك وأنا امرأة غريبة وكبيرة وأخاف أن أموت فى الغربة ولا أراك فقال لها والله ان الفقر قد حملنى على هذا

وإلا وحق الهاشمى محمــد نبى الهدى من خصه الله بالنصر
بذلت بك المجهود والله ناصرى عليك إلى أن أفلق الهام بالتبر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع هرمس كلامه ضحك حتى أستلق على ظهر جواده وقال له أظنك مجنون وبهذا الشباب مفتون ثم مد السنان اليه وتطاعنا طعنا احرمن الجمر وأمر من الصبر وأستقبله الملعون هرمس بطعنة فى صدره فوقع إلى الأرض قتيل ثم نادى هرمس يا ويلكم سلموا أنفسكم تسلموا وإلا فأنتم تندمون فلم يستتم كلامه حتى خرجت اليه بنت الفضل الثانية وكانت أثبت من أختها وأشد بأسا وقبل ما خرجت ودعت أمها وخرجت على جواد من بعض خيل أصحابها كريم منسوب وطىء المركوب عالى من الخيل شديد الحيل وتقلدت بحسام ماضى وأعتقلت برمح طويل جيد التعديل على رأسها سنان يلمع كانه نار تسطع وعولت على القتال واللقاء إلى عدو الله وأقبلت كأنها الأسد الغضبان وكان اسمها زينب وكانت من أصبح نساء العرب وجها وأكثرهم جمالا وحسنا إلا انها أكثرهم عبادة ودين تقول الشعر بأوزانه حافظة بلغات العرب وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وما كانت العرب يسمونها إلا زينب العابدة وكان أبوها قد علمها هى وأخوتها الفروسية وقال لهم أنا شيخ كبير ومالكم أخ كبير إلا هذا عبد العزيز لأن الزمان أفنى أهلكم نوائب الدهر غير مأمونة وما دمت فى فى الحياة فما يقدر أحد من الناس يظلمكم فتعلموا الفروسية فلما مات أبوهم وكبر أخوهم صار حامى العشيرة إلى أن وقعوا فى هذا الأمر الصعب عندها تذكرت الجارية زينب قول أبيها وما قاله قبل موته فبكت وأنت واشتكت وأنشدت تقول هذه الأبيات الحسان.

ألا رحم الله أبى الفضل أنه له مثل فى قوله وصفاته
وكان علينا مشفقا متحننا ويحسب قبل الموت حال بناته
يعلمنا خوض الحروب حواسرا لخوف حسود من لئام عداته
فلما نشأ عبد العزيز تباشرت عشيرته مع أهله أخواته
ولم ندر أن الدهر يبعد شخصه فيسمى غريبا نائبا عن جهاته
ألا يا أبانا لو نظرت نسيبة وقد أصبحت مأسورة مع طغاته
لقد فعلت فعل الكرام فأصبحت أسيرة بذل الكفر فى حوماته
ألا يا أبانا سوف ارديه ثاويا واكشف ماقد كان من غمراته
واخطف بنات الرجال بصارم قطوع غداة الروع رؤس عداته

ألا يا أبانا لو رأيت ديارنا وفيها غراب البين فى فلواته
فيطربنا والله مع سمع صوته ويزعجنا ما كان من نغماته
ولو نظرت عيناك فى النوم زبنا تروم قتال الهند مع سطواته
أهل مخبرا عبد العزيز بحالنا وما قد رمانا الدهر من نكباته

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع هرمس أنشادها صاح وصرخ وشخر وكفر وطغى وتجبر وحمل عليها وأنشد يقول

أيا زينب قد زانك الحسن والبها إلى ان ثناكى فى جميع صفاته
دعى نجدة الآباء والجد واعلمى بأنى ضروف الدهر مع نقماته
ولا تطمعى منى خلاصا لأجل ما رأيت اباكم خاشعا فى صلاته
ولا تذكرى عبد العزيز فانه طعاما لسيفى يوم طعن قناته

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما فرغ الملعون من شعره حتى تار من بين ايديهم غبار حتى ملأ الأقطار واسود منه النهار فوقفت زينب وهرمس ينظرون ما يكون من أمر الغبار (قال الراوى) ياسادة وأما أم عبد العزيز فانها جعلت تتضرع إلى الله تعالى أن يكون لهم فرج فهم كذلك وإذا بغبار آخر قد تار من ورائهم ودنا واقترب وكان أقرب من الأول وذلك انه كان غبار العبد شروم عبد هرمس وكان هذا شروم أفرس من عميق يدخره مولاه للشدائد العظام وهو الذى علم عميق الفروسية وكان حوله عشرة كأنهم أسود الفلا وليوث البيدا يعبدون النار ويكفرون بالملك الجبار وقد كان الملعون هرمس أرسله من طريق أخرى خوفا أن تفوته العلويات وكان فى ظنه إنه إذا لقى ألف فارس أبادهم وأخذ النساء منهم وأنه بعد فى البر إلى أن أيس منهم وأخبروه بعض العرب بعبور الهوادج على الطريق الآخرى فرجع إلى أن أشرف على القوم وهم على ما وصفناه وأما الغبار الآخر فانه مفلح رسول الأمير عوف لما سار من عندهم وتركهم على تلك الحالة لم يزل يقطع الأرض إلى أن وصل إلى أرض النعائم فوجد عندها مائتين وخمسين فارس كأنهم الليوث العوابس وهم من بنى نمير وكانت بنى نمير أو قح العرب وكان المقدم عليها عابس بن سعيد النميرى سيد قومه وأمير عشيرته وكان فارساً كهلا الرجال تخافه العرب أجمع وله همة عالية ونخوة وحمية والعرب ترجع إلى رأيه وتستريح لذاته فلما وصل مفلح اليهم وسلم عليهم فوجدوه وهو على غير الاستوى وفيه آثار الجراح فسألوه عن حاله فبكى وان واشتكى وأنشد يقول

أيا سادتنا حل المصاب وأصبحت ديار أحبائى خراب بلاقع

فلا تشغلونى عن طريق فاننى ... لعزلكموا يا سادتى غير سامع
تركت بنات كالمهات عواتق ... كرام عطاء كالسيوف القواطع
وقد حاشهم من يعبد النار قوة ... ليفضحهم بين الورى ليس جازع
وعوف يحامى عنهمو جهد نفسه ... وقد جندلت أبطاله فى المعامع
وفيهم عجوز بالقوى كبيرة ... تشير إلى أقيالنا بالأصابع
تقول لنا بالله لا تقطعوا بنا ... بحرمة جدى فى مكان القواطع
ترى فيكمو ذو نخوة وحمية ... ويحسب هذا من شراف الصنائع
إذا فعل الإنسان خيراً فانه ... يكون مقيما دائماً غير ضائع

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم بكى ورمى العمامة عن رأسه فلم يبق أحد إلى وبكى ثم قالوا يا هذا اكشف لنا عن مضمون هذه القصة على جليتها فأعاد عليهم الحديث من أوله إلى آخره وكان عابس سائر إلى حى بنى زهره يشهد عراس سيدهم لما بينهم من المودة القديمة وأن زوجته لما سمعت ذلك وكان يقال لها شامة نادت يا عابس ما هذا الانتظار بالنسوان وقد أحدقت بهم الأندال من الرجال أما والله أن الغريب يفرح بخلاصهم وخلاص من معهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع عابس ذلك من زوجته علم أن كلامها صحيح ووقع منه موقع مليح وقال والله لو لم تشيرى على لكان الواجب على أن أسارع إلى ذلك ولقد كنت عارفاً بوالد هذه البنات وكان رجلا شريفاً رفيع القدر عالى الذكر فسبحان من قضى على بناته بهذا ولكن إذا ماتت الرجال ذلت النساء ثم صاح فى أصحابه بالرحيل وقال لمفلح ارجع معنا فقال لا والله لأننى ما أدرى ما يكون منكم وأنا ماضى إلى أرض العراق أنفر الناس على هذا الملعون من سائر الآفاق فانى خائف على من خلفى وأقول أنكم ما تدركوهم إلا وقد نفذ القضاء فيهم ثم سار مفلح فى طريقه مجدا مكدا وكذلك الأمير عابس بن سعيد سار فى رجاله وأبطالة ونسائه معه إلى أن أشرف على عدو الله هرمس وهو معول على الحملة على زينب وقد وصل أيضاً عبده شروم فى رجاله وانكشف الغبار عن مائتان وخمسين فارس ليوث عوابس عليهم الدروع والجواشن ومن فوقها ثياب الديباج وعمائم القصب وهم ركاب على الخيول الضوامر الجياد وبأيديهم السيوف الحداد وقد انتخوا فى طاعة رب العباد فكبر ذلك على هرمس وقال لبعض عبيده اكشف خبر هؤلاء عندها مضى ورجع وقال القوم إليك قاصدون وعن هؤلاء النسوة مجالدون فلما سمع ذلك قال اسكت لا أم لك هذا وقد وصلوا العساكر إلى الطائفتين ونظروا إلى الأرض وقد فرشت بالقتلى من رجال عوف ونظر عابس إلى الأميرة زوجة الفضل وهى تولول كالثكلى فصاح الأمير

عابس لهرمس ويلك يا ملعون خلى عن الطعائن واطلق الأسرى وإلا وحق من سطح الأرض ورفع السماء وبناها وأحيا العظام وأنشاها وأماتها وأحياها ويعيدها مثل ما كانت بعد أن يتوفاها ليقع بيننا حرب يتحدثون به الناس إلى آخر الأبد (قال) فلما سمعت أم عبد العزيز هذا الخطاب بكت من الفرح ونادت يا معاشر السادات القادمين نعمتم صباحاً ولقيتم خيرا ونجاحاً فمنكم من تعطف على حزننا ونظر فى قصتنا وبالله أننى ما أرهب الموت ولكن كان الشيخ الفضل فى بعض الأوقات يبكى بكاء شديد ويقول أعوذ بالله من سوء عاقبة البنات والله أنى ما أرحل من الدنيا إلا بغصتهم ولا أعلم ما يكون منهم فأقول له إذا مت أنت فما تموت الكرام وأنتم أكبر نجدة على هذا الكافر (قال الراوى) يا سادة هذا وقد سمع هرمس كلام عابس فضحك وقال ويلك يا عابس إذهب إلى حال سبيلك ولا يحملك على هذا الكلام فساد معقولك فتصبح نادماً وتعض الأنامل وتصير نساءك مغانم فقال عابس يا ملعون سوف ترى من يكون المغبون ثم حمل وحملت رجاله عندها حمل هرمس وكذلك شردم والعبيد وحملوا على أصحاب عوف والشريفة ودام القتال واشتد النزال وحميت الرمضا وامتلأت الأرض بالقتلى وتعلقت الرجال باللحا وسالت الدماء وأرملت النساء ولم يزل السيف يعمل إلى المساء ونادوا بالانفصال وقد ضجرت الناس عن القتال وقد فتك هرمس وشردم بأصحاب عابس وفقد من المسلمين خمسين فارس ومن أصحاب هرمس مثلهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وعابس يقول لأصحابه اصبروا فان الله تعالى ناصر وفى غداة غد نقاتل فان نحن قتلنا كان لنا أسوة بهذه النسوة العربيات الشريفات ووصفوا له أصحاب هرمس ما شاهدوا من قتال عابس وأصحابه فلما برق ضياء الفجر رفع المسلمون أصواتهم بالتكبير بعد أن صلى بهم الأمير عابس صلاة الفجر وصف رجاله وعبى أقياله فعلم أصحاب هرمس أنه يريد البراز خرج شردم وكان أسود عميق السواد من الأبطال الجياد (قال) فلما نظر عابس إلى سواده علم أنه عبد هرمس فلم يخرج إليه بل نادى فى أصحابه من يخرج إلى هذا العبد فخرج إليه فارس فقتله والثانى جندله ومضى النهار على ذلك وقد قتل من القوم اثنين وثلاثون رجلا وكلما قاتل زادت قوته وبات الناس إلى الصباح من اليوم فخرج العبد على حالته فلم يخرج إليه أحد هنالك خرج إليه عابس فى أحسن زى وأكمل هيبة فتطاعنا بالرماح طعنا صادقا وكان عابس أحسن من حمل رمحا لو وضعه بين يديه فأخذ الرمح وجعل يلعب به فكان كأنه قلم فى يد كاتب ثم جعل يعارك شردم إلى أن لاحت له عليه طعنة فطعنه بين عينيه أطلع الرمح من بين كتفيه ونادى يا هرمس أخرج فأراد أن الخروج فمنعوه أصحابه الذين كانوا مع شردم وهم رجال الحرب وأبطال الطعن

والضرب وكل واحد منهم يقول أنه يقوم مقام شردم فى القتال فقالوا أيها الأمير نحن أحق بأخذ تاره فلا تخاطر بنفسك فنحن نفديك بنفوسنا فان نحن ظفرنا بعدوك كان ذلك منسوباً إليك لأننا قد فديناك ثم خرج إليه منهم فارس مغوار كأنه أسد هدار فاستقبله وحمل كل واحد منهما على خصمه وقد جعل الصبر ذراعه وفتح باعه ولم تكن إلا ساعة حتى ضربه عابس على جانبه الأيمن قصف أضلاعه وطلع السيف من الجانب الآخر ثم نادى هل من مبارز فبرز إليه ثانى فقتله وثالث جندله ورابع فأذهله وخامس قرع رأسه وسادس اختلس أنفاسه إلى أن قتل عشرة ثم صاح فلم يخرج إليه أحد فنادى ويلك يا هرمس دع عنك التعلل بالمجال وابرز إلى معترك المجال والحرب والنزال وخذ منى لأصحابك بالثار واكشف عنك العار (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع هرمس ذلك ونظر إلى من أصبح من أصحابه هالك ضاقت عليه المسالك وصاح بالجواد فخرج كأنه القضاء المتدارك وهو أسود كالليل الحالك وبيده رمح طويل جيد التصقيل على رأسه سنان كأنه جمة عقرب أو قبس على مرقب وعلى جسده درع سابورى وعلى رأسه بيضة عادية ململمة مجلية ثم خرج إلى الميدان ونظر إلى أصحابه وهم مجندلين على الصحصحان فحمل على عابس من غير شعر ولا نظام وتقسطل الغبار وغابا عن الأبصار وأظلم النهار وأخذوا فى الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد وتعاركا وتماحكا ولا زالا فى ضرب يقد وطعن يهد إلى أن وقفا الجوادان وكلا الفارسان وبقى كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شزرا ويرمقه حذراً ورأى هرمس من عابس فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق ولم يرى مثله فى الآفاق وكان عابس لما وقف قال له هرمس يا عابس وحق النار والنور والظل والحرور لقـــد أعجبنى ثبات جنانك وصولتك على أقرانك وإن قبلت منى سعدت وان خالفتنى ندمت فقال له عابس وما الذى تقول لى قال له تصحبنى إلى الديار وتأخذ منها الأموال فقال عابس وأين ذلك قال فى بلاد الروم عند الملك أرمانوس فانه طلب لأبطال العرب وقد بذل لمن أتاه منهم الفضة والذهب وذلك يكون لغناكم سبب وهذه العلويات للملك فيهن غرض وطلب (قال الراوى) يا سادة فلما سمع عابس ذلك قال له ويلك لا نبيع الآخرة بالدنيا الساخرة ونسلم علويات يقولون جدنا محمد المصطفى إلى الأعداء فعند ذلك غضب هرمس وحمل عليه حملة صادقة وأخذوا فى الجولان ميمنة وميسرة حتى طلعت عليهم الغبرة وغابا عن الأبصار ساعة من النهار وقد حمى الحـــديد على أبدانهما هنالك ضايق هرمس لعابس ولاصقه وقاربه وبطل بينهما حكم الخصام وتقابضا بالكف وأظهر كل واحد منهما شدته وجعل عمدته على قوته وتقدم كل واحد منهما إلى الآخر ثم

انهما تعاركا على الجوادين حتى خذلت منهما الساعدين هذا والناس ينظرون هذه العجائب وقد ارتفع الصياح من كل جانب ولم يزل هرمس يعاركه حتى أضجره وبهره ثم حط يده فى دور منطقته وجذبه بحيلة اقتلعه من سرجه وسلمه إلى أصحابه وقال لهم احتفظوا به فوحق المسيح لأقتلنه أشر قتله ولأمثلن به أقبح مثله عندها حمل حميد بن حامد فى بقية أصحابه فتلقاهم بصدر أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر وكان أول من لقى هرمس حميد فطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره وما كانت إلى ساعة حتى ولو أصحاب عابس منهزمين وتركوا النساء حيارى فى أيدى الأعداء أسارى واحتوى هرمس على زوجة عابس وبنته واخوته لأنهم كانوا سائرين إلى العرس الذى تقدم ذكره ولم يكن بقى من أصحاب عوف غير خمسة عشر فارس وقد ضعفت خيلهم من الجال ولم يكن لهم قدرة على الحرب والنزال فرموا مافى أيديهم من الرماح الطوال وسلموا أنفسهم إلى هرمس شيخ الضلال وأما زينب فانها لم تسلم فناداها هرمس سلمى نفسك فلم تلوى عليه فحمل عليها فأبصر منها فى المجال مالا لقيه من عابس وأخذها بعدذلك أسيرة فخرجت اليه أختها ست الشرف وجرى بينهما ساعة تشيب لهولها الأطفال فأخذها أسيرة فلمارأت العجوز إلى ذلك بكت وعمدت إلى سيف قاطع قد وقع من أصحاب المعامع فجردته وجعلت ذبابه فى صدرها وهمت أن تهلك نفسها من عظم ما جرى عليها من أسر بناتها فنادتها ست الشرف ياأم لاتفعلى تخسرين الدنيا والآخرة (قال) فلما سمعت ذلك قالت والله لولا ظنى فى الخلاص وأسفى على ولدى عبد العزيز لفعلت ذلك ولا أكون فى يد الأعداء عندها أخذوا السيف من يدها وكتفوها ثم أقام هرمس هناك باقى يومه إلى أن استراح ورفع الهوادج بالجوار والعجوز وعابس وزوجته وأهله وعوف وجميع الأسارى وسار هرمس وهو راكب على جواد سابق بلون بارق وهو يسير سير المعجب وهو فى نفسه يقول انه لو جاءه عسكر العراق للقاهم وحده فلما استقام على الطريق الجاده أنشد يقول هذه الأبيات

ألا بلغا عقبة عنى أننى قضيت الذى قد رامه من مرامه
وعقبه ما يستحن الكذب عنده لطيب ثناه أو لطيب ولاؤه
سيفعل أرمانوس ما هو أهله ويقطعنى ما سرنى من بلاده

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وسار يقطع الأرض من أماكن يعرفها وكان قد وصفها له القاضى عقبة وأمره بالسلوك فيها فلم يخالف فهذا ما كان من هؤلاء (وأماما كان) من مفلح فانه سار يقطع الأرض حتى دخل بغداد فى احدى عشر يوما وقد أجهد نفسه

ووصل إلى الأمير عبد الوهاب ورفع صرخته فانذعر الأمير وقد عرفه فوثب اليه وقال يامفلح خير ان شاء الله فقال مفلح لا والله أيها الأمير ثم أعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وكيف أسر عوف ثم حدثه كيف لقى عابس فى أرض البصرة وأنفذه إليهم (قال) فبكى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد ولم يكن الأمير عبد العزيز حاضر تلك الساعة بل كان ذلك اليوم يطوف بالمساجد ويصلى فى كل مسجد ركعتان ويدعو الله تعالى أن يقرب الاجتماع له بوالدنه وإخوته ولما أن عاد وقت المساء قال الأمير عبد الوهاب ماهذا الأمر يمكن كتمانه عنه ثم أعاد عليه خبره فاصفر لونه وقال والله لقد عزمت أن أسير اليهم وما تركنى الخليفة فتم عليهم ما تم فانا لله وإنا اليه راجعون ثم انه بكى بكاء شديدا ونادى واأهلاه واعجوزاه واإخوتاه واشوقاه اليكم (قال الراوى) ياسادة ثم انه أحضر مفلح وقال له فهل عرفت الذى أسرهن فقال نعم يامولاى هو هرمس المجوسى (قال) ياسادة فلما سمع اسمه عرفه وعرفه الأمير عبد الوهاب وقال لأبو محمد البطال هذا الملعون كان قد حرم الناس ينامون على فراشهم بالعراق إلى أن أقطعه المعتصم القرى والضياع وكل ذلك استدعاء لشره وردا لمكره وكنت أنا قد عوات الى المسير اليه والقدوم عليه مما سمعت من خبره وكفره واتباعه الضلال وعبادة النار وتجرئته على الملك الجبار فبلغنى انه قد سكن المواضع التى أقطعها له المعتصم واقتنع بها فأملنا أن يعود إلى دين الاسلام ويكون عونا لنا وأجناده وعبيده على الكفره اللئام فأمسكت عنه ومع ذلك فانى متعجب ياأبا محمد كيف قصد إلى هؤلاء القوم وقد علم أن الخليفة أنفذ خلفهم على أن مفلحا قد ذكر لى أنه أنفذ الأمير عابس النميرى اليهم وهو صديقى وقد غزا معنا فى أيام أمير المؤمنين الرشيد أعواما كثيرة وقتل من الروم أقواما وما أقول إلا انهم يتخلصوا بسببه لأنه فارس شديد وبطل صنديد فقال أبو محمد هذا كلام من لم يعرف هرمس وأنا أخبر الناس به لأنى كنت قد صحبت قافلة الاخراسان مع قوم تجار وأنا فى زيهم سائر فى طلب عقبه لأنه كان قد دخل إلى هنالك إلى أن هذا هرمس خرج علينا وقتل كل من كان معنا وسألنى أنا عن حالى فقلت له أنا من أرباب الأحوال واشتريت نفسى منه بثلاثة آلاف دينار فطمع فى كثرة الأموال ولم يعلم بأننى أبو محمد البطال فقيدنى وتركنى عنده فلما أدلهم الليل فككت القيود وذبحت العبيد فطلبته فما وجدته فقيل لى أنه قد سمع بقافلة أخرى فمضى إليها ليأخذها ثم إنى سرت طول الليل إلى أن بعدت عنهم وما صدقت بنجاتى وعرف بعد ذلك أنى أنا البطال فأرسل إلى يطالبنى بالمال وهددنى بالقتل ويحلف لى بالنار والنور لئن وقعت فى يده ليقطعن رأسى أو أسلم إليه المال وقال فى جملة قوله لو

كنت فى قبضة الرشيد لما كان لى عنك محيد وقد بان لى أنك من الشياطين فلما سمع الأمير عبد العزيز ذلك قال دعنى من هذا وأوقفنى به فان الله تعالى هو المعين عليه وعلى كل مارد لعين فقال الأمير عبد الوهاب نرحل فى هذه الساعة بألف من بنى كلاب لا غير لعلنا أن ندركهم فقال الأمير أبو محمد اعلم أيها الأمير أنى قد أذهلنى هذا الأمر الموجب لفعل هذا الملعون هرمس وكيف قصد هؤلاء دون غيرهم وما كان هـــذا والله إلا من عقبه ليكسر أغراضنا من عبد العزيز وما فعل ذلك إلا لما أن قال أريد أزور الكوفة وما كان عندى من هذا الأمر خبر وانا اعلم أنه قد ضمن لهرمس عن ملك الروم أن يقطعه البلاد وثانية أن قلبي حدثنى أننا ما نلحقه فقال عبد العزيز يا أبو محمد لو قتل رجل من أهل مصر والقاضى عقبه فى بلاد العراق لقلت ما قتله غيره وما هذا إلا غرض عظيم وأعوذ بالله أنه لو كان كما تقول لما فعل فى حق هذا لأنى قد شهدت له بالخير وقد برئت ساحته ورأيت حرصه على نصرة المسلمين وما شهدت إلا بما علمت فقال الأمير عبد الوهاب ما أظن عقبه بعد عينه إلى هذا الوجه فقد صدق أيضا عبد العزيز أنه لم يفعل معه هذا فقال أبو محمد البطال والله انى اعلم أن أبليس يحتاج أن يجىء إلى عقبه ويقرأ عليه الحيل واللعنة وهو أقوى من كل من فى الأرض فى الطول والعرض على الشر والمكر وأنا والله العظيم ما أنبهكم فى هذا الطريق لأن عبد العزيز يكذبنى كل ساعة ويصدق عقبه الشيطان وأنا قد شق على كلامه وأنا ما أعمل عملا إلا بحق لأنى أبغضه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعرف الأمير عبد الوهاب ضمير أبو محمد البطال وقد علم أنه قد صعب عليه كلام عبدالعزيز وتكذيبه له لأن أبو محمد حنق على عقبه وكان قريب الخلاص من الاعتقال ولولا تلك الجازية التى لقها مذبحون على الاتفاق لما كان الأمير أبو محمد البطال خلص بعدها من ذلك الموضع أبداً لأنه تحت الأرض ولم يعلم بحاله إلا الله تعالى فقال الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد الأمير عبد العزيز على كل حال مايعلم بواطن عقبة وماله الا الظاهر فاعذره فقال أبو محمد والله أيها الأمير لقد قتلنى بعد ما كذبنى بين يدى السلطان وذبحنى بلا سكين وما هو إلا قد ظن أننا كنا محتاجون إليه يحمى ديارنا بسيفه ثم يشهد علينا عند السلطان محاماة لذلك الكلب فوالله لو تجرد مع عقبه لإتهمته فى دينه (قال الراوى) يا سادة يا كرام والأمير عبد العزيز تربية الحجاز وعلوى وما يحتمل الكلام فقال يا أبو محمد معلوم أننى ضيف عندكم وما شهدت إلا بما شاهدت وعاينت فوذمة العرب لو لا هذا الأمير الأجل المجاهد وسماعى باسمه لما وصلت أنا إلى هذه الأرض ومع هذا فلولاه لأخذت رأسك من بين كتفيك إذ أطلت علىّ بالكلام ولقد رأيتك تتدارع لى بين العرب وتلعب بوجهك بى

قدام السلطان كذلك مراراً وكلما تكلمت فى حق عقبه تكابرنى والعرب يضحكون من ذلك ولولا هذا الأمير لرأيت يا أبرص كيف تكلم مثلي (قال الراوى) ياساده ففرق بينهم الأمير ثم أطفى نار الفتنة (قال) يا سادة وتجهز فى ألف فارس من بنى كلاب الذين وصلوا معه من ملطية ودخل هو وعبد العزيز على أمير المؤمنين وأخبروه بالحال الذى قد جرى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لقد تحيلت على هذا الملعون هرمس فلم أجـــد فيه حيله (قال الراوى) يا سادة وكان عقبة حاضر فلما سمع ذلك صاح صيحة كادت مرارته أن تخرج وقال يا أمير المؤمنين ما يجب القعود عن هذا الملعون هرمس بعد ما تعدى على البنات العلويات ولهم اتصال بمحمد المختار وهو عابد النار والقعود عنه ذل وشنار سيما إذا بلغ ذلك إلى سائر الأقطار ولقد كان أمير المؤمنين الرشيد قدس الله روحه ونور ضريحه ينظر فى حال الاشراف سيما هذه الزريه فانهض يا أمير المؤمنين فان هذا الرجل ضعيف عندكم وإذ كر ما جرى عليه على بلد الموصل من الملك أرمانوس فقال المعتصم بالله أنا أسير بروحى فقال الأمير عبد الوهاب ما يحتاج أن تتعب نفسك يا أمير المؤمنين أنا أمضى فى هذا الوجه إن شاء الله تعالى وما أرجع إلا بهم ولو دخلت خلفهم إلى بلاد الروم فقال له الخليفة بارك الله فيك أيها الأمير الأجل (قال الراوى) ياسادة فلما قال الخليفه ذلك بكى عقبة وقال ما لهذا الأمر إلا أنت أيها الأمير الأجل لقد فقت العرب بهمتك التى ما لأحد مثلها وفوق اللواء محلها ولم يزل يمدح الأمير عبد الوهاب حتى استحيا من الخليفة وقال له جزيت خيراً أيها القاضى الأجل الرفيع المحل ثم انهم خرجوا من حضرة الامام المعتصم وساروا من ليلتهم وجدوا فى سيرهم (قال الراوى) ياسادة هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فأنه قال لغلمانه ولولده مذبحون ما بقى لنا والله عند هؤلاء القوم مقام وما بلغ الأمر إلا هذا ان أجلس وأهان وأنا شيخ قد كبر سنى ونال الحاسد غرضه منى وان ظفرت بعدوى لا أقدر أن أقتله ولا أمكن من أذيته وان ظفر هو بى لا يبقى على وأنا أريد أن أعمل عملا فمن منكم يساعدنى عليه فقال له مذبحون أنا معك ياوالدى وما تحتاج معى إلى معين غيرى فقال لؤلؤ وأنا أيضا معكما فعلى ماذا عولت قال آخذ عقبه وأسير الى الموصل وأوصل الى الخابور وأقصد الرحبة وأنحدر الى دمشق الى عسقلان وأقطع البلاد الى مصر وأنزل الى اسكندرية وأقيم بها وأقتل اللعين عقبة هناك وألزم الصلاة الى حين يأتى الذى لا مرد له فقالوا له افعل ما بدا لك فقال ما يتم لى هذا الا أننى أظهر أننى سائر الى ملطية ثم وثب ودخل على المعتصم ودعا له بعد ما سلم سلام الخـــلافة فأكرمه الامام ورفع مكانه وقال له أراك من المتخلفين فقال له نعم

يا أمير المؤمنين أنا ماادعى من أصحاب الحرب ثم أنه طلع وسلم فلما رآه المعتصم ضحك وقال لهفيما أتيت لحاجة تقضى فقال أبو محمد لأمير المؤمنين إنما جئت لأودع أمير المؤمنين وأمضى إلى ملطية فقد أشتقت إلى أهلى وأولادى لأنى متوعك الجسم من الأمر الذى كنت فيه فأذن لى بالسفر فلما سمع المعتصم من أبو محمد البطال هذا المقال فأذن له بالسفر أمير المؤمنين بما طلب وخلع عليه وودعه وقال له ياأبو محمد لاخلانا الله منك ثم أن أبا محمد عمل شغله وخرج من بغداد نهاراً جهارا وأخذ ولده مذبحون وغلمانه والجازية وساروا فلما أبعدوا عن البلد وأظلم الليل فقال أبو محمد لغلمانه انى أريد أن تسبقونا إلى موضع كذا وكذا ثم أخذ ولده مذبحون ورجع إلى بغداد وقصد إلى دار عقبة فتسلق من ركن الدار إلى أن صار فوق السطح ثم أنه تطلع من درقاعة الدار فوجد عقبة وأولاده ومطرون وبين أيديهم الخمر ونظر البطال إلى سقاه وآس وعنبر ومزمار ومزهر وعقبة يستنشق الريحان وهو يقول لمطرون ما هو مليح ما تم على أخوات عبد العزيز وأمهم فقال الراهب مطرون بلى وحق المسيح ولكن من تمم ذلك فقال أنا ولولاى ما أهتدى إلى ذلك أحد وأنا الذى أمرت هرمس المجوسى أن يفعل ذلك فهيهات أن يلحقوا منهم الغبار ولو لحقوهم لم يخف هرمس منهم لأنى أعرف به من كل أحد لأنى مارست الأبطال وشاهدت الأقيال وأنا أقسم بالمسيح ان كان فيهم مثله وهو يكون سبب هلاك الجميع ومع هذا فانى أحدثك بما هو أعجب من ذلك فقال له كانى الساعة بأبو محمد البطال المحتال لما عول عبد الوهاب على الرحيل مع عبد العزيز قد نسب هذا كله إلى فقال له مطرون يا قاضى من أين تدرى أنت بهذا وهو علم غيبى فقال عقبة يا مطرون أسكت فانى أعلم من أمور أبو محمد مالا تعلمه أنت ولا سواك ثم أنه شم ظاهر كفه وضحك حتى أستلق على قفاه وبانت أنيابه وقال أنت ما تعرف الرجال ولا تعرف أبو محمد البطال وحق المسيح ما هو إلا ولد زنا لأنه كان غلامى ومنى تمط الشزر والمكر والخبث واللعنة وما هو فى جميع أحواله وقد كنت أظهر له دين الإسلام وأخفى دين النصرانية (قال) فلما أطلع على سرى ومشى إلى عبد الوهاب وأعلمه بكل أمرى وما تم منى ولما أن اطلع عبد الوهاب على ذلك أعلم العجوز العاهرة وذلك كله من تحت رأس البطال وهو فى هذه النوبة خالف هذا الأمر أنا كنت سببه وأنا الذى تممته وعبد العزيز ما يصدق فى ذلك لأنه يظننى ممن أعمل معه جميل وهو منى بعيد وهذا شىء لا يكون أبدا وهيهات أن أجازى على الاحسان إلا بالسيئات ولا أقابل المكرمات إلا بالقبيحات فقال مطرون كلما تذكره ما يقول إلا ما يكون إلا كذا وكذا كان

كذا وكذا وهذا ظن مثلك (قال الراوى) يا سادة يا كرام فضحك عقبه من قوله وقال يا مطرون أنا قد شابت حواجبى فى هذه الأشياء وما بقى فى الشرباب إلا وفتحته وأريد أن أقول لك على شيء أعجب من هذا كله فقال له قل فقال أعلم أن البطال ما رحل اليوم وودع الخليفة إلا ليعلمنى أنه رايح إلى ملطية صناعة منه ومكر وخديعة حتى يعود إلى بغداد فى الليل ويعمل على ويسرقنى وكانى به قد قال عنى أنه ان وقع فى يدى ما أستبقيته بل أسير به إلى بلاد لايسمع له فيها خبر ولو سار مسيرة سنه كل هذا حتى لاتنقطع الاطماع منى وأن صدقنى حذرى فهو الساعة فوق سطح الدار معلوم انى ما أفرط فى روحى فان كان له فى روحه نية لسلامته فيمضى إلى حال سبيله وإلا وحق المسيح صحت الساعة صيحة فما يبقى حول الدار أحدا إلا ويطلبه ولا يجد سبيلا إلى هروبه وأسلمه إلى المعتصم يصلبه غدا على الجسر فقال مطرون ياقاضى ما أظن الليلة إلا وقد ثار فى رأسك خلط عظيم فقال عقبة دع يامطرون سواد وجهك فى ظنك فما هذا من شغلك فوحق المسيح لولا أنى أريد أن أبين لك صدق قولى وقلبى مشغول بهرمس وما يكون منه وأريد أن أدبر شيئا آخر تشكر عاقبته لقد كنت أصيح الساعة وأنفر الناس عليه وها أنا الساعة أصيح به ويكلمك ثم انه نادى يا أبا محمد بحق نبيك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ما أنت فوق السطح فتكلم وأنت فى ضماننا فأنا ماأقدر الساعة أجعل لى معك شغل قلب لأنى مشغول بغيرك وإلا كان لى معك الساعة أمر غريب وحال عجيب (قال الراوى) ياسادة فلما سمع أبو محمد البطال هذا المقال قال فى نفسه لا كتب الله عليك سلامة ياشيخ السوء فما أعظم حيلك وما أندلك ثم نادى عقبة يا أبا محمد ويلك قد أقسمت عليك بمحمد ابن عبد الله بن عبد المطلب أن تتكلم فان لم تكلمنى وإلا وحق المسيح أصرخ الساعة صرخه أجمع الناس عليك وأفضحك وإلى الخليفة أسلمك فعندها قال أبو محمد إيش أتكلم أقول لا كتب الله عليك سلامه ها أنا لا أصلح الله لك حالا ولا أسمع لك مقالا ثم عاد ونزل من مكانه فقال له مذبحون ما الذى رأيت فقال قد كان من الحديث كذا وكذا وهو رجل قد تفرغ للعنه وعرف ما قد عولنا عليه لأنه ماينام الليل ولا يفرط فى روحه مادام انه يعلم اننى ببغداد مقيم ولابد له مايطلب بلاد الروم لهتك العلويات ويترك بفعله هجته على الاسلام وأنا أعرف الطريق الذى يسلك منه آخذه ثم سار البطال وأخذ باقى غلمانه وقال لهم اطلبوا بنا اخلاط نقيم فيها تلك الليلة ونتزيا بزى الأرمن من التجار وترون عقبة كيف يساق سوق الحمار فقال مذبحون افعل مابدالك ثم ساروا يقطعون الأرض قطعا وفى قلوبهم من عقبة أمر عظيم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما

أن وصلوا إلى اخلاط أودع البطال دوابه ورحله عند بعض أصدقائه وتزيا بزى صعاليك الأرمن هو وغلمانه وأقاموا بعد ذلك أربعة أيام كل يوم يخرجون إلى ظاهر البلد ويتشممون الأخبار من الطراق والسفار فهم فى بعض الأيام يتحدثون مع بعض الأرمن وقد اشترى أبا محمد منه رأس غنم وذكر له أخبار بلاد الروم وسأله عن أحوال بلاد الاسلام فقال الأرمنى أخبرك بخبر عجيب وحديث غريب فقال وما هو فقال قد عبر علينا ونحن فى المرعى هوادج وأسارى من المسلمين وقد خرجوا من البرية وعليهم آثار الشقاوه ودخلوا إلى أرض الارمن وذكروا انهم قاصدين إلى مدينة اريس وان معهم نساء من المسلمين لهم قدر عظيم وتلك الأسارى أيضا وقالوا انهم طالبين الملك أرمانوس فما بقى فى الأرمن إلا من حمل اليهم شيئا وقد رحلوا من ههنا فلما سمع أبا محمد ذلك لم يجد الصبر بل رجع إلى ولده وغلمانه وقال كيف ترون فى هذه السفرة المتيسره لم أحد منهم نجح غيرنا بانكشاف خبر أم عبد العزيز واخواته ثم أخبرهم بالقصة ثم قال وأنا أعلم أن عبد الوهاب وعبدالعزيز قدضاع تعبهم بدخولهم إلى البرية ولوانى اواخذ عبدالعزيز ماتكلمت فى اخواته حتى يحصلوا فى القسطنطونية ولكن ما يسعنى فى دينى السكوت عنهم ثم انه كتب كتاب إلى الأميرة ذات الهمة يخبرها بخبر القوم وما قد جرى عليهم ثم انه دخل إلى صاحب اخلاط فوثب قائما ورحب به وقال له أيها الأمير كيف أحوال الأمراء فأخبره أبا محمد بالخبر وأخذ منه طيرا من طيور ملطية وعلق عليه الكتاب وطيره فكان الخبر عند الأميرة ذات الهمة آخر النهار فلما قرأت الكتاب ضاقت عليها الأرض بما رحبت وقامت من ساعتها وأخذت بنى كلاب والسودان الأنجاب الفرسان مثل أبو الهزاهز والهدلموس وغيرهم وقد وصف لهم البطال فى كتابه إن الطريق يصعدون منها حتى يسبقوا هرمس وأقام أبا محمد ينتظر لعقبه وهو مختفى فى اخلاط الى أن كان فى بعض الأيام إذدخل غلاما له وكان مجهولا مايعرفه أحد لأن أبا محمد كان يشترى الغلمان ويخفيهم عن الناس فى مكان إلى وقت حاجته وكان قد أورى عقبة لهذا الغلام وعرفه ما يصنع به فى وقت الحاجة اليه وإنه لما دخل ذلك اليوم عليه قال له يا مولاى رأيت هذه الساعة غلام عقبة فى السوق وعليه آثار السفر وأردت أن أتبعه وانظر أين نزل فزاغ عنى لكثرة الخلق ففرح البطال بذلك وقال هذا الحساب الذى حسبته (قال الراوى) ياسادة وكان عقبة لما جرى له مع البطال ما جرى وعلم أنه قد مضى من بغداد جمع أولاده وقال يا أولادى أوصيكم بأنفسكم فانا مسافر عنكم لامر أريد حكمه وأكثر ما أغيب عنكم شهران من الزمان لان المسيح قد من علينا بهذا هرمس المجوسى وهو صاحب همة وعزيمة وقد قتل عوف وأصحابه وأخذ

أخوات عبد العزيز العلوى وقد سمعت أن عابس النميري مضى إليه ففعل به مثل ما فعل بعوف قتل أبطاله وأخذ نسوانه وهو إن صار فى بلاد الروم مع ميمونة فما يكون لهما نظير فلما سمعوا منه هذا الكلام قالوا ما نحتاج توصينا ونحن ما نفارق العراق والطير ما يقدر علينا من هيبة السيدة زبيدة لأنك لما غبت عنا تلك الغيبة التى سمعنا فيها بأنك هلكت كنا فى حمايتها وما كان الطير يطير علينا فضحك عقبة اللعين وقال لاتشكروها على ذلك بل اشكروا المسيح فانه الذى سخرها لكم فقالوا يا أبونا ماالسبب الذى يدخلك القسطنطونية قال لأجل أخوات عبد العزيز فقالوا يا أبونا قد سخرلك المسيح كلما تريد فعندها قال لهم هذا الأمر لا بد لى منه وأن أباشره بنفسى (قال الراوى) يا سادة ثم باتوا وأصبحوا ركب الملعون وأتى إلى أن دخل على المعتصم وقبل الأرض وقال يا مولاى قد اشتهيت أن أزور القدس الشريف وأدعو لأمير المؤمنين هناك فقال المعتصم أنت يا قاضى أينما حليت حلت البركة ثم أن الخليفة أمر لعقبة بألف دينار وقال له ياقاضى تصدق بهذا على الفقراء والمساكين فقبل الأرض وقرأ قوله تعالى وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ثم أخذ المال وودع الخليفة وأتى إلى داره وفى تلك الليلة عزم على السفر وأخذ معه غلام له وكان قد رباه وهو قليل الدين مثل مولاه ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى أخلاط ورآه صندل غلام أبو محمد البطال كما ذكرنا عندها خرج غلامه صندل يدور على عقبة وكان أبو محمد البطال قد علم غلامه كيف يتحايل على عقبة وسوف نذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى فعندها خرج صندل يدور على عقبة كما ذكرنا ثم أنه فتش البلد جميعه فما وجده فعظم عليه وكبر لديه وفزع من مولاه أن يكذبه (قال) فبقى فى حيرة من أمره (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان على ظاهر البلد مكان يسمى الخانات لأجل شرب الخمر والزنا فأراد صندل أن يدخلها فقال فى نفسه هذا كلب وما يدخل إلى هذه المواضع ثم أنه رجع إلى مولاه البطال وأعلمه بالحال فقال له أبو محمد فهل قصدت إلى الخانات قال لا يا مولاى لأنى قلت أن القاضى عقبة قاضى المسلمين ما ينزل فى هذا المكان فقال بلى ويلك يا صندل ما ينزل إلا فيها لأنه ما يقصد بلاد الروم إلا من هذا الطريق وأنا أريد إن تصدق فرستى ولا يضيع تعى (قال الراوى) يا سادة فعندها رجع صندل وطلب الخانات ودار المواضع جميعها حتى أنه وصل إلى موضع منفرد عن البيوت فقصدها ومال إليه وإذا فى بابه نصرانية مثل القمارية عليها أفخر الملبوس وهى تتمشى على مهل مثل العروس فقصد صندل إليها وكان هذا صندل غلاما مليحا وهو أمرد بخد مورد مليح الكون أحمر اللون شعره أسود مثل الليل الدامس فلما رأته النصرانية طار قلبها وعلمت أنه صبى غريب فقالت له أدخل يا فتى وكن اليوم فى

ضيافتي (قال الراوى) ياسادة وكان قدنظر إليها وإلى ملبوسها وحسنها وجمالها وما أعطاها ربها من الجمال ونور وجهها فنسى الذى أوصاه به مولاه وقال فى نفسه ألتذ أنا اليوم بهذه المليحة ومن اليوم إلى غد قريب إن لقيت عقبة وإلا عدت إلى مولاى وأقول له ما زلت أفتش عليه فى نهارى كله فما وجدته (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أنه دخل مع النصرانية فوجد قاعة كبيرة لها مجلسان المجلس الواحد عالى وفيه سرير عليه فرش حرير وفيه آلة المأكول والمشروب فأجلست الجارية صندل على ذلك السرير وقدمت له شىء أكل وقدمت له بعد ذلك الشراب وسقته إلى أن سكر ودارت بعد ذلك تعبث به وتلاعبه إذ سمع صندل معه حسا فى الدار فقال لها أى شىء هذا الحس الذى عندك قالت ماعليك منه شىء هذا ضيف عندى ومعه غلام وهو نصرانى وقد حملت إليهم ما يأكلون وما يشربون وطرحتهم فى هذا المجلس وخرجت من عندهم فوجدتك فوقعت بقلبى وما صدقت أن أراك عندى وكل واشرب وانبسط بل ومهما أردت أعطيتك من الفضة والذهب وإن طاب لك المقام فأقم عندى سنة من الزمان وأنا أخدمك بروحى فقام صندل إليها واعتنقها وقال قد اشتهيت أن أنظر إلى هذا الشيخ الذى عندكى فقالت حبا وكرامة وما عليك منه شىء أنا أصيح به إليك ثم أنها انهضت وغابت ساعة وعادت وخلفها شيخ الضلالة ومعدن المكر والجهالة وهى تمايل وقد عملت معه الخمرة وغلامه إلى جانبه وهو يقول للنصرانية يا هذه أغلقى الباب ولا تخلى أحدا يدخل إلينا فانى مقيم عندكى ثلاثة أيام ولكى على مائة دينار فى مقابلة ما بذلتى إلينا من الكرامة علينا وأنا رجل أحب السترة وما أطلب الشهرة فلا تدخلى إلينا غيرنا فقالت نعم ما عليك بأس ما عندى إلا حبيب قلبى دون الناس وهو غريب وما يعرفكم وأقول أيضا ما تعرفونه وكان عقبة أحب الأشياء إليه شرب الخمور وشهادة الزور وركوب الفجور ورمى الفتن والشرور بين المسلمين والكفور ثم جعل المعون يلعب ويطرب ويصفق ويشرب وقد طاب عيشه وكثر سروره وكان كل واحد منهم يقول ساعة وصندل ساعة وعقبه يتلذذ إلى أن ضجر صندل وبدا يطلب الفرار فقال عقبه يا ولدى ما اسمك ومن أين تكون فقال يا شيخ أنا من جزيرة ابن عمر وأنا مملوك رجل شريف وكان يدعونى إلى الصلاة والصيام والقيام بالليل فما كان قلبى يشتهى إلا هذا الذى ترانى عليه فلما طال على الأمر سرقت كيسا فيه ألف دينار وهربت على وجهى إلى أن وصلت إلى ههنا وأنا بعد ذلك فزعان على روحى وعولت أن أدخل إلى بلاد الروم (قال) فلما سمع عقبه ذلك قال له يا ولدى إن كان لك قصد فى الرواح إلى القسطنطونية لا تعرف وصولك اليها إلا منى

فلما سمع صندل من عقبه هذا الكلام فصار يتخدع له ويبكى ويتذال بين يدى عقبه ويقبل يديه وكان هذا صندل شيطانا وهو قطعة بلاء وكان أبو محمد قد اشتراه من تاجر وصل به إلى بغداد فلما عاين أبو محمد زكاوته وحدته فى الكلام اشتراه من مولاه وقال هذا يكون له شأن عظيم من الشأن وهو يكن أزكى من سائر الغلمان وكان أبو محمد كلما علمه شيأ وجده فيه ماهر (قال الراوى) يا سادة فلما كان فى تلك الساعة قال صندل لعقبة يا مولاى إذا كان على ما ذكرت وأنت داخل إلى بلاد الروم فأنا مالى ههنا ما أعرفه ومعى الكيس الذى ذكرت لك فيه الذهب وقد دفنته فى بعض خرائب هذا البلد وأريد أمضى وأجيبه إلى ههنا وما أبرح من عند هذه الجارية إلى أن يسهل الله تعالى لى بالسفر فنسافر جميعا ولقد رحمنى الله بك يا مولاى فقال له عقبه أبشر بالسعادة فى الدنيا والآخرة فاسرع إلى ما ذكرت من المقال حتى نعول على الارتحال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها خرج صندل وهو يتمايل من شدة ما نهل وكان يمشى ويتلفت وراءه خوفا من عقبه أن ينفذ خلفه غلامه حتى يعلم أين هو سائر وخاف أن تقع عينه على البطال فيفسد الحال وصار يسير ويتلفت وراءه إلى مولاه ودخل فسمع أبو محمد يقول للؤلؤ يالؤلؤ هذا صندل غريب من هذه الأرض وهو ما يدرى أين يسلك فيها وما دخل قط هذه البلدة إلا فى هذه الساعة ونخاف أن يكون قد وقع فى شدة أو يكون قد أنسده أحد من أهل البلد من أولاد التجار وأريد أخرج إليه وأدور عليه فهو يقول هذا وصندل قد دخل وهو يضحك فقال له مولاه أبو محمد البطال ويلك إيش وراءك أليس خير قال له صندل بلى ثم أنه أعاد عليه الحال بكلما جرى فضحك أبو محمد البطال وقال أحسنت يا نحس فقال ما كنت أنت فى حاجتنا ما كنت إلا فى حاجتك ثم ان أبو محمد البطال قال لو طبخ هذا بليه ما جاء هكذا والله يا صندل لقد تحدثت معه مليح ولقد سودت وجه الشيخ النجيح ثم ان أبو محمد أخرج له كيسا فيه ألف دينار وقال خذ معك هذا الكيس تصديقا لحديثك فاذا دخلت قبل يديه وقل له خذ هذا حتى يكون معك يا مولاى هذا الذى ذكرت لك وأنا ما بقى لى أحدا غيرك ثم أن البطال ناوله قرطاسا وقال خذ هذا معك أعمله فى باطيه الشراب وإياك أن تشرب منه شيئا فما كنت تفيق من المنام إلى ثلاثة أيام فقال صندل يا مولاى ما أسق منه النصرانية حتى تنام واستريح من صراعها فقد قتلتنى مما تتعلق فى رقبتى وما تركت فى حيل ولا قوة فضحك البطال من ذلك وقال له يا صندل كما تراهم ناموا بادر الينا فى الحال فقال ما يحتاج إلى توصية يا مولاى فوالله ما تم على الشيخ النحس ليلة أيشم من هذه الليلة ولاجعلن خده

مثل خد النصرانية ما فيه موضع لقمة (قال الراوى) يا سادة فخرج صندل وسار حتى أتى إلى عقبه فلما رآه عقبه قام له قائما وقد بان السرور على وجهه وكذلك قامت الأرمنية لقيام عقبة فشكرهم صندل وجلس معهم وطرح المال بين يدى عقبه وقال يا مولاى هذا المال الذى ذكرته لك ففرح عقبه بذلك وقال ما أصدق لسانك يا ولدى وحق المسيح لقد كان قلبى نافر من كلامك لأنى قلت ربما يكون من أولاد النجار ويريد ينكر حتى لا يعرفه أحد والساعة قد بان لى صحة قولك فوحق المسيح لاجعلنك ملكا عظيما ثم أن عقبه نادى بغلامه هات المال الذى معنا فحمل اليه خمسة أكياس فيها خمسة آلاف دينار فقال عقبه هذا لأجل نفقة الطريق أو لعارض يعرض وهى لك أنت المحكم فيها فشكره صندل على ذلك وعادوا إلى أكلهم وشربهم حتى طابوا ومد صندل يده فأخذ قدحا زجاج مجرى عليهم بالذهب وملاه من الباطيه وطرح فيه الدواء الذى أعطاه له أبا محمد البطال وكان وزن قيراط فأول ما سقى عقبة فكان آخر عهده من الدنيا ثم سقى غلامه فوقع إلى الأرض ثم بعدهم سقى الأرمنية فوقعت ما فى عينها قطرة (قال الراوى) يا سادة فلما رآهم على تلك الحالة عول على الخروج إلى عند مولاه أبو محمد البطال حتى يعلمه بالقصة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان مال عقبة عند قماشة فأخذه صندل جميعه وسار حتى دخل على مولاه أبو محمد وكان أبو محمد متشوقا اليه فلما رآه قال له ما الذى صنعت يا ولدى فقال خيرا يا مولاى ثم قال هذا مال الملعون قد أخذته وقد فعلت جميع ما أردت فضحك أبو محمد وقال والله هذه ما كانت فى ديوانه وقد قرب الله شحط آذانه فقال صندل نعم يا مولاى وقطع خصيانه حتى لا يكون شيخا منحوسا يشرب الخمور ولا يخاف من مدبر الأمور والعدل الذى لايجور فقال أبو محمد البطال أعلم بأن الله فيه تدبير وهو على كل شيء قدير وأن البطال أمر غلمانه فاتوه بالدواب فقدم صندوقين كبار برسم عقبة وغلامه ثم أنه شد الصندوقين على بعض البغال وخرج هو وولده مذبحون ولؤلؤ وهم لايصدقون بوقوع عقبة وغلامه لأن فى قلب البطال منه النار التى لاتطفى واللهيب الذى لايخفى ولما وصلوا إلى البيت وقف البطال على الباب وقال لصندل أدخل أنت قبلنا وانى أخشى ان يكون بعد خروجك حدث أمر من الأمور وأنت لا تعلم لأن الانسان يجب عليه ان لايترك الحزم وراء ظهره بل يزن الأشياء بميزان عقله ويحسن التدبير إذ لايأمن خروج من حكم المقادير (قال الراوى) يا سادة عندها دخل صندل إلى الدار فوجد عقبه على حاله وقد انكشفت عورته وغلب الخمر عليه حتى فاض على ثيابه ولحيته وغلامه ما فى عينه قطره والجارية لو أخذ أحدا برجلها وسحبها إلى

البحر ما عرفت بنفسها فقام صندل وقد خرج إلى أبو محمد وقال يا مولاى أعوذ بالله من شر هذا القرطاس ما أراه إلا مثل سم الموت لا محاله ما يشر به احدا ويبقى على حاله (قال الراوى) يا ساده فعندها دخل أبو محمد البطال ورأى عقبة على ذلك الحال فقال لغلمانه فتشوا هذا البيت وخذوا ما فيه من المصاغ والثياب وان كان فى بيتها بئر فألقوها فيه حتى لا ترجع لمثل هذا الشيخ النحس تضيف فقال صندل لا والله يا مولاى لا تفعل معها هذا الفعل فانها حرمة ولها على حق وخدمه فقال البطال صدقت يا أبن الزانيه إلا نحن ما نرعى لها هذه الخدمة وربما تكون هذه من الأرجاس وهى فى هذا المكان مهلكة للناس (قال الراوى) يا سادة هذا وغلمانه قد فتشوا البيت فما وجدوا فيه شيئاً من المال (قال) فميز البطال إلى الحيطان فوجد آثار الطين طرى وهو قريب العهد فقال أحفروا هذا الموضع فقال صندل هذا الساعة ما هو مليح منك حيث ما وجدت فى الدار شيئاً تريد تخربها على هذه المسكينة ولولا هى ما كان وقع هذا الشيخ النحس (قال) يا سادة فلما سمع البطال كلامه قال له دع عنك هذا الهزيان فما ينفعك بعدما وصلت إلى هـــذا ثم قال للؤلؤا لخر ففحروا فبان له من الحائط طاقة وإذا فيها ثياب ديباج وعقود لؤلؤ وصلبان ذهب وفضة وزنانير ابريسم وخمسمائة دينار فلما نظر صندل إلى ذلك حار عقله وطار لبه وكذلك مذبحون فقال لؤلؤ يامولاى لاشك أنك تعرف هذه الدار قبل هذهالساعة وكان لك بها درايه فقال لا والله العظيم إلا انى عرفت أن هذه الشيطانة لا تخلوا من ذهب أو فضة ولما دخلتم وفتشتم أنتم البيت وما رأيتم شيئاً فقلت أنا فى قلبى يمكن أنها تخاف على نفسها من أمر من الأمور وقد خبت مالها فى موضع من المواضع ثم انى نظرت إلى الحيطان فعرفت هذا المكان لكثرت التجارب فخلوا الساعة عنكم هذا الكلام الكثير وعولوا بنا على المسير فقال صندل يا مولاى نخاف من عقبة أن يفيق ثم دنا منه وأوثقه كتاف وشد يديه ورجليه وحشى فى فمه قطعة من عمامته وشدها إلى خلف رقبته وتركه مثل الأكره وحملوه الغلمان ووضعوه فى الصندوق وفعلوا بغلامه كذلك وشدوه شدا وثيقاً وطرحوه فى صندوق ثانى وخرج أبو محمد البطال ولؤلؤ ومذبحون وساقوا الدواب واستقاموا على الطريق والتفتوا فلم يجدوا صندل فقال أبو محمد البطال ويلك يا لؤلؤ وأين مضى هذا الشيطان ازجروه لئلا يضيع لأنه غريب فى هذه الديار وان كان قد رجع إلى النصرانية وأفاقت فما يكون لها غريم غيره فرجع لؤلؤ ودخل إلى الدار فوجد صندل وهو يودع الجارية وخرج وهو يلتفت مخافة أن يعرف فقال له لؤلؤ لا كتب الله عليك سلامه ايش الذى أبطاك عنا ياشيطان فقال أمشى وأسكت ولا تفتش

على أحد فى حاله فقد سمعت من العلماء يقولون لا يجوز للمسلم أن يطلع على حال أخيه فقال لؤلؤ طالبك الله كلما نحن فيه من يدك الحق مولاك فلقد أغتاظ غيظا شديدا فقال صندل مولاى أعقل من هذا أن يغتاظ وهو على طريق ثم ساروا إلى أن وصلوا إلى مولاهم فقال لؤلؤ والله يامولاى ما وقع لناقط من أولاد الزنا مثل هذا صندل فقال صندل ويلك خاف الله يا لؤلؤ ولا تتحدث فى أمى فما كانت إلا من أحرار الناس فانه كان لها بيت مثل بيت هذه النصرانية فما وصل اليها أحد إلا وتكرمت عليه بروحها وما لها فعندها ضحك البطال وساروا وهم لا يدرون أين يقصدون وما فيهم من يسأل البطال عن حال من الأحوال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بدليس فى اليوم الرابع وفى ذلك اليوم أفاق عقبة وتقايا البنج وهو فى الصندوق وفتح عينه فوجد روحه فى هذه الحالة وهو محمول على البغال إلا أنه يعض يديه بما تم عليه وقد أيقن بالموت وفى تلك الساعة نزل أبو محمد البطال وقال لغلمانه افتحوا على الملعون فان البنج الذى سقيناه له يكون تقاياه (قال الراوى) ياسادة فعندها فتحوا على الملعون فوجدوا عينه الصحيحة مفتوحة وهو ينظر من يفتح عليه فلما رأى البطال غاب رشده وطاش عقله وذابت مهجته وأيس من نفسه واشتدت بليته وعلم أن صندل هو الذى كان سبب محنته فانفطرت مرارته وقد وقع من العين شاربه ولحيته (قال الراوى) ياسادة هذا والبطال قد أخرجه وحل فمه وقال له مرحبا بالشيخ النحيح ايش الذى أوصلك إلى ههنا لأنك قضيت مع النصرانية عيشا طيبا فى هذه الأيام إلا أنك كنت عليها ميشوم فتنفس عقبة صعدا وأظهر كمدا وقال لاستر الله عليها فلولم تعشق هذا الولد الزنا ما كنت وقعت أنا فى هذا البلاء والعنا ثم أنه أشار بيده إلى صندل وقد بكى فقال صندل يامولاى ايش لى أنا فى هذا أنا ما جبت لك الكيس الذى فيه الألف دينار وما كنت أملك سواها فقال عقبة آه ياابن الزانية أما ذكرت لى ألك غلام رجل شريف لاستر الله عليك ولا على أستاذك فما هو إلا شيطان فقال صندل لعقبة دع عنك هذا ولا تتهمنى بما لا أفعله فأنا قد أخذونى كما أخذوك فقال عقبة تكذب ياابن الزانية انظر لك واحد غيرى أنصب عليه لعلك أن يقع لك نصرانية أخرى يقع غرضها معك وتسوق لك بنجس مثلى تأخذوا منه خمسة آلاف دينار فأعاد عليه صندل حديث الحائط وكيف قال البطال احفروا ههنا وظهر لهم المال فقال عقبه وحق المسيح ما أنا راضى عنك يابطال واعلم أن مدحى مايعمل معك شىء لأنك ما أنت ممن ينطلى عليه المحال وأنا أقول أنك حوارى الرمان فالويل لمن تكون عدوه ياشيطان فأنا لو عرفت أننى أترك بغداد وأجىء إلى

ههنا وأراك قاعدلى فى هذا المكان فقال البطال أنا أعرف أنك كثير الفضول نحس ولا تقعد فى بغداد بعد أن فعلت ما فعلت وأنه لابد لك من المسير إلى بلاد الروم وقداتفقت أنت وهرمس على أخوات عبد العزيز العلوى فعملت ذلك حتى تمهد أمر هرمس عند الملك أرمانوش وعرفت أن مالك طريق إلا من هنا لأن الذى يعرفوك هنا قليل فجئت أنا وسبقتك حتى آخذك فقال عقبه ياويلك لا تفرط فى أمرى حتى أننى أرد اليك أخوات عبد العزيز وعوف وعابس ثم انى أحلفك بالايمان الذى أريد أن تترك سبيلى وإن آذيتنى فتكون من الهالكين وكذلك سائر المأسورين لأننى قد أوصيت بحفظهم إلى أن أصل اليهم فقال له أبو محمد أما ما ذكرت من جهة الأسارى فانه مايلزمنى منه شىء لأنه قد جرى بينى وبين الأمير عبد الوهاب وعبد العزيز خصومة كبيرة حتى بلغ الأمر بيننا إلى ضرب السيف فقال عقبة وكيف ذلك ياأبو محمد فقال سبب ذلك أننى قلت له أن الأمر الذى جرى على أمه وأخواته منك ومن تدبيرك فكذبنى وقال أن عقبة ما يفعل فى حق هذه الفعال لأجل ما فعلت معه من الجميل فقال عقبة أن من طبعى الاساءة لمن أحسن إلى والرجل معذور فى ذلك لأنه ما يعرفنى حق المعرفة وأنا أتمنى وحق المسيح لو شربت من دمه ولو فعل معى كل جميل فى الدنيا ما ازددت فيه إلا بغضا ولا أقدر أقعد عن فعل القبيح معه والذى يحملنى على ذلك شيآن أحدهما أنه يقول لا إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يسمع عقبة من يقولها يكاد قلبه أن يتمزق لعنه الله والثانى أنه يحل الجهاد فى سبيل الله وشجاع وآه واحسرتاه ان مت ولم أبلغ من المسلمين غرضى فلما سمع البطال ذلك قامت عيناه فى أم رأسه وقال لغلمانه هيا ابطجوه فوثبوا اليه وقد حققوا عليه وأخرج البطال صوت الحكمة وضربه حتى قطع النفس وصبغ دمه ثيابه ثم أقام أبو محمد باقى يومه وهو مغتاظ مما جرى من عقبة وما قال من الكلام ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وذكرسيد الملاح عول على الرحيل والرواح وكان عقبة أفاق من غشوته ونظر إلى أبو محمد وقال لمطالبك المسيح بما قد فعلت معى فى هذه المره فقال له البطال ويلك ياملعون وأى مطالبة لك على والله أن الذى تراه من العذاب أكثر فلعن الله كل كافر بالرحمن ليتك تقول أن الرب اثنان فلو كان الأمر كما زعمت كانت الإرادة لا تتفق لأن هذا كان يريد الحركة وهذا يريدالسكون وهذا يريد العطاء وهذا يريد المنع وهذا يريد المطر وهذا يريد الجدب وكذلك كان يدخل هذا الافلاك تعطيل عن الدوران وتتغير فصول الزمان يتناقض أمور هذه الخلق قبل الأوان وانما ربنا خلق الفصول بتمامها مدبرة لأنها تأتى فى أوانها وانها غير

مغيرة فعلمنا أنها مدبرة وإن المدبر لها واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد وقد شهد بوحدانيته ارتفاع طبقات السموات العلية واشراق ائتلاف مطالع النجوم الدانية وتضاعف تكاثف ربوات شواهق الجبال الراسية واتساع أرتفاع فلوات قيعان الأراضين المدحيه وباحتمال مهال هموع قطرات السحاب الهميه ولوامع سواطع البرق الخاضعة البهية وهمرات زخرات قعاقع الرعود القاصفة القوسيه ووحاوس انزعاج تململ الرياح القاصفة الغربية وكسرات لحظات إلا عين الناظرة المضيه الذى لا إله غيره ولا ربا سواه (قال الراوى) يا سادة ثم أن أبو محمد البطال قال لعقبة كيف ترى هذا التوحيد ياشيخ الضلال فقال له عقبة يا أبو محمد وحق المسيح أن ضربك لى بالأمس ذلك الضرب العظيم كان أهون على من هذا الكلام قال البطال سمعته من عبد العزيز وهو يدعو به بعد صلاته فقلت له من أين تعلمته فقال تعلمته من أبى وأبى تعلمه من جدى وجدى تعلمه من أبيه الحسن والحسن تلقنه من أبيه على ابن أبى طالب وعلى تلقنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم تلقنه من جبريل عليه السلام فقال عقبة اللعين أقتلونى على بغضته ومن هذه النسبة نسبته وهذه المقاله مقالته وأنا الساعة قد أيست من خلاصى وعلمت أن الموت لى راحة والعيش لى أضيق ساحة (قال الراوى) يا سادة هذا والبطال قد سار وجد فى سيره حتى وصل الى ارزه ومنها إلى دارا ونزل فيها فى موضع جيد وأخرج غلام عقبة وعاقبه وعقبة يرى ذلك فقال يا أبو محمد أراك قد تركت طريق ملطية وعدلت إلى ههنا إلى اين فى نيتك أن تمضى بنا قال أنا قد عولت فى هذه النوبة ان أقتلك ولا يطلع لك خبر فقال لمذلك قال حتى أريح المسلمين منك فقال عقبة قد أخلف الزمان لكم آخر أيشم منى فقال البطال ان مافى الدنيا لك ثانى فى اللعنة إلا أبليس فقال عقبة بلى وحق المسيح وهو الراهب مطرون وقد وعدنى بضرب رقبتك ورقبة عبد الوهاب وذات الهمة وبنى كلاب بسيف المعتصم وهو أنه يقول ويفعل فضحك أبو محمد البطال وقال أفتعرف لأى شىء جئت بك إلى ههنا إلا حتى أنفذ إلى مطرون وأحضره إلى عندك وأربطك إلى قفاه وبعد ذلك يطيب قلبى إذ لم يبق من يعمل على المسلمين فقال عقبة ما يتحدث اللسان بالمحال فقال البطال وكيف ذلك يالعين فقال لأن مطرون علمت فى بغداد فى ذلك الشغل الذى تعرفه وما يفارق مجلس الخليفة لأنه مقدم على سائر الأطباء فايش الذى تأتى به إلى ههنا ان كنت ترجع إلى بغداد وتسرقه وما اقول انك تقدر عليه لأنى قد حذرته منك وعرفته جميع اشغالك واطلعته على افعالك وعنده ايضا طرفا من ذلك فضحك

أبو محمد وقال يا أبليس لم لا قرأت أنت هذه الآية على نفسك وحسبت هذا الحساب لروحك ولا كنت وقعت فى يدى ولكن سوف ترى ما يسرك وكيف أسوقه إليك إلى ههنا وأربطه معك فى حبس واحد حتى تعلم من هو الشاطر منا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال أن فعلت هـــذا فأنا أقول ما فى الزمان مثلك ولا يلحقك أحد فى شغلك عندها صعد البطال إلى صاحب دارا وهو الأمير شيث القشيرى فسلم عليه وفرح بمجيئه وأكرمه غاية الاكرام وخلع عليه وقال أيها الأمير كيف تركت أمر المجاهدين فقال بخير فقال أيش الذى أزعجك وإلى هذه الأرض أخرجك أن كان لك حاجة أو خدمة فشرفني بقضائها فقال أبو محمد أعلم أنى ما جئت فى حاجة إلا الأميرة ذات الهمة لعل الله تعالى يوجه لها بالعافيه فقال شيث ما حالها فقال أبو محمد قد وقعت فى مرض شديد ماعليه من مزيد وما فى ملطية طبيب إلا وعجز عن علاجها وعميت بصيرته عن أدراك مرضها وعند أمير المؤمنين طبيب قد أسلم من قريب يقال له مطرون ماله فى الأرض نظير وأنا ما جئت إلا لأجله وقدطالت على الطريق وأريد أن تنفذ إلى أمير المؤمنين على جناح طائر كتابا تسأله أن ينفذه إلى ههنا فقد لحقنى اليوم غلام الأميرة وقال قد زاد بها المرض وان أنا سرت إلى العراق يطول على الأمر ويفوت الغرض فقال الأمير شيث والله عندى زوج حمام من حمام بغداد ولقد أشغلت قلبى بمرض الأمير ذات الهمة وإذا جاء الطبيب إلى ههنا سرنا كانا إلى ديارها وزيارتها فلها علينا حقوق ومافى بلدى إلا من هو عتيق سيفها ثم أحضر ثم الحمام وسلمه إلى أبو محمد البطال فأخذه أبو محمد وعاد إلى داره وقد سبقه اليها الضيافات والكرامات والتحف وان أبو محمد كتب كتابا على لسان صاحب الخير الذى فى ملطيه من قبل الخليفة يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد يا أمير المؤمنين أماط الله عنك الأسواء أن الأميرة المجاهدة على شرف الموت وبها مرض عظيم قد أعيا الأطباء وما فيهم من عرف لها دواء وان الأمير عمرو دخل عليها وافتقدها وبكى لماان رأى حالها وقال لها مطرون الطبيب الذى عند أمير المؤمنين أعرف من هؤلاء الأطباء جميعهم ولو سألتيه فيه أرسله حتى يطبب مرضك وقد تعلق قلب الأميرة بذلك وقد سألونى أسأل امير المؤمنين فان سمحت نفس أمير المؤمنين فيكون ذلك على عجل لعل أن يكون الفرج على يديه وقد أنفذنا خيلا إلى آمد وخيلا إلى دارا ينتقل عليها لعل يلحق الأميرة فان كان على يده فرج وإلا نعلم الأميرة إن مولانا قد عنى بها واهتم فى قضاء حاجتها ورعالها حق ذمتها وخدمتها السالفة ثم جلجل الحمام وطار فبعد ساعة من النهار وصل إلى بغداد ودخل به البراج على الخليفة فلما قرأ الكتاب بكى وقال ائن طال

مرضها لأمضين إليها وأعودها وأين يكون مثل هذه الأميرة فلقد مرض الإسلام لمرضها ثم أنه ادعى بمطرون وقال له أيها الحكيم أنت تعلم أنك اليوم من المسلمين وقد من الله عليك بهذا الدين وفرض عليك المبادرة إلى كشف ضرر المسلمين وقد جاء فى كتاب الأميرة ذات الهمة فان هى برئت من مرضها على يديك وعادت إلى الصحة أعطيتك ما أردت من الأموال فقبل مطرون الأرض ولا يصدق بذلك من شدة الفرح وقال يا أمير المؤمنين أنا أسير من يومى وما أعود إن شاء الله تعالى من تلك الديار حتى أجمع من حشائش أرض الروم وعقاقيرها شيء أعرفه يسوى ههنا كل درهم دينار ثم أنه عاد إلى داره وكان عنده غلامان نصارى من غلمان عقبة قد وهبهم لمطرون وقال دع أولادى يكونون عندك فى خدمتك وإن أردت أن تعمل حيلة فهم يساعدوك ويعاونوك (قال الراوى) يا سادة فلما كان ذلك اليوم قال مطرون لهما قد بلغت المراد ووصلت إلى قضاء الأسباب ووقع لى ما أريد وما يريد مولاكما عقبة فقالا له كيف ذلك فأعاد عليهما القصة وقال ما كان قصد مولاكم عقبة فى كونى ههنا طبيب إلا حتى أقتل ذات الهمة وولدها عبد الوهاب وأنا وحق مولاكم ساعة أصل اليها أسقيتها شيء لو شربت بعده ماء الحياة ما عاشت فاذا هلكت ذات الهمة فهى نصف الإسلام وما يرجع يقوم بعدها لعبد الوهاب قائمة ولا لأبو محمد البطال ومن ملطية أنفذ لمولاكم وأعرفه بذلك حتى يطيب قلبه وانظر ما يجرى فى حاجتى التى أوصيته بها وإن سير إلى حتى أسير اليه من ههنا سرت اليه وتكون الطريق قد قربت على من الثغر وهو نصف الطريق وإذا رجعت إلى بغداد وسألنى الخليفة عن أبطائى أقول له دخلت إلى بلاد الروم فى طلب شيء من الحشائش والعقاقير التى تصلح للعلاجات من أمراض الجسد وهى فى غير بلاد الروم لا توجد هذا إن علم بحالى وإن أبطأت فأكون قد قضيت وطرى من أخوات عبد العزيز وأعود أعمل على هلاك عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب (قال الراوى) وفى ذلك اليوم أرسل الخليفة يقول له خذ معك من الغلمان ما شئت فأنفذ يقول يا مولاى معى غلامان وهم كفايتى فى الطريق زاد الله مولانا سعدا وتوفيقا ثم أن الملعون مطرون سار وهو لا يدرى أنه سائر إلى قبضة الموت (قال الراوى) ياسادة وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة أن الملعون كلما نام يرى فى النوم ما يروعه فيقول للغلمان الساعة رأيت أستاذكم عقبة فى النوم وقد أعطانى من أخوات عبد العزيز أصغرهن سنا وأوفاهن حسنا فتقول الغلمان أرجو ان تكون عاقبته إلى خير فيقول مطرون وما يكون إلا خير لأن ما بعد تسليم الملاح إلا الصلاح والفلاح وكان قد أشار اليهم فى هذه المعنى بهذه الأبيات يقول

إلا الأحلام تظهر لى صلاحا   فو أشوقى إلى تلك الملاحا
فان صح المنام بملك قوم   أرى أوفى فساد همو صلاحا
وإن كان المنام بعكس هذا   كسبت من الصلاح مع الفلا
ألا سيروا بنا فالسير فيه   صلاحا لو يكون بلا صلاحا

(قال الراوى) ياسادة ثم إن الملعون مطرون لم يزل سائر إلى نصيبين وسار منها إلى دارا (قال الراوى) وكان صندل كل يوم يقف فى الطريق لأجل الانتظار فلما رأى القوم عرفهم بالصفات التى كان مولاه وصفها له فصار يعدو وهو فرحان إلى أن دخل على مولاه أبو محمد البطال وعاد عليه جليه الحال ففرح بذلك فرحا شديدا وقال يا صندل عد اليهم وارصدهم من بعيد وانظرهم أين ينزلون فمضى صندل وعاد وقال يا مولاى نزلوا فى خان التجار ومطرون قد جلس فى دكة دهليز الخان ومعه غلامان يسيران بالدواب فقال له أبا محمد ويلك عد الساعة على هذا الفرس وزينه بزينة مليحة وارجع فاذا أنت صرت بين يديه قل له يا مولاى أنت طبيب أمير المؤمنين فاذا قال لك نعم قل له أجب مولاى لأنه قد فرش لك فى دار الضيافة وهذا فرس النوبة وعنده خيل تنتقل اليها إلى ملطية وعلى كل حال تجهد نفسك إلى أن تسوقه إلى ههنا فقال صندل يا مولاى لا تعرفه إلا منى لعل ببركة هذا الشيخ الآخر تقع إلى أخرى تعشقنى (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن صندل سار ومعه حصان مليح أصفر وعليه سرج بكانيوش ذهب أحمر حتى وصل إلى الخان ودنا من مطرون وصقع له وكان متكئا فجلس وعلم أنه رسول رجل محتشم وقال يا ولدى عسى حاجة فقال له نعم يا مولاى أنت طبيب مولانا أمير المؤمنين الذى أتيت من بغداد طالب ملطية لأجل الأميرة ذات الهمة قال له نعم قال بسم الله إلى دار الضيافة فقد سبقت إليها الاقامة والتحف والكرامة لأن كتب ملطيه كل يوم تصل إلينا ومولاى صاحب هذه البلد هو صنيعة الاميرة ذات الهمة وما يأتى كتاب إلا ويحرضنا على استعجالك فلما سمع مطرون ذلك فرح وقال للخانية عينكم على الرجل والقماش حتى أنفذ إليه غلمانى ينقلوا فقال صندل ما عليك أنا الساعة أحملك إلى دار الضيافة والكرامة وأعود أحمل القماش قال فتعجب مطرون من كلام صندل وقال لله درك ما أفصح خطابك ولكن هكذا تربية المحتشمين والوزراء والسلاطين ثم سار طالبا دار الضيافة ولم يعلم أنه ماضى إلى محل الاضافة ولم يزل إلى أن وصل إلى الدار التى فيها أبو محمد البطال فدخل صندل وقال يا مولاى الشيخ مطرون على الباب فلما سمع أبو محمد البطال ذلك دخل إلى حجرة داخل الباب والدار وترك المجلس الذى فيه الفرش

مفروشا على حاله مزين مرتب بالوسائد والطرح والفرش الذى أرسلها صاحب دارا الأبو محمد ثم أن أبو محمد قال لصندل ويلك اخرج إليـــه وامره حتى يدخل لاريكما فعلى فخرج صندل وقال بسم الله وادخل مطرون ونظر إلى تلك الدار وتلك الفرش والطرح والمأكول والفواكه ففرح بذلك وقال لصندل ما اسمك يا هـذا قال له اسمى صندل قال له ويحك يا صندل أريد مع هذا الاكرام جارية جميلة تؤنسنى وإذا نمت تكبسنى فقال على يا مولاى كلما نريد ثم أنه دخل إلى مولاه أبو محمد وأخبره بذلك وبما قال مطرون فقال سمعته خزاه الله اخرج إليه وقل له أن الجارية التى تطلبها فى الحجرة إلا أن الحياء يمنعها أن تخرج إليك فليدخل مولانا فخرج صندل إليه وقال له ياسيدى مقصودك فى هذه الحجرة وهى جارية فى غاية الحسن والجمال ما لها فى حسنها مثال قد أرسلها مولاى إليك تغنى فى حضرتك ليزيد فى كرامتك فعندها وثب مطرون فما هو إلا أن صار داخل الحجرة وإذا بلكمة قد وقعت فى نخاعه ولا حافر بغل فوقع من شدتها إلى الأرض فوثب ليخرج فزوده مذبحون بأخرى أشد من الأولى فعاد وقع فزوده لؤلؤ بأخرى فاندهش وحار والتفت إلى صندل وقال له ويلك خذ بيدى واخرجنى من هذا الموضع الميشوم فانى بين قوم اللكم واقع منهم ويلك ما هذا مثوبة هذه عقوبة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها قال أبو محمد ويلك ما هـذه مثوبة هذه عقوبة ويلك يا قرنان من يعمل عند مولانا أمير المؤمنين على ضرب رقاب الشجعان عنـــد خليفة الزمان يخاطر بنفسه ويأتى إلى هذا المكان فقال ويلك يا شيطان من هو الذى أراد يقرب هذا المكان لو لا أمر السلطان (قال الراوى) هذا والبطال قد شد يديه ورجليه وسل فى يده خنجر أمضى من القدر (قال الراوى) يا سادة فلما رأى مطرون ذلك أيقن بالبلاء والتفت إلى صندل وقال ويلك هذه دار الضيافة أو دار صاحب الشرطة فقال صندل أصبر فما تعرف الرجال إلا بالصبر على الأهوال فعلم مطرون أنه وقع فقال ويلك يا أبو محمد لا تفرط فى أمرى فان حالى ما يخفى ولى من يكشف خبرى فقال له أبو محمد ومن هو فقال عقبه لأنه يعلم انى إذا فقدت ما لى عدو غيرك فقال أبو محمد اقطع أياسك من هذا الوجه فها أنا الساعة أجمع بينك وبينه ثم وضع فى رقبته حبلا وساقه إلى بيت آخر وفتح صندوقا وأخرج منه عقبه وقال له أيها الشيخ النجيح افتح عينيك وانظر من جاء إليك يزورك على الصحيح ففتح عقبه عينه الصحيحة ونظر إلى مطرون وحقق فيه معرفته كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال ويلك يا مطرون فقال له نعم فقال ما الذى أتى بك إلى ههنا قال له القضاء والقدر وكتاب الأميرة ذات الهمه أنها ضعيفة

فى ملطية لا وجه الله لها بعافية فقال عقبة وحق المسيح هذا من دواهى البطال فكيف خليت غلمانى الذين تركتهم عندك فقال معى جاؤا وقد تركتهم يسيرون الدواب فقال عقبه أعوذ بالمسيح من شر هذه السنة ويلك اعلمنى كيف أخذوك قال جاءنى غلام يقال له صندل وقال بسم الله يامولاى قم إلى دار الضيافة فأتيت الى ههنا فقبضوا على فضحك عقبه وقال جاء بك بالله غلام الشريف لاستر الله عليه ما أكثر محاله ولكن أنا أعلم على أنك ما بادرت بالمسير إلا من أجل ذاك الوعد وهو الذى أنجسنى وأنجسك هذا وقد دبر أبو محمد على غلمان عقبة حتى أخذهم ورفع الكل على البغال وسار من أول يطلب الرقة فقال له مذبحون إلى أين هذه الطريق وأبو محمد يقول سر واسكت ثم أنه سار حتى وصل إلى حلب إلا أنه لم يستقر به القرار حتى كتب إلى صاحب سويدية كتابا يقول فيه ساعة وصول الكتاب إليك ترسل الراهب شومدرس إلى حلب فانى قد أرسلت بتسليمه (قال الراوى) وكان الكتاب إلى حاجب السويدية على لسان الأمير عبدالوهاب فلما وصل الكتاب إلى صاحب السويدية لم يتأخر ساعة واحدة دون أن أخرج الراهب شومدرس من السرداب وقد عقد شعره وطالت أظافره وظهر ضره وسلمه إلى أربعة من غلمانه وقال لهم سيروا بهذا الشيخ إلى حلب وسلموه إلى أبو محمد البطال بهذه الحالة التى هو فيها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم تقدم لهم الدواب وأركبهم وساروا يقطعون الأرض إلى انطاكية ونزلوا بدير شمعون وكان فيه عشرون راهبا وهو يعرف بدير شمعون ودير النساء وماكان يدخله راهب ولاغيره إلا فى عيد الشعانين وإنه يسير اليه من العالم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وما تأتى اليه الرجال والنساء إلا ومعهم القربان من الشمع وغير ذلك وكانت الأربعة الذين ساروا من السديدية مع شومدرس جاهلين بمعرفة شومدرس ولما نزلوا فى ذلك المكان ورأوا شومدرس على غاية من الجوع والضر فأعرضوا عليه الطعام فأبى وقال مايصنع بالطعام من هو راحل من الدنيا فقالوا ياشيخ ونسيت ماتلقاه فى الآخرة من العذاب والانتقام فقال وكيف ذلك قالوا لأنك كافر بالملك العلام مكذب برساله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال والله لقد صدقت فى هذا الكلام الويل ثم الويل لمن يترك التوحيد ويشرك بالملك المجيد وأنا أعلم أن الله تبارك وتعالى ماأوقعنى فى هذا العذاب إلا لأنى آكل رزقه وأعبد غيره والساعة قد من الله تعالى على بالإيمان ونزع من قلبى عبادة الصلبان وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم الله أنى ماقلت هذه الكلمة رغبة فى الحياة ولاخوفا من الوفاة فانى مشرف على الصلب وان تجدوا فى السير مع ماتلحقون بى حلب

وأنا أشتهى أن تصلوا على صلاة المسلمين وتدفنونى فى قبور الموحدين فياليت هذه الهداية كانت من زمان حتى كنت أقضى بقية عمرى فى الطاعة ثم جعل يبكى بكاء شديدا ويكثر النوح على نفسه فى التعبد فقالوا له وقد عملت فيهم حيلته اعلم ياهذا ان فى القرآن العظيم قوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف واعلم أن الله تعالى قد غفر لك لأجل إسلامك وقد بقى لك مالنا وعليك ما علينا وقد عولنا نقيم ههنا للراحة حتى يذهب ربع الليل ونرحل فما نبات ان شاء الله تعالى ليلة غد إلا فى البلد (قال الراوى) ياسادة ثم انهم فكوا قيده وحلوا كتافه وقعدوا ورأوه يعيد الاحتقار لأنه شيخ كبير وضعيف وقد أظهر الوجع فبقى كانه ميت ولما أطلقوه قال لهم علمونى شيئا من القرآن أصلى به فلقنوه الحمد لله رب العالمين وسورة الاخلاص وما أعادوها عليه مرتين الا وقد حفظها فقالوا له قد سهل الله عليك خروج الروح (قال الراوى) فأمنوا عليه وكانوا على غاية من التعب الشديد فناموا فلما علم الملعون أنهم غرقوا فى النوم وسمع خطيطهم قد علا وثب كانه سلهم وأخذ بعض سكاكينهم وذبح الأربعة وتقدم إلى جواد من الخيل فركبه وطلب بلاد الروم وإذا هو بشخصين قد لاحا فى الظلام وقد قال واحد منهم الآخر والله لقد كان الرأى مع أبو محمد البطال هذا والله لاشك انه شومدرس وقد قضى على الأربعة الذين كانوا معه فخذوا هذا الشيطان قبل أن يستجير عليكم بدير الرهبان (قال الراوى) يا سادة فهجموا عليه وأخذوه وكان أحدهما لؤلؤ والثانى مذبحون وان الأمير أبو محمد افتكر وقال لولده مذبحون وغلمانه والله لقد نسيت أن أوصى صاحب السويدية بالملعون شومدرس والاحتراز به فى الطريق لأنه الملعون عقبة الثانى وربما ينفذه مع من لايعرفه ولاجرب حيلة ويتخلص فاذهبوا أنتم والتقوه فى الطريق واحتفظوا به فساروا إلى أن وجدوه كما ذكرنا وأخذوه كما وصفنا فلما أخذوه ضربوه ضربا شديدا فقال مذبحون للؤلؤ عول بنا على المسير فساروا إلى حلب ودخلوا على أبو محمد البطال وأعادوا عليه حديث شومدرس شيخ الضلاله وكيف عول على الهرب وكيف لحقوه بعد ما ذبح الذين كانوا معه وسقاهم كاس العطب ففرح أبو محمد البطال وأخذ شومدرس إلى عند عقبة والراهب مطرون فلما نظره عقبة قال له شومدرس قال نعم قال ايش الذى أوقعك ههنا أيها الشيخ قال أوقعنى الشيطان أبو محمد البطال وبعد هذا قال عقبة تذكرنى فى بالك يا شومدرس لما كنت أنا وأنت الدير وأخذنا الأمراء وحبسناهم فى المطمورة وأنت مالك خبر ولا أثر فقال له أما تعرف أن أبو محمد إذا جلس فى مكان لاينجوا منه أحد وهو الذى خلص نفسه

وخلص الامراء معه وأخذونى معهم إلى السويدية وبقيت أنا منقل فيها الى الآن ثم انه نظر إلى مطرون الراهب فبقى حائر فى قصته وصار ينظر اليه وهو مشك فيه وكان صديقه إلا انه كان يعرفه انه فى بلاد الروم فقال لعقبة أليس هذا مطرون فقال نعم إلا انه تغير عليك ثم انه أعاد عليه قصته وكيف عمل عليه البطال الحيله وأخذه بعد ما عمل على قتله فقال شو مدرس هذا الشيطان ضاقت بنا فيه الحيل وما ندرى معه ما نعمل هذا وأبو محمد بعد ذلك سار إلى طرابلس على انه يقلع إلى ديار مصر ويشتفى من الثلاثة ولا يعود يقرب العراق أبدا إلا انه كان غضب على الامير عبد الوهاب لاجل ميله لعبد العزيز العلوى فأقسم أنه لا يرجع يعود اليه أبدا فلما وصل إلى طرابلس وصل إلى دار الأمير جوال لأنه لما قسم أمير المؤمنين الغنائم على ملطيه سار إلى بغداد ومعه الأمير عبد الوهاب والأمير عبد العزيز فقال جوال لعبد الوهاب أيها الأمير أنا أريد أمضى إلى أهلى آخذهم من السويدية وأسير بهم إلى طرابلس فان قلبي فى وطنى وما أخرجنى منه إلا مانع بن ضابط لأنه عمل معى كل قبيح حتى خرجت من الوطن كارها والساعة أريد عنايتك حتى أعود اليه (قال الراوى) ياسادة فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك خاطب المعتصم فى شأنه وأخذ له كتابا إلى المتوالى فى طرابلس بمراعاته واكرامه ويقول فى الكتاب متى عاد مانع بن ضابط إلى التعرض له أحرق به وخذ ماله وكان قد صح لجوال من هذه الغنيمة رزق صالح فأخذه وسار إلى السويدية وأخذ أهله وسار إلى طرابلس ولما وصل اليها أعرض كتاب المعتصم على متواليها فلما قرأ الكتاب وعرف ما فيه فأكرمه لأجل مشاهدة الكتاب والثانية لأجل الأمير عبد الوهاب وبقى مقيما إلى أن أتى أبو محمد البطال فى هذه النوبة فأنزله جوال فى دار أكرم أهل زمانه وأنه لما رأى أبو محمد سأله عن حاله وعن قدومه وإلى أين هو سائر فقال إلى أرض مصر هذا وقد أرسل كتابا إلى ملطيه يطلب زوجته نورى ويقول فى الكتاب أنه متوجه فى طرابلس وأريد أن تسيرى إلى فان الموت قريب وما أدرى ما يكون منى والسلام وأقام ينتظر قدومها (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما وصلها الكتاب من اخلاط يعلمها أن أخوات عبد العزيز وأمه ومن معهن قد عبروا بهم طالبين بلاد الروم ضاقت عليها الدنيا وقالت لعن الله عقبة فانه ما يقعد عن قبيح فعله ثم انها انتخبت معها ألف فارس وخرجت من البلد كانها تريد الصيد والقنص ولم تعلم أحدا من بنى كلاب غير الذين معها كل ذلك لتخفى أمرها عن بنى سليم ولما ابعدت عن ملطيه أخذت على طريق بلد الروم والرجال الذين معها يظنون أنها طالبة الصيد والقنص فى أطراف الدرواب هذا

وقد سارت الأميرة سيرا عنيفا طول ذلك اليوم وعندالليل نزلت ساعة بقدر مااستراحت الخيل وأكلت عليقها ورحلت بطول الليل إلى الصباح فأصاب الناس من التعب مالا يوصف فقال لها ضيغم ياجدتاه قد هلكنا وهلكت الخيل من تحتنا فاعلمينا إلى أين قد عولتي حتى نكون من أمرنا على حذر فقالت له ياولد سر وأنت ساكت فقد رأيت مناما وأريد أصححه ثم انها سارت باقى نهارها إلى الليل فأراحت واسترحت وقد أصبحت عند باب درب العقيق وهو درب ضيق المسالك ما لأحد إلى بلد الروم طريق إلا منه يدخل الانسان منه ويتوجه إلى أى بلاد من بلاد الروم فنزلت الأميرة ذات الهمة بأصحابها هنا لك وهم موتى من شدة التعب فنزلوا فى أرض واسعة كثيرة الوحوش والناظر اليها مدهوش فباتت الأميرة هناك وأقامت ذلك اليوم إلى ان كان من الغدو أصبح الصباح وكانت الأميرة خائفه أن يفوت عدو الله هرمس (قال الراوى) ياسادة فما هو إلا أن طلعت الشمس على الجبال وأشرفت على الربا والتلال إذا سمعت صهيل الخيل وزعقات الرجال فوثبت الأميرة وشدت عدتها فى الحال قال ضيغم والله لقد رأيتها فى ذلك اليوم وهى تتحزم وهى ترعد مثل السعفة فى ريح عاصف وذلك شيأ ما عهدته منها قبل ذلك اليوم فقلت لها ما هذه الرعده التى حلت بك هذا فزع من عدو الله هرمس قالت لا والله بل غيرة على بنات علويات حسيبات نسيبات قد ملكهن الأعداء وهو فى قبضتهن وإذا بنواصى الخيل قد طلعت فكانكم بهم قد وصلوا وعليكم حملوا فقالوا لها أصحابها وقد تعجبوا من مقالها والله أن أمرك عجيب وقد ذكرتى هذه النسوه وما هن عليه من الحسب والنسب وأن هذه أشراف العرب ونحن متعجبون كيف وقعت فى أيدى الأعداء فقالت سوف يظهر لكم الساعة الخبر (قال الراوى) ياسادة وظهرت الخيل مثل السلاهب وعليها رجال وهم بالسيوف المشرفية والرماح السمهرية والخيل العربية والدروع الداودية والاتراس الملكية فلما نظر أصحاب الأميرة ذلك قالوا ايتها الأميرة أما ترين إلى هؤلاء القوم ما كانهم إلا مسلمون لكن البواطن ما يعلمها إلا الله تعالى فقالت الاميرة هؤلاء القوم كلهم عبيد رجل واحد والكل يعبدون النار دون الملك الجبار فقالوا إذا كان الامر على ذلك الذى ذكرتيه والحال على ما وصفتيه فهم كلهم أكلة واحدة للجائع وسوف نفنيهم بلا تعب ولانصب بالقواطع ان شاء الله فقالت الاميرة هذا يكون ان شاء الله الملك العلام لانهم ربوا على أكل الحرام والمقدم عليهم شخص جبار وكنت قد صحبته وصحبنى زمان الجاهلية أول ما تفرست لقينى فى جماعة من الرجال وعرفت انه يريد أخذ المال وكان بالامر المقدر أغار علينا وأخذ جمالنا ولم أكن حاضرة

فى الحى فلما ساق الجمال وصلت أنا من الغد فأخبرنى أبى مظلوم بذلك فسرت خلفه فلقينى هذا الشيطان وصحبه وكان فى ألف فارس وأنا فى دون المائة فقتلت منهما جماعة وأخذ الغنيمة وعدنا وكان هذا الشيطان أعجبنى قتاله لأنه تقاتل معى قتالا شديداً ولما وصلنا إلى أرض العقيق داخله الطمع فى أخذ الغنيمة كلها منى وقال لى قاسمنى وكان يحسب أننى رجل لما رأى قتالى وشدةحربى ونزالى قال لى يا هذا الفتى أعلم أننى ماخاطرت بروحى إلا من أجل هذه الغنيمة فقاتلنى عليها فقاتلته يوما وليلة وكنت أنا فى أربعين فارس وهو فى مثل ذلك وبعد ذلك انفقنا على البراز فبارزته فرأيته جبار ما يصطلى له بنار فأقمت معه ثلاثة أيام متوالية فرأيته يسجد للشمس كلما حملت عليه فعلمت أنه لايدين بدين ولما أعيتنى الحيل قسمنا المال بيننا نصفين بعد مامشى بيننا مشايخ الطائفتين ومضى كل واحد منا وفى قلبه من صاحبه النار وإلى الآن ما رجعت وقعت فيه وما ادرى ما صنعت به الأقدار إن كانت زادت قومه أم لا وكان مقامه فى أرض العراق ولما كثر أذاه على المسلمين عولت أن أسير اليه أنا وولدى فبلغنى أنه قد أنصلح حاله مع امير المؤمنين واقطعه أقطاعا جيدا حتى كف أذيته عن الناس والساعة لقد لقيته حتى اخلص منه هذه البنات والنسوة التى معه ولا تهونوا امره فانهم شياطين الأرض عندها اخذت اصحابها اهبة القتال وإذا بالرجال قد وصلوا اليهم واشرفوا عليهم (قال) فنظر هرمس إلى الف فارس بين يديه ورماحهم كأنها اجام القصب فقال اصاحبه هؤلاء بلا شك مسلمين فدونكم واياهم فقالوا ما كأنهم إلا من متنصره وقد خرجوا من عند ملك الروم حتى يلقوك لأن الطيور سبقتنا من عند الشيخ النجيح فقال هرمس دعوا عنكم هذا المقال واقبلوا منى وخذوا أهبتكم للقتال فانهم لو كانوا متنصرة العربان كان عن راياتهم الصلبان المشهورة فى كل مكان وهؤلاء مكتوب على راياتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنى خائف ان يكون خبرنا سبق إلى ملطية وخرج علينا عسكر الثغور فخذوا حذركم ولا تعجبوا من هذا لأنهم ماهم مثل من لاقيتم من الفرسان وان هؤلاء قد تعودوا بالجهاد والكفاح والقتال فى كل صباح فحين سمعوا مقاله قالوا وإذا كان من عسكر الثغور فما عساكرهم ان يقدروا يفعلوا ونحن فى وسط بلاد الروم ونجدتنا قريبة منا فضحك من قولهم وقال لهم ويلكم ومن الذى يحوجكم إلى النجدة فقالوا لأنهم اكثر من الف فارس لأننى علمت تحرير الجيوش ووزنتهم بميزان البصيره وكيلتهم بمكيال الخبره فقالوا له صدقت أيها الأمير فما الذى تأمر نا به أن نفعل فقال لهم أعلموا ان البدرة لمن بدر وأنى وحق الشمس عند اشراقها ما أبالى بألف ولا بألفين لأنى أقدر أشوش عما ثما وأرمى

بسيفى جماجمها وأترك الدماء تفج من علاصمها وآخذ جميع أموالها وغنائمها ولكنى أخاف من امرأة تكون معهم يقال لها داهية بنى طى لأننى كنت لقيتها منذ أعوام فى أرض بنى كلاب وجرى بينى وبينها كل عجيبة فى الحرب وما وصل منا أحد إلى صاحبه بل أخذ كل واحد منا النصف وانصرفنا وأنا أظنها غلاما بعد بعدها بلغنى أنها جارية فهام بها قلبى وطمعت فى زواجها فأرسلت لها بسبب ذلك فأبت وردت الرسول لأجل دينى فاشتغلت عنها بنهب الأموال وكنت فى مائتين بطل وبنى كلاب فى ألف فما أقدر عليها إلا عن رضاها وإلى الآن ما عدت لقيتها ولقد قيل لى عنها أنها افرس من ولدها وما أدرى أنها فى هذا الزمان زادت الشجاعة أم لا (قال الراوى) يا سادة وكان قد خطب الأميرة غير أنها ما اعلمت أصحابها وكان هذا من طريق الحياء هذا وقد قربت الخيل إلى بعضها بعض وكان أول من نادى الأميرة وقالت يا ويلكم يا عبدة النار ويامن هم مطرودون عن باب الملك الجبار يا من جعلهم الحق تعالى من الأشقياء والكفار خلوا عن الأضعاف والأحرار والبنات والابكار وإلا وحق من أدار الفلك الدوار وأجرى بقدرته البحار وأوراق الأشجار وأذهب الليل وأنار بضوئه النهار أريكم من ضرب الحسام البتار وما تحير منه الأبصار وتطير منه الرؤس مثل النثار منى ومن هؤلاء الرجال الأخيار الذين يوحدون الملك الجبار ويقومون فى محاريبهم وقت الأسحار الذين ألفوا قتال الكفار ليلا ونهار فان فعلتم ذلك فاصرفوا إلى حيث شئتم (قال الراوى) وكان قصد الأميرة ذات الهمة بهذا القول حتى تعلم ما جرى لأم عبد العزيز واخوته وبعد ذلك قربت منهم وتقدمت اليهم وجعلت تقول هذه الأبيات

ألا أيها الغادون بالعيس بكرة ... يحثون سيرا بالبنات الكواعب
ألا فأطلقوهن الغداة وعرجوا ... وسيروا وروموا غيرهذى المطالب
والا وحق المصطفى سيد الورى ... وأصحابه الطاهرين الأطايب
تركنا جماجمكم بحد سيوفنا ... كما تنثر الأزهار ريح الجنائب
انا بنت مظلوم ولالى ظلامة ... معودة خوض الغياب الغياهب
أحامى عن الاسلام فى كل موقف ... فلم لا أحامى عن شراف أطايب
لهم منصب عالى على كل منصب ... ومن فيه أصل فوق أعلا المراتب
سراة حماة يقرب لمحمد ... عليه سلام الله من كل راكب
وحقك يا عبد العزيز لقد مضت ... لامك أهوال الردى والمصائب

ألا قر عينا ان نهضن خوالصا ✽ يدعون إله غالب كل غالب
تعودت خوض الحرب مذ كنت طفلة ✽ وشاب فوامى من لقاء المواكب
فان فيكمو هرمس فيسرع إذا به ✽ إلى امرأة قد هذبت بالتجارب
وكنا التقينا فى زمان شبابنا ✽ وغصن زمانى بعد غصن الجوانب
زمان الصبا والشعر أسود فاحم ✽ ونحن لعمرى اليوم بيض الذوائب
فلا خير فى الدنيا إذا لم يكن لها ✽ بها مع مضى العمر فعل الأطايب
وصلوا بنا يا سامعين على النبى ✽ محمد طه من خيار الأعارب

(قال الراوى يا سادة فلما فرغت الأميرة ذات الهمة من شعرها سمعتها النسوة لانهن كانوا قريبا من الأميرة ذات الهمة فى الهودج التى فيه أم عبد العزيز وبناتها وكان عباد النار قد أطلقوا أيديهم وقلعوا الأكر من أفواههم لما أمنوا على أنفسهم وصاروا فى بلاد الروم (قال) وسمعت أم عبد العزيز ذلك الكلام والشعر والنظام وهى تقول خلوا عن الكرام وذكرت فى شعرها ما ذكرت فقالت يا رباه ما أحسن الفرج بعد الحرج وما أحلى الخلاص من الأوابد ثم انها بكت ولم تجد اصطبار دون أن رفعت باب الهودج والسجاف ونادت ونظرت إلى لمعان البيض والجواشن وأسنة الرماح بين أذان الخيل الصوافن وأصحاب الأميرة ذات الهمة صفوف وقد تقدمت أمام أصحابها وقالت ذلك المقال فقبلت أم عبد العزيز الأرض من شدة الفرح وقالت لبناتها أيقظانة أم نائمة وهل سمعت الخلاص من الكفرة الملاعين ثم أنها بكت من شدة الفرح وأنشأت وجعلت تقول

ألا زادك الله اقتدارا ورفعة ✽ فأمرك معروف وقدرك عاليا
ألا خلص الأطفال من قبضة العدا ✽ فقد وقعوا فى داهيات الدواهيا
بحرمة بيت الله لا تقطعى بنا ✽ فقد شمتوا حسادنا والأعاديا
فمن لليتامى والأسارى محاميا ✽ يدافع عنهم عند وقع الأعاليا
ترى ترجع الاطلال منا قريبة ✽ وتبلغ من عبد العزيز الأمانيا
خليلى إنى قد عفوت وأبصرت ✽ عيونى منادى بالخلاص يناديا
خليلى ضجوا بالدعا لأميرة ✽ أتتنا تخلصنا ببيض المواضيا
أتت رحمة كيما تروم خلاصنا ✽ وقد أبصرت ذلى ورقت لحاليا
خليلى بعد العز والربع عامرا ✽ غدوا حيارى ما نرى من يحاميا
ومن حين فارقنا الحجاز تفرقت ✽ جماعتنا فى كل شعب وواديا
خليلى هل من رجعة وزيارة ✽ أرى ولدى فيها وتغنى اللياليا

وصلوا على خير الأنام محمد ٭ نبي الهدى المختار من جاء هاديا

(قال الراوى) يا سادة وكانت أم عبد العزيز تندب والبنات يبكون وكذلك أصحاب الأميره ذات الهمة فلما أشجاهم نداها قالوا لها أيتها الأميرة ما هذا وقت الوقوف دونك وضرب السيوف فان الجنة بين أيدينا (قال الراوى) يا سادة يا كرام وسمع هرمس البكاء والحنين والتأوه والأنين فقهقه وضحك حتى استلقى على قفاه وقال يا أم عبد العزيز إرجعى إلى هودجكى فلو أن أهل المشرق والمغرب جاؤا إلى ههنا لما قدروا يفكوا أسركى بل اسقيهم كأس المهالك ثم أنه بعد ذلك أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها ما أنت إلا قد عرفتى ما جرى بيننا فى الزمان الأول من القتال والحرب والنزال واليوم قد ازددت عن ما كنتى تعهدين فاذهبى من قدامى ولا تبتلى بخصامى وانظرى من أمامك فما أحد أشفق عليكى من نفسك وإلا حملت عليكى وأخذت ما بين عينيكى وأبرك أهلكى يبكون عليكى واشتت شمل من معكى وأبيد الكل قبل أن يدخل المساء وأنشد يقول هذه الأبيات

أيا بنت مظلوم قد قدم الهوى ٭ وقد بان لى من حبكى الهم والوجد
فتبا لدهر كان يجمع شملنا ٭ إلى أن تولى القرب واحتكم البعد
وقد التقينا اليوم والسيف بيننا ٭ ولا بد من حرب تذل له الأسد
فلو كنتموا مثل التراب مع الحصا ٭ ومثل نجوم الليل فى الأرض تتقد
فما خلصوا الأسرى ولافك أسرهم ٭ ولكننى من دون حى لكم أردى
وصلوا على خير الأنام محمد ٭ نبى الهدى المختار هو غاية القصد

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم ان الملعون صاح فى رجاله وأبطاله وقال دونكم وهؤلاء الأندال انجزوا أمرهم بالحسام حتى يعلوا عند ملك الروم قدركم ويشكر الشيخ النجيح أمركم وهم بين أيديكم غنيمة وسعادة مقيمة وإن أنتم كنتم عاجزين عنهم فأنا لهم وحدى ولا أحتاج إلى أحد منكم (قال الراوى) فعندها صاحت الأميرة ذات الهمة فى رجالها ونادت فى أبطالها وأقيالها وحمل بعضهم على بعض وأخذت الخيل فى الجولان واشتد الصياح وضاقت البرارى الفساح وقطعت الرقاب من الأشباح وسمحت النفوس الشحاح وهمهمت الأسد الضراغم وظفرت الليوث القشاعم وطار الغبار ولم يعلم الليل من النهار وتكردست الخيل بالسروج وصعب على الرجال من المعمعة الخروج هذا وقد انتفحت الأفواه لأجل استنشاق فى الأرياح وضيقت المناخر من شدة الغبار الطائر إلى أن سار وقت الظهر فبينما هم على ذلك وإذا بغبرة قد نارت وسدت الأرجا وتركت

النهار مثل الدجا وقد سمعوا حس حوافر الخيل ودقها على الصبغا مثل المطارق على السناديل فعندها انفصل الجمعان وافترقت الطائفتان ونظروا إلى الغبار وهو كلما سار يزداد حتى أظلم منه الوهاد لأنه قد ظهر من جهات أربع وقد تورته الرياح حتى أظلم منه النهار وسود وبعد ساعة انكشف للناس وكان من جهة بلاد الروم عن صليب ذهب أحمر وتحته عشرون ألف بطريق وقد نظروا أيضا عن شمالهم إلى الغبار الآخر وقد أقبل من أطراف الضروب وهو سائر على عجل فعندها قالت الأميرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا ما فى نفسى إلا هؤلاء النسوة اللواتى كن أيقن بالفرج وبعد هذا ما اشغلنا عنهم وما صدنا إلا قدرة الله تعالى وقضائه فهم فى الكلام وإذا بغبار آخر قد انكشف عن ثلاثة آلاف فارس أسود بصدور الزرد وفى أيديهم العمد فحسبتهم الأميرة سودان الأمير عبدالوهاب وقالت ما جاؤا هؤلاء إلا فى وقتهم وكان فى أوائلهم فارس جسيم مثـــل الفيل وقالت الأميرة لأصحابها هـذا الهدلوس (قل) وما كان الأمر كما قالت بل انكشف الغبار وبانت الصلبان على راياتهم والفارس الذى هو بين أيديهم ميمونة الملعونة المفتونة عليها ألف لعنـة قد جاءت فى سودانها وكان هذا التدبير من عقبة اللعين قبل أن يقع فى قبضة البطال لأنه كان قد كتب إلى الملك أرمانوس ليعلمه بما يفعل ويقول له اخرج إلى هرمس من يلتقيه وعظم قدره وبكل تقـدر عليه حتى يفرح بذلك ويرغب فى التنصر لأنه خبير بالعراق والحجاز وقد قطع الطرق والمغاوز وإذا ارتفع قدره عندك وسمع الناس بما قد نال فى القسطنطونية عايبقى فى بلاد الإسلام قاطع طريق ولا آ كل حرام إلا ويقصد اليه ويصير بين يديه ويكون يخرج إلى الأقطار وينهب أموال المسلمين ويأتى اليك بنسائهم ويخرب ديارهم (قال) فلما سمع أرمانوس كتاب عقبة ذلك وعرف أخوات عبد العزيز قال ما أظن أحداً يكون من خلق الله أصلح لهذا الدين من هذا الشيخ النجيح عقبة ثم قال الملك لقد سر قلبي بشيئين أحدهما هذا الرجل هرمس الذى قد سمعت أن ما فى الأرض أشجع منه لاسيما إذ انتصر وصار على دين المسيح وعادت عليه بركات مريم والصليب كما على ميمونة عادت حتى زادت على ما كانت عليه والفرحة الثانية إخراج عبدالعزيز وأخوانه لأنه كوى قلوبنا بفعله ولما يصلون إلى لم أبق عليهم حتى لا يرجع أحداً يعمل على خلاصهم (قال الراوى) وان الملك أرمانوس أخرج خواص عسكره إلى لقاء الملعون هرمس المجوسى فوقعوا بالأميرة ذات الهمة كما ذكرنا وداروا بها كما وصفنا وكان قد قدم عليهم بطريق شديد العزم يقال له دمدرى بن كرفاس من أهل الجزائر القاصية كان قد أتى اليهم وطلب اقطاعا فأعطاه ما طلب منه وأرضاه للغاية القصوى وقال له قصدى أن أنظر شيئا من

فروسيتك لأنى قد سمعت عنك بأنك فارس الجزائر ولعل المسيح أن يشد دينه بك فلما سمع دمدرى منه ذلك قام له وقال يا مولاى ما أقول إلا أنك سمعت عنى شيئا من ذلك أنزل من فرسانك إلى ميدانك على سبيل اللعب وانظر العجب فركب الملك الى الميدان وأخرج البطارقة والفرسان وصاروا يبرزون الى دمدرى ويطاعنوه وهو يرميهم الى الأرض طولا وعرض ويقرع رأسهم بالرمح وما يقدر أحدا منهم يصل اليه يفعل به كذلك لا من العرب ولا من الروم ففرح الملك ووقال لميمونة أريد تبرزين إليه حتى أرى أين هو منك فحملت ميمونة عليه وأقاما باقى ذلك النهار ولم يصل احد منهما الى صاحبه فشهدت له الروم بالفضل عليهم والشجاعة والقتال والحرب والنزال وعظم ذلك عند الملك ارمانوس لأنه كان فى نفسه من ميمونة امر عظيم فلما رأى هـذا وقد ساواها خلع عليه وأعطاه الاقطاع ولما سمع بقدوم هرمس أنفد اليه خواص عسكرة وقال لهذا دمدرى يا ولدى ما رجلك علينا إلا مباركة عمرت بك الأوطان وارتفت بقدومك ملة الصلبان

تم الجزء التاسع الأربعون ويليه الجزء الخمسون